سلسلة الرسائل الجامعية (٦١)

مكايد الشيطان

في مسائل الاعتقاد

الأسباب - الآثار - العلاج

تقديم

أ. د. علي بن نفيع العلياني

أستاذ العقيدة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

د. قذلة بنت محمد بن عبد الله آل مفلح القحطاني

غفر الله لها ولوالديها ولجميع المسلمين

دار الهدي النبوي

دار الفضيلة

الطَّبْعَة الأولى
١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

الناشر
دار الفضيلة للنشر والتوزيع
الرياض ١١٥٤٣ ـ ص. ب ٥١١٤٢
تليفاكس ٢٣٣٣٠٦٢

توزيع
دار الهدي النبوي للنشر والتوزيع
جمهورية مصر العربية ـ المنصورة
تليفون: ٢٣٢٣١٧٥ / ٠٥٠ ـ جوال: ٧١٤٥٦٨١ / ٠١٢

أصل هذا الكتاب رسالة علمية نالت المؤلفة بها درجة الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى بإشراف فضيلة الشيخ د.سليمان بن صالح الغصن، وكانت لجنة المناقشة مكونة من الشيخين: د. علي بن نفيع العليان ود. محمد العلي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه أما بعد :

فقد اشتركت في مناقشة رسالة الباحثة / قذلة بنت محمد بن عبدالله آل مفلح القحطاني التي تقدمت بها لنيل درجة الدكتوراه في العقيدة والمذاهب المعاصرة بعنوان "مكايد الشيطان في مسائل الاعتقاد وطرق التحصين منه" فوجدت أن الرسالة رسالة جيدة في بابها وفيها جمع مفيد في مسائل شتى تتعلق بالموضوع وأسلوب الباحثة أسلوب مبسط يستفيد منه القراء وأرى أن طبع الرسالة في كتاب فيه فائدة لاسيما والباحثة ترجّح مذهب أهل السنة والجماعة في المباحث التي تعرضت لها .

اسأل الله أن يرزقني والباحثة ومن قرأ هذا البحث العلم النافع والعمل الصالح وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

كتبه

أ. د. علي نفيع العلياني

أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة

بقسم العقيدة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

المقـــدّمة

الحمد لله القائل : ﴿ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ [١] .

والقائل سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾ [٢] .

نَحمدُه ونستعِيْنُه ونستهدِيْهِ ونعوذُ باللهِ من شُرورِ أ نفُسِنا وسيئاتِ أَعمَالِنَا ، من يَهْده اللهُ فلا مُضلَّ لـهُ ، ومن يُضْلِلْ فلا هـاديَ لـهُ وأشـهد أن لا إلـه إلا الله وحـده لا شريك لـه ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسُولهُ ، أَدى الأمانـةَ ونَـصحَ الأُمـةَ وجاهـدَ في اللهِ حقَّ جِهادِه ، فَصلاةً وسلاماً عليه وعلى آلهِ وصحبهِ إلى يوم الدين .

أما بعدُ:

لقـدْ جـاءَ الأنبيـاءُ – علـيهم صـلواتُ اللهِ وسـلامُهُ – «بالبيـانِ الكـافي ، وَقـابَلوُا الأمراضَ بالدواءِ الشَّافي ، وَتوافَقُوا على مِنْهاجٍ لم يختلفْ ، فأقبلَ الـشيطانُ يخلِطُ بالبيـانِ شُبُهَاً ، وبالـدواءِ سُـمَّاً . . ومـا زالَ يلعـبُ بـالعقولِ إلى أنْ فـرقَ الجاهليـةَ في مـذاهبَ سخيفةٍ ، وبدعٍ قبيحةٍ ، فأصبحوا يعبدونَ الأصنامَ في البيـتِ الحـرامِ ، ويُحرِّمـونَ الـسَّائبةَ والبَحيرةَ والوصيلةَ والحامل[٣] . . إلى غيرِ ذلك من الضلالِ الذي سولّ لهم إبليسُ» [٤] .

وهذا بعدَ أنْ طردَهُ اللهُ وأبعدَهُ عندما تمردَّ على طاعةِ ربِّه ومولاهُ ، وأَبى السَّجودَ لآدمَ عليه السلامُ وزعَم أنَّه خيرٌ منه ، ثم طلبَ الإنْظارَ إلى يومِ البعثِ ، فأنظرهُ اللّه ، فلمَّا أَمِنَ أخذَ يدبرُ الحيلَ ويصْنَعُ الأساليبَ ، ويزينُ الباطلَ ، ويسهِّلُ طريقَ الغوايةِ بمكْرِهِ

---

(١) يس ، الآية: ٦٠ .

(٢) فاطر ، الآية: ٦ .

(٣) سيأتي التفصيل في بيان معاني السائبة والبحيرة والوصيلة والحام .

(٤) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص١٠ ط . الرابعة ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م .

وألاعيبهِ، قَال تَعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝٣٦ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ۝٣٧ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ۝٣٨ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٣٩ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٤٠ ﴾[١].

فبدأ بآدمَ - عليه السلامُ - بعد أنْ أسكنه اللّه تعالى هو وزَوْجَه الجنةَ فزيّنَ لهما المعصيةَ، ووعَدَهُمَا بالخلودِ حتى أكلا من الشجرةِ التي نَهاهُمَا اللهُ تعالى عن الأكلِ منها، فكانتْ العاقبةُ الخروجَ من الجنةِ والهبوطَ إلى الأرضِ، وهذا يدلُّ على أن هذه العداوةَ قديمةٌ بدأتْ منذ أن أمتنع عن السجود لأبينا آدم عليه السلام، وهي في أصلِ العقيدةِ والدين ومستمرةٌ إلى قيامِ الساعةِ، ولكنَّ اللهَ لم يتركْ عبادَه في جهل بل بيَّن تَعالى لهم عداوةَ هذا العدوِ وشدةَ خطَرِه مع عظيمِ مكرِه وأسَاليبِهِ في التَّزْيينِ والإغْواءِ.

لهذا استخرتُ اللهَ تعالى في بَحثِ مكايِدِه، وكشفِ مخططاتهِ وإنْ لم أكنْ أوَّل مَن شرعَ في ذلك، ولكنّ الموضوعَ يَحتاج إلى جهدٍ واهتمامٍ وبذلٍ للمزيدِ لتتضافرَ الجهودَ ويُفْضَحَ الكيدُ سعياً في نجاةِ العبد أولاً ثم نَجاةِ من يَدعُوه ثانياً.

فتقدمتُ بموضوعِ البحثِ وخُطَّتِه لنَيلِ درجةَ الدكتوراه إلى كليةِ أصول الدِّيْنِ بالرياضِ، قسم العقيدةِ والمذاهبِ المعاصرةِ، فوافقَ مجلسُ القِّسْمِ ومَجْلِسُ الكُلِّيةِ - مَشْكُورَيْن.

أهميةُ الموضوعِ:

تَبرُزُ أهميةُ الموضوعِ مِن خِلالِ عدَّةِ أمورٍ منها:

١- ما سَبَق ذِكْرُه مِن بَيَان عَداوةِ الشَّيطان القديمةِ لبني آدمَ، وهذه العداوةُ مستمرةٌ لا تزولُ، ولا تضمحلُّ، ومنشأها أصلُه الخبيثُ ونَفْسُهُ المنطويةُ على الحقدِ والحسدِ والكِبر، فهو يرى أن بني آدمَ سببُ شقائِه وزوال نعمتِه، قال تعالى: ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ۝٦٢ ﴾[٢].

---

(١) سورة الحجر، الآيات: ٣٦-٤٠.

(٢) الإسراء، الآية: ٦٢.

وفي حديثِ أبي سعيد الخُدْري – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ إبليسَ قال: وعزتكِ لا أبرحُ أغوي بني آدمَ مادامتْ الأرواحُ فيهم، فقال لـه ربُّهُ عز وجلَّ: فبعزتي وجلالي لا أبرحُ أغفرُ لهم ما استغفروني**» [١] .

فهو عدُوُ محاربٌ ، ينبغي مواجهتهُ بكل ما نملك من قوى .

٢- إن هذا العدوَّ له مداخلُ على النفسِ الإنسانية ، وطرقُ إغراءٍ واستدراجٌ لا يتنبه لها كثيرٌ من الناسِ ، فلابد من معرفتِهَا وتوضيحِها وفضحِها ليتمَّ صدُّها وإبطالُها ، قال ابنُ الجوزي – رحمه اللهُ – في تلبيسِ إبليسِ: «وفتنُ الشيطانِ ومكايدُه كثيرةٌ في غصونِ هذا الكتاب . . ولكثرةِ فتنِ الشيطانِ وتشبثها بالقلوب عزتْ السلامةُ فإن من يدعُ إلى ما يحثُ عليه الطبع كمدادِ سفينةٍ منحدرةٍ فيا سرعةَ انحدراها . . » [٢] ا.هـ .

فهو محيطٌ بالعبدِ من جميع جوانبِهِ ، قال تعالى: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَـٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَـٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [٣] .

٣- شدةُ الفتنةِ بالشيطانِ حتى إنه ليشَارِكُ في فتنة المسيحِ الدجالِ فيتمثَّلُ في صورةِ الأبِ والأمِ ليأمر باتباعِ الدجالِ كما سيأتي فلابد من إبرازِ موضوع الشيطانِ في صورة واقعيةٍ ملموسةٍ ، حتى يُدرك خطرُهُ وتنكشف مكايدُه ، فهو من أشد من اليهودِ والنصارى وسائرِ الكفرةِ ، فهو الرأسُ المدبرُ والطاغوتُ الخفيُّ الذي يواصلُ سعَيه الدؤوبَ لمحوِ وإزالةِ دينِ اللهِ وتوحيدِه من الأرضِ .

وفي الصحيح : «**إنَّ في البحرِ شياطين مسجونةً أوثقها سليمانُ يوشِكُ أنْ تخرجَ فتقرأَ على الناسِ قرآناً**» [٤] .

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٣/ ٤١) ، والحاكم في المستدرك رقم: ٧٦٧٢ (٤/ ٢٩٠) ، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي .

(٢) تلبيس إبليس ص٤٥ .

(٣) الأعراف ، الآية: ١٦-١٧ .

(٤) رواه مسلم في المقدمة رقم: ٧ (١/ ١٢) .

٤- إبرازُ خطرِه على المجتمعِ الإسلاميِّ والأمةِ المسلمةِ، فليسَ خطرُهُ قاصراً على نطاقٍ فرديٍّ يتمُ التحرزُ منه ودفعُهُ بالزادِ الإيمانيِّ عند الفردِ، بلْ لابدَ معَ ذلكَ من محاربتهِ ومواجهتِهِ بشكلٍ جماعيٍّ، فما من شرٍ في هذا العالمِ إلا هو سبَبُهُ، قال ابنُ القيمِ – رحمه اللهُ – : «ولا يمكنُ حصرُ أجناسِ شرهِ، فضلاً عن آحادِهَا، إذ كُل شرٍ في العالِم فهو السببٌ فيه» [١] ا.هـ.

وقد ركزتُ – بحسبِ تخصصي – على جانبِ العقيدةِ، وإن كانَ لوازمُ البحث جعلتني أتطرقُ لكثيرٍ من الجوانبِ الأخرى ولو بالإشارةِ.

٥- ضرورةُ التأصيلِ الشرعيِّ للتصورِ الغيبيِّ لقضايا الجنِ والشياطينِ خصوصاً مع كثرةِ الخوضِ فيها ما بين مصيبٍ ومخطئٍ، ومؤمنٍ ومُنكرٍ.

٦- إنه يَرانا ولا نراهُ غالباً، ولهذا عُظمَ خطرُهُ واستفْحَلَ شرُهُ، لأن العدوَّ الذي تراهُ تستطيعُ دَفْعَهُ ومقاومَتَهُ، وأما العدوُ الخفيُّ فقد تغفلُ عن التحذر مِنهُ، وقدْ يباغِتُكَ على حينِ غفلةٍ وفي حالةِ ضعفٍ، ولهذا أمرنا اللهُ تعالى بالاستعاذةِ منه قال سبحانه: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ [٢].

٧- إن مكايدَ الشيطانِ كانتْ السببَ في إفسادِ عقائدِ الأممِ وانحرافِهَا عن التوحيدِ الخالصِ قديماً وحديثاً.

أسبابُ اختياري لهذا الموضوعِ:

١- ما بنيتُه في أهميةِ الموضوعِ من شِدةِ خطرِ هذا العدوِ، وخفاءِ مكايدِهِ، فرأيتُ أن أتناولَ هذا الموضوع، وأوضحَهُ إذ معرفةُ الشرِ سببٌ لاجتنابهِ وتحذيرٌ من الوقوعِ فيه، كما كان حذيفةُ – رضي الله عنه – يقول: **«كان الناسُ يسألونَ رسولَ اللهِ ﷺ عن الخير، وكنتُ أسألهُ عن الشرِ مخافةَ أن يُدْرِكَني . . .»** [٣] الحديثُ.

(١) تفسير المعوذتين، ص١١١-١١٢.
(٢) النحل، الآية: ٩٨.
(٣) رواه البخاري رقم: ٣٤١١ (٣/ ١٣١٩)، ومسلم رقم: ١٨٤٧ (٣/ ١٤٧٥).

٢- إن هذا الموضوعَ بحاجةٍ إلى ضمِ جوانبِهِ، وجمعِ مُتَفَرِقِه، إذ قد أُلِّفتْ فيه المؤلفاتُ الكثيرةُ قديماً وحديثاً.

وأكثرُ هذه المؤلفاتِ تركزتْ فيها الدراسةُ على جانبٍ معينٍ كخلقِ الشيطانِ وأصلِهِ وصفاتِهِ، أو التعوذِ منه والتحصنِ منه أو تناولِهِ من جانبٍ حديثيٍّ أو فقهيٍّ، وبعضُها بحثَ الموضوعِ بشكلٍ شاملٍ، كما في إغاثةِ اللهفانِ لابن القيمِّ وتلبيسِ إبليسَ لابنِ الجوزي – رحمهما الله تعالى – .

لذا ركزتُ في دراستي على الجمعِ والترتيبِ والتبويبِ في مسائلِ العقيدةِ، فجمعتُ تحت كل مسألةٍ ما يخصها من هذه المكايدِ.

وأسألُ اللهَ تعالى أن أكونَ وُفقتُ وأضفتُ جديداً للمكتبةِ الإسلاميةِ؛ لأنَّ الأمرُ أخطرُ مما يُتصورُ، ومهما بُذل فيه من الجهودِ فهي لا تفي إلا بجزءٍ يسيرٍ من هذا الموضوعِ المتشعب والهامِ.

وقد اشتملت الخطة التي سرتُ عليها على ما يلي:

مقدمةٌ وتمهيدٌ وثلاثةُ أبوابٍ وخاتمةٌ .

المقدمةُ: وبَيَّنْتُ فيها أهميةَ الموضوعِ وأسبابَ اختياري له والخطةَ التي سرتُ عليها، ومنهجي في البحثِ.

التمهيدُ: في بيانِ فطرة اللهِ التي فطرَ الناسَ عليها، وأسبابِ الانحرافِ عن الفطرةِ.

البابُ الأولُ: مكايدُ الشيطانِ وأساليبُه في إفسادِ الاعتقادِ،

وفيه فصلان:

الفصلُ الأولُ: مكايدُ الشيطانِ في إفسادِ الاعتقاد وفيه خمسةُ مباحثٍ:

المبحثُ الأولُ: تعرضُه لأنبياءِ اللهِ من خلالِ نصوصِ الوحيين.

المبحثُ الثاني: مكايدُه في إيقاعِ البشرِ في الكفرِ والشركِ.

المبحثُ الثالثُ: مكايدُه في إيقاعِ البشرِ في البدعِ والأهواءِ .

المبحثُ الرابعُ: الإيذاءُ النفسي .

المبحثُ الخامسُ: الإيذاءُ البدني .

الفصلُ الثاني: أساليبُ الشيطانِ في إفسادِ الاعتقادِ ، وفيه اثنا عشر مبحثاً:

المبحثُ الأولُ: خطواتِ الشيطانِ من خلال (النسيانِ ، الاستدراجِ ، التسويفِ ، الوسوسةِ ، الأزِ ، الحيرةِ ، التبرؤ والشماتةِ) .

المبحثُ الثاني: تزيينُ الباطلِ ونسيانُ الحقِ .

المبحثُ الثالثُ: الفتنةُ .

المبحثُ الرابعُ: إلقاءُ الشبهاتِ .

المبحثُ الخامسُ: الصدُّ .

المبحثُ السادسُ: ظَن السُّوءِ .

المبحثُ السابعُ: التسويلُ .

المبحثُ الثامنُ: الاستحواذُ والاستهواءُ والتخويفُ .

المبحثُ التاسعُ: القنوطُ من رحمةِ اللهِ .

المبحثُ العاشرُ: الأمنُ من مكرِ اللهِ .

المبحثُ الحادي عشرَ: الاستفزازُ .

المبحثُ الثاني عشرَ: السحرُ .

البابُ الثاني: مكايدُ الشيطانِ وأساليبُهُ في مسائلِ الاعتقادِ ، وفيه أربعة فصول:

الفصلُ الأولُ: مكايدُ الشيطانِ وأساليبُهُ في مسائلِ التوحيدِ بأنواعِهِ ، وفيه ثلاثةُ مباحثَ:

المبحثُ الأولُ: توحيدُ الربوبيةِ .

المبحثُ الثاني: توحيدُ الألوهيةِ .

المبحثُ الثالثُ: توحيدُ الأسماءِ والصفاتِ .

الفصلُ الثاني: مكايدُ الشيطانِ في مسائلِ النبواتِ ، وفيه أربعةُ مباحثَ:

المبحثُ الأولُ: مكايدُه في إنكارِ النبواتِ .

المبحثُ الثاني: مكايدُه في الغلوِ في الأنبياءِ .

المبحثُ الثالثُ: مكايدُهُ في نفي المعجزاتِ والكراماتِ .

المبحثُ الرابعُ: مكايدُهُ فيما يتعلقُ بالولايةِ والأولياءِ .

الفصلُ الثالثُ: مكايدُ الشيطانِ في مسائلِ الغيبياتِ ، وفيه أربعةُ مباحثَ:

المبحثُ الأولُ: مكايدُه فيما يتعلقُ بالملائكةِ .

المبحثُ الثاني: مكايدُه في إنكارِ البعثِ .

المبحثُ الثالثُ: مكايدُه في إنكارِ اليومِ الآخرِ .

المبحثُ الرابعُ: مكايدُهُ فيما يتعلقُ بالأرواحِ .

الفصلُ الرابعُ: أبرزُ مظاهرِ مكايدِ الشيطانِ عند الفرقِ والمللِ والنحلِ المخالفةِ .

البابُ الثالثُ: طرقُ التحصينِ من الشيطانِ ،

وفيه خمسةُ فصولٍ:

الفصلُ الأولُ: تحقيقُ العبوديةِ للهِ تعالى .

الفصلُ الثاني: الإخلاصُ والمتابعةُ .

الفصلُ الثالثُ: الاستعاذةُ والاستعانةُ باللهِ .

الفصلُ الرابعُ: الالتزامُ بالكتابِ والسنةِ ، وفيه ثمانيةُ مباحثَ:

المبحثُ الأولُ: لزومُ الجماعةِ .

المبحثُ الثاني: الأذكارُ .

المبحثُ الثالثُ: قراءةُ القرآنِ .

المبحثُ الرابعُ: غضُ البصرِ .

المبحثُ الخامسُ: كثرةُ الطاعاتِ .

المبحثُ السادسُ: التوبةُ والاستغفارُ .

المبحثُ السابعُ: حفظُ الجوارحِ .

المبحثُ الثامنُ: تحصينُ الأهلِ والأولادِ .

الفصلُ الخامسُ: طرقٌ أخرى للتحصنِ من الشيطانِ باستقراءٍ من الكتابِ والسنةِ .

الخاتمةُ: وتشتملُ على أهمِ النتائجِ التي توصلتُ إليها من خلالِ البحثِ مع بعضِ التوصياتِ .

الفهارس: وتشتملُ على[1]:

١- فهرسُ أطرافِ الأحاديثِ النبويةِ .

٢- فهرسُ الآثارِ .

٣- فهرسُ الأعلامِ المترجمِ لهم .

٤- فهرسُ الفرقِ والمللِ والنحلِ .

٥- فهرسُ المصادرِ والمراجعِ .

٦- فهرسُ الموضوعاتِ . وقد اختصرتها في هذه الطبعة حتى لا يطول الكتاب أكثر من ذلك .

أما منهجي في البحثِ فقد سرتُ على المنهجِ التالي:

---

(١) تم حذف عدد من الفهارس نظراً لرغبة المطبعة بناء على طولها .

١- كتابةُ الآياتِ بالرسمِ العثماني ، وعزوُها إلى السورةِ ورقْمِ الآيةِ .

٢- تخريجُ الأحاديثِ والآثارِ من المصادرِ الحديثيةِ ما أمكنَ ذلك ، وإذا كانَ الحديثُ في الصحيحينِ أو أحدهُمَا اكتفيتُ بعزوه إليهما أو إليه ، أما إذا كان في غيرهِما فإني أتوسعُ في تخريجهِ ، وأنقل كَلامَ علماءِ الحديثِ في الحكم عليه ما استطعتُ .

٣- عزو الحديثِ بذكرِ الكتابِ ، البابِ ، الرقمِ ، الجزءِ ، الصفحةِ إذا كان في الكتبِ الستةِ أو الرَقْمِ والجزءِ والصفحةِ فيما عداها من السننِ والمسانيدِ والمعاجمِ .

٤- تعريفُ الأعلامِ غير المشهورينَ بترجمةٍ موجزةٍ .

٥- شرحُ الألفاظ الغريبةِ .

٦- تحديدُ الأماكنِ والبلدانِ .

٧- التعريف بالفرق .

٨- عند ذكري لمكايد الشيطان في مسألة ما أورد عليها دليلاً من الكتاب أو السنة الثابتة ، فإن لم أجد بحثت عن أثر وأدعمه بأقوال السلف أو معنى آية من كتاب الله ، وأنقل ما يدل على ذلك من أقوال المفسرين أو استنتاج توصلت إليه .

ثم أذكر ما يتعلق بهذه المكيدة من شبهات ومسائل جزئية قد لا يكون عليها دليل مباشر ، وإنما أستدل عليها بعموم مكايده مثل قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ [1] ، وقوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [2] . وقوله تعالى: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [3] ، وقوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾ ﴾ [4] .

---

(١) الأعراف ، الآية: ٢٧ .

(٢) الحجر ، الآية: ٣٩ .

(٣) الأعراف ، الآيتان: ١٦- ١٧ .

(٤) الحج ، الآية: ٤ .

وحديث سبرة: «إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه فقعد لـــه بطريـــق الإســـلام . . .» [(١)] الحديث - كما سيأتي - .

قال ابن القيم - رحمه الله - : «ومن شره: إنه قعد لابن آدم بطرق الخير كلها ، فما من طريق من طرق الخير ، إلا والشيطان مرصد عليه يمنعه بجهده أن يسلكه ، فإن خالفه وسلكه ثبَّطه فيه وعوَّقه وشوش عليه بالمعارضات والقواطع ، فإن عمله وفرغ منه قيض له ما يبطل أثره ويرده على حافرته» [(٢)] ا.هـ .

١٠- الشبهات التي أوردها أردّ عليها بإجمال وأحيل إلى مراجع الرد ، لأن البحث لا يتسع لكثرة الرد ، وفي المقابل وجدت أنه من الصعب إيراد الشبهة دون تفنيد لها ولو بشكل موجز .

١١- نقلت أقوال الخصوم من كتبهم ما استطعت إلى ذلك سبيلاً مما وجد عندي منها وما استعرته من المكتبات العامة أو الخاصة ، ومن خلال البحث في مواقعهم ومواقع تخصصت في الرد عليهم على شبكة المعلومات (الإنترنت) ، وما لم أجد نقلت أقوالهم من كتب المقالات والملل ، وكتب الثقات أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم - رحمهما الله- .

١٢- قد أنقل من بعض الكتب ما يؤيد رأيي في مسألة ما ، وليس معنى ذلك موافقتي للمؤلف في منهجه وجميع آرائه ، ولكن الحكمة ضالة المؤمن . . وهذا وقع في مسائل محدودة .

١٣- ما ذكرت بلفظ شيخ الإسلام وأطلقت فالمقصود ابن تيمية - رحمه الله - .

ويعلم الله أني قد بذلت فيه ما استطعت من جهد ، ولا حول لي ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، رغم ما واجهت من صعوبات وعوائق من أهمها:

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (٣/ ٤٨٣) ، والنسائي رقم: ٣١٣٤ (٦/ ٢١) ، وانظر صحيح الجامع (٢/ ٧٢) .

(٢) تفسير المعوذتين ، ص١١٠ .

١- التداخل بين الموضوعات وهذا واجهته كثيراً في بداية البحث ثم أعان الله تعالى بعد ذلك فكان لزاماً عليّ أن أختصر وأشير ثم أبسط دون تكرار ومداخلة .

٢- سعة الموضوع وشموله لجميع أبواب ومسائل العقيدة غالباً .

٣- كثرة الأعمال والمسؤوليات ما بين متطلبات الأسرة ورعاية الأولاد والقيام بالعمل الوظيفي خارجها مما جعل الانصراف للبحث والطلب في خضمه نوعاً من المجاهدة و الصبر والمصابرة مع ما واجهته من محاولات إبليس وكيده لي لإعاقة السعي ، وإحباط الجهد عن إكمال هذا البحث ، لولا إعانة الله تعالى وتيسيره .

٤- وفاة والدتي – رحمها الله – التي كنت أجدها خير معين – بعد الله تعالى – فقد كانت دعواتها ، وحثها وتشجيعها لي لمواصلة السير يرافقني طوالي مسيرتي ، مما كان لفقدها أكبر الأثر على نفسي ، لله ما أخذ ولله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى فاللهم أجرني في مصيبتي واخلفني خيراً منها ، ورحمها الله وجزاها الله هي ووالدي عني خير ما جزى والداً عن ولده ، وجعل هذا البحث وسائر الكسب في موازين حسناتهما يوم نلقاه .

إنه سميع مجيب . . آمين .

كما أسألُهُ تعالى أن يتقبلَّ هذا العملَ ويجعَلَهُ خالصاً لوجهِهِ الكريمِ ، وصلى اللهُ على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبهِ وسلَّم تسليماً كثيراً إلى يومِ الدينِ .

كتبته

قذلة بنت محمد بن عبدالله بن معيض بن حواش آل مفلح القحطاني

مشرفة مركزية وتربوية بالإدارة العامة للتوعية الإسلامية ومحاضرة بكلية الخدمة الاجتماعية (سابقاً) ومديرة القسم النسائي بمكتب الدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بالسلي ومشرفة عامة على مدارس واحة الرواد الأهلية بالروابي

العنوان – الرياض – ص. ب ١٠٢٩٩٢ الرياض ١١٦٨٥ جوال/ ٠٥٠٤٤٠٦٣٥٤

إيميل : d-gathla@hotmail.com

الموقع الرسمي: htpp://www.islamligtht.net/gazlah/index.php

تمهيد

في بيان فطرة الله التي فطر الناس عليها، وأسباب الانحراف عن الفطرة:

الفطرة في اللغة مأخوذة من فطر الشيء يفطره فطراً فانفطر، ومن معانيها: الشق كما في قوله تعالى: ﴿ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴾[١] .

وقوله تعالى: ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ۝ ﴾[٢] ، أي انشقت .

والابتداء والاختراع كما في قوله تعالى: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾[٣] ، والخلقة كما في قوله تعالى: ﴿ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَا ﴾[٤] وقوله تعالى: ﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ۝ ﴾[٥] ، أي خلقني[٦] .

وأما معنى الفطرة في الشرع، فقد اختلف العلماء في المراد بها، والتي جاء ذكرها في قوله تعالى: ﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِ ﴾[٧] .

وفي قوله ﷺ في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: «**كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة، هل ترى فيها من جدعاء؟**[٨]»[٩] .

---

(١) سورة الملك، الآية: ٣ .

(٢) سورة الانفطار، الآية: ١ .

(٣) سورة فاطر، الآية: ١ .

(٤) سورة الروم، الآية: ٣٠ .

(٥) سورة يس، الآية: ٢٢ .

(٦) انظر: لسان العرب، لابن منظور، (٥/ ٥٥-٥٩)، وبصائر ذوي التمييز، للفيروزآبادي (٤/ ٢٠٠) .

(٧) سورة الروم، الآية: ٣٠ .

(٨) الجدع قطع الأنف، والأذن والشفة وهو بالأنف أخص . النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (١/ ٢٤٦) .

(٩) رواه البخاري، رقم١٣١٩ ، (١/ ٤٦٥)، رقم ١٢٩٢ ، (١/ ٤٥٦) . رقم٤٤٩٧ ،(٤/ ٧٩٢) عن أبي هريرة - ﷺ - بنحوه . رقم ٦٢٢٦ ، (٦/ ٢٤٣٤)، بلفظ (ما من مولود إلا يولد على الفطرة . . .) .

فقيل: هي العهد الذي أخذ منهم وهم في أصلاب آبائهم، والمراد به الميثاق الذي ورد ذكره في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[(١)] .

قال ابن كثير – رحمه الله – «قال قائلون من السلف والخلف أن المراد بهذا لإشهاد إنما هو فطرهم على التوحيد. . . . كما تقدم في حديث أبي هريرة وعياض[(٢)] ابن حمار . . وقد فسر الحسن الآية بذلك»[(٣)] أ. هـ.

وهذا هو الميثاق الأول الذي أخذه الله تعالى عليهم وهم ذر في ظهر أبيهم آدم، وهناك الميثاق الثاني: وهو ميثاق الفطرة، أي أن الله خلقهم على الفطرة. والثالث: وهو ما جاءت به الرسل وأنزلت به الكتب مبشرين ومنذرين، فمن قبله فهذا دليل على سلامة فطرته من التغيير والتبديل، ومن أعرض عنه فهذا ممن اجتالته الشياطين والعياذ بالله[(٤)] .

وقيل: هو ما سبق في علم الله تعالى من سعادة أو شقاوة، وقيل: المراد الإسلام، قيل: كان ذلك في أول الإسلام قبل أن تنزل آية الفرائض وأحكام المواريث، لأنه لو قيل بإسلامه لانتفى التوارث لأنه مسلم وأبواه كافران، وقيل المعنى الإقرار بربوبيته ومعرفته

---

(١) سورة الأعراف، الآيات: ١٧٢-١٧٤ .

(٢) عياض بن حمار بن أبي حمار بن ناجية بن مجاشع التميمي المجاشعي، حديثه في صحيح مسلم وعند أبي داود والترمذي عنه حديث آخر أنه أهدى إلى النبي ﷺ قبل أن يسلم فلم يقبل منه وسكن البصرة. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ٥/ ٤٨ لابن حجر.

(٣) تفسير ابن كثير، ٣/ ٢٤٩ .

(٤) انظر: المرجع السابق نفس الجزء والصفحة، معارج القبول للشيخ حافظ حكمي، ١/ ٩٢-٩٣، الشرك في القديم والحديث د. أبو بكر محمد (١/ ١٨١) .

تعالى [١] .

وقال النووي – رحمه الله – «والأصح أن معناه أن كل مولود يولد متهيئاً للإسلام» [٢] أ. هـ، وقال نحو ذلك القرطبي وغيره [٣] .

والأشهر من هذه الأقوال أن المراد بالفطرة الإسلام، قال ابن القيم – رحمه الله–: «وهو المعروف عند عامة السلف أهل التأويل، وقد أجمعوا في تأويل قوله الله عز وجل: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [٤] ، قالوا: فطرة الله دين الله الإسلام»[٥] أ. هـ.

ونقل ابن حجر – رحمه الله – نحو هذا القول ونسبه إلى ابن عبدالبر [٦] .

ورجح هذا الإمام أحمد بن حنبل في قوله: «من مات أبواه وهما كافران حكم بإسلامه» [٧] أ. هـ، والإمام البخاري عند تفسيره سورة الروم [٨] .

ومما يرجح هذا القول أن الله تعالى أضاف إليه الفطرة فدل على أنها فطرة محمودة، كما في بيت الله وناقة الله [٩] .

واستدل من قال بغير ذلك بأن الفطرة بمعنى ابتداء الخلقة، «وإذا كانت الفطرة

---

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١١/ ٤٠-٤٢ لابن جرير الطبري، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ١٤/ ٢٤-٣١، وشفاء العليل للإمام ابن قيم الجوزية، ص ٢٨٣ وما بعدها، وفتح الباري لابن حجر العسقلاني، ٢/ ٣١٧-٣١٨ .

(٢) صحيح مسلم بشرح الإمام محيي الدين أبي زكريا النووي، ١٦/ ٢٠٨ .

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (١٤/ ٢٩)، ومنهج الإمام الشوكاني في العقيدة. د. عبدالله نومسوك، (١/ ١٦٢ وما بعدها*.

(٤) سورة الروم، الآية: ٣٠ .

(٥) شفاء العليل، ص ٢٨٥، وإغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لابن القيم، (٢/ ٢٢٦-٢٢٨) .

(٦) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، ٣/ ٣١٧ .

(٧) الطبقات الكبرى، لأبي يعلى، (٢/ ٣٧٠) .

(٨) انظر: صحيح البخاري، (٤/ ١٧٩٢) .

(٩) انظر: شفاء العليل، لابن قيم الجوزية، ص ٢٨٦ .

الابتداء وجب أن تكون تلك هي التي وقعت لأول الخليقة»[١] .

كما أن الفطرة لو كانت الإسلام لمنع التوارث بين المولود وبين أبويه الكافرين كما أنه لا يصح استرقاقه .

والجواب عن ذلك: أن الفطرة تأتي لعدة معانٍ كما سبق ، وأن ثبوت الأحكام السابقة إنما هو فيما يتعلق بالأحكام الدنيوية ، والكلام إنما هو فيما يخص الأحكام الأخروية ، وهذا منشأ الخلاف فمعلوم أن من يكتم إسلامه في بلاد الكفر ولا يعلم إسلامه يقتل ، ولا يصلى عليه ، ويدفن مع المشركين مع اختلاف الحكم عليه في الآخرة ، إذ يكون مع المؤمنين . وفي حديث عياض بن حمار المجاشعي: أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: «ألا إن ربي أمرني إن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا . كل مال نحلته عبداً حلال ، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم ، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ، وحرمت عليهم ما أحللت لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً . وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب»[٢] . الحديث

فلو أن الطفل يولد كافراً بين أبوين كافرين لم يلزم عندئذ أن تجتاله الشياطين ليصبح كافراً ، لأنه ولد حين ولد على الكفر ، فيصبح الحديث لا معنى له ؛ ولهذا ذهب الإمام أحمد – كما سبق – إلى الحكم بإسلام من مات أبواه الكافرين لزوال الموجب عن التغيير عن أصل الفطرة[٣] .

ومن هنا نعلم أن الأصل هو التوحيد ، وأن الخلق مفطورون على توحيد الله ومعرفته والإقرار به ، وما حدث بعد ذلك من الشرك إنما هو سبب اجتيال الشياطين للخلق والانحراف بهم فجعلتهم يحلون الحرام ويحرمون الحلال ، وأمرتهم أن يشركوا

---

(١) المرجع السابق .

(٢) رواه مسلم ، رقم ٢٨٦٥ ، (٤/ ٢١٩٧) ، وأحمد في مسنده (٤/ ١٦٢) ، عن قتادة به .

(٣) انظر: درء تعارض العقل والنقل ، (٨/ ٤٣٢-٤٣٣) .

بالله ما لم ينزل به سلطاناً، وهذا ما عليه سلف الأمة وما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، وخالف في هذا بعض أهل البدع من الجهمية [١] والمعتزلة [٢] وبعض الأشاعرة [٣].

فقالوا: إن المعرفة لا تحصل إلا بالنظر [٤] ومنهم من أوجبه [٥] بل ادعى الإجماع

---

(١) أصحاب الجهم بن صفوان - ستأتي ترجمته - وهم من الجبرية الغالية، من آرائهم: نفي الصفات، القول بفناء النار، وأن الإيمان هو المعرفة فقط، وعندما ظهرت بدعتهم، بترمذ، قتل مسلم بن أحوز الجهم بن صفوان، سنة ١٢٤هـ في آخر دولة بني أمية. انظر: المقالات، لأبي الحسن الأشعري، ص ٢٧٩ إلى ص ٢٨٠، الملل والنحل، للبغدادي، الملل والنحل للشهرستاني، (١/ ٨٦).

(٢) أصحاب واصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد، يقال: إن سبب ظهورها أن واصل بن عطاء كان تلميذاً للحسن البصري، فسئل الحسن عن مسألة الفاسق هل هو مؤمن أو كافر؟ فأظهر واصل القول بالمنزلة بين المنزلتين، ثم اعتزل حلقة الحسن يدعو إلى بدعته. من آرائهم: نفي الصفات، نفي خلق الله لأفعال العباد، وجوب إنفاذ الوعد والوعيد، وتخليد مرتكب الكبيرة في النار، وهم فرق كثيرة قد تصل إلى عشرين فرقة منها: الواصلية والعمرية والهذيلية والنظامية... إلخ، انظر الفرق بين الفرق، للبغدادي، ص ٩٣ وما بعدها. والملل والنحل، للبغدادي، (٥/ ٥٧-٧٢)، والملل والنحل، للشهرستاني، (١/ ٤٣ وما بعدها). واعتقادات فرق المسلمين والمشركين، للرازي، ص ٢٣ وما بعدها.

(٣) الأشاعرة أصحاب أبي الحسن الأشعري، كان في بداية أمره معتزلياً، ثم فارقهم وأسس المذهب الأشعري، ثم أعلن رجوعه إلى مذهب السلف الصالح، كما ذكر في كتبه المتأخرة كالإبانة، ومقالات الإسلاميين، وإليه ينتسب الأشاعرة، ومن آرائهم: إثبات سبع ومنهم من يثبت عشرين من صفات الله ويؤولون الباقي ويخالفون أهل السنة في إثبات الكلام في قولهم بالكسب ويخرجون الأعمال من مسمى الإيمان ويحصرونه في التصديق ... وقد كان ظهورها في القرن الرابع الهجري. انظر: الملل والنحل (١/ ٩٤-١٠٣).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية، (١٦/ ٣٣٠-٣٤٠)، مجموعة الرسائل المنيرية، ٢/ ١٩٨ وما بعدها، وشفاء العليل، لابن القيم، ص ٤٧٦-٤٩٩، والمواقف للأيجي، ص ٢٨-٣٣. ودلائل التوحيد للقاسمي، ص ١٨٨-١٨٩، تعليق: خالد العك.

(٥) انظر: شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبدالجبار، ص ٣٩، تعليق: أحمد الحسين بن أبي هاشم، تحقيق: د. عبدالكريم عثمان، المواقف للأيجي، تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد، لإبراهيم البيجوري، ص٢١-٢٢.

على وجوبه [١] . واختلفوا في أول الواجبات فقيل: معرفة الله تعالى لأنها الأصل، وقيل: النظر فيها أو القصد إليه لتوقفها عليه، وقيل: الشك لأن النظر بعده . . . [٢] .

وبطلان هذا القول يتبين بما يلي:

١- مخالفته للكتاب والسنة، وإجماع الأمة وهذا كاف في بطلانه . قال تعالى: ﴿ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [٣] .

وقوله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [٤] .

قال ابن كثير - رحمه الله - : يقول تعالى: «فسدد وجهك واستمر على الدين الذي شرعه لك من الحنيفية ملة إبراهيم، الذي هداك الله لها . . . وأنت مع ذلك لازم فطرتك السليمة، التي فطر الله الخلق عليها، فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده» [٥] .

وفي الحديث عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ : «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟» .

ثم يقول أبو هريرة - رضي الله عنه -: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ [٦] .

٢- إن هذا القول لم يؤثر عن النبي ﷺ وهو المبعوث إلى الخلق جميعاً أبيضهم وأسودهم، عربهم وعجمهم، ولم ينقل لنا قط أنه قال لأحد لا يصح إسلامك حتى

---

(١) انظر: شرح المقاصد، لمسعود التفتازاني، ص ٢٩٠، تحقيق: عبدالرحمن عميرة .

(٢) المرجع السابق، ص ٣٠١، شرح الأصول الخمسة، ص ٣٩، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٧/ ٣٣١) .

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ١٠ .

(٤) سورة الروم، الآية: ٣٠ .

(٥) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٥/ ٣٥٨)، دار الأندلس .

(٦) رواه البخاري، رقم ١٢٩٣، (١/ ٤٥٦-٤٥٧)، ومسلم، رقم ٢٦٥٨، (٤/ ٢٠٤٧) .

تستدل عليه بالنظر، فلو كان ذلك واجباً لبيَّنه ﷺ لأمته ونُقل واستفاض، ولكان ذلك أول ما تعلمه الأنبياء لأممهم.

٣- إنه يلزم من هذه المقالة: القول بكفر أكثر أهل الأرض، لأن أكثرهم عوام لا يعرفون معنى النظر والاستدلال، بل إيمانهم بالله تعالى فطري، لم يحتج إلى شيء من ذلك، وهذا اللازم باطل إجماعاً.

٤- إن قول بعضهم بوجوب الشك قبل النظر، يلزم منه أن يظل الإنسان فترة من الزمن شاكا في خالقه – والعياذ بالله – يطلب الأدلة ويلتمس البينة، فكيف حاله لو مات في هذه الفترة...؟!

٥- إن جميع الخلق اعترفوا بالله رباً من غير تعلم ولا تلقين حجة، ولا اصطلاح وقع بينهم، حتى الذين تم تبلغهم دعوة الإسلام.

٦- ومما يبين فساد هذا القول – أيضاً – أنه لو صح لجاز للكفار إذا غلبهم المؤمنون أن يقولوا لهم، دعوا لنا فرصة للنظر والاستدلال على ربكم وهذا لم يقع. إذ يلزم منه إقرار المسلمين لهم بالكفر مدة نظرهم، وهذا باطل [(١)].

وبهذا يتبين بطلان قولهم بوجوبه، وأما ما استدلوا به من الآيات فلا دليل فيه، إذ هي من مخاطبة المشركين المعاندين، ودعوة لهم إلى النظر والتأمل في آيات الله الكونية وهو طريق صحيح لمعرفة الله تعالى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : «أمروا بالنظر ليعرفوا الحق ويقروا به، ولا ريب أن النظر يجب على هؤلاء» [(٢)] أ. هـ [(٣)].

---

(١) انظر: الفصل في الملل والنحل، لابن حزم، (٤/ ٦٧ وما بعدها)، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٧/ ٣٣٠-٣٣٣)، مدارج السالكين لابن القيم، (١/ ٥٩-٦٠)، دلائل التوحيد، للقاسمي، ص ١٩٣-١٩٤، منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد، لعثمان بن حسن، (١/ ٢١٠-٢١٣).

(٢) رسالة في الكلام على حديث يولد المولود على الفطرة، ضمن الرسائل المنيرية، (٢/ ٢٠٣).

(٣) وقد وجد اتجاه آخر يزعم أن التدين بدأ بالخرافة والشرك، ثم تطور إلى أن أُفرد الله تعالى بالعبادة.

يقول د . محمد دراز: «ذهب بعض كتاب القرن الثامن عشر ، الذين مهدوا للثورة الفرنسية إلى أن الديانات والقوانين ما هي إلا منظمات مستحدثة ، وأعراض طارئة على البشرية حتى قال (فولتير): إن الإنسانية لا بد أن تكون قد عاشت قروناً متطاولة في حياة مادية خالصة قوامها الحرث والنحت . .= =قبل أن تفكر في مسائل الدينيات والروحانيات . . .» ، الدين ص٨٠ ، وانظر: ص ١٠٧-١٠٨ ، وهذا قول باطل يرده الكتاب والسنة والفطرة السليمة .

والشاهد لجوء الخلق إلى الله تعالى إذا نابتهم الشدائد والكوارث ، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ العنكبوت ، الآية: ٦٥ . وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ يونس ، الآية: ١٢ .

وهذا دليل على أن الخلق جبلوا على التوحيد ، واللجوء إلى الله حتى البهائم والوحوش ترفع رؤوسها إذا أصابها الجهد ، يقول الإمام الشوكاني - رحمه الله -: «كل فرد من أفراد الناس مفطور أي مخلوق على ملة الإسلام ، ولكن لا اعتبار بالإيمان والإسلام الفطريين وإنما يعتبر الإيمان والإسلام الشرعيان ، وهذا قول جماعة من الصحابة ومن بعدهم وقول جماعة من المفسرين وهوالحق» ا.هـ ، فتح القدير ، للشوكاني (٤/ ٢٢٤ ، دار المعرفة .

ولو كان التدين بدأ بالخرافة والشرك وعبادة غير الله لم يكن الخلق كلهم معترفون بأن الله رازقهم وخالقهم ومالكهم كما بين تعالى في قوله: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ يونس ، الآية:٣١ .

انظر: الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي (٨/ ٣٢٥) ، فتح القدير ، للشوكاني (٥/ ٤٣٤-٤٣٥) ، ودلائل التوحيد ، للقاسمي ، ص ١٩٢ ، في ظلال القرآن لسيد قطب ، (٣/ ١٧٧٤) .

أسباب الانحراف عن الفطرة

١– الشرك بالله والكفر به:

فإذا اتجه المخلوق لغير الخالق، وتعلق به انحرفت فطرته، كما في حديث عياض بن حمار – رضي الله عنه – وفيه: (... وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً) وهذه عبادة الشيطان كما جاء في قوله تعالى على لسان إبراهيم – عليه السلام –: ﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴾[1].

والمعنى «أي لا تطعه في عبادتك هذه الأصنام، فإنه هو الداعي إلى ذلك والراضي به»[2]، ولهذا يقول تعالى: ﴿ ۞أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾[3].

وإبليس قد تعهد بتغيير الفطرة بالكفر، كما قال الله: ﴿ إِن يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثٗا وَإِن يَدۡعُونَ إِلَّا شَيۡطَٰنٗا مَّرِيدٗا ۝ لَّعَنَهُ ٱللَّهُۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنۡ عِبَادِكَ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا ۝ وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا ۝ يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾[4].

فلم يكتف بتغيير الفطرة إلى الشرك والكفر، بل تعهد بتغيير الخلقة إلى البتك والقطع، فهذا تغيير خلقة الروح، وهذا تغيير خلقة الصورة[5]. وسيأتي الكلام – إن شاء الله – حول مكايد الشيطان لإيقاع البشر في الكفر والشرك.

٢– البدع: البدعة في اللغة من بَدَع الشيء يبدعه بدعاً وابتدعه: أنشأه وبدأه..

---

(١) سورة مريم، الآية: ٤٤.

(٢) تفسير ابن كثير، (٤/ ٤٦٠).

(٣) سورة يس، الآية: ٦٠.

(٤) سورة النساء، الآيات: ١١٧-١٢٠.

(٥) انظر: ذم الموسوسين، لابن القيم، ص ١٣.

والبْدعُ الشيء الذي يكون أولاً . . . [١]، وهي تطلق على معنيين:

الأول: الأمر المخترع على غير مثال سابق .

الثاني: التعب والنصب ، يقال أبدعت الإبل إذا بركت في الطريق من التعب والكلال [٢] .

وهذا الاسم يدخل فيما تخترعه القلوب وفيما تنطق به الألسنة وفيما تفعله الجوارح [٣] .

وأما تعريفها في الشرع: فقد عرفها شيخ الإسلام بأنها «ما خالفت الكتاب والسنة . . .» [٤] .

وقيل في تعريفها: «فعلة تصادم الشريعة بالمخالفة أو توجب التعاطي عليها بزيادة أو نقصان» [٥] .

وقيل: «البدعة . . . عبارة عن طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشريعة يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه وتعالى» [٦] .

وهذا القيد الأخير ليس شرطاً ، فليس كل بدعة يراد بها المبالغة في التعبد ، بل هناك بدع للترخص ، وهناك بدع قولية .

وجماع القول أن البدعة «ما لم يكن في عصر النبي ﷺ مما فعله ، أو أقر عليه ، أو علم من قواعد شريعته الإذن فيه ، وعدم النكير عليه» [٧] .

---

(١) لسان العرب ، لابن منظور ، (٨/ ٦) .
(٢) انظر: المرجع السابق ، القاموس المحيط ، (٣/ ٣-٤) .
(٣) الحوادث والبدع ، لأبي بكر الطرطوشي ، ص ١٠٨ ، تحقيق: عبدالمجيد تركي .
(٤) مجموع الفتاوى ، لابن تيمية ، (١٨/ ٣٤٦) .
(٥) الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع ، للسيوطي ، ص ٣٤ ، تحقيق: مصطفى عاشور .
(٦) الاعتصام ، للشاطبي (١/ ٣٦) ، دار المعرفة ، بيروت .
(٧) الباعث على إنكار البدع والحوارات ، للإمام أبي شامة الشافعي ، ص ٨٧ ، تحقيق: مشهور حسن سلمان ، كتاب السنن والمبتدعات ، لمحمد بن أحمد عبدالسلام الشقيري الحوامدي ، ص ١٠-١٣ .

والبدع تختلف بالنسبة لحكمها: فهناك البدعة المكفرة كدعاء غير الله والتوسل به ورجاء النفع والضر منه .

وهناك البدعة المحرمة كالبناء على القبور وإيقادها بالسرج ، واتخاذها مساجد ، إذ هذا وسيلة من سوائل الشرك المحرمة ، وغير ذلك من البدع إذ جميع البدع صغيرة أو كبيرة محرمة [(١)] لعموم قوله ﷺ في حديث العرباض ابن سارية – رضي الله عنه – «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن أمر عليكم عبد حبشي، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بستني وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة**» .

روى ابن الجوزي عن سفيان الثوري أنه قال: «البدعة أحب إلى إبليس من المعصية ، المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب» [(٢)] .

وفي ذم البدع يقول ﷺ في حديث عائشة – رضي الله عنها – «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**» [(٣)] .

وصاحب البدعة لا يخلو من حالين: إما أن يعتقد أن بدعته متممة لهذه الشريعة . وإما أن يعتقد أن ما جاء به أكمل . والثانية أشد بلاء من الأولى .

ويرد على الاعتقاد الأول بأن الله قد أكمل هذه الشريعة ، ولم يتوفَّ نبينا محمد ﷺ إلا وقد بين غاية البيان ووضح منتهى الوضوح جميع أحكام هذه الشريعة .

وإن كان يعتقد أن ما جاء به أكمل ؛ فقد جعل من نفسه مشرعاً وندا لخالقه – تبارك وتعالى – وكل من دعا إلى بدعة فهو شيطان ضال مضل . كما قال ابن مسعود – رضي الله عنه – : خط لنا رسول الله ﷺ خطاً وخط خطوطاً عن يمينه وشماله ثم قال: «هذا سبيل الله ، وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه» ثم قرأ: ﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا

---

(١) انظر: كتاب السنن والمبتدعات ، لمحمد بن أحمد الشقيري الحوامدي ، ص ١٠-١٣ .

(٢) تلبيس إبليس ، ص ٢٥ .

(٣) رواه البخاري (٢/ ٧٥٣) ، رقم ٢٠٣٤ ، عن ابن عمر رقم: ١٧١٨ (٣/ ١٣٤٣) .

صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ (١) ...» (٢)

قال ابن تيمية – رحمه الله – : «ومن تقرب إلي الله بما ليس من الحسنات المأمور بها أمر إيجاب ولا استحباب فهو ضال متبع للشيطان وسبيله من سبيل الشيطان» (٣) ا.هـ.

٣- الغلو في الدين: الغلو في اللغة: هو الزيادة ومجاوزة الحد (٤)، والغلو في الدين: أي التشدد فيه ومجاوزة الحد (٥).

وفي الحديث عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ غداة العقبة وهو على راحلته: «هات القط لي» فلقطت له حصيات هن حصب الخذف، فلما وضعتهن بيده قال بأمثال هؤلاء: «وإياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين» (٦).

وفي الحديث عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «هلك المتنطعون» (٧).

والغلو يؤدي إلى انحراف الفطرة عن التوحيد لله تعالى ومن أمثلته: الغلو في عبادة غير الله تعالى، واعتقاد الشريك معه في الألوهية والربوبية. والغلو في المخلوقين حتى يصل إلى درجة تقديسهم ووصفهم بصفات الألوهية والربوبية، والاعتقاد أن لهم تأثيراً

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

(٢) رواه أحمد في المسند رقم: ٤١٤٢ (١/ ٤٣٥)، والنسائي، رقم: ١١١٧٤ (٦/ ٣٤٣)، وابن حبان في صحيحه رقم: ٦(١/ ١٨٠)، والحاكم في المستدرك رقم: ٣٢٤١ (٢/ ٣٤٨)، والدارمي في السنن رقم: ٢٠٢ (١/ ٧٨)، (٨/ ٨٨) وصحح إسناده القرطبي في تفسيره (٧/ ١٣٧).

(٣) مجموع الفتاوى (١/ ١٦٢).

(٤) انظر: لسان العرب (١٥/ ١٣١-١٣٢).

(٥) المرجع السابق نفس الجزء، ص ١٣٢.

(٦) رواه النسائي في السنن، رقم: ٣٠٥٧ (٥/ ٢٦٨)، وابن ماجه، رقم: ٣٠٢٩ (٢/ ١٠٠٨)، وابن حبان في صحيحه رقم: ٣٨٧١ (٩/ ١٨٣)، والبيهقي في السنن الكبرى رقم: ٩٣١٧ (٥/ ١٢٧)، ، وأبو يعلى في مسنده رقم: ٢٤٢٧ (٤/ ٣١٦)، ط. الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، والحاكم في المستدرك رقم: ١٧١١ (١/ ٦٣٧)، وصححه ووافقه الذهبي.

(٧) رواه مسلم، رقم ٢٦٧٠، (٤/ ٢٠٥٥)، ورواه أبو داود، رقم ٤٦٠٨، (٤/ ٢٠١).

في الكون وأن لهم حق التحليل والتحريم، كما هو واقع بني إسرائيل[1] كما بينه –تبارك وتعالى – في قوله: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾[2]، وقوله: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ ﴾[3]، وكما هو واقع النصارى حين عبدوا المسيح – عليه السلام – ومدحوه وغلوا فيه حتى رفعوه فوق منزلته، من حيث هو عبدالله ورسوله إلى كونه رباً معبوداً من دون الله تعالى، بل لم يكتفوا بذلك بل غلوا أيضاً في أتباعه من الرهبان والأحبار وجعلوا لهم حق التحريم والتحليل من دون الله تعالى، كما بين الله تعالى ذلك في قوله تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[4].

وما وقع الشرك في هذه الأمة إلا بالغلو في الصالحين والأولياء كما جاء عن ابن عباس في الصحيح في قول الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ ﴾[5]. قال: «هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم، عبدت»[6].

وهذا ما وقع فيه غلاة الشيعة والصوفية.

ولهذا حذر الرسول ﷺ أمته من الغلو فيه فقال: **«لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى**

---

(١) انظر كتاب أسباب هلاك الأمم للشيخ عبدالله التليدي ص٥٨-٦٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٧١.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٧٧.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٣١.

(٥) سورة نوح، الآية: ٢٣.

(٦) رواه البخاري، رقم ٤٦٣٦، ٤/ ١٨٧٣.

بن مريم، فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله» [(١)] .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: «إن دين الله وسط بين الغالي فيه والجافي عنه والله تعالى ما أمر عباده بأمر إلا اعترض الشيطان فيه بأمرين لا يبالي بأيهما ظفر: إما إفراط فيه . . . وإما تفريط فيه ، وإذا كان الإسلام الذي هو دين الله لا يقبل من أحد سواه ، قد اعترض الشيطان كثيراً ممن ينتسب إليه . . . بل أخرج طوائف من أعبد هذه الأمة وأورعها عنه حتى مرقوا فيه كما يمرق السهم من الرمية» [(٢)] .

٤- التقليد: سواء في ذلك تقليد الآباء والأجداد أو تقليد المترفين ، وهو من الأسباب التي توصل بها الشيطان إلى الصد عن سبيل الله كما جاء في حديث سبرة بن أبي فاكه [(٣)] قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه ، فقعد له بطريق الإسلام فقال له: أتسلم وتذر دينك ودين آبائك وآباء أبيك قال: فعصاه فأسلم . . . .» [(٤)] الحديث .

وأما تقليد المترفين - الذين هم من أسباب الخزي والبلاء - فقد ذكره الله تعالى في آيات كثيرة من كتابه قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [(٥)] .

وقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [(٦)] .

---

(١) رواه البخاري ، رقم ٣٢٦١ ، عن عمر - رضي الله عنه ، ٣/ ١٢٧١ .

(٢) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٨١) .

(٣) سبره بن الفاكه ويقال ابن الفاكهة ويقال ابن أبي الفاكه المخزومي وقيل الأسدي صحابي نزل الكوفة روى هذا الحديث ، انظر: الإصابة (٣/ ٦٤) ، لابن حجر .

(٤) رواه أحمد في مسنده ، (٣/ ٤٨٣) ، والنسائي ، رقم ٣١٣٤ (٦/ ٢١) . وانظر: صحيح الجامع ، (٢/ ٧٢) .

(٥) سورة سبأ ، الآية: ٣٤ .

(٦) سورة الزخرف ، الآية: ٢٣ .

وهم سبب هلاك الأمم، قال تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَـٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾(١) .

٥- التشبه: وخصوصاً التشبه بأهل الكتاب من اليهود والنصارى، والتشبه هو أصل البلاء، ومنبع كل شر في هذه الأمة في الحديث الصحيح عن أبي سعيد – ﷺ – أن النبي ﷺ قال: «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه، قلنا يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: فمن ؟»(٢) .

وعن أبي واقد الليثي(٣) قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ ونحن حدثاء عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال الرسول ﷺ: الله أكبر، إنها السنن قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾(٤) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : «فإذا كانت المشابهة في أمور دنيوية، تورث المحبة والموالاة؛ فكيف بالمشابهة في أمور دينية؟ فإن إفضاءها إلى نوع من الموالاة أكثر وأشد والمحبة والموالاة لهم تنافي الإيمان»(٥) .

٦- المال: وهو من الأسباب التي تؤدي إلى انحراف الفطرة وانتكاسها، إذ هو من أسباب طغيان العبد وإعراضه عن الحق، بالإضافة إلى أنه سبب لانشغال العبد به عن آخرته حتى يصير عبداً له، ما لم يسخره في طاعة الله تعالى.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١٦ .

(٢) رواه البخاري، رقم: ٣٢٦٩ (٣/ ١٢٧٤) .

(٣) أبي واقد الليثي: قيل اسمه الحارث بن مالك وقيل عوف بن الحارث بن أسد بن جابر بن عويرة بن عبد مناة بن أشجع بن عامر الليثي روى عن النبي ﷺ وعن أبي بكر وعمر، توفي سنة ٦٨هـ. تهذيب التهذيب (١٢/ ٢٩٥)، الكاشف للذهبي (٢/ ٤٧٠)، سير أعلام النبلاء للذهبي (٢/ ٥٧٥-٥٧٦) .

(٤) رواه أحمد في المسند، (٥/ ١٢٨)، وابن حبان في صحيحه، رقم ٦٧٠٢، ١٥/ ٩٤ بنحوه .

(٥) اقتضاء الصراط المستقيم، لابن تيمية، ص ٢٢٢، تحقيق: محمد حامد الفقي .

والقرآن الكريم يصور لنا قصة قارون؛ وكيف أن المال كان سبب هلاكه. قال تعالى: ﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾[1]، الآيات إلى قوله: ﴿ فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ ﴾[2].

وفي الحديث في قصة قدوم أبي عبيدة من البحرين وفيه «... فأبشروا وأملوا ما يسركم، فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم»[3].

ولذلك قال تعالى: ﴿ ۞وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴿٢٧﴾ ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ﴿٧﴾ ﴾[5].

وقد كان المال والحرص عليه طريقاً من طرق إبليس لإضلال البشر والانحراف بهم عن الفطرة السوية، قال تعالى: ﴿ يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ ﴾[6]، فهو يعد الإنسان ويشغله بالأماني الباطلة بأنه «سيطول عمرك، وتنال من الدنيا لذتك، وستعلو على أقرانك... ويطول أمله، ويعده بالحسنى على شركه ومعاصيه...»[7].

وكما يكون المال فتنة فهو أيضاً المال نعمة تستحق الشكر ويغبط عليها من أعطيها، كما في الحديث عن سالم عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «لا حسد إلا في اثنتين:

---

(١) سورة القصص، الآية: ٧٦.

(٢) سورة القصص، الآية: ٨١.

(٣) رواه البخاري، رقم ٢٩٨٨، ٣/ ١١٥٢، ومسلم، رقم ٢٩٦١، ٤/ ٢٢٧٣.

(٤) سورة الشورى، الآية: ٢٧.

(٥) سورة العلق، الآيتان: ٦-٧.

(٦) سورة النساء، الآية: ١٢٠.

(٧) ذم الموسوسين، لابن القيم، ص ١٣.

رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار»[١].

٧- **الحسد**: وهو: «تمني زوال النعمة عن المحسود، وإن لم يصر للحاسد مثلها»[٢].

وهو من أسباب انتكاس الفطرة، وحلق الدين كما بين المصطفى – عليه الصلاة والسلام – ذلك بقوله في الحديث عن الزبير بن العوام – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: «دَبَّ إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد والبغضاء، هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين»[٣].

والحسد هو الذي منع إبليس عن السجود لآدم عندما أمره الله جل وعلا: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٣٢ قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ۝٣٣﴾[٤]، فأخرج من الجنة، وصار مرجوماً: ﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ۝٣٤ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٣٥﴾[٥].

والحسد صفة مذمومة من صفات اليهود؛ حيث وصفهم الله تعالى بها في مواضع من كتابه العزيز، ومنها قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝١٠٩﴾[٦]، وقوله: ﴿أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾[٧].

---

(١) رواه البخاري، رقم ٧٠٨٩، (٦/ ٢٧٣٧)، ومسلم، رقم: ٨١٥(١/ ٥٥٨).

(٢) مجموع الفتاوى، (١٠/ ١١١).

(٣) رواه الترمذي برقم: ٢٥١٠ (٤/ ٦٦٤)، وقال الترمذي: هذا حديث قد اختلفوا في روايته عن يحيى بن أبي كثير...» ورواه المقدسي في الأحاديث المختارة، رقم ٨٨٩، عن الزبير بن العوام، وقال إسناده منقطع، ورواه البيهقي في السنن الكبرى بعدة طرق (١٠/ ٢٣٢)، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي.

(٤) سورة الحجر، الآيتان: ٣٢-٣٣.

(٥) سورة الحجر، الآيتان: ٣٤-٣٥.

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٠٩.

(٧) سورة النساء، الآية: ٥٤.

والمراد من الحسد: الحسد المذموم كما سبق تعريفه، وأما الغبطة فليس منها، وهي عدم تمنى زوال النعمة عن المحسود، بل يود أن ينال مثل ما نال، وإنما سميت حسداً من باب الاستعارة [(١)] .

قال ابن القيم – رحمه الله – : «أصول الخطايا كلها ثلاثة: الكبر: وهو الذي أصار إبليس إلى ما أصاره، والحرص: وهو الذي أخرج آدم من الجنة، والحسد: وهو الذي جرَّأ أحد ابني آدم على أخيه. فمن وقي شر هذه الثلاثة فقد وقي الشر. فالكفر من الكبر، والمعاصي من الحرص، والبغي والظلم من الحسد» [(٢)] .

٨– **الجهل**:إذ بالجهل تندثر الشرائع وتعلو البدع، وتنطمس معالم العقيدة، ويسلط الشيطان حزبه لمحو الحق تحت شعار الخير والدعوة، وحال قوم نوح شاهد على ذلك كما في حديث ابن عباس السابق وفيه: « . . . فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا ولم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عبدت» .

والشاهد في قوله: «حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عبدت» . ففيه تصريح أنها لم تعبد حتى نسي العلم .

٩– **الهوى والشهوات المحرمة**: إذ هي سبيل الصد عن الله وقطع الطريق إليه وبها حفت النار والشهوات جمع شهوة «من شَهاهُ يُشْاهُ شهوَةً واشتهاه وتَشَهّاهُ: أحبه ورغب فيه» [(٣)] ، « الشهوة نزوع النفس إلى ما تريده» [(٤)] .

والنفس البشرية جبلت على حب الشهوات والتعلق بها، قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ

---

(١) جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ٢/ ٢٩٢، تحقيق: شعيب الأرناوؤط .
(٢) الفوائد، ص ١٠٥ .
(٣) لسان العرب لابن منظور (١٤/ ٤٤٥) .
(٤) بصائر ذوي التمييز، للفيروزآبادي (٣/ ٣٥٨) .

وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾[1] .

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤ .

«الباب الأول»

مكايد الشيطان وأساليبه في إفساد الاعتقاد

وفيه:

الفصل الأول: مكايد الشيطان في إفساد الاعتقاد.

الفصل الثاني: أساليب الشيطان في إفساد الاعتقاد.

الفصل الأول

مكايد الشيطان في إفساد الاعتقاد

قبل البدء في معرفة مكايد الشيطان وأساليبه في إفساد الاعتقاد يجدر بنا التعريف بهذا المخلوق، وإن كان من الشهرة والمعرفة في الشر بحيث لا يحتاج إلى معرفٍ ولا يمكن حصر أجناس شره فضلاً عن آحادها إذ كل شر في العالم فهو السبب فيه (١).

والشيطان من «ش ط ن الشطن بفتحتين: الحبل، وقال الخليل: هو الحبل الطويل والجمع أشطان والشيطان معروف وكل عاتٍ من الإنس والجن والدواب شيطان... والعرب تسمي الحية شيطاناً...» (٢).

والشيطان نونه أصلية، فيصير على وزن (فيعال)، وقيل أنها زائدة من شاط يشيط على وزن فعلان فيمنع من الصرف (٣).

وسمي بهذا الاسم لتمرده وعتوه وبعده عن الخير.

ويطلق عليه إِبْلِيسُ لأنه يئس من رحمة الله... وَالْبَلَسُ في لغة العرب اليأس (٤).

والرجيم والرجم هو اللعن والطرد، وسمي رجيماً لأنه لعن وطرد من رحمة الله ولأنه يطرد برجم الكواكب (٥).

ودعاه الله في القرآن الكريم بسبعين اسماً قبيحاً منها (الشيطان، والواسواس الخناس، العدو، الفاتن، المضل، الكياد، الخادع، الكاذب، الكفار، الختار، الهامز، المستكبر، اللعين، المارد، الخاطف، المرجوم، الخذول، السفيه الظالم، العفريت،

---

(١) تفسير المعوذتين، لابن قيم الجوزية، ص ١١١-١١٢، تحقيق: مصطفى بن العدوي.

(٢) الصحاح، لإسماعيل الجوهري، (٥/ ٢١٤٤)، والقاموس المحيط، ص ١٥٦٠-١٥٦١.

(٣) انظر: الصحاح (٥/ ٢١٤٥)، والمفردات في غريب القرآن، للأصفهاني، ص ٢٦١، تحقيق: محمد كيلاني.

(٤) انظر: الصحاح للجوهري، ٣/ ٩٠٩، بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي، (٦/ -١٠٣).

(٥) انظر: تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة، (ص ٥٠٨)، شرح أحمد صقر.

الفاسق، المُسَوِّل، المملي، المحتنك، المستفزز، جالب الشر، الخبيث.... إلخ [(١)].

ويطلق عليه الطاغوت [(٢)] كما في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ ﴾ [(٣)].

وقد ورد لفظ إبليس في القرآن مفرداً في أحد عشر موضعاً، وأما لفظ الشيطان فقد ورد في ثمانية عشر موضعاً عدا الجن والجنة التي يراد بها الشياطين [(٤)].

علاقة الشياطين بالجن: وكان الشيطان مع الملائكة يتعبد الله عز وجل ولم يكن منهم على الصحيح [(٥)]، وهو من عالم الجن، وهو أصل الجن والشياطين [(٦)].

فلما أمره تعالى بالسجود لآدم أبى واستكبر وأعرض عن أمر ربه فلعنه الله وأبلسه وجعله مرجوماً إلى يوم الدين، قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [(٧)].

والشيطان موجود وله ذرية يتكاثرون كما قال تعالى: ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز، للفيروزآبادي، (٦/ ١٠٤-١٠٨).

(٢) كما رواه البخاري معلقا في كتاب التفسير في مقدمة باب: وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط (٤/ ١٦٧٣).

(٣) سورة النساء، الآية: ٧٦.

(٤) الموسوعة العربية، (١٤/ ٢٩٨)،.

(٥) اختلف العلماء في كون إبليس من الملائكة أم من الجن على قولين؟ قال ابن تيمية – رحمه الله – «والتحقيق أنه كان منهم باعتبار صورته، وليس منهم باعتبار أصله ولا باعتبار مثاله ولم يخرج عن السجود لآدم أحد من الملائكة لا جبريل ولا ميكائيل» مجموع الفتاوى، ٤/ ٣٤٦، والمحلى لابن حزم الظاهري، ٤/ ٢٨، ففيه أدلة قوية في الرد على من قال أنه من الملائكة، وانظر: مقالات الإسلاميين، للأشعري، (ص ٤٤١)، وعالم الجن والشياطين، د. عمر الأشقر، ص ١٧.

(٦) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية، (٤/ ٢٣٥)، وفتح الباري لابن حجر، ٦/ ٤٢٤.

(٧) سورة البقرة، الآية: ٣٤.

أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ [١] .

وليس كما يزعم البعض أن المراد به الجراثيم ، أو الأفكار والوساوس ، أو أنه خرافة كما يزعم الماديين – كما سيأتي – [٢] وكما صورته وسائل الإعلام منذ زمن ، بل موضوع الشيطان قضية واقعية ، وهو سبب الصراع على مستوى الجماعات بل مستوى الأمة الإسلامية ، وهو سبب الصراع بين الحق والباطل منذ نشأة البشرية [٣] .

صفة الشياطين: للشياطين صفات يمكن استقصاؤها من الكتاب والسنة ومن أبرزها:

١- أنهم مخلوقون من نار ، كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [٤] .

٢-إنهم يتشكلون في صورة الإنس والحيات والبهائم [٥] وتمكن رؤيتهم ، كما دلت على ذلك النصوص الصحيحة ومنها:

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ [٦] .

وفي الحديث عن ابن عباس – رضي الله عنه – قال: «جاء إبليس يوم بدر في جند من الشيطان معه رايته في صورة رجل من بني مدلج في صورة سراقة بن مالك بن

---

(١) سورة الكهف ، الآية: ٥٠ .

(٢) انظر ص ١٤٢-١٤٥ .

(٣) انظر: مفتاح دار السعادة ، لابن القيم ، ١/ ٢٠٦ . والمواجهة ، لحسن أحمد قطاش ٦-٧ ، وعالم الجن في ضوء الكتاب والسنة ، لفواز عبيد الله ، ص ١٨ وما بعدها .

(٤) سورة الأعراف ، الآية: ١٢ .

(٥) أنكرت المعتزلة ذلك وقالوا: إن الله تعالى لم يجعل إليهم أن ينقلبوا متى شاؤوا والأدلة التالية ترد مزاعمهم ، انظر: مقالات الإسلاميين ، لأبي الحسن الأشعري ، ص ٤٤١ .

(٦) سورة الأنفال ، الآية: ٤٨ .

جعشم[١] فقال الشيطان للمشركين: (لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم)، فلما اصطف الناس أخذ رسول الله ﷺ قبضة من التراب، فرمى بها في وجوه المشركين، فولوا مدبرين، وأقبل جبريل إلى إبليس، فلما رآه - وكانت يده في يد رجل من المشركين - انتزع إبليس يده، فولى مدبراً هو وشيعته فقال الرجل: يا سراقة: تزعم أنك جار لنا؟ قال: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٤٨﴾، وذلك حين رأي الملائكة»[٢].

ومن الأدلة حديث العفريت الذي تفلت على النبي ﷺ وهو في الصلاة وأتى بشهاب من نار ليحرق به وجه النبي ﷺ فسمعه الصحابة وهو يقول في الصلاة «ألعنك بلعنة الله ثلاثاً»[٣]، فهذا دليل على رؤية النبي ﷺ له.

ومن الأدلة أيضاً ما رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: «وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت، فجعل يحثو من الطعام، فأخذته وقلت: والله لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال: إني محتاج وعلى عيال ولي حاجة شديدة، قال: فخليت عنه، فأصبحت فقال النبي ﷺ: (يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة)، قال: قلت: يا رسول الله، شكا حاجة شديدة وعيالاً، فرحمته فخليت سبيله، قال: (أما إنه قد كذبك، وسيعود)، فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله ﷺ: (إنه سيعود)، فرصدته، فجاء يحثو من الطعام، فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال: دعني فإني محتاج وعلى عيال، لا أعود، فرحمته فخليت سبيله، فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ: (يا أبا هريرة ما فعل أسيرك)، قلت: يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالاً، فرحمته فخليت سبيله، قال: (أما إنه كذبك وسيعود) فرصدته الثالثة، فجاء يحثو

---

(١) سراقة بن مالك بن جعشم بن عمرو بن تيم بن مدلج.. روى البخاري قصته في إدراكه النبي ﷺ لما هاجر إلى المدينة ودعا النبي ﷺ عليه حتى ساخت رجلا فرسه ثم طلب الخلاص وأن لا يدل عليه ففعل وكتب له أماناً وأسلم يوم الفتح... له في كتب الحديث ١٩ حديثاً، وكان في الجاهلية قائفاً.
انظر: الإصابة، لابن حجر ٣/ ٦٩-٧٠، الإعلام، للزركلي، (٣/ ٨٠).

(٢) رواه ابن جرير في تفسيره (٦/ ١٨)، وذكره البيهقي، دلائل النبوة (٣/ ١١٠-١١١).

(٣) انظر: سيأتي نص الحديث.

من الطعام، فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله، وهذا آخر ثلاث مرات تزعم لا تعود، ثم تعود. قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها، قلت ما هو؟ قال: إذا أويت إلى فراشك، فاقرأ آية الكرسي: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾(١) حتى تختم الآية، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح، فخليت سبيله، فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ: (ما فعل أسيرك البارحة)، قلت: يا رسول الله زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله، قال: (ما هي) قلت: قال لي إذا أويت إلى فراشك، فأقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾، وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح – وكانوا أحرص شيء على الخير – فقال النبي ﷺ: (أما إنه قد صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة)، قال: لا، قال: (ذاك شيطان)(٢).

قال شيخ الإسلام – رحمه الله –: «والجن يتصورون في صور الإنس والبهائم، فيتصورون في صور الحيات والعقارب وغيرها، وفي صورة الإبل والبقر والغنم والخيل والبغال والحمير، وفي صور الطير وفي صور بني آدم...» (٣).

٣- إنهم يتناكحون ويتناسلون ولهم ذرية، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ ﴾(٥).

٤- إنهم يأكلون ويشربون، كما دلت على ذلك الأدلة الصحيحة ومنها ما ثبت في صحيح مسلم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه، وإذا**

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.
(٢) رواه البخاري، رقم ٢١٨٧، (٢/ ٨١٢-٨١٣).
(٣) مجموع الفتاوى، (١٩/ ٤٥)، وانظر: عالم الجن، لفواز عبيد، ص ١٩ وما بعدها.
(٤) سورة الكهف، الآية: ٥٠.
(٥) سورة الرحمن، الآية: ٥٦.

شرب فليشرب بيمينه، فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله» (١) .

٥- إنهم يتلبسون بالإنسي ويصرعونه كما دل على ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾ (٢) .

وقد أنكر أقوام تلبس الجن بالإنسي وسيأتي الرد على هؤلاء وبيان الصواب والصحيح - إن شاء الله - (٣) .

وعقيدة أهل السنة والجماعة على الإيمان بوجود الشياطين والجن قال الإمام إسماعيل الصابوني (٤) - رحمه الله - في بيان معتقد أهل السنة والجماعة في الشياطين ويتيقنون أن الله سبحانه خلق الشياطين يوسوسون للآدميين ويعتدون استزلالهم ويترصدون لهم، قال الله عز وجل: ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾(٥) .

وأن الله يسلطهم على من يشاء، ويعصم من كيدهم ومكرهم من يشاء»(٦) ا.هـ.

---

(١) رواه مسلم، رقم:٢٠٢٠ (٣/ ١٥٩٨).

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٧٥ .

(٣) فتح الباري، لابن حجر (٦/ ٣٤٤)، والموسوعة الميسرة، (١٤/ ٢٩٨)، وعالم الجن، ص ١٨ وما بعدها.

(٤) إسماعيل بن عبدالرحمن بن أحمد أبو عثمان الصابوني: مقدم أهل الحديث في بلاد خراسان لقبه أهل السنة فيها بشيخ الإسلام . . . ولد ومات في نيسابور ، كان فصيح اللهجة واسع العلم عارفاً بالحديث والتفسير يجيد الفارسية . . . له كتاب «عقيدة السلف» . الإعلام للزركلي، (١/ ٣١٧).

(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٢١ .

(٦) عقيدة السلف وأصحاب الحديث للإمام الصابوني، (١/ ١٣٠)، مطبوعة ضمن الرسائل المنيرية .
ولا عبرة بمن أنكر هذه المخلوقات من الفلاسفة والزنادقة والقدرية وبعض المعاصرين من أمثال، د. صادق العظم حيث يذكر في تعليقه على ندوة الجامعة الأمريكية عن الفكر الإسلامي المعاصر تساؤله «هل يفترض في المسلم، في النصف الثاني من القرن العشرين أن يعتقد بوجود كائنات مثل الجن والملائكة وإبليس وجوداً حقيقياً غير مرئي؟ أم إنه يحق له أن يعتبرها كائنات أسطورية . . . مثلها مثل آلهة اليونان، وعروس البحر، والغول، والعنقاء . . . إلخ» .
ومن أمثال، د. محمد البهي في تفسيره سورة الجن من أن المراد بالجن الملائكة . =

وإن إبليس حي بنص القرآن، وسينظره الله تعالى إلى يوم القيامة، وله عرش على البحر جالس عليه ويبعث سراياه للإفساد والفتنة(١) وسيأتي بيان لمكايده وأساليبه في الفصول القادمة -إن شاء الله-.



= انظر: تفسير سورة الجن، ص ٨، وانظر: تفسير جزء عم، لمحمد عبده، حيث يزعم أنه قوة نازعة للشر.

أن الجن هي الجراثيم والميكروبات التي كشف عنها العلم الحديث. وللرد على هؤلاء إن لم ينقادوا لأدلة النقل المتواترة والمعلومة من الدين بالضرورة، بل قد تواتر عند عامة أهل الكتاب والمشركين وغيرهم من أهل الديانات بوجود الجن.

فنقول لهم انكروا إذن أرواحكم التي بين جنوبكم فهاهي تخرج وتصعد وتنزل وأنتم لا ترونها وإذاخرجت من البدن أصبح جثة هامدة وعُدَّ في زمرة الموتى.

وقد ثبت علمياً قدرة بعض المخلوقات على رؤية ما لا يستطيع الإنسان رؤيته كالنحل والبومة، تتمكن من رؤية الأشعة فوق البنفسجية، وغاية ما لدى هؤلاء المفكرين في عدم الإثبات هو عدم العلم، وعدم العلم لا ينفي الوجود، قال تعالى: ﴿ بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ ﴾ يونس، الآية: ٣٩. انظر: مجموع الفتاوى (١٩/ ٢٠)، فتح الباري (٦/ ٤٢٣)، وعالم الجن، لفواز عبيد، ص ١٣، وعالم الجن والشياطين، د. عمر الأشقر ص١٣، رد على مفتريات على الإسلام ص٣٠٣.

(١) انظر: البداية والنهاية، لابن كثير، (١/ ٥٣)، دار الكتب العلمية.

المبحث الأول

تعرضه لأنبياء الله من خلال نصوص الوحيين

لم يكتف إبليس لعنه الله بإضلال عامة البشر، بل اتجه إلى خيار الخلق وصفوتهم، وذلك حرصاً منه على إفسادهم وإضلالهم وصدهم عن دعوتهم، مع ثبوت العصمة لهم فيما يبلغون عن الله فلا سبيل للشيطان إلى ذلك بالإجماع كما سيأتي.

وتجسدت أبرز صور العداء لأبينا آدم عليه السلام وزوجه حواء ثم واصل محاولاته على سائر الأنبياء من ذريته، ويمكن أن نحدد صور تعرضه لأنبياء الله فيما يلي(*):

أولاً: تعرضه لأنبياء الله فيما يتعلق بالتبليغ: من المعلوم أن الشيطان لا طريق له فيما يختص بالرسالة والتبليغ، فلا يمكن أن يجري الكفر على لسانه أو قلبه، ولا يمكن أن يبلغ غير ما أراد الله لا عمداً ولا خطأ: لأنه معصوم بعصمة الله له باتفاق جميع الملل(٢).

عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن، قالوا: وإياك يا رسول الله، قال: وإياي إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير»**(٣).

قال القاضي أبو الفضل(٤): فإذا كان هذا حكم شيطانه وقرينه المسلط على بني

(*) مما يجدر التنبيه له أن هناك كتب كثيرة تناولت مكايد الشيطان للأنبياء ومنها: مكايد الشيطان لابن أبي الدنيا، وكتاب مكايد الشيطان لطه عفيفي، وآكام المرجان للشبلي، وغيرها من الكتب التي اعتمدت على النقل من هذه المراجع، وبعض كتب التفاسير مثل جامع البيان وغيره، وقد احتوت هذه الكتب على آثار وأحاديث أكثرها من الإسرائيليات التي لم تثبت، وللأسف سار على نهجهم عدد من المتأخرين دون تمحيص أو تدقيق مع أن بعضها احتوى بما لا يليق بمقام النبوة، فليتنبه لذلك.

(٢) الشفا للقاضي عياض (٢/ ٧٣٧)، الجواب الصحيح لابن تيمية (١/ ١٧٩).

(٣) رواه مسلم، رقم ٢٨١٤، (٤/ ٢١٦٧).

(٤) القاضي عياض بن موسى اليحصبي أبو الفضل، عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته... ولي قضاء سبتة... توفي بمراكش مسموماً عام ٥٤٤هـ، من تصانيفه: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٠/ ٢١٢-٢١٨). انظر: الأعلام، للزركلي (٥/ ٩٩).

آدم، فكيف بمن بعد منه ولم يلزم صحبته ولا أُقدر على الدنو منه؟! وقد جاءت الآثار بتصدي الشياطين له في غير موطن؛ رغبة في إطفاء نوره وإماتة نفسه، وإدخال شغل عليه؛ إذ يئسوا من إغوائه فانقلبوا خاسرين... أ. هـ [(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: «وإنما تنازعوا: هل يجوز أن يقع من الغلط ما يستدركه ويبينه، فلا ينافي مقصود الرسالة كما نقل من ذكر، تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى» قال: «هذا فيه قولان للناس: منهم من منع ذلك أيضاً، وطعن في وقوع ذلك – سيأتي تحقيق القول في مسألة الغرانيق –».

ثم قال في موضع آخر: «والذي عليه جمهور أهل الحديث والفقه أنه يجوز عليهم الخطأ في الاجتهاد، لكن لا يقرُّون عليه...» [(٢)].

وقال ﷺ حين لدَّ [(٣)] في مرضه وقيل له: كنا نتهيم بك ذات الجنب يا رسول الله، قال: إن كان ذلك لداء ما كان الله ليقذفني به لا يبقين أحد في البيت إلا لدّ إلا عم رسول الله ﷺ يعني العباس» [(٤)].

ولكن مكايده لأنبياء الله فيما يتعلق بالتبليغ تختص في محاولته لصد الناس عن هديه أو إيهامهم بحصول شيء لم يحصل من ذلك الرسول، قال تعالى: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴾[(٥)].

وقد اختلف في المراد بالفتنة في الآية. فقيل: إن المشركين دعوا الرسول ﷺ للإمام

---

(١) الشفا، للقاضي عياض، (٢/ ٧٣٧).
(٢) فتح المنان في جمع كلام شيخ الإسلام ابن تيمية عن الجان، ٢/ ٥٥٠، لمشهور بن حسن آل سلمان.
(٣) «من لدَّ الرجل إذا صب الدواء في أحد شقي الفم من ذات الجنب»، عون المعبود، لمحمد شمس الحق أبو الطيب، (١٠/ ٢٥٨)، وانظر: فتح الباري، (١٠/ ٢٠٥).
(٤) رواه ابن حبان في صحيحه، رقم ٦٥٨٧ (١٤/ ٥٥٢)، وأصله في الصحيحن وفي السنن ومسند الإمام أحمد وغيرهم، وكان امتناع النبي ﷺ عن اللدود من ذات الجنب لأنها من الشيطان وما كان الله ليسلطه عليه كما جاء في بعض روايات الحديث.
(٥) سورة الإسراء، الآية: ٧٣.

بالآلهة فكاد أن يستجيب لهم .

وقيل: أن رسول الله ﷺ هم أن يُنْظِر قوماً بإسلامهم إلى مدة سألوه الإنظار إليها[١] .

وقد قيل: أن سبب نزول هذه الآية قصة الغرانيق كما سيأتي[٢] – إن شاء الله – وهذا غير صحيح لأن هاتين الآيتين رد على ما تناقلته كتب السير في هذه القصة، ومفهوم الآية أن الله عصم رسوله ﷺ من الاغترار والركون[٣] ، قال ابن عباس – ﷺ: (كل ما في القرآن «كاد» ما لا يكون)[٤] .

قال ابن جرير – رحمه الله – : «والاختلاف فيه موجود على ما ذكرنا فلا شيء أصوب من الإيمان بظاهرة حتى يأتي خبر يجب التسليم له ببيان ما عني بذلك منه»[٥] .

ومن مكايد الشيطان لأنبياء الله: ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ ﴾[٦] .

والمراد بالتمني الوارد في الآية هو التلاوة وإلقاء الشيطان فيها الخواطر الدنيوية حتى يدخل عليه الوهم والنسيان، أو يدخل الشيطان فيها الشبهة ليجادلوه أهل الباطل، وهذه ليست حادثة بعينها وإنما هي قاعدة عامة يسير عليها جميع الرسل[٧] .

وقد اتخذ الزنادقة وممن سار على هديهم من المستشرقين من هذه الآية مدخلاً

---

(١) انظر: جامع البيان، لابن جرير الطبري، (٩/ ١٣٠) .

(٢) انظر ص ٥١ وما بعدها .

(٣) انظر الشفا للقاضي عياض (٢/ ٧٥٧) .

(٤) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة .

(٥) جامع البيان (٩/ ١٣٠) .

(٦) سورة الحج، الآية: ٥٢ .

(٧) انظر: الشفا في التعريف بحقوق المصطفى، (٢/ ٧٤١-٧٤٢)، وفتح الباري، لابن حجر، (٨/ ٥٦٠-٥٦١)، الشيطان في ظلال القرآن، ص ١٢٤ .

للطعن في رسالة محمد ﷺ والزعم بأنه مال إلى المشركين في شركهم، واتخذوا من بعض كتب التفسير مطية لإثبات صحة دعواهم حيث - وللأسف - نقلت هذه الكتب روايات في تفسير هذه الآية في مجملها تؤدي إلى أن رسول الله ﷺ جلس في ناد من أندية قريش كثير أهله، فتمنى يومئذ أن لا يأتيه من الله شيء، فينفروا عنه، فأنزل الله عليه: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ ﴾[1] ألقى عليه الشيطان كلمتين: تلك الغرانقة العلى، وإن شفاعتهن لترتجى، فتكلم بها ثم مضى فقرأ السورة كلها فسجد في آخر السورة، وسجد القوم جميعاً معه، ورفع الوليد بن المغيرة تراباً إلى جبهته فسجد عليه، وكان شيخاً كبيراً لا يقدر على السجود، فرضوا بما تكلم به وقالوا: قد عرفنا أن الله يحي ويميت وهو الذي يخلق ويرزق، ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده، إذ جعلت لها نصيباً، فنحن معك، قالا: فلما أمسى أتاه جبرائيل - عليه السلام - فعرض عليه السورة فلما بلغ الكلمتين اللتين ألقى الشيطان عليه: قال: ما جئتك بهاتين، فقال رسول الله ﷺ افتريت على الله، وقلت على الله ما لم يقل فأوحي الله إليه: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾[2] فمازال مغموماً مهموماً حتى نزلت عليه: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ ﴾[3] الآية . . . إلخ[4] . وقد اختلف موقف العلماء من هذه القصة فمنهم من قال بثبوتها ومنهم من أنكرها .

وممن قال بثبوتها: الحافظ ابن حجر وعلل ذلك بكثرة طرقها أولاً، ولأنها رويت من ثلاث طرق مرسلة أسانيدها على شرط الصحيح، وقال بعدم جواز حمله على ظاهرة لاستحالة ذلك في حق الرسول ﷺ، وقالوا في تأويلها .

- أن هذا القول جرى على لسانه ﷺ حين أصابته سنة من النوم ورد بأنه لا ولاية

---

(١) سورة النجم، الآيتان: ١٩-٢٠ .

(٢) سورة الإسراء، الآيات: ٧٣-٧٥ .

(٣) سورة الحج، الآية: ٥٢ .

(٤) جامع البيان، لابن جرير الطبري (١٠/ ١٨٦-١٨٧) .

للشيطان عليه ﷺ لا في اليقظة ولا في المنام.

- وقيل أن النبي ﷺ حفظ هذه العبارة من أقوال المشركين لكثرة ترديدهم لها فجرت على لسانه بدون قصد!! وهذا بعيد.
- وقيل أن النبي ﷺ أراد بها توبيخ الكفار.
- وقيل إن ذلك خلط من المشركين عندما وصل النبي إلى تلاوة قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ ﴾.
- وقيل إن الشيطان استغل سكتاته – عليه الصلاة والسلام – فقال هذه الكلمة مقلداً بها صوت النبي ﷺ فظن من حضر أن النبي ﷺ قالها. وهذا القول الذي اختاره ورجحه ابن حجر – رحمه الله – وسيأتي بيان بطلانه.
- وقيل أن المراد (بالغرانيق العلى) الملائكة.

وذهب جمهور المحققين من أهل العلم قديماً وحديثاً إلى القول ببطلان هذه الروايات وعدم ثبوتها، ومن أولئك: القاضي أبو بكر بن العربي [(١)]، والقاضي عياض [(٢)]، وابن حزم الظاهري [(٣)] وأبو عبدالله القرطبي [(٤)]، ومحمد بن علي الشوكاني [(٥)]، ومحمد الألوسي [(٦)]، والعلامة ناصر الدين الألباني[(٧)]. والشيخ د. محمد محمد أبو شهبة[(٨)].

وقد احتجوا على قولهم بعدة حجج وردوا على من قال بثبوتها.

ويمكن إجمال ردودهم فيما يلي:

---

(١) انظر: أحكام القرآن، لابن العربي (٣/ ٣٠٣-٣٠٧).
(٢) انظر: الشفا في التعريف بحقوق المصطفى (٢/ ٧٥٠).
(٣) انظر: الفصل في الملل والنحل، لابن حزم الظاهري، (٤/ ١٨).
(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (١٢/ ٨٠-٨٤).
(٥) انظر: فتح القدير، للشوكاني، (٣/ ٢٤٧-٢٤٨).
(٦) انظر: روح المعاني، للألوسي، (١٧/ ١٦٠-١٦٩).
(٧) انظر: نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق، لناصر الدين الألباني، ص ٢٥ وما بعدها.
(٨) انظر: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص ٣١٤- ٣٢٣.

أولاً: إبطال الرواية سنداً ومتناً فأما من حيث السند: قال ابن كثير: «ولكنها من طرق كلها مرسلة، ولم أرها مسندة من وجه صحيح»[١] أ. هـ.

وقال ابن حزم الظاهري: «وأما الحديث الذي فيه: (وإنهن الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجي) فكذب بحت، موضوع لأنه لم يصح قط من طريق النقل ولا معنى للاشتغال به» [٢] أ. هـ.

وقال العلامة ناصر الدين الألباني – رحمه الله – بعد جمع روايات القصة: «وتلك هي روايات القصة، وهي كلها كما رأيت معلة بالإرسال والضعف والجهالة، فليس فيها ما يصلح للاحتجاج به لا سيما مثل هذا الأمر الخطير» أ. هـ [٣].

وأما إبطالها متناً فمن عدة وجوه:

الأول: أن فيها من الطعن والكيد لمقام النبوة مما لا يشك عاقل في رده وبطلانه، فهي شرك صريح وكفر واضح يتعالى عن ذلك مقام نبوة محمد ﷺ وهو الذي أفنى عمره في الدعوة إلى التوحيد ومحاربة المشركين[٤].

فالتصديق بها يؤدي إلى التشكيك في صدق تبليغ محمد ﷺ رسالته[٥].

الوجه الثاني: أن فيها مصادمة لنص القرآن المتواتر، ومن ذلك أنها تفيد تسلط الشيطان على النبي ﷺ بالزيادة في القرآن ما ليس منه وهذا مخالف لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَـٰنٌ ﴾[٦] فإذا كان له سلطان على أكرم الخلق وأصدقهم عبودية فمن الذي له العصمة بعدئذ؟!!

الوجه الثالث: ما جاء في بعض رواياتها من تمني الرسول ﷺ أن ينزل عليه قرآن

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٤/ ٦٥٥).
(٢) الفصل في الملل والنحل، لابن حزم، (٤/١٨).
(٣) نصب المجانيق لنسف الغرانيق، للعلامة ناصر الدين الألباني، ص ٣٣.
(٤) أي ابن خزيمة – رحمه الله – وستأتي ترجمته (إن شاء الله).
(٥) انظر: الإسلام في مواجهة أعدائه، لتوفيق على وهبة ص١٠٨.
(٦) سورة الإسراء، الآية: ٦٥.

يمدح آلهة المشركين أو أنه اشتبه عليه القرآن بغيره مع قيام الإجماع على عصمته من هذا عمداً وسهواً ، ولو جاز ذلك لانتفت العصمة عن الأنبياء واتخذ الزنادقة من ذلك وسيلة للتبديل والتحريف .

الوجه الرابع: أنه على فرض ثبوتها فإن ذلك يلزم منه تناقض السياق القرآني حيث فيه ذم آلهة المشركين ، وتنقصها . ثم يأتي السياق بمدحها والإشارة بها ، وهذا محال .

الوجه الخامس: أن مما يرد هذه القصة ما ثبت من واقع الدعوة حيث عرض المشركون على النبي ﷺ أن يعبد آلهتهم ويعبدون إلهه ، فأنزل الله عز وجل: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝ ﴾[1] .

وغير ذلك من المواقف التي تبين ثبات النبي ﷺ أمام مساومات قريش وعنادهم .

الوجه السادس: ورد في هذه القصة من حيرة النبي ﷺ وبقائه أياماً لا يدري أن هذه الكلمة من إلقاء الشيطان حتى بين ذلك له جبريل فإذا كان - عليه الصلاة والسلام - لا يعلم معنى هذه الكلمة فماذا يعلم إذن من غايات دعوته ومنهج رسالته التي جاء به؟![2] .

قال الألوسي - رحمه الله - مجملاً الرد في إبطالها بعد تفصيله: « . . . لكن إثبات صحة الخبر أشد من خرط القتاد ، فإن الطاعنين فيه من حيث النقل علماء أجلاء ، عارفون بالغث والسمين من الأخبار ، وقد بذلوا الوسع في تحقيق الحق فيه فلم يرووه إلا مردوداً . . . ولعمري إن القول بأن هذا الخبر مما ألقاه الشيطان على بعض ألسنة الرواة ، ثم وفق الله تعالى جمعاً من خاصته لإبطاله ، أهون من القول بأن حديث الغرانيق مما ألقاه الشيطان على لسان رسول الله ﷺ ثم نسخه سبحانه وتعالى . . .» أ . هـ[3] .

وما جاء في أنها رويت من ثلاث طرق مرسلة فمن المعلوم أن الحديث المرسل من أقسام الضعيف ، قال الإمام مسلم في مقدمة كتابه: «والمرسل في أصل قولنا وقول أهل

---

(١) سورة الكافرون ، الآية: ١ ، والقصة في الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي (٢٠/ ٢٢٥) .

(٢) انظر: الإسلام في مواجهة أعدائه ، لتوفيق علي وهبة ، ص ١٢٨ .

(٣) روح المعاني ، للألوسي ، حسب ما هو مثبت في البرنامج الإلكتروني ، شركة العريس للكمبيوتر .

العلم بالأخبار ليس بحجة»[١] أ. هـ. ومن احتج به من العلماء فقد جعلوا له شروطاً، والاحتجاج به إنما يكون في الفروع، أما الاحتجاج به في أصل يصادم العقيدة، وينافي ما ثبت من عصمة الأنبياء فلم يقل به أحد[٢]. وما ذكره ابن حجر في تأويلها لا دليل عليه.

ثانياً: تعرضه لأنبياء الله بالنصب والعذاب: وذلك ما ذكره الله تعالى في قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾﴾[٣].

اختلف المفسرون في تفسير هذه الآية ونقل كثير منهم[٤] أقوالاً منكرة من الإسرائيليات التي لا أصل لها، وهي من افتراءات اليهود على الأنبياء، أو من الوضاعين الذين يلفقون الأسانيد للمتون.

وقد اتخذها بعض القصاصين والمرتزقة وسيلة لكسب قلوب الناس واستدرار عطفهم وهي لا أصل لها ولا تليق بمقام الأنبياء وصفوة الخلق[٥].

قال القاضي أبو بكر العربي – رحمه الله – «ولم يصح عن أيوب في أمره إلا ما أخبرنا الله عنه في آيتين الأولى قوله تعالى: ﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾[٦] والثانية في ص: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى

---

(١) صحيح مسلم، المقدمة، (١/ ٧).

(٢) انظر: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، للشيخ د. محمد محمد أبو شهبة، ص٢٥٧-٢٥٨.

(٣) سورة ص، الآية: ٤١.

(٤) انظر: جامع البيان، لابن جرير الطبري، (١٠/ ٥٧-٧٣)، وتفسير البغوي، (٣/ ٢٥٦-٢٦٤)، والدر المنثور، للسيوطي، (٥/ ٦٥٢-٦٦٤)، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للقاضي أبي محمد بن عطية الأندلسي، (١٤/ ٣٦-٣٩)، وتيسير الكريم الرحمن، للعلامة عبدالرحمن السعدي، (٥/ ٢٥٣).

(٥) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، للشيخ د. محمد بن محمد أبو شهبة، ص ٢٥٧-٢٨٢.

(٦) سورة الأنبياء، الآية: ٨٣.

مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ﴾ [(١)] . وأما النبي ﷺ فلم يصح عنه أنه ذكره بحرف واحد إلا قوله: «وبينا أيوب يغتسل إذ خر عليه رجل من جراد من ذهب» [(٢)] وإذ لم يصح عنه فيه . قرآن ولا سنة إلا ما ذكرناه فمن الذي يوصل السامع إلى أيوب خبره . . . والإسرائيليات مرفوضة عند العلماء على البتات[(٣)] ا .هـ .

وأصح ما قيل في هذه الآية إن ما حصل لأيوب - عليه السلام - إنما هو بفعل الله ، والعذاب المضاف إلى الشيطان إنما المراد به الوسوسة وإلقاء الخواطر السيئة ، فهو لا يستطيع الكيد بأكثر من ذلك ، وهذا المراد بالنصب والعذاب الوارد في الآية الكريمة[(٤)] .

قال صاحب أضواء البيان - رحمه الله - «وغاية ما دل عليه القرآن: أن الله ابتلى نبيه أيوب - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - وأنه ناداه فاستجاب له وكشف عنه كل ضر ووهبه أهله ومثلهم معهم ، وأن أيوب نسب ذلك في (ص) إلى الشيطان . ويمكن أن يكون سلطه الله على جسده وماله وأهله ؛ ابتلاء ليظهر صبره الجميل ، وتكون له العاقبة الحميدة في الدنيا والآخرة ، ويرجع له كل ما أصيب فيه ، والعلم عند الله تعالى . وهذا لا ينافي أن الشيطان لا سلطان له على مثل أيوب ، لأن التسليط على الأهل والمال والجسد من جنس الأسباب التي تنشأ عنها الأعراض البشرية كالمرض ، وذلك يقع للأنبياء ؛ فإنهم يصيبهم المرض وموت الأهل وهلاك المال لأسباب متنوعة»[(٥)] أ . هـ .

ثالثاً: تعرضه لأنبياء الله بالقتل والتحريق وأنواع أخرى من الإيذاء الجسدي: ومن تعرضه لأنبياء الله بمحاولة القتل: نزغ أخوة يوسف - عليه السلام - حتى تآمروا على قتله ورميه في الجب ، قال تعالى: ﴿ ۞ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُواْ

(١) سورة ص ، الآية: ٤١ .
(٢) رواه البخاري في كتاب الغسل ، رقم الحديث ٢٧٥ ، (١/ ١٠٧) .
(٣) الجامع لأحكام القرآن ، (١٥/ ٢١٠) ، وانظر: جامع البيان لابن جرير الطبري (١٥/ ٢٠٨-٢١٠) .
(٤) انظر: فتح القدير ، للشوكاني ، (٤/ ٤٣٦) ، وانظر: تفسير الفخر الرازي (٢٦/ ٢١٢) .
(٥) أضواء البيان ، للشيخ محمد الأمين الشنقيطي ، (٧/ ٧٤٤-٧٤٥) .

يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ﴾(١) .

وقوله تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ۝١٠٠ ﴾(٢) .

ومن تعرضه لأنبياء الله بمحاولة القتل «تصديه لإبراهيم – عليه السلام – حتى رماه قومه في النار، وتصديه للمسيح عيسى بن مريم – عليه السلام – حتى تآمرت اليهود على قتله وصلبه فرفعه الله إليه وتصديه لزكريا ويحيى حتى قتلا» (٣) .

وتصوره في صورة شيخ نجدي، عندما اجتمعت قريش بدار الندوة، عن أبي قتادة في قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ۝٣٠ ﴾(٤) .

فدخلوا في دار الندوة يأتمرون بالنبي ﷺ فقالوا: لا يدخل معكم أحد ليس منكم فدخل معهم الشيطان في صورة شيخ من أهل نجد فقال بعضهم ليس عليكم من هذا عين، هذا رجل من أهل نجد، قال: فتشاوروا فقال رجل منهم: أرى أن تركبوه بعيراً ثم تخرجوه، فقال الشيطان: بئس ما رأى هذا، قد كان يفسد ما بينكم وهو بين أظهركم فكيف إذا اخرجتموه، فأفسد الناس ثم حملهم عليكم يقاتلوكم؟! فقالوا: نعم ما رأي هذا الشيخ فقال: قال آخر، فإني أري أن تجعلوه في بيت وتطينوا عليه بابه وتدعوه فيه حتى يموت، فقال الشيطان: بئس ما رأى هذا، أفترى قومه يتركونه فيه أبداً؟ لا بد أن يغضبوا له فيخرجوه، فقال أبو جهل: أرى أن تخرجوا من كل قبيلة رجلاً ثم يأخذوا أسيافهم فيضربونه ضربة واحدة فلا يدري من قتله فتدونه، فقال الشيطان: نعم ما رأى

(١) سورة يوسف، الآيات: ٧-٩ .
(٢) سورة يوسف، الآية: ١٠٠ .
(٣) تفسير المعوذتين، لابن القيم، ص ١١١، وانظر: سبب قتل يحيى – عليه السلام – وأنه بطلب من بغي من بغايا بني إسرائيل، تاريخ الطبري (١/ ٥٨٦-٥٩٢)، البداية والنهاية لابن كثير (٢/ ٤٩).
(٤) سورة الأنفال، الآية: ٣٠ .

هذا، فأطلع الله نبيه ﷺ على ذلك فخرج هو أبو بكر إلى غار في الجبل يقال له ثور، ونام علي على فراش النبي ﷺ وباتوا يحرسونه يحسبون أنه النبي ﷺ [(١)].

ومن خلال هذه القصة يتبين ما يلي: حرص إبليس على حضور اجتماعات المشركين للمؤامرة على حرب أولياء الله وفي مقدمتهم أنبياؤه.

- تدخله بالرأي والمشاركة والتأييد للحل الأصوب والأقوى حتى تتحقق أهدافه.

- ارتباط هذا الحدث بجميع ما وقع لأنبياء الله من محاولة القتل والإيذاء، فهذا منهجه مع جميع أولياء الله ومن هؤلاء صالح وموسى الذي كان خوف فرعون منه بسبب قول الكهان بأن هلاكه على يد مولود من بني إسرائيل.

- كون من يقوم بذلك أشراف القوم وسادتهم، وهذا نابع من حرصهم على الشرف والسيادة التي يتخذها إبليس وسيلة لحرب الصالحين حيث يشتد خوف هؤلاء الأسياد على الشرف والمكانة فيصير العداء نابعاً من قلوبهم [(٢)].

ومن تعرضه لأنبياء الله **لمحاولة الإيذاء** تعرضه لنبينا محمد ﷺ كما في صحيح مسلم عن أبي الدرداء قال: قام رسول الله ﷺ فسمعناه يقول: «أعوذ بالله منك، ثم قال: ألعنك بلعنة الله» ثلاثاً، وبسط يده كأنه يتناول شيئاً، فلما فرغ من الصلاة قلنا: يا رسول الله: قد سمعناك تقول في الصلاة شيئاً، لم نسمعك تقوله قبل ذلك، ورأيناك بسطت يدك؟ قال: «إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي فقلت: أعوذ بالله منك ثلاث مرات ثم قلت: ألعنك بلعنة الله التامة، فلم يتأخر ثلاث مرات، ثم أردت أخذه، والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقاً يلعب به ولدان أهل المدينة» [(٣)].

---

(١) رواه عبدالرزاق في مصنفه، (٥/ ٣٨٩-٣٩٠)، وابن حبان في الثقات، (١/ ١١٣-١١٤)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٤٦٨)، وذكره ابن هشام في السيرة، (٣/ ٦)، وابن جرير في التاريخ، (١/ ٥٦٦-٥٦٧)، والبداية والنهاية، لابن كثير، (٣/ ١٧٣)، وذكرها ابن القيم في زاد المعاد، (٣/ ٥٠).

(٢) انظر: المواجهة، لحسن أحمد قطامش، ص ٨٦-٨٧.

(٣) رواه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٤٢ (١/ ٣٨٥).

ومن محاولاته **التحريق** لأنبياء الله .. تعرضه لسيدنا إبراهيم عليه السلام كما في تفسير قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ۝٦٨ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ۝٦٩ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ﴾[1] .

ومن تعرضه لأنبياء الله بالإيذاء تعرضه لعيسى عليه السلام كما في الحديث، عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال، قال النبي ﷺ : «كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبه بإصبعه حين يولد غير عيسى بن مريم، ذهب يطعن فطعن في الحجاب»[2] . سيأتي شرحه وتوضيحه[3] – .

رابعاً – تعرضه لأنبياء الله بالسحر[4]: وممن كادهم إبليس بالسحر والسحرة – موسى عليه السلام – في قصة السحر المعروفة في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ۝٣٨ ﴾[5] ، وقوله تعالى: ﴿ قَالَ أَلۡقُواْۖ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ ۝١١٦ ﴾[6] ، قوله تعالى: ﴿ قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ۝٦٦ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ۝٦٧ ﴾[7] .

وقد تعرض الشيطان الرجيم لنبينا محمد ﷺ بالسحر فسحر – عليه الصلاة والسلام – سحره لبيد بن الأعصم اليهودي[8] .

وقصة سحره – عليه الصلاة والسلام – ثابتة في الصحيح لا مجال لردها أوالقدح

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٦٨ –٧٠ .

(٢) رواه البخاري، رقم: ٣١١٢، (٣/ ١١٩٦) .

(٣) انظر ص ١٦٧–١٦٨ .

(٤) سيأتي إن شاء الله تعريف السحر وحكمه .

(٥) سورة الشعراء، الآية: ٣٨ .

(٦) سورة الأعراف، الآية: ١١٦ .

(٧) سورة طه ،الآيتان: ٦٦–٦٧ .

(٨) لبيد بن الأعصم اليهودي من يهود بن زريق، وكان من أعلم اليهود بالسحر، انظر تفسير الطبري (١/ ٤٦٠)، السيرة الحلبية لعلي برهان الدين الحلبي (٢/ ٣١٦) .

في صحتها كما روى البخاري – رحمه الله – عن عائشة – رضي الله عنها – سحر النبي ﷺ ، حتى كان يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله ، حتى كان ذات يوم دعا ودعا ، ثم قال: (أشعرت أن الله أفتاني فيما فيه شفائي ، أتاني رجلان: فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي ، فقال أحدهما للآخر: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب ، قال: ومن طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم ، قال: في ماذا؟ قال: في مشط ومشاطة وجف [١] طلعة ذكر ، قال: فأين هو؟ قال: في بئر ذروان [٢] . فخرج إليها النبي ﷺ ثم رجع فقال لعائشة حين رجع: «نخلها كأنها رؤوس الشياطين» . فقلت: أستخرجته؟ فقال: لا أما أنا فقد شفاني الله وخشيت أن يثير ذلك على الناس شرا ثم دفنت البئر) [٣]: أن النبي ﷺ سحر ، حتى كان يخيل إليه أنه صنع شيئاً ولم يصنعه [٤] .

وليس في ثبوت السحر عليه – عليه الصلاة والسلام – ما يعارض مقام النبوة أو ينقص مكانة النبي ﷺ لعدة أسباب منها:

١- إنه قد قام الإجماع على عصمة النبي ﷺ فيما يبلغ عن ربه .

٢- أنه كان مرضاً من الأمراض أو علة من العلل التي اعترت النبي ﷺ كسائر العلل بدليل قوله ﷺ في آخر الحديث «فأما أنا فقد شفاني الله» .

٣- إن ما ورد في بعض الروايات من كونه يخيل إليه أهله – عليه السلام – حيث كان يهم بالجماع ثم ينصرف عنه كحال المعقود عن أهله ، وقيل إنه أنكر بصره ولم يعد يرى كرؤيته في السابق لتأثير السحر عليه .

فالسحر إذا كان تأثيره على جسده وظواهر جوارحه لا على فكره وإدراكه . وقد

---

(١) الجف: «وعاء الطَّلع وهو الغشاء الذي يكون فوقه ويروى في جُبّ طلعة» ، النهاية في غريب الحديث ، لابن الأثير (١/ ٢٧٨) .

(٢) بئر بالمدينة في بستان بني زريق . شرح مسلم للنووي (١٤/ ١٧٧) ، فتح الباري (١٠/ ٢٢٩-٢٣٠) .

(٣) رواه البخاري ، رقم: ٣٠٩٥(٣/ ١١٩٢-١١٩٣) .

(٤) رواه البخاري ، رقم ٣٠٠٤ ، (٣/ ١١٥٩) .

يكون ذلك من جنس الخواطر التي لا تثبت (١) .

وقد اختلف في المدة التي بقي فيها - عليه الصلاة والسلام - في أثر هذا السحر فقيل سنة (٢) وقيل أربعين ليلة (٣) .

وقيل ستة أشهر كما في حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت: «لبث رسول الله ﷺ ستة أشهر يرى أنه يأتي ولا يأتي . . .» (٤) الحديث .

وقد أنكر هذا السحر بعض من ينسب للعلم وزعموا أن ثبوته يحط من منصب النبوة ، ويؤدي إلى عدم ثبوت نبوته ﷺ فيحتمل أن رؤيته لجبريل إنما هو خيال تخيله(٥) .

يقول محمد عبده في تفسيره: «وقد قال كثير من المقلدين الذين لا يعقلون ما هي النبوة ولا ما يجب لها أن الخبر بتأثير السحر في النفس الشريفة قد صح فيلزم الاعتقاد به وعدم التصديق به من بدع المبتدعين لأنه ضرب من إنكار السحر . . .» (٦) .

وقال في موضع آخر: «ولا يخفى أن تأثير السحر في نفسه ﷺ حتى يصل به الأمر على أن يظن أنه يفعل شيئاً وهو لا يفعله ليس من قبيل تأثير الأمراض في الأبدان ولا من قبيل عروض السهو والنسيان في بعض الأمور العادية بل هو ماس بالعقل آخذ بالروح وهو مما يصدق قول المشركين منه ﴿ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾»(٧) أ.هـ .

قال ابن القيم: «وهذا الحديث [أي حديث سحر النبي ﷺ] ثابت عند أهل العلم بالحديث ، فتلقي بالقبول بينهم . لا يختلفون في صحته . وقد اعتاص على كثير من أهل

(١) انظر: الشفا ، للقاضي عياض ، (٢/ ٨٦٥-٨٦٩) ، فتح الباري ، لابن حجر (١٠/ ٢٢٧-٢٨٥) .
(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٢٠/ ٢٥٣) .
(٣) انظر: فتح الباري ، (١٠/ ٢٧٨) .
(٤) رواه أحمد في مسنده ، (٦/ ٦٣) ، وصححه ابن حجر ، انظر: فتح الباري ، (١٠/ ٢٧٨) .
(٥) ومن هؤلاء الذين أنكروا سحر النبي ﷺ : أبي بكر الجصاص ، ومحمد ابن حزم ، وبعض المعاصرين من أمثال محمد عبده ، انظر: فتح الباري ، (١٠/ ٢٧٨) ، تفسير الرازي ، (٣/ ٢١٤) .
(٦) تفسير جزء عم ، لمحمد عبده ، (ص ١٨٥-١٨٦) .
(٧) المرجع السابق ص١٨٥ .

الكلام وغيرهم، وأنكروه أشد الإنكار... وقابلوه بالتكذيب... لأن النبي ﷺ لا يجوز أن يسحر فإن يكن تصديقاً لقول الكفار﴿ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾[١]»[٢]أ.هـ وأول بعضهم ما وقع بأنه مرض اعتراه من الأمراض التي تصيب البشر شفاه الله منه[٣].

ويرد عليهم من عدة وجوه:

الوجه الأول: ثبوت هذا الحديث في الصحيحين عن عائشة – رضي الله عنها – من أكثر من طريق، والقصة مشهورة في غير الصحيحين من كتب السنن والتفسير والحديث والتاريخ... بل نص بعض العلماء على تواترها[٤].

الوجه الثاني: إن هذا السحر الذي أصابه ﷺ لا ينافي حماية الله له وحفظه وصونه لأنبيائه وفي مقدمتهم محمد ﷺ وإنما هذا نوع من الابتلاء وهم أشد الناس بلاء لكمال الرفعة ولنيل المنزلة ويتسلى بهم غيرهم من البشر، كما إنه لا ينافي العصمة للأنبياء[٥].

الوجه الثالث: «إن الكفار كانوا يريدون بكونه مسحور، أنه مجنون أزيل عقله بواسطة السحر، فلذلك ترك دينهم، فأما أن يكون مسحوراً بألم يجده في بدنه فذلك مما لا ينكره أحد، وبالجملة، فالله تعالى ما كان يسلط عليه لا شيطاناً، ولا إنسياً، ولا جنياً، يؤذيه في دينه، وشرعه ونبوته، فأما الإضرار ببدنه فلا يبعد»[٦].

الوجه الرابع: أن الأنبياء قبله ﷺ قد نالهم أنواعاً من الأذى أعظم مما نال رسولنا –

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٤٧.

(٢) تفسير المعوذتين، لابن القيم، (ص ٥٧).

(٣) انظر: فتح الباري، لابن حجر، (١٠/ ٢٧٨)، تفسير المعوذتين لابن القيم، (ص ٦٠).

(٤) انظر: تفسير الرازي، (٣/ ٢٣١)، دار الفكر.

(٥) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، (٤/ ٣١٩-٣٢٠)، والسحر بين الحقيقة والخيال، أحمد الحمد ص ١٢٧-١٢٨.

(٦) المرجع السابق، ٣٢/ ١٨٨، وانظر: مفردات القرآن للراغب الأصفهاني، ص ٤٨٨-٤٨٩.

عليه الصلاة والسلام - فمنهم من قتل ومنهم من حرق بالنار ونشر بالمناشير [(١)] .

الوجه الخامس: إن الأحاديث التي وردت في سحره ﷺ تدل على شدة لجوئه إلى الله ودعائه ولو فقد عقله وإدراكه - وحاشاه - لما أمكن ذلك فيدل على أن الضرر كان جسمياً لم يصل إلى عقله [(٢)] .

الوجه السادس: إنه ﷺ لم يكن يظن أن ما أصابه سحرٌ بل كان يظنه مرضاً اعتراه من الأمراض بدليل احتجامه [(٣)] ودليل دعائه .

الوجه السابع: ما قيل في مسألة الطعن في نبوته إن ثبت وقوع السحر فمعلوم أن البينة قد قامت على صدقة بحيث لم يعد هناك أدنى شك ، وقد ألفت في ذلك المؤلفات الكثيرة ، والقرآن معجزة خالدة باقية إلى قيام الساعة مما يدل على بطلان هذا القول [(٤)] .

الوجه الثامن: أن الروايات التي وردت في سحره ﷺ بينت الأثر الذي ترتب على وقوع السحر وهو «تخيل إتيان النساء وهو لا يأتيهن . فتأثير السحر محدد . . . في ناحية بدنية ، شعور بفعل جسماني وليس ثمة فعل ، مع كونه - صلوات الله وسلامه عليه - يتيقن عدم الفعل فلم يلتبس عليه الأمر بحيث يعتقد عدم الفعل فعلاً . . .» [(٥)] .

الوجه التاسع: على طول الفترة التي استمر فيها سحره ﷺ فقد قيل في بعض الروايات أنه استمر ستة أشهر وأكثر - كما سبق من ذلك - ومع ذلك لم يؤثر أنه استخلف أحداً مكانه في الصلاة بسبب ما اعتراه أو وكل أحد من الصحابة شيئاً من أمور المسلمين ولو وقع ذلك منه لنقل واستفاض كما نقل واستفاض خبر سحره ﷺ [(٦)] .

---

(١) انظر: الشفا ، للقاضي عياض ، ٢/١٧٨-١٧٩ .

(٢) انظر: السحر بين الحقيقة والخيال ، د . أحمد الحمد ، ص ١٣٠ .

(٣) ذكر حديث احتجامه ابن حجر في الفتح ، ١٠/٢٢٨-٢٢٩ ، وابن القيم في الطب النبوي ، ص ٦٦ .

(٤) انظر: السحر بين الحقيقة والخيال ، د . أحمد الحمد ، ص ١٣٢ .

(٥) المرجع السابق ، ص ١٣٢-١٣٣ .

(٦) انظر: المرجع السابق ، ص ١٣٣ وما بعدها ، فيه رد مفصل على المنكرين .

الوجه العاشر: لو كان للسحر تأثير على عقله ﷺ لنقل عنه شيئاً قاله أو فعله لا يليق بمقام النبوة، ومعلوم انتفاء ذلك مما يدل على أن سحره ﷺ لم ينل من إدراكه وما يتعلق بالتبليغ.

وأما ردهم لأخبار الآحاد فهذا يخالف إجماع الأمة على قبول خبر الآحاد والحديث قد ثبت في الصحيحين والأمة متفقة على قبولهما لجلالة الشيخين [١].

يقول الإمام الشوكاني – رحمه الله – : «ولا نزاع في أن خبر الواحد إذا وقع الإجماع على العمل بمقتضاه فإنه يفيد العلم؛ لأن الإجماع عليه قد صيره من المعلوم صدقه، وهكذا خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول فكانوا بين عامل به، ومتأول له ومن هذا القسم أحاديث صحيحي البخاري ومسلم؛ فإن الأمة قد تلقت ما فيهما بالقبول»[٢].

خامساً: تعرضه لأنبياء الله بالوسوسة: «الوَسْوَسَة والوَسْواس: الصوت الخفي من ريح، والوَسْواس: صوت الحلي» [٣] والوسوسة هي: «حديث النفس والأفكار.. ورجل موسوس إذا غلب عليه الوسوسة، وقد وسوست إليه نفسه وَسْوَسَةً وَوسْواساً بالكسر وهو بالفتح الاسم، والوَسْواس أيضاً اسم للشيطان، وَسْوَس إذا تكلم لم يبينه»[٤]. النزغ من الوسوسة لكنه أقل منها فهو أدنى الوسوسة، وهو من ينزغ نزغاً: أي أغرى وأفسد[٥].

وقد تصدى إبليس لآدم – عليه السلام – وزوجه في أول محاولة لإضلالهما بالوسوسة كما أشار الله تعالى في قوله تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا

---

(١) أي البخاري ومسلم – رحمهما الله – .

(٢) إرشاد الفحول، للشوكاني، ص ٤٩.

(٣) لسان العرب، (٦/ ٢٥٤).

(٤) النهاية في غريب الحديث(٥/ ١٨٥–١٨٦)، لسان العرب، (٦/ ٢٥٤–٢٥٥)، و(١٥/ ٤٢٦)، (٦/ ٥).

(٥) مختار الصحاح، والشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض، (٢/ ٧٤٠).

وُرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [(١)] .

وقوله تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ ﴾[(٢)] .

وقد اتخذ لذلك عدة أساليب مغرية منها:

١- أنه مناهما بالخلود والخلود أمر تعشقه النفس الإنسانية .

٢- أغراهما بالملك ، فمع الخلود ، ملك يتنعم فيه كما يشاء على قراءة «ملِكين»[(٣)] . بكسر اللام ، وعلى «ملَكين» بالفتح يكون المعنى ملكين من الملائكة «وشهوة الخلود والملك هما أقوى شهوتين في الإنسان بحيث يمكن أن يقال أن الشهوة الجنسية ذاتها إن هي إلا وسيلة لتحقيق شهوة الخلود بالامتداد في النسل جيلاً بعد جيل[(٤)] .

٣- أكد لهما صحة دعواه بالقسم إنه لهما لمن الناصحين المشفقين .

وبهذا الإغراء والقسم خدعهما وأوقعهما في المعصية فبدت لهما سوآتهما ؛ لأن الله تعالى أعراهما من الكسوة التي كان كساهما قبل الذنب والخطيئة [(٥)] .

وناداهما ربهما معاتباً لهما على طاعة عدوه ، بعد أن تبينت لهما عداوته بترك السجود والتعالي على الأمر الرباني .

---

(١) سورة الأعراف ، الآيتان: ٢٠-٢١ .

(٢) سورة طه ، الآية: ١٢٠ .

(٣) وهي قراءة شاذة ، انظر: جامع البيان ، لابن جرير ، ٨/ ١٤٠-١٤١ .

(٤) الشيطان في ظلال القرآن ، ص ٢٣ ، لسيد قطب ، جمع عكاشة عبدالمنان الطيبي ، ص ٢١-٢٢ .

(٥) وبهذا يتضح أن أكثر ما عليه النساء اليوم في كثير من المجتمعات من التعري وكشف العورات ، ولبس الألبسة الخليعة مما يحزن القلب إنما هو دعوة شيطانية روج لها حزبه من اليهود والنصارى متمثلة في دور الأزياء وصالونات التجميل .

قال تعالى: ﴿ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾ (١) .

وهذا في شأن آدم – عليه السلام – وأما غيره من الأنبياء فيقول تعالى في معرض قصة يوسف – عليه السلام –: ﴿ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ (٢) فنزغ الشيطان إخوته لإيذائه – عليه السلام – .

وفي شأن نبينا محمد ﷺ يقول تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾(٣) ، ويقول سبحانه: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ ﴾(٤) ، ويقول سبحانه: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾(٥) .

«وقيل ينزغنك: يغرينك ويحركنك ، والنزغ: أدنى الوسوسة فأمره الله تعالى أنه متى تحرك عليه غضب على عدوه ، أو رام الشيطان من إغرائه به أن يستعيذ منه فيكفى أمره ، ويكون سبب تمام عصمته إذا لم يسلط عليه بأكثر من التعرض له ، ولم يجعل له قدرة عليه»(٦) .

فظاهر الآيات السابقة أن الشيطان يوسوس للأنبياء ، ولكنهم لا يقبلون الوسواس كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾(٧) .

---

(١) سورة الأعراف ، الآية: ٢٢ .
(٢) سورة يوسف ، الآية: ١٠٠ .
(٣) سورة الأعراف ، الآية: ٢٠٠ .
(٤) سورة المؤمنون ، الآيتان: ٩٧-٩٨ .
(٥) سورة فصلت ، الآية: ٣٦ .
(٦) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، (٢/ ٧٤٠) .
(٧) سورة الحج ، الآية: ٥٢ .

وقد نقل القاضي عياض إجماع الأمة على عصمة النبي ﷺ من الشيطان وحمايته منه في جسمه بالأذى [(١)] أو على تلبسه بالوساوس ومن الأدلة على ذلك: حديث عبدالله ابن مسعود، «ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن، قالوا: وإياك يا رسول الله، قال: وإياي، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير».

وقوله ﷺ في الحديث: «إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في كل يوم مائة مرة» [(٢)]. ومعنى يغان: «يعني يتغشى القلب ما يلبسه» [(٣)].

وقال ابن القيم – رحمه الله – «الغين ألطف شيء وأدقه» [(٤)].

وقد اختلف العلماء في المراد بالغين الذي يغشي قلب النبي ﷺ، فقال السيوطي: «إن هذا من المتشابه الذي لا يخاض في معناه، وقد سئل عنه الأصمعي فقال: لو كان قلب غير النبي ﷺ لتكلمت عليه ولكن العرب تزعم أن الغين الرقيق» [(٥)].

وقيل أن المراد بالغشيه الفتور الذي يعتري القلب عن الذكر الذي كان مداوماً عليه – عليه الصلاة والسلام – لأمر ما يشغله فيعد ذلك ذنباً فسيستغفر منه. وقيل: إنه حديث النفس، وقيل هو حالة السكينة والخشية والإعظام التي تغشى قلبه، واستغفاره – عليه الصلاة والسلام – لإظهار شكر هذه النعمة.

وقيل: إن ذلك الغين كان بعد معرفته بما سيكون على أمته من الآيات وإن الاستغفار بعدها لأمته ﷺ، وقيل إن فعله هذا تعليم لأمته وحملهم على الاستغفار.

وقيل: إن ذلك إنما يكون عندما يرفع النبي ﷺ إلى درجة أعلى حسب ترقيه في

---

(١) وما ورد من تعرضه للسحر – ﷺ – فإن الله قد حماه فلم يؤذه في عقله وفيما يخص التبليغ، وقد كشفه الله تعالى ودلهم على مكانه فاستخرجوه وأبطله الله تعالى.

(٢) رواه أبو داود في سننه (٢/ ٨٤) رقم ١٥١٥، والنسائي، رقم ٤٤٣ (١/ ٣٢٦).

(٣) الفردوس المأثور، الخطاب لأبي الشجاع شيرويه الهمزاني، (١/ ٤٢٥).

(٤) شفاء العليل، لابن القيم، ص ٩٤، نشر دار الفكر، بيروت.

(٥) الديباج للسيوطي، (٦/ ٥٨)، تحقيق: أبوي إسحاق الحويني الأثري.

مدارج العبودية فيرى تقصيره في التي قبلها فيكون استغفاره [١] .

والصواب والله أعلم وهو ما رجحه القاضي عياض أنها حالة فتور تعتري القلب عما كان عليه في سائر أحواله من المداومة على الذكر والاستغفار لما يأتي:

١ – استغفاره بعدها مما يدل على أنه يستغفر ﷺ من ذنب أو تقصير .

٢ – أن فتوره هذا كان بسبب انشغاله بأمور تعد من العبادة من مكابدة الخلق وسياسة الأمة ، ورد العدو ، وتدبير شؤون الأهل فهو في عبادة ولكن يعد عدم تفريغ القلب لخالقه تقصيراً يستغفر منه .

٣ – دلالة المعنى اللغوي عليه .

وأما القول بأنه حال السكينة والخشية والإعظام التي تغشى القلب واستغفاره – عليه الصلاة والسلام – شكر لهذه النعمة .

فهذا قول في غاية الفساد إذ يلزم عنه أن تكون حالة السكينة والخشية والإعظام تأتيه أحياناً وهذا فيه تنقص لحاله ﷺ مع ربه من التعظيم والإجلال وهو الذي قام حتى تفطرت قدماه – صلوات الله وسلامه عليه – [٢] .

سادساً: تعرضه لأنبياء الله بالنسيان: اختلف العلماء في تعرض الشيطان للأنبياء بالنسيان ، فمنعه قوم وأشكل عليهم قوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [٣] ، وقوله تعالى عن يوسف: ﴿ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ ﴾ [٤] .

وأجاز آخرون وقوع النسيان على الأنبياء ومن أدلتهم: قوله ﷺ : «إنما أنا بشر

---

(١) انظر: شعب الإيمان ، للبيهقي ، (٥/ ٣٨١) ، الشفا في التعريف بحقوق المصطفى ، القاضي عياض ، (٢/ ٧١١-٧١٣) ، وفتح الباري ، لابن حجر ، ١١/ ١٠١ .

(٢) هذه الفائدة من فضيلة الشيخ المشرف حفظه الله .

(٣) سورة الأنعام ، الآية: ٦٨ .

(٤) سورة يوسف ، الآية: ٤٢ .

أنسى كما تنسون»[١] وعن عائشة – رضي الله عنها – قالت: سمع النبي ﷺ رجلاً يقرأ في المسجد فقال: «رحمه الله لقد ذكرني كذا وكذا آية كنت أسقطتها في سورة كذا وكذا»[٢]. وفي الموطأ، «أني لأنسى أو أنسى لأسن»[٣].

قال في النهاية: أي لأذكر لكم ما يلزم الناس لشيء من عبادته وأفعل ذلك فتقتدوا بي. أ. هـ[٤]، وفي حديث أبي سعيد الخدري: «وقد أريت هذه الليلة ثم أنسيتها فاتبعوها في العشر الأواخر»[٥].

وحديث السهو عندما سها في الصلاة – عليه الصلاة والسلام – ثم سجد سجدتين ثم سلم فلما أقبل علينا بوجهه قال: «أنه لو حدث في الصلاة شيء لنبأتكم به، ولكن إنما أنا بشر مثلكم، أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني»[٦].

وفي حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال سليمان: «لأطوفن الليلة على تسعين امرأة كل تلد غلاماً يقاتل في سبيل الله فقال له صاحبه – قال سفيان بن الملك – قل إن شاء الله، فنسى فطاف بهن فلم تأت امرأة منهن بولد إلا واحدة بشق غلام...»[٧] الحديث، وفي قصة موسى مع الخضر: «... فكانت الأولى من موسى نسيان...»[٨]، وقد وردت أحاديث أخرى في سهوه ﷺ[٩].

واختلف المجيزون لوقوع النسيان هل يكون النسيان فيما طريقه البلاغ من الأفعال

---

(١) رواه أحمد في مسنده، ١/ ٣٧٩، عن عبدالله بن مسعود في قصة سهوه ﷺ في صلاته.
(٢) رواه البخاري، (٥/ ٢٣٣٣)، رقم ٥٩٦٧.
(٣) رواه مالك في الموطأ، رقم ٢٢١، ص ٥٣، كتاب الصلاة، (العمل في السهو).
(٤) النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير، (٥/ ٥٠).
(٥) رواه البخاري، رقم ١٩١٤، (٢/ ٧١٠).
(٦) رواه البخاري، رقم الحديث (٣٩٢، ١-١٥٦).
(٧) رواه البخاري، رقم ٦٣٤١، (٦/ ٢٤٧٠).
(٨) رواه البخاري، رقم ١٢٢، ١/ ٥٦-٥٧.
(٩) كما في حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لظهر خمساً فسجد سجدتين بعدما سلم، رواه البخاري، رقم: ١١٦٨ (١/ ٤١١).

وأحكام الشرع أم لا؟ على أقوال:

القول الأول: ذهب عامة العلماء إلى جوازه كما هو ظاهر القرآن والأحاديث، لكن شرط الأئمة إن الله تعالى ينبهه على ذلك ولا يقره عليه.

قال النووي - رحمه الله - «فيه دليل على جواز النسيان عليه ﷺ في أحكام الشرع، وهو مذهب جمهور العلماء وهو ظاهر القرآن والحديث اتفقوا على أنه ﷺ لا يقر عليه بل يعلمه الله تعالى به...» (١).

القول الثاني: أجازه بعض العلماء في الأفعال البلاغية فقط دون الأخبار والأقوال، ومن هؤلاء القاضي عياض - رحمه الله - وابن حجر، وقال ابن دقيق العيد: «وهو قول عامة العلماء والنظار» ا.هـ (٢).

القول الثالث: يمنع النسيان في الأفعال والأقوال البلاغية والعبادات الشرعية.

القول الرابع: يمنع النسيان إنما ينسى قصداً ويتعمده ليسن، ومال إلى هذا القول أبو المظفر الاسفراييني (٣).

القول الخامس: قال قوم من أصحاب المعاني والكلام إلى أنه يسهو لا ينس، وفرقوا بين النسيان والسهو بأن النسيان ذهول وغفلة وآفة. والسهو شغل فكان يسهو في الصلاة شغلاً بها لا غفلة عنها (٤) والصحيح الأول لما يأتي:

١- دلالة القرآن والسنة عليه، وعدم وجود معارض للأدلة. مع صحتها

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، (٥/ ٦١).

(٢) فتح الباري، (١/ ٦٦٤)، لابن حجر.

(٣) إبراهيم بن محمد إبراهيم بن مهران، أبو إسحاق، عالم بالفقه والأصول. كان يلقب بركن الدين، نشأ في أسفرابين ثم خرج إلى نيسابور وبنيت له فيها مدرسة عظيمة فدرس فيها... له كتاب الجامع في أصول الدين، وله مناظرات مع المعتزلة، توفي سنة ٤١٨هـ. انظر: طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي، (٤/ ٢٥٦) وما بعدها، والأعلام للزركلي، (١/ ٦١).

(٤) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، (٢/ ٨٠٠) وما بعدها، وأحكام القرآن، للقرطبي، (٧/ ١٤)، وصحيح مسلم بشرح النووي، (٥/ ٦١-٦٢)، وفتح الباري، لابن حجر، (١/ ٦٦٤).

وثبوتها .

٢- إن النسيان لا يناقض النبوة ولا يضاد المعجزة ، مادام أنه لا يقر عليه .

٣- حصول الفائدة منه من بيان أحكام الناس وتقرير الأحكام (١) .

سابعاً: **تعرضه لأنبياء الله بالحسد والتنقيص من مكانتهم:** بعد أن أكرم الله عز وجل البشرية ، وخلق آدم بيده وأمر الملائكة بالسجود له – عليه السلام – بدأت نار الحقد والحسد تشتعل في قلب إبليس – لعنه الله – إذ تمخضت هذه المكارم للبشرية عن أصله الدنيء ، وما انطوت عليه نفسه من حسد ومكر وبغي ، وقد صور الله عز وجل لنا هذا في القرآن الكريم أبلغ بيان وأجل تصوير ، فقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ (٢) .

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ ﴾ (٣) ، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ﴾ (٤) ، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ ﴾ (٥) ، ومن هذه الآيات الكريمة يظهر:

١- بيان ما انطوت عليه نفسه من الخبث واللؤم .

٢- الاستكبار على الخلق ، قال تعالى مخبراً عنه: ﴿قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾﴾ (١) ،

---

(١) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي ، (٥/ ٦١-٦٢) .
(٢) سورة البقرة ، الآية: ٣٤ .
(٣) الأعراف ، الآية: ١١ .
(٤) سورة الكهف ، الآية: ٥٠ .
(٥) سورة طه ، الآيتان: ١١٦-١١٧ .

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾(٢) .

٣- العزة بالإثم (٣) قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝ ﴾(٤) .

ومن حسده لأنبياء الله ما وجده حين فتح نبينا محمد ﷺ مكة كما في الحديث عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: «لما افتتح رسول الله ﷺ مكة رن إبليس رنة اجتمعت إليه جنوده فقالوا: ايئسوا أن تردوا أمة محمد على الشرك بعد يومكم هذا ؛ ولكن افتنوهم في دينهم ، وافشوا فيهم النوح»(٥) وقد رن أيضاً يوم ولد رسول الله ﷺ ورن حين أنزلت فاتحة الكتاب وحين لعن (٦) .

والرنين الصوت (٧) ، وقيل معنى رنّ: أي تقبض ويبس (٨) .

ثامناً: تعرضه لأنبياء الله بإشغالهم في عبادتهم: عندما يئس عدو الله إبليس أن ينال من الأنبياء ، تصدى لهم لإشغالهم عن أداء العبادات أو تفويتها عليهم .

ومن ذلك تعرضه لنبينا محمد ﷺ وهو في صلاته ليقطعها عليه كما روى أبو هريرة

---

(١) سورة الإسراء ، الآية: ٦١ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية: ١٢ .

(٣) انظر: الشيطان في ظلال القرآن ، لسيد قطب ، تأليف: عكاشة عبد المنان الطيبي .

(٤) سورة الحجر ، الآيتان: ٣٩-٤٠ .

(٥) رواه الطبري في المعجم الكبير ، (١٢/ ١١) ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ، (٣/ ١٣) ، وقال: رجاله موثقون . أ . هـ . وذكره الشبلي في آكام المرجان ، ص ١٧٠ .

(٦) كما في الأثر عن مجاهد قال: «إن إبليس لعنه الله رنّ أربع رنات: حين لعن ، وحين أهبط من الجنة ، وحين بعث محمد ﷺ وحين أنزلت فاتحة الكتاب وأنزلت بالمدينة» ، وهذا الأثر ذكره القرطبي في التذكار في فضل الأذكار ، ص ٣٩٣-٣٩٤ ، وذكره السيوطي في الدرر المنثور ، (١/ ٣) ، مختصراً ونسبه لابن أبي شيبه في مصنفه ، وأبي سعيد الأعرابي في معجمه ، والطبراني في الأوسط ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ، (٦/ ٣١١) .

(٧) الدين الخالص للسيد محمد صديق حسن ، (٢/ ٣٢٩) ، تحقيق: محمد زهري النجار .

(٨) نقله صاحب آكام المرجان ، عن الأصمعي ، انظر: آكام المرجان ، لبدر الدين محمد الشبلي ، ص ١٧٠ ، دار الكتب العلمية .

- ﷺ - عن النبي ﷺ قال: «إن عفريتاً من الجن تفلت عليَّ البارحة ليقطع علي الصلاة فأمكنني الله منه ، فأردت أن اربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم ، قال: فذكرت دعوة أخي سليمان: ﴿ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ ﴾ (١) قال: فرده الله خاسئاً» (٢) .

ومن محاولة الشيطان لصد نبينا محمد ﷺ عن الطاعة قصة نوم بلال رضي الله عنه عن زيد (٣) بن أسلم قال: عرس رسول الله ﷺ ليلة بطريقة مكة ووكل بلالاً أن يوقظهم للصلاة فرقد بلال ورقدوا حتى استيقظوا وقد طلعت عليهم الشمس فاستيقظ القوم وقد فزعوا فأمرهم رسول الله ﷺ أن يركبوا حتى خرجوا من ذلك الوادي ثم أمرهم رسول الله ﷺ أن ينزلوا وأن يتوضئوا وأمر بلالاً أن ينادي بالصلاة أو يقيم فصلى رسول الله ﷺ بالناس ثم انصرف إليهم وقد رأى من فزعهم فقال: يا أيها الناس إن الله قبض أرواحنا ولو شاء لردها إلينا في حين غير هذا فإذا رقد أحدكم عن الصلاة أو نسيها ثم فزع إليها فليصلها كما كان يصليها في وقتها ثم التفت رسول الله ﷺ إلى أبابكر فقال: إن الشيطان أتى بلالاً وهو قائم يصلي فأضجعه فلم يزل يهدئه كما يهدأ الصبي حتى نام ثم دعا رسول الله ﷺ بلالاً فأخبر بلال رسول الله ﷺ مثل الذي أخبر رسول الله ﷺ أبا بكر فقال أبو بكر: أشهد أنك رسول الله) (٤) .

ومعنى يهدئه: «أي يسكنه وينومه من هدأت الصبي إذا وضعت يدك عليه

---

(١) سورة ص ، الآية: ٣٥ .

(٢) رواه البخاري ، رقم ٤٤٩ ، (١/ ١٧٦) . ورواه الإمام أحمد في مسنده ، (٢/ ٢٩٨) .

(٣) زيد بن أسلم العدوي القرشي أبو أسامة وقيل أبو عبدالله مولى عمر رضي الله عنه من الثقات روى عنه الأئمة وروى عن أبيه وعبدالله بن عمر مات سنة ١٣٦هـ ، انظر: تهذيب التهذيب (٣/ ٣٤١) ، حلية الأولياء (٣/ ٢٢١) ، سير أعلام النبلاء (٥/ ٣١٦) ، الكاشف للذهبي (١/ ٤١٤) .

(٤) رواه مالك في الموطأ ، رقم: ٢٦ (١/ ١٤) ، وابن جرير الطبري في التاريخ (٢/ ١٣٩) ، وأصله في البخاري ، رقم: ٥٧٠ ومسلم في كتاب المساجد (٥/ ١٨١) نووي ، وقال ابن عبدالبر - رحمه الله - في التمهيد (٥/ ٢٠٤) «هكذا هذا الحديث في الموطآت لم يسنده عن زيد أحد من رواة الموطأ وقد جاء معناه متصلاً مسنداً من وجوه صحاح ثابتة في نومه ﷺ عن صلاة الصبح في سفره ، روى ذلك جماعة من الصحابة وأظنها قصة لم تعرض له إلا مرة واحدة فيما تدل عليه الآثار والله أعلم» ا .هـ .

لينام»[١] .

ولكن الله رد كيده فجعلها رخصة للمؤمنين ؛ فليس عليهم في نومهم تفريط .

روى الإمام أحمد عن ابن مسعود وله عن ابن عباس موقوفاً: «ما يسرني بها الدنيا وما فيها يعني الرخصة» [٢] .

ومن تعرضه لأنبياء الله لإفساد عبادتهم تعرضه لسيدنا إبراهيم – عليه السلام – كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن إبراهيم عليه السلام لما أري المناسك عرض له شيطان عند المسعى ، فسابقه فسبقه إبراهيم ، ثم انطلق به جبريل عليه السلام حتى أتي به منى ، فقال: مناخ الفاس هذا ، ثم انتهى به إلى جمرة العقبة فعرض له شيطان ، فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ، ثم أتى الجمرة القصوى فعرض له شيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ، ثم أتى به جمعاً فقال: هذا المشعر الحرام ، ثم أتى به عرفة ، فقال ابن عباس: أتدري لم سميت عرفة؟ قال أبو الطفيل [٣] – الراوي عن ابن عباس – لا . قال: لأن جبريل قال له: أعرفت؟ وقال ابن عباس: أتدري كيف كان التلبية؟ قال: إن إبراهيم لما أمر أن يؤذن في الناس بالحج أُمرت الجبال فخفضت رؤوسها ورفعت له ا لقرى فأذن في الناس بالحج) [٤] .

وفي هذا الحديث بيان لمحاولة الشيطان لإفساد العبادة على إبراهيم عليه السلام ففرّ منه ليتخلص من شره ، فتبعه مسرعاً ، فأسرع إبراهيم عليه السلام بين الصفا والمروة ثم عرض له ثانية عند جمرة العقبة فرماه بسبع حصيات ثم عرض له ثالثة عند الجمرة

---

(١) شرح الزرقاني ، (١/ ٥٦) ، لمحمد ، ط . الأولى ، ١٤١١هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

(٢) المرجع السابق ، (١/ ٣٦-٣٧) .

(٣) عامر بن واثلة بن عبدالله بن عمرو بن جحش الليثي أبو الطفيل وربما سمى عمرا رأى النبي ﷺ وهو شاب وروى عن أبي بكر وابن عباس ، ولد عام أحد وعمر إلى سنة ١١٠هـ وهو آخر من مات من الصحابة ، انظر: الإصابة لابن حجر (٧/ ٢٣٠) ، تهذيب التهذيب (٥/ ٧١) ، الكاشف (١/ ٥٢٧) .

(٤) رواه أبو داود الطيالسي في مسنده ٥ رقم: ٢٦٩٧ ص٣٥١ ، والبيهقي في السنن الكبرى رقم: (٥/ ١٥٣-١٥٤) ، وأحمد في المسند (١/ ٢٩٧) ، والمزي في تهذيب الكمال(٣٤/ ٨) .

الوسطى فرماه بسبع حصيات أيضاً ثم أتى جمع وهي (مزدلفة) ثم أتـى عليـه السـلام إلى عرفة فقال له جبريل: أعرفت أي أعرفت المناسك فسميت عرفة [١].

❁ ❁ ❁

(١) انظر الفتح الرباني للساعاتي (١١/ ١٠٢-١٠٤).

المبحث الثاني

مكايده في إيقاع البشر في الكفر والشرك

إن عدو الله إبليس ليسعى جاهداً لإيقاع البشر في هاوية الكفر والشرك، بل إن هذا هدفه الأخير والأسمى في إضلال البشر، وغايته القصوى، إذ هو يتدرج مع العباد بحسب حالهم، ولا بد له من واحدة من ست ينالها: وأول ذلك الشرك بالله تعالى، يليه البدعة كما سيأتي ثم إيقاعهم في كبائر الذنوب، فإن لم يستطع أوقعهم في صغائر الذنوب، فإن لم يفلح زين لهم الإفراط في المباحات، فإن لم يستطع إلى كل ذلك سبيلاً أشغلهم بالمفضول عن الفاضل [١]، والمعصوم من عصمه الله من كيد هذا العدو المتربص.

ومن هنا نجد أنه قد تفنن في وسائل الكيد لإغواء البشر وإيقاعهم في الكفر والشرك.

ولهذا قال الله تعالى مخبراً عنه: ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴾ [٢]. ومعنى قوله لأحتنكن «أي لأستولين عليهم بالإغواء والإضلال... وقيل معناه: لأسوقنهم حيث شئت وأقودنهم حيث أردت» [٣]

وفي الحديث عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال: (إن إبليس قال لربه عز وجل: وعزتك وجلالك لا أبرح أغوي بني آدم مادامت الأرواح فيهم، فقال له ربه عز وجل: فبعزتي وجلالي لا أبرح أغفر لهم ما استغفروني).

وفي الصحيح عن ابن عمر في حديث أشراط الساعة وفيه: «... ثم يرسل الله ريحاً باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه، قال

---

(١) مفتاح دار السعادة، (١/ ٢٠٦)، تفسير المعوذتين، كلاهما لابن القيم، ص ١١٢ وما بعدها.

(٢) سورة الإسراء، الآيتان: (٦٢-٦٣).

(٣) فتح القدير، للشوكاني، (٣/ ٢٤١)، تفسير القرآن لابن كثير، (٤/ ٣٢٥).

سمعتها من رسول الله ﷺ قال: فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً فيتمثل لهم الشيطان فيقول: ألا تستجيبون؟! فيقولون: فما تأمرنا؟! فيأمرهم بعبادة الأوثان وهم في ذلك دارٌّ رزقهم حسن عيشهم . . .» (١) .

فهو يقود العباد إلى الكفر والشرك بمكايد عدة نستطيع إبرازها فيما يلي:

أولاً: التشكيك .

ثانياً: التشريك في الألوهية .

ثالثاً: الغلو في المخلوقين ودعاؤهم من دون الله .

رابعاً: التعلق بالآثار .

خامساً: التصوير ، ونصب الأنصاب وإقامة التماثيل .

سادساً: التحليل والتحريم ، والقول على الله بغير علم .

سابعاً: تحريف الأديان .

ثامناً: السحر والكهانة .

تاسعاً: التقليد .

وإليك شرحها وتوضيحها .

أولاً: التشكيك: يحاول إبليس جاهداً أن يشكك العبد في خالقه سبحانه بشتى الطرق والأساليب ، ولهذا يتخذ لذلك عدة أساليب منها (٢) :

أ- التشكيك في الخالق جل وعلا: ففي الحديث «يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربك فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته» (٣) .

وعن ابن عباس قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله: إني لأحدث نفسي بالشيء لأن أخر من السماء أحب إليّ من أن أتكلم به ، قال: فقال النبي ﷺ : «الله أكبر ، الله أكبر ، الحمد لله الذي ردَّ كيده إلى الوسوسة» (٤) .

---

(١) رواه مسلم في كتاب الفتن ، شرح النووي ، (١٨/ ٧٦) ، وأحمد في المسند ، رقم ٦٥٥٥ .
(٢) اقتبست بعض العناوين من كتاب عالم الجن ، ص ٥٢٩ وما بعدها ، لفواز عبدالله .
(٣) رواه البخاري ، رقم ٣١٠٢ (٣/ ١١٩٤) . ورواه مسلم ، رقم ١٣٤ ، (١/ ١٢٠) .
(٤) أخرجه أحمد في مسنده ، (١/ ٢٣٥) ، وأبو داود (٥/ ٣٣٦) ، بنحوه ، وابن حبان في صحيحه ، (١/ ٣٦٢) ، رقم ١٥٠ ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ، وابن خزيمة في صحيحه ، رقم ٢٥٥٩ .

وهو لا ييأس من حملته في التشكيك، ففي الحديث: «لن يدع الشيطان أن يأتي أحدكم فيقول: من خلق السموات والأرض؟ فيقول: الله، فيقول: من خلقك؟ فيقول: الله، فيقول: من خلق الله؟ فإذا أحس أحدكم بذلك فليقل: آمنت بالله ورسله» [١].

«وقد يأتي بصورة رجل ليشكك العباد في دينهم كما في الحديث عن ابن عمر قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ فجاء رجل من أقبح الناس وجهاً وأقبحهم ثياباً وأنتن الناس ريحاً جلق [٢] جاف يتخطى رقاب الناس حتى جلس بين يدي رسول الله ﷺ، فقال: من خلقك؟ فقال رسول الله ﷺ: الله، قال: من خلق الناس؟ قال: الله. قال: من خلق الأرض؟ قال: الله. قال: من خلق الله؟ فقال رسول الله ﷺ: سبحان الله. وأمسك بجبهته وطأطأ رأسه، وقام الرجل فذهب فرفع رسول الله ﷺ رأسه فقال: عليَّ بالرجل، فطلبناه فكأن لم يكن فقال رسول الله ﷺ: هذا إبليس جاء ليشككم في دينكم) [٣].

ب- **التشريك في ألوهية الخالق**: فحيث عجز إبليس عن حمل العباد على الكفر والإلحاد، اتخذ أسلوباً آخر ألا وهو التشريك في ألوهية الخالق وأنه المستحق وحده للعبادة دون سواه.

فزين لهم عبادة الأصنام، ودعاءها من دون الله والاستغاثة بها، وزين لهم التبرك بالأولياء والصالحين وعبادتهم من دون الله، وزين لهم التمسح بالقبور والأضرحة، والبناء عليها والذبح والنذر لها من دون الله.

وزين لهم الاعتقاد في الأجرام السماوية واتخاذها إلهاً معبوداً من دون الله. وزين لهم التمسك بما كان عليه آباؤهم وأسلافهم من الشرك والوثنية. إلى غير ذلك من الشرك

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه رقم: ١٥٠ (١/ ٣٦٢).

(٢) جلق الرأس أي محلوق الشعر وهي صفة ذم يقال للرجل جوالق عند إرادة ذمه، انظر لسان العرب (١٠/ ٣٦) النهاية في غريب الحديث (١/ ٢٨٧).

(٣) رواه البيهقي في دلائل النبوة (٧/ ١٢٥)، والطبراني في المعجم الأوسط رقم: ٥٩٦٦ (٦/ ١١٤)، والذهبي في ميزان الاعتدال (٢/ ٤٠٢) في ترجمة عبدالله بن جعفر، أحد رواة الحديث، وقال عنه: «متفق على ضعفه» ا.هـ، وتشهد له الأحاديث التي قبله.

الصريح أو وسائله.

جـ- إنكار العقائد الإيمانية الغيبية: كالإيمان بالملائكة والجن واليوم الآخر، والبعث حتى أنكر كثير من الخلق وجود الملائكة والجن واليوم الآخر وأَوَّلوا النصوص الواردة في إثباتها بنوع من التعسف والتحريف، وإنكار القدر والتكذيب به - كما سيأتي إن شاء الله - .

ثانياً: الغلو في المخلوقين ودعاؤهم من دون الله: سواء كانوا أنبياء أو صالحين أو ملائكة؛ إذ زين الشيطان لهم دعاءهم والاستغاثة بهم وطلب الشفاعة منهم، حيث يتخذ الشيطان من ذلك وسيلة لإيقاع البشر في الشرك والكفر؛ إذ حسن لهؤلاء الخلق أن هؤلاء عباد صالحون وأنبياء مقربون، وأنهم من أولياء الله ،حتى يعتقد العبد العابد لهم بأنه بهذا العمل مطيع لله حيث أحب من أحب الله، فكانت الشياطين تتصور لهم في صورة الشخص المستغاث به وتقضي حوائجهم وتخاطبهم، وتدخل في قبورهم وترد على من يدعو القبر أو يستغيث به حتى زادهم هذا الأمر فتنة وضلالاً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : «وأعرف من ذلك وقائع كثيرة في أقوام استغاثوا بي وبغيري في حال غيبتنا عنهم فرأوني أو ذاك الآخر الذي استغاثوا به قد جئنا في الهواء ورفعنا عنهم، ولما حدثوني بذلك بينت لهم أن ذلك إنما هو شيطان تصور بصورتي وصورة غيري من الشيوخ الذين استغاثوا بهم ليظنوا أن تلك كرامات للشيخ فتقوى عزائمهم في الاستغاثة بالشيوخ الغائبين والميتين» (١) أ. هـ.

وقد حذر رسول الله ﷺ أمته من الغلو أشد التحذير فقال: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، فإنما أنا عبده فقولوا عبدالله ورسوله»، وبين أنه سبب لهلاك الأمم «إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين».

حيث حسن الشيطان لعباد القبور دعاء هؤلاء الأموات واعتقاد أن بيدهم النفع

(١) التوسل والوسيلة، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص ٣٠١.

والضر والشفاعة عند الله لهؤلاء الداعين بشبهة ألقاها لهم فيقولون: «نحن نشهد أن لا إله إلا الله، ونشهد أن محمد رسول الله ونعتقد أن الله هو الخالق وهو الرازق وهو المدبر . . . ونحن نعلم أن الميت (الولي) لا يملك النفع والضرر وحده ولكنه رجل صالح وله جاه عند الله، فنحن ندعوه ونتوسل به إلى الله ليشفع لنا عند الله في قبول دعائنا، فهو الواسطة بيننا وبين الله لأننا مقصرون في طاعة الله . . . فإذا سألنا الله بلا واسطة قد لا يستجيب دعاءنا لكثرة ذنوبنا، لكن نجعل الولي هو الواسطة بيننا وبين الله» (١) .

وهي شبهة المشركين كما قال تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ ﴾(٢) والمتأمل لحال أغلب المسلمين اليوم يجدهم وقد تعلقوا بهؤلاء الأموات الذين لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً بل هم أحوج لدعاء الأحياء.

وكلما مات رجل واعتقدوا صلاحه بنوا على قبره مسجداً واتخذوه مزاراً وأقاموا عليه الموالد وصرفت لأجل ذلك النذور، والتمس في تراب قبره البركة والشفاء (٣) .

يقول الإمام السيوطي - رحمه الله - : «ولهذا تجد أقواماً كثيرين من الضالين يتضرعون عند قبور الصالحين ويخشعون، ويتذللون، ويعبدونهم بقلوبهم عبادة لا يفعلونها في بيوت الله . . . بل ولا في الأسحار بين يدي الله تعالى» (٤) أ. هـ.

---

(١) الآيات البينات في تحريم دعاء الأموات، علي بابكر، ص ٢٠، ط. الأولى، ١٤١٨هـ.

(٢) سورة يونس، الآية: ١٨ .

(٣) انظر: تطهير الاعتقاد، للشوكاني، ص ٢٤ .
وتأمل حال أغلب بلاد المسلمين اليوم ففي مصر يدعون ضريح البدوي والسيدة زينب والرفاعي، وفي حضر موت بحر النور، وفي العراق والهند يدعون عبدالقادر الجيلاني.
وتأمل حال الرافضة وكيف اتخذوا من مشهد الحسين وثناً وخالقاً . . . نعوذ بالله من الضلال.

(٤) الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع، للسيوطي، ص ١٣٨، تحقيق: مشهور حسن سلمان.

وأكثر ما يظهر ذلك جلياً عند الصوفية [١] والشيعة [٢] – أخزاهم الله – حيث وصفوا مشايخهم وأئمتهم بصفات الألوهية والربوبية، وادعوا لهم العصمة من جميع الذنوب والخطايا، بل وجعلوهم في منزلة تفوق منازل الأنبياء والمرسلين [٣].

يقول صاحب علي حرازم: «قطب الأقطاب في كل وقت لا تقع بينه وبين الرسول ﷺ صحابيه أصلاً، وحيثما جال رسول الله ﷺ من حضرة الغيب ومن حضرة الشهادة إلا وعين قطب الأقطاب متمكنة من النظر إليه، لا يحتجب عنه في كل لحظة من اللحظات» [٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: «ثم إن الغلو في الأنبياء والصالحين قد وقع في طوائف من خلال المتعبدة والمتصوفة، حتى خالط كثير منهم من مذهب الحلول والاتحاد ما هو أقبح من قول النصارى، أو مثله، أو دونه» [٥].

وهذا ما حصل فعلاً إذ يقول قائلهم [٦] في مدح الرسول ﷺ:

---

(١) الصوفية فرقة كانت تدعو إلى الزهد والعبادة والانقطاع عن الترف والملذات ثم تحولت إلى انحراف فكري واتخذت لها طرقاً متنوعة وهم أقسام متعددة منهم: الحلولية القائلون بحلول الله تعالى في بعض مخلوقاته، ومنهم الوجودية القائلون بوحدة الوجود، ومنهم الإباحية، ومنهم القبورية عباد قبور الأنبياء والأولياء، ومن أبرز من دعا إلى الحلول والاتحاد الحلاج وابن الفارض وابن عربي والتلمساني وغيرهم. ومن أبرز الطرق الصوفية التيجانية والرفاعية والشاذلية والنقشبندية، مجموع الفتاوى (١١/ ٥-٧)، الموسوعة الميسرة (٢/ ٢٤٩ وما بعدها).

(٢) الشيعة: هم الذين شايعوا علياً وادعوا إمامته وخلافته وتقديمه على أبي بكر وعمر، وادعوا العصمة للأئمة من الصغائر والكبائر مطلقاً، وهم فرق كثيرة وأصولها ثلاث: الغلاة، والإمامية، والزيدية، انظر: المقالات لأبي الحسن الأشعري ص٥ وما بعدها، الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٤٦).

(٣) انظر: الشيعة والسنة، لإحسان إلهي ظهير، ص ٥٦.

(٤) جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض لعلي حرازم ابن العربي براده، ص ٦٣.

(٥) اقتضاء الصراط المستقيم، (١/ ٧٦).

(٦) هو محمد بن سعيد بن حماد بن عبدالله البوصيري المصري، شاعر، نسبته إلى بوصير من أعمال بني سويف، بمصر، أصله من المغرب، توفي بالاسكندرية، سنة ٦٩٦هـ، له ديوان شعر وأشهر شعره البردة، شرحها وعارضها الكثيرون، انظر: الأعلام، للزركلي، (٦/ ٢٣٩).

فـــإن مـــن جـــودك الـــدنيا وضـــرتها

ومـن علومـك علـم اللـوح والقلـم (١)

ويقول أيضاً:

دع مـــا ادعتـــه النـــصارى في نبـــيهم

واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكـــم (٢)

نعوذ بالله من الضلال!!

وغلاة الشيعة يقولون: «كما إن النبي مرسل من عند الله فأمير المؤمنين علي مرسل من عند الله هو وبقية الأئمة جميعهم، وليس من حق الإمام أن يعين خليفة»(٣) .

ويقول الخميني: «وعلينا أن لا ننسى بأن النذر للنبي أو الإمام يكون صحيحاً ومشروعاً عندما يكون النذر للإله ويوضع موضع التنفيذ وآنذاك فإن النبي والإمام هما اللذان يعطيان ثوابه وإلا فإنه يعتبر باطلاً بل وقد يكون حراماً» (٤) !!

«فالرافضة غلوا في الرسل بل في الأئمة حتى اتخذوهم أرباباً من دون الله فتركوا عبادة الله وحده لا شريك له . . .» (٥) .

ثالثاً: التعلق بالآثار:وأما التعلق بالآثار، والتماس البركة فيها وتخصيصها بنوع معين من العبادة كالتقبيل أو التمسح أو الطواف أو الصلاة والذكر والدعاء، ونحو ذلك مما لم يشرع فكل ذلك من البدع ومما كاد به إبليس البشر لإيقاعهم في الشرك والكفر.

ومن هذه الآثار بعض المساجد في مكة والمدينة وبلاد الشام، وبعض الجبال،

---

(١) ديوان البوصيري، ص ٢٠٠، تحقيق، محمد سيد.

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٣) الثورة الإيرانية في ميزان الإسلام، محمد منظور نعماني، ص ١٣٦ .

(٤) كشف الأسرار، للخميني، ص ١٤٠، الخميني بين التطرف والاعتدال، د. عبدالله الغريب، ص ٤٣ .

(٥) منهاج السنة، لابن تيمية، (١/ ٤٧٥).

كجبل حراء [١] وثور [٢] وعرفات [٣] وأحد [٤] والطور [٥] ، وبعض الدور كدار الأرقم[٦] ودار خديجة أم المؤمنين ، وبعض المقابر والموالد ، كموضع مولد النبي ﷺ ومولد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وفاطمة ، ومن ذلك أيضاً التبرك بالصخرة التي ببيت المقدس والتبرك بالأشجار والأحجار [٧] .

ولم يستثن من ذلك إلا ما جاء الشرع بالإذن به كالمساجد الثلاثة والكعبة المشرفة والحجر الأسود .

حيث ثبت في الحديث عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام ومسجد الرسول ﷺ والمسجد الأقصى**» [٨] .

وفي الصحيحين عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه جاء إلى الحجر الأسود فقبله فقال: «إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك» [٩] .

ولذا قال ابن القيم - رحمه الله - : «ليس على وجه الأرض موضع يشرع تقبيله واستلامه وتحط الخطايا والأوزار فيه غير الحجر الأسود والركن اليماني» [١٠] .

ولقد لبس عليهم إبليس حتى جعلهم يعظمون أماكن وآثاراً ليس فيها أي أثر لما

---

(١) يقع شرق مكة ، وفيه الغار الذي كان الرسول ﷺ يتعبد فيه . معجم البلدان للحموي (٢/ ٢٣٣) .
(٢) يقع جنوب مكة ، وفيه الغار الذي اختفى فيه الرسول ﷺ مع أبي بكر حين هاجر إلى المدينة . انظر: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام (٢/ ٢٨١) ، تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي .
(٣) الجبل المعروف بمكة والذي يقف عنده الحجيج يوم عرفة ويسمى جبل الرحمة .
(٤) يقع شمال المدينة وعنده وقعت معركة أُحد المشهورة .
(٥) يقع شرقي القدس في صحراء سيناء بمصر حالياً ويسمى بجل الزيتون . معجم البلدان (٤/ ٤٨) .
(٦) تقع عند الصفا ، وهي الدار التي كان يدعو فيها النبي ﷺ إلى الإسلام: أخبار مكة (٤/ ١٢) .
(٧) انظر: التفصيل في ذلك في كتاب التبرك ، د . ناصر الجديع ، ص ٤٢٨-٤٦٤ .
(٨) رواه البخاري رقم١١٣٢ (١/ ٣٩٨) ، ومسلم ، رقم ١٣٩٧ ، (٢/ ١٠١٤) ، «بلفظ مسجدي هذا»
(٩) رواه البخاري ، (٢/ ٥٨٢) ، رقم ١٥٨٢ ، ورواه مسلم ، (٢/ ٩٢٥) ، رقم ١٢٧٠ ، واللفظ لمسلم .
(١٠) زاد المعاد ، (١/ ٤٨) ، وانظر: مجموع الفتاوى ، (٢٧/ ٧٩) .

يزعمونه من بركة ميت أو نحو ذلك مما يعظم.

قال أبو شامة [(١)] – رحمه الله – : «مما قد عم الابتلاء به من تزيين الشيطان للعامة تخليق الحيطان والعمد، وسرج مواضع مخصوصة في كل بلد، يحكي لهم حاك أنه رأى في منامه بها أحداً ممن شهر بالصلاح والولاية فيفعلون ذلك، ويحافظون عليه مع تضييعهم فرائض الله تعالى وسننه، ويظنون أنهم متقربون بذلك.

ثم يتجاوزون هذا إلى أن يعظم وقع تلك الأماكن في قلوبهم فيعظمونها ويرجون الشفاء لمرضاهم وقضاء حوائجهم بالنذر لها، وهي من بين عيون وشجر وحائط وحجر، وفي مدينة دمشق – صانها الله تعالى من ذلك – مواضع متعددة...» ا.هـ [(٢)].

ومما يجدر التنبيه له ما نسمع به في هذا الزمان من تعظيم الآثار والعناية بها وزيارتها وإن لم يكن ذلك بقصد العبادة، وهذا مخالف للأدلة وما عليه سلف الأمة من الصحابة ومن جاء بعدهم من التابعين، ولما فيه من مشابهة الكفار، وتبذيرٍ للأموال والأوقات في غير طائل، وهي من وسائل الشرك ومن البدع المحدثة [(٣)].

رابعاً: **التصوير ونصب الأنصاب وإقامة التماثيل:** لقد كاد إبليس الأمم بهذه المكيدة العظيمة، حيث أغراهم بتصوير الصور ونصب الأنصاب، التي عبدت من دون الله، روى ابن جرير عن محمد بن قيس [(٤)] قال – في قوم نوح – : «كانوا قوماً صالحين من بني

---

(١) هو أبو القاسم عبدالرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي، المشهور بأبي شامة، شافعي المذهب، ولد سنة ٥٩٩هـ، وتوفي سنة ٦٥٥هـ، من كتبه الرؤية، الباعث على إنكار البدع والحوادث، كان أحد الائمة، تلا على السخاوي، وعني بالحديث. وانظر: طبقات الشافعية الكبرى، ٨/ ١٦٥-١٦٩.

(٢) الباعث على إنكار البدع والحوادث، لأبي شامة، ١٠١.

(٣) انظر مجموع فتاوى الشيخ بن باز، الجزء الأول، وفي موقع الشيخ على شبكة المعلومات، رد طويل على مقال للمدعو صالح محمد جمال بعنوان (الآثار الإسلامية) ونشر في صحيفة الندوة في عددها الصادر ٢٤/ ٥/ ١٣٨٧هـ.

(٤) محمد بن قيس ابن مخرمة بن المطلب، روى عن النبي ﷺ مرسلاً، وعن أبي هريرة وعائشة وعن أمه عن عائشة... قال أبو داود ثقة وذكره ابن حبان في الثقات..» تهذيب التهذيب، ٩/ ٣٦٦.

آدم، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صورناهم، كان أشوق لنا على العبادة إذا ذكرناهم، فصوروهم، فلما ماتوا وجاء آخرون دبَّ إليهم إبليس، فقال: إنما كانوا يعبدونهم، وبهم يسقون المطر فعبدوهم [(١)]، وهكذا بدأت عبادة الأنصاب في قوم نوح ثم انتقلت إلى جزيرة العرب على خلاف في كيفية انتقالها [(٢)] والراجح أنها انتقلت عن طريق عمرو بن لحي الخزاعي [(٣)]، ومما يؤيد ذلك قوله ﷺ في الحديث: «رأيت عمرو بن لحي الخزاعي يجر قصبه في النار، وكان أول من سيب السوائب» وفي لفظ «وغير دين إبراهيم» [(٤)].

ثم بعد ذلك أصبح لكل دار صنم يعبدونه من دون الله ويتمسحون به [(٥)].

«ولما فتح رسول الله ﷺ مكة وجد حول البيت ثلاثمائة وستين صنماً فجعل يطعن بسهه قوسه في وجوهها وعيونها ويقول: ﴿ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾[(٦)]، وهي تتساقط على رؤوسها، ثم أمر بها فأخرجت من المسجد وحرقت»[(٧)]، والمتتبع للنصوص يتبين له مكايد الشيطان في إغواء الخلق بعبادة الصور والتماثيل من خلال:

١- تعظيم الموتى كما سبق بيانه حيث تصور هذه التماثيل على صورهم وتسمى بأسمائهم، ثم تعبد من دون الله جل وعلا وهذا كما حصل لقوم نوح عليه السلام.

---

(١) رواه ابن جرير في تفسيره، (١٤/ ٩٨-٩٩)، وأصله في الصحيحين ،انظر:ص ١١.

(٢) انظر: رسالة الشرك ومظاهره، تأليف: مبارك الميلي، ص٦٩-٧١.

(٣) هو عمرو بن لحي بن حارثة بن عمر ابن عامر الأزدي، وهو جد خزاعة، تولى الحجابة بمكة، وزار بلاد الشام فلما وصل مآب من أرض البلقاء وجدهم يعبدون الأصنام، فأعجبه ذلك فطلب منهم أن يعطوه صنماً فأعطوه «هبل» فقدم به على مكة ونصبه للعبادة والتعظيم، فكان أول من فعل ذلك من العرب. انظر: السيرة لابن هشام، (١/ ١٢١-١٢٣)، البداية والنهاية، (٢/ ١٧٤).

(٤) رواه البخاري، رقم ٤٣٤٨، (٤/ ١٦٩١)، عن عائشة رضي الله عنها.

(٥) انظر: إغاثة اللهفان، (٢/ ٣٠٩).

(٦) سورة الإسراء، الآية: ٨١.

(٧) إغاثة اللهفان، (٢/ ٣١٤).

٢- تعظيم الكواكب والأجرام السماوية ، فكانوا ينحتون هذه التماثيل على صور هذه الكواكب والأجرام السماوية باعتبارها مؤثرة عندهم في هذا العالم كالزهرة والشمس ، والقمر ، . . . . إلخ .

٣- الغلو في المخلوق كما الحال عند النصارى ؛ فلا تجد كنسية من كنائسهم تخلو من صور للمسيح وغيره من الحواريين وهم يسجدون لها ، ويدعونها من دون الله[(١)] .

وهم عندما يعبدون هذه الصور والتماثيل ، لا يعتقدون أنها تخلق وترزق ، إنما كانوا يعبدونها باعتبار أنهم يعبدون تلك المخلوقات التي يعظمونها كالملائكة والجن والصالحين [(٢)] .

وأحياناً يعظمون مخلوقات من الجمادات ، كالنار والشجر والماء عند الحلبانية [(٣)] .

٤- دخول الشياطين في هذه الأصنام ومخاطبة عابديها وإخبارهم بالمغيبات مما زادهم بها فتنة وضلالاً ، ولهذا قال تعالى على لسان إبراهيم – عليه السلام – مبيناً عظم ضلال عباد القبور: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾[(٤)] .

فهؤلاء العباد إنما هم في الحقيقة عابدون للشيطان ، كما بين ذلك سبحانه في قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَهَـٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟

---

(١) انظر: إغاثة اللهفان ، (٢/٤٠٨) .

(٢) انظر: مجموع الفتاوى ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، (١/ ٣٦١-٣٦٢) .

(٣) «تزعم هذه الفرقة أن الماء لما كان أصلاً لكل شيء وبه كل ولادة ونشوء وطهارة وعمارة ، وما من عمل في الدنيا إلا ويحتاج إلى الماء فكان حقه أن يعبد» . إغاثة اللهفان ، (٢/ ٣٤٤) ، وانظر: للاستزادة ، (٢/ ٣٤١) وما بعدها .

(٤) سورة إبراهيم ، الآيتان: ٣٥-٣٦ .

سُبْحَنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[١] .

«ولهذا نهى النبي ﷺ عن الصلاة وقت طلوع الشمس ووقت غروبها ، فإن الشيطان يقارنها حينئذ حتى يكون سجود عباد الشمس له وهم يظنون أنهم يسجدون للشمس وسجودهم للشيطان ، وكذلك أصحاب دعوات الكواكب الذين يدعون كوكباً من الكواكب ويسجدون له ويناجونه ويدعونه ويصنعون له من الطعام واللباس والبخور والتبركات ما يناسبه . . . فإن هؤلاء تنزل عليهم أرواح تخاطبهم ببعض الأمور ، ومنهم من يظن أنها ملائكة وإنما هي شياطين تنزل عليهم» [٢] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : «والمشركون الذين وصفهم الله ورسوله بالشرك أصلهم صنفان: قوم نوح وقوم إبراهيم ، فقوم نوح كان أصل شركهم العكوف على قبور الصالحين ثم صوروا تماثيلهم ، ثم عبدوهم . وقوم إبراهيم كان أصل شركهم عبادة الكواكب والشمس والقمر . وكل من هؤلاء يعبدون الجن . . .» [٣] .

خامساً: التحليل والتحريم والقول على الله بغير علم: ومن مكايد الشيطان التي كاد بها الخلق لإيقاعهم في الكفر تحريم الحلال وتحليل الحرام واتخاذ قوانين وصيغة يحكمون بها سائر شؤون حياتهم ، وهذا من عبادة غير الله كما صرح بذلك رسول الله ﷺ في حديث عدي بن حاتم [٤] - رضي الله عنه - قال: أتيت رسول الله ﷺ وفي عنقي صليباً من ذهب فقال يا عدي!! اطرح عنك هذا الوثن ، وسمعته يقرأ في سورة براءة: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[٥] قال: «أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم ، ولكنهم كانوا

---

(١) سورة سبأ ، الآيتان: ٤٠-٤١ .

(٢) مجموع فتاو ى شيخ الإسلام ابن تيمية ، (١٠/ ٤٥٠-٤٥١) .

(٣) المرجع السابق ، (١/ ١٥٧) .

(٤) عدي بن حاتم بن عبدالله بن سعد بن امرئ القيس بن عدي الطائي ، ولد الجواد المشهور . . . أسلم سنة تسع وقيل سنة عشر ، وكان نصرانياً قبل ذلك ، وشهد فتوح العراق ثم سكن الكوفة وشهد صفين مع علي ، ومات بعد الستين ، قيل في زمن المختار ، كان من الأجواد العقلاء ورئيس طيء في الجاهلية والإسلام ، انظر: الإصابة ، (٤/ ٢٢٨-٢٢٩) ، الأعلام ، للزركلي ، (٤/ ٢٢٠) .

(٥) سورة التوبة ، الآية: ٣١ .

إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه»[١] .

وقد ذم الله المشركين المستحلين لما حرم في آيات كثيرة منها: قوله تعالى: ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَـٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾[٢] .

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَـٰذَا ۖ فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴾[٤] .

فمن لم يفرد الله تعالى بالحاكمية، فهو منكر مكذب بآياته الشرعية والكونية، فأما الشرعية فالقرآن حافل بالآيات التي تنص على وجوب الحكم لله كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾[٥]، وقوله: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾[٦]، وقوله تعالى: ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾[٧] .

---

(١) رواه الترمذي، رقم ٣٠٩٥، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبدالسلام بن حرب وغطيف بن أعين ليس بمعروف في الحديث . أ. هـ . ورواه ابن جرير في تفسيره، (٦/ ١١٤)، =
=وفي سنده غطيف بن أعين، وروى نحوه من عدة طرق، وراه موقوفاً على حذيفة بن اليمان وابن عباس والحسن وابن البحتري وغيرهم، ونسبه ابن كثير في تفسيره، (٣/ ٣٨٥)، للإمام أحمد والترمذي، وقد حسنه الشيخ ناصر الألباني في غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام، ص ٢٠»أ.هـ . (٢/ ٤٣٨-٤٣٩) .

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٤٠ .

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٥٠ .

(٤) سورة التوبة، الآية: ٢٩ .

(٥) سورة المائدة، الآية: ٤٤ .

(٦) سورة المائدة، الآية: ٤٥ .

(٧) سورة المائدة، الآية: ٤٧ .

وهو مكذب بالآيات الكونية، إذ من يقر بأن الله تعالى هو الخالق الرازق المدبر كيف يتخذ سواه حاكماً ومشرعاً؟! فالحكم بما أنزل الله هو في الحقيقة إقرار بألوهية الله تعالى ونفي ألوهية ما سواه (١).

وتظهر مكايد الشيطان في هذه القضية أنه أوهم كثيراً من حزبه وأوليائه أنه لا علاقة لهذا الدين بقضية التشريع والحاكمية، إذ إن الدين هو علاقة العبد بربه وماعدا ذلك من شؤون الحياة فلا دخل له بها، وهكذا انفصلت الحياة السياسية والتشريعية عن الدين فصلاً تاماً في كثير من بلدان المسلمين ولم تبق إلا بقية باقية في بعض الدول الإسلامية، وهذا أبرز ما دعت إليه العلمانية (٢) ومن أقبح ثمارها الخبيثة.

ولهذا عده شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب – رحمه الله – من نواقض الإسلام العشرة فقال: «الرابع: من اعتقد أن هدي النبي ﷺ أكمل من هديه أو أن حكم غيره أحسن من حكمه كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكمه فهو كافر» (٣) أ. هـ.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية في الرد على من يقول بالحكم بما أنزل الله في بعض الأمور دون بعضها: «فإذا كان بعض الدين لله وبعضه لغير الله وجب القتال حتى يكون الدين كله لله».

وقال أيضاً: «ومعلوم بالاضطرار من دين المسلمين واتفاق جميع المسلمين أن من سوغ اتباع غير دين الإسلام أو اتباع شريعة غير شريعة محمد ﷺ فهو كافر وهو ككفر من آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض الكتاب، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب، (٣/ ١٢٢٨) و(٢/ ٨٢٨).

(٢) العلمانية: وهي تعني اللادينية أو الدنيوية، وهي دعوة إلى إقامة الحياة بعيداً عن الدين، نشأت في أوروبا نتيجة لهيمنة الكنسية واستبدادها، ثم انتقلت إلى البلاد العربية والإسلامية بعد الاستعمار، وكان لها دعاة حملوا لواءها ونشروها، ومن أبرزهم كمال أتاتورك حاكم تركيا، وقاسم أمين، وطه حسين، وغيرهم، انظر: الموسوعة الميسرة، ص ٣٦٥، العلمانية، د. سفر الحوالي.

(٣) مجموع التوحيد، ص ٢٧، لابن تيمية ومحمد بن عبدالوهاب، ونخبه من العلماء.

بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلاً ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ ﴾[1] . . .»[2] أ. هـ.

ويقول – رحمه الله – :«كل طائفة خرجت عن شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة فإنه يجب قتالها باتفاق أئمة المسلمين وإن تكلمت بالشهادتين ، فإذا أقروا بالشهادتين وامتنعوا عن الصلوات الخمس وجب قتالهم حتى يصلوا وإن امتنعوا عن الزكاة وجب قتالهم حتى يؤدوا الزكاة . . . وكذلك إن امتنعوا عن الحكم في الدماء والأموال والأعراض والأبضاع ونحوها بحكم الكتاب والسنة . . .»[3] أ. هـ.

وهل لدين أكمله رب الأرباب أن يكمله البشر أو يدعون ذلك؟!! ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ﴾ .

ومن اطلع على أسباب ظهور العلمانية في أوربا علم علماً يقيناً أنه لا مجال لها في ديار الإسلام ، فأسباب ظهورها هناك لا وجود لها في بلاد الإسلام ولا حول ولا قوة إلا بالله[4] .

وأما القول على الله بغير علم ، فيقول تعالى في تحريمه: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[5] .

اعلم أن أصل الشرك والكفر: «هو القول على الله بلا علم . فإن المشرك يزعم أن من اتخذه معبوداً من دون الله ، يقربه إلى الله ، فكل مشرك قائل على الله بلا علم . دون العكس ، إذ القول على الله بلا علم قد يتضمن التعطيل والابتداع في دين الله . فهو أعم

---

(١) سورة النساء ، الآيتان: ١٥٠-١٥١ .
(٢) الفتاوى الكبرى ، لابن تيمية ، (٤/ ٢٨٦) .
(٣) المرجع السابق ، ٤/ ٢٧٩ .
(٤) انظر: العلمانية وأسباب ظهورها ، د . سفر الحوالي ، وتهافت العلمانية ، لعماد الدين خليل .
(٥) سورة الأعراف ، الآية: ٣٣ .

من الشرك . والشرك فرد من أفراده» [١] .

ولهذا فالقائلون على الله بلا علم هم سبب ضلال الأمة في آخر الزمان كما ثبت في حديث عبدالله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ : «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً من الناس ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء . حتى إذا لم يبق عالماً ، اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا» [٢] .

قال الشاطبي - رحمه الله - تعليقاً على هذا الحديث:

«وهذا إخبار بمقدمة أنتجتها الفتيا بغير علم . . . وذلك أن الناس لا بد لهم من قائد يقودهم في الدين . وإلا وقع الهرج وفسد النظام ، فيضطرون على الخروج إلى من انتصب لهم منصب الهداية ، وهو الذي يسمونه عالماً فلا بد أن يحملهم على رأيه في الدين ، لأن الفرض أنه جاهل فيضلهم عن الصراط المستقيم ، كما أنه ضال عنه ، وهذا عين الابتداع» [٣] أ . هـ .

ولهذا كان من مكايد الشيطان لإيقاع البشر في الكفر والشرك أن زين لهم القول على الله بلا علم ، إما رغبة في الرياسة والصدارة وتقرباً للحكام والسلاطين ، وإما خوفاً من الاتصاف بالجهل ، وإما تهاوناً بشرع الله واتباعاً للرخص واستحساناً في دين الله ما لم يشرع بحجة أن الناس بحاجة إليه وأنه لا ينافي أصول الدين .

ومن هنا أوقعهم الشيطان في عدة أمور منكرة منها:

١ - الكذب والافتراء على الخالق سبحانه وتعالى .

٢- الأمر بما لم يأمر به الحق .

٣- التبديل والتغيير للأديان السماوية .

---

(١) مدارج السالكين ، لابن القيم ، ١/ ٣٧٣ ، وانظر: تعليق الشيخ حامد الفقي على المدارج .

(٢) رواه البخاري ، (١/ ١٧٤) ، ورواه مسلم ، رقم ٢٦٧٣ ، (٤/ ٢٠٥٩) .

(٣) الاعتصام ، للشاطبي ، (٢/ ٨٣) .

٤- وصف الله سبحانه بما لا يليق به جل وعلا .

٥- وأخيراً الوقوع في الشرك والكفر والبدع [١] .

سادساً: تحريف الأديان السماوية: لقد سعى إبليس - لعنه الله - لصرف الناس عن عبادة الله ، خصوصاً من لديهم كتب سماوية ، وهم على هدى وبينه ، إلى تحريف أديانهم وكتبهم السماوية حتى لم يبق من هذه الأديان سوى الأسماء .

يقول ابن القيم - رحمه الله - : «أخذ دين المسيح في التبديل والتغيير حتى تناسخ واضمحل ولم يبق بأيدي النصارى منه شيء ، بل ركبوا ديناً بين دين المسيح ودين الفلاسفة عباد الأصنام ، وراموا بذلك أن يتلطفوا للأمم حتى يدخلوهم في النصرانية . . .»[٢] أ . هـ .

فدعا إبليس أهل الكتاب إلى:

١- تعطيل الخالق والغلو في المخلوق حتى جعلوه شريكاً واتخاذ القبور مساجد كما سبق بيانه [٣] .

٤- التحايل على شرع الله ، كما هو الحال عند اليهود ، فكلما حرم الله عليهم شيئاً تحايلوا على أكله واستحلاله .

حيث حرم عليهم الصيد يوم السبت فتحايلوا حتى أمسكوا الحيتان في يوم الأحد ، وإرسال الشباك يوم السبت ، ولما حرم الله عليهم الشحوم أذابوها ثم باعوها ، وأكلوا ثمنها .

٥- قتل الأنبياء والرسل الذين جاؤوهم بالهداية والنور ، واتخاذهم الأحبار والرهبان أنداداً من دون الله [٤] .

---

(١) انظر: مدارج السالكين ، لابن القيم ، (١/ ٣٧٢) .

(٢) إغاثة اللهفان ، (٢/ ٣٨٤) .

(٣) انظر ص ٨١ وما بعدها .

(٤) انظر: إغاثة اللهفان ، ٢/ ٤٣٧ .

ولقد اتخذ إبليس طرقاً من التحايل والتلبيس حتى أوقعهم في هذا الكفر والضلال من ذلك:

- إجراء خوارق ظنوها من المعجزات وهي عبارة عن أحوال شيطانية وأفعال سحرية .
- نقل أخبار تناقلوها ظناً منهم أنهم صحيحة ، وهي كذب وافتراء .
- تصور الشياطين بصور صالحيهم ، وأحياناً بصورة المسيح – عليه السلام – وأحياناً أخرى تتمثل لهم الشياطين وتقول للشخص: أنا ربك ، وتخاطبهم بأمور هي سبب ضلالهم حتى ضلوا وأشركوا بالله وعصوا رسله [١] .

سابعاً: السحر والكهانة: وقد سبق الكلام عن السحر ، وسيأتي مزيد من التفصيل – إن شاء الله – ولكن المقصود هنا بيان مكايد الشيطان في إيقاع البشر في الشرك والكفر من خلال السحر ، حيث تظهر لنا مكايده في هذا الشأن من خلال:

- أن من يتعاملون بالسحر – غالباً – لا بد أن يسجدوا للشياطين ، وقد تطلب منهم الشياطين إهانة القرآن أو فعل الفاحشة أو أكل الميتة وشرب الخمر ، وقد زين لهم الشيطان أعمالهم هذه ، فأكلوا أموال الناس بالباطل .
- إيهام العوام والسذج ، ومن قل فهمه لهذا الدين بأن في السحر تحقيق لرغباتهم وقضاء لسائر حوائجهم التي لا يقدر عليها أحد من البشر ، ولهذا تمت خدعتهم ووقع ضحية هذا البلاء كثير من البشر .
- التمويه والخداع حيث كانت الشياطين تحمل السحرة في الهواء ، وتسير بهم فوق الماء ، مما زاد الناس بهم فتنة .
- إغراء الشيطان للسحرة بالحصول على المال والشهرة والجاه والسلطان ، فزادهم ذلك طمعاً وشحاً .

---

(١) فتح المنان في جمع كلام شيخ الإسلام ، أبي عبيدة مشهور بن حسن ، ص ١٨٢-١٨٣ .

قال ابن تيمية معلقاً على قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾ [(١)] .

«لما مات سليمان عمدت الشياطين إلى أنواع من الشرك فكتبوها ووضعوها تحت كرسيه، وقالوا: كان سليمان يُسَخِّر الجن بهذا، فصار هذا فتنة لمن صدّق بذلك، وصاروا طائفتين: طائفة علمت أن هذا من الشرك والسحر وأنه لا يجوز، فطعنت في سليمان كما فعل ذلك كثير من أهل الكتاب... وطائفة قال: سليمان نبي، وإذا كان قد سخر بهذا دل على أن هذا جائز؛ فصاروا يقولون ويكتبون من الأقوال التي فيها الشرك والتعزيم والإقسام بالشرك والشياطين ما تحبه الشياطين وتختاره، ويساعدونهم لأجل ذلك على بعض مطالب الإنس...» [(٢)] أ. هـ.

ومن مكايد الشيطان لإيقاع الناس في الشرك والكفر والكهانة وادعاء علم الغيب:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : (والكهان كان يكون لأحدهم القرين من الشياطين يخبره بكثير من المغيبات بما يسترقه من السمع، وكانوا يخلطون الصدق بالكذب، كما في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري وغيره، أن النبي ﷺ قال: «إن الملائكة تنزل في العنان وهو السحاب فتذكر الأمر قضي في السماء فتسترق الشياطين السمع فتوحيه إلى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم» [(٣)] ...) [(٤)] .

ثامناً: التقليد الأعمى: ومن مكايد إبليس لإيقاع البشر في الشرك والكفر: التقليد[(٥)]، فقد كاد به قلوب كثير من الناس؛ حيث حسن، زين لهم التقليد والإتباع بلا دليل، ولهذا كان سبباً من أسباب انحراف الأمم قبلنا، فنجد أن اليهود سألوا موسى – عليه السلام – أن يجعل لهم آلهة من حجر عندما مروا على قوم عاكفين على أصنامهم، قال تعالى:

﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.
(٢) فتح المنان، لأبي عبيدة مشهور آل سلمان، (١/ ١٧٩-١٨٠).
(٣) رواه البخاري، رقم ٣٠٣٨ (٣/ ١١٧٥)، عن عائشة – رضي الله عنها – .
(٤) مجموع الفتاوي، لابن تيمية، (١١/ ٢٨٣).
(٥) قد سبق الكلام عن التقليد في أسباب الانحراف عن الفطرة،

ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [(١)] .

وعبدوا بعد ذلك العجل مقلدين للأمم قبلهم ، حتى أشربوا حبه في قلوبهم .

بل إن التقليد هو الذي دفع النصارى للقول بأن المسيح ابن الله ، كما بين ذلك الحق سبحانه وتعالى في كتابه ، قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [(٢)] .

وكذلك قلد النصارى الوثنيين في عقائدهم كعقيدة التثليث [(٣)] ،وغير ذلك[(٤)] .

وهكذا سارت الأمم على هذا النهج كل أمة تقلد الأخرى في كفرها وضلالها ، وكذلك الاتباع يقلدون الرؤساء والمترفين في فسقهم وفجورهم بحجة واهية من وحي إبليس - أبعده الله - قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [(٥)] .

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ [(٦)] .

تاسعاً: اتباع الهوى والشهوات: قال تعالى: ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ

---

(١) سورة الأعراف ، الآية: ١٣٨ .

(٢) سورة التوبة ، الآية: ٣٠ .

(٣) أحد العقائد المعروفة عن قدماء المصريين وعند الهنود والصينيين والفرس واليونان وغيرهم ، ويرى بعض الباحثين أنه نشأ في النصرانية على يد بولس الذي كان متأثراً بالفلسفة الإغريقية والتثليث يعني عندهم بأن الله ثلاثة أقانيم وهي الأب والابن (عيسى عليه السلام) والروح القدس ويزعمون أن الثلاثة أزلية وعلى ذلك تجمع جميع الكنائس على اختلاف بسيط . الموسوعة الميسرة (٢/ ١٠٠٠) .

(٤) علم أصول البدع ، لعلي بن حسن عبدالحميد ، ص ١٧٩-١٨٣ ، والموسوعة الميسرة (٢/ ٥٧٧-٥٧٨) .

(٥) سورة الزخرف ، الآية: ٢٣ .

(٦) سورة البقرة ، الآية: ١٧٠ .

أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [(١)]، وفي تفسير هذه الآية قيل إن المراد بها راهباً من بني إسرائيل وقصته معروفة [(٢)] وقال مجاهد: المراد بالإنسان هاهنا جميع الناس في غرور الشيطان إياهم . . .» [(٣)] ا.هـ.

ومعنى قوله: ﴿ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ ﴾ «أي أغواه حتى قال إني كافر»[(٤)] فلما أوصله إلى الكفر تخلى عنه بعد أن وعده ومنّاه وتركه يواجه مصيره الأخروي والعياذ بالله.

كما أنه يحسن للبشر اتباع الهوى، حتى دفعهم إلى تقرير الحكم الذي يحقق أهواءهم، حتى تصبح الأهواء أحب إليهم من الحق الذي جاء به سيد المرسلين، لهذا كان سبب ضلال من ضلَّ من أهل الكتاب وسبب ضلال من انحرفت وخرجت من الجماعات والفرق الإسلامية.

---

(١) سورة الحشر، الآية: ١٦ -١٧.

(٢) كما روى ابن جرير بسنده عن علي رضي الله عنه يقول: «إن راهباً تعبد ستين سنة وإن الشيطان أراده فأعياه فعمد إلى امرأة فأحبها ولها إخوة فقال لإخوتها عليكم بهذا القس فيداويها فجاءوا بها قال فداواها وكانت عنده فبينما هو يوماً عندها إذ أعجبته فأتاها فحملت فعمد إليها فقتلها فجاء إخوتها فقال الشيطان للراهب أنا صاحبك إنك أعييتني أنا صنعت بك هذا فأطعني أنجك مما صنعت بك اسجد لي سجدة فسجد له فلما سجد له قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين . .».
وقد رواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٢٦) وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ا.هـ. قال السيوطي: «اخرجه عبدالرزاق وابن راهويه وأحمد في الزهد وعبد بن حميد والبخاري في تاريخه وابن جرير وابن المنذر والحاكم صححه وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان . . .» الدر المنثور للسيوطي (٨/ ١١٦). وذكر البخاري في التاريخ الكبير (٥/ ٢١٣)، تحقيق السيد هاشم الندوي، والمزي في تهذيب الكمال (١٣/ ٤٦٤) تحقيق د. بشار معروف. وروي نحوه عن ابن مسعود وابن عباس وطاووس ومقاتل مرسلاً، انظر جامع البيان (٢٨/ ٤٨-٥١)، قال ابن كثير: «واشتهر عند كثير من الناس أن هذا العابد هو برصيصا فالله أعلم» ا.هـ، حلية الأولياء (٤/ ٧).

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٨/ ٤٢)، وانظر جامع البيان لابن جرير (٢٨/ ٥١). وقال السيوطي أخرجه عبد بن حميد، الدر المنثور (٨/ ١١٩).

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٨/ ٤٢)، وجامع البيان لابن جرير (٢٨/ ٥١).

وقد ذم الله تعالى متبعيه في آيات كثيرة في كتابه، قال تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾[1] ، وقوله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[2] .

وقال تعالى مخاطباً داود – عليه السلام –: ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾[3] .

---

(١) سورة القصص، الآية: ٥٠ .

(٢) سورة الجاثية، الآية: ٢٣ .

(٣) سورة ص، الآية: ٢٦ .

المبحث الثالث

مكايده في إيقاع البشر في البدع والأهواء

وقد سبق تعريف البدع ، وإيقاع البشر في البدع والأهواء ، ومن الأهداف العظيمة للشيطان فإذا عجز عن إيقاع العباد في الكفر لم ييأس في إيقاعهم فيها .

وقد جاء في الآثار إن الشيطان يتمثل في صورة رجل يحدث الناس حتى ينشر بينهم البدعة كذباً وزوراً فعن حارثة بن مضرب (١) قال: إن الناس نودي فيهم بعد نومة أن من صلى في المسجد الأعظم دخل الجنة ، فانطلق النساء والرجال حتى امتلأ المسجد قياماً يصلّون قال أبو إسحاق – الراوي عن حارثة – إن أمي وجدتي فيهم فأُتي ابن مسعود ، فقيل له: أدرك الناس فقال: ما لهم؟ قيل نودي فيهم بعد نومه أنه من صلى في المسجد الأعظم دخل الجنة فخرج ابن مسعود يشير بثوبه: ويلكم اخرجوا لا تعَذَّبوا إنما هي نفخة من الشيطان ؛ إنه لم ينزل كتاباً بعد نبيكم ، فخرجوا وجلسنا إلى عبدالله فقال: إن الشيطان إذا أراد أن يوقع الكذب انطلق فتمثل رجلاً فيلقى آخر فيقول له: أما بلغك الخبر؟ فقول الرجل: وما ذاك؟ فيقول: كان من الأمر كذا وكذا فانطلق فحدِّث أصحابك . قال: فينطلق فيقول لقد لقينا رجلاً إني لأتوهمه أعرف وجهه زعم أنه كان من الأمر كذا وكذا وما هو إلا الشيطان (٢) .

لذلك هي بريد الكفر ، وهي أحب إلى إبليس من كبائر الذنوب ، إذ صاحب الكبيرة يعلم بقبح ذنبه ، ويرجى له التوبة ، أما صاحب البدعة فهو يظن أنه على حق ،

---

(١) حارثة بن مضرِّب العبدي ذكره ابن حبان في الثقات ووثقه يحيى بن معين وابن حجر والعجلي وغيرهم وسئل عنه الإمام أحمد رحمه الله فقال: هو حسن الحديث وضعفه بعض العلماء بدون تفصيل ، انظر: الكاشف (١/ ٣٠٦) ، تهذيب التهذيب لابن حجر (٢/ ١٤٥) التقريب ص١٤٩ ، الثقات لابن حبان (٤/ ١٨٢) ، التاريخ الكبير للبخاري (٣/ ٩٤) .

(٢) رواه ابن وضاح في البدع والنهي عنها ، ص٧-٨ .

وهو شديد التمسك ببدعته وربما دعا إليها [١] .

وإذا استطاع الشيطان إيقاع البشر في البدع والأهواء، فلم يبق إلا خطوة واحدة لإيقاع البشر في الشرك والكفر، ولهذا يمكن القول أن ما سبق في المبحث السابق هو من مكايد الشيطان لإيقاع البشر في البدع ويضاف إليها ما يلي:

١ - التشبه بالكفار . ٢ - إلقاء الشبهات .

٣ - الاعتماد على العقل المجرد . ٤ - التعصب المذهبي، والتقليد بلا دليل .

٥ - الجهل . ٦ - إقامة الموالد والأعياد .

٧ -السكوت على المنكر .

وإليك شرحها وبيانها:

أولاً: التشبه بالكفار:وهو من مكايد الشيطان العظيمة في فتنة الخلق، وسبب لضلال هذه الأمة حيث أخبر نبينا محمد ﷺ بأن هذه الأمة ستقتدي بنهج الأمم قبلها من اليهود والنصارى، ففي البخاري عن أبي هريرة – ﷺ – قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي مأخذ القرون، شبراً بشبر وذراعاً بذراع، فقيل يا رسول الله كفارس والروم، قال: ومن الناس إلا أولئك» وقد وقع ذلك كما أخبر ﷺ .

فما توجد فرقة ضلت من الفرق الإسلامية إلا وفيها من الأمم السابقة [٢] ، والتشبه بالكفار مطية إبليس لإيقاع البشر في البدع والأهواء بل الإشراك بالله تعالى، فما إقامة الموالد والاحتفالات بالمناسبات الدينية، وإقامة التماثيل والنصب التذكارية، والبناء على القبور والعكوف عليها . . .إلخ، إلا تقليداً تقليداً أعمى لأولئك الكفرة والمشركين – أخزاهم الله – .

ثانياً: الشبهات: الشُّبهة بالضم الالتباس واشتبهت الأمور، وتشابهت: أي التبست

---

(١) قال القرطبي: «قال سهل: لا يحدث أحدكم بدعة حتى يحدث له إبليس عبادة فيتعبد بها ثم يحدث له بدعة فإذا نطق بالبدعة ودعا الناس إليها نزع منه تلك الخدمة» الجامع لأحكام القرآن (٧/ ١٤٠) .

(٢) دراسات في الأهواء والفرق والبدع، د. ناصر عبدالكريم العقل، ص ١٥٧-١٥٨ .

لإشباه بعضــها بعضاً . ويقال: شبه عليه الأمر ، أي خلطه ولبسه عليه حتى اشتبه بغيره[١] .

لقد اتخذ إبليس من إلقاء الشبهات مطية يصل بها إلى البدع وتغيير الدين وإيقاع الأمة في الهلاك ، ولهذا عظم نكير السلف على كل صاحب شبهة خوفاً من انتشارها . عن نافع مولى عبدالله أن صبيغ[٢] العراقي جعل يسأل عن أشياء من القرآن في أجناد المسلمين حتى قدم مصر فبعث به عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب . فلما أتاه الرسول بالكتاب فقرأه فقال: أين الرجل؟ فقال: في الرحل ، قال عمر: أبصر أن يكون ذهب فتصيبك مني به العقوبة الموجعة . فأتاه به فقال عمر تسأل محدثة؟ فأرسل عمر إلى رطائب من جريد فضربه بها حتى ترك ظهره وبرة ، ثم تركه حتى برأ ثم عاد له ثم تركه حتى برأ . فدعا به ليعود له قال: فقال صبيغ: إن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلاً جميلاً ، وإن كنت تريد أن تداويني فقد والله برئت ، فأذن له إلى أرضه وكتب إلى أبي موسى الأشعري أن لا يجالسه أحد من المسلمين ، فاشتد ذلك على الرجل ، فكتب أبو موسى إلى عمر أن قد حسنت توبته فكتب عمر أن يأذن للناس بمجالسته»[٣] .

---

(١) انظر: القاموس المحيط ، ١٦١٠ ، فصل الشين ، ولسان العرب (١٣/ ٥٠٤) ، مادة «شَبَهَ» .

(٢) صبيغ بن عسل التميمي ، كان يتتبع مشكلات القرآن قال السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٥٣) ، «أخرج نصر في الحجة وابن عباس عن زرعة قال رأيت صبيغ بن عسل بالبصر كأنه بعير أجرب يجيء إلى الحلقة ويجلس وهم لا يعرفونه فتناديهم الحلقة الأخرى عزمة أمير المؤمنين عمر فيقومون ويدعونه» ا .هـ . انظر جامع القرآن للقرطبي (٤/ ١٥) ، الاستقامة لابن تيمية (١/ ٢٥٨) .

(٣) رواه الدرامي ، في سننه ، (١/ ٥٥-٥٦) ، رقم ١٤٦ ، ورواه ابن وضاح القرطبي ، في البدع ، ص ١٢١ . والآجري في الشريعة ، ص ٧٣ بنحوه من عدة طرق ، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ، رقم ١١٣٨ ، (٣/ ٦٣٥) ، تحقيق: د . أحمد سعد حمدان .
وقال المحقق: «هذه القصة رواها المؤلف من طريقتين:
الأولى: رواية السائب عزاها ابن حجر إلى ابن الأنباري . . . وصحح إسنادها . الإصابة ، (٥/ ١٦٩) .
الثانية: رواية ابن يسار رواها الدارمي في السنن ، ح ١٤٦ ، وألفاظها مختلفة ، ووردت من عدة طرق أخرى رواها الدارمي . . .» ا .هـ . وقال ابن كثير – رحمه الله – وقصة صبيغ بن عسل مشهورة مع عمر ﷺ . . وقد ذكر الحافظ ابن عساكر هذه القصة في ترجمة صبيغ مطولـه» ا .هـ ، تفسير القرآن (٤/ ٢٣٣) ، ط . دار الفكر .

قال ابن القيم – رحمه الله – وهذه الفتنة ، أي فتنة الشبهات ، مآلها إلى الكفر والنفاق وهي فتنة المنافقين وفتنة أهل البدع على حسب مراتب بدعهم . .[(١)] أ . هـ .

وسيأتي مزيد من البيان في مبحث قادم – إن شاء الله – .

ثالثاً: الاعتماد على العقل المجرد: لقد حث الإسلام على إعمال العقل ، ومدح الله سبحانه وتعالى المتفكرين في خلق السموات والأرض وسماهم تعالى أولى الألباب ، وهذا كثير في الآيات القرآنية: ومنها: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ﴾[(٢)] ، وقوله تعالى: ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾[(٣)] ، وقوله: ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ﴾[(٤)] ، وقوله تعالى: ﴿ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾[(٥)] .

غير أنه من المعلوم أن العقل السليم له مع الحقائق الإلهية موقفان:

الأول: موقف الرضا والتسليم ، وذلك فيما لا ندرك كنهه مما جاءت به النصوص الصحيحة عن الصادق المصدوق – عليه صلوات الله وسلامه – كأخبار اليوم الآخر والملائكة والجن وغير ذلك من الغيبيات .

الثاني: موقف الإعمال والتفكر كما في الاستدلال بالآيات الكونية على وجود الخالق سبحانه وتعالى ، واستحقاقه للعبادة . وكما في إعمال العقل لفهم النصوص واستخراج دلالتها ، وأخذ العظة والعبرة ، وزيادة الإيمان . وغير ذلك .

وقد ضل أقوام فعظموا هذا العقل ورفعوه فوق منزلته التي وصفه الله بها ، وجعلوا حكمه مقدماً على نصوص الكتاب والسنة الصحيحة ، بل أنكروا نصوص النقل

---

(١) مختصر إغاثة اللهفان ، لابن القيم ، ص ٣٣٦ ، للشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبابطين .

(٢) سورة آل عمران ، الآية: ١٩٠ .

(٣) سورة المائدة ، الآية: ١٠٠ .

(٤) سورة الرعد ، الآية: ١٩ .

(٥) سورة إبراهيم ، الآية: ٥٢ .

وحرفوا معناها ليوافق عقولهم كما فعلوا في آيات الصفات التي صرفوها عن ظاهرها وأنكروا حقائقها، واستباحوا - استحساناً بعقولهم - كثيراً من المحرمات بحجة أن العقل لا ينكرها، وهذا كله من تلبيس إبليس عليهم؛ حيث أوقعهم في إنكار الحقائق الإيمانية الثابتة إذ أنكروا الصراط والحوض والميزان وحشر الأجساد وعذابها ورؤية الله سبحانه وتعالى، كما أنكروا مس الجن وحقيقة السحر والعين وبعض أشراط الساعة كنزول المسيح عيسى بن مريم - عليه السلام - وخروج الدجال والمهدي وغير ذلك[١].

واستباحوا كثيراً من البدع كبدع الموالد والأعياد، وإحياء ليلة النصف من شعبان، والبناء على القبور وتشييدها، واتخاذ المساجد والسرج عليها .... إلخ [*].

رابعاً: التعصب المذهبي، والتقليد بلا دليل: ومن مكايد الشيطان لإيقاع البشر في البدع تقديس الرجال، وتقديم أقوالهم على قول الله ورسوله، وأكثر ما ظهر ذلك في فرق الرافضة وأصحاب الطرق وبعض متعصبة الفقهاء حتى قال قائلهم:

(كل آية تخالف ما عليه أصحابنا فهي مؤولة أو منسوخة، وكل حديث كذلك مؤول أو منسوخ) [٣].

ولهذا اشتد نكير السلف على المقلدين بلا دليل، روي عن ابن عباس - رضي الله عنه - أنه قال لمن خالفه في متعة الحج قول أبي بكر وعمر (يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول لكم قال رسول الله ﷺ وتقولون قال أبو بكر وعمر)[٤].

---

(١) أسباب البدع ومضارها، للشيخ محمود شلتوت، ص ٣٣-٣٥، وانظر: بينة أولي الأبصار، ص١٤٠-١٤١.

(*) ومما يشاهد اليوم أن جماعة من العقلانيين يتصدرون للإفتاء، ولهم دور في القنوات الفضائية وتحرص هذه القنوات على إبرازهم والإشادة بهم.

(٣) الرسالة في أصول الحنفية لأبي الحسن الكرخي، المطبوعة مع تأسيس النظر للدبوسي، ص ١٦٩-١٧٠، نقلاً من تنبيه أولي الاعتبار، ص ١٤٢.

(٤) رواه الأمام أحمد في المسند، (١/ ٣٣٧)، وضعف إسناده شعيب الأرناؤوط وأخوه في تحقيقهما لزاد المعاد (٢/ ١٩٥)، وأما معناه فمشهور ذكره كثير من العلماء.

انظر: مجموع الفتاوى(٢٠/ ٢١٥-٢٥١)، (٢٦/ ٢٥٠-٢٨١). شرحه في تيسير العزيز الحميد، للشيخ سليمان بن عبدالله بن عبدالوهاب، ص ٤٨٢-٤٨٣.

قال الشافعي – رحمه الله – : «أجمع العلماء على أن من استبانت له سنة رسول الله لم يكن له أن يدعها لقول أحد» (١) .

وكان من نتائج هذا التعصب والتقليد الأعمى ما يلي:

١- انتشار كثر من البدع الاعتقادية تعصباً لهؤلاء الأئمة الذين يفعلونها ، ويتأولون النصوص في جوازها كبدع الموالد ، والتمسح بالأضرحة ، وبناء المساجد على القبور ، ونحو ذلك من البدع التي هي من وسائل الشرك .

٢- رد النصوص الصحيحة ، وتعطيل العمل بها ، أو تأويلها بناء على أقوال هؤلاء الأئمة .

٣- انسياق كثير من الجهال في اتباع أئمتهم ، وفقهائهم بدون نظر في دليل ولا اعتبار لقياس صحيح .

يقول العز بن عبدالسلام (٢) – رحمه الله – : «ومن العجب العجيب أن الفقهاء المقلدين ، يقف أحدهم على ضعف مأخذ إمامه ، بحيث لا يجد لضعفه مدفعاً ، ومع هذا يقلده فيه ، ويترك الكتاب والسنة والأقيسة الصحيحة لمذهبه ؛ جموداً على تقليد إمامه ، بل يتحلل لدفع ظواهر الكتاب والسنة ، ويتأولهما بالتأويلات البعيدة الباطلة ؛ نضالاً عن مقلده . . .» (٣) .

خامساً: الجهل: قال ابن الجوزي «اعلم إن أول تلبيس إبليس على الناس صدهم عن العلم ؛ لأن العلم نور ، فإذا أطفأ مصابيحهم خبطهم في الظلم كيف شاء» (٤) .

---

(١) تيسير العزيز الحميد ، ص ٤٨٣ .

(٢) عبدالعزيز بن بن عبدالسلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي عزالدين الملقب بسلطان العلماء: فقيه شافعي ، بلغ رتبة الاجتهاد ، ولد عام ٥٧٧هـ . ولد ونشأ في دمشق ، ومات عام ٦٦٠هـ .

انظر: طبقات الشافعية ، للسبكي ، ٥/ ٨٠ ، الأعلام للزركلي (٤/ ٢١) .

(٣) قواعد الأحكام في مصالح الأنام ، ٢/ ١٣٥-١٣٦ .

(٤) تلبيس إبليس ، لابن الجوزي ، ص ٣٨٩ ، تحقيق: د .السيد الجميلي .

«واعلم أن العالم لا يدخل عليه إبليس إلا مسارقة، وأما المتعبدون بلا علم فإنه يلبس عليهم في فنون التعبد أشياء يعتقدونها فضيلة أو أفضل من غيرها وهي بخلاف ما يظنون منها . . . الخ» أ. هـ[١].

ولهذا حسن إبليس لبعض الصوفية دفن كتبه وإحراقها حرصاً منه على إطفاء نور العلم حتى جعلهم يتخبطون في دياجير الظلم، وحتى قال قائلهم: «أخذتم علمكم ميتاً عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت».

ومن مكايده من هذا الباب أن زيّن للناس عبادات لم يشرعها الله تعالى ونشطهم لفعلها والمداومة عليها، اعتقاداً أنها سنة ووضعت فيها الأحاديث المكذوبة على النبي ﷺ، حتى أصبحت أعظم في قلوبهم من الفرائض، واقترنت بها مفاسد عظيمة[٢]، وأبرزها: التعريف[٣]، والألفية[٤]، وصلاة الرغائب[٥].

---

(١) الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع، للحافظ جلال الدين السيوطي، ص ٢٢٢.

(٢) انظر: الباعث على إنكار البدع والحوداث، ص ١١٧، لأبي شامة.

(٣) التعريف: عبارة عن اجتماع الناس عشية يوم عرفة في غير عرفة، يفعلون ما يفعله الحاج يوم عرفة، من الدعاء والثناء، للاستزادة: انظر: الباعث على إنكار البدع ص١١٧، لأبي شامة، اقتضاء الصراط المستقيم، ص ١٤٩، لابن تيمية، ومجموع الفتاوى، (٢٠/ ١٩٧).

(٤) الألفية: «صلاة ليلة النصف من شعبان سميت بذلك لأنها يقرأ فيها ألف مرة ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [سورة الإخلاص] لأنها مائة ركعة يقرأ في كل ركعة يقرأ الفاتحة مرة (وسورة الإخلاص) عشر مرات. وللعوام بها افتتان عظيم، والتزم بسببها كثرة الوقيد في جميع مساجد البلاد التي تصلى فيها، ويستمر ذلك الليل كله ويجري فيه الفسوق والعصيان، واختلاط الرجال بالنساء ومن الفتن المختلفة ما شهرته تغني عن وصفه». الباعث على البدع والحوادث، لأبي شامة، ص ١٢٤.
وقال البهوتي في كشاف القناع: «وأما صلاة الرغائب والصلاة الألفية ليلة نصف شعبان فبدعة لا أصل لهما قاله الشيخ . . . .» أ. هـ. (١/ ٤٤٤)، وانظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية، (٢٤/ ٢٠١)، الموضوعات، لابن الجوزي، (٢/ ١٢٦-١٢٩)، أحكام القرآن، للقرطبي، (١٦/ ١٢٧-١٢٨).

(٥) صلاة الرغائب: وهي التي تصلى بين العشاءين ليلة أول جمعة من شهر رجب، قال النووي - رحمه الله - «قاتل الله واضعها ومخترعها فإنها بدعة منكرة من البدع التي هي ضلالة وجهالة وفيها منكرات ظاهرة . . .» أ. هـ. شرح مسلم (٨/ ٢٠)، وقال الذهبي «حديثها باطل بلا تردد» أ. هـ، سير أعلام النبلاء، (٢٣/ ١٤٣)، وقال ابن حجر «لا أصل لها» أ. هـ. فتح الباري، (١١/ ٥٥).
وقال ابن تيمية - رحمه الله - «صلاة الرغائب بدعة باتفاق أئمة الدين . . .» أ. هـ. وانظر: المبدع، لإبراهيم بن مفلح الحنبلي، (٢/ ٢٧)، الفروع لمحمد بن مفلح المقدسي، (٣/ ٩١).

سادساً: إقامة الموالد والأعياد : ومن مكايده في إيقاع العباد في البدع ما فتنهم به من التعلق بالأضرحة وبناء المشاهد عليها ومن ثم إقامة حفلات الموالد، واتخاذ ذلك عيداً وهذا الأمر قد عم وقد فتن به خلق كبير، وأصبح معرض من معارض الفسق وانتهاك حرمات الدين، وهدم لعرى التوحيد.

وقد استطاع الشيطان أن يحقق ما أراد من فتنته الخلق بهذه الموالد عن مشبهه أن أقامه هذه الموالد من باب إحياء ذكرى مشاهير الأولياء، وليس فيها مخالفة شرعية، وإنما هي مجرد ذكر ودعاء وتلاوة قرآن.

وهكذا تدرج معهم حتى أصبحت تلك الموالد سوقاً نافقة لسلب الأموال، وخداع العوام، وانتهاك الأعراض بما يحدث فيها من الاختلاط والفجور.

كما إن إقامة هذه الموالد والأعياد هو مما سرى إلينا تشبها بالكفار - أخزاهم الله - حتى الاحتفال بمولد النبي ﷺ فكل ذلك من البدع التي زينها الشيطان [(١)] ، وأشربها في قلوب كثير من الخلق، ولهذا شرط عمر ابن الخطاب - رضي الله عنه - على أهل الذمة أن لا يظهروا أعيادهم في بلاد المسلمين، فإذا كانوا ممنوعين من إظهار أعيادهم في بلاد المسلمين، فكيف بحال من يقوم هو بإحياء هذه الأعياد وإقامتها في بلاد المسلمين[(٢)] .

قال السيوطي - رحمه الله - : «وكما لا يحل التشبه بهم في أعيادهم فلا يعان

---

(١) انظر: الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع، للسيوطي، ص ١٥٠، تحقيق: مشهور بن حسن سلمان.

(٢) ومن العجب قول أبي شامة في كتابه الباعث على إنكار البدع والحوادث، ص ٩٥-٩٦ «ومن أحسن ما ابتدع في زماننا ... ما كان يفعل بمدينة إربل جبرها الله تعالى كل عام في اليوم الموافق مولد النبي ﷺ من الصدقات والمعروف وإظهار الزينة والسرور، فإن ذلك مع ما فيه من الإحسان إلى الفقراء مشعر بمحبة النبي ﷺ وتعظيمه وجلالته في قلب فاعله، وشكر الله تعالى على ما من به من إيجاد رسوله الذي أرسله رحمة للعالمين ﷺ وعلى جميع المرسلين، وكان أول من فعل ذلك بالموصل الشيخ عمر محمد الملا ، أحد الصالحين المشهورين!! وبه اقتدى في ذلك صاحب إربل وغيره - رحمهم الله تعالى» ا.هـ - مع إنكاره على المبتدعة وشدته عليهم ولا شك أن هذا الفعل الذي ذكره أن خصص به يوم المولد أنه يعد من الاحتفال بالمولد وهو بدعة، ومن العجيب أن المحقق لم يعلق عليه بشيء.

المسلم المتشبه بهم في ذلك بل ينهى عنه، كما لا يحل بيع العنب ممن يعصرها خمراً، ومن صنع في أعيادهم دعوة لم يجب إليها. ومن أهدى من المسلمين هدية في هذه الأعياد مخالفة العادة وهي مما فيه تشبه بهم لم تقبل هديته» أ. هـ(١).

سابعاً: السكوت على المنكرات: لقد زين الشيطان لكثير من العلماء وطلبة العلم – فضلاً عن العوام – السكوت على المنكر، وركن كثير منهم إلى الراحة والدعة بحجة أن المنكرات قد كثرت وعمت، إما تواكلاً من بعضهم على بعض، وإما بحجة أنهم لا يستطيعون التغيير، ومعلوم أن ما لا يدرك كله، لا يترك بعضه.

ولهذا كاد إبليس بهذه الخدعة كثيراً من الناس، واستطاع أن يحقق مراده ويصل إلى هدفه، فكان من نتائجها:

١- غلبة المنكرات والبدع وظهورها.

٢- ضعف الدعوة إلى الله تعالى، وقلة من يقوم بهذا الأمر العظيم.

٣- قلة أنصار الدعوة في سائر أنحاء المعمورة، بل حوربت وأوذي أصحابها،

---

(١) الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع، للسيوطي، ص ١٥٠، إن مما يؤسف له انخداع بعض شبابنا وشاباتنا، بقيامهم بالاحتفال بأعياد مبتدعة تشبهاً باليهود والنصارى، ومن ذلك ما يسمى بعيد (الحب) أو عيد القسيس فالنتاين حيث أصبح عيداً مشهوراً بين الشباب والشابات المسلمات، وأصحبوا يتبادلون الهدايا في ذلك اليوم ويلبسون اللباس الأحمر ويحملون الورود الحمراء، وقد سئل العلامة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين عن حكم الاحتفال به، فقال – رحمه الله –: «الاحتفال بعيد الحب لا يجوز لوجوه:

الأول: أنه عيد بدعي لا أساس له في الشريعة. **الثانية**: أنه يدعو إلى العشق والغرام.

الثالث: أنه يدعو إلى اشتغال القلب بمثل هذه الأمور التافهة المخالفة لهدي السلف الصالح – رضي الله عنهم – . فلا يحل أن يحدث في هذا اليوم شيء من شعائر العيد سواء كان في المآكل أو المشارب أو الملابس أو التهادي أو غير ذلك، وعلى المسلم أن يكون عزيزاً بدينه وأن لا يكون إمَّعة يتبع كل ناعق، أسأل الله تعالى أن يعيذ المسلمين من كل الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يتولانا بتوليه وتوفيقه». نقلاً من نشره بخط الشيخ – رحمة الله –. انظر: في تاريخه وما قيل فيه نشرات أصدرتها دار الوطن في هذا الموضوع، عن مجموعة من المشايخ وطلبة العلم.

واتهموا بأبشع التهم وأودعوا في السجون حتى أصبح عددهم في بعض البلاد الإسلامية يفوق أعداد المجرمين وأصحاب الجنايات .

٤- تمسك كثير من مرتكبي هذه البدع والمنكرات بشبهة أنها لو كانت محرمة لما سكت عنها العلماء ، فسكوتهم دليل على الجواز (١) .

هذه أبرز مكايد الشيطان لإيقاع العباد في الكفر والشرك والبدع والأهواء ، وسيأتي - بإذن الله - مزيداً من التفصيل والإيضاح لهذه المكايد في الباب القادم .

❃ ❃ ❃

(١) ذكر الشيخ عبدالصمد حبيب الله المختار الغاني ، قائد الدعوة الإسلامية في جمهورية غانا ، أن فرقة الفيضية ، وهم اتباع إبراهيم إنياس السنغالي ، حيث يعتقدون أن الخالق هوالمخلوق ، وأن المخلوق هو الخالق ، وتدعي رؤية الله تعالى في كل حين ، ولهم عوائد يهودية ولها دعاة في غانا ومدارس يغرون أتباعهم بقولهم: «إننا ذهبنا إلى مكة ، واجتمعنا بعد الصلاة ونشرنا الثوب الأبيض ، وذكرنا الوظيفة ، في منى وفي عرفات ، وفي المسجد النبوي ، ولم ينكر علينا أحد من علماء المملكة ، فلو كان ما نحن عليه شركاً أو بدعة مذمومة ، لمنعنا منه» وهكذا يوهمون أتباعهم حتى يظنوا أنهم على حق!! وإن لم يكن ذلك صحيحاً ، انظر: رسالة الداعي إلى السنة الزاجر عن البدعة ، للشيخ عبدالصمد حبيب الغاني ، ص ٣٤-٤٥ .

المبحث الرابع

الإيـذاء النفسـي

لم تقصر مكايد الشيطان لبني البشر على إيقاعهم في الكفر والشرك، والبدع والأهواء، بل تعدت لتشمل جميع صنوف الإيذاء البدني والنفسي فهو لا يفتأ مع العبد يضله ويزين له الكفر والشرك ويدبر له مع ذلك أنواعاً من الأذى البدني والنفسي، وهذا في حالة ما إذا وجده غير متسلح بسلاح الذكر والدعاء والأوراد الواردة في الكتاب والسنة، مع العلم أن أنواع الإيذاء البدني تشمل الجانب النفسي، ولكن جاء الفصل بينهما، زيادة في الإيضاح والتفصيل.

ومن أنواع الإيذاء النفسي ما يلي:

١ – الغضب. ٢ – الوسوسة.

٣ – التخذيل. ٤ – النجوى.

٥ – سوء الظن وإثارة الشكوك والنزغ بين العباد.

٦ – الحلم. ٧ – الحزن.

٨ – النسيان.

أولاً: الغضب: وهو «غليان دم القلب طلباً لدفع المؤذي عند خشية وقوعه، أو طلباً للانتقام ممن حصل منه الأذى بعد وقوعه» [1].

وهي جمرة من نار يلقيها الشيطان في قلب ابن آدم ليعتدي ويظلم ويتكلم بفحش القول، ورديء الكلام... إلى غير ذلك من الأفعال المشينة التي تصدر من الغضب.

وفي الحديث: (إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ

(١) جامع العلوم والحكم، لابن رجب، (١/ ٣٦٩).

النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ) [١] .

وفي الصحيحين عن سليمان بن صرد [٢] قال: (كنت جالساً مع النبي ﷺ ورجلان يستبان، فأحدهما أحمر وجهه وانتفخت أوداجه [٣] ، فقال النبي ﷺ: (إني لأعلم كلمة لو قالها ذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان، ذهب عنه ما يجد) فقالوا له: إن النبي ﷺ قال: تعوذ بالله من الشيطان. فقال: وهل بي جنون؟ [٤] .

فتأمل كيف حال الغضب بينه وبين قول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وطاعة الهادي البشير - عليه الصلاة والسلام - .

قال النووي: «فيه أن الغضب في غير الله تعالى من نزغ الشيطان وأنه ينبغي لصاحب الغضب أن يستعيذ.. وأنه سبب لزوال الغضب، وأما قول هذا الرجل الذي اشتد غضبه: (هل ترى بي من جنون؟) فهو كلام من لم يفقه في دين الله تعالى، ولم يتهذب بأنوار الشريعة المكرمة، وتوهم أن الاستعاذة مختصة بالمجنون، ولم يعلم أن الغضب من نزغات الشيطان. ويحتمل أن هذا القائل. كان من المنافقين أو من جفاة الأعراب» [٥] .

ومن هنا استنبط العلماء أن من أقوى الأشياء في دفع الغضب هو استحضار التوحيد واللجوء إلى الله، فالمعنى الحقيقي للاستعاذة هو الاعتقاد بأنه لا منقذ له من

---

(١) رواه أبو داود، رقم ٤٧٨٤ (٢/ ٦٦٤)، وأحمد في المسند، (٤/ ٢٢٦)، والبغوي في شرح السنة، رقم ٣٥٨٣، (١٣/ ١٦١)، وحسن سند المحققان: زهير الشاويش وشعيب الأرناوؤط.

(٢) سليمان بن صرد بن الجون بن أبي الجون الخزاعي أبو مطرف الكوفي، صحابي، كان خيراً فاضلاً، سماه رسول الله ﷺ سليمان، سكن الكوفة وشهد مع علي بن أبي لطالب صفين، قتل في حرب مع عبيد الله بن زياد وعمره ٩٣ سنة، انظر: تهذيب التهذيب، لابن حجر، (٤/ ٤٧٥).

(٣) الأوداج: ما أحاط بالعنق من العروق التي يقطعها الذابح. النهاية في غريب الحديث، (٥/ ١٦٥).

(٤) رواه البخاري، رقم ٣١٠٦، (١١٩٥-١١٩٦)، ومسلم، رقم ٢٦١٠، (٤/ ٢٠١٥).

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي، (١٦/ ١٦٣).

المكروه إلا الله، ولو شاء سبحانه لم يسلط على الإنسان أعداءه ومن يعاشرهم [(١)] .

قال ابن حجر – رحمه الله – : «وبهذا يظهر السر في أمره ﷺ الذي غضب بأن يستعيذ من الشيطان لأنه إذا توجه إلى الله في تلك الحالة بالاستعاذة به من الشيطان أمكنه استحضار ما ذكر، وإذا استمر الشيطان متلبساً متمكناً من الوسوسة لم يمكنه من استحضار شيء من ذلك» [(٢)] أ.هـ.

ولهذا عد من يملك نفسه عند الغضب هو الفاضل الممدوح حقاً، قال ﷺ في حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – في الصحيح **(ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب)** [(٣)] .

ولهذا يتوجه عند الغضب الالتزام بآداب وفضائل تعين على دحر الشيطان وهزيمته ومنها:

١ – الوضوء. ٢– الاستعاذة بالله تعالى.

٣ – كظم الغيظ وإمساك النفس عند الانتصار والخصومة.

٤ – الجلوس إن كان قائماً والاضطجاع إن كان جالساً [(٤)] .

ثانياً: **الوسوسة**: الوسوسة حديث النفس والأفكار، وهو الصوت الخفي وتسمى أصوات الحلي وَسْواس [(٥)] ، والوسوسة مأخوذة من الفعل الرباعي وسوس وليس من الثلاثي المضاعف لأنها تدل على التكرار نحو صرصر وذرذر بخلاف صرّ وذرّ فلا تدل على التكرار فتبين من هذا أن الوسوسة كلاماً يكرره الموسوس ويؤكده [(٦)] والوَسْوَاس

---

(١) انظر: فتح الباري، (١٠/ ٦٣٨)، والمفهم للقرطبي، (٦/ ٥٩٤).

(٢) فتح الباري، لابن حجر، (١٠/ ٦٣٨).

(٣) رواه مسلم، في كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٦٠٩، (٤/ ٢٠١٤).

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي، (١٦/ ١٦٢–١٦٣)، والمفهم، للقرطبي، (٦/ ٤٩٥).

(٥) انظر: مختار الصحاح، (١/ ٣٠١)، لسان العرب، (٦/ ٢٥٤–٢٥٥)، المصباح المنير، (٢/ ٦٥٨).

(٦) انظر تفسير المعوذتين ص٩٨.

اسم للشيطان [١] .

وهي صفة ثابتة من صفات إبليس – أخزاه الله – قال تعالى في وصفه: ﴿ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝ ﴾ [٢] ، فبين سبحانه أنه وسواس ،وأن محل هذه الوسوسة هو صدور الناس ، فهو يجري من العبد مجرى الدم فيوسوس له بالشر ويشككه في خالقه ، ويدخل عليه الحزن بهذه الوسوسة ويشغل القلب بحديثه حتى ينسيه ما يريد فعله[٣] .

قال ابن القيم – رحمه الله – : «وتأمل حكمة القرآن وجلالته كيف أوقع الاستعاذة من شر الشيطان الموصوف بأنه الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس ، ولم يقل من شر وسوسته لتعم الاستعاذة شره جميعه فإن قوله: ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ﴾ يعم كل شره ، ووصفه بأعظم صفاته وأشدها شراً وأقواها تأثيراً وأعمها فساداً وهي الوسوسة التي هي مبادئ الإرادة ، فإن القلب يكون فارغاً من الشر والمعصية يوسوس إليه ويخطر الذنب بباله فيصوره لنفسه ويمنيه ويشهيه فيصير شهوة ويزينها له ويحسنها له . . .» [٤]أ.هـ .

وقد قيل: «يدخل – أي الشيطان – في جسد بني آدم لأنه جسد لطيف ويوسوس ، وهو أن يحدث النفس بالأفكار الرديئة» [٥] .

وأشد ما يكون العبد عليه إذا كان في صلاته ، لذلك هو يسارع إلى الوسوسة له ليفسدها عليه ، وفي حديث عثمان بن العاص حين أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ، إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي يلبسها عليَّ ، فقال رسول الله ﷺ : «**ذاك شيطان يقال**

---

(١) انظر: لسان العرب ، لابن منظور ، (٦/ ٢٥٤) ، المغرب ، (٢/ ٣٥٢-٣٥٣) .
(٢) سورة الناس ، الآية: ٥ .
(٣) انظر: بدائع الفوائد ، لابن القيم ، (٢/ ٢٥٦) وما بعدها .
(٤) المرجع السابق ، (٢/ ٢٥٧) .
(٥) لقط المرجان في أحكام الجان ، للسيوطي ، ص ٨٤ ، وانظر: المفهم للقرطبي ، (١/ ٣٤٤-٣٤٦) .

له: خنزب فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه، واتفل عن يسارك ثلاثاً» قال: ففعلت ذلك فأذهبه الله عني[(١)] .

ومعنى حال: أي بيني وبين الصلاة حتى حرمني لذتها وأذهب الخشوع فيها[(٢)] ، ولبسها: «أي يخلطها ويشككني فيها»[(٣)] .

وسيأتي المزيد عن الوسوسة في مبحث قادم إن شاء الله .

ومن الوسوسة اللَّمة ، روى الترمذي من حديث ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ : «إن للشيطان لمة بابن آدم ، وللملك لمة ، فأما الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق ، وأما لمة الملك فوعد بالخير وتصديق بالحق ، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله تعالى ، فيحمد الله تعالى ، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان[(٤)] ، ثم قرأ: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾[(٥)] .

والمراد باللمة: «الخطرة تقع في القلب . . فما كان من خطرات الخير ، فهو من الملك ، وما كان من خطرات الشر ، فهو من الشيطان»[(٦)] .

قال ابن القيم – رحمه الله – : «وأما لمة الشيطان ، فهي وعده وتَمْنيتُهُ حين يَعدُ الإنسي ، ويأمره وينهاه ، كما قال تعالى: ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ ﴾[(٧)] »[(٨)] أ . هـ .

قال فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين: «ومن نعمة الله أن للشيطان ما يضاده ، وهي لمة الملك ، فإن للشيطان في قلب ابن آدم لمة وللملك لمة ، ومن وفق غلبت

---

(١) رواه مسلم في كتاب السلام ، رقم ٢٢٠٣ ، (٤/ ١٧٢٨-١٧٢٩) .
(٢) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي ، (١٤/ ١٩٠) .
(٣) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة .
(٤) رواه الترمذي (٢/ ١٧١) ، وقال الألباني في الجامع الصغير: ضعيف . أ . هـ . حديث رقم ١٩٦١ .
(٥) سورة البقرة ، الآية: ٢٦٨ .
(٦) النهاية في غريب الحديث ، (٤/ ٢٧٣) ، وغريب الحديث لأبي عبيد القاسم (١/ ٩٠) .
(٧) سورة النساء ، الآية: ١٢٠ .
(٨) تهذيب مدارج السالكين ، لابن قيم ، هذبه عبدالمنعم صالح العزي ، ص ٧٢ .

لمة الملك لمة الشيطان»[١] .

وعلى ذلك يكون نتيجة لمة الملك الانشراح والنور والتوكل والإنابة والتعلق بالله تعالى، وقصر الأمل والإعراض عن الدنيا .

وأما لمة الشيطان فينتج عنها: الضيق، والحزن، الهم، الغم، الخوف، التسخط، التكالب على الدنيا، والإقبال عليها والغفلة عن ذكر الله[٢] .

يقول ابن القيم – رحمه الله – : «ثم للناس في هذه المحنة مراتب لا يحصيها إلا الله، فمنهم من تكون لمة الملك أغلب من لمة الشيطان وأقوى، فإذا ألـمَّ به الشيطان وجد من الألم والضيق والحصر وسوء الحال بحسب ما عنده من حياة القلب، فيبادر إلى طرد تلك اللَّمَّة ولا يدعها تستحكم فيصعب تداركها، فهو دائماً في حرب بين اللَّمَّتين، يدال له مرة ويدال عليه مرة أخرى والعاقبة للمتقين»[٣] أ . هـ .

ولهذا تأمل كيف يتسابق الملك والشيطان على بني الإنسان، وفي الحديث عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ : «إذا أوى أحدكم إلى فراشه ابتدره ملك وشيطان يقول الشيطان افتح بشر ويقول الملك افتح بخير فإن ذكر الله ذهب الشيطان ويأت الملك ويكلأه وإذا استيقظ ابتدره ملك وشيطان يقول الشيطان: افتح بشر ويقول الملك: افتح بخير فإن قال الحمد لله الذي رد إلي نفسي بعد موتها ولم يمتها في نومها، الحمد لله الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرؤوف رحيم، الحمد لله الذي يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير، فإن خر من دابة مات شهيداً وإن قام فصلى صلى في الفضائل»[٤] .

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد، للشيخ محمد بن عثيمين (٣/ ١٣٦) .

(٢) التبيان في أقسام القرآن، لابن القيم، ص ٢٦٥-٢٦٦، والإيمان بالملائكة، للأشقر، ص ٤٤ .

(٣) التبيان في أقسام القرآن، لابن القيم، ص ٢٦٦ .

(٤) رواه الحاكم في المستدرك، (١/ ٧٣٣)، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه» ا .هـ، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، (١٠/ ١٢٠)، «رواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح غير إبراهيم الشامي وهو ثقة» أ . هـ .

ثالثاً: التخذيل :«الخاذِلُ: ضد الناصر . خَذَلـه وخَذل عنه يَخْذُلـه خَذْلا وخِذْلانا: ترك نُصْرته وعَوْنه . والتخذيل: حمل الرجل على خذلان صاحبه وتثبيطه عن نصرته»(١) ، ومن هذا المعنى اللغوي يتبين لنا معنى التخذيل الذي يسلكه الشيطان مع العبد فهو يحرص على غرس الوهن والخذلان في قلوب العباد وله في ذلك مواقف مشهورة منها:

أ- تخذيله للمسلمين في الغزوات كما في غزوة أحد ، قال شيخ الإسلام - رحمه الله - في معرض الحديث عن غزوة أحد: «وكان الشيطان قد نعق في الناس أن محمداً قد قتل ؛ فمنهم من تزلزل لذلك فهرب ، ومنهم من ثبت فقاتل ، فقال الله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾(٢)»(٣) .

وفي حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت: ولما كان يوم أحد هزم المشركون فصاح إبليس: أي عباد الله أخراكم فرجعت أولاهم ، فاجتلدت هي وأخراهم فنظر حذيفة فإذا هو بأبيه اليمان ، فقال: أي عباد الله أبي أبي . فوالله ما احتجزوا حتى قتلوه فقال حذيفة: غفر الله لكم . قال عروة: فما زالت في حذيفة منه بقية خير حتى لحق بالله(٤) .

ب- وفي غزو بدر - أيضاً - عن ابن عباس قال: جاء إبليس يوم بدر في جند من الشياطين معه ، رأيته في صورة رجل من مدلج ، فقال الشيطان للمشركين: (لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم) فلما اصطف الناس أخذ رسول الله ﷺ قبضه من التراب فرمق بها في وجوه المشركين فولوا مدبرين وأقبل جبريل - عليه السلام - إلى إبليس فلما رآه وكانت يده في يد رجل من المشركين انتزع يده ثم ولى مدبراً وشيعته فقال: يا سراقة أتزعم أنك لنا جارا ، فقال: ﴿ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ

---

(١) لسان العرب ، (١١/ ٢٠٢) ، وبصائر ذوي التمييز ، للفيروزآبادي ،(٢/ ٥٣١) .
(٢) سورة آل عمران ، الآية: ١٤٤ .
(٣) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٤٣١) ، وانظر: الرواية بكاملها في آكام المرجان ، للشبلي ، ص ٢٢٠-٢٢٣ .
(٤) رواه البخاري ، رقم ٣٢٩٠ (٦/ ٤١٦) .

شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾[١] وذلك حين رأى الملائكة[٢].

قال سيد قطب – رحمه الله – : «وفي هذا الحادث نص قرآني يثبت منه أن الشيطان زين للمشركين أعمالهم وشجعهم على الخروج بإعلان إجارته لهم ونصرته إياهم، وأنه بعد ذلك... خذلهم وتركهم يلاقون مصيرهم»[٣] أ. هـ.

رابعاً: النجوى: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾[٤]، «النَّجوى والنَّجِيُّ المُتسارُّون... والنجوى اسم للمصدر... وناجى الرجل مُناجاةً، ونجاه: ساره. وانتجى القوم وتناجوا: تسارُّوا»[٥].

وكانت النجوى من الشيطان لأنه يحزن بها الذين آمنوا بما يسلط عليهم من الوساوس والشكوك والظنون، ولهذا جاءت الأحاديث أيضاً بالنهي عن النجوى ففي الصحيحين، عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **«إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر»**[٦]، وعن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس من أجل أن يحزنه»**[٧].

قول من «من أجل أن يحزنه» قال القرطبي – رحمه الله – : «أي يقع في نفسه ما يحزن لأجله. وذلك بأن يقدر في نفسه أن الحديث عنه بما يكره، أو أنه لم يروه أهلاً

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤٨.
(٢) رواه ابن جرير، في تفسيره، (٦/ ١٨).
(٣) في ظلال القرآن لسيد قطب، (٣/ ١٥٣١).
(٤) سورة المجادلة، الآيتان: ٩-١٠.
(٥) لسان العرب، لابن منظور، (١٥/ ٣٠٨)، ومختار الصحاح، (١/ ٢٧٠).
(٦) رواه البخاري، رقم ٥٩٣٠ (٥/ ٢٣١٨)، ومسلم، رقم ٢١٨٣.
(٧) رواه البخاري، رقم ٥٩٣٢، (٥/ ٢٣١٩)، ومسلم، رقم ٢١٨٤.

ليشركوه في حديثهم . . . وعلى هذا يستوي في ذلك كل الأعداد ، فلا يتناجى أربعة دون واحد ولا عشرة ولا ألف مثلاً ، لوجود ذلك المعنى في حقه» (١) أ. هـ .

واختلف المفسرون في النجوى التي هي من الشيطان على أقوال:

الأول: مناجاة المنافقين ، بعضهم البعض . . . ليغيظوا المؤمنين وكان ذلك يكبر في صدور المؤمنين ويحزنهم فشكوا ذلك للنبي ﷺ .

الثاني: مناجاة المؤمنين للرسول ﷺ حيث كان من له حاجة يناجي الرسول ﷺ وكان لا يمنع أحداً ، وكان الشيطان يأتي إلى القوم فيقول لهم: أنهم يتناجون للحرب والقتال .

الثالث: أن المراد الأحلام التي يراها النائم في منامه فتحزنه (٢) ، ونسبت للشيطان لأنها من تزيينه ، وغروره وتسويله حيث يريد أن يحزن المؤمنين ويوهمهم أن هناك مكيدة تراد بهم (٣) .

خامساً: سوء الظن، وإثارة الشكوك والنزغ بين العباد : الشيطان عدو متربص بالعبد ، يتحين الفرص لإثارة الشكوك والظنون في قلب العبد ، سعياً لإفساده وذلك بعدة طرق:

أولاً: اشغاله عن ذكر الله تعالى .

ثانياً: صرفه عما هو أولى في حقه من عبادة الله والاشتغال بالطاعة إلى الاشتغال بسفاسف الأمور وتتبع العورات .

ثالثاً: إثارة الخلافات في المجتمع وتفريق الوحدة حيث سوء الظن بين الناس والتحريش بينهم .

وقد جاء في حديث جابر رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (إن

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي (١٧/ ٢٩٥) .

(٢) جامع البيان لابن جرير ، (١٤/ ١٥-١٦) ، فتح القدير ، للشوكاني (٥/ ١٨٦-١٨٧) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٧/ ٢٩٥) ، تفسير الجلالين ، (١/ ٧٢٧) ، تفسير بن كثير (٦/ ٥٨٢) .

الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم)[١] .

المراد بالتحريش: «الخلاف والشرور والعداوة والبغضاء بينهم حتى تكون من ذلك أمثال تلك الفتن العظيمة والخطوب الجسيمة» [٢] .

وفي حديث صفية زوج النبي ﷺ عندما جاءت إلى النبي ﷺ وهو معتكف فقام ليقلبها ، كما في الحديث قالت: «كان رسول الله ﷺ معتكفاً فأتيته أزوره ليلاً ، فحدثته ، ثم قمت فانقلبت ، فقام معي ليقلبني وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد ، فمر رجلان من الأنصار ، فلما رأيا النبي ﷺ أسرعا ، فقال النبي ﷺ : «**على رسلكما، إنها صفية بنت حيّ. فقالا: سبحان الله يا رسول الله! فقال: إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شراً أو شيئاً**» [٣] .

قال القاضي عياض: «قيل: هو على ظاهره وأن الله تعالى جعل له قوة وقدرة على الجري في باطن الإنسان في مجاري دمه . وقيل هو على الاستعارة لكثرة إغوائه ووسوسته ، فكأنه لا يفارق الإنسان كما لا يفارقه دمه . وقيل إنه يلقي وسوسته في مسام لطيفة من البدن فتصل وسوسته إلى القلب» أ . هـ .

وقال النووي: «فيه استحباب التحرز من التعرض لسوء ظن الناس في الإنسان وطلب السلامة والاعتذار بالأعذار الصحيحة . . . وفيه الاستعداد للتحفظ من مكايد الشيطان فإنه يجري من الإنسان مجرى الدم فيتأهب الإنسان للاحتراز من وساوسه وشره» [٤] .

وقد ينزغ بين العباد بكلمة يلقيها الشخص على أخيه تتسبب في القطيعة والبغضاء ، قال تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ

---

(١) رواه مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، رقم ٢٨١٢ ، (٤/ ٢١٦٩) .
(٢) المفهم للقرطبي (٧/ ٣١٠) .
(٣) رواه البخاري ، رقم (٣٢١٨ ، ٦/) ، ومسلم ، رقم ٢١٧٥ ، / ١٧١٢ .
(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ، (١٤/ ١٥٦-١٥٧) .

﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾[(١)]، وقال تعالى على لسان يوسف - عليه السلام -: ﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾[(٢)].

وربما نزغ بينهم وأثار بعضهم على بعض حتى يقتل بعضهم بعضاً، قال تعالى: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾[(٣)].

سادساً: الحُلُم: «الرؤيا والحلم: عبارة عما يراه النائم في نومه من الأشياء، ولكن غلبت الرؤيا على ما يراه من الخير والشيء الحسن وغلب الحلم على ما يراه من الشر والقبيح . . .»[(٤)].

وفي الحديث عن أبي قتادة: «الرؤيا الصالحة من الله والحلم من الشيطان[(٥)]. فإذا حلم أحدكم الحلم يكرهه فليبصق عن يساره وليستعذ بالله منه فلن يضره»[(٦)].

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٥٣.

(٢) سورة يوسف، الآية: ١٠٠.

(٣) سورة القصص، الآية: ١٥.

(٤) لسان العرب، لابن منظور، (١٢/ ١٤٥).

(٥) «قسم الطب الحديث، الأحلام على نوعين: **الأول**: يحدث في فترة النوم الهادئ، وتتصف هذه الأحلام بكونها ذات علاقة مباشرة بالحياة، وبصورة منطقية عقلية سليمة، وهذا النوع من الأحلام يكون من نتائج أفعال ونشاط القشرة المخية في مقدمة الدماغ.
الثاني: يحدث في فترة النوم الحالم، والذي تكون فيه معظم العضلات باستثناء عضلات القلب وجهاز التنفس والعينين في حالة استرخاء تام. ويكون نتيجة فعالية شديدة في منطقة تقع في الجزء الخلفي من المخ وتسمى بتشكيلة الشبكية ونوايا المنطقة الذيلية من البونس (في جذع الدماغ) وتتصف هذه الأحلام بالغرابة واختلاط المرئيات والأسماع».
العلاج القرآني والطبي من الصرع الجني العضوي، تأليف أحمد بن محمود الريب، ود. نبيل بن سليم ماء البارد واستشاري المخ، ص ٧٠-٧١، نشر مكتبة الصحابة، جدة.
أقول: ولا تنافي بين ما ذكره الأطباء وبين ما جاء عن الصادق المصدوق إذ أن الأطباء يقولون بما توصل إليه علمهم، ولا إحاطة لهم بجميع الأسباب، خصوصاً وأن ما يحصل بسبب الشياطين لا يمكن للأطباء تشخيصه. والله أعلم.

(٦) رواه البخاري، رقم ٣٢٩٢ (٦/ ٤١٧)، ورواه مسلم، رقم ٢٢٦١ (٤/ ١٧٧)، قال أبو سلمة - وهو أحد رواه الحديث -: وإن كنت لأرى الرؤيا أثقل عليَّ من الجبل، فما هو إلا أن سمعت هذا الحديث فما أُباليها. أ. هـ.

وفي البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «إذا رأى أحدكم الرؤيا يحبها فإنها من الله عز وجل فليحمد الله عليها وليحدث بها، وإذا رأى غير ذلك مما يكره فإنما هي من الشيطان فليستعذ من شرها ولا يذكرها لأحد فإنها لا تضره»(١) .

قال ابن حجر – رحمه الله – : «وإضافة الحلم إلى الشيطان بمعنى أنها تناسب صفته من الكذب والتهويل وغير ذلك بخلاف الرؤيا الصادقة فأضيفت إلى الله إضافة تشريف، وإن كان الكل بخلق الله وتقديره»(٢) ا.هـ. وقيل إنه يحضرها ويفرح بها (٣) .

وظاهر الحديث – والله أعلم – أنها بسبب الشيطان وأن الله أقدره على ذلك وسلطه على العبد لإغوائه وتخويفه.

وقد يتلاعب الشيطان بالنائم، ففي حديث جابر – رضي الله عنهما – قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله رأيت في المنام كأن رأسي قطع. قال: فضحك النبي ﷺ وقال: «إذا لعب الشيطان بأحدكم في منامه فلا يحدث به الناس» (٤) .

لهذا أرشدنا الرسول ﷺ للآداب الشرعية في حال الرؤى الشيطانية، وهي:

١ – أن يبصق عن يساره.
٢ – التحول إلى ناحية أخرى.
٣ – الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، لأنه عدو متربص، ولن يخلصك منه إلا أن تعتصم وتلتجئ بالله تعالى وتخلص له في اللجوء.
٤ – أن لا يحدث بها (٥) .

---

(١) رواه البخاري، رقم ٦٥٨٤، (٦/ ٢٥٦٣).
(٢) فتح الباري، (١٢/ ٤٨٦).
(٣) انظر شرح النووي لصحيح مسلم (١٥/ ١٧).
(٤) رواه مسلم في أول كتاب الرؤيا.
(٥) انظر شرح مسلم للنووي (١٥/ ١٧-١٨)، وفتح الباري (١٢/ ٤٨٦).
* ومما يجدر التنبيه عليه ما يتداول هذه الأيام من بعض الكتب التي تشتمل على تفسير الرؤى والأحلام ونسبتها لابن سيرين والنابلسي وهو غير صحيح، ومنها كتاب بعنوان «تفسير الأحلام لابن سيرين» نشر المكتبة العصرية، بيروت، لبنان. وقد كتب فيه فصولاً كثيرة عن الرؤيا، وفي =

سابعاً: الحزن: والـحُزْنُ والـحَزَنُ: نقيض الفرح وهو خلاف السرور(١) والجمع أحزان .

ومن إيذاء الشيطان للعبد الحزن ، فهو يحزن العبد ليشغله عن الطاعة ، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ ﴾(٢) .

قال ابن القيم: «إن الحزن موقف غير مُسَرٍّ، ولا مصلحة فيه للقلب . وأحب شيء إلى الشيطان أن يُحزِّن العبد ليقطعه عن سيره ويوقفه عن سلوكه»(٣) ا .هـ .

وفي حديث معاذ ﷺ لما بعثه الرسول ﷺ إلى اليمن قال: (يا معاذ إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا ، ولعلك أن تمرَّ بمسجدي وقبري ، فبكى معاذ بن جبل جشعاً لفراق رسول الله ﷺ فقال النبي ﷺ : لا تبك يا معاذ للبكاء أو إن البكاء من الشيطان)(٤) .

ثامناً: النسيان : وهو الترك (٥) . «والنَّسي الشيء الـمَنْسِيّ الذي لا يذكر» (٦) ، منه

= نهاية الكتاب ذيله بطريقه فتح المندل وهو يعني قراءة الفنجان ، ثم أورد الطريقة لذلك وقد اشتملت على كثير من الشركيات والاستعانة بالجن ، ومن العجيب أن الناشر لم يسند هذه الطريقة لأحد مما يوهم نسبتها إلى ابن سيرين ، وهذا من خلط الحق بالباطل!! حيث يقول الناشر في المقدمة: «هذا كتاب جليل في تعبير الرؤيا ، ينسب إلى الإمام محمد بن سيرين – رحمه الله – مشتمل على تسعة وعشرين باباً» أ .هـ . فليتنبه لذلك وليحذر من تداوله وقراءته .

(١) لسان العرب ، ابن منظور ، ٣/ ١١١ ، وانظر: مختار الصحاح ، ١/ ٥٧ .

(٢) سورة المجادلة ، الآية: ١٠ .

(٣) مدارج السالكين ، لابن القيم ، (١/ ٥٠٦) ، وانظر التحفة العراقية ص١٠-١١ .

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده (٥/ ٢٣٥) والبزار في مسنده رقم ٢٦٤٧ (٧/ ٩١) وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني رقم: ١٨٣٨ (٣/ ٤٢٠) مختصراً وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٦) «رواه البزار ورجاله ثقات ورواه الطبراني في الكبير» ا .هـ .

(٥) انظر: لسان العرب ، لابن منظور ، (٥/ ٣٢٢) ، مختار الصحاح ، (١/ ٢٧٤) .

(٦) العين ، لأحمد الفراهيدي (٧/ ٣٠٤) ، د . مهدي المخزومي ، د . إبراهيم السامرائي .

قوله تعالى: ﴿ وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴾ [١]، «والنسأ التأخير، يقال: نسأت الشيء نسأ وأنسأته إنساءً إذا أخرته [٢]، والنسيان ضلالة لما فيه من الحيرة» [٣].

ومن الإيذاء النفسي للعبد النسيان وهو من الشيطان، يقول تعالى: ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ﴾ [٤]، ويقول تعالى: ﴿ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [٥]، وفي قصة يوسف – عليه السلام – يقول تعالى: ﴿ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾ [٦].

وفي قصة موسى عليه السلام يقول تعالى: ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ [٧].

قال ابن كثير – رحمه الله –: «في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ [٨]، أرشد من نسي الشيء في كلامه إلى ذكر الله تعالى لأن النسيان منشؤه من الشيطان، كما قال في فتى موسى ﴿ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ [٩]، وذكر الله تعالى يطرد الشيطان فإذا ذهب الشيطان ذهب النسيان» [١٠] أ. هـ.

ومن مظاهر هذا الإيذاء:

١- نسيان المصالح الدينية كذكر القرآن، كما في حديث عثمان بن أبي العاص،

---

(١) سورة مريم، الآية: ٢٣.
(٢) غريب الحديث، لابن الجوزي، (٢/ ٤٠٤)، الفائق في غريب الحديث، (٣/ ٤٢٦).
(٣) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (١/ ٢١١).
(٤) سورة المجادلة، الآية: ١٩.
(٥) سورة الأنعام، الآية: ٦٨.
(٦) سورة يوسف، الآية: ٤٢.
(٧) سورة الكهف، الآية: ٦٣.
(٨) سورة الكهف، الآية: ٢٤.
(٩) سورة الكهف، الآية: ٦٣.
(١٠) تفسير القرآن العظيم، (٣/ ٨٠)، وانظر: البداية والنهاية، لابن كثير، (٢/ ١١٧).

قال: (شكوت إلى النبي ﷺ سوء حفظي للقرآن، فقال: ذاك شيطان يقال له خنزب، ادن مني يا عثمان، ثم وضع يده على صدري فوجدت بردها بين كتفي، وقال: اخرج يا شيطان من صدر عثمان، قال: فما سمعت بعد ذلك شيئاً إلا حفظت»[١].

ونسيان العبد لنفسه، كما في قوله تعالى: ﴿ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾، وهذا «يقتضي أن نسيان الله كان سبباً لنسيانهم أنفسهم، وأنهم لما نسوا الله عاقبهم بأن أنساهم أنفسهم»[٢].

٢- الإعراض والغفلة، والجهل بمعرفة الله تعالى التي كانوا يعرفونها سابقاً.

٣- ترك مصالح النفس ومنافعها، وترك العمل بالطاعة[٣].

نسيان المصالح الدنيوية، كما في نسيان الحوت في قصة موسى – عليه السلام –.

نسيان فعل الخير، كما في قصة يوسف – عليه السلام – حيث أنسى السجين ذكر يوسف – عليه السلام – للملك والظلم الذي تعرض له فأدى إلى مكثه بضع سنين[٤].

وسيأتي مزيد بسط لهذا الموضوع – إن شاء الله –.

❁ ❁ ❁

---

(١) رواه البيهقي في الدلائل (٥/ ٣٠٧)، ورواه ابن ماجه، رقم ٣٥٤٨، (٢/ ١١٧٤) بنحوه، والطبراني في المعجم الكبير، رقم ٨٣٤٧، (٩/ ٤٧).
قال الهيثمي في مجمع الزوائد(٩/ ٣): «وفيه عثمان بن بشر ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات» اهـ.

(٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، (١٦/ ٣٤٨).

(٣) انظر: المرجع السابق، (١٦/ ٣٤٩).

(٤) هذا على القول بأن الناسي هو السجين وليس يوسف – عليه السلام – وقد سبق تحقيق المسألة.

المبحث الخامس

الإيـذاء البـدنـي

ومن أنواع الإيذاء البدني ما يلي:

١ - الصرع .
٢ - السحر .
٣ - القتل .
٤ - مرض الطاعون .
٥ - الإصابة بالأمراض العضوية .
٦ - خطف الصبيان .
٧ - التفريق بين الزوجين .
٨ - نخس المولود عند ولادته .
٩- في الجماع .
١٠ - إحراق المنازل بالنار .
١١ - تخبط الإنسان عند الموت .
١٢ - الاستحاضة .
١٣ - أكل طعام الآدميين والشرب معهم ، والسكن في مساكنهم ، والنوم في فرشهم .
١٤ - العين .
١٥ - إفساد المعاملات .
١٦ - النظر إلى العورات .
١٧ - التثاؤب والنعاس .
١٨ - العقد على رأس النائم ، والمبيت على خيشومه .
١٩ - الاحتلام .

وإليك التفصيل والبيان لكل نوع من أنواع هذا الإيذاء .

أولاً: الصرع : وهو أشد أنواع الإيذاء ، إذ المصاب به يفقد السيطرة على كامل قواه العقلية ويتخبطه الشيطان ويصرعه ، وهو نوع من الجنون ، وقد كثر الكلام فيه حول ثبوته وهل للشيطان فعلاً مقدرة على ذلك العمل؟ وقبل بيان ذلك أعرف الصرع في اللغة والاصطلاح:

أما تعريفه في اللغة: فالصرع: «الطرح بالأرض، وخصه في التهذيب بالإنسان، صارَعَه فصَرَعَه يَصْرَعَهَ صَرْعا وصِرْعا... والجمع صرعى»[(١)].

قال ابن حجر في الفتح: «المس والصرع: هي علة تمنع الأعضاء الرئيسية من انفعالها منعاً غير تام، وسببه ريح غليظة تنجس في منافذ الدماغ، أو بخار رديء يرتفع إليه من بعض الأعضاء يتبعه تشنج في الأعضاء فلا يبقى الشخص منتصباً بل يسقط، ويقذف بالزبد لغلظ الرطوبة، وقد يكون الصرع من الجن... والأول هو الذي يثبته الأطباء ويذكرون علاجه، والثاني يجحده كثير منهم وبعضهم يثبته ولا يعرف له علاجاً إلا بمقاومة الأرواح الخيرية العلوية لتندفع آثار الأرواح البشرية السفلية وتبطل أفعالها»[(٢)].

أما تعريفه طبياً فهو «عبارة عن اختلال يصيب الإنسان في عقله بحيث لا يعي المصاب ما يقول فلا يستطيع أن يربط بين ما قاله وما سيقوله يصاب صاحبه بفقدان الذاكرة فيتخبط في حركاته وتصرفاته، فلا يستطيع أن يتحكم في سيره، وقد يفقد القدرة على تقدير الخطوة المتزنة لقدميه، أو حساب المسافة الصحيحة لها»[(٣)].

فهو يجعل المصاب يفقد حسه وشعوره. ويسقط على الأرض، ويصاحب ذلك تشنج عصبي يظهر في شد الأطراف واهتزازها وخروج الزبد من الفم، وعض اللسان وتوتر الأعصاب وشحوب الوجه[(٤)].

وهذا ما أثبته قبله ابن القيم – رحمه الله – حيث بيّن أن الصرع صرعان:

الأول: صرع الأرواح الخبيثة الأرضية ويقصد بذلك مردة الجن وشياطينهم، ويعرف بأنه « اندماج واقتران الأرواح الخبيثة والشيطانية بالإنسان»[(٥)]، وهو ما

---

(١) لسان العرب، (٨/ ١٩٧)، ومعجم مقاييس اللغة، (٣/ ٣٤٢)، وتاج العروس، (٥/ ٤١١).

(٢) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، (١٠/ ١٤٤).

(٣) عالم الجن والملائكة، د. عمر الأشقر، (٧٦-٧٧).

(٤) دائرة معارف القرن العشرين، (٥/ ٤٦٨)، تأليف محمد فريد وجدي.

(٥) تلبس الجن بالإنس، د. بدر عبدالرزاق الماص، ص ١٧.

سأتناوله في هذا المبحث .

الثاني: صرع الأخلاط الرديئة (١) وهذا هو النوع الذي يثبته الأطباء ويفسرونه بأنه بسبب أورام الدماغ ، أو التهاب الدماغ أو وجود بؤرة في الدماغ تظهر بعد عمل تخطيط الدماغ الكهربائي (٢) .

وقيل أنه: «أحد أعراض اختلال خلايا المخ اختلالاً تركيبياً أو وظيفياً أو كهربائياً ، وتتعدد أسبابه حسب هذا الاختلال» (٣) .

ثبوت الصرع (المس الشيطاني) : اختلف العلماء في ثبوت الصرع على قولين:

القول الأول: ما عليه سلف الأمة وهو ثبوت مس الجن ودخولهم في الإنس ، واستدلوا بأدلة من الكتاب والسنة والعقل وأقوال أهل العلم .

فمن الكتاب: قوله تعالى: قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾ (٤) ، وقد ذهب جمهور المفسرين على أن المراد بتخبط الشيطان المذكور في الآية صرعه للإنسان ، واتخذوا من هذه الآية دليلاً على ثبوته وإليك بعض أقوال المفسرين – رحمهم الله – .

قال الإمام الطبري: ﴿ يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾ يتخبله من مسه إياه ، يقال منه:«قد مس الرجل وألق فهو ممسوس ومألوق ، كل ذلك إذا ألـمَّ به اللمم فجنّ»أ.هـ(٥) .

وقال ابن كثير – رحمه الله – : « ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ ... ﴾ الآية أي لا

---

(١) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، لابن القيم ، (٤/ ٦٦-٧٠) .

(٢) علاقة الجان بالإنسان ، حسان عبدالمنان ، ص ٣٣ . مقدمة د . عدنان العبد اللات مستشار أمراض الدماغ والأعصاب ، دائرة معارف القرن العشرين ، محمد فريد وجدي ، (٥/ ٤٦٨) .

(٣) عالم الجن والشياطين ، من القرآن والسنة ، تأليف أبو أسامة محيي الدين ، ص ١٥٩ .

(٤) سورة البقرة ، الآية: ٢٧٥ .

(٥) جامع البيان لابن جرير الطبري ، (٣/ ١٠٣) .

يقومون من قبورهم يوم القيامة، إلا كما يقوم المصروع حال صرعه وتخبط الشيطان له، وذلك أنه يقوم قياماً منكراً» أ. هـ[(١)].

وقال القرطبي: «في هذه الآية دليل على فساد إنكار الصرع من جهة الجن، وزعم أنه من فعل الطبائع، وأن الشيطان لا يسلك في الإنسان ولا يكون منه مس» أ. هـ[(٢)].

وقال القاسمي: «المعنى أنهم يقومون يوم القيامة مخبلين كالمصروعين» أ. هـ[(٣)].

وقال الألوسي – رحمه الله – : «قوله تعالى: ﴿ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾ أي الجنون، يقال مس الرجل فهو ممسوس، إذا جن، وأصله اللمس باليد وسمي به لأن الشيطان قد يمس الرجل وأخلاطه مستعارة للفساد فتفسد ويحدث الجنون» أ. هـ[(٤)].

وأما السنة فقد ثبت كثير من الأحاديث والوقائع التي تثبت صرع الجن للإنس وثبت معالجته ﷺ للمصروعين بالآيات والأدعية، ومنها:

١- ما ثبت في الصحيحين من حديث عطاء بن أبي رباح قال: «قال لي ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت بلى، قال هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ فقالت: **«إني أصرع وإني أتكشف فادع الله لي، قال: إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك؟ فقالت: أصبر، فقالت: إني أتكشف فادع الله لي أن لا أتكشف، فدعا لها»**[(٥)].

قال الحافظ في شرح هذا الحديث بعد أن ذكر عدة طرق للحديث، «وقد يؤخذ من الطرق التي أوردتها أن الذي كان بأم زفر، كان من صرع الجن لا من صرع

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (١/ ٥٧٩).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٣/ ٣٥٥).

(٣) محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، (٣/ ٣٦١).

(٤) روح المعاني، للألوسي، (٣/ ٤٩).

(٥) رواه البخاري، الفتح (١٠/ ١١٤)، ورواه مسلم، (٤/ ١٩٩٤)، وهذه المرأة اسمها أم زفر كما روى ذلك البخاري في صحيحه عن عطاء. قال ابن حجر: وعند البزار من وجه آخر عن ابن عباس في نحو هذه القصة أنها قالت: «إني أخاف من الخبيث أن يجردني» فتح الباري (١٠/ ١١٤).

الخلط...»[١].

٢- اخرج ابن ماجه في سننه عن عثمان بن أبي العاص قال: لما استعملني رسول الله ﷺ على الطائف، جعل يعرض لي شيء في صلاتي حتى ما أدري ما أصلي فلما رأيت ذلك، رحلت إلى رسول الله ﷺ فقال: «ابن أبي العاص؟ قلت: نعم يا رسول الله قال: ما جاء بك؟ قلت: يا رسول الله عرض لي شيء في صلواتي حتى ما أدري ما أصلي، قال: ذاك الشيطان، ادنه، فدنوت منه، فجلست على صدور قدميّ، قال: فضرب صدري بيده، وتفل في فمي، وقال: اخرج عدو الله، ففعل ذلك ثلاث مرات، ثم قال: الحق بعملك، فقال عثمان: فلعمري ما أحسبه خالطني بعد»[٢].

فأما حديث ابن ماجه فصريح في أن الرسول ﷺ أخرج الشيطان من صدر عثمان - ﷺ - ولا يصح حمل ذلك على الوسوسة، كما يقول بعض المنكرين للصرع، ولهذا الحديث روايات كثيرة كلها تدل على هذا المعنى.

وأما حديث مسلم فلا ينافي حديث ابن ماجه، والشكوى في الحديثين واحدة؛ إذ إن الشيطان قد حال بينه وبين صلاته فأصبح لا يدري ما يقول في صلاته، فيحتمل أن الرسول ﷺ رقاه ثم أرشده على طريقة الوقاية من الشيطان حتى لا يعود إليه.

٣- ما رواه أبو داود والترمذي عن ابن مسعود - ﷺ - قال: كان رسول الله ﷺ إذا دخل في الصلاة يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم وهمزه ونفخه ونفثه**»[٣].

وعند أحمد في المسند عن أبي سلمة قال: كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم، من همزه ونفثه ونفخه، قال: وكان

---

(١) فتح الباري، لابن حجر، (١٠/ ١١٥).

(٢) رواه ابن ماجه، رقم ٣٥٤٧، وقال الهيثمي: «فيه عثمان بن بسر لم أعرفه وبقية رجاله ثقات» ٩/ ٣.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك، رقم: ٧٤٩، (١/ ٣٢٥-٣٢٦). وقال: هذا حديث حسن صحيح الإسناد، وقد استشهد البخاري بعطاء بن السائب»ا.هـ. ووافقه الذهبي في التلخيص، وروى نحوه أبو داود في سننه، رقم ٧٦٤، (١/ ٢٦٢)، وابن ماجه (١/ ٢٦٥) رقم: ٨٠٧ والدارمي، (١/ ٢٢٦).

رسول الله ﷺ يقول: تعوذوا بالله من الشيطان الرجيم: من همزه ونفخه ونفثه، قالوا: يا رسول الله: ما همزه ونفخه ونفثه؟ قال: أما همزه فهذه الموتة، التي تأخذ بني آدم، وأما نفخه فالكبر، وأما نفثه فالشعر» (١) .

قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسير الهمز: «وقد ورد في الحديث: فهمزه الموتة وهو الخنق الذي هو الصرع، وفسر ابن الأثير الموتة بالجنون» (٢) .

٤- عن ابن عباس أن امرأة جاءت بابن لها إلى رسول الله ﷺ فقالت: «يا رسول الله، إنّ ابني به جنون، وإنه يأخذه عند غدائنا وعشائنا فيخبث علينا، فمسح رسول الله ﷺ صدره ودعا، فثع ثعة (٣) - يعني: سعل، وخرج من جوفه مثل الجرو الأسود، فسعى» (٤) .

٥- وعن جابر قال: خرجت مع النبي ﷺ في سفر . . . فعرضت له امرأة معها صبي لها، فقالت: يا رسول الله، إن ابني هذا يأخذه الشيطان كل يوم ثلاث مرات، قال: فتناول الصبي، فجعله بينه وبين مقدم الرحل، ثم قال: «اخسأ عدو الله أنا رسول الله» ثلاثاً. ثم دفعه إليها، فلما قضينا سفرنا مررنا بذلك المكان، فعرضت لنا المرأة معها صبيها ومعها كبشان تسوقهما، فقالت: يا رسول الله اقبل مني هديتي، فوالذي بعثك بالحق، ما عاد إليه بعد ، فقال: «خذوا منها واحداً، وردوا عليها الآخر» (٥) .

---

(١) رواه أحمد في المسند، (٦/ ١٥٦).

(٢) البداية والنهاية، (١/ ٦١)، وانظر: النهاية في غريب الحديث (٥/ ٢٧٣).

(٣) الثع: القيء، النهاية في غريب الحديث، (١/ ٢١٢)، لسان العرب، (٨/ ٣٩-٤٠)، القاموس المحيط (١/ ٩١٤)، غريب الحديث لابن سلام، (٢/ ٢١٢)، الفائق، (٣/ ٢٥٥).

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند، (١/ ٢٥٤-٢٦٨)، والدارمي في سننه، (١/ ٢٤)، ابن أبي شيبه في مصنفه، (٥/ ٤٧)، والطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٥٧)، رقم ١٢٤٦٠، قال ابن كثير في رواية الإمام أحمد: «تفرد به أحمد وفرقد السنجي رجل صالح ولكنه سيء الحفظ، وقد روى عنه شعبة وغير واحد، واحتمل حديثه ولما رواه ههنا شاهداً مما تقدم والله أعلم»أ.هـ. البداية والنهاية، (٦/ ١٥٩).

(٥) رواه الدرامي في السنن رقم: ١٧(١/ ٢٢-٢٣) وابن أبي شيبة في مصنفه رقم: ٣١٧٥٤، وعبد بن حميد في مسنده رقم: ١٠٥٣، وصححه الألباني، صحيح سنن ابن ماجة رقم ٢٦٨ (١/ ٦٠).

وفي لفظ آخر: **إن امرأة جاءت إلى النبي ﷺ معها صبي لها به لمم** [(١)] فقال النبي ﷺ: «**اخرج عدو الله، أنا رسول الله**»، **قال: فبرأ، فأهدت إليه كبشين وشيئاً من أقط وشيئاً من سمن، قال: فقال رسول الله ﷺ**: «**خذ الأقط والسمن وخذ أحد الكبشين ورد عليها الآخر**» [(٢)].

وفي هذه الأحاديث بمجموعها دلالة صريحة على أن رسول الله ﷺ أقرَّ هذه المرأة على قولها بأن ابنها يأخذه الشيطان أي يتلبس به ويصرعه، وعالجه النبي ﷺ فشفاه الله – جل وعلا – ببركة دعاء النبي ﷺ مما دعا هذه المرأة إلى تقديم الهدية للنبي ﷺ.

٦- ما رواه الطبراني في الكبير عن أم أبان بنت الوازع، عن أبيها أن جدها الزارع انطلق إلى رسول الله ﷺ، فانطلق معه بابن له مجنون أو ابن أخت له، قال جدّي: فلما قدمنا على رسول الله ﷺ المدينة، قلت: يا رسول الله، إن معي ابنا لي أو ابن أخت لي مجنوناً، أتيتك به تدعو الله عز وجل له. فقال: «ائتني به» فانطلقت به إليه وهو في الركاب، فأطلقت عنه، وألقيت عنه ثياب السفر، وألبسته ثوبين حسنين، وأخذت بيده حتى انتهيت به إلى رسول الله ﷺ فقال: «ادنه مني، اجعل ظهره مما يليني»، قال: فأخذ بمجامع ثوبه من أعلاه وأسفله، فجعل يضرب ظهره حتى رأيت بياض إبطيه وهو يقول: «اخرج عدو الله، اخرج عدو الله» فأقبل ينظر نظر الصحيح ليس بنظره الأول، ثم أقعده رسول الله ﷺ بين يديه، فدعا له بماء، فمسح وجهه ودعا له، فلم يكن في الوفد أحد بعد دعوة رسول الله ﷺ يفضل عليه [(٣)].

الأدلة العقلية: وقد دل العقل على قبول دخول الجني في الإنسي وعدم استنكاره، فنحن نؤمن بوجود قرين من الملائكة وقرين من الجن مع كل إنسان منا ومع ذلك لم

---

(١) لمم: طرف من الجنون يلم بالإنسان، أي يقرب منه ويعتريه. انظر: النهاية في غريب الحديث، (٤/ ٢٧٢)، ولسان العرب (٩/ ٢٢٨)، مختار الصحاح، (١/ ٢٥٢).

(٢) رواه أحمد في مسنده، (٤/ ١٧١)، والحاكم في المستدرك، (٢/ ٦١٨)، ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، (٩/ ٦): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. أ. هـ.

(٣) رواه الطبراني في الكبير، (٥٣١٤)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد، (٩/ ٢-٣): رواه الطبراني، وأم أبان لم يرو عنها غير مطر. أ. هـ.

نرهم، ولا يراهم من حولنا.

كما أننا نشاهد الهواء يدخل في أجسامنا، والروح نعلم أنها تصعد وتنزل وتخرج من أبداننا ونحن لم نشاهدها ولكننا مؤمنون بوجودها.

والجن لهم أجسام لطيفة ورقيقة، حتى على القول بأنهم أجسام كثيفة فلا يمنع تلبسهم ودخولهم بالإنسي كما يدخل الطعام والشراب.

كما إننا نشاهد النار وكيف تسلك في الجمر، والكهرباء كيف تسري في الأسلاك والماء كيف يختلط بالتراب والرمال والملابس ... فكذلك لا يستنكر دخول الجن وملابستهم لأجسام الإنس [١].

أقوال العلماء في إثبات الصرع: قال عبدالله بن أحمد بن حنبل قلت لأبي: إن أقواماً يزعمون أن الجني لا يدخل في بدن الإنسي، قال: «يا بني يكذبون هوذا يتكلم على لسانه»[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : «وهذا الذي قاله الإمام أحمد مشهور، فإنه يصرع الرجل فيتكلم بلسانه كلاماً لا يعرف معناه، ويضرب على بدنه ضرباً عظيماً لو ضرب به جمل لأثر فيه تأثيراً عظيماً» [٣].

وقال أيضاً: «وليس في أئمة المسلمين من ينكر دخول الجني في بدن المصروع وغيره، ومن أنكر ذلك وادعى أن الشرع يكذب ذلك فقد كذب على الشرع، وليس في

---

(١) انظر: الجواب الصحيح، لابن تيمية، (٢/ ٢٨٨)، مقالات الإسلاميين، لأبي الحسن الأشعري، العلاج القرآني والطبي من الصرع الجني والعضوي، ص ٦١-٦٢، تأليف أحمد الديب، ود. نبيل سليم.

(٢) مجموع الفتاوى، (١٩/ ١٢)، (١١/ ٦١٠-٦١١)، الجواب الصحيح (٤/ ٤٥٥)، والنبوات، ص ٢٥٠-٢٥١، وذكر ابن أبي يعلى في الطبقات، (١/ ١٨٥)، والحليمي في المنهاج، (١/ ٢٩٧)، أن عبدالله بن الإمام – رحمهما الله – سأل أباه عن كيفية التوفيق بين حديث تسلسل الشياطين في رمضان ورؤية المجنون يصرع في رمضان؟! فأجابه بقوله: «هكذا الحديث، ولا نتكلم في هذا».

(٣) مجموع الفتاوى، (٢٤/ ٢٧٦-٢٧٧).

الأدلة الشرعية ما ينفي ذلك»[١].

وقال - رحمه الله - : «وجود الجن ثابت بالقرآن والسنة واتفاق سلف الأمة، وكذلك دخول الجني في بدن الإنسان ثابت باتفاق أئمة أهل السنة، وهو أمر مشهور محسوس لمن تدبر» أ. هـ[٢].

وقال ابن القيم - رحمه الله - : «وأما جهلة الأطباء وسقطهم وسفلتهم، ومن يعتقد بالزندقة فضيلة، فأولئك ينكرون صرع الارواح، ولا يقرون بأنها تؤثر في بدن المصروع، وليس معهم إلا الجهل، وإلا فليس في الصناعة الطبية ما يدفع ذلك، والحس والوجود شاهد به» أ. هـ[٣].

بل نقل بعضهم الإجماع على جواز دخول الجني الإنسي، ومن هؤلاء شيخ الإسلام ابن تيمية كما سبق. وسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز - رحمه الله - حيث يقول: « . . . وقد دل كتاب الله عز وجل وسنة رسول الله ﷺ وإجماع الأمة على جواز دخول الجني بالإنسي وصرعه إياه، فكيف يجوز لمن ينتسب إلى العلم أن ينكر ذلك بغير علم ولا هدى بل تقليداً لبعض أهل البدع المخالفين لأهل السنة الجماعة؟»أ .هـ[٤].

---

(١) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة.

(٢) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة.

(٣) زاد المعاد، (٤/ ٦٧)، وللاستزادة انظر: العلاج الرباني للسحر والمس الشيطاني، مجدي الشهاوي.

(٤) إيضاح الحق في دخول الجني في الإنسي والرد على من أنكر ذلك، وقال سماحته - رحمه الله رحمة واسعة وأكرم نزله - في معرض رده على المنكرين: «ومما ذكرنا أيضاً يعلم أن ما نقلته صحيفة الندوة في عددها الصادر في ١٤/ ١٠/ ١٤٠٧هـ ص ٨، عن الدكتور محمد عرفان من أن كلمة جنون اختفت من القاموس الطبي. وزعمه أن دخول الجني في الإنسي، ونطقه على لسانه أنه مفهوم علمي خاطئ مائة بالمائة، كل ذلك باطل نشأ من قلة العلم بالأمور الشرعية وبما قرره أهل العلم من أهل السنة والجماعة، وإذا خفي هذا الأمر على كثير من الأطباء لم يكن ذلك حجة على عدم وجوده بل يدل ذلك على جهلهم العظيم بما علمه غيرهم من العلماء المعروفين بالصدق والأمانة والبصيرة بأمر الدين، بل هو إجماع من أهل السنة والجماعة كما نقل ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية عن جميع أهل العلم . . .» أ. هـ. الرسالة السابقة نقلاً من كتاب كيفية إخراج الجان من جسم الإنسان، سعيد جاد وعلي بدوي، ص ٥٥.

القول الثاني: من أنكر الصرع ونفى أن الشيطان يصرع الإنسان ويلابسه وهو منقول عن أكثر المعتزلة كالجبائي(١)، وبعض الأشاعرة(٢)، والزمخشري(٣) والفخر الرازي(٤) والقفال من الشافعية(٥) وغيرهم(٦).

وبعض المعاصرين من أمثال الشيخ محمد الغزالي ومحمد شلتوت وغيرهم(٧)، ومال إليه المراغي في تفسيره(٨).

واستدلوا على ما ذهبوا إليه بعدة أدلة:

١- قوله تعالى: قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى...﴾(٩)، قال الفخر الرازي - مبيناً وجه استدلال المعتزلة بهذه الآية -

(١) محمد بن عبدالوهاب بن سلام الجبائي: من أئمة المعتزلة ورئيس علماء الكلام في عصره، وإليه نسبة الطائفة الجبائية له مقالات وآراء انفرد بها في المذهب. البداية والنهاية (١١/ ١٢٥).

(٢) الزمخشري هو: محمود بن عمر بن محمد خوارزمي، الزمخشري مفسر ومحدث، ومتكلم ولغوي، من المعتزلة ولد ٤٦٧هـ، وتوفي سنة ٥٣٨هـ، له مصنفات كثيرة منها: الكشاف في حقائق التنزيل، الفائق في غريب الحديث، انظر: معجم المؤلفين، (١٢/ ١٨٦)، وتفسير الكشاف، (١/ ٣٩٨-٣٩٩).

(٣) انظر: مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري، ص ٤٣٤، إيضاح في الدلالة في عموم الرسالة ضمن مجموع الفتاوى، (١٩/ ١٢)، آكام المرجان، للشبلي، ص ١٠٥.

(٤) محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي أبو عبدالله فخر الدين الرازي مفسر، ولد عام ٥٤٤هـ، تعلم علم الكلام والحكمة وعلم الفقه والأصول. اشتهر بعلم الكلام وكان فيلسوفاً وله مصنفات كثيرة، والتفسير الكبير، ومعالم أصول الدين، ، توفي عام ٦٠٦هـ، انظر: طبقات الشافعية (٥/ ٣٣)، البداية والنهاية، (١٣/ ٥٥)، لسان الميزان، (٤/ ٤٢٦).

(٥) محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر أبو بكر الشاشي القفال الفارقي. رئيس الشافعية بالعراق في عصره. رحل إلى بغداد فتولى فيها التدريس بالمدرسة النظامية سنة ٥٠٤هـ، من كتبه: (طلبة العلماء)، (المعتمد). انظر: طبقات الشافعية، (٤/ ٥٨)، الأعلام (٥/ ٣١٦).

(٦) انظر: تفسير البيضاوي، ١/ ١٤٢، ط. الثانية، ١٣٨٨هـ/ ١٩٨٨م. ط. مصطفى الحلبي وتفسير أبي السعود، (١/ ٤١١-٤١٢).

(٧) انظر: الأسطورة التي هوت، لحسان عبدالمنان، ومقدمة محمد الغزالي، ومحمود شلتوت، للكتاب.

(٨) انظر: تفسير المراغي (١/ ٦٣-٦٤)، ط. الثالثة، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، دار الفكر.

(٩) سورة إبراهيم، الآية: ٢٢.

: «هذا صريح في أنه ليس للشيطان قدرة على الصرع والقتل والإيذاء»أ. هـ [١] .

ومن أدلتهم العقلية: قول الجبائي - كما نقله الرازي عنه في تفسيره - : «إن الشيطان إما أن يقال: إنه كثيف الجسم، أو يقال: إنه من الأجسام اللطيفة، فإن كان الأول وجب أن يرى ويشاهد، إذ لو جاز فيه أن يكون كثيفاً ويحضر ثم لا يرى لجاز أن يكون بحضرتنا شموس ورعود وبروق وجبال ونحن لا نراها، وذلك جهالة عظيمة، ولأنه لو كان جسماً كثيفاً فكيف يمكنه أن يدخل في باطن الإنسان، وأما إن كان جسماً لطيفاً كالهواء، فمثل هذا يمتنع أن يكون فيه صلابة وقوة، فيتمنع أن يكون قادراً على أن يصرع الإنسان ويقتله» [٢] .

٢- إن ذلك يؤدي إلى أن تلتبس معجزات الأنبياء بأفعال الشيطان والمشعوذين مادام للشيطان قدرة على القتل والإيذاء.

٣- إن ذلك لو صح لكان تسلط الشيطان على جميع المؤمنين بإيذائهم وقتلهم وسلب أموالهم من باب أولى [٣] .

وتأول كثير منهم قوله تعالى: قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾[٤]، على أن المراد بها الوسوسة[٥] وبعضهم تأولها على إنها جاءت على زعم العرب أن الشيطان يصرع الإنسان بناء على مخاطبتهم بما يفهمون[٦] .

وأما الأدلة من السنة فقد ردوها لعدم صحتها عندهم، وتأولوا ما صح منها[٧] .

---

(١) التفسير الكبير للرازي (٧/ ٩٥).

(٢) المرجع السابق، (٧/ ٩٦).

(٣) انظر: المرجع السابق نفس الجزء والصفحة.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٧٥ .

(٥) انظر: علاقة الجان بالإنسان، لحسان عبدالمنان، ص ٦٢ وما بعدها.

(٦) انظر: تفسير الكشاف، للزمخشري، (١/ ٣٩٨-٣٩٩)، والبيضاوي في تفسيره، (١/ ١٤٢).

(٧) انظر: علاقة الجان بالإنسان، لحسان عبدالمنان، ص ٧٧-٩٦ .

قال الألوسي – رحمه الله – : «واعتقاد السلف وأهل السنة أن مادلت عليه أمور حقيقية واقعة كما أخبر الشرع عنها والتزام تأويلها كلها يستلزم خبطاً طويلاً لا يميل إليه إلا المعتزلة ومن حذا حذوهم وبذلك ونحوه خرجوا عن قواعد الشرع القويم فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون» (١) .

والآية التي استدلوا بها إنما المراد بالسلطان المنفي فيها سلطان القهر والغلبة، والانحراف عن الهداية (٢) .

قال ابن جرير – رحمه الله – عن تفسير هذه الآية: «إن عبادي ليس لك عليهم حجة، إلا من اتبعك إلى ما دعوته إليه من الضلالة ممن غوى وهلك»أ. هـ (٣) .

وقال القرطبي – رحمه الله – : «ليس له سلطان على قلوبهم، ولا موضع إيمانهم، ولا يلقيهم في ذنب يؤول إلى عدم القبول، بل تزيله التوبة وتمحوه الأوبة» (٤) .

وأما القول بأن ذلك يؤدي إلى أن تلتبس معجزات الأنبياء بأفعال الشياطين فذلك غير وارد لما بينهما من الفروق (٥) . كما سيأتي .

وأما ادعاؤهم أن ذلك لو صح فلماذا لا يسلط الشيطان على جميع المؤمنين . . . الخ، وهذا القول ظاهر الفساد إذ إن المؤمن إذا تسلح بالرقى والأذكار وتحصن، فلن يقدر الشيطان على صرعه والتلبس به، وإنما تسلطه بالصرع على من غفل عن ذلك من المؤمنين، وغير ذلك من أنواع الإيذاء البدني والنفسي كما سيأتي .

أسباب الصرع: الشيطان يتسبب في صرع الإنسي لعدة أسباب:

١- تعلقه بذلك الشخص وعشقه له .

---

(١) روح البيان، للألوسي البغدادي، (٣/ ٤٩) .

(٢) انظر: روح المعاني، (٣/ ٤٩-٥٠) .

(٣) جامع البيان، لابن جرير، (٨/ ٣٤) .

(٤) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (١٠/ ٢٩) .

(٥) انظر: بيان الفرق بين معجزات الأنبياء وأفعال الشياطين والمشعوذين في كتاب النبوات، والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، لشيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله .

٢- أن يكون ذلك الشخص قد تسبب في الأذى لهم بالإحراق أو القتل أو غير ذلك من أنواع الأذى .

٣- أن يكون ذلك من باب العبث كما يعبث السفهاء .

٤- تسلط الجن عليه بسبب السحر .

٥- بسبب العداوة الشديدة والخبث .

٦- ضعف الإيمان وضعف الجسد وتسلط الخوف الشديد .

٧- الكفر والإلحاد [١] .

ثانياً: **السحر** :وقد سبق الكلام فيه وهو يلي الصرع حيث أن منه ما يقتل ومنه ما يمرض ومنه ما يذهب العقل ومنه ما يفرق به بين المرء وزوجه .

وكل ذلك لا يحدث إلا بإذن الله . كما قال تعالى: ﴿ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[٢] .

وهؤلاء السحرة إنما أعانتهم الشياطين ، والسحر من عمل الشياطين والدليل على ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾ ، وحققت لهم مرادهم لما تقربوا إليها بالشرك ، والأفعال الخبيثة إذ يطلب من بعضهم كتابة كلام الله تعالى بالنجاسة ، أو الذبح لغير الله تعالى ، أو السجود للشياطين والذبح لهم إلى غير ذلك من الأفعال الشركية[٣] .

قال ابن قدامة: (في تعريف السحر): هو «عقد ورقى وكلام يتكلم به أو يكتبه أو يعمل شيئاً يؤثر في بدن المسحور أو قلبه أو عقله من غير مباشرة له وله حقيقة» ا.هـ[٤] .

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٣/ ٨٢) ، (١٩/ ٣٩) ، (١٩/ ٤٠) ، والسحر . د . إبراهيم أدهم .

(٢) سورة البقرة ، الآية: ١٠٢ .

(٣) انظر: آكام المرجان في أحكام الجان ، ص ٩٨ .

(٤) المغني لابن قدامة (١٠/ ١١٣) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .

وقال الأزهري [١] : «السحر عمل تقرب فيه إلى الشيطان وبمعونة منه ، كل ذلك الأمر كينونة للسحر ، ومن السحر الأُخْذَة . التي تأخذ العين حتى يظن أن الأمر كما يرى وليس الأصل على ما يرى ، والسحر الأَخْذَة وكل ما لطف مأخذه ودقَّ فهو سحر . . . وأصل السحر صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره . . .» [٢] .

اختلف العلماء في السحر على قولين: الأول أنه تخييل ولا حقيقة له وعليه ابن حزم الظاهري[٣] ، والمعتزلة وأبي بكر الرازي وذكروا أنه ضرب من التخييل[٤] .

الثاني: إن له حقيقة : قال الإمام المازري [٥] - رحمه الله - مذهب أهل السنة وجمهور علماء الأمة على إثبات السحر وأن له حقيقة كحقيقة غيره من الأشياء الثابتة خلافاً لمن أنكر ذلك ونفى حقيقته [٦] . أ . هـ .

ومحل النزاع بين الفريقين هل بالسحر تنقلب العين أم لا؟!

فمن قال بالأول منع ذلك ، ومن قال بالثاني أجاز ذلك . ثم اختلفوا هل هذا الانقلاب ظاهري يحصل منه تغير المزاج كالمرض أو أن التغير يحصل بحيث يصبح الجماد حيواناً ، وجمهور العلماء على الأول وهو الصحيح ، لأن الساحر لا يستطيع أن يصل في

---

(١) هو أبو منصور محمد بن أحمد الأزهر الهروي ، توفي (٣٧٠هـ/ ٩٨١) أحد أئمة اللغة والأدب والفقه . ولد وتوفي في هراة بخراسان . . . له «تهذيب اللغة» و «تفسير القرآن» ، الأعلام للزركلي ، (٥/ ٣١١) .

(٢) لسان العرب ، مادة سحر ، (٤/ ٣٤٨) .

(٣) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل ، لابن حزم الظاهري ، (١/ ٢٤٨-٢٤٩) .

(٤) انظر: فتح الباري ، (١٠/ ٢٧٢) ، وشرح مسلم للنووي ، (١٤/ ١٧٤) ، والمسائل والرسائل ، (٢/ ١٠٣) ، والجامع لأحكام القرآن ، (٢/ ٤١) ، وما بعدها ، وبدائع الفوائد ، لابن القيم ، (٢/ ٢٢٧) .

(٥) محمد بن علي بن عمر التميمي المازري ، محدث من فقهاء المالكية . نسبته إلى مازر بجزيرة صقلية ، ووفاته بالمهدية له كتاب «المعلم بفوائد مسلم» ، وعليه تعليقاته على صحيح مسلم وقد قام بتسجيلها طلابه حين قراءته عليه ، توفي سنة ٥٣٦ ، وفيات الأعيان ، (١/ ٤٨٦) ، الأعلام للزركلي (٦/ ٢٧٧) .

(٦) صحيح مسلم بشرح النووي ، (١٤/ ١٧٤) .

سحره إلى قلب الأعيان.

وأما حقيقة السحر فالصحيح الذي عليه الجمهور أن له حقيقة للأدلة الثابتة على ذلك والدالة ومنها: قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ۝١١٦﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾[2]. «ولولا أن السحر له حقيقة لما أمر الله تعالى بالاستعاذة منه»[3].

وسحر النبي ﷺ وهذا من أقوى الأدلة على ثبوت حقيقة السحر، وقد اتفق المفسرون على أن سبب نزول سورة الفلق هو ما كان من سحر لبيد بن الأعصم للرسول ﷺ[4] - كما سبق بيان ذلك[5].

كما أن العقل لا ينكر ذلك بل قد يخرق الله العادة على يد ساحر ولا يكون ذلك من باب المعجزة ولا الكرامة لثبوت الفرق بينهما[6].

وأما قوله تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ۝٦٦﴾، فلا حجة فيها على نفي حقيقة السحر قال ابن حجر - رحمه الله -: «هذه الآية عمدة من زعم أن السحر إنما هو تخييل، ولا حجة له بها لأن هذه وردت في قصة سحرة فرعون، وكان سحرهم كذلك ولا يلزم منه أن جميع أنواع السحر تخييل»[7] أ. هـ.

قال القرطبي: «أن النبي ﷺ لما حُلّ السحر قال: (إن الله شفاني) والشفاء إنما يكون برفع العلة وزوال المرض، فدل على أن له حقاً وحقيقة، فهو مقطوع به بإخبار الله تعالى

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١١٦.
(٢) سورة الفلق، الآيات: ١-٤.
(٣) المغني لابن قدامة (١٠/ ١١٤).
(٤) انظر: أحكام القرآن للقرطبي، (٢/ ٤٦).
(٥) انظر ص ٦١ وما بعدها.
(٦) انظر: فتح الباري، (١٠/ ٢٧٣)، وانظر: صحيح مسلم بشرح النووي، (١٤/ ١٧٤) وما بعدها، والمسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل، (٢/ ١٠٢-١٠٣).
(٧) فتح الباري، (١٠/ ٢٧٦).

ورسوله ﷺ على وجوده ووقوعه . وعلى هذا أهل الحل والعقد الذين ينعقد بهم الإجماع ، ولا عبرة مع اتفاقهم بحثالة المعتزلة ومخالفتهم أهل الحق»أ.هـ[١] .

قال ابن القيم: «أنكر ذلك -يعني السحر- طائفة من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم وقالوا: إنه لا تأثير للسحر البتة لا في مرض ولا قتل ولا حل ولا عقد ، قالوا: وإنما ذلك تخييل لأعين الناظرين لا حقيقة له سوى ذلك ، وهذا خلاف ما تواترت به الآثار عن الصحابة والسلف واتفق عليها الفقهاء وأهل التفسير والحديث وأرباب القلوب»[٢] .

وأما أضرار السحر على البدن فكثيرة ، فالسحر خبيث ، وعمل فاسد من شيطان ضال ، يقارنه من باع دينه بدنياه ومن أبرز أضراره ما يلي:

١- التفريق بين الزوجين ، كما قال تعالى: ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[٣] ، وهنا يطلب الساحر ممن يأتيه أن يحضر له أثر من آثاراً من يريد سحره من شعر وثوب . . . وقد يفعل السحر دون أن يحتاج للأثر بواسطة ماء يسكبه في طريقه[٤] .

٢- الجنون حيث يقوم الجني الموكل بالسحر بالتمركز في عقل المسحور[٥] .

٣- القتل فمن السحر ما يقتل[٦] .

٤- المرض فقد يتمركز في عضو معين ويعطله فيصاب بالعمى أو الشلل .

٥- الوسواس ورؤية الأحلام المزعجة كالحيوانات المفترسة ، والثعابين وغير

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ، (٢/ ٤٦) .

(٢) بدائع الفوائد ، لابن القيم ، (٢/ ٢٢٧) ، وانظر تفسير ابن كثير ، (١/ ٢٥٧) وما بعدها .

(٣) سورة البقرة ، الآية: ١٠٢ .

(٤) انظر: الصارم البتار في التصدي للسحرة الأشرار ، لوحيد عبدالسلام بالي ،ص١٠٧ .

(٥) انظر: تفسير الرازي ، (٣/ ٢٢٧) .

(٦) انظر: في أضراره: الصارم البتار ، لوحيد بالي ، ص ١٦٦-١٩٠ . فتح الحق المبين في علاج الصرع والسحر والعين ، عبدالله الطيار وسامي المبارك ، ص ١٧٦ . السحر حقيقة لا خيال .

ذلك .

٦- النزيف عند المرأة ، فيقوم الجنى المكلف بالتمركز في رحم المرأة ، ويركض ركضة في العرق فيستمر نزول الدم عليها .

٧- حبس الرجل عن امرأته وهو ما يعرف «بالربط» فلا يستطيع مجامعتها .

قال ابن قدامة: «فمنه ما يقتل وما يمرض وما يأخذ الرجل عن امرأته فيمنعه وطأها ومنه ما يفرق بين المرء وزوجه وما يبغض أحدهما إلى الآخر أو يحبب بين اثنين» [(١)] .

وأما تعلم السحر فحرام وكذلك عمله ، قال النووي - رحمه الله - السحر حرام وهو من الكبائر بالإجماع . . . وأما تعلمه وتعليمه فحرام فإن تضمن ما يقتضي الكفر كفر وإلا فلا ، وإذا لم يكن فيه ما يقتضي الكفر عزر واستتيب منه ولا يقتل عندنا [(٢)] فإن تاب قبلت توبته .

وللوقاية من السحر وإبطاله ينبغي على العبد الإكثار من الذكر وقراءة المعوذتين وآية الكرسي وسورة البقرة .

قال ابن كثير: «أنفع ما يستعمل لإذهاب السحر ، ما أنزل الله على رسوله في إذهاب ذلك وهما المعوذتان . وكذلك قراءة آية الكرسي فإنها مطردة للشيطان» [(٣)] أ.هـ .

وقراءة سورة الفاتحة فهي أم الكتاب فعن خارجة بن الصلت التميمي عن عمه أنه أتى رسول الله ﷺ ثم أقبل راجعاً من عنده فمر على قوم عندهم رجل مجنون موثق بالحديد فقال أهله: «إنا قد حدثنا أن صاحبكم هذا قد جاء بخير (أي رسول الله ﷺ) فهل عنده شيء يداويه؟ قال: فرقيته بفاتحة الكتاب ثلاث أيام كل يوم مرتين فبرأ

---

(١) المغني لابن قدامة ، (١٠/ ١١٣) ، وفتح المجيد شرح كتاب التوحيد ، لعبدالرحمن آل الشيخ ، ص٣٢٣ .
(٢) يعني عند الشافعية .
(٣) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (١/ ١٥٩) .

فأعطوني مائة شاة فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته فقال: خذها فلعمري من أكل برقية باطل لقد أكلت برقية حق»[(١)] .

قال ابن القيم: مكثت بمكة مدة يعتريني أدواء ولا أجد طبيباً ولا دواء فكنت أعالج نفسي بالفاتحة فأرى لها تأثيراً عجيباً، فكنت أصف ذلك لمن يشتكي ألماً فكان كثير منهم يبرأ سريعاً ثم صرت أعتمد ذلك عند كثير من الأوجاع فأنتفع بها غاية الانتفاع[(٢)] .أ. هـ.

والتصبح بسبع تمرات ففي الحديث قال ﷺ: «من اصطبح كل يوم تمرات عجوة لم يضره سم ولا سحر ذلك اليوم إلى الليل»[(٣)] . وفي رواية عنه: (من تصبح سبع تمرات عجوة . . .).

وروي عن وهب بن منبه أن يأخذ سبع ورقات من سدر أخضر فيدقه بين حجرين ثم يضربه بالماء ويقرأ عليه آية الكرسي، ثم يحسو منه ثلاث حسوات ويغتسل به، فإنه يذهب عنه كل ما به وهو جيد للرجل إذا حبس عن أهله[(٤)] .

وأما ما يسمى بالنشرة فقد جاء أنه من عمل الشيطان، فعن جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ سئل عن النشرة فقال: «هي من عمل الشيطان»[(٥)]، والنشرة هي من الانتشار

---

(١) رواه أبو داود، رقم ٣٨٩٦، (٤٠٥-٤٠٦)، صححه الألباني. صحيح سنن أبي داود، (٢/ ٧٣٧).

(٢) الجواب الكافي، لابن القيم، ص ١٥، وانظر: زاد المعاد، (٤/ ١٢٦-١٢٧).

(٣) رواه البخاري، ٥٤٣٥ (٥/ ٢١٧٦-٢١٧٧).

(٤) ذكرها القرطبي في التذكر في أفضل الأذكار، ص ٤١٦، وانظر: الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٥٠)، وذكرها الشيخ سليمان آل الشيخ في تفسير العزيز الحميد ص ٣٦٨، وذكرها سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز في مجموع فتاويه، (٣/ ٢٧٩-٢٨٠).

* ومما يجدر التنبيه له أن بعض الكتاب توسع في بعض ما يتعلق بالسحر بلا دليل ومن الأمثلة: ما ذكره صاحب كتاب «كيف نداوي السحر . . .» لأبي الفداء محمد عارف، ذكر وصفة لفك السحر مفادها أنه يكتب تحت سرة المسحور بزعفران قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ ، ص ٢٩، هذا لا دليل عليه، ولم يذكره أحد من السلف!!

(٥) رواه الإمام أحمد، (٣/ ٢٩٤)، وأبو داود، رقم: ٣٨٦٨، (٢/ ٣٩٩). وصححه النووي في المجموع، (٩/ ٦٤)، وحسنه ابن حجر في فتح الباري، (١٠/ ٢٨٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: =

وهي كالتعويذة والرقية [١].

وهي: «إطلاق السحر عن المسحور» [٢].

وقيل: «ضرب من الرقية والعلاج يعالج به من كان يظن أنه به مس من الجن»[٣].

قال ابن الجوزي: «ولا يكاد يقدر على ذلك إلا من يعرف السحر»[٤]. أ. هـ.

وعده الحسن من السحر [٥]. وهو المقصود في الحديث أما النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية فلا يدخل فيها [٦].

قال ابن عثيمين معلقاً على كلام الشيخ محمد ابن عبدالوهاب في النهي عن النشرة: «تؤخذ من قوله ﷺ: (هي من عمل الشيطان)، وهنا ليس فيه صيغة نهي، لكن فيه ما يدل على النهي، لأن طرق إثبات النهي ليست الصيغة فقط، بل ذم فاعله، وقوله: هذا من عمل الشيطان، وتقبيح الشيء، وما أشبه ذلك يدل على النهي» [٧] أ.هـ.

ثالثاً: القتل والمقاتلة: ومن الإيذاء البدني القتل والمقاتلة، ومعنى ذلك أن الشيطان الجني قد يقتل المسلم من الإنس وقد يقاتله ويصارعه وقد دلت على ذلك السنة النبوية. من هذه الأحاديث:

١- ما رواه البيهقي في الدلائل عن الحسن أن عمار بن ياسر قال: «قاتلت مع رسول الله ﷺ الجن والإنس، فسئل عن قتال الجن، فقال: أرسلني رسول الله ﷺ إلى بئر

= «رواه البزار والطبراني في الأوسط، إلا أنه قال: ذكروا أنهما من عمل الشيطان، ورجال البزار رجال الصحيح» أ. هـ. (٥/ ١٠٢).

(١) لسان العرب، لابن منظور، (٥/ ٢٠٩)، مختار الصحاح، (١/ ٢٧٥).
(٢) غريب الحديث، لابن الجوزي، (٢/ ٤٠٨)،
(٣) المجموع للنووي، (٩/ ٦٣)، والنهاية في غريب الحديث (٥/ ٥٤)، وعون المعبود (١٠/ ٣٤٨).
(٤) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة.
(٥) انظر: النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير، (٥/ ٥٣).
(٦) انظر: تيسير العزيز الحميد، ص ٣٦٧، والقول المفيد، لابن عثيمين، (٢/ ٧٢-٧٣).
(٧) القول المفيد، لابن عثيمين، (٢/ ٧٦).

أستقي منها، فرأيت الشيطان في صورته، فصارعني فصرعته، ثم جعلت أرمي أنفه بفهر[١] كان معي أو حجر. فقال: النبي ﷺ لأصحابه: (إن عمار لقي الشيطان عند البئر فقاتله) فلما رجعت سألني فأخبرته الأمر، فكان أبو هريرة - رضي الله عنه - يقول: إن عمار بن ياسر أجاره الله من الشيطان على لسان رسول الله ﷺ »[٢].

ففي الحديث دليل على أن الشيطان قد يقاتل الإنسان محاولاً قتله، وكذلك صارع عمر رضي الله عنه كما في الأثر: عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنهما قال: (خرج رجل من أصحاب النبي ﷺ فلقي الشيطان فاشتجرا فاصطرعا، فصرعه الذي من أصحاب محمد ﷺ، فقال الشيطان: أرسلني أُحدِّثك حديثاً عجيباً يُعجبُك. قال: فأرسَلَهُ، قال: فحدِّثني. قال: لا.

قال: فاتَّخذا الثانية فاصطرعا، فصرعه الذي من أصحاب محمد ﷺ، قال: أرسلني فلأحدِّثك حديثاً يعجبك، فأرسله، فقال: حدثني. قال: لا.

فاتخذا الثالثة، فصرعه الذي من أصحاب محمد ﷺ ثم جلس على صدره، وأخذ بإبهامه يَلُوكُها، فقال: أرسلني. قال: لا أرسلك حتى تُحدِّثني. قال: سُورةُ البقرةُ فإِنَّه ليس منها آية تُقرأُ في وسط شياطين إلا تَفَرّقوا، ولا تُقرأُ في بيت فيدخُل ذلك البيت شيطان، قالوا: يا أبا عبدالرحمن - وهي كنية ابن مسعود - : فمن ذلك الرجل؟ قال: فمن تَرَونه إلا عمر بن الخطاب)[٣].

٢- أخرج مسلم في صحيحه أن أبا السائب دخل على أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في بيته قال: فوجدته يصلي، قال: فجلست أنتظره حتى يقضي صلاته، فسمعت تحريكاً في عراجين في ناحية البيت فالتفت فإذا حية، فوثبت لأقتلها، فأشار إليَّ أن أجلس

---

(١) الفهر: «الحجر قدر ما يدق به الجوز ونحوه» لسان العرب (٥/ ٦٦)، النهاية في غريب الحديث، (٣/ ٤٨١).

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده، (٦/ ٤٥١)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، (٩/ ٢٩٣)، وقال: رواه الطبراني عن شيخه يعقوب بن إسحاق المخرمي ولم أعرفه، والحكم بن عطية مختلف فيه، وبقية رجاله رجال الصحيح. أ. هـ، وأصله في البخاري، ٦/ ٣٣٧، وليس فيه ذكر القصة.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في مكايد الشيطان رقم: ٦٣ ص٨٥، وأبو نعيم في دلائل النبوة ص١٣١.

فجلست، فلما انصرف أشار على بيت في الدار فقال:

أترى هذا البيت؟ فقلت: نعم، قال: كان فيه فتى منا حديث عهد بعرس، قال: فخرجنا مع رسول الله ﷺ إلى الخندق، فكان ذلك الفتى يستأذن رسول الله ﷺ بأنصاف النهار فيرجع إلى أهله، فاستأذنه يوماً، فقال له رسول الله ﷺ: «خذ عليك سلاحك فإني أخشى عليك قريظة فأخذ الرجل سلاحه ثم رجع، فإذا امرأته بين البابين قائمة، فأهوى إليها بالرمح ليطعنها به وأصابته غيرة، فقالت له: اكفف عليك رمحك وادخل البيت حتى تنظر ما الذي أخرجني.

فدخل فإذا بحية عظيمة منطوية على الفراش، فأهوى إليها بالرمح فانتظمها به، ثم خرج فركزه في الدار، فاضطربت عليه، فما يدري أيهما كان أسرع موتاً: الحية أم الفتى؟ قال: فجئنا إلى رسول الله ﷺ فذكرنا ذلك له وقلنا: ادع الله يحيه لنا، فقال: «استغفروا لصاحبكم ثم قال: إن بالمدينة جناً قد أسلموا، فإذا رأيتم منهم شيئاً فآذنوه ثلاثة أيام، فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه، فإنما هو شيطان» [1].

ومن الأدلة على القتل قصة موت سعد بن عبادة رضي الله عنه سيد الخزرج وأنه مات بسبب سهمين أرسلت عليه من الجن كما روى الحاكم عن قتادة قال: قام سعد بن عبادة رضي الله عنه يبول ثم رجع فقال إني لأجد في ظهري شيئاً فلم يلبث أن مات فناحت الجن فقالوا: نحن قتلنا سيد الخزرج سعد بن عبادة ورميناه بسهمين فلم يخطئ فؤاده)[2] إن صحت الرواية.

وقد سبق بيان إيذائه لنبي الرحمة محمد ﷺ بمجادلته إحراقه - عليه الصلاة والسلام - عندما كان قائماً يصلي.

---

(١) رواه مسلم (١٧٥٦/٤)، وأبو داود في كتاب الأدب، (٤١٣/٥) مختصراً.

(٢) المستدرك، للحاكم رقم ٥١٠٣ (٣/ ٢٨٣) وسكت عليه وضعفه الذهبي، والطبراني في المعجم الكبير رقم: ٥٣٥٩ (١٦/٦) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٠٦/١)، وابن سيرين لم يدرك سعد بن عبادة» ا.هـ.

ومن محاولته قتل العبد حثه على القتل وتحريضه عليه وتزيينه وتحسينه مع تهييج الغضب الدافع للقتل والعدوان ، ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴾[١] . أي أغواه بقتل هذا الرجل وهو لا يريد قتله – وكان ذلك قبل نبوة موسى عليه السلام – وزين له القتل وهيج الغضب حتى وكزه فقتله [٢] قال ابن إبراهيم النخعي رحمه الله في تفسير قولـه تعالى: ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[٣] : (ما من مقتول يقتل ظلماً ، إلا كان على ابن آدم الأول والشيطان كِفْل منه) [٤] .

ومن محاولته قتل العبد إغراؤه له بالإشارة إلى أخيه بالسلاح ورفعه بيده فينزع يده ليقع السلاح على المشار إليه فيقتله كما في الحديث عن أبي هريرة – رضي الله عنه – مرفوعاً: (**لا يشيرن أحدكم إلى أخيه بالسلاح فإنه لا يدري لعل الشيطان يترغ يده فيقع في حفرة من النار**) [٥] .

قال ابن حجر: «والمراد أنه يغري بينهم حتى يضرب أحدهما الآخر بسلاحه فيحقق الشيطان ضربته له» [٦] ، وقيل المعنى أنه ينزعه من يده ويرمي به على أخيه حقيقة[٧] .

رابعاً: مرض الطاعون : وقد ثبت في السنة أن هذا المرض سببه الجن:

١- ما رواه أبو موسى الأشعري قال: سئل رسول الله ﷺ عن الطاعون فقال: «**وخز أعدائكم الجن، وفي كل شهادة**» [٨] .

---

(١) سورة القصص ، الآية: ١٥ .

(٢) انظر: جامع البيان للطبري (٢٠/ ٤٥) ، والجامع لأحكام البيان للقرطبي(١٣/ ٢٦١) .

(٣) سورة المائدة ، الآية: ٣٠ .

(٤) رواه ابن جرير في تفسيره (٦/ ١٩٤) ومثله لا يقال بالرأي .

(٥) رواه البخاري ، رقم ٦٦٦١ ، (٦/ ٢٥٩٢) ، ورواه مسلم ، رقم ٢٦١٧ ، (٤/ ٢٠٢٠) .

(٦) فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، لابن حجر ، (١٣/ ٣٠) .

(٧) انظر: المرجع السابق نفس الجزء والصفحة .

(٨) رواه أحمد في المسند ، (٤/ ٣٩٥) ، والحاكم في المستدرك ،(١/ ٥٠) ،وقال حديث صحيح على شرط=

٢- عن أبي بكر بن أبي موسى الأشعري عن أبيه عبدالله بن قيس أن النبي ﷺ ذكر الطاعون فقال: «وخز أعدائكم من الجن وهو شهادة المسلم» [(١)] .

٣- عن عائشة – رضي الله عنها– قالت: قال رسول الله ﷺ: (**الطاعون شهادة لأمتي ورجز أعدائكم من الجن، غدة كغدة البعير، يخرج في الآباط والمراق** [(٢)] **، من مات فيه مات شهيداً، ومن أقام فيه كان كالمرابط في سبيل الله ومن فر منه كان كالفار من الزحف**) [(٣)] .

وفي هذه الأحاديث دلالة على أن مرض الطاعون من الجن ، وسماه الرسول ﷺ وخز ورجز ، ومعنى الوخز: الطعن الذي لا ينفذ .

وفيه دلالة على أن للجن والشياطين سلطان في الإيذاء البدني ، ومن ذلك الإصابة ببعض الأمراض ومنها مرض الطاعون .

«ووصف طعن الجن بأنه وخز لأنه يقع من الباطن إلى الظاهر فيؤثر بالبطن أولاً ثم يؤثر في الظاهر وقد لا ينفذ ، وهذا بخلاف طعن الإنس» [(٤)] .

«والشيطان له ركض ، وهمز ، ونفث ، ونفخ ، ووخز ، قال الجوهري[(٥)] الركض تحريك الرجل ومنه قوله تعالى: ﴿ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَ ﴾[(٦)] . . . والهمز شبيه بالنفخ وهو أقل من التفل . وقد نفث الراقي ينفث وينفث ، والنفخ معروف ، والوخز الطعن بالرمح

= مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ، وأصله في البخاري في كتاب الجهاد ، باب (الشهادة سبع) ، (٦/ ٤٢) ، بلفظ «الطاعون شهادة لكل مسلم» ، قال العجلوني في كشف الخفا ، (٢/ ١٥٢): «رواه الحاكم عن أبي هريرة ، واشتهر على الألسنة: «وخز أعدائكم من الجن» .

(١) رواه أحمد في المسند ، (٤/ ٤١٣) .

(٢) المراق بالفتح: ما رق من أسفل البطن وقال المراق: ما سفل من البطن فما تحته من المواضع التي ترق جلودها . النهاية في غريب الحديث ، (٤/ ٣٢١ ، ٢/ ٢٥٢) . لسان العرب ، (١٠/ ١٢٢) .

(٣) رواه الطبراني في الأوسط ، وأبو نعيم في فوائد أبي بكر من خلاد عن عائشة . انظر: كنز العمال ، لعلاء الهندي ، (١٠/ ٧٨) .

(٤) فتح الباري ، لابن حجر ، (١٠/ ٢٢٣) .

(٥) إسماعيل بن حماد الجوهري ، أبو نصر لغوي من الأئمة ، أشهر كتبه الصحاح ، يقال أنه حاول الطيران وصنع جناحان من خشب فوقع صريعاً كانت وفاته عام ٢٩٣هـ ، انظر: الأعلام للزركلي ، / ٣١٣ ، وانظر: لسان الميزان ، (١/ ٤٠٠) ، ومعجم الأدباء ، (٢/ ٢٦٩) .

(٦) سورة ص ، الآية: ٤٢ .

وغيره لا يكون نافذاً»[(١)] .

قال الشبلي[(٢)] في الآكام: «وكذلك القول في قوله ﷺ في الطاعون: «إنه وخز أعدائكم من الجن» مع قوله ﷺ : «غدة كغدة البعير يخرج من مراق البطن» ، وذلك أن الجني إذا وخز العرق من مراق البطن خرج من وخزه الغدة فيكون وخز الجني سبباً للغدة الخارجية»[(٣)] .

وقال ابن حجر: «وقال جماعة من الأطباء: الطاعون مادة سمية تحدث ورماً قتالاً يحدث في المواضع الرخوة والمغابن من البدن ، وأغلب ما تكون تحت الإبط أو خلف الأذن أو عند الأرنبة . قال: وسببه دم رديء مائل إلى العفونة والفساد يستحيل إلى جوهر سمي يفسد العضو ويغير ما يليه ويؤدي إلى القلب كيفية رديئة فيحدث القيء والغثيان والغشى والخفقان . . .»[(٤)] .

والطب الحديث الآن يفسر الطاعون بأنه «مرض من أنواع الحمى الخبيثة سريع العدوى . وصفه المميز له ظهور دمل كبير للمصاب وخراج وغنغرينة و . . . ويتولد من

---

(١) نقلاً من آكام المرجان ، ص ١١٣-١١٤ .

(٢) «محمد بن عبدالله الشبلي الدمشقي . من فقهاء الحنفية ، ولد بدمشق ، ورحل إلى القاهرة وولي قضاء طرابلس سنة ٧٥٥ ، واستمر في القضاء إلى أن توفي بها» ، الأعلام (٦/ ٢٣٤) .

(٣) آكام المرجان في أحكام الجان ، ص ١١٤ ، النهاية في غريب الحديث (٣/ ١٢٧) . وقد نقل الألوسي تفسير لبعض مشايخه المتأخرين – لم يذكر اسمه – حيث قال: «إن الهواء إذا تعفن تعفناً مخصوصاً مستعداً للخلط والتكوين تنفرز منه وتنحاز أجزاء سمية باقية على هوائيتها أو فمنقلبة بأجزاء نارية محرفة فيتعلق بها روح خبيثة تناسبها في الشرارة وذلك نوع من الجن فإنها على ما عرف في الكلام أجسام حية لا ترى ، إما الغالب عليها الهوائية أو النارية . . . فإذا نزل واحد منها طبعاً ، أو إرادة على شخص أو نفذ في منافذه أو ضرب وطعن نفسه به يحصل فيه بحسب ما في ذلك الشر من القوة السمية وما في الشخص من الاستعداد للتأثير منه كما هو مقتضى الأسباب العادية في المسببات ، ألم شديد مهلك غالباً معظم للدماميل والبثرات في الأكثر بسبب إفساده للمزاج المستعد» روح المعاني ، (٣/ ٥٠) .

(٤) فتح الباري ، (١٠/ ٢٢٢) .

الجراثيم المضرة المتسببة من البقايا الحيوانية المتعفنة . . .» [١] .

وفسروا أسباب انتشاره بأنه بسبب دخول الجراثيم ، وسوء التغذية ، ونقصانها[٢] ، وأما أعراضه منها:

ونحن نؤمن بما جاء في السنة من كون هذا المرض وخز الجن ، حيث أن «النص الشرعي أخبر بالسبب الأصلي . . . والأطباء قد اطلعوا على أسباب جديدة لهذا المرض ، فقالوا بما اطلعوا عليه وبما وصل إليه علمهم ، ولا إشكال في ذلك» [٣] .

كما ذكر ابن القيم – رحمه الله – يعبر به عن ثلاثة أمور:

أحدها: هذا الأثر الظاهر وهو الذي ذكره الأطباء ، **الثاني**: الموت الحادث عنه وهو المراد بالحديث الصحيح في قوله: «**الطاعون شهادة لكل مسلم**» [٤] .

الثالث: السبب الفاعل لهذا الداء وقد ورد في الحديث الصحيح «**أنه بقية ورجز أرسل على بني إسرائيل**» [٥] وورد فيه «أنه وخز الجن» وجاء «أنه دعوة نبي» [٦] قال ﷺ :

---

(١) موسوعة القرن العشرين ، محمد فريد وجدي ، (٥/ ٧٣٧) .
(٢) انظر: المرجع السابق نفس الجزء والصفحة .
(٣) الإيمان بالملائكة ، أحمد عزالدين البيانوني ، ص ١٦٨ ، وانظر: الطب النبوي ، ص ٣٠-٣١ .
(٤) أخرجه البخاري (١٠/ ١٦٢) ، ومسلم في كتاب الإمارة باب (بيان الشهداء) ، ١٩٦١ .
(٥) رواه البخاري ، (٦/ ٣٧٧) ، في كتاب الأنبياء ، ومسلم ٢١٥٨ ، المفهم ، (٥/ ٦١١) .
(٦) روى الأثر الطحاوي في معاني الآثار ، (٤/ ٤٠٦) .
«جاء ذلك في قصة بلعام حيث أخرج الطبري من طريق سليمان التيمي أحد صغار التابعين عن سيار: أن رجلاً كان يقال له بلعام كان مجاب الدعوة ، وأن موسى أقبل في بني إسرائيل يريد الأرض التي فيها بلعام ، فأتاه قومه فقالوا: ادع الله عليهم فقال: حتى أؤامر ربي ، فمنع ، فأتوه بهدية فقبلها وسألوه ثانياً فقال: حتى أؤامر ربي ، فلم يرجع إليه بشيء ، فقالوا: لو كره لنهاك ، فدعا عليهم فصار يجري على لسانه ما يدعو به على بني إسرائيل فينقلب على قومه ، فلاموه على ذلك فقال: سأدلكم على ما فيه هلاكهم أرسلوا النساء في عسكرهم ومروهن أن لا يمتنعن من أحد ، فعسى أن يزنوا فيهلكوا ، فكان فيمن خرج بنت الملك فأرادها رأس بعض الأسباط وأخبرها بمكانه فمكنته من نفسها ، فوقع في بني إسرائيل الطاعون ، فمات منهم سبعون ألفاً في يوم ، وجاء رجل من بني هارون ومعه الرمح فطعنهما وأيده الله فانتظمهما جميعاً» قال ابن حجر بعد نقله لهذه الرواية: =

«الطاعون رجز وبقية عذاب عذب به قوم قبلكم فإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه ، وإذا سمعتم به بأرض فلا تدخلوا عليه» .

وأورد ابن حجر - رحمه الله - جمعاً لما ورد في السنة مما يخالف كلام الأطباء فقال: «لا يخالف ذلك ما قال الأطباء من كون الطاعون ينشأ عن هيجان الدم أو انصبابه لأنه يجوز أن يكون ذلك يحدث عن الطعنة الباطنة فتحدث منها المادة السمية ويهيج الدم بسببها أو ينصب ، وإنما لم يتعرض الأطباء لكونه من طعن الجن لأنه أمر لا يدرك بالعقل ، وإنما يعرف من الشارع فتكلموا في ذلك على ما اقتضته قواعدهم» (١) .

وقال - رحمه الله - : «ومما يؤيد أن الطاعون إنما يكون من طعن الجن وقوعه غالباً في أعدل الفصول وفي أصح البلاد هواء وأطيبها ماء ، وبأنه لو كان كذلك لعم الناس والحيوان ، والموجود بالمشاهدة أنه يصيب الكثير ولا يصيب من هم بجانبهم مما هم في مثل مزاجهم ، ولو كان كذلك لعم جميع البدن . . . ولأن فساد الهواء يقتضي تغير الأخلاط وكثرة الأسقام ، وهذا في الغالب يقتل بلا مرض» (٢) .

وقال ابن القيم: «وهذه العلل والأسباب ليس عند الأطباء ما يدفعها ، كما ليس عندهم ما يدل عليها ، والرسل تخبر بالأمور الغائبة ، وهذه الآثار التي أدركوها من أمر الطاعون ليس معهم ما ينفي أن تكون بتوسط الأرواح ، فإن تأثير الأرواح في الطبيعة وأمراضها وهلاكها أمر لا ينكره إلا من هو أجهل الناس بالأرواح وتأثيراتها ، وانفعال الأجسام وطبائعها عنها ، والله سبحانه قد يجعل هذه الأرواح تصرف في أجسام بني آدم عند حدوث الوباء ، وفساد الهواء ، كما يجعل لها تصرفاً عند بعض المواد الرديئة التي تحدث للنفوس هيئة رديئة ، ولا سيما عند هيجان الدم ، والمرةً السوداء ، وعند هيجان

= «وهذا مرسل جيد وسيار موثق وقد ذكر الطبري هذه القصة من طريق محمد بن إسحاق عن سالم بن النضر فذكر نحوه . . . وهذه الطريق تعضد الأولى» أ . هـ . رواه أبو يعلى في مسنده ، (٢/ ٨١) ، وأصله في البخاري رقم ٦٥٧٣ الفتح (١٠/ ٢٢٥) .

(١) فتح الباري ، لابن حجر ، (١٠/ ٢٢٢) .

(٢) المرجع السابق ، (١٠/ ٢٢٢-٢٢٣) .

المنى، فإن الأرواح الشيطانية تتمكن من فعلها بصاحب هذه العوارض ما لا تتمكن من غيره»(١).

خامساً: الإصابة بالأمراض العضوية :فالشيطان قد يكون سبباً في مرض عضوي وقد دلت على ذلك الآثار والوقائع.

ومن ذلك حديث زينب امرأة عبدالله بن مسعود – ﷺ – عن عبدالله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**إن الرقى والتمائم والتولة شرك**)، قالت: قلت: لم تقول هذا؟ والله قد كانت عيني تقذف وكنت أختلف إلى فلان اليهودي يرقيني فإذا أرقاني سكنت، فقال عبدالله: إنما ذاك عمل الشيطان كان ينخسها بيده، فإذا أرقاها كفَّ عنها، إنما كان يكفيك أن تقولي: كما كان رسول الله ﷺ يقول: (**اذهب البأس، رب الناس، اشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاءً لا يغادر سقماً**)(٢).

وقد سبق الكلام عن مرض الطاعون وأنه بسبب وخز الجن.

يقول ابن القيم – رحمه الله –: «فإن تأثير الأرواح في الطبيعة وأمراضها وهلاكها أمر لا ينكره إلا من هو أجهل الناس بالأرواح وتأثيراتها...» أ. هـ (٣).

---

(١) الطب النبوي، لابن القيم، ص ٣٩.

(٢) رواه أبو داود، رقم ٣٨٨٣، (٢/ ٤٠٢)، وأحمد في مسنده، (١/ ٣٨١)، والحاكم في المستدرك، (٤/ ٤١٨)، وقال: «صحيح الإسناد على شرط الشيخين»، وأقره الذهبي في التلخيص. والطبراني في المعجم الكبير، رقم ١٠٥٠٣ (١٠/ ٢١٣)، بدون ذكر القصة، وابن حبان في صحيحه، رقم ١٤١٢.

(٣) الطب النبوي، ص ٣٩.

* أكثر القراء اليوم المعالجين يعتقدون أن مرض السرطان سببه الشياطين وبعضهم يعتقد أن سببه العين أو السحر، وذكر صاحب كتاب دليل المعالجين أن هناك امرأه أصيبت بمرض خبيث في ثديها الأيمن وبعد استئصاله بقليل انتقل المرض إلى الثدي الأيسر، ففزع الأهل وطلبوا العلاج بالقرآن وبعد القراءة نطق الجن على لسانها وأخبر أنه سبب المرض، وأنه يخطط أن يصيب ركبتها بعد الثديين. وتم إخراجه وشفيت بإذن الله، ومما يؤيد ذلك أن سببه غير معروف إلى الآن، وإن كان يعتقد أن سببه بعض المواد الكيمائية والإشعاعات ولكن لم يثبت ذلك ثبوتاً علمياً إلى الآن، =

ومن الأمراض التي تكون من الشيطان (ذات الجنب) كما في الحديث عن عائشة - رضي الله عنهما لما لدّوا [١] النبي ﷺ حين قالوا: خشينا أن يكون به ذات الجَنَب فقال عليه الصلاة والسلام (**إنها من الشيطان ولم يكن الله يسلطه عليّ**) [٢].

وهو مرض معروف يسمى الشوصة والخاصرة وقيل السلّ وقيل إنه يطلق على نوعين من المرض.

الأول: ورم حار يكون في غشاء البطن وقروح في داخل الجنب يصاحبها آلاماً شديدة، وهذا النوع هو المقصود في الحديث.

الثاني: ريح تحتبس بين الأضلاع وفي الصدر وينتج لذلك وجعاً، وهذا النوع ليس المقصود في الحديث [٣]، وهي من الأمراض المستعصية والمخوفة حيث تقع بين القلب

= وكذلك علاجه لم يعرف. يقول د. مالكوم شوارتز صاحب كتاب السرطان: «يجب أن يكون واضحاً أن الجراحة والأدوية المخدرة والأشعة لا تشفي دائماً حتى عندما تستخدم لعلاج مراحل أولية من إصابة السرطان». ا.هـ. ومن عجيب الأمر انتشار هذا المرض وانبثاثه بشكل سريع بل أحياناً أثناء إجراء العمليات الجراحية.

يقول د. مالكوم شوارتز: «حوالي ثلث المرضى الذين تجرى عليهم الجراحة يحدث لهم انتشار أو انبثاث الورم خلال وقت الجراحة» أ. هـ.

انظر: كتاب السرطان، د. مالكوم شوارتز، ترجمة: عماد أبو سعد، ص٨٤، ٧٥، ٥٦. وانظر: كتاب أحكام التداوي، محمد على البار، ص١٠ وما بعدها. وكتاب الطب المصري، د. حسن كمال، ص١٣.

نشرت جريدة «المدينة» في عددها الصادر برقم ٩٠٤٥ بتاريخ ١٦ شعبان ١٤١٢هـ خبراً مفاده أن أحد المشائخ تمكّن من إخراج الجن من جسد امرأة بعد أن فشلت محاولات الأطباء في علاجها من الشلل ١٨ عاماً» ا.هـ !!، نقلاً من كتاب حقيقة تلبس الجن بالإنس وكيفية إخراجهم، تأليف إبراهيم الضبيعي ص٤٤ ط، وانظر ما نقله عن الباحث جمال عبدالباري الذي أكد من وجود عدد من الامراض ترجع إلى فعل الجن وأنه عالج أمراضاً فشل الأطباء في علاجها فعالجها بالقرآن الكريم والأدعية المأثورة، ومن هذه الأمراض بعض الأمراض العصبية والباطنية وأمراض النساء وحالات العقم وأمراط نفسية كالوسواس والفصام ... إلخ. انظر ص٤٤-٤٥.

(١) سبق تعريف اللّدود، انظر ص

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (٦/ ٢٧٤)، والحاكم في المستدرك رقم: (٤/ ٤٠٥)، وصححه ووافقه الذهبي، والحديث أصله في البخاري.

(٣) انظر: فتح الباري لابن حجر (١/ ١٢٠)، (٦/ ٤٣)، (٨/ ١٤٨)، زاد المعاد (٤/ ٨١)، التمهيد لابن عبدالبر (١٩/ ٢٠٦)، كشاف القناع للبهوتي (٢/ ١٠١)، روضة الطالبين للنووي (٦/ ١٢٤).

والكبد[١]، ومن أعراضها «الحمى والسعال والنخس وضيق النفس والنبض المنشاري»[٢] وتعالج بالقسط وهي (العود الهندي)[٣] وبا الكي كما ثبت من فعل أنس – رضي الله عنه – وإقرار النبي ﷺ له[٤].

سادساً: خطف الصبيان: وقد ثبت ذلك فعن جابر بن عبدالله – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا كان جنح الليل – أو أمسيتم – فكفوا صبيانكم، فإن الشياطين تنتشر حينئذ، فإذا ذهب ساعة من العشاء فخلوهم، وأغلق بابك واذكر اسم الله، وأطفئ مصباحك واذكر اسم الله وأوك سقاءك واذكر اسم الله، ومر إناءك واذكر اسم الله، ولو تعرض عليه شيئاً»**[٥].

والمعنى في قوله «جنح الليل» إقباله بعد غروب الشمس[٦].

قال ابن الجوزي – رحمه الله – «إنما خيف الصبيان في تلك الساعة لأن النجاسة التي تلوذ بها الشياطين موجودة معهم غالباً، والذكر الذي يحرز منهم مفقود من الصبيان غالباً، والشياطين – عند انتشارهم – يتعلقون بما يمكنهم التعلق، فلذلك خيف على الصبيان في ذلك الوقت» ا. هـ[٧].

وفي ورواية عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا ترسلوا فواشيكم[٨] وصبيانكم إذا**

(١) انظر: فتح الباري (١٠/ ١٧٢)، زاد المعاد لابن القيم (٤/ ٨٣).
(٢) فتح الباري (١٠/ ١٧٢)، وانظر زاد المعاد (٤/ ٨٢).
(٣) كما ثبت في البخاري من حديث أم قيس، رقم: ٥٣٨٣ (٥/ ٢١٥٩).
(٤) الحديث رواه البخاري في كتاب: الطب باب: ذات الجنب رقم: ٥٣٨٩ (٥/ ٢١٦٢).
(٥) رواه البخاري، رقم ٣٣٠٤ (٣/ ١١٩٥)، ومسلم، رقم ٢٠١٢ (٣/ ١٥٩٤).
(٦) فتح الباري، (٦/ ٤٢٠).
(٧) فتح الباري، ٦/ ٤٢١، بحيث عنه في تلبيس إبليس.
عقد الإمام الشبلي في آكام المرجان باباً بعنوان «في ما يلهي الشيطان عن الصبيان» وأورد فيه حديث مروي عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «اتخذوا الحمامات المقصوصات في البيوت فإنها تلهي الشيطان عن صبيانكم» وهذا حديث لا يصح، أخرجه الخطيب في تاريخه من حديث ابن عباس، (٥/ ٢٧٩)، قال السيوطي في اللآلئ المصنوعة، (٢/ ٢٣٠) موضوع، آمنة محمد بن زياد. أ. هـ.
(٨) فواشيكم: جمع فاشيه، وهي الماشية التي تنتشر من المال، كالإبل والبقر والغنم، النهاية في غريب الحديث، (٣/ ٤٤٩).

غابت الشمس حتى تذهب فحمة العشاء فإن الشياطين تبعث إذا غابت الشمس حتى تذهب فحمة العشاء» [١] ، «والحكمة في انتشارهم حينئذ أن حركتهم في الليل أمكن منها لهم في النهار ، لأن الظلام أجمع للقوى الشيطانية من غيره وكذلك كل سواد» [٢] .

سابعاً: التفريق بين الزوجين: وهذا هدف عظيم من أهداف إبليس – لعنه الله – وقد ذكره الله تعالى في كتابه إذ يقول جل شأنه: ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [٣] .

وليس بالسحر وحده يفرق بين الزوجين ، بل له مكايد عدة في إثارة الخلافات بين الزوجين ؛ وذلك بإيقاد نار الفتنة والخلاف والوسوسة لكل واحد منهما ويسعى في ذلك جاهداً حتى يقع الطلاق الذي هو غاية ما يتمناه ، ففي الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن جابر – ﷺ – قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن عرش إبليس على البحر فيبعث سراياه، فيفتنون بين الناس فأعظم فتنة يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته فيدنيه منه ويقول: نعم أنت»** [٤] .

«يروى بفتح النون بمعنى: نعم أنت ذاك الذي تستحق الإكرام ، وبكسرها أي نعم **منك»** [٥] .

وفي الأثر عن أبي أمامة ﷺ قال: إن الشيطان يأتي إلى فراش أحدكم بعدما يفرشه أهله ويهيئونه ، فيلقي عليه العود والحجر أو الشيء ليغضبه على أهله ، فإذا وجد أحدكم فلا يغضب على أهله ، قال: لأنه من عمل الشيطان) [٦] .

قال ابن تيمية: «السعي في التفريق بين الزوجين من أعظم المحرمات ، بل هو فعل

---

(١) رواه مسلم ، كتاب الأشربة ، رقم ٢٠١٣ ، (٣/ ١٥٩٥) .

(٢) فتح الباري ، (٦/ ٤٢٠) ، انظر: المفهم للقرطبي ، (٥/ ٢٨٠-٢٨١ .

(٣) سورة البقرة ، الآية: ١٠٢ .

(٤) رواه مسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، رقم ٢٨١٣ ، (٤/ ٢١٦٧) .

(٥) أكام المرجان في أحكام الجان ، للشبلي ، ص ١٦٤ .

(٦) رواه البخاري في الأدب المفرد ، رقم: ١١٩١ ص٤٠٧ .

هاروت وماروت، وفعل الشيطان الحظي عند إبليس، كما جاء به الحديث الصحيح»[١].

والشيطان يثير غيره المرأة على زوجها والشك فيه كما في حديث عائشة أن رسول الله ﷺ خرج من عندها ليلاً قالت: «فغرت عليه قالت: فجاء فرأى ما أصنع، فقال: مالك يا عائشة أغرت؟ فقلت: ومالي لا يغار مثلي على مثلك؟ فقال رسول الله ﷺ: أفأخذك شيطانك؟ قلت: يا رسول الله أو معي شيطان! قال: نعم، قلت: ومع كل إنسان؟ قال: نعم، قلت: ومعك يا رسول الله؟ قال: نعم ولكن ربي أعانني عليه حتى أسلم».

ثامناً: نخس المولود عند ولادته: وهذا ثابت في الصحيحين عن أبي هريرة - ﷺ - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان فيستهل صارخاً من نخسة الشيطان إلا ابن مريم وأمه»**[٢] ثم قال أبو هريرة: اقرأوا إن شئتم: ﴿ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾[٣].

وعند مسلم عن أبي هريرة - ﷺ - قال: قال رسول الله ﷺ: **«صياح المولود حين يقع نزغة من الشيطان»**[٤].

قال النووي: «صياح المولود حين يقع نزغة من الشيطان أي حين يسقط من بطن أمه، ومعنى نزغة: نخسة وطعنة منه. ومنه قولهم: نزغه بكتمة سوء: أي رماه بها»[٥].

وفي رواية عند الإمام أحمد عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: **«كل إنسان تلده أمه يلكزه الشيطان بحضنيه**[٦] **إلا ما كان من مريم وابنها، ألم تروا إلى الصبي حين يسقط**

---

(١) فتح المنان في جمع كلام شيخ الإسلام ابن تيمية عن الجان، (١/ ٢٩١).

(٢) رواه البخاري، (٦/ ٤٦٩)، ومسلم، (٤/ ١٨٣٨)، واللفظ لمسلم.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٣٦.

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، رقم ٢٣٦٧، (٤/ ١٨٣٨).

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي، (١٥/ ١٢٠-١٢١).

(٦) «الحضنية: الجنب والمعنى: يضربه بكفه على جنبه» ترتيب مسند أحمد، أحمد البنا (٢٠/ ١٣٢).

كيف يصرخ، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فذاك حين يلكزه الشيطان بحضنيه» [١] .

قال ابن الأثير: «النخس هو الدفع والحركة» [٢] .

قال ابن القيم – رحمه الله – : « . . . إن الله سبحانه اقتضت حكمته أن وكل بكل واحد من ولد آدم شيطاناً ، فشيطان المولود قد خنس ينتظر خروجه ليقرنه ويتوكل به ، فإذا انفصل استقبله الشيطان وطعنه في خاصرته تحرقاً عليه وتغيظاً واستقبالاً له بالعدواة . . . فيبكي المولود من تلك الطعنة» أ. هـ [٣] .

قال القرطبي – رحمه الله – : «النَّخس من الشيطان إشعار منه بالتمكن والتسليط ، وحفظ الله تعالى لمريم وابنها من نخسته تلك التي هي ابتداء التسليط ببركة إجابة دعوة أمها حين قالت: ﴿ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٣٦ ﴾[٤] » [٥] .

واختلف العلماء هل هذا خاص بعيسى – عليه السلام – وأمه ، أم يشاركهما في ذلك جميع الأنبياء ، فقال بعضهم إن ذلك لا يخص عيسى وأمه بل يشاركهما في ذلك جميع الأنبياء ، ومال إلى ذلك القاضي عياض – رحمه الله – وقال آخرون بأن ذلك خاص بهما ولا يشاركهما في ذلك أحد من الأنبياء أو الأولياء ، وإن هذا الطعن لا يلزم منه إغواء الممسوس ، والأنبياء قد عصمهم الله من إضلال الشيطان كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾[٦] . ومال إلى ذلك قتادة والقرطبي [٧] .

والراجح – والله أعلم – إن هذه خصيصة خص الله بها مريم وعيسى – عليهما السلام – ببركة دعاء امرأة عمران ، وذلك لدلالة الأدلة على اختصاصهما بذلك

(١) رواه أحمد في مسنده ، (٢/ ٣٦٨) .

(٢) النهاية في غريب الحديث ، لابن الأثير ، (٥/ ٣٢) .

(٣) التبيان في أقسام القرآن ، لابن القيم ، (١/ ٢٢٦) .

(٤) سورة آل عمران ، الآية: ٣٦ .

(٥) المفهم ، للحافظ القرطبي ، (٦/ ١٧٧) .

(٦) سورة الإسراء ، الآية: ٦٥ .

(٧) انظر: الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٤/ ٦٨) .

دون سائر الخلق . كما إن الأحاديث ليس فيهـا ما يـدل على عدم تعرض إبليس لهما بعد ولادتهما ، ومعلـوم أن جميع الأنبياء قد عصمهم الله من إضلال إبليس وإغوائه لهم .

وهنا يرد إشكال: هل يعني ذلك أن عيسى أفضل من نبينا محمد ﷺ ؟!

«قال السهيلي[١] : ولا يدل هذا على فضل عيسى – عليه السلام – على محمد ﷺ لأن محمداً ﷺ قد نزع منه ذلك المغمز وملئ قلبه حكمة وإيماناً بعد أن غسله روح القدس بالثلج والبرد[٢] » .

«ومريم وابنها – وإن عصما من نخسه – فلم يعصما من ملازمته لهما ومقارنته . وقد خص الله تعالى نبينا محمد ﷺ بخاصيّة كمل عليه بها إنعامه بأن أعانه على شيطانه حتى صح إسلامه ، فلا يكون عنده شرٌّ ، ولا يأمره إلا بخير ، وهذه خاصيَّة لم يؤتها أحد غيره ، لا عيسى ولا أمه»[٣] .

كما أنها قد ثبتت النصوص الصريحة الدالة على أفضلية نبينا محمد ﷺ على سائر الأنبياء ، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴾[٤] .

---

(١) عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد السهيلي: حافظ ، عالم باللغة والسير ، ولد سنة ٥٠٨هـ وتوفي سنة ٥٨١هـ ، من كتبه (الروض الأنف) ، انظر: وفيات الأعيان ، (١/ ٢٨٠) ، الإعلام (٣/ ٣١٣) .

(٢) يشير إلى ما رواه مسلم عن أنس بن مالك في كتاب الإيمان ، رقم ٢٥٩ ، (١/ ١٤٧) ، أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل ﷺ وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب . فاستخرج منه علقة . فقال: هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأَمَهُ ثم أعاد إلى مكانه . وجاء الغلمان يسعون إلى أمه (يعنى ظئرة) فقالوا: إن محمداً قد قتل . فاستقبلوه وهو منتقع اللون . قال أنس: وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره» ، آكام المرجان ، للشبلى ، ص ١٧٣ .

(٣) المفهم ، للقرطبي (٦/ ١٧٨) .

(٤) سورة آل عمران ، الآية: ٨١ .

قال المفسرون: «أخذ الله الميثاق بالوحي فلم يبعث نبياً إلا ذكر له محمد ونعته وأخذ عليه ميثاقه إن أدركه يؤمنن به» (١) .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة - ﷺ - أنه قال ﷺ : «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع**» (٢) .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - : «**أنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول شافع أول مشفع ولا فخر، وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح لي فأدخلها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر، وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر**» (٣) .

وعن أنس - ﷺ - قال النبي ﷺ : «**أنا سيد الناس يوم القيامة وتدرون بم ذلك؟ يجمع الله الأولين والآخرين...**» (٤) الحديث .

وقد أنكر بعض المعتزلة حديث «ما من مولود . . .» من أمثال الزمخشري (٥) وعبدالجبار الهمذاني .

ونقل الألوسي إنكار القاضي عبدالجبار الهمذاني لهذه الأخبار (٦) وليس للمعتزلة أي حجة في ردهم هذه الأخبار ، وردهم أخبار الآحاد بصفة عامة إلا اتباعاً للشيطان وانسياقاً وراء أهوائهم .

قال الألوسي: «ولا يخفى أن الأخبار في هذا الباب كثيرة وأكثرها مدون في الصحاح ، والأمر لا امتناع فيه ، وقد أخبر به الصادق - عليه الصلاة والسلام - فليتلق بالقبول ، والتخييل الذي ركن إليه الزمخشري ليس بشيء لأن المس باليد ربما يصلح

---

(١) الشفا ، للقاضي عياض (١/ ٥٩) .
(٢) رواه مسلم في كتاب الفضائل ، رقم ٢٢٧٨ ، (٤/ ١٧٨٢) .
(٣) رواه الترمذي ، (٥/ ٥٨٨) ، وقال: هذا حديث غريب .
(٤) رواه مسلم في كتاب الإيمان ، رقم ٣٢٧ ، (١/ ١٨٤) .
(٥) انظر: الكشاف للزمخشري (١/ ٤٢٦) .
(٦) انظر: روح المعاني ، للألوسي ، (٣/ ١٣٧) .

لذلك ، أما الاستهلال صارخاً فلا ، على أن أكثر الروايات لا يجري فيها مثل ذلك»[١] .

تاسعاً: حضور الشيطان جماع الرجل أهله : ثبت في الصحيحين من حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ : **«لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله، قال: بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فإنه إن يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره الشيطان أبداً»** [٢] .

وجه الدلالة من الحديث: أن الرسول ﷺ أمر الرجل أن يدعو بهذا الدعاء عند الجماع ، مما يدل على حضور الشيطان لجماع الرجل فإذا ذكر الله تعالى خنس ، وفي شرح قوله ﷺ : «فإنه أن يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره الشيطان أبداً» ذكر العلماء أقوال كثيرة مع اتفاقهم على عدم الحمل على عموم أنواع الضرر [٣] منها:

- قيل أن المعنى أن الشيطان لا يسلط عليه ، فهو ممن قال الله فيهم: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾[٤] ، وقيل أن المعنى أنه لا يضره بالطعن في خاصرته كما في الحديث [٥] .
- وقيل المراد أنه لا يضره بصرعه ، وقيل لا يضره في بدنه وقيل دينه .
- وقيل لا يفتنه إلى الكفر ، وقيل لا يشارك أباه في جماع أمه [٦] .

قال ابن حجر – رحمه الله – : «ولعل هذا أقرب الأجوبة»[٧]أ . هـ ، وهذا ما ذكره بعض المفسرين عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾[٨] .

---

(١) المرجع السابق ، (٣/ ١٣٧-١٣٨) .
(٢) رواه البخاري ، رقم ٥١٦٥ ، (٩/ ٢٨٤) ، الفتح .
(٣) فتح الباري لابن حجر ، (٩/ ٢٨٥) .
(٤) سورة الإسراء ، الآية: ٦٥ .
(٥) المراد حديث: «ما من مولود» .
(٦) فتح الباري ، (٩/ ٢٨٥-٢٨٦) ، باختصار وتصرف .
(٧) فتح الباري ، (٩/ ٢٨٦) .
(٨) سورة الإسراء ، الآية: ٦٤ .

فمن الأقوال في تفسيرها كما روي عن مجاهد [١] قال: «إذا جامع ولم يُسَمِّ انطوي الجـان على إحليلـه فجامـع معه ، فذلك قوله تعالى: ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴾[٢] » [٣] .

وروى عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: قال رسول الله ﷺ : «هل رئي فيكم المغربون؟» قلت وما المغربون؟ قال: «الذي يشترك فيه الجن» [٤] .

العاشر: إحراق المنازل بالنار : في حديث جابر – رضي الله عنه – الآنف الذكر قال: قال رسول الله ﷺ : **«خمروا الآنية وأوكوا الأسقية، وأجيفوا الأبواب، واكفئوا صبيانكم عند المساء، فإن للجن انتشاراً وخطفة، وأطفئوا المصابيح عند الرُّقاد فإن الفويسقة ربما اجترت الفتيلة فأحرقت أهل البيت»** .

الفويسقة: هي الفأرة .

قال ابن حجر – رحمه الله – : «والأصل في جميع ذلك يرجع إلى الشيطان فإنه هـو الذي يسوق الفأرة إلى حرق الدار» أ . هـ [٥] .

وهذا الذي ذكره ابـن حجـر اسـتنبطه ممـا رواه أبـو داود في سـننه وابـن حبـان في صحيحه ، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا نمتم فأطفئوا سـرجكم ، فـإن الـشيطان يـدل مثـل

---

(١) «مجاهد بن جبر ، أبو الحجاج المكي ، مولى بني مخزوم ، تابعي مفسر من أهل مكة ، قال الـذهبي: شـيخ القراء والمفسرين . أخذ التفسير عن ابن عباس ، قرأه عليه ثلاث مرات يقف عند كل آية يسأله: فـيم نزلت . . .» الأعـلام للزركلـي ، (٥/ ٢٧٨) ، وانظـر: ميـزان الاعتـدال ، (٣/ ٩) ، وصـفة الـصفوة ٢/ ١١٧) .

(٢) سورة الرحمن ، الآية: ٥٦ .

(٣) رواه ابن جرير في تفسيره ، (٢٧/ ٨٨) ، والترمذي في نوادر الأصول ، ١١٦ ، ٢٤٣ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ، (٦/ ١٤٨) ، وعزاه لابن جرير والحكيم ، والقرطبي في أحكام القرآن ، (١٠/ ٢٨٩) .

(٤) رواه أبو داود ، رقم ٥١٠٧ ، ورقم: ٥١٠٧ ، والبغوي في شـرح الـسنة ، (١٢/ ١٦٦) ، قـال شـعيب الأرناوؤط: إسناده ضـعيف ، فيـه ضـعيف ومجهـول ، وتفـسير البغـوي (٣/ ١٢٣) ، وشـرح الـسنة (الهامش) .

(٥) فتح الباري ، (٦/ ٤٤٠) .

هذه الفأرة على هذا السراج فيحرقكم»(١) .

وهذا يؤيده الواقع : نشرت جريدة (المسلمون) في عددها (٣٣٨) في ١٥/ ١/ ١٤١٢هـ قصة مواطن تشتعل النار في بيته ، وفي كل ركن من أركان بلا سبب واضح .

وفي جريدة أخبار اليوم عددها رقم ٢٤٨١ تاريخ ٢٠/ ١١/ ١٤١٢هـ . نشرت خبراً عن نيران تشتعل في منزل طبيب كل نصف ساعة ، حيث تنتقل إلى كل مكان في المنزل ، وبعد مجيء رجال الأمن ورجال المطافي حاولوا اكتشاف أي مصدر للحريق ولكنهم لم يستطيعوا معرفة سببها إذ كانت تشتعل أمام مرأى عيونهم في أسرة الأطفال وفي المفروشات وفي كل مكان من الشقة وأخذ أحد رجال الأمن عينة من الحريق لمعرفة السبب العلمي لاشتعال النيران ، وعند باب المعمل الجنائي اختفى الكيس الذي يحمل عينات الحريق(٢) .

---

(١) رواه أبو داود ، رقم: ٥٢٤٧ (٤/ ٣٦٣) ، وابن حبان في صحيحه رقم: ٥٥١٩ (١٢/ ٣٢٧) وبوب بقوله: «ذكر البيان بأن الفويسقة تضرم على أهل البيت بيتهم بأمر الشيطان إياها ذلك» ، والحاكم في المستدرك رقم: ٧٧٦٦ (٤/ ٣١٧) وصححه الألباني في صحيح أبي داود رقم: ٤٣٦٩ .

(٢) انظر: كتاب الطرق الحسان في علاج أمراض الجان ، ص ٥٤-٦٠ ، خليل بن إبراهيم أمين . وفي الوابل الصيب يذكر ابن القيم - رحمه الله - عن أبي النضر هاشم بن القاسم قال: كنت أرمي - وقيل آوي - في داري ، فقيل: يا أبا النضر تحول عن جوارنا ، قال: فاشتد ذلك علي فكتبت إلى الكوفة إلى ابن إدريس ، والمحاربي ، وأبي أسامة فكتب إليَّ المحاربي: أن بئراً بالمدينة كان يقطع رشاؤها ، فنزل بهم ركب فشكوا ذلك إليهم ، فدعوا بدلو من ماء ، ثم تكلموا بهذا الكلام فصبوه في البئر ، فخرجت نار من البئر فطفئت على رأس البئر ، وهو «بسم الله أمسينا بالله الذي ليس منه شيء ممتنع وبعزة الله التي لا ترام ولا تضام وبسلطان الله المنيع نحتجب ، وبأسمائه الحسنى كلها عائذاً من الأبالسة ، ومن شر شياطين الإنس والجن ، ومن شر كل معلن ومسر ، ومن شر ما يخرج بالليل ويكمن بالنهار ، ويكمن بالليل ويخرج بالنهار ، ومن شر ما خلق وذرأ وبرأ ، ومن شر إبليس وجنوده ، ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم ، أعوذ بالله بما استعاذ به موسى ، وعيسى وإبراهيم الذي وفى ومن شر ما خلق وذرأ وبرأ ، ومن شر إبليس وجنوده ، ومن شر ما يبغي . أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ۝٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ۝٥ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۝١٠ ﴾» . =

الحادي عشر: تخبط الإنسان عند الموت

وهذا التخبط تعوذ النبي ﷺ منه كما جاء في الحديث: «اللهم إني أعوذ بك من التردي [١] ، والهرم [٢] ، والغرق ، والحريق ، وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت ، وأعوذ بك أن أموت في سبيلك مدبراً ، وأعوذ بك من الموت [٣] لديغاً» [٤] .

قال ابن الأثير – رحمه الله – مفسر قوله ﷺ : «وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت ، أي يصرعني ويلعب بي» [٥] .

فهذا العدو المتربص بهذا العبد يتحين فرصة ضعفه ، وموته ليتخبطه ويصرعه ، وربما فتنة وختم له بالسوء وحال بينه وبين التوبة [٦] .

قال ابن تيمية – رحمه الله – : «ولهذا روي أن الشيطان أشد ما يكون على ابن آدم حين الموت يقول لأعوانه: دونكم هذا فإنه إن فاتكم لن تظفروا به أبداً ، وحكاية عبدالله بن أحمد بن حنبل مع أبيه وهو يقول لا بعد لا بعد مشهورة» أ . هـ [٧] .

بل إن مكايده للعبد تستمر حتى بعد موته في قبره كما دل على ذلك الأثر عن ابن عمر ، فعن سعيد بن المسيب قال: حضرت ابن عمي في جنازة ، فلما وضعها في اللحد

= قال أبو النضر: فأخذت تورا من ماء ، ثم تكلمت فيه بهذا الكلام ، ثم تتبعت به زوايا الدار فرشته ، فصاحوا بي!! أحرقتنا ، نحن نتحول عنك ، الوابل الصيب ، لابن القيم ، ١٧٦-١٧٧ ، وانظر: كتاب النذير العريان لتحذير المرضى والمعالجين بالرقى والقرآن ، فتحي الجندي ، ص ٨٩ . ذكر هذه القصة وقال: لم نقف لها على إسناد وما أخالها تصح .

(١) التردي السقوط من مكان عال ، انظر النهاية (٢/ ٢١٦) ، فيض القدير (٢/ ١٤٨) .

(٢) التهدم: «هو أن ينهار عليه بناء ، أو يقع في بئر أو أهْوِيَة» النهاية في غريب الحديث (٥/ ٢٥٢) .

(٣) لديغ أي ملدوغ ، واللديغ هو من أصابته ذوات السموم كالحية والعقرب في بدنه ، انظر المرجع السابق (٤/ ٢٤٥) ، فيض القدير (٢/ ١٤٨) .

(٤) رواه النسائي ، رقم ٥٥٣١ ، ٨/ ٢٨٢-٢٨٣ ، والحاكم وصححه ، ومشكاة المصابيح رقم: ٢٤٧٣ (٢/ ٧٦٢) ، وصححه الألباني انظر: صحيح الجامع (١/ ٢٧٥) .

(٥) النهاية في غريب الحديث ، (٢/ ٨) .

(٦) انظر: شرح السيوطي لسنن النسائي ، مطبوع في حاشية سنن النسائي (٨/ ٢٨٢-٢٨٣) .

(٧) مجموع الفتاوى لابن تيمية ، (٤/ ٢٥٦) .

قال: بسم الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله، فلما أخذ في تسوية اللبن على اللحد قال: اللهم أجرها من الشيطان ومن عذاب القبر، اللهم جاف الأرض عن جنبيها وصعِّد روحها، ولقِّها منك رضواناً، قلت: يا ابن عمر! أشيء سمعته من رسول الله ﷺ أم قلته برأيك قال: إني إذاً لقادر على القول؛ بل شيء سمعته من رسول الله ﷺ [(١)] .

بل الشيطان يحرص كل الحرص على أن يحول بين العبد وبين أن تدركه رحمه الله كما في الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: لا أُخبركُم إلا ما سمعتُ من فِيِّ رسُول الله ﷺ ، سمعَتهُ أذُنايَ وَوعاهُ قَلْبِي أَنَّ عَبداً قَتَلَ تسعاً وتسعين نفْساً، ثُمَّ عَرَضَتْ له التوبةُ، فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل، فأتاهُ فقال: إنِّي قَتَلتُ تِسعاً وتسعين نفْساً، فهل لي من توبة؟ قال: بَعْدَ قتْلِ تسعاً وتسعين نفساً؟! قال: فانتَضَى سيفه فقتله، فأكمل به مائة ثُمَّ عرضتْ له التوبةُ، فسأل عن أعلم أهل الأرض فدُلَّ على رجلٍ، فأتاهُ فقال: إني قتلت مائة نفس، فهل لي من توبة؟ قال: وما يَحُولُ بينَكَ وبين التوبة! أُخرُجْ مِن القرية الخبيثة التي أَنْتَ فيها إلى القرية الصالحة قرية كذا وكذا، فاعبد ربَّكَ فيها. قال: فخرج يريد القرية الصالحة فعَرضَ له أجلُهُ في الطريق، قال: فاختصم فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقال إبليس: أنا أولى به لم يعصني ساعة قط. فقالت ملائكة الرحمة: إنه خرج تائباً. فقال الله: انظروا أي القريتين كانت أقرب إليه فألحِقُوه بها. فَقرَّب الله منهُ القريةَ الصَّالِحةَ وبَاعَدَ مِنهُ القريةَ الخبيثة فألحِقُوهُ بأهلِ القرية الصالحة)[(٢)] .

الثاني عشر: الاستحاضة : والإستحاضة هي: «جريان الدم من فرج المرأة في غير

---

(١) رواه ابن ماجة، رقم ١٥٥٣ (١/ ٤٩٥) والبيهقي في السنن (٤/ ٥٥)، ويشهد له ما رواه ابن أبي شيبة في مصنفه رقم: ١١٦٩٨ (٣/ ١٩) عن خيثمة قال: (كانوا يستحبون إذا وضعوا الميت في القبر أن يقولوا بسم الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله، اللهم أجره من عذاب القبر ومن عذاب النار ومن شر الشيطان).

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (٣/ ٢٠)، وابن أبي شيبة في مصنفه رقم: ٣٤٢٢٠ (٧/ ٦٣)، وابن ماجة، رقم: ٣٤٢٢٠ (٧/ ٦٣)، والحديث أصله في الصحيحين بدون ذكر لفظ الشيطان.

أوانه . . . من عرق يقال له العاذل»[١] .

وقد جاء في الحديث إنها ركضة من ركضات الشيطان كما في حديث حمنة بنت جحش قالت: كنت أُستحاض حيضة شديدة كثيرة فجئت رسول الله ﷺ استفتيه فقلت: يا رسول الله إني أستحيض حيضة كثيرة شديدة فما ترى فيها قد منعتني الصلاة والصيام؟ فقال: «انعت لك الكرسف فإنه يذهب الدم . قالت: هو أكثر من ذلك ، قال: فاتخذي ثوباً . قالت: هو أكثر من ذلك . قال: فتلجمي . قالت: إنما أثج ثجا . فقال لها: سآمرك بأمرين أيهما فعلت فقد أجزأ عنك من الآخر ،فإن قويت عليهما فأنت أعلم . فقال لها: إنما هذه ركضة من ركضات الشيطان فتحيضين ستة أيام أو سبعة في علم الله . . .»[٢] .

وفي رواية البخاري من حديث عائشة – رضي الله عنها – قالت: جاءت فاطمة ابنة أبي حبيش إلى النبي ﷺ **فقالت: يا رسول الله إني امرأة استحاض فلا أطهر أفأدع الصلاة؟** فقال رسول الله ﷺ : **«لا إنما ذلك عرق وليس بحيض؛ فإذا أقبلت حيضتك فدعي الصلاة، وإذا أدبرت فاغسلي عنك الدم ثم صلي ثم توضئي لكل صلاة حتى يجيء ذلك الوقت»**[٣] .

«وهذه الروايات لا تنافي بينها ، وذلك لأن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ، كما أخبر ﷺ فإذا ركض ذلك العرق وهو جارٍ سال منه الدم ، وللشيطان في هذا العرق الخاص تصرف وله به اختصاص زائد على عروق البدن جميعها»[٤] .

الثالث عشر: أكل طعام الآدميين والشرب معهم والسكن في مساكنهم، والنوم في فرشهم:
وعلى ذلك دلت النصوص الصحيحة ومنها: ما رواه مسلم عن حذيفة – رضي الله عنه

---

(١) فتح الباري ، (١/ ٥٣٨) ، وانظر: حاشية الروض المربع ، للشيخ عبدالرحمن بن قاسم ، (١/ ٣٨٧) .
(٢) رواه أبو داود ، رقم ٢٨٧ ، (١/ ١٢٧) ، والترمذي ، رقم: ١٢٨ (١/ ٢٢١-٢٢٥) ، والبيهقي في السنن الكبرى ، (١/ ٣٣٨) ، وابن ماجه ، ٦٢٢ ، وأحمد في المسند ، ٦/ ٤٣٩ ، والحاكم في مستدركه(١/ ١٧٢) ، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي رقم ٢٦٧ (١/ ٥٦-٥٧) .
(٣) رواه البخاري ، رقم ٢٦ ، ومسلم ، رقم ١٤ .
(٤) آكام المرجان في أحكام الجان ، للشبلى ، ص ١١٤ .

- أن رسول الله ﷺ قال: «إن الشيطان يستحل الطعام أن لا يذكر اسم الله عليه . . .» (١) .

وعن حذيفة قال: كنا إذا حضرنا مع النبي ﷺ طعاماً لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله ﷺ ، فيضع يده وإنا حضرنا معه مرة طعاماً ، فجاءت جارية كأنها تدفع . فذهبت لتضع يدها في الطعام ، فأخذ رسول الله ﷺ بيدها . ثم جاء أعرابي كأنما يدفع فأخذ بيده . فقال رسول الله ﷺ : «إن الشيطان يستحل الطعام أن لا يذكر اسم الله عليه . وإنه جاء بهذه الجارية ليستحل بها . فأخذت بيدها . فجاء بهذا الأعرابي ليستحل به . فأخذت بيده . والذي نفسي بيده إن يده في يدي مع يدها» (٢) .

وفي مسلم عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ : «إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان لا مبيت لكم ولا عشاء ، وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله قال الشيطان أدركتم المبيت ، وإذا لم يذكر عند طعامه قال: أدركتم المبيت والعشاء» (٣) .

فإن الشيطان يأكل ويشرب مع الشخص الذي يأكل ويشرب بشماله جاء في الحديث عن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ قال:«إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه ، وإذا شرب فليشرب بيمينه ، فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله» (٤) .

وكذلك النوم في الفرش ورد في الحديث عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (فراش للرجل وفراش لامرأته والثالث للضيف والرابع للشيطان) .

وفي الأثر عن قيس بن أبي حازم (٥) قال: فراش يكون في البيت مفروشاً لا ينام

---

(١) رواه مسلم ، رقم ٢٠١٧ (٣/ ١٥٩٧) .

(٢) رواه مسلم ، رقم ٢٠١٧ (٣/ ١٥٩٧) .

(٣) رواه مسلم ، رقم ٢٠١٨ (٣/ ١٥٩٨) .

(٤) رواه مسلم ، رقم ٢٠٢٠ ،(٣/ ١٥٩٨) .

(٥) قيس بن أبي حازم واسمه حصين بن عوف ويقال عوف بن عبدالحارث البجلي الأحمسي أبو عبدالله الكوفي أدرك الجاهلية ورحل إلى النبي ﷺ ليبايعه فقبض وهو في الطريق وأبوه له صحبه روى عن أبيه وأبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم من العشرة سوى عبدالرحمن بن عوف ، قال ابن حجر: «قد روى بعد العشرة عن جماعة من الصحابة وكبرائهم وهو متقن الرواية وقد تكلم أصحابنا فيه =

عليه أحد إلا نام عليه الشيطان [١] .

وقيد ذلك الشبلي في الأحكام فيما إذا فرش ولم يسم عليه [٢] .

قال ابن القيم – رحمه الله – : «فمن شره إنه لص سارق لأموال الناس فكل طعام أو شراب لم يذكر اسم الله عليه فله فيه حظ بالسرقة والحظ وكذلك يبيت في البيت إذا لم يذكر فيه اسم الله ، فيأكل طعام الإنس بغير إذنهم ، ويبيت في بيوتهم بغير أمرهم ، فيدخل سارقاً ويخرج مغيراً ويدل على عوراتهم ، فيأمر العبد بالمعصية ثم يلقي في قلوب الناس يقظة ومناماً أن فعل كذا وكذا»[٣] ا .هـ .

الرابع عشر: العين : يقال عان الرجل بعينه عيناً فهو عائن [٤] ، حقيقة العين: «نظر باستحسان مشوب بحسد من خبيث الطبع يحصل للمنظور منه ضرر» [٥] .

وقيل «انفعال نفسي وعقلي يتمنى خلاله الحاسد أن تزول نعمه أو حالة معينة موجودة لدى المحسود ، وقد تزول هذه الحالة أو النعمة وينادي المحسود بمجرد انفعال نفسية الحاسد» [٦] .

والعين حق وهي ثابتة بالكتاب والسنة ، وهذا ما عليه مذهب علماء الأمة [٧] ،

= فمنهم من رفع قدره وعظمه وجعل الحديث عنه من أصحاب الإسناد ومنهم من حمل عليه وقال له أحاديث مناكير . . .» وقال الذهبي: ثقة حجة كاد أن يكون صحابياً» ، قال ابن معين: هو أوثق من الزهري ، وقال مرة ثقة ، انظر: تهذيب التهذيب (٨/ ٣٤٦-٣٤٧) ، ميزان الاعتدال ٣/ ٣٩٢-٣٩٣) .

(١) آكام المرجان في أحكام الجان ص١٧٥ .

(٢) انظر المرجع السابق نفس الصفحة .

(٣) تفسير المعوذتين لابن القيم ص١٠٨-١٠٩ ، إنَّ مما يؤسف له اليوم ما يفعله دعاة التحضر والعلمانية ومن شاكلهم من الأكل بالشمال والشرب بها تشبهاً بأوليائهم من اليهود والنصارى ، ويزعمون أن ذلك علامة الرقي والتقدم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

(٤) لسان العرب ، لابن منظور ، (١٧/ ٣٠١) .

(٥) فتح الباري ، لابن حجر ، (١٠/ ٢١٠) .

(٦) السحر والسحرة من منظار القرآن والسنة ، د . إبراهيم كمال أدهم .

(٧) انظر: الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (٩/ ٢٢٦) .

فهي تدخل الرجل القبر وتدخل الجمل القدر بمشيئة الله! كما في الحديث عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: **(إن العين لتدخل الرجل القبر وتدخل الجمل القدر)** (١).

وأدلة ثبوتها في القرآن قوله تعالى إن يعقوب – عليه السلام – حين قال لأبنائه: ﴿ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴾(٢).

قال ابن كثير – رحمه الله – في تفسير هذه الآية: «يقول تعالى إخباراً عن يعقوب – عليه السلام – أنه أمر بنيه لما جهزهم مع أخيهم بنيامين إلى مصر أن لا يدخلوا كلهم من باب واحد، وليدخلوا من أبواب متفرقة، فإنه كما قال ابن عباس ومحمد بن كعب ومجاهد والضحاك وقتادة والسدي وغير واحد أنه: خشي عليهم العين، وذلك أنهم كانوا ذوي جمال وهيئة حسنة، ومنظر وبهاء، فخشي عليهم أن يصيبهم الناس بعيونهم»أ.هـ(٣).

ومن الأدلة – أيضاً – قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ۝ ﴾(٤)، قال ابن كثير – رحمه الله – : «وفي هذه الآية دليل على أن العين إصابتها وتأثيرها حق بأمر الله عز وجل كما وردت بذلك الأحاديث المروية من طرق متعددة كثيرة»أ.هـ(٥).

ومن الأدلة قوله تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝ ﴾(٦).

قال ابن القيم: «دل القرآن والسنة على أن نفس حسد الحاسد يؤذي المحسود.

---

(١) رواه الشهاب في مسنده رقم: ١٠٥٧ (٢/ ١٤٠)، قال ابن كثير في تفسيره: «هذا إسناد رجاله كلهم ثقات ولم يخرجوه» ا.هـ (٤/ ٤١٢).

(٢) سورة يوسف، الآية: ٦٧.

(٣) تفسير القرآن لابن كثير، (٤/ ٣٨).

(٤) سورة القلم، الآية: ٥١.

(٥) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٧/ ٩٣).

(٦) سورة الفلق، الآية: ٥.

فنفس حسده شر متصل بالمحسود منه نفسه وعينه وإن لم يؤذه بيده ولا لسانه . . .» [١] .

وأما الأدلة من السنة فكثيرة منها: فعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ : **«العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين»** [٢] **«وإذا استغسلتم فاغسلوا»** [٣] ، وعن أسماء بنت عميس قالت: يا رسول الله إن بنى جعفر تصيبهم العين أفأسترقي لهم؟ قال: **«نعم فلو كان شيء يسبق القدر لسبقته العين»**[٤] ، وعن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : **«جل من يموت من أمتي بعد قضاء الله وبالأنفس»** [٥] ، وهذه الأدلة تدل على ثبوت العين وأنها حق .

وفرق ابن القيم – رحمه الله – بين العاين والحاسد ، بأن العائن تتكيف نفسه عند مقابلة المعين ومعاينته .

والحاسد: يحصل له ذلك عند غيبة المحسود وحضوره أيضاً . . . والعائن قد يصيب من لا يحسده من جماد أو حيوان . . . وربما أصابت عينه نفسه [٦] . .

أما الحاسد فحاسد لصاحب النعمة يتمنى زوالها عنه ، وربما يصاحب ذلك عداوة شديدة [٧] .

وقد أنكر العين بعض الطوائف نظراً لجهلهم وعدم إحاطتهم بكيفية حدوث العين[٨] .

---

(١) تفسير المعوذتين ، لابن القيم ، ص ٦٥-٦٦ .

(٢) رواه مسلم ، رقم ٢١٨٨ ، (٤/ ١٧١٩) ، ورواه البخاري ، رقم ٥٤١٨ ، (٥/ ٢١٦٧) .

(٣) رواه مسلم ، رقم ٢١٨٨ ، (٤/ ١٧١٩) ، ورواه البخاري ، رقم ٥٤١٨ ، (٥/ ٢١٦٧) .

(٤) رواه الإمام أحمد ، (٦/ ٤٣٨) ، والترمذي في كتاب الطب ، باب (ما جاء في الرقية من العين) ، ورواه ابن ماجه ، رقم: ٣٥١٠ (٢/ ١١٦٠) . «وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح» أ. هـ .

(٥) رواه الطيالسي في مسنده ، (١/ ٢٤٢) ، وذكره السيوطي في الدرر المنثور (٨/ ٢٦٢) ، وابن كثير في تفسيره (٤/ ٤١٤) ، والبخاري في التاريخ الكبير ، (٤/ ٣٦٠) ، وحسنه ابن حجر في الفتح ، (١٠/ ٢٠٠) .

(٦) تفسير المعوذتين ، ص ٦٩ .

(٧) انظر: المرجع السابق ، ص ٧٠ .

(٨) زاد المعاد في هدى خير العباد ، لابن القيم ، (٤/ ١٦٥) ، وفتح الباري ، (١٠/ ٢٠٠) .

وقالوا: «إنما ذلك أوهام لا حقيقة لها، وهؤلاء من أجهل الناس بالسمع والعقل، ومن أغلظهم حجاباً، وأكثفهم طباعاً . . . وعقلاء الأمم على اختلاف مللهم ونحلهم لا تدفع أمر العين، ولا تنكره . . .»[١] .

والرد عليهم أولاً بثبوت الأدلة الصحيحة فيه سواء من الكتاب أو السنة، ثم يقال لهؤلاء المنكرين أن للأرواح قوى وطبائع مختلفة، وتأثير العين أمر محسوس مشاهد لا ينكره إلا مكابر .

وها هي الثعابين منها ما يؤثر بالنظر فيسقط الجنين، ويطمس البصر[٢]، كما في الحديث عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ : **«اقتلوا ذا الطُّفْيَتَين، فإنه يطمس البصر ويصيب الحبل»**[٣]، ومنها ما يؤثر بالسم الكامن فيه .

والإصابة بالعين لا يلزم منها الرؤية البصرية، بل قد يكون أعمى فيوصف له الشيء فتتكيف نفسه بكيفية خبيثة يلزم منها الإصابة بالعين، بل لو نظر إلى الشيء نظر ساه غافل لم يؤثر، فالعين لا تؤثر بمجردها ولكن بتكيف النفس الخبيثة[٤] .

والمقصود هنا بيان صلة الشيطان بإيقاع العين على المحسود، والواقع أن الشيطان يعين الحاسد، قال ابن القيم – رحمه الله –:«والشيطان يقارن الساحر والحاسد[٥]

(١) زاد المعاد في هدى خير العباد، (٤/ ١٦٥) .
(٢) انظر: المرجع السابق، (٤/ ١٦٣-١٦٧) .
(٣) رواه مسلم في كتاب السلام، باب (قتل الحيات وغيرها)، (٤/ ١٧٥٤) .
والطفيتين تثنية طفية وهي: «خوصة المقل في الاصل، وجمعها طفى . شبه الخطين اللذين على ظهر الحية بخوصتين من خوص المقل» النهاية في غريب الحديث (٣/ ١٣٠) . قال ابن عبدالبر: يقال أن ذا الطفيتين جنس من الحيات يكون على ظهره خطان أسودان، المصباح المنير، (٢/ ٣٧٥)، الفائق في غريب الحديث، (٢/ ٣٦٣)، والأثر فيه أقوال قيل: إنه مقطوع الذنب . وقيل أنها الحية القصيرة الذنب . وقيل الأفعى التي تكون قدر شبر أو أكثر قليلاً، وقيل أنه أزرق اللون لا تنظر إليه حامل إلا ألقت . انظر: فتح الباري، (٦/ ٤٢٩)، وغريب الحديث، لابن سلام، (١/ ٥٥) .
(٤) زاد المعاد، (٣/ ١١٧-١١٨) . وتفسير سورة الفلق، للإمام محمد بن عبدالوهاب، ص٣٠ .
(٥) قال ابن القيم – رحمه الله – «ويندفع شر الحاسد عن المحسود بعشرة أسباب: =

ويحدثهما ويصاحبهما . . .»[(١)] أ. هـ. وهذا يبينه قوله ﷺ في الحديث عن أبي هريرة - ﷺ - «العين حق ويحضرها الشيطان وحسد ابن آدم»[(٢)]، ومعنى حضور الشيطان أنه يوسوس للعائن بالإعجاب بالمعيون وحسده على هذه النعمة فينسيه ذكر الله والدعاء بالبركة فتقع العين بإذن الله وتقديره[(٣)].

والعين نوعان: عين إنسية أي من الإنس، ونوع جنية أي من الجن[(٤)]، وقد صح عن أم سلمة أن النبي ﷺ رأى في بيتها جارية في وجهها سعفة فقال: «**استرقوا لها فإن بها النظرة**»[(٥)].

قوله: «سعفة: أي نظرة، يعني: من الجن، وقيل: علامة وأراد بالنظرة: العين، يقول: بها عين أصابتها من نظر الجن، وقيل: عيون الجن أنفذ من أسنة الرماح»[(٦)].

وقال ابن القيم - رحمه الله -: «هي سهام تخرج من نفس الحاسد والعائن نحو

= **أحدها**: التعوذ بالله من شره والتحصن به واللجأ إليه.

الثاني: تقوى الله، وحفظه عند أمره ونهيه. فمن اتقى الله تولّى الله حفظه، ولم يكله إلى غيره.

الثالث: الصبر على عدوه، وأن لا يقاتله ولا يشكوه ولا يحدث نفسه بأذاه أصلاً.

الرابع: التوكل على الله. فمن يتوكل على الله فهو حسبه.

الخامس: فراغ القلب من الاشتغال به والفكر فيه، وأن يقصد أن يمحوه من باله كما خطر له.

السادس: الإقبال على الله، والإخلاص له، وجعل محبته ورضاه والإنابة إليه محل خواطر نفسه.

السابع: تجريد التوبة إلى الله من الذنوب التي سلطت عليه أعداءه.

الثامن: الصدقة والإحسان ما أمكنه.

التاسع: إطفاء نار الحاسد والباغي والمؤذي بالإحسان إليه.

العاشر: وهو الجامع لذلك كله وعليه مدار هذه الأسباب وهو تجريد التوحيد، باختصار وتصرف من كتاب تفسير المعوذتين، لابن القيم، ص ٧٩-٨٩.

(١) تفسير المعوذتين، ص ٧٤.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده، (٢/ ٤٣٩)، والطبراني في مسند الشاميين، (١/ ١٦٥).

(٣) انظر الفتح الرباني (١٧/ ١٨٨-١٨٩)، فيض القدير (٤/ ٣٩٧).

(٤) زاد المعاد (٤/ ١٦٤)، وآكام المرجان، ص ١١٥، وشرح النسة للبغوي، (١٣/ ١٦٣).

(٥) رواه البخاري، (١٠/ ١٧١-١٧٢)، الفتح، ومسلم، رقم ٢١٩٧.

(٦) شرح السنة، للبغوي، (١٢/ ١٦٣).

المحسود والمعين تصيبه تارة وتخطئه تارة، فإن صادفته مكشوفاً لا وقاية عليه أثرت فيه، ولا بد وإن صادفته حذراً شاكي السلاح لا منفذ فيه للسهام لم تؤثر فيه...»[١].

وقد يرد تساؤلان، الأول: هل يمكن أن يعين الرجل بغير إرادته؟!

قال ابن القيم – رحمه الله – : «وقد يعين الرجل ونفسه وقد يعين بغير إرادته وهذا أردأ ما يكون من النوع الإنساني» أ. هـ[٢].

وقال ابن عبدالبر: «إن من الطبع البشري الإعجاب بالشيء الحسن والحسد عليه وهذا لا يملكه المرء من نفسه[٣]، فلذا لم يعاتب عامر[٤] عليه بل على ترك التبريك الذي في وسعه» أ. هـ[٥].

الثاني: وهل يلزم من وقوع العين أن يرى الشخص العائن الشيء؟!

قال ابن حجر – رحمه الله – : «وقد أشكل ذلك على بعض الناس فقال: كيف تعمل العين من بعد حتى يحصل الضرر للمعيون؟ والجواب: إن طبائع الناس تختلف فقد يكون ذلك من سم يصل من عين العائن في الهواء إلى بدن المعيون، وقد نقل عن بعض من كان معياناً، إنه قال: إذا رأيت شيئاً يعجبني وجدت حرارة تخرج من عيني...، فالذي يخرج من عين العائن سهم معنوي إن صادف البدن لا وقاية له أثر فيه، وإلا لم ينفذ السهم بل ردَّ على صاحبه كالسهم الحسي سواء» أ. هـ[٦].

وللوقاية من العين على العبد التحصن بالأذكار وقراءة المعوذتين مع سورة الإخلاص، والأدعية الواردة – كما سيأتي إن شاء الله – .

---

(١) زاد المعاد، لابن القيم، (٤/ ١٦٧).

(٢) المرجع السابق، (٤/ ١٦٧-١٦٨).

(٣) بل يملكه بتوفيق الله تعالى له، فلا يمكن الحسد من نفسه بل يدافعه ويغالبه، ويستعيذ بالله تعالى من شره، كما قال ابن تيمية : «غمه في صدرك فإنه لا يضرك ما لم تعد به يد أو لسان» أ. هـ.

(٤) سيأتي حديث عامر. إن شاء الله.

(٥) نقلاً من شرح الزرقاني على موطأ مالك، (٤/ ٣٢).

(٦) فتح الباري، لابن حجر، (١٠/ ٢١٠-٢١١).

ومنها قولـه ﷺ: «أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة [(١)] ومن كل عين لامة [(٢)]» [(٣)] .

وستر المحاسن [(٤)] كما في عثمان – رضي الله عنـه – أنـه رأى صـبياً مليحـاً فقـال: «دسموا [(٥)] نونته لئلا تصيبه العين» [(٦)] .

وعلى الإنسان إذا رأى ما يسره ويعجبه أن يبرك كما في حديث عامر بن ربيعـة[(٧)] وفيه قـوله ﷺ : «علام يقتل أحدكم أخاه ، ألا بركت؟! اغتسل له» [(٨)] .

ومن طرق علاج العين الاستغسال [(٩)] ، كمـا في حـديث عـامر ، ثـم يغتـسل بـه

---

(١) يعني الواحدة من هوام الأرض ، ذوات السم ، وسيأتي إن شاء الله مزيد توضيح لها .
انظر: غريب الحديث لابن سلام ، (٣/ ١٣٠) ، النهاية في غريب الحديث ، لابن الأثير ، (٤/ ٢٧٢) .

(٢) العين اللامة هي العين التي تصيب الإنسان ، لسان العرب (١٢/ ٥٥٢) ، غريب الحديث (٣/ ١٣٠) .

(٣) رواه البخاري في كتاب الأنبياء ، باب (النَّسلان في المشي) ، رقم ٣١٩١ ، (٣/ ١٢٣٣) .

(٤) زاد المعاد ، (٤/ ١٧٣) ، وفتح الحق المبين في علاج الصرع والسحر والعين ، ص ٢٠١ وما بعدها .

(٥) «أي سودوها لئلا تصيبه العين . . . ونونته الدائرة المليحة التي في حنكه» أي ذقنه ، لسان العرب ، لابن (١٢/ ٢٠٠) ، غريب الحـديث ، للخطـابي (٢/ ١٣٩) ، والفـائق في غريـب الحـديث ، (١/ ٤٢٤) ، غريب الحديث ، لابن الجوزي (١/ ٣٣٧) ، النهاية في غريب الحديث ، لابن الأثير (٥/ ١٣٠) .

(٦) ذكره البغوي في شرح السنة ، (١٢/ ١٦٦) .

(٧) عامر بن ربيعة بن كعب العنزي: صحابي ، من الولاة قديم الإسلام ، شهد المشاهد كلـها مـع رسـول الله ﷺ واستخلفه عثمان على المدينة لما حج . الإصابة رقم ٤٣٧٤ ، الأعلام للزركلي ، (٣/ ٢٥١) .

(٨) رواه ابن ماجه ، رقم ٣٥٠٩ ، (٢/ ١١٦٠) ، ومالك في الموطأ (٤/ ٣٢١) ، الموطـأ بـشرح الزرقـاني ، ونصه: «عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف قال: مرَّ عامر بن ربيعة بسهل بن حنيـف ، وهـو يغتـسل فقال: لم أر كاليوم ، ولا جلد مخبأة . فما لبث أن لبط به فـأتي بـه الـنبي ﷺ فقيـل لـه: أدرك سـهلاً صريعاً . قال:« من تتهمون به؟» قالوا: عامر بن ربيعة . قـال: «عـلام يقتـل أحـدكم أخـاه؟ إذا رأى أحدم من أخيه ما يعجبه ، فليدع لـه بالبركة ، ثم دعا بماء فأمر عامر أن يتوضأ فغسل وجهه ويديه إلى المرفقين . وركبتيه وداخلة إزاره . وأمر أن يصب عليه» ، اللّبط من قولك «لبط به ، إذا خبل به ، كأنه صرع من الشيطان أو ضرب من الجنون» البصائر والذخائر لأبي حيان (٣/ ١٠٩) .

(٩) قال الزرقاني: «اغسل لـه ، وجوباً لأن الأمر حقيقة الوجوب ، ولا ينبغي لأحد أن يمنع أخاه ما ينفعـه ولا يضره لا سيما إذا كان بسببه وهو الجاني عليه فواجب على العائن الغسل عنه ، قاله ابن عبدالبر» شرح الموطأ ، (٤/ ٣٢١) .

المعيون ، وصفة الوضوء كما قال الزهري: «يؤتى الرجل العائن بقدح ، فيدخل كفه فيه فيمضمض ، ثم يمجه في القدح ، ثم يغسل وجهه في القدح ، ثم يدخل يده اليسرى فيصب على كفه اليمنى في القدح ، ثم يدخل يده اليمنى فيصب على يده اليسرى ، ثم يدخل يده اليسرى ، فيصب على مرفقه الأيمن ، ثم يدخل يده اليمنى فيصب على مرفقه الأيسر ، ثم يدخل يده اليسرى فيصب على قدمه اليمنى ، ثم يدخل يده فيصب على قدمه اليسرى ، ثم يده اليسرى فيصب على ركبته اليمنى ، ثم يدخل يده اليمنى فيصب على ركبته اليسرى ، ثم يغسل داخلة إزاره ، ولا يوضع القدح في الأرض ، ثم يصب على رأس الرجل الذي أصيب بالعين من خلفه صبة واحدة» (١) .

واختلفوا في غسل داخلة الإزار ما المقصود بها؟ على عدة أقوال منها:

قيل فرجه ، وقيل الأفخاذ والورك ، وقيل: إزاره الذي يلي جسمه ، وقيل الطرف المتدلي الذي يلي حقوه الأيمن (٢) .

والحكمة – والله أعلم – من غسل داخلة الإزار ، كما قال ابن القيم – رحمه الله – «هذه الكيفية الخبيثة تظهر في المواضع الرقيقة من الجسد ، لأنها تطلب النفوذ فلا تجد أرقَّ من المغابن ، وداخلة الإزار ، ولا سيما إن كان من كناية عن الفرج ، فإذا غسلت بالماء ، بطل تأثيرها وعملها ، وأيضاً فهذه المواضع للأرواح الشيطانية بها اختصاص»أ .هـ .

قال ابن القيم – رحمه الله – معلقاً على اغتسال العائن وراداً على من ينكره : «وهذا مما لا يناله علاج الأطباء ، ولا ينتفع به من أنكره ، أو سخر منه ، أو شك فيه ، وأو فعله مجرِّباً لا يعتقد أن ذلك ينفعه .

وإذا كان في الطبيعة خواص لا تعرف الأطباء عللها البتة ، بل هي عندهم خارجة

---

(١) ذكره البغوي في شرح السنة ، (١٢/ ١٦٥-١٦٦) ، والزرقاني في شرح الموطأ ، (٤/ ٣٢٢) ، وقال: «هو أحسن ما فسر به لأن الزهري راوي الحديث» أ . هـ .

(٢) انظر: شرح السنة ، للبغوي ، ١٢/١٦٦ ، زاد المعاد ، ٤/ ١٧١ ، شرح الزرقاني على الموطأ ، ٤/ ٣٢٢ .

عن قياس الطبيعة تفعل بالخاصِّية ، فما الذي ينكره زنادقتهم وجهلتهم من الخواص الشرعية ، هذا مع أن في المعالجة بهذا الاستغسال ما تشهد له العقول الصحيحة ، وتقر لمناسبته . . .» أ . هـ[1] .

«وروي عن عائشة أنها كانت لا ترى بأساً أن يعوذ في الماء ، ثم يعالج به المريض»[2] .

كما أجاز جماعة من السلف كتابة القرآن وإذابته في ماء ويشربه المريض[3] ، قال فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين – رحمه الله – : «وهناك طريقة أخرى . . . وهي أن يؤخذ شيء من شعاره أي ما يلي جسمه من الثياب كالثوب ، والطاقية والسروال وغيرها ، أو التراب إذا مشى عليه وهو رطب ، ويصب على ذلك ماء يرش به المصاب ، أو يشربه . .»ا .هـ[4] .

---

(١) زاد المعاد ، لابن القيم ، (٤/ ١٧١) .

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه رقم: ٢٣٥٠٢٩ (٥/ ٤٠) ، تحقيق: كمال الحوت ، وذكره البغوي في شرح السنة(١٢/ ١٦٦) .

(٣) انظر: شرح السنة النبوية (١٢/ ١٦٦) ، وزاد المعاد ، لابن القيم (٤/ ١٧٠) .
* هناك طرق بدعية يظن بعض الناس أنها تمنع من وقوع العين وهو خطأ ومنها:
أولاً : تعليق التمائم وهو من الشرك الأصغر ، ففي الحديث عن عقبة بن عامر أن النبي ﷺ قال: «من علق تميمة فقد أشرك» رواه الإمام أحمد ، رقم ١٦٧٨ ، **ثانياً**: اتخاذ حجت يكتب بداخلها كلام وألفاظ شركية ليست من كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ وتعلق على الرقبة أو في اليد ، **ثالثاً**: تعليق الودع ، ومن ذلك تعليق الخرز الأزرق على الصبيان والعظام والحذوة والسنابل على أبواب البيوت وفي رقاب الدواب ، **رابعاً**: ذَرْ الملح في مناسبات الأفراح على الحضور ، **خامساً**: استعمال الألفاظ الغريبة كقولهم «خمسة وخميسة» «وأمسكوا الخشب» وغير ذلك من البدع . انظر: الطرق الحسان في علاج أمراض الجان ، إعداد أبي المنذر خليل بن إبراهيم أمين ، ١٦٩-١٧٠ .

(٤) القول المفيد على كتاب التوحيد ، شرح فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، (١/ ٩٣-٩٤) .
* ومما يجدر التنبيه عليه ما أورده صاحب كتاب «إصابة العين» حقيقتها – الوقاية منها – علاجها ، إعداد: راجي الأسمر حروس برس ، حيث أورد أنواعاً كثيرة من الرقى التي لا أصل لها ومنها قوله: «نأخذ بيضة دجاج ، ونكتب عليها سبع مرات (بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم) ، ثم نضع البيضة في يدنا ونبخر تحتها بكزبرة ناشفة ونحن نقرأ =

الخامس عشر: إفساد المعاملات : لم يتوقف كيد الشيطان – أخزاه الله – على إفساد الدين، بل سعى إلى إفساد المعاملات الدنيوية، وحيث أن الأسواق هي المكان الذي يتبايع الناس فيه – غالباً – ويشترون، كما أن الأسواق – غالباً – يكثر فيها الباطل والغش والخداع، والعقود المحرمة، والنظر إلى ما حرم الله، لهذا اتخذ الشيطان هذا المكان موطناً لنصب رايته، وإعلان المعركة فلا يفتأ يفسد على الناس معاملاتهم، ويحسن لهم الحرام، ويغيرهم بالنظر إلى المحرم.

ولذلك نهى الرسول ﷺ عن المكث فيها، فقال موصياً سلمان – رضي الله عنه – : «**لا تكونن إن استطعت أول من يدخل السوق ولا آخر من يخرج منها، فإنها معركة الشيطان، وبها ينصب رايته**»[(١)] .

«والمعركة موضع القتال، سمى بذلك لتعارك الأبطال فيه، ومصارعة بعضهم بعضاً، فشبه السوق وفعل الشيطان بأهلها ونيله منهم بما يحملهم عليه من المكر، والخديعة، والتساهل في البيوع الفاسدة والكذب، والأيمان الكاذبة، واختلاط الأصوات، وغير ذلك بمعركة الحرب، وبمن يصرع فيها» [(٢)] .

السادس عشر: التثاؤب والنعاس في الصلاة وعند الذكر: فالتثاؤب علامة الكسل، والعجز، والخمول، وإبليس عليه غضب الله يود أن يكون المرء عاجزاً عاطلاً، ولهذا

= سورة الإخلاص . . . حتى تقف!! البيضة في يدنا وعند ذلك نكسرها فإذا وجدنا فيها نقطة دم حمراء، فهذا يعني أن الشفاء من العين قد تم وعند ذلك ندهن جبهة المصاب بقليل منها»!!!

وقد ذكر أنواعاً من البدع والشعوذة ولبس الحق بالباطل وفي ختام كتابه أورد ملاحق من كتاب الطب النبوي، لابن القيم، وكتاب التعاويذ من الآيات القرآنية، لابن باز – رحمه الله – ورأيه في حكم تعليق التعاويذ والآيات القرآنية في الرقبة!! فليتنبه لذلك.

(١) رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة (٤/ ١٩٠٦).

(٢) المفهم، للقرطبي، (٦/ ٣٥٨)، وجاء في رواية أخرى: «لا تكن أول من يدخل السوق، ولا آخر من يخرج منها، فإنها معركة الشيطان، فيها باض الشيطان وفرَّخ» ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، (٤/ ٧٧) وقال: رواه الطبراني في الكبير. أ. هـ.

أقول: فليت نساءنا اليوم يدركن ذلك، ويقتصرن على الضروريات، في الخروج إلى الأسواق التي أصبحت اليوم تعج بالمنكرات والتبرج، والسفور، وهتك الأعراض، مما لا يكاد يخفى على عاقل، وذلك من كيد الشيطان الذي نصب رايته وأعلن الحرب على الحرمات والأخلاق من خلالها.

جاء في الحديث بأن التثاؤب من الشيطان، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال: «**التثاؤب من الشيطان. فإذا تثاءب أحدكم فليكظم ما استطاع**»[١].

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا تثاءب أحدكم فليمسك بيده على فيه. فإن الشيطان يدخل**»[٢].

وفي الأثر عن عبدالله بن مسعود قال: (التثاؤب والعطاس في الصلاة من الشيطان)[٣].

قال ابن حجر: «قال شيخنا في شرح الترمذي: لا يعارض هذا حديث أبي هريرة يعني حديث الباب في محبة العطاس وكراهة التثاؤب لكونه مقيداً بحال الصلاة، فقد يتسبب الشيطان في حصول العطاس للمصلي ليشغله عن الصلاة، وقد يقال أن العطاس إنما لم يوصف بكونه مكروهاً في الصلاة لأنه لا يمكن رده بخلاف التثاؤب»[٤].

وإضافة الفعل إلى الشيطان لأنه واسطة لهذا الفعل[٥].

قال النووي – رحمه الله –: «أضيف التثاؤب إلى الشيطان لأنه يدعو إلى الشهوات إذ يكون عن ثقل البدن واسترخائه وامتلائه، والمراد التحذير من السبب الذي يتولد منه ذلك وهو التوسع في المأكل» أ. هـ[٦].

وقال ابن العربي: «إن كل فعل نسبه الشرع إلى الشيطان لأنه واسطته، وأن كل

---

(١) رواه مسلم، رقم ٢٩٩٤، (٤/ ٢٢٩٣).
(٢) رواه البخاري، رقم ٦٢٢٦ (١٠/ ٧٤٥)، ومسلم، رقم ٢٩٩٥، (٤/ ٢٢٩٣)، واللفظ لمسلم.
(٣) مجموع الفتاوى، (١٧/ ٥٢١-٥٢٢)، ويدل لذلك ما رواه ابن جرير الطبري في تفسيره، (٤/ ١٤١)، وعبدالرزاق في مصنفه، (٢/ ٤٩٩)، وغيره عن ابن مسعود قال: «النعاس عند القتال أمنة من الله، والنعاس في الصلاة من الشيطان»، رواه الطبري في المعجم الكبير، رقم: ٩٤٥١، (٩/ ٢٨٨). وذكره السيوطي، في الدر المنثور، (٢/ ٣٥٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، (٦/ ٣٢٨)، وفيه قيس بن الربيع وثقه شعبة وغيره، وضعفه ابن حجر مع أنه اعتبره شاهداً لحديث الترمذي». انظر: الفتح (١٠/ ٦٠٧).
(٤) فتح الباري، (١٠/ ٦٠٧).
(٥) انظر: فتح الباري، لابن حجر، (١٠/ ٦٢٧).
(٦) نقلاً من فتح الباري، (١٠/ ٧٤٦).

فعل حسن نسبه الشرع إلى الملك لأنه واسطته» .

قال: «والتثاؤب من الامتلاء وينشأ عنه التكاسل وذلك بواسطة الشيطان . . .»[(١)] .

ومن جملة الأحاديث التي ورد فيها ذم التثاؤب والحث على كظمه يتبين ما يلي:

١ - إن الله يبغض ، ويحب العطاس .   ٢ - أن التثاؤب من الشيطان .

٣ - الأمر بوضع اليد على الفم أثناء التثاؤب .

٤ - دخول الشيطان من الفم أثناء التثاؤب ، لأن المتثائب غير ذاكر في هذه الحالة فيتمكن الشيطان من الدخول فيه .

٥ - الأمر برد التثاؤب وأنه لا فرق في ذلك بين المصلي وغيره ولكنه في الصلاة آكد .

٦ - الإمساك عن تلاوة القرآن أثناء التثاؤب حتى لا يتغير النظم[(٢)] .

كذلك النعاس في مجالس الذكر من الشيطان ، وإضافة الفعل إليه لأنه واسطة له[(٣)] .

وعن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ : (النوم أو النعاس في الجمعة من الشيطان فإذا نعس أحدكم فليتحول)[(٤)] .

السابع عشر: العقد على رأس النائم، والمبيت على خيشومه، والبول في أذنيه والاحتلام :

فمن شر الشيطان وأعاذنا منه ، أن العبد إذا نام تصدى له في نومه بأنواع كثيرة من الإيذاء ومنها:

أولاً: العقد على رأسه ليمنعه من الاستيقاظ ، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة - ﷺ - أن رسول الله ﷺ قال: (يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا

---

(١) فتح الباري ، لابن حجر ، (٦/ ٤٢٢) .

(٢) انظر: فتح الباري ، لابن حجر ، (٦/ ٤٢٢) .

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١٧/ ٥٢١-٥٢٢) ، فتح الباري (١٠/ ٦٢٧) .

(٤) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (١/ ٤٥٤) ، واستنكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٧/ ٥١) .

هو نام ثلاث عقد يضرب على كل عقدة مكانها عليك ليل طويل فارقد ، فإن استيقظ فذكر الله عز وجل انحلت عقدة ، فإن توضأ انحلت عقدة ، فإن صلى انحلت عقده كلها فأصبح نشيطاً طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس [١] كسلان) [٢] .

القافية «هي مؤخر العنق وقيل مؤخر الرأس ، وقيل وسطه [٣] ، وخص القفا بذلك ولكونه محل الوهم ومجال تصرفه وهو أطوع للقوى الشيطانية وأسرعها إجابة لدعوته» [٤] .

والحديث عام ويخص من ليس للشيطان سلطان عليه ، كالأنبياء ونحوهم ومن قرأ آية الكرسي [٥] .

والضرب الوارد في الحديث المراد به التأكيد والإحكام لهذه العقد . وقيل المراد حجب الحس عن النائم . وقد اختلف العلماء في المراد بالعقد فقيل هي عقد حقيقية كعقد الساحر ، ويؤيد هذا الحديث عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ ، وعن جابر مرفوعاً: (ما من ذكر ولا أنثى إلا على رأسه جرير معقود حين

---

(١) قال ابن حجر – رحمه الله – لا ينافي قوله ﷺ في هذا الحديث: «خبيث النفس» مع النهي الوارد في الحديث: «لا يقولن أحدكم خبثت نفسي» وليس كذلك لأن النهي إنما ورد عن إضافة المرء ذلك إلى نفسه كراهة لتلك الكلمة ، وهذا الحديث وقع ذماً لفعله . وقال الباجي: ليس بين الحديثين اختلاف ، لأنه نهي عن إضافة ذلك إلى النفس يكون الخبث بمعنى فساد الدين ، ووصف بعض الأفعال بذلك تحذيراً منها وتنفيراً» ، أ . هـ . فتح الباري ، (٣/ ٣٥) .

(٢) رواه البخاري ، رقم ١٠٩٠ ، (١/ ٣٨٣) ، رقم ٣٠٩٦٩ ، (٣/ ١١٩٣) ، ومسلم ، ٧٧٦ ، (١/ ٥٣٨) .

(٣) انظر: لسان العرب ، (١٥/ ١٩٣) ، مختار الصحاح ، (١/ ٢٢٨) ، غريب الحديث ، (٣/ ١٧١) ، الفائق في غريب الحديث ، (١/ ٢٠) ، المصباح المنير(٢/ ٥١٢) ، غريب الحديث ، لابن الجوزي ، (٢/ ٢٥٩) .

(٤) فتح الباري ، (٣/ ٣٢) .

(٥) المرجع السابق ، (٣/ ٢٥) .

يرقد)[(١)] .

والجرير: الحبل ، وهذا لا يعلم حقيقته إلا الله .

وقيل أن ذلك مجاز حيث شبه فعل الشيطان بفعل الساحر .

وقيل المراد عقد القلب وتصميمه على الشيء ووسوته له بأن الليل طويل ، وقيل طعن من القيام ، وقيل المراد كناية عن تثبيط الشيطان للنائم ، وقيل المراد تثقيله النوم على النائم ، وقال البعض المراد بالعقد الثلاث الأكل والشرب والنوم ، حيث أن كثرتها تؤدي إلى الكسل وبالتالي تثبيط الشيطان له عن العبادة وهذا بعيد[(٢)] .

ثانياً: البول في أذنيه: فعن ابن مسعود قال: (ذكر عند النبي ﷺ رجل، فقيل: مازال نائماً حتى أصبح ما قام إلى الصلاة. فقال: ذاك رجل بال الشيطان في أذنه، أو قال: في أذنيه)[(٣)] .

وقد اختلف في المراد ببول الشيطان فقيل: هو على الحقيقة فكما أنه يأكل ويشرب وينكح فكذلك يبول ، وقيل أن ذلك مجاز والمراد سد الشيطان أذنه عن الصلاة ، وقيل كناية عن ازدراء الشيطان واستخفافه به لكونه نام عن الصلاة ، يجعله كالكنيف المعدّ لإلقاء البول فيه وقيل مثل مضروب يعبر به عن الغفلة عن القيام من النوم[(٤)] .

وفي الحكمة من ذكر الأذن مع أن العين هي التي تنام ، قيل هي: «إشارة إلى ثقل النوم فإن المسامع هي موارد الانتباه وخص البول لأنه أسهل مدخلاً في التجاويف وأسرع نفوذاً في العروق فيورث الكسل في جميع الأعضاء»[(٥)] .

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه ، رقم ٢٥٥٤ ، (٦/ ٢٩٤) ، وابن خزيمة في صحيحه ، رقم ١١٣٣ ، (٢/ ١٧٥) ، وأبي يعلى في مسنده ، (٤/ ١٩٥) .

(٢) انظر: فيما سبق ، فتح الباري ، لابن حجر ، (٣/ ٣٠-٣٥) ، شرح صحيح مسلم للنووي (٦/ ٦٥) ، التمهيد ، لابن عبدالبر ، (١٩/ ٤٥) ، النهاية في غريب الحديث ، لابن الأثير (٤/ ٩٤) .

(٣) رواه البخاري ، رقم ١٠٩٢ ، ورقم ٣٠٩٦ ، (٣/ ١١٩٣) ، ومسلم ، رقم ٧٧٤ ، (١/ ٥٣٧) .

(٤) انظر: شرح مسلم للنووي ، (٦/ ٦٤) ، التمهيد لابن عبدالبر ، (٢٤/ ٢١٦) ، فتح الباري ، (٣/ ٣٦) .

(٥) فتح الباري ، لابن حجر ، (٣/ ٣٦) .

وحمله بعض العلماء فيمن نام عن صلاة العشاء فلم يصلها حتى انقضى الليل كله[١] . وهو أولى لأن النائم عن صلاة النافلة لا يستحق هذا التوبيخ ، والشيطان يحاول سد منافذ الانتباه عنده ليحرمه من القيام للصلاة .

ثانياً: المبيت على الخيشوم : عن أبي هريرة - ﷺ - عن النبي ﷺ قال: **(إذا استيقظ أحدكم من منامه فتوضأ فلينثر ثلاثاً فإن الشيطان يبيت على خيشومه)**[٢] .

والخَيْشُوم: «ما فوق نُخْرَتِهِ من القصبة وما تحتها من خشارم رأسه .

وقيل الخياشم غراضيف في أقصى الأنف بينه وبين الدماغ .

وقيل هي عروق في باطن الأنف- وقيل: أقصى الأنف» [٣] .

والخَشَمُ داء يأخذ في جوف الأنف فتتغير رائحته [٤] .

وفي المعنى المراد بكون الشيطان يبيت على خيشومه ، لكونه منفذ إلى القلب ، فيبيت على الخيشوم ليتوصل إلى القلب عند الاستيقاظ فيورد الخواطر والوساوس ، فإذا قام الشخص من نومه فاستنثر ثلاثاً منعه من الوصول إلى قلبه [٥] .

رابعاً: الاحتلام : وقد جاء فيه حديث عن ابن عباس - ﷺ - قال: **(ما احتلم نبي قط إنما الاحتلام من الشيطان)** [٦] .

الاحتلام: «من الحُلْم بضم الحاء وسكون اللام وهو ما يراه النائم من المنامات يقال حَلَم في منامه واحتلم . . . هذا أصله ثم جعل اسماً لما يراه النائم من الجماع

(١) انظر: التمهيد ، لابن عبدالبر ، (٢٤/ ٢١٦) ، وهو قول الطحاوي .

(٢) رواه البخاري ، رقم ٣١٢١ ، ٣/ ١١٩٩ ، ومسلم ، رقم ٢٣٨ .

(٣) لسان العرب ، ١٢/ ١٧٨ ، وانظر: المصباح المنير ، ١/ ١٧٠ ، وفتح الباري ، لابن حجر ، ٦/ ٤٢٢ .

(٤) انظر: ما سبق .

(٥) انظر: فتح الباري ، ٤/ ٤٢٢ .

(٦) رواه الطبراني في المعجم الكبير ، رقم ١١٥٦٤ ، ١١/ ١٨٠ ، وفي الأوسط ،رقم ٨٠٦٢ ، ٨/ ٩١ ، تحقيق: طارق بن عوض الله وعبدالمحسن الحسيني ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ، ١/ ٢٦٧ «رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه عبدالكريم بن أبي ثابت وهو مجمع على ضعفه» أ. هـ. وقال محقق المعجم الكبير حمد السلفي: «في المجمع عبدالكريم وهو خطأ» وصححه عبدالعزيز بن أبي ثابت . وذكر الحديث الجرجاني في الكامل في ضعفاء الرجال ، (٣/ ٩٢) .

فيحدث معه إنزال المني غالباً»[(١)] .

وهو من الإيذاء البدني لكون من تلاعب الشيطان .

قال النووي – رحمه الله – : «الاحتلام مستحيل في حق النبي ﷺ لأنه من تلاعب الشيطان بالنائم» أ . هـ[(٢)] .

ومعلوم أنه لا سلطان له على الأنبياء .

الثامن عشر: التلاعب بمقاعد بني آدم : وقد ورد ذلك في حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال: (من اكتحل فليوتر ، من فعل فقد أحسن ، ومن لا فلا حرج ، ومن استجمر فليوتر ، من فعل فقد أحسن ومن لا فلا حرج ، ومن أكل فما تخلل فليلفظ وما لاك بلسانه فليبتلع ، من فعل فقد أحسن ومن لا فلا حرج ، ومن أتى الغائط فليستتر ، فإن لم يجد إلا أن يجمع كثيباً من رمل فليستدبره ؛ فإن الشيطان يلعب بمقاعد بني آدم ، من فعل فقد أحسن ومن لا فلا حرج)[(٣)] .

قال الشوكاني – رحمه الله – : «والحديث فيه الأمر بالتستر معللاً بأن الشيطان يلعب بمقاعد بنى آدم ، وذلك أن الشيطان يحضر وقت قضاء الحاجة لخلوه عن الذكر الذي يطرد به ، فإذا حضر في ذلك الوقت أمر الإنسان بكشف العورة وحسن له البول في المواضع الصلبة التي هي مظنة رشاش البول وذلك معنى قوله يلعب بمقاعد بنى آدم ، فأمر رسول الله ﷺ قاضي الحاجة بالتستر حال قضائها مخالفة للشيطان ودفعاً لوسوسته التي يتسبب عنها النظر إلى سوأة قاضي الحاجة» أ . هـ[(٤)] .

---

(١) المجموع ، للنووي ، (٢/ ١٥٨) .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ، (٣/ ١٩٨) ، (٧/ ٢٢٢) ، وانظر: الفتاوى لابن تيمية ، (١٠/ ٤٥٠) ، وشرح العمدة لابن تيمية ، (١/ ٣٩٦) ، وسبل السلام ، للصنعاني ، (١/ ٣٨) .

(٣) رواه أبو داود ، رقم ٣٥ ، (١/ ٥٦) ، وابن ماجه ، رقم ٣٣٧ ، (١/ ١٢١) ، بأقصر منه ، وابن حبان في صحيحه ، رقم ١٤١٠ ، (٤/ ٢٥٧) ، والدرامي في سننه ، (١/ ١٧٧) ، والبيهقي في السنن الكبرى ، (١/ ٩٤) ، والإمام أحمد في المسند ، (٢/ ٣٧١) .

(٤) نيل الأوطار ، للشوكاني ، (١/ ٩٣) .

« الفصل الثاني »

أساليب الشيطان في إفساد الاعتقاد

وفيه:

المبحث الأول: خطوات الشيطان .

المبحث الثاني: تزيين الباطل ونسيان الحق

المبحث الثالث:الفتنة.

المبحث الرابع: إلقاء الشبهات.

المبحث الخامس: الصدّ.

المبحث السادس: ظن السوء

المبحث السابع:التسويل.

المبحث الثامن: الاستحواذ والاستهواء والتخويف.

المبحث التاسع: القنوط من رحمة الله.

المبحث العاشر: الأمن من مكر الله.

المبحث الحادي عشر: الاستفزاز.

المبحث الثاني عشر: السحر.

المبحث الأول

خطـوات الشـيطان

الخطوة في اللغة: «جمع خطوة، والخطوة ما بين قدمي الماشي، والخطوة بفتح الخاء: الفعلة الواحدة، من قول القائل خطوت خطوة واحدة؛ وقد تُجْمَعُ الخطوة خُطاً، والخطوة تجمع خطوات وخطاء...» (١).

ولقد اتخذ عدو الله إبليس اللعين أساليب شتى يتفنن فيها لإضلال العباد، وإفساد عقائدهم، لأنه يعلم أنهم لن ينساقوا إليه إلا بحيل يتخذها، لا يدرك العباد كنهها، ليوقعهم كما أوقع أباهم آدم – عليه السلام – .

«فالإنسان يعيش بعمره القصير في صراع مستمر مع عدوه الشيطان الذي يمارس ضده كل أنواع المكر والشر والفساد، ومسخراً كل إمكاناته ووسائله وخبراته لكيد هذا الإنسان وخذلانه» (٢).

يقول ابن القيم – رحمه الله – : «إن الله سبحانه بحكمته سلط على العبد عدواً عالماً بطرق هلاكه، وأسباب الشر الذي يلقيه فيه متفنناً فيها خبيراً بها حريصاً على لا يفتر يقظة ولا مناماً...» أ. هـ (٣).

وهو يعلم أيضاً أنه لا يمكن أن يخدع العباد بوساوسه دفعة واحدة، فلا بد من التدرج والسير مع العباد خطوة بخطوة وحيلة بعد حيلة، وكما رأى أن هذا المدخل موصد، اتخذ مدخلاً آخر، وهكذا حتى لا يدع باباً إلا وسلكه ولا حيلة إلا واحتال بها، حتى يوقع العباد في الغفلة والإعراض عن الله (٤).

---

(١) جامع البيان، لابن جرير (١/ ٧٦)، وانظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ص ٦٨، ولسان العرب، لابن منظور (١٤/ ٣١)، وبصائر ذوي التمييز، للفيروزآبادي (٢/ ٥٥٣).

(٢) الفتنة وموقف المسلم منها، عبدالحميد السحيباني، ص ٤١٦.

(٣) مفتاح دار السعادة، لابن القيم، ١/ ٢٠٦.

(٤) انظر: منهج الإسلام في تزكية النفس، د. أنس أحمد كرزون، ص ٦٦٣.

وقد نهى الله تعالى عن اتباع خطوات الشيطان في آيات كثيرة منها: قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [1]، وقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [3]، وقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [4] .

وقد تنوعت عبارات المفسرين في تفسير خطوات الشيطان على أقوال منها:

١ - خُطُوَاتُه بمعنى الخطايا التي يأمر بها .
٢ - وقيل عمله .
٣ - وقيل خطيئته .
٤ - وقيل النذور في المعاصي .
٥ - وقيل طريقه وأثره فيما دعا إليه .
٦ - وقيل مسالكه ومذاهبه .
٧ - وقيل نَزَغاتُهُ .
٨ - وقيل تحرِيمُه الحلالَ وتحليله الحرام .
٩ - وقيل طاعته [5] .

ولا تنافي بين هذه الأقوال جميعاً ، فهو يأمر بكل خطيئة ، وطرق الغواية هي مذاهبه ومسالكه ، وهو لا يأمر بذنب إلا وزينه وسلك إليه سبيلاً إلى قلب العبد ليوصله إليه .

---

(١) سورة البقرة ، الآية: ١٦٨ .
(٢) سورة البقرة ، الآية: ٢٠٨ .
(٣) سورة الأنعام ، الآية: ١٤٢ .
(٤) سورة النور ، الآية: ٢١ .
(٥) تفسير القرآن ، لابن جرير الطبري (١/ ٧٦-٧٧) ، وتفسير ابن كثير (١/ ٣٠٨-٣٠٩) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/ ٢٠٨-٢٠٩) ، وزاد المسير ، لابن الجوزي (١/ ٧٢) .

وجميع هذه الأقوال – تفسر المراد بخطوات الشيطان ، وهي خطوات – كما هو معناها اللغوي – خطوة ثم خطوة وهكذا .

وقد أخبر النبي ﷺ أن تسلط الشياطين بعد زمنه سيكون أقوى من ذي قبل ، كما في الحديث عن عبادة بن الصامت – رضي الله عنه – يذكر أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله مامدة أمتك من الرخاء فلم يرد عليه شيئاً حتى سأله ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبه ، ثم انصرف الرجل ثم إن النبي ﷺ قال: (أين السائل فردوه عليه ، فقال لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد من أمتي ، مدة أمتي من الرخاء مائة سنة قالها مرتين أو ثلاثاً ، فقال الرجل يا رسول الله فهل لذلك من أمارة أو علامة أو آية . فقال: نعم الخسف والرجف وإرسال الشياطين المجلبة على الناس) [1] ، وأول هذه الخطوات:

أولاً: النسيان: وقد تقدم تعريفه: وقد اتخذ منه إبليس وسيلة من وسائله لإفساد الاعتقاد ، ومن ذلك:

١– نسيان العبد ذكر ربه: قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [2] .

٢– نسيان الأمر والنهي والوعد والوعيد: قال تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [3] .

«أي فبسبب نقضهم الميثاق الذي أخذ عليهم الله لعنهم ، أي أبعدهم عن الحق

---

(١) رواه أحمد في المسند ، ٥/ ٣٢٥ ، ولم أجد للحديث طرقاً أخرى غير المسند . ورقم الحديث ٢١٧٠٧ .

(٢) سورة المجادلة ، الآيتان: ١٨-١٩ .

(٣) سورة المائدة ، الآية: ١٣ .

وطردهم عن الهدى . . فأدى ذلك إلى فساد أفهامهم وسوء تصرفاتهم ، ونسوا العمل وتركوه رغبة عنه»[(١)] .

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴾[(٢)] ، «أي طال عليهم العمر حتى نسوا ما أنزلته إليهم على ألسنة رسلك من الدعوة إلى عبادتك وحدك لا شريك لك»[(٣)] .

ومن نسيان الأمر والنهي ما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾[(٤)] ، والمعنى«لقد وصينا آدم وقلنا له: ﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾[(٥)] فوسوس إليه الشيطان فأطاعه وخالف أمري فحل به من عقوبتي ما حلَّ»[(٦)] .

٣- نسيان الذنوب والمعاصي: قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾[(٧)] ، «أي نسي ذنوبه وخطاياه المهلكة ، فلم يحدث نفسه بالتوبة والإنابة فطبع الله على قلوبهم ، وجعل في آذنهم ثقلاً عن الهداية وسلوك سبيل الاستقامة»[(٨)] .

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير (٢/ ٥٢٦) .
(٢) سورة الفرقان ، الآيتان: ١٧-١٨ .
(٣) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير (٥/ ١٤١) .
(٤) سورة طه ، الآية: ١١٥ .
(٥) سورة طه ، الآية: ١١٧ .
(٦) جامع البيان ، لابن جرير (٩/ ٢٢٠) .
(٧) سورة الكهف ، الآية: ٥٧ .
(٨) انظر: جامع البيان ، لابن جرير (٩/ ٢٦٨) .

وقال ابن كثير: «أي تناساها وأعرض عنها ولم يصغ لها ولا ألقى لها بالاً» (١) .

٤- **مجالسة العصاة ونسيان إنكار المنكر**: قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ (٢) .

قال ابن كثير – رحمه الله – : «والمراد بذلك كل فرد من آحاد الأمة ألا يجلس مع المكذبين الذين يحرفون آيات الله ويضعونها على غير مواضعها . . .» أ. هـ (٣) .

وقال القرطبي – رحمه الله – : «ودل بهذا على أن الرجل إذا علم من الآخر منكراً وعلم أنه لا يقبل منه فعليه أن يعرض عنه إعراض منكر ولا يقبل عليه . . .»أ.هـ(٤) .

٥- **نسيان النعم**: قال تعالى: ﴿ ۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ ﴾ (٥)، وهذا حال الكافر المكذب، فهو مع الشدة منيب مقبل، تارك للشرك فإذا أعطاه الله النعم، وجاءت الرفاهية نسي هذا التضرع والمسكن (٦) ، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ﴾ (٧) .

٦- **نسيان الآخرة والبعث والجزاء**: قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟

---

(١) تفسير ابن كثير، ٤/ ٤٠١ .
(٢) سورة الأنعام، الآية: ٦٨ .
(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٣) .
(٤) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٧/ ١٢) .
(٥) سورة الزمر، الآية: ٨ .
(٦) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٨١) وانظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٥/ ٢٣٨) .
(٧) سورة يونس، الآية: ١٢ .

بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾ ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَآ إِنَّا نَسِينَـٰكُمْ ۖ وَذُوقُوا عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾[٣].

٧- **نسيان العبد مصالحه الدينية والدنيوية:** ومن ذلك نسيان النبي ﷺ أن يصل كلامه بالمشيئة عندما وعد من سأله المسائل الثلاث التي في سورة الكهف[٤]، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟یْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَـٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ ﴾[٥].

ومن ذلك نسيان موسى – عليه السلام – وغلامه الحوت، كما ذلك تبارك وتعالى في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ ﴾[٦]، وقوله: ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَـٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴾[٧]، ومن ذلك نسيان الغلام الذي نجا ذكر يوسف – عليه السلام – كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾[٨].

وقد تقدم الكلام حول هذه الآية في مكايد الشيطان لأنبياء الله[٩].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥١.
(٢) سورة السجدة، الآية: ١٤.
(٣) سورة ص، الآية: ٢٦.
(٤) انظر: جامع البيان، لابن جرير (٩/٢٢٨-٢٢٩).
(٥) سورة الكهف، الآيتان: ٢٣-٢٤.
(٦) سورة الكهف، الآية: ٦١.
(٧) سورة الكهف، الآية: ٦٣.
(٨) سورة يوسف، الآية: ٤٢.
(٩) انظر: ص ٧٠-٧٣.

وفي الحديث: (**من نسي صلاة فليصل إذا ذكرها، لا كفارة لها إلا ذلك**) [١] .

ثانياً: الاستدراج: الاستدراج أصله من دَرَّجَ يقال: «دَرَّجَه إلى كذا واستدرجه، بمعنى أي أدناه منه على التدريج، فَتَدَرَّجَ» [٢]، ومنه قوله تعالى: ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [٣]، والمعنى: «سنأخذهم قليلاً قليلاً ولا نباغتهم» [٤]. وقيل المعنى: «كلما جددوا خطيئة جددنا لهم نعمة، وأنسيناهم شكر النعمة واستغفار الذّنب» [٥] .

وهكذا عدو الله إبليس يستدرج العبد ويدنيه منه درجة درجة، قليلاً قليلاً، حتى يصل به إلى هدفه ومأموله، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ ﴾[٦]، ومعنى استزلهم أي دعاهم إلى الزلة والخطيئة[٧]، فهو يدخل إلى النفس الإنسانية [٨] ثم لا يزال بها حتى تصل إلى حالة من الضعف الإيماني فتفقد ثقتها بالله تعالى، وتقل صلتها به سبحانه، فيختل توازنها، ومن هنا يقودها إلى زلة أخرى وهكذا [٩] .

قال حكيم من الحكماء: «الشيطان يأتي ابن آدم من قبل المعاصي، فإن امتنع أتاه

---

(١) رواه البخاري، رقم: ٥٧٢ (١/ ٢١٥)، ومسلم، رقم: ٦٨٤، (١/ ٤٧٧).
(٢) لسان العرب، لابن منظور (٢/ ٢٦٨).
(٣) سورة القلم، الآية: ٤٤ .
(٤) لسان العرب، لابن منظور (٢/ ٢٦٨).
(٥) بصائر ذوي التمييز، للفيروزآبادي (٢/ ٥٩٢).
(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٥٥ .
(٧) الآية نزلت في أصحاب رسول الله ﷺ عندما ولوّا عن المشركين يوم أحد، ومعنى استزلهم، قيل المراد ذكرهم ذنوباً وخطايا كانوا ارتكبوها فخافوا وكرهوا من لقاء الله بهذه الحال، وقيل إنهم سمعوا باشاعة مقتل النبي ﷺ فترخصوا في الفرار.
(٨) انظر: جامع البيان، لابن جرير الطبري (٣/ ١٤٤-١٤٥)، وزاد المسير لابن الجوزي (١/ ٤٨٣)، تفسير الفخر الرازي (٩/ ٥٢-٥٤).
(٩) انظر: مقامع الشيطان في ضوء الكتاب والسنة، تأليف سليم الهلالي، ص ١٠ .

من وجه النصيحة حتى يلقيه في بدعه ، فإن أبى أمره بالتحرج والشدة حتى يحرم ما ليس بحرام ، فإن أبى شككه في وضوئه وصلاته حتى يخرجه عن العلم ، فإن أبى خفف عليه أعمال البر حتى يراه الناس صابراً عفيفاً فتميل قلوبهم إليه فيعجب بنفسه وبه يهلكه ، وعند ذلك يشتد إلحاحه ، فإنها آخر درجة ويعلم أنه لو جاوزها أفلت منه إلى الجنة»أ.هـ[١] .

ثالثاً: التسويف: والخطوة الثالثة لإبليس التسويف ، فلا يزال بالعبد يسوفه ويثبطه ويذكره طول الأمل وإبقاء الوقت حتى يدرك منه مراده ، قال ابن الجوزي: «كم من عازم على الجد سوفه ، وكم من ساع إلى فضيلة ثبطه ، فلربما عزم الفقيه على إعادة درسه فقال استرح ساعة ، أو انتبه العابد في الليل ليصلي فقال عليك وقت ، ولا يزال يحبب الكسل ويسوِّف العمل . . .» [٢] .

ومن الأمثلة على ذلك . عقده على النائم إذا هو نام بثلاث عقد يضرب على كل عقدة منها عليك ليل طويل فارقد حتى يخرج وقت الصلاة وهكذا في جميع العبادات .

كما في الصحيحين: (يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام بثلاث عقد يضرب على كل عقدة عليك ليل طويل فارقد ، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة ، فإن توضأ انحلت عقدة ، فإن صلى انحلت عقدة فأصبح نشيطاً طيب النفس ، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان) .

قال ابن القيم – رحمه الله – في قوله تعالى: ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ﴾ [٣]، «فوعده ما يصل إلى قلب الإنسان ، نحو سيطول عمرك ، وتنال من الدنيا لذتك ، وستعلو على أقرانك ، وتظفر بأعدائك ، والدنيا دول ستكون لك كما كانت لغيرك ، ويطول أمله . . .

(١) احياء علوم الدين ، للغزالي (٣/ ٤٥) ، دار المعرفة ، بيروت .
(٢) تلبيس إبليس ، ص ٤٠٤-٤٠٥ .
(٣) سورة النساء ، الآية ، ١٢٠ .

ويمنيه الأماني الكاذبة على اختلاف وجوهها . . .» أ. هـ[(١)] .

رابعاً: الوسوسة: هي: «الخطرة الرديئة»[(٢)] ، وقد سبق تعريفها[(٣)] ، وهي سلاح قوي من أسلحة إبليس في إفساد الاعتقاد، إذ هي الطريق الخفي والمنفذ السالك إلى القلب، فبها يشكك العبد في ربه وخالقه، وبها يفتن العبد عن دينه، قال تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ ﴾[(٤)] ، وقوله تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ ﴾[(٥)] .

وفي الحديث الصحيح قال: قال رسول الله ﷺ: (**يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته**) .

وهو يجلب على العبد في صلاته ليفسد عليه طاعته، كما بين ذلك المصطفى – عليه الصلاة والسلام – قال: (**إن الشيطان إذا سمع النداء بالصلاة، أحال له ضراط، حتى لا يسمع صوته، فإذا سكت رجع فوسوس، فإذا سمع الإقامة، ذهب حتى لا يسمع صوته، فإذا سكت رجع فوسوس**) ، وفي رواية: (فإذا قضى التثويب أقبل، حتى يخطر بين المرء ونفسه، يقول له: اذكر كذا، اذكر كذا، لما لم يكن يذكر من قبل حتى يظل الرجل ما يدري كم صلى)[(٦)] .

وفي مسلم عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: (جاء ناس من أصحاب النبي ﷺ فسألوه

(١) إغاثة اللهفان، لابن القيم (١/ ٨٦) .
(٢) التعاريف للمناوي (٢/ ٧٢٥) .
(٣) انظر: ص ١١٧ .
(٤) سورة الأعراف، الآيتان: ٢٠-٢١ .
(٥) سورة طه، الآية: ١٢٠ .
(٦) رواه البخاري، رقم ٥٨٣، ومسلم، رقم ٣٨٩، عن أبي هريرة (١/ ٢٩١) ، وللإستزادة والتفصيل في وسوسته في الطهارة والصلاة، انظر: إغاثة اللهفان، لابن القيم (١/ ١٠١ وما بعدها) .

إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به ، قال: وقد وجدتموه؟ قالوا: نعم ، قال: ذلك صريح الإيمان) .

ومحل وسوسته «القلب» فهو محل اهتمامه ومركز سهامه ، ففي الحديث عن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ : (**إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم، فإن ذكر الله خنس، وإن نسي التقم قلبه، فذلك الوسواس الخناس**)(١) .

وروى ابن جرير الطبري بلفظ: (ما من مولود إلا على قلبه الوسواس ، فإذا عقل فذكر الله خنس ، وإذا غفل وسوس ، قال: فذلك الوسواس الخناس) (٢) .

والواسواس: هو الشيطان (٣) ، وهو ينفذ إلى النفس الإنسانية من ثلاثة منافذ هي:

أولاً: الهوى ومحبته الشخص للشيء . **ثانياً**: الجهل بهذا الطريق .

ثالثاً: أمن هذا الطريق (٤) .

قال أبو الحسن الأشعري (٥) في مقالاته:

---

(١) رواه أبو يعلى في مسنده (٧/ ٢٧٨) ، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٢٦٨) ، وذكره السيوطي في الدرر المنثور (٨/ ٦٩٤) ، وقال: أخرجه ابن أبي الدنيا عن مكايد الشيطان ، وأبو يعلى وابن شاهين في الترغيب في الذكر ، وذكره ابن كثير في التفسير (٤/)٥٧٦ ، وقال: «غريب»أ . هـ .

(٢) جامع البيان ، لابن جرير (١٥/ ٣٥٥) ، ورواه الحاكم في المستدرك وصححه ، رقم ٣٩٩١ ، ٢/ ٥٩٠ ، وقال ابن حجر في الفتح: في إسناده حكيم بن جبير وهو ضعيف . أ. هـ (٨/ ٧٤١) .
قال ابن حجر: «أن رجلاً سأل ربه أن يريه موضع الشيطان فرأى الشيطان في صورة ضفدع عند نفض كتفه الأيسر حذاء قلبه له خرطوم البعوضة» وقال: «أخرجه ابن عبدالبر بسند قوي إلى ميمون بن مهران عن عمر بن عبدالعزيز فذكره . . . . وله شاهد مرفوع عن أنس عن أبي يعلى وابن عدي ، ولفظه أن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم»أ . هـ .

(٣) جامع البيان (١٥/ ٣٥٥) ، والجامع لأحكام القرآن (٨/ ٢٦١) ، وفتح الباري (٨/ ٧٤٢) .

(٤) انظر: كتاب الفتنة وموقف المسلم منها .

(٥) هو علي بن إسماعيل بن سالم بن إسماعيل بن أبي موسى الأشعري أبو الحسن ، ولد عام ٢٧٠ ، وتوفي عام ٣٣٠هـ ، كان اشعرياً ، وإليه تنسب الأشاعرة ثم رجع عن مذهبه كما صرح في الإبانة ، له مؤلفات منها: المقالات والإبانة واللمع في الرد على الزيغ .انظر:طبقات الشافعية ، للسبكي (٢/ ٢٤٥) ، البداية والنهاية ، لابن كثير (١١/ ١٨٧) ، الأعلام للزركلي (٤/ ٢٦٣) .

«واختلفوا في شر الوسواس الشيطان كيف يوسوس؟! فقال قائلون: أنهم يوسوسون، وقد يجوز أن يكون الله تعالى جعل الجوّ أداة لهم، أو جعل لهم أداة ما غير الجو، وذلك متصل بالقلب فيحرك الشيطان تلك الآلة من جهة بعض خروق الإنسان، فيوصل الوسوسة إلى قلبه بتلك الآلة . . . وقال قائلون: جسم الشيطان أرق من أجسامنا، وكلامه أخفى من كلامنا فيجوز أن يصل إلى سمع الإنسان فيتكلم بكلامه الخفي فيكون ذلك هو وسوسته»أ. هـ [(١)] .

والتحقيق أن ذلك من علم الغيب الذي أمرنا بالإيمان به، دون المعرفة للكيفية، والوسواس أنواع منها:

١- **وسواس للتشكيك في الحق:** كما ورد في الحديث: (يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ . . .) فيلقي الشبهات ويلبس الحق بالباطل[(٢)] .

قال القرطبي - رحمه الله -: «فلما يئس الشيطان من أصحاب محمد ﷺ بالإغراء والإضلال أخذ يشوش عليهم أوقاتهم بتلك الألقيات والوساوس الترهات فنفرت عنها قلوبهم وعظم عليهم وقوعها عندهم فجاءوا كما في الصحيح فقالوا يا رسول الله إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به، قال: (أو قد وجدتموه، قالوا: نعم، قال: ذلك صريح الإيمان) رغما للشيطان»أ. هـ [(٣)] .

٢- **وسواس لتحريك الشهوة لارتكاب الحرام:** كشراب الخمر والزنا، وغير ذلك من الفواحش، فيحاول جاهداً الوسوسة وتحسين الحرام والذنب للعبد حتى يرتكبه، ولهذا نهى رسول الله ﷺ عن الخلوة بالأجنبية لأن ثالثهما الشيطان.

٣- **وسواس لإفساد العبادات:** فالشيطان يسعى جاهداً لإفساد العبادات، ومن أعظم ذلك الصلاة، فموقف العبد في صلاته أشد ما يكون على الشيطان، لذا يجلب

---

(١) مقالات الإسلاميين، لأبي الحسن الأشعري (٢/ ٤٣٥-٤٣٦)، دار إحياء التراث، بيروت، ط. الثالثة.

(٢) انظر: التمهيد، لابن عبدالبر (١٨/ ٣٠٧).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٣٤٩).

على العبد بخيله ورجله لصده عن هذا القيام ، ومن الأمثلة حديث عثمان بن أبي العاص وفيه قوله: يا رسول الله إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي يلبسها عليَّ ، فقال رسول الله ﷺ : (ذاك الشيطان يقال له خُنْزب . . .) الحديث .

ومن وسوسته في الصلاة ما يجده المصلي من توهم خروج الريح ، كما في الحديث عن أبي سعيد الخدري - ﷺ - أن رسول ﷺ قال: (إن الشيطان يأتي أحدكم وهو في الصلاة ، فيأخذ بشعره من دبره فيمدها ، فيرى أنه قد أحدث ، فلا ينصرف حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً) [١] .

وفي الصحيح عن عباد بن تميم عن عمه: أنه شكا إلى رسول الله ﷺ الرجل يخيل إليه أنه يجد الشيء في الصلاة؟ فقال: (لا ينفتل حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً) [٢] ، قال النووي - رحمه الله - : «وهذا الحديث أصل من أصول الإسلام وقاعدة عظيمة من قواعد الفقه ، وهي أن الأشياء يحكم ببقائها على أصولها حتى يتيقن خلاف ذلك ، ولا يضر الشك الطارئ عليها» أ . هـ [٣] .

ومن وسوسته في الوضوء أنه قد يوهم العبد خروج شيء منه بعد الاستنجاء ، وقد يدعوه إلى الإسراف في الماء ، وللوضوء شيطان خاص به يسمى الولهان [٤] ، كما جاء ذلك في الحديث عن أبي بن كعب أن رسول الله ﷺ قال: (**إن للوضوء شيطاناً يقال له: الولهان، فاتقوا وسواس الماء**) [٥] .

وكان ﷺ إذا بال ينتضح كما في الحديث عن أبي داود (**كان رسول الله ﷺ إذا بال**

---

(١) رواه الحارث ابن أبي أمامة في مسنده (١/ ٢٢٠) ، وعبدالرزاق في مصنفه بلفظ:«إن الشيطان ينفخ في دبر الرجل . .» (١/ ١٤١) ، والبيهقي في السنن الكبرى ، رقم ٣١٩٣ ، (٢/ ٢٥٤) .

(٢) رواه البخاري ، رقم ١٣٧ ، (١/ ٦٤) ، ومسلم ، رقم ٣٦١ ، (٤/ ٤٩) ، شرح النووي .

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (٤/ ٤٩) .

(٤) الوهان: مصدر وَلَهَ وَلَهانا ، والوَلَه: ذهاب العقل والحيرة ، وسمى هذا الشيطان بهذا الاسم ، قيل: لشدة حرصه على الوسوسة للعبد لإفساد وضوئه ، وقيل: لكونه يوصلهم بوسوسته إلى الحيرة وذهاب العقل حتى لا يدري كيف تلعب به الشياطين ، انظر: النهاية في غريب الحديث (٥/ ٢٢٧) ، تحفة الأحوذي (١/ ١٥٦-١٥٧) ، فيض القدير (٢/ ٥٠٣) .

(٥) رواه الترمذي ، رقم: ٥٧٨ ، (١/ ٢٦٧) ، وصحيح ابن خزيمة ، رقم :١٢٢(١/ ٦٣) .

توضأ وينتضح [١]) [٢] .

وكان ابن عباس يقول: (إن الشيطان يأتي أحدكم ، وهو في الصلاة فيبل إحليله حتى يليه أنه قد أحدث ، فمن رأى به ذلك فلينتضح بالماء ، فمن رأى به من ذلك شيء فليقل هو عمل الماء) [٣] .

وشكا رجل إلى ابن عمر البول فقال: (إذا توضأت فانضح واله عنه فإنه من الشيطان) [٤] .

وكان مجاهد إذا توضأ نضح فرجه ، وذكر أن النبي ﷺ فعله [٥] .

ولهذا استحب بعض العلماء للشخص إذا بال أن ينضح فرجه وسراويله بالماء دفعاً للوساوس التي ربما تقع إذا وجد الشخص في ملابسه بللاً [٦] .

قال ابن القيم: «ولا ريب أن الشيطان هو الداعي للوسواس ، قد أطاعوا الشيطان ولبوا دعوته واتبعوا أمره ورغبوا عن أتباع سنة رسول الله ﷺ وطريقته حتى إن أحدهم ليرى أنه إذا توضأ وضوء رسول الله ﷺ واغتسل كاغتساله لم يطهر ، لم يرتفع حدثه . فقد كان رسول الله ﷺ يتوضأ بالمد [٧] . والموسوس يرى أن ذلك القدر لا يكفيه لغسل يديه . . .» أ . هـ [٨] .

وقد صور ابن القيم – رحمه الله – الحال التي ينتهي إليها الموسوس بقوله: «ثم إنه

---

(١) «هو أن يأخذ قليلاً من الماء فيرش به مذاكيره بعد الوضوء ، لينفي عنه الوسواس ، وقد نضح عليه الماء ونضحه به ، إذا رشّه عليه» أ . هـ ، النهاية في غريب الحديث ، لابن الأثير (٥/ ٦٩) .

(٢) رواه أبو داود ، رقم: ١٦٦ ، (١/ ٤٣) .

(٣) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ، رقم :١٧٧٦ ، (١/ ١٥٤) .

(٤) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ، رقم: ١٧٧٧ ، (١/ ١٥٤) .

(٥) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ، رقم: ١٧٧٣ ، (١/ ١٥٤) .

(٦) انظر: كتاب الوسوسة ، سليمان الغيامة ، ص ٣٤ .

(٧) المد: ربع الصاع ، وهو رطل وثلث الرطل بالعراقي . . . وقيل إن أصل الـمُدِّ مُقدَّر بأن يمد الرجل يده فيملأ كفيه طعاماً ، انظر: النهاية في غريب الحديث (٤/ ٣٠٨) .

(٨) مختصر إغاثة اللهفان ، لابن القيم ، ص ١٢٠ ، للأبابطين .

بلغ من استيلاء إبليس عليهم أنهم أجابوه إلى ما يشبه الجنون أو ما يقارب مذهب «السوفسطائية» الذين ينكرون حقائق الموجودات والأمور المحسوسات، وعلم الإنسان بحال نفسه من الأمور الضروريات اليقينيات، وهؤلاء يغسل أحدهم عضوه غسلاً يشاهده ببصره ويكبر ويقرأ بلسانه بحيث تسمعه أذنه ويعلمه بقلبه، بل يعلمه غيره منه ويتيقنه ثم يشك هل فعل ذلك أم لا، وكذلك يشككه الشيطان في نيته وقصده التي يعلمها من نفسه يقيناً... ومع هذا يقبل قول إبليس في أنه ما نوى الصلاة ولا أرادها مكابرة منه لعيانه وحجداً ليقين نفسه، حتى تراه متلدداً متحيراً، كأنه يعالج شيئاً يجتذبه أو يجد شيئاً في باطنه يستخرجه، كل ذلك مبالغة في طاعة إبليس وقبول وسوسته، ومن انتهت طاعته لإبليس إلى هذا الحد فقد بلغ النهاية في طاعته»أ.هـ[١].

إلى غير ذلك من أنواع العبادات التي يكيد إبليس العباد لإفسادها كقراءة القرآن، والتحرز من النجاسة، وغير ذلك.

٤- **وسواس الخواطر وإشغال القلب**: عن التفكر في العبادة والتأمل في مخلوقات الله بحيث يظل القلب مشتغلاً بدفعها، متحسراً على ما مضى منها، خائفاً يترقب حصوله منها مستقبلاً، وهذه قلما يسلم منها العبد ما لم يجاهد نفسه مجاهدة عظيمة، ولهذا قال ﷺ في الحديث: (من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه، غفر له ما تقدم من ذنبه)[٢].

ولم يسلم من هذه الوساوس حتى نبي الأمة ﷺ[٣]، فقد روت عائشة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ صلى في خميصة لها أعلام، فنظر إلى أعلامها نظرة، فلما انصرف قال: (**اذهبوا بخميصتي هذه إلى أبي جهم**[٤]، **وأتوني بأنبجانية**[١] **أبي جهم، فإنها ألهتني آنفاً**

---

(١) المرجع السابق، ص ١٢٦، وانظر: ما كتبه ابن القيم في حال الموسوسين فهو مهم جداً من ص ١٢٠ إلى ص ١٤٨ من المرجع السابق.

(٢) رواه البخاري في كتاب، رقم: ١٥٨، (١/ ٧١)، ورواه مسلم، رقم: ٢٢٦ (١/ ٢٠٥).

(٣) انظر: مبحث تعرضه لأنبياء الله بالوسوسة.

(٤) هو عبيد الله، ويقال عامر بن حذيفة القرشي العدوي صحابي مشهور. انظر: الإصابة (٤/ ٧).

عن صلاتي)[٢]، وفي رواية: (كنت أنظر إلى علمها وأنا في الصلاة، فأخاف أن تفتني).

قال الطيبي[٣] - رحمه الله -: «فيه إيذان للصور والأشياء الظاهرة تأثيراً في القلوب الطاهرة والنفوس الزكية، يعني فضلاً عمن دونها»[٤].

وفي بعض طرق الحديث ورد قوله ﷺ (فأخاف)، فدلت على أنه لم يقع منه انصراف عن صلاته، ولكن خشي ذلك، فبادر إلى خلعها وإرجاعها لأبي جهم[٥].

ودل على أن التوسع في المباحات، والتعلق بالدنيا وملذاتها باب عظيم للوساوس والخطرات لا تنقطع إلا بالرمي والمفارقة كما فعل نبينا ﷺ ولنا فيه أسوة[٦].

وقد أرشد نبينا محمد ﷺ أمته لطريق وعلاج ناجع لهذه الوسوسة وذلك بأن يستعيذ بالله العظيم ولينته لئلا يسترسل معه إبليس، إذ لا فائدة من الدفع وإيراد الحجج[٧]، لأن الإنسان إذا استرسل معها ستفضي به إلى الحيرة فأمر بقطعها

---

(١) الأنبجانية «بكسر الباء ويروي بفتحها، يقال كساء أنبجاني منسوب إلى منبج المدينة المعروفة، وهي مكسورة الباء... وقيل: إنها منسوبة إلى موضع اسمه انبجان... وهو كساء يتخذ من الصوف، وله، خمل ولا علم له، وهي من أدون الثياب الغليظة» النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (١/ ٧٣)، وانظر: فتح الباري (١/ ٦٣٦-٦٣٧)، وشرح النووي لصحيح مسلم (٥/ ٤٣).

(٢) رواه البخاري، رقم ٣٦٦، ١/ ١٤٦-١٤٧، ومسلم، رقم: ٥٥٦، (١/ ٣٩١).

(٣) «الحسين بن محمد بن عبدالله، شرف الدين الطيبي: من علماء الحديث والتفسير والبيان... كان شديد الرد على المبتدعة، ملازماً لتعليم الطلبة والإنفاق على ذوي الحاجة منهم، آية في استخراج الدقائق من الكتاب والسنة، من كتبه: التبيان في المعاني. وشرح مشكاة المصابيح»، الأعلام (٢/ ٢٥٦)، وشذرات الذهب (٦/ ١٣٧).

(٤) فتح الباري، لابن حجر (١/ ٦٣٧)، وصحيح مسلم بشرح النووي (٥/ ٤٣-٤٤).

(٥) انظر: فتح الباري لابن حجر (١/ ٦٣٧).

(٦) انظر فيما سبق: إحياء علوم الدين، للغزالي (٣/ ٤٤-٤٥)، وصحيح مسلم شرح النووي (٥/ ٤٣-٤٤)، ومختصر إغاثة اللهفان، لابن قيم، اختصار الشيخ عبدالله أبابطين، ص ١٢٠ وما بعدها.

(٧) «أما من خالجته الشبهة وغلب عليه الحس ولم يقدر على الانفكاك عنها فلا بد من مشافهته بالدليل العقلي كما قال ﷺ: (للذي خالطته شبهة الإبل الجرب حين قال النبي ﷺ: لا عدوى، فقال الأعرابي: فما بال الإبل تكون في الرمل كأنها الظباء فإذا دخل فيها البعير الأجرب أجربها، فقال ﷺ: فمن أعدى الأول) فأستأصل الشبهة من أصلها» تفسير القرطبي (٧/ ٣٤٩)، وانظر: درء

على الفور[(١)] .

وفي حديث عثمان بن أبي العاص قال: قلت: يا رسول الله، وأن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي يلبسها عليَّ، فقال رسول الله ﷺ: (ذاك الشيطان يقال له خنزب، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه، واتفل عن يسارك ثلاثاً) فقلت ذلك فأذهبه الله عني.

ومن علاج الوسوسة العلم فكلما بصر الله بصيرة العبد بنور العلم زادت قوته في دفع الخواطر والوساوس ومعرفة مداخل الشيطان عليه.

يقول ابن القيم: «فإنه لا ينجو من عدوه إلا من عرفه، وعرف طريقه التي يأتيه منها وجيشه الذي يستعين به عليه، وعرف مداخله ومخارجه وكيفية محاربته، وبأي شيء يحاربه، وبماذا يداوي جراحه، وبأي شيء يستمد القوة لقتاله ودفعه، وهذا كله لا يحصل إلا بالعلم، فالجاهل في غفلة وعمى عن هذا الأمر العظيم والخطب الجسيم»[(٢)] .

ومن علاج الوسوسة كثرة الذكر، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾[(٣)]، وكما في البخاري عن ابن عباس – رضي الله عنهما – : (إن الشيطان جاثم على قلب ابن آدم إذا ذكر الله خنس وإذا غفل وسوس). ومن الذكر المشروع في مثل هذا تلاوة سورة الإخلاص كما في الحديث (يوشك الناس يتساءلون حتى يقول قائلهم: هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله؟ فإذا قالوا ذلك، فقولوا: الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد ثم ليتفل عن يساره ثلاثاً ويستعذ من الشيطان).

ومن علاج الوسوسة لزوم الجماعة والبعد عن أسباب الانطواء والحزن، كما سيأتي – إن شاء الله – في طرق الوقاية والتحصين.

ومن علاج الوسوسة لزوم السنة، إذ لو علم الموسوس أنه بتعنته هذا وربما غلوه

تعارض العقل والنقل، لابن تيمية (٣/ ٣٠٨-٣٠٩)، والحديث رواه البخاري، رقم: ٥٣٨٧، ومسلم في رقم: ٢٢٢٠، (٤/ ١٧٤٤).

(١) انظر: فتح الباري، لابن حجر (٦/ ٣٤١).
(٢) مفتاح دار السعادة، لابن القيم (١/ ٢٠٦)، دار الفكر.
(٣) سورة الرعد، الآية، ٢٨.

في العبادة مخالف لسنة النبي ﷺ فهو إذن آثم وغير مأجور وهو على ضلالة فعليه أن يلزم الجماعة إذن ويدع ما سوى ذلك (١) .

ومن علاج الوسوسة التفكر في خلق الله وعدم التفكر في ذات الله لقصور العقل عن إدراكه كما في الحديث (تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله) (٢) .

خامساً: الأزّ : قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ ﴾ (٣) .

والأزُّ في اللغة: «التهيج والإغراء . أَزَّهُ يَؤُزُّهُ: اغراه وهيجه» (٤) .

والمعنى كما ذكره المفسرون:

- تحركهم بالإغواء والإضلال .
- وتغريهم إغراء .
- وتزعجهم إزعاجاً في معصية الله (٥) .

قال ابن عباس: «تزعجهم إزعاجاً من الطاعة إلى المعصية . وعنه: تغريهم إغراءً بالشر ، آمض امض في هذا الأمر ، حتى توقعهم في النار» . أ . هـ (٦) .

وهذا يدل على قوة تسلط الشيطان على العبد إذ هو يؤزه أزًّ ويدفعه دفعاً لارتكاب المحرمات ، والمعاصي وأولها الشرك ، ولهذا نجد أن أهل الباطل يسارعون

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٠٦) ، (١/ ٢٣٧) ، وانظر: بدائع الفوائد ، لابن القيم (٢/ ٣٩٧) ، وحماية الإنسان من وساوس الجن والشيطان ، إبراهيم محمد الضبيعي ، ص ٧٥-٧٧ .

(٢) ذكره السيوطي في الدرر المنثور وقال: «أخرج ابن أبي الدنيا والطبراني وابن مردويه والأصبهاني في الترغيب عن ابن عمير (٢/ ٤٠٩) ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع ، رقم: ٢٩٧٥ (١/ ٥٧٢) .

(٣) سورة مريم ، الآية: ٨٣ .

(٤) لسان العرب ، لابن منظور (٥/ ٣٠٧) .

(٥) انظر: جامع البيان ، لابن جرير (٩/ ١٢٥-١٢٦) ، والجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي (١١/ ١٥٠) .

(٦) ذكره ابن جرير في تفسيره (٩/ ١٢٥) ، وقال القرطبي بعد ذكره: حكى الاول الثعلبي والثاني الماوردي ، والمعنى واحد . انظر: الجامع لأحكام القرآن (١١/ ١٥٠) .

مسارعة في نشر الباطل والذب عنه، والدعوة إليه وهذا من أز الشياطين لهم، نسأل الله السلامة.

وهذا الإرسال إرسال كوني وليس دينيا شرعيا فهو سبحانه «يرسل الشياطين ... على فئة معينة وهم الكفار كما يرسل الريح بالعذاب»(١).

«ومعنى الإرسال هاهنا: التسليط، تقول: قد أرسلت فلاناً على فلان: إذ سلطته عليه، كما قال: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾(٢)، فاعلم أن من اتبعه هو مسلط عليه»(٣)، خلافاً لما عليه القدرية من أن التسليط هنا بمعنى التخلية(٤).

وللشيطان طريق آخر يؤز به العبد ألا وهو النزغ، والنَّزْغُ هو الإفساد، والكلام الذي يغري بين الناس(٥): «نَزَّغَه: حرَّكه أدنى حركة نَزَغ الشيطان بينهم يَنزَغ ويَنزِغُ نَزْغاً أي أفسد وأغرى»(٦)، قال تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ ﴾(٧)، وقال في آية أخرى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾(٨).

قال ابن جرير عند تفسير هذه الآية: «وإما يغضبنك من الشيطان غضب يصدك عن الإعراض عن الجاهلين ويحملك على مجاراتهم ﴿ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ﴾ .. فاستجر بالله

---

(١) فتح المنان في جمع كلام شيخ الإسلام عن الجان (١/ ٢٣٤-٢٣٦).
(٢) سورة الحجر، الآية: ٤٢.
(٣) شفاء العليل، لابن القيم، ٦٢-٦٣.
(٤) انظر: المرجع السابق، وفتح المنان، (١/ ٢٣٥-٢٣٦)، والحاشية.
(٥) انظر: لسان العرب، لابن منظور (٨/ ٤٥٤).
(٦) المرجع السابق (٨/ ٤٥٤).
(٧) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٠.
(٨) سورة فصلت، الآية: ٣٦.

من نزغه»[١] .

ومن نزغه أيضاً نزغه بين الأخوة والأرحام للإفساد بينهم، قال تعالى في قصة يوسف – عليه السلام –: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَبَتِ هَـٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَـٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَـٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾[٢] .

وقال تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ ﴾[٣]، «وفي هذه الآية الكريمة أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين بأن يختاروا أحسن القول في كل الأحوال حتى لا ينفذ الشيطان من خلال كلمة جافية تخرج بعد حب ومودة، فيفسد جو الأخوة والمودة، وتحل الجفوة والعداء، لأن الشيطان – أعاذنا الله منه – يتلمس سقطات اللسان وعثراته ليتخذ منها سبيلاً لإفساد الود والنزغ بين المتحابين[٤] .

ومن الأزّ إلى المعاصي المسُّ والطائف، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾[٥] .

وقد تنوعت عبارات المفسرين في تفسير الطائف على أقوال منها:

فقيل: الغضب، وقيل: الصرع، وقيل: الهم بالذنب، وقيل: إصابة الذنب، وقيل: ما طاف بالعبد من وسوسة الشيطان[٦] .

---

(١) جامع البيان لابن جرير (٦/ ١٥٦)، وانظر: تفسير ابن كثير، (٣/ ٢٦٧-٢٦٩).
(٢) سورة يوسف، الآية: ١٠٠ .
(٣) سورة الإسراء، الآية: ٥٣ .
(٤) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب، (٤/ ٢٢٣٤).
(٥) سورة الأعراف، الآية: ٢٠١ .
(٦) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٦٩)، جامع البيان لابن جرير (٦/ ١٥٧ وما بعدها).

قال ابن جرير – رحمه الله – بعد ذكر الأقوال: «لا وجه لخصوص معنى منه دون معنى، بل الصواب أن يعم، كما عمه جل ثناؤه فيقال: إن الذين اتقوا إذا عرض لهم عارض من أسباب الشيطان . . . تذكروا أمر الله وانتهوا إلى أمره»أ. هـ [١] .

سادساً: الحيرة :«حارَ يَحار حَيْرَةً وَحُيْرا وَحَيرا وحَيَرانا وتَحيَّر واسْتَحارَ: نظر إلى الشيء، فغشي عليه، ولم يهتد لسبيله فهو حَيْران وحائِر» [٢]، قال تعالى: ﴿ قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَـٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَـٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ [٣] .

وهذا مثل ضربه الله تعالى لمن يدعو من دونه آلهة، كمثل رجل تائه وهناك منادٍ يناديه باسمه واسم أبيه أن اسلك هذا الطريق، وله أصحاب ينادونه أن هَلُمَّ إلينا، فيتبع المناد ويترك أصحابه، فيهلك وتستهويه الشياطين وتجعله في حيرة من أمره [٤] .

وهذه الحيرة التي تعتري العبد تجعله يقع في المعصية، ويعرض عن طريق الحق، ولا يستجيب لمن يناديه إلى الحق والهداية [٥] ، وهي الخطوة الأخيرة من خطوات الشيطان التي لا يعقبها إلا التبرؤ والشماتة من هؤلاء الأتباع .

وهي أخطر مرحلة يمر بها الإنسان مع عدوه الكامن إذ يتحدد بعدها مسار العبد إما إلى هداية، وإما إلى الانحراف، إما جنة وإما نار، نسأل الله العافية والسلامة [٦] .

وهي تحصل لأهل البدع ممن حادوا عن الصراط المستقيم، ونهج الله القويم من أمثال الجهم بن صفوان الذي قيل: إنه «بقي أربعين يوماً لا يصلي شاكاً في ربه لا يقر

---

(١) جامع البيان (٦/ ١٥٨) .
(٢) القاموس المحيط، للفيروز آبادي، ص ٤٨٨، لسان العرب، لابن منظور (٤/ ٢٢٢) .
(٣) سورة الأنعام، الآية: ٧١ .
(٤) تفسير ابن كثير، ص ٤٧٩ .
(٥) انظر: المرجع السابق والصفحة نفسها .
(٦) انظر: مكايد الشيطان لعباد الرحمن، تأليف سليمان الدحدوح، ص ١٢١ .

بوجوده ولا يعبده، ثم خرج بعد أربعين يوماً ببدعة الجهمية حيث أنكر الأسماء والصفات وسلب عن الله تعالى كل صفات الكمال وشبهه بالمعدوم [١].

قال شيخ الإسلام: «فهذه الحالة كثيراً ما تعرض للجهمية وأهل الكلام الذين ذمهم السلف والأئمة، أما المؤمن المحض... فتعرض له الشكوك والشبهات وهو يدفعها عن قلبه» [٢] أ. هـ.

ومن هذه الحيرة ما وقع لأبي حامد الغزالي حيث ظل شاكاً لا يعرف الحق محتاراً متردداً بين رغبات الدنيا ودواعي الآخرة، وبين وساوس الشيطان ومنادي الإيمان حتى وصل إلى حالة يصفها بقوله:

«فلم أزل أتردد بين تجاذب شهوات الدنيا، ودواعي الآخرة، قريباً من ستة أشهر أولها رجب سنة ثمانٍ وثمانين وأربع مائة. وفي هذا الشهر جاوز الأمر حد الاختيار إلى الاضطرار، إذ أقفل الله على لساني حتى اعتقل عن التدريس، فكنت أجاهد نفسي أن ادرس يوماً تصيبيا للقلوب المختلفة، فكان لا ينطق لساني بكلمة، ولا أستطيعها البتة، ثم أورثت هذه العقلة في اللسان حزنا في القلب، بطل معه قوة الهضم ومراءة الطعام والشراب، فكان لا ينساغ لي شربه؛ وتعدى إلى ضعف القوى، حتى قطع الأطباء طمعهم عن العلاج وقالوا: «هذا أمر نزل بالقلب، ومنه سرى إلى المزاج، فلا سبيل إليه بالعلاج، إلا بأن يتروح السر عن الهم الملم» أ. هـ [٣].

ثم بعد ذلك خرج إلى الشام تاركاً التدريس في بغداد، وتاركاً أهله وأولاده، واعتزل هناك قرابة سنتين لا شغل له إلا العزلة، والرياضة، والمجاهدة على طريقة الصوفية، وبعد مشوار طويل من السفر والعزلة توصل إلى نتيجة يصفها بقوله: «علمت يقيناً أن الصوفية هم السالكون لطريق الله خاصة، وأن سيرتهم أحسن السير، وطريقهم

---

(١) انظر: العقيدة الأصفهانية (١/ ١٦٧)، بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٦٣).
(٢) العقيدة الأصفهانية (١/ ١٦٧).
(٣) المنقذ من الضلال، ص ٨١.

أصوب الطرق، وأخلاقهم أزكى الأخلاق... فإن جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم، مقتبسة من نور مشكاة النبوة» أ. هـ [١].

فتأمل كيف كاده إبليس أولاً بترك التدريس والتعليم وهو من أعظم القربات، ثم كاده بترك الأهل والأولاد واعتزال الناس لمدة عامين.

ثم كاده أخيراً باعتقاد منهج الصوفية!! وترغيب الناس فيه، وأنه أفضل الطرق على الإطلاق ثم يقول: «ومن أول الطريقة تبتدئ المكاشفات والمشاهدات، حتى إنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة، وأرواح الأنبياء، ويسمعون منهم أصواتاً يقتبسون منهم فوائد. ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور والأمثال» أ. هـ [٢].

ولا شك أن زعم أن الملائكة يُـرَوْنَ ونشاهدهم يقظة، وكذلك أرواح الأنبياء، وسماع أصواتهم من الضلال البين المخالف لعقيدة السلف، بل ويزعم بعض الصوفية رؤية الأنبياء في اليقظة ومخاطبتهم، كما سيأتي إن شاء الله [٣].

سابعاً: التبرؤ والشماتة: وهذه هي الخطوة الأخيرة التي يعلن فيها هذا اللعين براءته وشماتته بمن ابتعه وأطاعه، إذ يتخلى عنه في أشد الأوقات، بعد أن فارق الناصر، وتصرَّمت الأيام وحيل بينه وبين التوبة والإنابة، قال تعالى: ﴿ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُواْ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [٤].

قال ابن القيم: «ومن كيده للإنسان:أنه يورده الموارد التي يخيل إليه إن فيها منفعته، ثم يصدره المصادر التي فيها عطبه، ويتخلَّى عنه ويُسْلِمُه ويَقِفُ يشمت به» أ. هـ [٥].

---

(١) المرجع السابق، ص ٨٣.
(٢) المرجع السابق والصفحة نفسها.
(٣) انظر: ص ٥٠٢ وما بعدها.
(٤) سورة ق، الآيات: ٢٧-٢٩.
(٥) إغاثة اللهفان، لابن القيم (١/ ٨٧).

قال سبحانه: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [(١)] .

من خلال هذه الآيات الكريمة يتجلّى موقف هذا العدو، بعد أن فات الأوانُ فنجده يعترف بعدة أمور منها:

١- الشهادة بصدق على أن وعد الله حق، وأن وعوده وأمانيه الباطلة ووساوسه، وتزيينه للكفر والطغيان، ما هي إلا أكاذيب ووعود لا أصل لها.

٢- اتهامهم بأنهم هم السبب في هلاك أنفسهم، إذْ صدّقوه وانساقوا وراءه مستجيبين طائعين ﴿ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ﴾ .

٣- تأنيبهم، وطلبه منهم أن يؤنّبوا أنفسهم على طاعته ﴿ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم ﴾ .

٤- التخلي التام، ونفي النجدة لهم، ولو صرخوا واستغاثوا ﴿ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ﴾ .

٥- التبرؤ من شركهم وكفرهم به، ويعلن بصراحة مؤلمة أن العذاب الأليم للظالمين من أمثاله وأتباعه [(٢)] – نعوذ بالله – ﴿ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ .

وهكذا نهاية خطواته كما قال تعالى: ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [(٣)] .

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٢٢ .

(٢) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب (٤/ ٢٠٩٦-٢٠٩٨) .

(٣) سورة الحشر، الآية: ١٦ .

وهناك تبرؤ وشماتة بين إتباع الشيطان بين الرؤساء والطغاة وبين المتبوعين من العبيد المغلوبين على أمرهم، يقول تعالى: ﴿ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ قَالُواْ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾ (١) .

وقال تعالى: ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾ ﴾ (٢) .

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓاْ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (٣) .

ذكر – الله تعالى – هنا حالهم في ذلك اليوم، وأنك لو رأيت حالهم إذ وقفوا عند ربهم واجتمع الرؤساء والأتباع في الكفر والضلال، لرأيت أمراً عظيماً وهولاً جسيماً. يقول: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ ﴾ وهم الأتباع ﴿ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ ﴾ وهم القادة، ولكنكم حلتم بيننا وبين الإيمان وزينتم لنا الكفران فتبعناكم على ذلك.

فتأمل هذا الحوار المؤثر والهول الجسيم، فالكل في العذاب، وهاهم الضعفاء يلقون باللوم على الذين استكبروا حيث إنهم زيّنوا لهم الكفر وحالوا بينهم وبين

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٢١ .

(٢) سورة البقرة، الآيتان: ١٦٦-١٦٧ .

(٣) سورة سبأ، الآيات: ٣١-٣٣ .

الإيمان .

فيرد الذين استكبروا على الذين استضعفوا بأنهم لم يصدوهم عن الهدى وإنما هم الذين صدوا أنفسهم وكانوا مجرمين ، فيرد الضعفاء بقولهم: ﴿ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًاۚ ﴾ ثم ينتهي هذا الحوار الساخن وتلك المراجعة ببراءة بعضهم من بعض ، ثم الندامة العظيمة ﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِيٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ ، وهكذا يكون الجزاء من جنس العمل [١] .

ويقول تعالى: ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۢ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [٢] .

قال صاحب المنار عند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ ﴾[٣]: «شبهت المنافع التي حملت الرؤساء على قود المرؤوسين والتابعين على تقليد المتبوعين بالأسباب ، وهي في أصل اللغة الحبال ، كأنه يقول: إن كل واحد منهم كان مربوطاً مع الآخرين بحبال كثيرة ، فلم يشعروا إلا وقد تقطَّعَتْ هذه الحبال كلها ، فأصبح كل واحد منبوذاً في ناحية لا يصله بالآخر شيء» [٤] .

❀❀❀

---

(١) تفسير الكريم الرحمن (٦/ ٢٨٤-٢٨٦) ، للسعدي .

(٢) سورة الصافات ، الآيات: ٢٧-٣٣ .

(٣) سورة البقرة ، الآية: ١٦٦ .

(٤) تفسير المنار ، محمد رشيد رضا (٢/ ٨٦) .

المبحث الثاني

تزيين الباطل ونسيان الحق

يقول ابن القيم مبيناً مكايد الشيطان في تزيين الباطل: «ومن مكايده أنه يسحر العقل دائماً حتى يكيده، ولا يسلم من سحره إلا من شاء الله، فيزين له الفعل الذي يضره حتى يخيل إليه أنه أنفع الأشياء، وينفر من الفعل الذي هو أنفع الأشياء له، حتى يخيَّل له أنه يضره... فهو الذي سحر العقول حتى ألقى أربابها في الأهواء المختلفة، والآراء المتشعِّبة...»[(١)].

يقول تعالى: ﴿ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾[(٢)].

وأول ما بدأ مع أبينا آدم - عليه السلام - حيث زيَّن له المعصية وأوهمه أن هذه الشجرة هي شجرة الخلد ومن أكل منها فله الملك والخلود مع تعلق النفس الإنسانية بهذين الأمرين حتى أوقعها في المعصية، ومن ثم أهبطا إلى الأرض.

وللشيطان في هذا التزيين أساليب وطرق كثيرة منها:

أولاً: تزيين الشرك: قال تعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ ﴾[(٣)]، وقوله تعالى: ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَـٰكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾[(٤)]، وقوله تعالى: ﴿ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ

---

(١) إغاثة اللهفان، لابن القيم (١/ ١٣٠).

(٢) سورة الحجر، الآيتان: ٣٩-٤٠.

(٣) سورة الرعد، الآية: ٣٣.

(٤) سورة العنكبوت، الآية: ٣٨.

ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾[(١)] .

وقوله تعالى عن هدهد سليمان – عليه السلام – عندما رأى ملكة سبأ وقومها وهم يعبدون الشمس: ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[(٢)] .

ومن أساليبه في تزيين الشرك:

١- إبهام المشركين أن هذه الآلهة تشفع لهم عند الله، وأنها تقربهم زلفى من الله، قال تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾[(٣)] .

٢- وعده إياهم أنهم إذا ماتوا لا يبعثون .

٣- تسويف التوبة .

قال سيد قطب معلقاً على قوله تعالى: ﴿ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[(٤)]:

«وبذلك حدد إبليس ساحة المعركة أنها الأرض . . . وحدد عدته فيها أنها التزيين، تزيين القبيح وتجميله، والإغراء بزينته المصطنعة على ارتكابه . وهكذا لا يجترح الإنسان الشر إلا وعليه من الشيطان سمة تزينه وتجمله، وتظهره في غير حقيقته ورداثه . . .»أ.هـ[(٥)] .

ثانياً: تزيين الحرام وتسميته بأسماء محببة للنفوس: قال ابن القيم: «ومنه ورث أتباعه تسمية الأمور المحرمة بالأسماء التي تحب النفوس مسمياتها، فسموا الخمر: أم

(١) سورة النحل، الآية: ٦٣ .
(٢) سورة النمل، الآية: ٢٤ .
(٣) سورة يونس، الآية: ١٨ .
(٤) سورة الحجر، الآية: ٣٩ .
(٥) في ظلال القرآن، لسيد قطب (٤/ ٢١٤١) .

الأفراح[١]، وسموا أخاها بلقيمة الراحة، وسموا الربا بالمعاملة، وسموا المكوس بالحقوق السلطانية»[٢]، «واليوم يسمون الربا الفائدة، والرقص والغناء والتمثيل فناً»[٣].

وفي تزيين الحرام يقول تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾[٤]، ومن الأمثلة على ذلك:

أ- **تزيين قتل الأولاد ووأد البنات**: قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَـٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾ ﴾[٥].

وكما زينت الشياطين للمشركين أن يجعلوا لأصنامهم نصيباً من الحرث والأنعام، كذلك أمرتهم بقتل أولادهم وزينت لهم هذا الأمر العظيم المنكر خشية العار أو خشية الفقر فأقدموا عليه مع فحشه[٦].

قال مجاهد[٧] - رحمه الله - شركاؤهم شياطينهم يأمرونهم أن يئدوا أولادهم خيفة العيلة[٨].

---

(١) أو كما يسمى اليوم: «بالمشروبات الروحية» وهي بالأصح مهلكات الروح.
(٢) إغاثة اللهفان، لابن القيم (١/ ١١٢)، ط. المكتب الإسلامي.
(٣) عالم الجن والشياطين، د. عمر الأشقر، ص ٦٢.
(٤) سورة التوبة، الآية: ٣٧.
(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٣٧.
(٦) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ص ٥٠١، دار السلام، الرياض.
(٧) مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي. مولى بني مخزوم: تابعي مفسر من أهل مكة، قال الذهبي: شيخ القراء والمفسرين، أخذ التفسير عن ابن عباس، قرأه عليه ثلاث مرات، يوقفه عند كل آية يسأله عنها، الأعلام، (٥/ ٢٧٨)، وصفة الصفوة، لابن الجوزي (٢/ ١١٧)، ميزان الاعتدال (٣/ ٩).
(٨) رواه ابن جرير في تفسيره (٥/ ٤٣)، وذكره ابن كثير في تفسيره ص ٥٠١.

ب- تحريم الأنعام والحرث: قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا هَٰذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَن نَّشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَّا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ ﴾(1).

وقال تعالى: ﴿ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ۖ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ ۗ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ ۗ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾(2).

وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ ۗ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾(3).

وقال تعالى: ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ۙ وَلَٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾(4).

روى ابن جرير بسنده عن ابن عباس في قوله: « ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا ﴾ قال: جعلوا لله من ثمراتهم ومالهم نصيباً، وللشيطان والأوثان نصيباً، فإن سقط من ثمره ما جعلوا لله في

(1) سورة الأنعام، الآيتان: ١٣٨-١٣٩ .
(2) سورة الأنعام، الآيتان: ١٤٣-١٤٤ .
(3) سورة الأنعام، الآية: ١٣٦ .
(4) سورة المائدة، الآية: ١٠٣ .

نصيب الشيطان تركوه، وإن سقط مما جعلوه للشيطان في نصيب الله التقطوه وحفظوه وردوه إلى نصيب الشيطان، وإن انفجر من سقي ما جعلوه لله في نصيب الشيطان تركوه، وإن انفجر من سقي ما جعلوه للشيطان في نصيب الله سدوه، فهذا ما جعلوا من الحروث وسقي الماء، وأما ما جعلوا للشيطان من الأنعام، فهو قول الله تعالى: ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ﴾ [1] » وقد قيل أن المراد ترك التسمية [2].

وقد رجح ابن جرير القول الأول، والذي يظهر – والله أعلم – أنه لا منافاة بين القولين، فالمشركون يعملون هذا وذاك، فهم قد يجعلون لأصنامهم نصيباً، وهم في الوقت نفسه لا يذكرون اسم الله تعالى إلا مقروناً بأسماء آلهتهم عند ذبح هذه الأنعام، مما هو نصيب الله عز وجل- بزعمهم – وإن كان للآلهة. لم يذكروا اسم الله تعالى، تعالى الله عما يعملون ويقولون، وسيأتي تفصيل معنى البحيرة والسائبة والوصيلة والحام [3].

وهذا الحال الذي وصلوا إليه من اتباع الشيطان، والعمل بتحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله، إنما هو من عند أنفسهم إذ جعلوا للشيطان سلطاناً على أنفسهم.

قال ابن القيم – رحمه الله – : «إن الله لم يجعل له عليهم سلطاناً ابتداء البتة، ولكن هم سلطوه على أنفسهم بطاعته ودخولهم في جملة جنده وحزبه فلم يتسلط عليهم بقوته فإن كيده ضعيف، وإنما تسلط عليهم بإرادتهم واختيارهم» أ. هـ [4].

جـ- ترك التسمية عند الذبح: قال تعالى: ﴿ وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ

---

(١) رواه ابن جرير في تفسيره (٨/ ٤٠)، وفي إسناده من تكلم فيه، وقد ذكره ابن كثير في تفسيره (٣/ ١٠٦)، عن ابن عباس بمعناه وقال: «وهكذا قال مجاهد وقتادة والسدي وغير واحد» أ. هـ.

(٢) انظر: جامع البيان لابن جرير (٨/ ٤٢)، وتفسير القرآن، لابن كثير (٣/ ١٠٦).

(٣) انظر: ص ٣٦٠-٣٦٣.

(٤) عدة الصابرين، لابن القيم الجوزية، ص ١٧.

عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ (١) .

وفي الآية دليل على تحريم أكل ما لم يذكر اسم الله عليه ، ورد على المشركين الذين كانوا يجادلون في تحريم ما لم يذكر اسم الله عليه بوحي من الشياطين إذ كانوا يقولون كيف نأكل ما قتلتم ولا نأكل مما قتل الله؟! وهذه حجة شيطانية ، أملتها عليهم الشياطين لتدعوهم إلى أكل ما حرم الله من الميتة ومما لم يذكر اسم الله عليه (٢) .

د- **أكل الحرام**: قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(٣) ، ويقول سبحانه: ﴿ وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (٤) .

ومِنْ أكْلِ الحرام أخْذُ الرشوة ، وأكل الرِّبا ، وهذا كثير في هذا الزمان ، ومن أكل الحرام أكل مال اليتيم ، والقمار ، والبيوع المحرمة وغيرها كثير .

ثالثاً: تزيين المعاصي: قال تعالى: ﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴾(٥) .

والمراد بالقرناء: القرين المسلط من الجن والشياطين ، يزينون لهم الدنيا ومتعها ، ويرغبونهم فيها ، فلا خوف ولا رهبة ، ونسيان الآخرة والكفر بها (٦) .

---

(١) سورة الأنعام ، الآية: ١٢١ .
(٢) تيسير الكريم الرحمن ، لابن السعدي ، ص ٢٣٤ .
(٣) سورة البقرة ، الآيتان: ١٦٨-١٦٩ .
(٤) سورة الأنعام ، الآية: ١٤٢ .
(٥) سورة فصلت ، الآية: ٢٥ .
(٦) تفسير القرطبي (١٥/ ٣٥٤) ، وتفسير ابن كثير (٦/ ١٧١) ، الدر المنثور ، للسيوطي (٧/ ٣٢٠) .

وقيل: إن المراد بقوله تعالى: ﴿ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ... ﴾، حسَّنوا لهم أعمالهم في الماضي والمستقبل.

وقيل: أنسوهم ذكر الآخرة، وأوقعوهم في الشبه التي تقودهم إلى الكفر والبدع(١).

ومن أبرز المعاصي التي يزينها إبليس الزنا والفاحشة عموماً وبدايتها النظر إلى المرأة الأجنبية فلا يزال يُحَسّنُ المرأةَ في نظر الرجل حتى يوقعه في الفتنة بها، ففي الحديث عن جابر أن رسول الله ﷺ (رأى امرأة فأتى امرأته زينت وهي تمعس منيئة(٢) لها فقضى حاجته، ثم خرج إلى أصحابه فقال: إن المرأة تقبل في صورة شيطان وتدبر في صورة شيطان، فإذا أبصر أحدكم امرأة فليأت أهله فإن ذلك يرد ما في نفسه)(٣).

قال العلماء: معناه الإشارة إلى الهوى، والدعاء إلى الفتنة بها لما جعله الله تعالى في نفوس الرجال من الميل إلى النساء، والالتذاذ بنظرهن، وما يتعلق بهن، فهي شبيهة بالشيطان في دعائه إلى الشر بوسوسته وتزيينه له...» أ. هـ(٤).

ثم يعقب النظر الخلوة، فإذا خلا الرجل بالمرأة جند له إبليس شيطاناً يلازمهما، ويغريهما بالوقوع في الفاحشة، ولذلك حذر رسول الله ﷺ من الخلوة بالمرأة.

فقال: (... ألا لا يخلونَّ رجل بامرأة فإن الشيطان ثالثهما...)(٥).

وحذر من فتنة النساء عموماً فقال ﷺ: (ما تركت بعدي فتنة أَضَرَّ على الرجال

---

(١) تفسير القرطبي (١٥/ ٣٥٤)، تفسير ابن كثير (٦/ ١٧١)، تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (٦/ ٥٧٠-٥٧١).

(٢) المعس: الدلك، والمنيئة: الجلد أول ما يوضع في الدباغ، ثم يسمى أديماً، المفهم للقرطبي (٤/ ٩٠).

(٣) رواه مسلم، رقم: ١٤٠٣، (٢/ ١٠٢١)، قال القرطبي – رحمه الله –: «تحذير: لا يظن برسول الله ﷺ لما فعل ذلك، ميل نفس، أو غلبة شهوة. حاشاه عن ذلك، وإنما فعل ليَسُنَّ، وليقتدى به، وليحسم عن نفسه ما يتوقع وقوعه»ا. هـ. المفهم (٤/ ٩١).

(٤) شرح مسلم للنووي (٩/ ٩٢٥٤)، وانظر: المفهم، للقرطبي (٤/ ٩٠-٩١).

(٥) رواه ابن حبان في صحيحه، رقم: ٥٥٨٦، (١٢/ ٣٩٩).

من النساء) [١] .

وحث النساء على القرار في بيوتهن ففي حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ : **(المرأة عورة فإذا خرجت استشرفَها الشيطان)** [٢] ، وفي رواية: **(إن المرأة عورة وإنها إذا خرجت من بيتها استَشْرَفَها الشيطان فتقول ما رآني أحد إلا أعجبته وأقرب ما تكون إلى الله إذا كانت في قعر بيتها)** [٣] .

ومن المعاصي التي يزينها إبليس ويشجع على فعلها السرقة كما في الأثر **(إذا وضع السارق يده في الشيء وضع الشيطان يده مع يده فرفعت البركة)** [٤] .

والشيطان يحرص حتى على صغائر الذنوب لأنه يحقق بها شيء من المكاسب التي يسعى إليها ولذا جاء في الحديث (ألا إن الشيطان قد أيس أن يعبد في بلدكم هذا أبداً ولكن ستكون له طاعة في بعض ما تحتقرون من أعمالكم فيرضى بها)[٥] .

والمعنى إن المرأة يستقبح بروزها وظهورها ، فإذا أخرجت أمعن الشيطان النظر إليها بغيرها ، ليغويها غيرها بها ، ليوقعهما أو أحدهما في الفتنة» أ. هـ [٦] .

رابعاً: تزيين اتباع الهوى: قال تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً ﴾[٧] ، وقال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾[٨] .

---

(١) رواه البخاري ، رقم: ٥٠٦٩ (٩/ ١٣٧) ، ومسلم ، رقم: ٢٧٤١ ، (٤/ ٢٠٩٨) .
(٢) رواه الترمذي ، رقم: ١١٧٣ ، (٣/ ٤٧٦) ، وقال: «هذا حديث حسن غريب»أ. هـ .
(٣) رواه الطبراني في الكبير ، رقم: ٩٤٨١ ، ٩/ ٢٩٥ ، وذكره المنذري في الترغيب ، وقال: «رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح»أ. هـ ، ١/ ١٤١ .
(٤) رواه الطبراني في مسند الشاميين ، عن عبدالله بن السر المازني ، رقم: ١٥٧٨ (٢/ ٤٠٠) .
(٥) رواه الترمذي ، رقم: ٢١٥٩ ، (٤/ ٤٦١) ، والنسائي في السنن الكبرى ، رقم:٤١٠٠ ، (٢/ ٤٤٤) مطولاً ، والمزي في تهذيب الكمال ، رقم:٤٤٤٣٢٤٤ (٢١/ ٥٣٩) .
(٦) تحفة الأحوذي ، للمباركفوري ، (٤/ ٣٣٨) .
(٧) سورة الفرقان ، الآية: ٤٣ .
(٨) سورة الجاثية ، الآية: ٢٣ .

والمعنى أن صاحب الهوى عابد لهواه ومؤتمر بأمره، ومهما رأى قبحه لا ينزجر عن فعله، فلا يهتدي، ولا يستضيء بنور الهداية (١)، ولهذا روي عن الشعبي قوله: (إنما سميت الأهواء لأنها تهوي بصاحبها في النار)(٢).

والشيطان - لعنه الله - يزيِّنَ لصاحب الهوى بدعته، ويحرضه عليها، ويذكر له محاسنها، ويتسلط عليه بقدر ما يعلم من ميل نفسه إلى الهوى حتى يهوي به في النار - والعياذ بالله (٣) - ، وكثير مما يحصل من الخلافات بين الناس، إنما هي بسبب تعظيم الهوى وموافقة النفس على اتباعه، فصاحب الهوى أصم أبكم، فاتباع الهوى نوع من الشرك لأنه يضل الإنسان عن الحق (٤).

وقد ذم الله تعالى اتباع الهوى في آيات كثيرة منها: قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾ (٥)، وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ (٦)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا ﴾ (٧)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ﴾ (٨).

وفي الحديث: **(لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به)**.

قال ابن رجب: «فجميع المعاصي إنما تنشأ من تقديم هوى النفوس على محبة الله

---

(١) انظر: جامع البيان، لابن جرير (١٣/ ١٥٠)، وتفسير القرآن، لابن كثير (٦/ ٢٦٨)، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٦/ ١٦٦-١٦٧).
(٢) رواه اللالكائي، رقم: ٢٢٩، (١/ ١٣٠)، والدارمي، رقم: ٤٠٢، (١/ ١٢١).
(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٤/ ٢٨٩-٢٩٠) الموافقات للشاطبي (٤/ ١٥٥)، فتح القدير (١/ ٣٨٢).
(٤) انظر: الهوى وأثره في الخلاف، للشيخ د. عبدالله الغنيمان، ص ٢٠-٢٣.
(٥) سورة الكهف، الآية: ٢٨.
(٦) سورة القصص، الآية: ٥٠.
(٧) سورة المائدة، الآية: ٧٧.
(٨) سورة البقرة، الآية: ١٢٠.

ورسوله ، وقد وصف الله المشركين باتباع الهوى في مواضع من كتابه فقال تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ (١) ، وكذلك البدع إنما تنشأ من تقديم الهوى على الشرع ، ولهذا يسمى أهلها أهل الأهواء ، وكذلك المعاصي إنما تقع من تقديم الهوى على محبة الله ورسوله ومحبة ما يحبه ، وكذلك حب الأشخاص الواجب فيه أن يكون تبعاً لما جاء به الرسول ﷺ» (٢) .

ولهذا إذا حصل خلاف في مسائل الدين ، وأدى إلى الفرقة والخلاف والتشاحن والتقاطع فاعلم أنه بسبب الهوى ، لأن الخلاف في المسائل وطلب الحق من الطرفين لا يكون سبباً في التقاطع ، والنبذ إلا أن كان صاحبه الهوى (٣) .

وقد كان السلف – رحمهم الله – يحذرون من مجالسة أصحاب الأهواء خوفاً من تشرب شبهاتهم وأباطيلهم .

فقد روي عن الحسن البصري – رحمه الله – قوله: **(لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم ولا تسمعوا منهم)** (٤) .

خامساً: تزيين حرب المسلمين، وتكذيب الرسل: قال تعالى: ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ ﴾ (٥) .

قال البيضاوي عند تفسير هذه الآية:«أوهمهم أن اتباعهم إياه ، فيما يظنون أنها

---

(١) سورة القصص ، الآية: ٥٠ .
(٢) جامع العلوم والحكم ، لابن رجب ، ٣٨٨-٣٨٩ .
(٣) انظر: الموافقات ، للشاطبي (٤/ ١٨٦) .
(٤) اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ١٣٣) ، والدارمي في السنن ، رقم: ٤٠١ ، (١/ ١٢١) .
(٥) سورة الأنفال ، الآية: ٤٨ .

قربات ، مجير لهم حتى قالوا: اللهم انصراً أهدى الفئتين وأفضل الدينين»أ .هـ[١] .

وفي الإعراض وتكذيب الرسل يقول تعالى: ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾[٢] .

سادساً: تزيين أعمال الطغاة لأنفسهم، ليصد الناس عن الحق: قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴾[٣] ، والمعنى زين لـه الشيطان الشرك والتكذيبَ ، والعُلُوَّ والسخرية بموسى – عليه السلام – فَصَدَّ الناس عن سبيل الحق بكذبه وتدنيسه[٤] .

وانظر إلى حال كثير من الظلمة الذين زين الشيطان لهم سوء أعمالهم فلقبوا أنفسهم بالأبطال ، والفاتحين والقادة ، والعظماء ، تلبيساً على الناس وإخفاءً للحقيقة .

سابعاً: تزيين النفاق: قال تعالى: ﴿ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴾[٥] ، والمزيِّنُ لهذا الظن إنما هو الشيطان .

حيث توهم المخلَّفون من الأعراب أن رسول الله ﷺ لن يعود سالماً إلى المدينة ، وأن العدو سيستأصلهم ، فلما عادوا قالوا يا رسول الله استغفر لنا قد شُغِلنا بالأموال والأولاد . وقيل: بل ظنوا أن الله لا ينصر رسله[٦] .

ثامناً: تزيين المذاهب الهدامة والأفكار المنحرفة كالاشتراكية والرأسمالية: فأصبحت

---

(١) تفسير البيضاوي ، ٣/ ٥٢ .

(٢) سورة العنكبوت ، الآية: ٣٨ .

(٣) سورة غافر ، الآية: ٣٧ .

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي (١٥/ ٣١٥) ، فتح القدير ، للشوكاني (٤/ ٤٩٢) ، في ظلال القرآن ، سيد قطب (٥/ ٣٠٨٢) .

(٥) سورة الفتح ، الآية: ١٢ .

(٦) زاد المسير ، لابن الجوزي (٧/ ٤٣٠) ، الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي (١٦/ ٢٦٩) .

الاشتراكية والرأسمالية دعوة تقدم ورقي وتنظيم لحياة الشعوب والأفراد . . . .

قال تعالى: ﴿ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾[1] .

وفي الحديث ابن مسعود ﷺ – قال: (خط رسول الله ﷺ خطاً بيده ، ثم قال: هذا سبيل الله مستقيماً وخط عن يمينه وشماله ، ثم قال: هذه السبل ليس فيها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه ثم قرأ: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾[2] . . .») .

(١) سورة النحل ، الآية: ٦٣ .

(٢) سورة الأنعام ، الآية: ١٥٣ .

المبحث الثالث

الفتنة

الفتنة من الشيطان، وسمي الشيطان فتاناً كما في الحديث، عن صفية - رضي الله عنها -: (المؤمن أخو المؤمن يسعهما الماء والشجر، ويتعاونان على الفتَّان) (١).

والأصل في ذلك قوله تعالى: ﴿ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ﴾ (٢).

وكما في الأثر ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: (لما افتتح النبي ﷺ مكة رنّ إبليس رنّة اجتمعت إليه جنوده، فقال: يئسوا أن نريد أمة محمد على الشرك بعد يومكم هذا، ولكن افتنوهم في دينهم وأفشوا فيهم النوح)، وسمي فتاناً لكونه يخدع الناس بخداعه وغروره (٣).

ويقال: «افتتن الرجل، وفتن فهو مفتون، إذا أصابته فتنة فذهب ماله أو عقله»(٤)، «ولفظ الفتنة في كتاب الله تعالى يراد بها الامتحان الذي لم يفتتن صاحبه، بل خلص من الافتتان، ويراد بها الامتحان الذي حصل معه افتتان» (٥).

وهو يحرص أشد الحرص على فتنة العبد في الحديث الصحيح عن جابر رضي الله عنه: (إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة...).

ومن مظاهر الفتن التي يوقع فيها العباد ما يلي *:

---

(١) رواه أبو داو، رقم ٣٠٧٠، (٣/ ٤٥١-٤٥٢، وقد ضعفه الألباني - رحمه الله - انظر: ضعيف سنن أبي داود، ص ٣٠٩.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٧.

(٣) الصحاح الجوهري، (٦/ ٨٧٥).

(٤) المرجع السابق (٦/ ٢١٧٦)، وانظر: تاج العروس، للزبيدي (٩/ ٢٩٩).

(٥) إغاثة اللهفان، لابن القيم، ٢/ ١١٨.

* اقتبست بعض هذه العناوين من كتاب الفتنة وموقف المسلم منها، إعداد عبدالحميد السحيباني.

أولاً: فتنة الكفر والشرك: قال تعالى: ﴿ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ﴾ [(١)]، قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله – : «يعني لا يكون شركاً» أ.هـ[(٢)]، ومن وسائله العظيمة في إيقاع الناس في هذه الفتنة: سؤال الأموات وبناء المساجد والسرج على القبور والذبح لها والنذر لها . . . فلا إله إلا الله كَمْ فَتَنَ بهذه الحيل؟ وكم أوقعهم في حبائله؟ وسيأتي الحديث عنها مفصلاً إن شاء الله .

ثانياً: فتنة الحكم بغير ما أنزل الله: حيث مهد لها الشيطان بخطوات ماكرة خفية من خلال حزبه وأعوانه ومن تلك الخطوات:

أ- محاولة إضعاف المحاكم الشرعية في كثير من البلاد الإسلامية تمهيداً لإلغائها .

ب- إبراز علماء بالقوانين الوضعية .

جـ- اتهام الشريعة الإسلامية بالتخلف وعدم التمشي مع التقدم والحضارة [(٣)] .

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾[(٤)] ، وقال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [(٥)] .

وفي حديث عدي بن حاتم – رضي الله عنه – لما قال للنبي ﷺ كيف اتخذوهم أرباباً؟ قال له النبي ﷺ : **(إنهم أحلّوا لهم ما حرَّم الله وحرَّموا عليهم ما أحلَّ الله فاتبعوهم)** .

قال الإمام محمد الأمين الشنقيطي – رحمه الله – بعد سرده هذه الآيات: «ويفهم من هذه الآيات بوضوح لا لبس فيه أن من اتبع تشريع الشيطان مؤثراً له على ما جاءت به الرسل . فهو كافر بالله ، عابد للشيطان ، متخذ الشيطان ربّاً ، وإن سمى اتباعه

---

(١) سورة البقرة ، الآية: ١٩٣ .
(٢) تفسير القرآن العظيم ، ٢/ ٣٠٩ .
(٣) الشريعة الإسلامية لا القوانين الجاهلية ، عمر بن سليمان الأشقر ،ص ٩٠-١١٠ ، ط .
(٤) سورة الأنعام ، الآية: ١٢١ .
(٥) سورة التوبة ، الآية: ٣١ .

للشيطان بما شاء من الأسماء ؛ لأن الحقائق لا تتغير بإطلاق الألفاظ عليها»أ. هـ[١] .

ثالثاً: **فتنة النساء:** قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾[٢] .

فذكر الله تعالى فتنة النساء أول هذه الفتن ، ولهذا جاءت السنة بالتحذير من فتنة النساء ، فعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ : (إن المرأة تقبل في صورة شيطان وتدبر في صورة شيطان ، إذا أحدكم أعجبته المرأة فوقعت في قلبه فليعمد إلى امرأته فليواقعها ، فإن ذلك يرد ما في نفسه) ، وفي الصحيح: (ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء) ، وكانت أول فتنة بني إسرائيل ثبت في الصحيح عن نبينا محمد ﷺ أنه قال: (إن الدنيا حلوة خضرة ، وإن الله مستخلفكم فيها ، لينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء ، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء)[٣] .

ولهذا اتخذهن إبليس مصائد يصيد بهنَّ ضعاف الإيمان ، ولا أدل على ذلك من قصة يوسف – عليه السلام – مع امرأة العزيز . . .

ومن أساليبه في إيقاع العباد في هذه الفتنة:

أ- إبطال العمل بالشريعة ومحاربة الإسلام والعقيدة الصحيحة ، فما من دعوة تدعو لهدم الدين إلا اتخذت من فتن النساء والإباحية الجنسية وسيلة وسلاح قوى لتحقيق أهدافها[٤] .

---

(١) أضواءالبيان ، لمحمد الأمين الشنقيطي ، ١/ ٣٦٥ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية: ١٤ .

(٣) رواه مسلم ، رقم: ٢٧٤٢ ، (٤/ ٢٠٩٨) من حديث أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – .

(٤) ماذا خسر العالم ، لأبي الحسن الندوي ، ص ٣٨ ، وحقيقة البابية والبهائية ، د. محسن عبدالرحمن ص١٠٨ .

وقد ضرب الأخير مثال لامرأة قامت بهذا الدور وهي المسماه «رزين تاج والتي لقبها أستاذها كاظم الرشتي بـ«قرة العين وفرح الفؤاد» وكانت هذه المرأة على جانب كبير من الجمال والذكاء ، والفصاحة والبلاغة ولها قدرة عجيبة على التأثير على الرجال ، ولما ظهر الميرز على محمد =

ب- نشر التعري وكشف العورات، وإظهار التبرج والسفور، قال تعالى - في قصة آدم عليه السلام -: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾[١] .

وفي هذه الآيات دليل على وسوسة الشيطان لآدم ليكشف عورته التي غطاها هو وزوجه حواء - عليهما السلام - وفي حرصه على كشف عورتهما دليل على أن كشف العورات كناية عن سقوط الحرمة والمنزلة وزوال الجاه[٢] .

قال القرطبي: «وفي الآية دليل على قبح كشف العورة، وأن الله أوجب الستر»[٣] .

قال الرازي: «دلت هذه الآية على أن كشف العورة من المنكرات وأنه لم يزل مستهجناً في الطباع مستقبحاً في العقول»أ. هـ[٤] .

وتأمل اليوم ما يحدث في بيوت الأزياء وصالات التجميل التي أصبحت أوكاراً للرذيلة، ودعوة إلى مسخ الفطرة، وتغيير خلق الله بما تنشره كل يوم من موضات وأدوات للزينة وتعرٍّ وتبرج فتنت بها كثير من نساء المسلمين، وسقطن ألعوبة بأيدي عملاء المكر وأذنابهم من العلمانية، وأدى ذلك لسفورهن وتبرجهن وفتنة الرجال بهن .

= الشيرازي زعيم البابية آمنت به وراسلته أعلنت في مؤتمر (بدشت) أن الشريعة نسخت، وحملت على العقيدة الإسلامية، وافتتن بها المشاركين، وقامت بعد ذلك بمهاجمة نظام الأسرة في الإسلام، وتعدد الزوجات والطلاق ودعت إلى التبرج والسفور، وتعلق بها الميرز وكانت تذهب معه وترافقه، هلكت عام ١٢٦٤هـ، انظر: ص ١٠٨-١١٤ .

(١) سورة الأعراف، الآيات: ٢٠-٢٢ .

(٢) انظر:الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٧/ ١٨٠-١٨١)، تفسير ابن كثير (٣/ ١٥٣)، تفسير الفخر الرازي (١٤/ ٤٨-٥٠)، في ظلال القرآن (٣/ ١٢٦٨-١٢٦٩) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٧/ ١٨١) .

(٤) تفسير الرازي (١٤/ ٥٠) .

جـ- **نشر الاختلاط**: ففي الحديث: (ما خلا رجل بامرأة إلا والشيطان ثالثهما) .

وهذه فتنة عظيمة انتشرت في كثير من بلاد المسلمين فمن الاختلاط في التعليم إلى الاختلاط في المستشفيات ، إلى الاختلاط في الأماكن العامة والأسواق . . . وهكذا حتى أصبحت المرأة سلعة رخيصة يلهو بها العابثون ، وتتنافس الشركات التجارية في اختيار أجمل النساء لتجعلها دعاية لسلعة ما حتى ولو كانت السلعة إطاراً لسيارة ، أو آلة محركة المهم أن تعرض صورة المرأة لتكون دعاية وفتنة .

وهذا نذير فساد عظيم ، وهو من أسباب انهيار الأمم والحضارات ، قال ابن القيم - رحمه الله -:

«ولا ريب أن تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال ، أصل كل بلية وشر ، وهو من أعظم أسباب نزول العقوبات العامة ، كما أنه من أسباب فساد أمور العامة والخاصة ، واختلاط الرجال بالنساء سبب لكثرة الفواحش والزنا ، وهو من أسباب الموت العام ، والطواعين المتصلة .

ولما اختلط البغايا بعسكر موسى ، وفشت فيهم الفاحشة ، أرسل الله عليهم الطاعون ، فمات في يوم واحد سبعين ألفاً ، والقصة مشهورة في كتب التفاسير . . . ولو علم أولياء الأمر ما في ذلك من فساد الدنيا والرعية - قبل الدين - لكانوا أشد شيء منعاً لذلك»أ . هـ[(١)] .

وقد فطن الأعداء لذلك . . . فاتخذوا من المرأة وسيلة لإفساد الدين ، ولهذا قال أحد كبار اليهود: «كأس وغانية تفعلان في تحطيم الأمة المحمدية أكثر مما يفعله ألف مدفع ، فأغرقوها في حب المادة والشهوات»أ . هـ[(٢)] .

وقال آخر: «يجب علينا أن نكسب المرأة ، فأي يوم مدت إلينا يدها فزنا بالحرام

---

(١) الطرق الحكمية ، ص ٣٢٦ .

(٢) تربية الأولاد في الإسلام ، ناصح علوان (١/ ٢٨٧) .

وتبدد جيش المنتصرين للدين»أ. هـ[١] .

ونحن نشاهد الواقع الآن كيف أصبح أدعياء التحرر والحداثة وأذنابهم في بلادنا ينادون في وسائل الإعلام بتحرر المرأة ، ومساواتها بالرجل ، وادعاء ظلمها وأن حقوقها مسلوبة إلى غير ذلك من الافتراء ، والتعدي على حقوق الله .

وتأمل ما ينشر في الصحف والمجلات من صور الكاسيات العاريات ، وعرضها في واجهات المحلات التجارية والمكتبات العامة .

وليس ذلك قاصراً في الصحافة بل أدوات الشر متضافرة مع بعضها الآخر من إذاعات وتلفاز ، وقنوات وشبكات وكتب وقصص .

يقول الشيخ العلامة بكر بن عبدالله أبو زيد – حفظه الله – : «فغربوا – حسيبهم الله – جماعة المسلمين ، وأثخنوهم بجراح دامية في العرض والدين ، وأشمتوا بأمتهم الكافرين ، وأثموهم ، وأبعدوهم عن دينهم ، وتولوا هم عن دينهم الحق ، وخدموا الكفرة من اليهود والنصارى والملاحدة الشيوعيين وغيرهم ، والتقت الداران: دار الإسلام مع دار الكفر على هذه البهيمية الساقطة . . .»أ. هـ[٢] .

وقد ظهرت مؤشرات واضحة على أن من المسلمين من هو مهيأ نفسياً لتقبل أسلوب الحياة الاجتماعية غير الديني الوافد من الغرب ، وأن منهم من هو على استعداد لأن يدعو أمته لذلك لو حظي بالعناية اللازمة وعاش عيشة أوروبية[٣] .

وللمفاسد العظيمة التي تترتب على الاختلاط وضع الإسلام عدداً من الضوابط لحماية الفضيلة ومنها:

١- تحريم الدخول على النساء غير المحارم والخلوة بهن مهما كانت قرابتهن .

---

(١) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة .

(٢) حراسة الفضيلة ، تأليف الشيخ بكر بن عبدالله أبو زيد ، ص ١٣٦ .

(٣) العلمانية للشيخ سفر الحوالي ، ص ٦٢٤ . وانظر: ما بعدها فهو مهم جداً إذ فصل – حفظه الله – كيف دخلت العلمانية في الأخلاق ومظاهرها في بلاد المسلمين .

٢- تحريم سفر المرأة بدون محرم، والأحاديث في ذلك متواترة، ومنها ما رواه ابن عمر أن النبي ﷺ قال: (لا تسافر المرأة ثلاثة أيام إلا مع ذي محرم) [(١)].

٣- تحريم النظر الأمر بغض النظر للرجال والنساء، كما نص عليه القرآن في قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾[(٢)]، وفي الحديث عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ: (إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا، أدرك ذلك لا محالة، فزنا العين النظر، وزنا اللسان النطق، والنفس تمنىَّ وتشتهي، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه) [(٣)].

٤- تحريم مس المرأة الأجنبية وتحريم مصافحتها.

٥- تحريم تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال.

٦- رغب المرأة في القرار في بيتها، وجعله عزيمة شرعية في حقها، وخروجها من البيت رخصة لا تكون إلا لضرورة أو حاجة.

٧- أمر بالاستئذان قبل الدخول حتى على المحارم [(٤)].

رابعاً الفتنة بالأمرد: وهو مأخوذ من مَرِدَ مَرَدَ أو مُرُودة وتَمَرَّدَ [(٥)]، والأمرد: «الشاب الذي بلغ خروج لحيته وطرَّ شاربه، ولم تبد لحيته»[(٦)].

وقد اتفق العلماء على تحريم النظر إلى الأمرد بشهوة [(٧)]، وكان السلف يحذرون

---

(١) رواه البخاري، رقم: ١٠٣٦، ١/ ٣٦٨، ومسلم، رقم: ١٣٣٨، ٢/ ٩٧٥.
(٢) سورة النور، الآيتان، ٣٠-٣١.
(٣) رواه البخاري، رقم: ٦٢٣٨، (٦/ ٢٤٣٨)، ومسلم، رقم: ٢٦٥٧، (٤/ ٢٠٤٦).
(٤) حراسة الفضيلة، بكر أبو زيد، ص ٧٤ -٨٥، وقاية الإنسان من الجن والشيطان، ص ٢٩٦.
(٥) لسان العرب، ٣/ ٤٠١، والقاموس المحيط، ص ١٧٦، التوقيف على مهمات التعاريف، ص ٦٤٨.
(٦) لسان العرب (٣/ ٤٠١)، القاموس المحيط، ص ١٧٦، تفسير القرطبي (١٣/ ٢٠٩).
(٧) انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١٥/ ٤١٣) و (١٥/ ٤١٥).

من مجالسة الأمرد، والنظر إليهم، ويقولون هم أشد فتنة من العذارى، فروي أن أنس بن مالك - رضي الله عنه - يمنعهم من الدخول إلى مجلسه[١]، وسفيان الثوري فقد روى أنه دخل الحمام فدخل عليه غلام صبيح فقال أخرجوه فإني أرى مع كل امرأة شيطاناً، ومع كل غلام بضعة عشر شيطاناً[٢]، والمبيت في بيت واحد[٣] وسموهم شبكة الشيطان[٤] والأنتان لكونهم مستقذرين شرعاً[٥]، بل حتى النظر إليه بدون حاجة قالوا بعدم جوازه.

قال ابن كثير: «وقد قال كثير من السلف: إنهم ينهون أن يحد الرجل نظره إلى الأمرد وحرمه طائفة من أهل العلم لما فيه من الافتتان، وشدد في ذلك كثيراً جداً»[٦].

وقال النووي: «إن النظر إلى الأمرد الحسن من غير حاجة حرام، سواء كان بشهوة أو بغيرها، سواء أمن الفتنة أو لم يأمنها، هذا هو المذهب الصحيح المختار عند العلماء، وقد نصَّ على تحريمه الإمام الشافعي، ومن لا يحصى من العلماء ودليله قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ ﴾[٧]، ولأنه في معنى المرأة بل ربما كان بعضهم أو كثير منهم أحسن من كثير من النساء، ويتمكن من أسباب الريبة فيه ويتسهل من طرق الشر في حقه، ما لا يتسهل في حق المرأة فكان تحريمه أولى وأقاويل السلف في التنفير منهم أكثر من أن تحصى» أ. هـ[٨].

---

(١) انظر: المرجع السابق (١٥/ ٣٧٥)، والفروع لابن مفلح المقدسي (٥/ ١١٣)، ط. الأولى، ١٤١٨هـ، تحقيق: أبو الزهراء حازم القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٤٩٨)، ونسبه للبيهقي.

(٣) انظر: المرجع السابق، الجزء نفسه والصفحة نفسها.

(٤) انظر: كشاف القناع، لمنصور البهوتي (٥/ ١٦)، المعروف الفروع لابن مفلح (٥/ ١١٣).

(٥) انظر: التبيان في آداب حملة القرآن، للنووي، ص ٤٧.

(٦) تفسير بن كثير (٣/ ٢٨٣)، الفروع لابن مفلح المقدسي (٥/ ١١١)، وسنن البيهقي الكبرى (٧/ ٩٩).

(٧) سورة النور، الآية: ٣٠.

(٨) التبيان في آداب حملة القرآن، للنووي، ص ٤٧، وانظر: المهذب (٢/ ٣٤).

وهي فتنة عظيمة ، وداء عضال ، يبتلى بها بعض الناس بتسويل وتزيين من إبليس -أخزاه الله- وهي بداية فتنة قوم لوط – قبحهم الله – .

قال السفاريني – رحمه الله – : «وأما أول من ابتدعه فقوم لوط . . يروى أن أهل المؤتفكات كانوا من أجمل الناس وكانوا أهل كرم وعطاء ، فأصابهم القحط فجاءهم إبليس اللعين ، وقال: إنما أصابكم ذلك لكرمكم أو نحو ذلك ، فقالوا له: كيف السبيل إلى المنع؟ قال: اجعلوا السُنَّة – أي العادة – بينكم أنه إذا دخل رجلٌ إلى بلدكم غريب سلبتموه ، ونكحتموه في دبره ، فإذا فعلتم ذلك لم تقحطوا ، فعزموا على ذلك ، وخرجوا إلى ظاهر البلد يطلبون من يفجرون به ، فتمثل لهم إبليس في صورة غلام أمرد حسن ، ففجروا كما علمهم ، فطاب لهم ذلك حتى صار عادة لهم في كل غريب ، ثم فشا فنفذ إلى أهل البلد أيضاً ، فظهر ذلك فيهم من غير إنكار ولا انتقام . فأرسل الله سبحانه إليهم لوطاً – عليه الصلاة والسلام – وكان أكبر المدن سدوم (١) ، فعلمنا أن من فعل الفاحشة فسلفه فيها إبليس وقوم لوط» أ . هـ (٢) .

وقد ابتلي بعض الصوفية بالتعلق بالأمرد ، حيث فَطَمُوا أنفسهم عن التعلق بالنساء فصادف التعلق بالأمرد قلوباً خالية ، فلَبس عليهم إبليس هذا الأمر وحسنه لهم «وصحبة الأحداث أقوى حبائل إبليس التي يضير بها الصوفية» (٣) ، وهم في صحبة الأحداث على سبعة أقسام ذكرها ابن الجوزي – رحمه الله –:

الأول: الحلولية حيث زعموا أن الحق تبارك وتعالى حلَّ في أجسام ومن ثم هم يستحلون النظر إلى المرد من هذا الباب .

الثاني: الفساق الذين يدَّعون التصوف ، ويتخذونه ستاراً لما هم عليه من الفسق

---

(١) سدوم: مدينة من مدن قوم لوط – عليه الصلاة والسلام – وتقع في الأردن بجوار البحر الميت الآن . . . انظر: معجم البلدان ، ياقوت الحموي (٣/ ٢٠٠) .

(٢) قرع السياط في قمع أهل اللواط ، لأحمد بن محمد السفاريني ، ص ٢١-٢٩ .

(٣) تلبيس إبليس ، لابن الجوزي ، ص ٣٣٨ .

والضلال.

الثالث: قوم يستبيحون النظر إلى المرد حيث يستشهدون بحديث (اطلبوا الخير عند حسان الوجوه) [1].

الرابع: قوم ادعوا أن نظرهم إلى الحسان والأحداث إنما هو نظر عبرة واعتبار، وهذه مكابرة لأن ذلك مخالف لما جُبِلَت عليه النفوس.

وهذه «دسيسة شيطانية . . .، ولو نظر الشارع الذي هو أعلم بالناس من أنفسهم إلى ذلك لأشار إليه فلما أطلقه ولم يفصل علمنا أنه لا فرق . . . ولكن من خبثت نفوسهم وفسدت عقولهم وأديانهم ولم يتقيدوا بالشرعيات يزين الشيطان لهم ذلك حتى يوقعهم فيما هو أقبح منه . . .»[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: «وقول القائل: أن النظر إلى وجه الأمرد عبادة، كقوله: إن النظر إلى وجوه النساء الأجانب عبادة . . . ومعلوم أن من جعل هذا النظر المحرم عبادة فهو بمنزلة من جعل الفواحش عبادة. قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَـٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ . . بل من جعل مثل هذا النظر عبادة، فإنه كافر مرتد، يجب أن يستتاب فإن تاب وإلا قتل.

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير، رقم: ٩٨٣، (٢٢/ ٣٩٦)، وأبو يعلي في مسنده رقم: ١٩٩، (٨/ ٤٧٥٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: «رواه الطبراني من طريق يحيى بن يزيد بن عبدالملك النوفلي عن أبيه وكلاهما ضعيف، وحكم عليه شيخنا بالوضع»أ.هـ، انظر: المجر وحين، لابن حبان (١/ ٢٤٨)، دار الوعي، حلب، وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٦/ ٦٢): «إسناده لين»أ. هـ، ورواه الطبراني موقوفاً عن ابن عباس وقال أراه رفعه برقم ١١١١٠ (١١/ ٦٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٩٥)، فيه عبدالله بن خراش وثقة ابن حبان وقال: «ربما أخطأ وضعفه غيره، وبقية رجاله ثقات»أ. هـ، وعلى فرض صحته فليس فيه دليل على جواز النظر إلى الأمرد أو إلى ما حرم الشارع النظر إليه كالمرأة الأجنبية، لدلالة النصوص من الكتاب والسنة على التحريم.

(٢) الزواجر، لابن العباس الهيثمي (٢/ ١٤١)، دار المعرفة، بيروت، ط. عام١٤٠٧هـ/ ١٩٩٧م.

وهو بمنزلة من جعل إعانة طالب الفاحشة عبادة ، أو جعل تناول يسير الخمر عبادة . . . ؛ فمن جعل المعاونة بقيادة أو غيرها عبادة ، أو جعل شيئاً من المحرمات التي يعلم تحريمها من دين الإسلام عبادة ، فإنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل . . .» أ . هـ [(١)] .

وكان بعض الصوفية يعتقد أن الله تعالى تجلى في هذا الأمرد الذي يعشقه ، وربما قبله وقال أنت الله [(٢)] !!

قال شيخ الإسلام – رحمه الله – : «وأما من نظر إلى المرد ظاناً أنه ينظر إلى الجمال الإلهي وجعل هذا طريقاً إلى الله – كما يفعله طوائف من المدعين للمعرفة – فقوله هذا أعظم كفراً من قول عباد الأصنام ، ومن كفر قوم لوط . فهؤلاء من شر الزنادقة المرتدين الذين يجب قتلهم بإجماع كل أمة . . .» أ . هـ [(٣)] .

الخامس: جماعة صحبوا المردان وجاهدوا أنفسهم فيما عدا ذلك من الفواحش . قال ابن الجوزي – رحمه الله – : «هؤلاء قوم رآهم إبليس لا ينجذبون معه إلى الفواحش فحسن لهم بداياتها فتعجلوا لذة النظر والصحبة والمحادثة وعزموا على مقاومة النفس في صدها عن الفاحشة ، فإن صدقوا ، وتم لهم ذلك ، فقد اشتغل القلب الذي ينبغي أن يكون شغله بالله تعالى لا بغيره وصرف الزمان الذي ينبغي أن يخلو فيه القلب بما ينفع به في الآخرة بمجاهدة الطبع في كفه عن الفاحشة وهذا كله جهل . . .»[(٤)] .

السادس: قوم لم يصحبوا المرد ولكن تابوا – أي المرد- ثم أرادوا صحبة هؤلاء القوم ، فلبس عليهم الشيطان بأن في عدم مصاحبتهم صداً لهم عن الخير ، وهذه هي الخطوة الأولى من خطوات إبليس ، ويليها تحسينهم والتلذذ بالنظر إليهم ، ومن ثم وقوعهم في الفتنة .

---

(١) مجموع الفتاوى ، لابن تيمية (١٥/ ٤١٣-٤١٤) .
(٢) المرجع السابق ، ٢/ ٣٧٨ .
(٣) مجموع الفتاوى ، لابن تيمية (٢١/ ٢٥٥) .
(٤) تلبيس إبليس ، ص ٣٣١ .

السابع: من غلبت عليه نفسه ولم يستطع مجاهدتها حتى قال قائلهم: كل ما رأيتموني أفعله فافعلوه إلا صحبة الأحداث فإنها أفتن الفتن [(١)] .

ولهذا حرص السلف – رحمهم الله – على نجاة أنفسهم من هذه الفتن ، فكان سفيان الثوري – رحمه الله – لا يدع أمرداً يجالسه وروى عنه قوله: «مع الجارية شيطان ومع الغلام شيطانان . . .» [(٢)] .

وكان أحدهم إذا جلس الحدث أمامه أمره أن يجلس من خلفه تورعاً وخشية الفتنة في النظر إليه [(٣)] .

خامساً: فتنة الأموال والأولاد: فأما الأموال فللشيطان أساليب كثيرة في فتنة العبد بها ، حتى يصبح أسيراً وعبداً لدرهمه وديناره ومن ذلك .

أ- تخويف العبد الفقر والحاجة، إذا همَّ بالإنفاق: قال تعالى: ﴿ ٱلشَّيْطَـٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾ [(٤)] ، حتى يجعله يمنع الحق الواجب في ماله سواء كان الحق لله من زكاة ونحوها ، وسواء كان من حقوق الخلق كنفقة الأهل والأولاد ، فربما كثر مال العبد وهو يشح بالقليل منه في حق واجب عليه .

ب- التكاثر والتفاخر بالأموال: قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَـٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ وَٱلْحَرْثِ ﴾ [(٥)] .

وقد اختلف العلماء فيمن هو المزين لهذه الشهوات فقيل: إن المزين هو لله تعالى ، قال القرطبي – رحمه الله – : «وهو ظاهر قول عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – ذكره

(١) تلبيس إبليس ، ص ٣٣٥ ، وانظر فيما سبق: المرجع نفسه ، من ص ٣٢٤ إلى ص ٣٣٧ ، وإغاثة اللهفان (٢/ ١٠٦ وما بعدها) .
(٢) تلبيس إبليس ، ص ٣٣٨ .
(٣) انظر: المرجع السابق والصفحة نفسها ، وانظر: الزواجر ، للهيثمي (٢/ ١٤١) .
(٤) سورة البقرة ، الآية: ٢٦٨ .
(٥) سورة آل عمران ، الآية: ١٤ .

البخاري»[(١)]، وقال آخرون ونقل عن الحسن – رحمه الله – «أن المزَّين لهذه الشهوات هو الشيطان، وقيل: تزيين الله تعالى لها بالإيجاد والتهيئة للانتفاع وإنشاء الجبلة على الميل إلى هذه الأشياء. وتزيين الشيطان إنما هو بالوسوسة والخديعة وتحسين أخذها من غير وجهها»[(٢)].

وهذا أجمع الأقوال، إذ قد ثبت في آيات أخرى تزيين الشيطان للفتن، وتزيينه للمعاصي بوسوسته وإغوائه، قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[(٣)].

وأما المراد «بالقناطير» فهي جمع قنطار وقيل: أن مقداره ألف ومائتا أوقية، وقيل: اثنا عشر ألف درهم، أو ألف دينار، وقيل: سبعون ألفاً[(٤)].

وقيل: «العقدة الكبيرة من المال»[(٥)] وجميع هذه الأقوال تدور حول الكثرة، فالإنسان إذن قد حُبِّبَ إليه جمع الأموال والتفاخر بها، وتكثيرها. قال تعالى: ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝ ﴾[(٦)]، أي «أشغلكم حُبُّ الدنيا ونعيمها وزهرتها عن طلب الآخرة وابتغائها، وتمادى بكم ذلك حتى جاءكم الموت وزرتم المقابر وصرتم من أهلها»[(٧)].

والتكاثر يشمل كل ما يتكاثر به من أموال وأولاد وتفاخر بالأنساب وتشاغل بالكسب والتجارة وغير ذلك[(٨)].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ٤/ ٢٨، الدر المنثور، للسيوطي (٢/ ١٦٠-١٦١).
(٢) المرجع السابق (٤/ ٢٨)، وللاستزادة تفسير الرازي (٧/ ٢٠٨ وما بعدها).
(٣) سورة الحجر، الآية: ٣٩.
(٤) جامع البيان لابن جرير (٣/ ١٩٩-٢٠٢)، زاد المسير (١/ ٣٥٨-٣٥٩)، الدر المنثور، للسيوطي (٢/ ١٦١-١٦٢)، تفسير القرآن، لابن كثير (٢/ ١٧-١٨)، تفسير الثعالبي (١/ ٢٤٩).
(٥) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٤/ ٣٠).
(٦) سورة التكاثر، الآيتان: ١-٢.
(٧) تفسير القرآن لابن كثير (٧/ ٣٥٩).
(٨) تفسير البغوي (٤/ ٢٨٥)، زاد المسير، (٩/ ٢١٩)، الدر المنثور، (٨/ ٦٠٩-٦١١).

وفي الحديث عن أبي هريرة - ﷺ - أن رسول الله ﷺ قال: (يقول العبد: مالي ، مالي ، إنما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى ، أو لبس فأبلى ، أو أعطى فاقتنى ، وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس) (١) ، وأيضاً عن أنس بن مالك - ﷺ- قال: (لو أن لابن آدم وادياً من ذهب أحب أن يكون له واديان ، ولن يملأ فاه إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب)(٢) ، وفي رواية مسلم: (لو أن لابن آدم واديين لابتغى ثالثاً . . .) (٣) .

وقد ثبت في الحديث أن لكل أمة فتنة وأن فتنة هذه الأمة في المال كما في حديث كعب بن عياض قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن لكل أمة فتنة وفتنة أمتي المال)(٤) ، والمعنى أنه فتنة أي ضلالاً لمن ألهاه عن ذكر الله وشغله عن القيام بالطاعة وأنساه الدار الآخرة (٥) .

ومن هنا فربما أشغلته عن عبادة الله حتى يصبح عبداً للمال من دون الله فغضبه له ، وفرحه من أجله ، ومحبته فيه ، وبغضه فيه . قال ﷺ : (تعس عبد الدينار ، والدرهم ، والقطيفة ، والخميصة إن أعطي رضي وإن لم يعط لم يرض) (٦) .

فإذا تعلق قلبه به إلى هذا الحد وقع في ثلاث فتن عظيمةدلّ عليها حديث أبي سلمة بن عبدالرحمن بن عوف عن أبيه قال رسول الله ﷺ : (إن الشيطان قال: لن

---

(١) رواه مسلم في كتاب: «الزهد والرقائق» ، رقم: ٢٩٥٩ ، (٤/ ٢٢٧٣) .

(٢) رواه البخاري ، رقم: ٦٠٧٥ ، (٥/ ٢٣٦٥) .

(٣) رواه مسلم في كتاب: «الزكاة» ، رقم: ١٠٤٨ ، (٢/ ٧٢٥) .

(٤) رواه الترمذي ، رقم: ٢٣٣٦ ، (٧/ ٨٧-٨٨) ، ورواه ابن حبان في صحيحه ، رقم: ٣٢٢٣ ، (٨/ ١٧) ، والحاكم في المستدرك ، رقم: ٧٨٩٦ ، (٤/ ٣٥٤) ، وصححه ووافقه الذهبي .

(٥) انظر: تحفة الأحوذي ، للمباركفوري (٦/ ٦٣٠) .

(٦) رواه البخاري ، رقم: ٢٧٣٠ ، (٢/ ٣٢٧) ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - ورواه في الباب نفسه من طريق آخر بنحوه ، وزاد: (تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش ، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله ، أشعث رأسه مغبرة قدماه ، إن كان في الحراسة كان في الحراسة ، وإن كان في الساقة كان في الساقة ، وإن استأذن لم يؤذن له وإن شفع لم يشفع) .

ينجــو مني الغني من إحـــدى ثلاث ؛ إما أزينه في عينيه فيمنعه عن حقه ، وإما أن أسهل لــه سبيله فينفقـــه في غيره حقه ، وإما أن أحببه إليه فيكسبه لغير حقه)(١) .

الأولى: شدة محبة المال والتعلـق بـه ، وصـرف العمـر في جمعـه ، واحتمـال المشاق والمتاعب في سبيل جمعه وحفظه ، وفي الحديث عن ابن عباس – رضي الله عنهما – يقول سمعت النبي ﷺ يقول: (لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثا ، ولا يمـلأ جـوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب) (٢) .

الثانية: طلب المال من أي وجه كان سواء حلالاً أو حراماً ، ولهذا جاء في الحـديث: (ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينـه)(٣) ، قال ابن رجب – رحمه الله – في شرح هذا الحديث: «فهذا مثل عظيم جـداً ضـربه الـنبي ﷺ لفساد دين المسلم بالحرص على المال والـشرف في الـدنيا . وإن فـساد الـدين بـذلك ليس بدون فساد الغنم بذئبين جائعين ضاريين . . . ومعلوم أنـه لا ينجـو مـن الغـنم مـن إفساد الذئبين المذكورين ، والحالة هذه إلا قليل»أ . هـ (٤) .

قال ابن الجوزي – رحمه الله – : «وهـذه الأشـياء المـذكورة قـد تحسن نيـة العبـد بالتلبس بها ، فيثاب عليها ، وإنما يتوجه الذم إلى سوء القصد فيها وبها» أ . هـ (٥) .

الثالثة: تضييع العمر الذي هو أنفس شيء في جمعه وتحـصيله ، قـال ابـن رجـب –

---

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» ، رقم: ٥٤٩ ، ص ١٩٢ ، والبزار في مسنده ، رقم: ١٠٣٠ ، (٣/ ٢٤١) ، والطبراني في المعجم الكبير ، رقم: ٢٨٨ ، (١/ ١٣٦) .

(٢) رواه البخاري ، رقم: ٦٠٧٢ ، ورواه مسلم ، رقم: ١٠٤٩ ، (٢/ ٧٢٦) ، عن ابن عباس بنحوه .

(٣) رواه أحمد في المسند (٣/ ٤٥٦) ، والترمـذي في كتـاب: «الزهـد» ، رقـم: ٤٣ ، رقـم: ٢٣٧٦ ، وقـال: حسن صحيح .

(٤) شرح حديث (ما ذئبان جائعان . .) لابن رجب مطبوع ضمن الرسائل المنيرية ، (٢/ ١) .

(٥) زاد المسير (١/ ٣٦٠) ، وتأمل الآن في هذه الزمان كيف أصبح تكالـب النـاس علـى جمـع المـال بـأي طريق ، وبأي وجه حتى وصل بهم الحال إلى التنافس على القمار والوسائل المحرمة ، وتأمل الدعوات إلى الربا تزداد يوماً بعد يوم نسأل الله الثبات .

رحمه الله – : «ولو لم يكن في الحرص على المال إلا تضييع العمر الشريف الذي لا قيمة له ، وقد كان تمكن صاحبه فيه اكتساب الدرجات العلى والنعيم المقيم ، فضيعه بالحرص في طلب رزق مضمون مقسوم لا يأتي منه إلا ما قُدِّر وقُسِّمَ»(١) .

جـ- يسول لـه بأن هذا المال إنما جمعه وحصل عليه بجهده وكده الشخصي فيمنع حق الله فيه، ويكفر النعمة.

كما في قصة الثلاثة النفر في البخاري عن أبي هريرة – ﷺ – أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (إن ثلاثة في بني إسرائيل: أبرص وأقرع وأعمى ، بدا (٢) لله أن يبتليهم ، فبعث إليهم ملكاً ، فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن ، وجلد حسن ، قد قذرني الناس ، قال: فمسحه فذهب عنه ، فأعطي لوناً حسناً ، وجلداً حسناً ، فقال: أي المال أحب إليك؟ قال: الإبل – أو قال: البقر ، هو شك في ذلك: أن الأبرص والأقرع: قال أحدهما الإبل ، وقال الآخر البقر – فأعطي ناقة عشراء ، فقال: يبارك لك فيها . وأتى الأقرع فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن ، ويذهب عني هذا ، قد قذرني الناس ، قال: فمسحه فذهب ، وأعطي شعراً حسناً ، قال: فأيُّ المال أحبُّ إليك؟ قال: البقر ، قال: فأعطاه بقرة حاملاً ، وقال: يبارك لك فيها . وأتى الأعمى فقال: أي شيء أحبُّ إليك؟ قال: يرد الله إليَّ بصري ، فأبصر به الناس ، قال: فمسحه فردَّ الله إليه بصره ، قال: فأيُّ المال أحبُّ إليك؟ قال: الغنم ، فأعطاه شاة والداً ، فأنتج هذان وولَّد هذا ، فكان لهذا وادٍ من إبل ، ولهذا وادٍ من بقر ، ولهذا وادٍ من الغنم ، ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته ، فقال: رجل مسكين ، تقطَّعت بي الحبال في سفري ، فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك ، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال ، بعير أتبلَّغ به في سفري . فقال له: إن الحقوق كثيرة ، فقال له: كأني أعرفك ألم تكن أبرص

(١) شرح حديث (ما ذئبان جائعان) لابن رجب (٢/ ٢) ، ضمن الرسائل المنيرية .
(٢) أي بمعنى سبق في علم الله الأزلي فأراد إظهاره ، وليس المراد أنه ظهر له بعد أن كان خافياً ، لأن ذلك محال في حق الله تعالى ، وقد رواه مسلم بلفظ (أراد الله أن يبتليهم) فلعل التغيير فيه من الرواة ، انظر: فتح الباري (٦/ ٦٢١) .

يقذرك الناس فقيراً فأعطاك الله؟ فقال: لقد ورثت لكابر عن كابر فقال: إن كنت كاذباً فصيَّرك الله إلى ما كنت. وأتى الأقرع في صورته وهيئته فقال له مثل ما قال لهذا، فرد عليه مثل ما ردَّ عليه هذا، فقال: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كُنْتَ. وأتى الأعمى في صورته، فقال: رجل مسكين وابن سبيل، وتقطَّعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي ردَّ عليك بصرك شاة أتبلَّغ بها في سفري، فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك، فقال: قد كنت أعمى فردَّ الله بصري، وفقيراً فقد أغناني، فخذ ما شئت، فوالله لا أجهدك [١] اليوم بشيء أخذته لله، فقال: أمسك مال، فإنما ابتليتم، فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك) [٢].

حيث فتنا هذين الرجلين الأبرص والأقرع بهذا المال ونسبا الفضل في إيجاده إلى جهدهما، وجهد آبائهما ناسين أو متناسين فضل الله وإكرامه عليهما بهذه النعم، وهذا بلا شك بتسويل وتزيين من إبليس - أخزاه الله.

وهكذا حال صاحب الجنتين كما قصَّ الله سبحانه وتعالى قصته في سورة الكهف في قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾[٣].

وفتنة قارون، قال تعالى في وصف أمواله وكنوزه: ﴿ ۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾[٤]، وقوله: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ

---

(١) أي «لا أحمدك على ترك شيء تحتاج إليه من مالي»، وقيل: «لا أشق عليك في رد شيء تطلبه مني»، فتح الباري (٦/ ٦٢٣).

(٢) رواه البخاري، رقم: ٣٢٧٧، (٣/ ١٢٧٦)، ومسلم، رقم: ٢٩٦٤(٤/ ٢٢٧٥-٢٢٧٧).

(٣) سورة الكهف، الآيات: ٣٤-٣٦.

(٤) سورة القصص، الآية: ٧٦.

مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾[١] .

قال قتادة: «كنا نحدث أنه كان ابن عم موسى ، وكان يسمى المنور لحسن صوته بالتوراة ، ولكن عدو الله نافق كما نافق السامري ، فأهلكه البغي لكثرة ماله»أ. هـ[٢] ، فادعى أن هذا المال ، جاءه لمكانته عند الله واستحقاقه له[٣] ، فقال: «لو لا رضا الله عني ومعرفته بفضلي ما أعطاني هذا المال»[٤] .

قال ابن جرير: «ولو كان الله يؤتي الأموال من يؤتيه لفضل فيه وخير عنده ، ولرضاه عنه ، لم يكن يهلك من أهلك من أرباب الأموال الذين كانوا أكثر منه مالاً ، لأن من كان الله عنه راضياً ، فمحال أن يهلكه الله ، وهو عنه راضٍ ، وإنما يهلك من كان عليه ساخطاً» أ. هـ[٥] .

ومن الفتن التي يفتن بها الشيطان عباد الله فتنة الأولاد وقد أشار ﷺ إلى هذه الفتنة كما في حديث ابن عمر – رضي الله عنهما قال: رأيت رسول الله ﷺ على المنبر يخطب الناس فخرج الحسن بن علي في رقبته خرقة يجرها فعثر فسقط على وجهه فنزل رسول الله ﷺ عن المنبر يريده ، فلما رآه الناس أخذو الصبي فأتوا به فحمله فقال: (قاتل الله الشيطان إن الولد فتنة والله ما علمت أني نزلت عن المنبر حتى أتيت به)[٦] .
وللشيطان أساليب في إيقاع العبد في فتنة الأولاد ، وذلك من خلال:

أ- شدة المحبة والتعلق بالأولاد ، فلربما أمروه بالمعصية ، وربما فعلها ، أو ترك واجباً من أجل أولاده ، ولهذا يقول تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ

---

(١) سورة القصص ، الآية: ٧٨ .
(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره (٥/ ٢٩٨) .
(٣) انظر: المرجع السابق (٥/ ٢٩٨-٣٠٠) ، جامع البيان ، لابن جرير (١١/ ١١٣) .
(٤) رواه ابن جرير عن الإمام عبدالرحمن بن اسلم (٢٠/ ١١٣) ، وقال ابن كثير: «وقد أجاد في تفسير هذه الآية الإمام عبدالرحمن بن أسلم»أ. هـ (٣/ ٤٠١) ، زاد المسير فقد ذكر أقوالاً أخرى (٦/ ٢٤٢) .
(٥) جامع البيان ، لابن جرير (١١/ ١١٤) .
(٦) المعجم الكبير ، رقم: ٢٦٢٦ ، (٣/ ٤٢) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٥٥): «رواه الطبراني عن شيخه حسن ولم ينسبه عن عبدالله بن علي الجارودي ولم أعرفهما وبقية رجاله ثقات»أ.هـ .

وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ﴾ (١) .

جاء في سبب نزولها عن ابن عباس سأله رجل عن هذه الآية . قال هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة ، وأرادوا أن يأتوا النبي ﷺ فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم أن يأتوا رسول الله ﷺ فلما أتوا رسول الله ﷺ رأوا أصحابهم قد فقهوا في الدين . همّا أن يعاقبوهم فأنزل الله هذه الآية (٢) .

ب- هناك طريق آخر للشيطان لفتنة الوالد بالولد ، إذ ربما لم يستطع له من الطريق الأولى فيأتيه من طريق أخرى وهي من خلال إفساد الولد وطغيانه ، حتى يكون سبباً في فساد الوالد ، ولو بعد حين ، وهذا مثال واضح لما عليه الغلام الذي قام الخضر بقتله حيث يقول تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَـٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ ﴾ (٣) .

قال سيد قطب – رحمه الله – : «وهذا دليل واضح على أن الوالدين الصالحين قد يفتنان بالولد الفاسق الكافر ، حيث كان الغلام الذي لا يبدو في حاضره ومظهره أنه يستحق القتل قد كشف ستر الغيب عن حقيقته للعبد الصالح ، فإذا هو في طبيعته كافرٌ طاغٍ ، تكمُنُ في نفسه بذور الكفر والطغيان ، وتزيد على الزمن بروزاً ، أو تحققاً ، فلو عاش لأرهق والديه المؤمنين بكفره وطغيانه ، ولقادهما بدافع حبهما له ، أن يتبعاه في طريقه ، فأراد الله ، ووجّه إرادة عبده الصالح إلى قتل هذا الغلام الذي يحمل طبيعة كافرة

---

(١) سورة التغابن ، الآية: ١٤ .

(٢) رواه ابن جرير في تفسيره (٢٨/ ١٢٤) ، والحاكم (٢/ ٤٩٠) ، وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ، وأقره الذهبي وابن أبي حاتم في تفسير ابن كثير (٤/ ٣٧٦) .

* ونحن نشاهد اليوم الكثير من الآباء والأمهات تساهلوا في إحضار آلات اللهو ووسائل الشر إلى بيوتهم تحت إلحاح أبنائهم وبناتهم ، وتساهلوا في مراقبتهم والحزم معهم في علاقاتهم ولباسهم كل ذلك من باب الشفقة والرحمة .

(٣) سورة الكهف ، الآية: ٨٠ .

طاغية، وأن يبدلهما الله خلفاً منه، وأرحم بوالديه»أ.هـ [١].

سادساً: الفتنة بالتعلق بالبدع والمعاصي: وفي الصحيح عن عبدالله بن مسعود قال: (إن الشيطان ليتمثل في صورة الرجل فيأتي القوم فيحدثهم بالحديث من الكذب فيتفرقون، فيقول الرجل منهم سمعت رجلاً أعرف وجهه ولا أدري ما اسمه يحدث).

فالشيطان يروج للبدع التي هي بريد الكفر وكذلك المعاصي هي وسيلة من وسائل إبليس التي يصد بها العباد عن الخير، فهو أولاً يزينها ويحسِّنها حتى تصبح هي الطابع الغالب على حياة الناس، ومن خلالها يتوصل إلى ما يريد من إفساد المعاملات، وانتشار الجهل بالدين، ونشوء الخلافات والفرقة وارتفاع نسبة الجرائم والأمراض الجسمية والنفسية، ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ [٢].

وفي الحديث عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: (إذا أصبح إبليس بثّ جنوده فيقول من أضلّ مسلماً ألبسته التاج قال فيقول له القائل لم أزل بفلان حتى عق قال يوشك أن يبر، قال: ويقول القائل لم أزل بفلان حتى شرب قال: أنت، قال: ويقول لم أزل بفلان حتى زنى، قال: أنت، قال ويقول: لم أزل بفلان حتى قتل، قال: أنت أنت ويلبسه التاج) [٣].

وكذلك أصبح الكثير من الناس اليوم إيمانه كإيمان المرجئة، فهو يرتكب أكثر المعاصي ويزعم أن الإيمان كامل في قلبه.

قال سبحانه محذراً من يخالف أمره: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [٤]، قال ابن كثير - رحمه الله - : «أي عن

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب (٤/ ٢٢٨١).

(٢) سورة الروم، الآية: ٤١.

(٣) رواه ابن حبان في صحيحه، رقم: ٦١٨٩، (١٤/ ٦٨)، والحاكم في المستدرك، رقم: ٨٠٢٧، (٤/ ٣٩٠)، وصححه ووافقه الذهبي، وابن أبي شيبة في مصنفه، رقم: ٣٤٨٢٢، (٧/ ١٤٢) مختصراً.

(٤) سورة النور، الآية: ٦٣.

أمر رسول الله ﷺ، وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته...»[١]، والفتنة المراد بها الكفر أو البدعة والنفاق[٢].

سابعاً: الفتنة بالدخول على الملوك والسلاطين: وهو مدخل خفي، وباب خطير للفتنة، خصوصاً فتنة العلماء وطلبة العلم، فإن الشيطان، إن لم يستطع فتنتهم بما سبق من الفتن، فيجد في قلوبهم شيئاً من حب الرئاسة والشرف، فيزين لهم الدخول إلى الملوك والسلاطين، بدعوى المناصحة، وإنكار المنكر، أو لطلب الشفاعة لأحد من البشر، أو لرد مظلمة، فيدخل فيفتتن في دينه، فلربما حسَّن لهم أفعالهم القبيحة مداهنة لهم، وتقرباً منهم، ولربما سكت عن إنكار منكر، ولربما مدحهم وأثنى عليهم بما ليس فيهم[٣].

جاء في الحديث عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: **(إن أناساً من أمتي سيفقهون في الدين ويقرؤون القرآن، ويقولون: نأتي الأمراء فنصيب من دنياهم، ونعتز بهم بديننا ولا يكون ذلك كما لا يجتنى من القتاد[٤] إلا الشوك؛ كذلك لا يجتنى من قربهم إلا الخطايا)**[٥].

وفي الحديث الآخر: (سيكون بعدي أمراء فمن دخل عليهم فصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم، فليس مني ولست منه، وليس بوارد على الحوض ومن لم يدخل عليهم ولم يعنهم على ظلمهم ولم يصدقهم بكذبهم فهو مني، وأنا منه وهو وارد على الحوض)[٦].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٥/ ١٣١).

(٢) انظر: المرجع السابق، وجامع البيان، لابن جرير (١٠/ ١٧٨).

(٣) انظر: شرح حديث (ما ذئبان جائعان)، مطبوع ضمن الرسائل المنيرية (٢/ ٤١٢)، ومختصر منهاج القاصدين لابن قدامة المقدسي، ص ١٢٠، ، تحقيق: على حسن.

(٤) القتاد: شجر معروف بشوكه لـه سِنْفَة وجناة ينبت بنجد وتهامة. انظر: لسان العرب (٣/ ٣٤٢).

(٥) رواه أحمد في مسنده (٤/ ٢٤٣)، والترمذي، رقم: ٢٢٦٠، (٧/ ٣٨)، وقال: «هذا حديث صحيح غريب لا نعرفه من حديث مِسْعَر إلا من هذا الوجه»أ. هـ.وفي لفظ عن الطبراني: (أن أناساً من أمتي يقرؤون القرآن ويتعمقون في الدين يأتيهم الشيطان يقول....) الحديث.

(٦) رواه ابن ماجه، رقم: ٢٥٥، (١/ ٩٣-٩٤)، قال المنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ١٩٦)، رواه ابن ماجه ورواته ثقات. وضعفه الألباني، وقال: «إسناده ضعيف من أجل عبيد الله هذا، وهو عبيد

وفي الحديث عن أبي هريرة: (من أتى أبواب السلاطين افتتن وما ازداد عبد من السلطان قرباً إلا ازداد من الله بعداً) (١) . ولكن إذا فشت المنكرات يجب على العلماء الصادقين أن يعرفوا السلطان بالمنكر، فقد لا يظنه منكراً، وينصحوه ويخوفوه من عذاب الله بلطف وحكمة.

وقد كان للسلف – رحمهم الله – مع الحكام والأمراء مواقف عظيمة سجلها لهم التاريخ شاهدة بصدقهم وإخلاصهم وإعراضهم عن زينة الحياة الدنيا (٢) .

الله بن المغيرة بن أبي بردة» أ. هـ. انظر: السلسلة الضعيفة، رقم: ١٢٥٠، (٣/ ٤٠٤).

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده، ٢/ ٣٧١، وذكره المنذي في الترغيب والترهيب، ٣/ ١٩٤، بزيادة في أوله (من بدا جفا ومن تبع الصيد غفل...) وقال: «رواه أحمد بإسنادين رواة أحدهما رواة الصحيح»، ورواه أبو داود، رقم: ٢٨٦٠، وفي سنده مجهول، والجزء الأول منه له شاهد من حديث ابن عباس، انظر: تعليق وتخريج الشيخ على بن حسن على مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة، ص ١٢٠.

(٢) من هذه المواقف: موقف أبي حازم – رحمه الله – من الخليفة الأموي سليمان بن عبدالملك عندما اجتمع بعلماء المدينة أثناء زيارته لها، وسألهم هل بقي أحد من أهل المدينة رأى أصحاب النبي ﷺ ولم يأت للسلام عليَّ؟ قالوا: نعم، أبو حازم سلمة بن دينار، وقد رأى العشرة المبشرين بالجنة، فأرسل إليه، فلما أتاه قال: يا أبا حازم، ما هذا الجفاء؟ قال: وأي جفاء رأيت مني يا أمير المؤمنين؟ قال: وجوه الناس أتوني ولم تأتني. قال: والله ما عرفتني قبل هذا ولا أنا رأيتك فأي جفاء رأيت مني؟ فالتفت سليمان إلى الزهري **فقال**: أصاب الشيخ، وأخطأت أنا.
فقال: يا أبا حازم، ما لنا نكره الموت؟ فقال: عمرتم الدنيا وخربتم الآخرة، فتكرهون الخروج من العمران إلى الخراب، قال: صدقت. **فقال يا أبا حازم**، ليت شعري ما لنا عند الله غداً؟ قال: أعرض عملك على كتاب الله قال وأين أجده من كتاب الله تعالى: قال: قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴾. **قال**: يا أبا حازم، فأين رحمة الله؟ قال: ﴿ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾. قال: يا أبا حازم، من أعقل الناس؟ **قال**: من تعلم الحكمة وعلمها الناس. قال: فمن أحمق الناس؟ قال: من حط نفسه في هوى رجل وهو ظالم، فباع آخرته بدنيا غيره. **قال**: يا أبا حازم، فما أسمع الدعاء؟ قال: دعاء المخبتين. قال: فما أزكى الصدقة؟ قال: جهد المقل. **قال**: يا أبا حازم، ما تقول فيما نحن فيه؟ قال: اعفني من هذا. **قال سليمان**: **نصيحة تلقيها**. قال أبو حازم: إن ناساً أخذوا هذا الأمر عنوة من غير مشاورة المسلمين، ولا إجماعاً من رأيهم، فسفكوا فيه الدماء على طلب الدنيا، ثم ارتحلوا عنها، فليت شعري، ما قالوا؟ وما قيل لهم؟ فقال بعض جلسائهم: بئس ما

قلت يا شيخ ، **فقال أبو حازم**: كذبت ، إن الله أخذ ميثاق العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه . **قال سليمان: يا أبا حازم** ، أصبحنا تصيب منا ونصيب منك . قال: أعوذ بالله من ذلك . قال: ولم؟ قال: أخاف أن أركن إليكم شيئاً قليلاً ، فيذيقني ضعف الحياة ، وضعف الممات . **قال: فأشر عليّ** . =

= قال: اتق الله أن يراك حيث نهاك ، أو يفقدك حيث أمرك . **قال: يا أبا حازم، ادع لنا بخير** . فقال: اللهم إن كان سليمان وليك فيسره للخير ، وإن كان غير ذلك ، فخذ إلى الخير بناصيته . فقال: يا غلام ، هات مائة دينار ، **ثم قال: خذ هذا يا أبا حازم** . قال: لا حاجة لي به ، لي ولغيري في هذا المال أسوة ، فإن واسيت بيننا وإلا فلا حاجة لي فيها ، إني أخاف أن يكون لما سمعت من كلامي .أ . هـ .
انظر: صفة الصفوة ، لابن الجوزي (٢/ ٨٨) ، وحلية الأولياء ، لأبي نعيم (٣/ ٢٢٩) ، وعلماء في مواجهة الحكام ، مجدي محمد الشهاوي ، ص ٣٧-٤١ .

ومن هذه المواقف الخالدة موقف إمام التابعين (عطاء بن أبي رباح) عندما دخل على هشام بن عبدالملك يذكره بأعطيات وأرزاق أهل الحرمين وأهل الحجاز وأهل نجد وأهل الثغور ، حتى كتبها جميعاً ، ثم قال لـه: هل لك من حاجة غيرها؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين . اتق الله في نفسك ، فإنك خلقت وحدك ، وتموت وحدك ، وتحشر وحدك ، وتحاسب وحدك ، لا والله ما معك ممن ترى أحد . قال: فأكب هشام يبكي ، وقام عطاء . فلما كان عند الباب إذا رجل قد يتبعه بكيس ما ندري ما فيه ، أدراهم أم دنانير؟ وقال: إن أمير المؤمنين قد أمر لك بهذا ، فقال: ﴿ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ ، ثم خرج ولا والله ما شرب عندهم حسوة ماء فما فوقها . أ . هـ ، انظر: حلية الأولياء (٣/ ٣١٠) ، وصفة الصفوة (٢/ ١١٩) .

ومنها موقف إمام أهل الشام (الأوزاعي) عندما بعث إليه المنصور فجاءه ،فلما دخل عليه قال له: ما الذي أبطأ بك يا أوزاعي؟

قلت: وما الذي تريد يا أمير المؤمنين؟ قال: أريد الأخذ عنكم والاقتباس منكم . فقال لـه: فـانظر يـا أمير المؤمنين أن تسمع شيئاً ثم لا تعمل به ، فصاح الربيع بن يونس حاجب المنصور وأهوى بيـده إلى السيف ، فانتهره المنصور وقال: هذا مجلس مثوبة لا مجلس عقوبة ، فطابت نفس الأوزاعي وانبسط في الكلام فقال: يا أمير المؤمنين ، حدثني مكحول عن عطية بن بشر قال: قال رسول الله ﷺ : (ايما وال مات غاشاً لرعيته حرم الله عليه الجنة) يا أمير المؤمنين ، كنت في شغل شاغل من خاصة نفسك عـن عامة الناس الذي أصبحت تملكهم ، أحمرهم ، وأسودهم ، ومسلمهم ، وكـافرهم ، وكـل لـه عليـك نصيب من العدل ، فكيف بك إذا انبعث منهم فئام وراء فئام ، ليس منهم أحد إلا وهـو يـشكو بليـة أدخلتها عليه أو ظلامة سقتها إليه . . . ثم نصحه وحدثهم بعدد من الأحاديث ناصـحاً ومـذكراً ثـم نهض فقال المنصور: إلى أين؟ فقال: إلى الوطن يا أمير المؤمنين . فقـال: أذنـت لـك ، وشـكرت لـك نصيحتك وقبلتها بقبولها ، والله الموفق للخير والمعين عليه ، وبه أستعين . . . فلا تخلني مـن مطالعتك

قال المقدسي – رحمه الله – بعد ذكره لطائفة منها: «وهذه كانت سيرة العلماء وعاداتهم في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وقلة مبالاتهم بسطوات السلاطين إيثار لإقامة حق الله تعالى على تقاتهم، إلا أن السلاطين كانوا يعرفون حق العلم وفضله فيصبرون على مضض مواعظ هؤلاء.

والذي أراه الآن، الهرب من السلاطين، فهو الأولى، فإن قدر لقاء، اقتنع بلطف الموعظة حسن. ولذلك سببان:

أحدهما: يتعلق بالواعظ، وهو سوء قصده وميله إلى الدنيا والرياء فلا يخلص له وعظه، والثاني: يتعلق بالموعوظ، فإن حب الدنيا قد شغل الأكثرين عن ذكر الآخرة، وتعظيمهم الدنيا أنساهم تعظيم العلماء، وليس لمؤمن أن يذل نفسه» أ. هـ[(١)] .

ثامناً: الفتنة بالمسيح الدجال: وقد ثبت في حديث أبي أمامة الباهلي قال: خطبنا رسول الله ﷺ فكان أكثر خطبته حديثاً حدثناه عن الدجال. وحذرنا من قوله أن قال: (إنه لم تكن فتنة في الأرض، منذ ذرأ الله ذرية آدم أعظم من فتنة الدجال. وإن الله لم يبعث نبياً إلا حذر أمته الدجال وأنا آخر الأنبياء. وأنتم آخر الأمم وهو خارج فيكم لا محالة، وثم يخرج وأنا بين ظهرانيكم، فأنا حجيج لكل مسلم. وإن يخرج من بعدي فكل امرئ حجيج نفسه. والله خليفتي على كل مسلم.

وإنه يخرج من خلة بين الشام والعراق. فيعيث يميناً ويعيث شمالاً. يا عباد الله فاثبتوا، فإني سأصفه لكم صفة لم يصفها إياه نبي قبلي. إذ يبدأ فيقول: أنا نبي ولا نبيَّ بعدي. ثم يثني فيقول: أن ربكم. ولا ترون ربكم حتى تموتوا، وإنه أعور وإن ربكم ليس بأعور. وإنه مكتوب بين عينيه كافر. يقرؤه كل مؤمن، كاتب أو غير كاتب.

إياي بمثلها، فإنك المقبول القول غير المتهم في النصيحة . . . ثم أمر له بمال فرده ولم يقبله، وقال: ما كنت لأبيع نصيحتي بعرض الدنيا كلها . . .» حلية الأولياء (٦/ ١٣٦ وما بعدها) باختصار وتصرف، انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (٧/ ١٠٩ وما بعدها).

(١) مختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة المقدسي، ص ١٥٥ .

وإن من فتنته أن معه جنة وناراً. فناره جنة وجنته نار. فمن ابتلي بناره، فليستغث بالله وليقرأ فواتح الكهف. فتكون عليه برداً وسلاماً. كما كانت النار على إبراهيم، وإن من فتنته أن يقول لأعرابي: أرأيت إن بعثت لك أباك وأمك أتشهد أني ربك؟ فيقول: نعم. فيتمثل لـه شيطانان في صورة أبيه وأمه. فيقولان: يا بُني! أتبعه. فإنه ربك. وإن من فتنته أن يسلط على نفسٍ واحدة، فيقتلها، وينشرها بالمنشار، حتى يلقي شقتين.

ثم يقول: انظروا إلى عبدي هذا. فإني أبعثه الآن، ثم يزعم أن له ربا غيري. فيبعث الله. ويقول له الخبيث من ربك؟ فيقول: ربي الله، وأنت عدو الله. أنت الدجال. والله ما كنت بعد، أشد بصيرة بك مني اليوم)[١].

❁ ❁ ❁

(١) رواه ابن ماجه، رقم ٤٠٧٧، (٢/ ١٣٥٩-١٣٦٠)، وأصله في الصحيحين، ورواه الحاكم في مستدركه، رقم: ٨٦٢٠، (٤/ ٥٨٠-٥٨١)، وقال: «صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي»أ. هـ، وهو في صحيح الجامع، رقم: ٧٨٧٥، (٢/ ١٣٠٠-١٣٠١).

المبحث الرابع

إلقاء الشبهات

وقد بين تعالى، إن الشيطان يضل العباد بالشبه والمتشابهات، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴾[١].

قال ابن كثير – رحمه الله – : «هذا حال أهل البدع والضلال المعرضين عن الحق المتبعين للباطل يتركون ما أنزله الله على رسوله من الحق المبين، ويتبعون أقوال رؤوس الضلالة الدعاة إلى البدع بالأهواء والآراء، ولهذا قال في شأنهم وأشباههم ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ أي علم صحيح ﴿ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴾ الآية، قال مجاهد: يعني الشيطان...) أ. هـ[٢].

وكما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴾[٣]، وقد سبق الكلام حول معنى هذه الآية[٤].

وفي الحديث عن المشهور أنه عن النعمان بن بشير[٥] – رضي الله عنهما – قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الحلال بين، وإن الحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهنَّ كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في

---

(١) سورة الحج، الآية: ٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٤/ ٦١٣).

(٣) سورة الحج، الآيات: ٥٢، ٥٣.

(٤) انظر: ص ٥٠ وما بعدها.

(٥) النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة بن خلاس بن زيد الأنصاري الخزرجي، يكنى أبا عبدالله، كان أول مولود ولد في الإسلام من الأنصار بعد الهجرة، ولي الكوفة في عهد معاوية ثم حمص. روى ١٢٤ حديثاً، وكان من أجلاء الصحابة وشعرائهم خطيباً مفوهاً. انظر الإصابة (٦/ ٢٤٠)، تهذيب التهذيب لابن حجر (١٠/ ٤٤٧)، الأعلام (٨/ ٣٦).

الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب) [(١)] .

ومن وسائل الشيطان في إفساد الاعتقاد بإلقاء الشبهات ما يلي:

أولاً: التشكيك: كما أخبر تعالى عن حال من يتبع المتشابه في قوله عز وجل: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ﴾[(٢)] ، والزيغ: الشك [(٣)] .

وفي حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا، من خلق كذا حتى يقول من خلق ربك فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته) .

وقد تعاظم الصحابة – رضي الله عنهم – ما وجدوه في أنفسهم من هذه الوساوس التي يلقيها الشيطان في قلوبهم ليشتبه عليهم الحق، كما في حديث أبي هريرة – ﷺ – قال: جاء ناس من أصحاب النبي ﷺ إلى النبي فسألوه: إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به؛ قال: (أو قد وجدتموه) قالوا: نعم، قال: (ذلك صريح الإيمان) .

وقد سبق الكلام عن هذا الموضوع في مكايده في إيقاع البشر في الكفر والشرك[(٤)] ، ومن ذلك التشكيك في العبادة والطهارة حتى يفسد على العبد عبادته .

ثانياً: الخوض في متشابه القرآن: «المتشابهة: ما لم يتلق معناه من لفظه، وهو على ضربين: أحدهما إذا رد إلى المحكم عرف معناه، والآخر ما لا سبيل إلى معرفة حقيقته»[(٥)] .

---

(١) رواه البخاري، رقم: ٥٢، (١/ ٢٨-٢٩)، ومسلم، رقم: ١٥٩٩، (٣/ ١٢١٩-١٢٢٠) واللفظ لمسلم .

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٧ .

(٣) فتح الباري، لابن حجر، ٨/ ٢٦٥ .

(٤) انظر: ص ٧٨-٧٩ .

(٥) لسان العرب، لابن منظور (١٣/ ٥٠٥) .

وعرفه ابن رجب بأنه: «ما اختلف فيه حله أو تحريمه . . .» [١]، وقيل: ما احتمل وجوهاً كثيرة من التأويل لخفاء معانيه بحيث يلتبس على الأفهام والعقول [٢] .

ومن هذه التعاريف نستنتج أن المتشابه به من الخفاء وعدم الوضوح ما يجعله ملتبساً على الأفهام، وتختلف بناء على ذلك العقول في فهمه واستيعابه، فهو إذن مجال للشيطان للتشكيك وإفساد الاعتقاد .

وفي الصحيح عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾ إلى قوله: ﴿ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ۝٧ ﴾، قالت: قال رسول الله ﷺ : (فإذا ما رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فأحذروهم) [٣] ، ولهذا قال بعض السلف أن المتشابه من الغيب الذي أستأثر الله بعلمه، وأثر عن مجاهد قوله أن الراسخين في العلم يعلمون تأويل المتشابه، والمراد يعلمون تفسيره ومعناه، وأما الكيفية والمراد منه فلا يعلمه إلا الله، وكلا القولين قد أثر عن الصحابة – رضوان الله عليهم [٤] .

وقد اختلف المفسرون – رحمهم الله – في المراد بالفتنة في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾ .

فقال بعضهم: الكفر والشرك، وقيل: إفساد ذات البين، وقيل: الإضلال، وقيل: إرادة الشبهات واللبس، ورجحه ابن جرير [٥] .

---

(١) جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ص ٦٧ .

(٢) فتح الباري، لابن حجر (٨/ ٢٦٦)، الفتنة وموقف المسلم، لعبد الحميد السحيباني، ص ٣١٣ .

(٣) رواه البخاري، رقم: ٤٥٤٧، الفتح (٨/ ٢٦٥) .

(٤) انظر: جامع البيان للطبري (٣/ ١٧٤، ١٧٧)، تفسير ابن كثير (١/ ٣٤٨)، شرح قصيدة ابن القيم لأحمد بن عيسى (٢/ ١٣)، الرسالة التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص ١١٠ وما بعدها .

(٥) انظر: جامع البيان، لابن جرير الطبري (٣/ ١٨٠-١٨١)، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٤/ ١٣-١٥)، زاد المسير، لابن الجوزي (١/ ٣٥٤)، فتح القدير، للشوكاني (١/ ٣١٥) .

وكلها حق فالفتنة تشمل الكفر وما دون الكفر ، وهذه كلها وسائل إبليس لفتنة العباد فهو يهدف إلى الكفر فإن عجز عنه سلك ما دونه .

قال عمر – رضي الله عنه –: «سيكون أقوام يجاد لونكم بمتشابه القرآن ، فخذوهم بالسنن فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله عز وجل» (١) .

وما ضلت أكثر الفرق الإسلامية إلا بخوضهم في متشابه القرآن والتعسف في تأويله وليِّ أعناق النصوص لتتمشى مع آرائهم ومذاهبهم الباطلة «وقد كان الأئمة من السلف يعاقبون من يسأل من تفسير الحروف المشكلات في القرآن ، لأن السائل إن كان يبغي بسؤاله تخليد البدعة وإثارة الفتنة ، فهو حقيق بالنكير وأعظم التعزير ، وإن لم يكن ذلك مقصده فقد استحق العتب بما اجترم من الذنب ، إذ أوجد للمنافقين الملحدين في ذلك الوقت سبيلاً أن يقصدوا ضعفة المسلمين بالتشكيك والتضليل في تحريف القرآن»(٢) .

ومن الأمثلة على ذلك قصة صبيغ بن عسل مع عمر بن الخطاب – ﷺ – إذ قدم المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن وعن أشياء ؛ فبلغ ذلك عمر – رضي الله عنه – فبعث إليه عمر فأحضره وقد أعد له عراجين من عراجين النخل . فلما حضر قال له عمر: من أنت؟ قال: أنا عبدالله صبيغ . فقال عمر – ﷺ – : وأنا عبدالله بن عمر ؛ ثم قام إليه فضرب رأسه بعرجون فشجَّه ، ثم تابع ضربه حتى سال دمه على وجهه ، فقال: حسبك يا أمير المؤمنين! فقد والله ذهب ما كنت أجد في رأسي .

ثالثاً: المجادلة بالباطل: الجدال هو المراء ، «وهو المعارضة على سبيل المنازعة والمغالبة . وأصله من جدل الحبل: أحكم فتله» (٣) ، وهو طريق يسلكه ضعاف الإيمان لإبطال الحق .

---

(١) الشريعة للآجري ، ص ٧٤ ، تحقيق: محمد حامد الفقي ، نشر أنصار السنة المحمدية .

(٢) أحكام القرآن ، للقرطبي (٤/ ١٤) ، وقد نسبه القرطبي لأبي بكر الانباري –رحمه الله– .

(٣) تفسير غريب القرآن ، لابن قتيبة ، ص ٧٩ ، بصائر ذوي التمييز ، للفيروزآبادي ، (٢/ ٣٧٣) .

عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: (ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل)[(١)] ثم قرأ هذه الآية: ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾[(٢)]، عن مسلم بن يسار[(٣)] قال: (إياكم والمراء، فإنها ساعة جهل العالم، وبها يبتغي الشيطان زلته)[(٤)].

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ۝٣ ﴾[(٥)]، ويقول جل شأنه: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ۝٨ ﴾[(٦)]، وهذا لفظ عام يدخل فيه كل من يجادل بغير علم، كمن يجادل في ذات الله تعالى أو ربوبيته تعالى أو ألوهيته وأسمائه وصفاته، ومن يجادل في أن عيسى - عليه السلام - ابن الله، وكذلك من ينكر البعث، ومن يجادل في الملائكة الكرام، وهكذا كل مساوئ الاعتقاد[(٧)].

---

(١) الترمذي في كتاب التفسير، رقم: ٣٢٥٠، (٩/ ٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأحمد في المسند، (٥/ ٢٥٢)، (٥/ ٢٥٦)، والآجري في الشريعة، ص ٥٤.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٥٨.

(٣) مسلم بن يسار الأموي أبو عبدالله: فقيه، ناسك من رجال الحديث. أصله من مكة. سكن البصرة، فكان مفتيها وتوفي فيها. الأعلام، للزركلي (٧/ ٢٢٣)، الحلية، لأبي نعيم (٢/ ٢٩٠).

(٤) رواه الآجري في الشريعة، ص ٥٦.

(٥) سورة الحج، الآية: ٣.

(٦) سورة الحج، الآية: ٨.

(٧) انظر: فتح القدير للشوكاني (٣/ ٤٣٩)، وانظر: أضواء البيان، للشنقيطي (٥/ ١٥-١٦).

* أقول: ومن هؤلاء المجادلون بالباطل ما نسمع اليوم ونقرأ من فئة من المتعالمين وجدالهم في الحجاب وتغطية المرأة وجهها، ولبس العباءة، وقيادة المرأة للسيارة متسترين بأنهم يريدون الحق ورفع الظلم عن المرأة، مدعين أن لكل زمان ظروفه وأحواله، وأن الشريعة لابد أن تتمشى مع العصر ومتطلباته، وأن هذه الأحكام الشرعية قد مَّر عليها أربعة عشر قرناً من الزمان، فلابد من تطويع وتأويل النصوص بما يتناسب مع الحضارة الغربية والفكر الغربي المعاصر، وأنقل هنا كلاماً رائعاً للعلامة المحدث أحمد شاكر - رحمه الله تعالى - عند تعليقه على قوله ﷺ في الحديث (إن الله يبغض كل جَعْظَري جَوَّاظٍ سَخَاب بالأسواق، جيفه بالليل حمار بالنهار، عالم بأمر الدنيا، جاهل بأمر الآخرة) .=

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾(١) .

رابعاً: الطعن في صدق الأنبياء، والتعرض لهم عند تبليغهم لرسالة الله: لصد الناس عنهم وإيهام المعنى على غير مراد الرسول ﷺ ، وذلك بإلقاء الشبهات على ما يقولون، وعلى ما يدعون إليه، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ ﴾(٢) .

❁ ❁ ❁

= فقال: «وهذا الوصف النبوي الرائع، الذي سما بتصويره إلى القمة من البلاغة والإبداع، لفئام من الناس تجده كل يوم في كثير ممن ترى حولك، ممن ينتسبون إلى الإسلام، بل تراه في كثير من عظماء الأمم الإسلامية، عظمة الدنيا لا الدين، بل قد تجده فيمن يلقبون منهم أنفسهم بأنهم علماء ينقلون اسم العلم عن معناه الإسلامي الحقيقي، المعروف في الكتاب والسنة، إلى علوم من علوم الدنيا والصناعات والأموال، ثم يملؤهم الغرور، فيريدون أن يحكموا على الدين بعلمهم الذي هو الجهل الكامل، ويزعمون أنهم أعرف بالإسلام من أهله، وينكرون المعروف منه، ويعرفون المنكر ويردون من يرشدهم، أو يرشد الأمة إلى معرفة دينها رداً عنيفاً، يناسب كل جعظري جواظ منهم. فتأمل هذا الحديث واعقله تراهم أمامك في كل مكان»أ. هـ. تخريج صحيح ابن حبان، ١/ ٢٣٠، نقلاً من حراسة الفضيلة للشيخ بكر أبو زيد، ص ١٣١-١٣٢.

ثم علق الشيخ بكر أبو زيد – حفظه الله – على كلامه بقوله: «ولا نرى موضعاً صحيحاً لهؤلاء الجناة إلا جعلهم في محاضن التعليم لآداب الإسلام، تحت سياط المعلمين، ومؤدبي الأحداث» أ. هـ، حراسة الفضيلة، ص ١٣٢، وهذا والله الحق.

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٢١.

(٢) سورة الحج، الآية: ٥٢.

المبحث الخامس

الصــــــــدّ

فالشيطان – أخزاه الله – قد وقف للعباد يصدُّهم عن كل خير، فقد قعد متربصاً لهم على جميع أبواب الخير، وأعمال الطاعة كما في الحديث:

(إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه، فقعد له بطريق الإسلام فقال: تسلم وتذر دينك ودين آبائك وآباء آبائك؟! فعصاه فأسلم، ثم قعد له بطريق الهجرة، فقال: تهاجر وتدع أرضك وسماءك؟ وإنما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطِّول [1]. فعصاه فهاجر، ثم قعد له بطريق الجهاد، فقال: تجاهد فهو جهد النفس والمال، فتقاتل فتقتل فتنكح المرأة، ويقسم المال؟! فعصاه فجاهد فمن فعل ذلك كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، ومن قتل كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، وإن غرق كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، وإن وقَصْته دابته كان حقاً على الله أن يدخله الجنة) وهذا تفسير [2] لقوله تعالى: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [3].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ يقول ابن جرير – رحمه الله – «لأجلسنَّ لبني آدم صراطك المستقيم، يعني: طريقك القويم، وذلك دين الله الحق، وهو الإسلام وشرائعه»أ. هـ [4].

---

(١) الطِّول: «هو الحبل الطويل يشد أحد طرفيه في وتد، أو غيره، والطرف الآخر في يد الفرس ليدور فيه ويرعى، ولا يذهب لوجهه، وهذا من كلام الشيطان ومقصوده أن المهاجر يصير كالمقيد في بلاد الغربة لا يدور إلا في بيته، ولا يخالطه إلا بعض معارفه . . . بخلاف أهل البلاد في بلادهم» انظر: شرح السيوطي، وحاشية السندي على سنن النسائي (٦/ ٢٢).

(٢) انظر: تفسير ابن جرير (٥/ ١٣٤).

(٣) سورة الأعراف، الآيتان: ١٦-١٧.

(٤) جامع البيان، لابن جرير (٥/ ١٣٤)، وانظر: فتح القدير، للشوكاني (٢/ ١٩٢).

وجزم الماكر أنه سوف يأتيهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم أي «أي من جمع وجوه الحق والباطل»(١).

قال تعالى محذراً عباده من صد هذا العدو العباد عن صراط الله المستقيم: ﴿ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ ﴾(٢)، وله في الصد سبيلان هما:

الأول: الإغراء: وهو الحث والتحسين للفعل المشين وتزيينه للعباد حتى يسارعوا إليه، ولا يستطيعون تركه.

ومن وسائله في ذلك شرب الخمر وسائر المخدرات، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾(٤)، والخمر: «اسم شامل لكل سكر»(٥)، وسميت خمراً، لأنها تخامر العقل، أي تخالطه، وقيل: تستره وتغطيه(٦).

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ ﴾ أي: نقص للدين، وقيل: أذية الناس بما ينالهم منه إذا سكر، وقيل: الإثم وقوع العداوة والبغضاء بين الناس(٧).

وقد وصف الله الأربعة بأنها رجس، ثم خص من بينهما الخمر والميسر بمزيد من الخصوصية، وهي أن الشيطان يريد أن يوقع بين الناس بشرب الخمر ولعب الميسر

---

(١) المرجع السابق (٥/ ١٣٧).
(٢) سورة الزخرف، الآية: ٦٢.
(٣) سورة المائدة، الآيتان: ٩٠-٩١.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢١٩.
(٥) زاد المهاجر، لابن القيم (١/ ١٢).
(٦) انظر: زاد المسير، لابن الجوزي (١/ ٢٣٩).
(٧) انظر: المرجع السابق (١/ ٢٤٠).

العداوة والبغضاء، والصد عن ذكر الله والصلاة؛ ولهذا هددهم إن لم ينتهوا عنها وعلق على ذلك الفلاح في الدنيا والآخرة [١].

ومن وسائله لعب الميسر وما شابهه. قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[٢]، فحرم الله تعالى الميسر وجعله رجساً من عمل الشيطان، والميسر هو القمار، وهو الضرب بالقداح، فكانت تسمى ياسر وياسرون ويسر وأيسار [٣].

ورجس أي: «إثم ونتن، سخطه الله وكرهه لكم من عمل الشيطان» [٤]، أي تزيينه فهو الداعي والمزين [٥]، قال قتادة: كان الرجل يقامر على أهله وماله، فيقمر ويبقى حزيناً سليباً، فينظر إلى ماله في يد غيره، فيكسبه ذلك العداوة والبغضاء [٦].

ويدخل في تحريم الميسر اللعب بالنَّرْد[٧] والشطرنج[٨] إذا كان بعوض بإجماع العلماء[٩].

وكذلك اتفق جمهور العلماء من الأئمة الأربعة وغيرهم على أن اللعب بالنرد حرام، وإن لم يكن فيه عوض، وجعل مالك – رحمه الله – الشطرنج أشد من النرد[١٠].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : «واتفقوا على أن المغالبات المشتملة على

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٣٢/ ٣٢٥).
(٢) سورة المائدة، الآية: ٩٠.
(٣) انظر: جامع البيان، لابن جرير (٥/ ٣١-٣٢)، زاد المسير (١/ ٢٤٠).
(٤) جامع البيان (٥/ ٣٢).
(٥) انظر: المرجع السابق، وانظر: زاد المسير (١/ ٢٤٠).
(٦) رواه ابن جرير في تفسيره (٥/ ٣٥).
(٧) الكعب الذي يلعب به وهو اسم أعجمي معرب، انظر العين (٨/ ٢٢) النهاية (٥/ ٣٨).
(٨) «لعبة فارسية مشهورة» دائرة معارف القرن العشرين (٥/ ٣٨٨).
(٩) الفتاوى الكبرى، لابن تيمية (٤/ ٣٠٨)، ومجموع الفتاوى (٣٢/ ٢٤٤)، (٣٢/ ٢٢٠).
(١٠) مجموع الفتاوى (٣٢/ ٢٢١، ٢٤٤، ٢٥٣)، والمنتقى شرح موطأ مالك شرح حديث رقم: ١٥٠٩، وعون المعبود شرح سنن أبي داود شرح حديث رقم: ٤٢٨٨.

القمار من الميسر؛ سواء كان بالشطرنج أو النرد، أو الجوز [(١)] ، أو بالكعاب [(٢)] ، قال غير واحد من التابعين: كعطاء، وطاووس [(٣)] ، ومجاهد، وإبراهيم النخعي [(٤)]: كل شيء من القمار فهو من الميسر؛ حتى لعب الصبيان بالجوز» أ. هـ [(٥)] .

ومن الميسر المسابقة والمناضلة بالخيول، بعوض من أحدهما لما فيه من أكل المال بالباطل، وأما إن كان من غيرهما كالإمام ونحوه، فلا خلاف في جوازه [(٦)] .

وفي الحديث عن عبدالله بن مسعود، عن النبي ﷺ قال: (الخيل ثلاثة: ففرس للرحمن، وفرس للإنسان، وفرس للشيطان، فأما فرس الرحمن؛ فالذي يربط في سبيل الله مغلفة وروثة وبوله في ميزانه، وأما فرس الشيطان فالذي يقامر أو يراهن عليه، وأما فرس الإنسان، فالفرس يرتبطها الإنسان يلتمس بطنها، فهي تستر من الفقر) [(٧)] .

والعلة في التحريم، لما فيه من الصد عن ذكر الله وعن الصلاة، ون أكل المال

---

(١) ويعرف بالحَزَز ومعناه الخَطَر وهو جوز محكوك يلعب به الصبيان، والجمع إحراز وربما طمع في الربح حتى يفوته رأس المال، انظر: لسان العرب (٥/ ٣٣٣).

(٢) الكِعَاب: «بكسر الكاف هي فصوص النرد جمع كعب وكعبة»، شرح سنن النسائي للسندي.

(٣) طاووس بن كيسان الخولاني الهمداني، أبو عبدالرحمن ولد ونشأ باليمن وأصله من فارس، كان من أكابر التابعين، في الفقه والحديث توفي بمكة سنة ١٠٦هـ، انظر: حلية الأولياء (٤/ ٣).

(٤) إبراهيم النخي بن يزيد بن قيس بن الأسود، أبو عمران النخعي من مزجج كان من أكابر التابعين ومن علماء الحديث، نشأ بالكوفة توفي سنة ٩٦هـ. حلية الأولياء (٤/ ٢١٩).

(٥) مجموع الفتاوى (٣٢/ ٢٢٠-٢٢١).

(٦) انظر: المغنى لابن قدامة (٩/ ٣٦٩)، والمبدع لابن مفلح الحنبلي (٥/ ١٢١)، سبل السلام، للصنعاني (٤/ ٧١)، نيل الأوطار، للشوكاني (٨/ ٢٣٨)، الكافي في فقه ابن حنبل، للمقدسي (٢/ ٣٣٦).
قال شيخ الإسلام – رحمه الله – : «المغالبات ثلاثة أنواع، فما كان معيناً على ما أمر الله به في قوله: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ ﴾ ، جاز بجعل وبغير جعل، وما كان مغضباً إلى ما نهى الله عنه: كالنرد والشطرنج، فمنهي عنه بجعل، وبغير جعل، وما قد يكون فيه منفعة بلا مضرة راجحة، كالمسابقة، والمصارعة، جاز بلا جعل»أ. هـ، مجموع الفتاوى (٣٢/ ٢٢٧).

(٧) رواه الإمام أحمد في المسند، رقم: ٣٤٥٦، (١/ ٣٩٥)، والطبراني في المعجم الكبير، رقم: ٣٧٠٧، (٤/ ٨٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم: ٣٣٥٠، (١/ ٦٣٢).

بالباطل، وهو سبب لإثارة العداوة والبغضاء بين الناس التي هي سبب لصد العبد وحجبه عن الله تعالى [(١)] .

ومن الأمثلة على هذا الإغراء: تزيينه لقوم سبأ عبادة الشمس، قال تعالى: ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾[(٢)]، وتزيينه لقوم عادٍ وثمود عبادة غير الله، قال سبحانه وتعالى:﴿ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ ﴾[(٣)]، أي أغراهم فزيَّن لهم أعمالهم الحسية فظنوها رفيعة مع معرفتهم للحق وقيل مستبصرين في الضلال [(٤)] .

- ومن الأمثلة على إغرائه العباد، ما يدعو إليه حزبه من زعماء الشر من الضلال، كما ذكر المولى تبارك وتعالى في قوله: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ۝ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ۝ ﴾[(٥)] .

- ومن الأمثلة ما سبق ذكره من تزيينه لكل شر [(٦)]، ومن الأمثلة تزيينه لسماع الغناء عن سماع القرآن والذكر، كما سيأتي .

الثاني: الإغواء: وهو الإضلال[(٧)]، وهو معنى قوله تعالى: ﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ

(١) انظر: زاد المسير لابن الجوزي (١/ ٢٤٠)، الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٤/ ٣٠٨)، الفروسية، ص١٦٩ .

(٢) سورة النمل، الآية: ٢٤ .

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٣٨ .

(٤) أحكام القرآن، للقرطبي، (١٣/ ٣٤٤)، الدر المنثور، للسيوطي (/ ٤٦٢) .

(٥) سورة العنكبوت، الآيتان: ١٢-١٣ .

(٦) انظر: مبحث التزيين من هذا الفصل .

(٧) انظر: تفسير التحرير والتنوير، لمحمد طاهر (٦/ ١٤٧)، والفتنة وموقف المسلم منها، لعبدالحميد السحيباني، ص ١٦٠ .

ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ﴾ .

وأمثلة الإضلال كثيرة ، فكل شر في هذا العالم فهو سببه ، فهو يضل العباد بالشرك ، والكفر ، وبما دون ذلك من البدعة والكبائر والصغائر ، أعاذنا الله منه .



المبحث السادس

ظَنّ السوء

ومن أساليب الشيطان لإفساد الاعتقاد ظن السوء، فهو يجري من العبد مجرى الدم، كما جاء في حديث صفية بنت حيي أم المؤمنين قالت: (كان رسول الله ﷺ معتكفاً فأتيته أزوره ليلاً، فحدثته، ثم قمت لأنقلب، أي لأرجع إلى بيتي فقام معي ليقلبني فمر رجلان من الأنصار فلما رأيا النبي ﷺ أسرعا فقال ﷺ: على رسلكما إنها صفية بنت حيي، فقالا: سبحان الله يا رسول الله، فقال ﷺ: إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، وإني خفت أن يقذف في قلوبكما شراً فيقال شيئاً).

وسوء الظن من حديث النفس الذي يلقيه الشيطان في نفس الإنسان، «وهو من أعظم الذنوب عند الله . . . فإن المسيء به الظن، قد ظن به خلاف كماله المقدس، وظن به ما يناقض أسماءه وصفاته، ولهذا توعد الله سبحانه الظَّانين به ظن السوء بما لم يتوعد به غيرهم، كما قال تعالى: ﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝٦ ﴾[1] . . .»[2].

وهو يوقع العبد في ذنوب عظيمة وقبائح مهلكة منها:

أولاً: نفي علم الله واطلاعه على أعمال العباد: ونفي قدرته تعالى وأسمائه وصفاته وربوبيته وتعطيله عن التصرف في الكون بالإيجاد والتكوين، قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۝٢٢ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٢٣ ﴾[3].

---

(١) سورة الفتح، الآية: ٦.
(٢) الجواب الكافي، لابن القيم، ص ٣٣١.
(٣) سورة فصلت، الآيتان: ٢٢-٢٣.

وفي سبب نزول هذه الآية، كما روى البخاري عن ابن مسعود – رضي الله عنه – قال: كان رجلان من قريش وختن [١] لهما من ثقيف أو رجلان من ثقيف، وختن لهما من قريش في بيت، فقال بعضهم لبعض أترون أن الله يسمع حديثنا، قال: بعضهم يسمع بعضه، وقال: بعضهم لئن كان يسمع بعضه لقد سمع كله، فأنزلت: ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ ﴾ [٢]، فأخبر تعالى في هذه الآية أن نفي صفة السمع من سوء الظن به تعالى، وهو سبب هلاكهم.

وقد قال تعالى في وعيد الظانين به ظن السوء: ﴿ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ ﴾ [٣]، وفي هذه الآية وعيد شديد للظانين به ظن السوء، لم يتوعد بمثله، وهم مستحقين لـه، إذ لم يقدروا الله حق قدره، حيث نفوا حقائق أسمائه وصفاته وعلوه وكلامه وتكليمه، وعلمه وربوبيته وخلقه وتدبيره [٤].

ويقول تعالى، مبيناً حال فرعون وتكذيبه بالآيات البينات: ﴿ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴾ [٥]، وقال تعالى: ﴿ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ [٦]، وقولـه تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴾ [٧] الآيات، أي ظن ألا يبعث ويعاد بعد موته [٨]،

---

(١) الأختان: القرابة من جهة المرأة كأبيها وأخيها، ويطلق على زوج البنت والأخت، انظر: النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير (٢/ ١٠).

(٢) رواه البخاري، رقم: ٤٥٣٨، (٤/ ١٨١٨)، ومسلم، رقم: ٢٧٧٥، (٤/ ٢١٤١).

(٣) سورة الفتح، الآية: ٦.

(٤) انظر: مدارج السالكين، (٣/ ٣٤٨-٣٤٩)، الجواب الكافي، لابن القيم، ص ٣٣١-٣٣٥.

(٥) سورة القصص، الآية: ٣٩.

(٦) سورة فصلت، الآيتان: ٤٩-٥٠.

(٧) سورة الانشقاق، الآية: ١٤.

(٨) انظر: تفسير ابن كثير، ص ١٤٢١، ط. دار السلام.

وستأتي مكايده في إنكار البعث إن شاء الله .

ثانياً: التكذيب بالرسل والرسالات: ومن ظن السوء الذي يلقيه الشيطان في قلوب أتباعه لإفساد عقيدتهم الظن في الأنبياء وتكذيب ما جاءوا به ، فقال تعالى – في قصة هود عليه السلام –: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾[1] .

وقوله تعالى – في قصة نوح عليه السلام – : ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾[2] .

وقال تعالى – في قصة موسى عليه السلام – : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ ﴾[3] ، وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾[4] .

وفي قصة شعيب – عليه السلام – يقول جل شأنه: ﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[5] .

ثالثاً: اتباع سبيل الغواية والضلال: قال تعالى: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ

---

(١) سورة الأعراف ، الآيتان: ٦٥-٦٦ .

(٢) سورة هود ، الآية: ٢٧ .

(٣) سورة الإسراء ، الآيتان: ١٠١-١٠٢ .

(٤) سورة القصص ، الآية: ٣٨ .

(٥) سورة الشعراء ، الآيتان: ١٨٥-١٨٦ .

يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾[١]، فحال أكثر الناس الانحراف عن الصراط المستقيم وإتباع سبيل الشيطان ظناً منهم أن هذا هو السبيل الحق المنجي.

رابعاً: الظن بعدم نصرة الله للمؤمنين: قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ ﴾[٢]، ومعنى الآية – والله أعلم – من كان يظن أن الله لن ينصر محمداً ﷺ وصحبه، فليذهب وليقاتل نفسه إن كان ذلك غائظه، فإن الله قد أيده بالنصر والتمكين. والآية فيها مزيد من التهكم والسخرية بهؤلاء المشركين والمنافقين الذين يشكون في نصرة الله تعالى لنبيه وصحابته. وقيل المعنى من ظن أن الله لن ينصر محمداً ﷺ فليمدد بحبل إلى سماء بيته ثم يختنق فيه، ورجح ابن كثير – رحمه الله – القول الأول لكونه أولى وأظهر في المعنى وأبلغ في التهكم[٣].

ويشهد للثاني[٤] قولـه تعالى: ﴿ وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ﴾[٥]، والمعنى يدل على نصرة الله لنبيه، وليس لأحد من البشر حيلة، ولا قدرة على رد أو منع نصر الله لأوليائه[٦].

خامساً: نفي البعث: قال تعالى: ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ ﴾[٧].

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١١٦.
(٢) سورة الحج، الآية: ١٥.
(٣) جامع البيان، لابن جرير (١٧/ ١٢٥-١٢٨)، أضواء البيان، للشنقيطي (٥/ ٤٩-٥١).
(٤) انظر: أضواء البيان (٥/ ٥٠).
(٥) سورة آل عمران، الآية: ١١٩.
(٦) انظر: أضواء البيان، ٥/ ٥٠.
(٧) سورة الكهف، الآيتان: ٣٥-٣٦.

قال ابن كثير – رحمه الله – : «بكفره وتمرده وتكبره وتجبره وإنكاره المعاد ﴿ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴾ ، وذلك اغتراراً منه لما رأى فيها من الزروع والثمار والأشجار، . . . ظن أنها لا تفنى ولا تفرغ ولا تهلك ولا تتلف، وذلك لقلة عقله، وضعف يقينه بالله، وإعجابه بالحياة الدنيا وزينتها، وكفره بالآخرة . . .» أ. هـ[1] .

وقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُمْ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾[3]، والمعنى أنهم يتهمون الله تعالى ويسيئون به الظن، وبالمؤمنين ويزعمون بناء على هذا الظن الفاسد أن محمداً وأصحابه سوف يقتلون ويذهبون جميعهم[4] .

وبمثل هذا المعنى يقول تعالى في سورة آل عمران: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾[5] .

سادساً: تثبيط المسلمين وإضعاف قوتهم: بإلقاء خوف الهزيمة في قلوبهم، وإيهام المسلمين ببطش الأعداء وقوتهم، واغترار الكفرة بانتصارهم وفوزهم على المسلمين، قال تعالى: ﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ

---

(١) تفسير ابن كثير، ص ٨٧، ط. دار السلام، الرياض.

(٢) سورة الجن، الآية: ٧ .

(٣) سورة الفتح، الآية: ٦ .

(٤) تفسير القرآن، لابن كثير، ص١٢٣٣، تفسير البغوي (٤/ ١٨٩-١٩٠)، أضواء البيان، (٧/ ٦٠٤) .

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٥٤ .

بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴾[1] ، فهؤلاء المتخلفون ظنوا أن المسلمين ستستأصل شأفتهم ويقتلون وزين ذلك الشيطان في قلوبهم ، وأوقعهم في ظن السوء لنفاقهم وكفرهم .

ويقول سبحانه – مبيناً حال اليهود من بني النضير عندما نقضوا العهد مع النبي ﷺ فأجلاهم عن المدينة –: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن دِيَـٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٢﴾ ﴾[2] .

سابعاً: الطعن في الأعراض وقذف المؤمنات: وخير مثال على ذلك حادثة الإفك[3] التي اتهمت فيها أُمُّنا عائشة بنت الصديق – رضي الله عنها – بالزنا ، ونال من عرضها وشرفها طائفة من المنافقين على رأسهم رأس المنافقين عبدالله بن أبي بن سلول ، فظن طائفة من المؤمنين هذا الظن الفاسد وتكلموا به فأنزل الله تعالى عشر آيات من سورة النور ببراءتها وطهارتها – رضي الله عنها – وأرضاها وفيها عاتب الله المؤمنين الذين ظنوا هذا الظن السيئ بأم المؤمنين وزوجة سيد المرسلين ﷺ بقوله تعالى: ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَـٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَـٰذَا

(١) سورة الفتح ، الآيتان: ١١-١٢ .

(٢) سورة الحشر ، الآية: ٢ .

(٣) انظر: تفصيل الحادثة في تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، ص ٩٢٨-٩٣١ .

سُبْحَـٰنَكَ هَـٰذَا بُهْتَـٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ ﴾ [(١)] .

وتأمل ما يدور في كثير من مجالس المسلمين من الطعن في الأعراض وقذف المحصنات المؤمنات ويحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم .

وفي حديث صفية السابق[(٢)] ، درء لهذا الظن وسد لمنافذه حيث إن هذا العدو يجري من ابن آدم مجرى الدم فخشي رسولنا – عليه الصلاة والسلام – أن يقذف في قلوبهما شيئاً فيهلكا ، فبين – عليه الصلاة والسلام – من هي المرأة التي يسير معها حتى لا يهلكا هذين الصحابيين بالظن السيئ في نبي الأمة – عليه الصلاة والسلام – .

ثامناً: الإفساد بين الإخوان والتحريش بين المسلمين: قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ ﴾ [(٣)] ، ولسوء الظن علامات منها:

١- تغير القلب عن حالة الصفاء التي كان عليها من قبل .

٢- النفور من الشخص المساء فيه الظن واستثقاله .

٣- الفتور عن مراعاته وإكرامه [(٤)] .

ولهذا جعله النبي ﷺ أكذب الحديث عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال: (إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث . . .) [(٥)] .

❁ ❁ ❁

---

(١) سورة النور ، الآيات: ١٢-١٦ .

(٢) ص

(٣) سورة الحجرات ، الآية: ١٢ .

(٤) انظر: إحياء علوم الدين (٣/ ٤١-٤٢) .

(٥) رواه البخاري ، رقم: ٤٨٤٩ ، (٥/ ١٩٧٦) .

المبحث السابع

التسويل

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَـٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ﴾ (١) .

والتسويل في اللغة: «تحسين الشيء وتزيينه وتحبيبه إلى الإنسان ليفعله أو يقوله»(٢) .

ومعنى الآية إن الشيطان زين لهم الارتداد عن الدين بعد أن تبين لهم طريق الهدى والاستقامة (٣) .

وقيل: معنى سول لهم أي سهل لهم الردة (٤) .

والله تعالى أملى لهم أي مدَّ في آجالهم أو لم يعاجلهم بالعقوبة (٥) .

وقيل: إن الذي أملى لهم الشيطان أي بمعنى أوعدهم بطول الأمل وبعد الأجل وغرهم وخدعهم (٦) .

إذن فالتسويل أسلوب لإبليس يتخذه لإفساد الاعتقاد، وهو من التزيين، وقد سبق بيان مكايده في ذلك (٧) .

---

(١) سورة محمد، الآية: ٢٥ .

(٢) لسان العرب، لابن منظور (١١/ ٣٥٠) .

(٣) انظر: جامع البيان، لابن جرير، ١٣/ ٥٨، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٦/ ٢٤٩)، وتفسير القرآن، لابن كثير (٦/ ٣٢٢)، زاد المسير، لابن الجوزي (٧/ ٤٠٨) .

(٤) انظر: تفسير الفخر الرازي (٢٨/ ٦٦) .

(٥) جامع البيان، لابن جرير (١٣/ ٥٩)، زاد المسير (١/ ٥٠٩)، فتح القدير، للشوكاني (٥/ ٣٩) .

(٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٦/ ٢٤٩)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٦/ ٣٢٢) .

(٧) انظر: مبحث التزيين من هذا الفصل .

المبحث الثامن

الاستحواذ والاستهواء والتخويف

ومن أساليب الشيطان في إفساد الاعتقاد كما بين تعالى ذلك في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[١] ، والاستحواذ: الغلبة والاستيلاء والاستعلاء[٢] .

واستحواذ الشيطان لهم تم بعدة أمور:

١- الغلبة حيث غلبهم وقوي عليهم ، فسلب منهم الإيمان .

٢- الاستيلاء والاستعلاء حيث استولى على عقولهم وقلوبهم فلم تبصر ولم تدرك الحق .

٣- الجمع والضم حيث جمعهم وضمهم إلى حزبه وأنصاره فأصبحوا من حزبه وأعوانه .

٤- الإحاطة بهم من جميع الجهات .

وكان من نتائج هذا الاستحواذ:

١ - نسيان ذكر الله تعالى ، والغفلة عنه . ٢ - ارتكاب المعاصي ومخالفة الأوامر .

٣ - تحقيق حزبية الشيطان وولائه . ٤ - الخسران المبين في الدنيا والآخرة[٣] .

ومن أساليبه في إفساد الاعتقاد الاستهواء ، وقد بين ذلك المولى تبارك وتعالى في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى

---

(١) سورة المجادلة: الآيتان ١٨ – ١٩ .

(٢) انظر تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص٤٥٨ .

(٣) انظر: جامع البيان لابن جرير (١٤/ ٢٥) ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢٦٥) ، المحرر الوجيز للقاضي ابن عطية (١٥/ ٤٥٦) ، فتح القدير للشوكاني(٥/ ١٩٣) ، في ظلال القرآن (٦/ ٣٥١٣) .

ٱلۡهُدَى ٱئۡتِنَاۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۖ وَأُمِرۡنَا لِنُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾(١) .

والاستهواء «استفعلته من قول القائل: هوى فلان إلى كذا يهوي إليه ومن قول الله تعالى: ﴿ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ ﴾ بمعنى تنزع إليهم وتريدهم»(٢) .

ومعنى استهواء الشياطين أي إضلالهم للعبد وتيهانه عن الطريق المستقيم ، فيصبح حيران لا يعرف أي الطريقين يسلك ، طريق الحق أم طريق الباطل الذي زيَّنه له الشياطين ، وقعدت عليه له بالمرصاد (٣) .

وهذا الاستهواء «يتم بصورة جماعية حيث تتجمع الشياطين على ابن آدم لتسلبه عقله ، وتسلبه ما ذاق من طعم الإيمان لترده إلى الضلال» (٤) .

ومن أساليبه في إفساد الاعتقاد التخويف ، كما بين تعالى في قوله: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾(٥) ، والخوف مصدر من الفعل الثلاثي (خاف) وأصله خَوِفَ ، ومعناه الفزع والذعر والرهبة (٦) ، والتخويف الذي يتبعه الشيطان لتخويف أوليائه يكون بعدة أمور منها:

١- التخويف من حزبه وأعوانه: قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ (٧) .

ومن ذلك ما يوهم به الصالحين وأهل الخير ، من وجود قوة عظيمة وبأس شديد لحزبه ، وأعوانه (٨) ، مما يجعل العبد الصالح يحذرهم ويخافهم وربما داهنهم خشية وقوع

(١) سورة الأنعام ، الآية: ٧١ .
(٢) جامع البيان ، لابن جرير (٥/ ٢٣٥) ، تفسير غريب القرآن ، لابن قتيبة ، ص ١١٥ .
(٣) انظر: تفسير الكريم الرحمن ، لابن سعدي (٢/ ٤٢٠-٤٢١) .
(٤) مكائد الشيطان لعباد الرحمن ، سلمان الدحدوح ، ص ١٢٠ .
(٥) سورة آل عمران ، الآية: ١٧٥ .
(٦) لسان العرب ، (٤/ ٢٤٨) ، والجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي (٤/ ٣٨٣) .
(٧) سورة آل عمران ، الآية: ١٧٥ .
(٨) وتأمل الآن ما يوجد في قلوب الكثيرين من الرعب والخوف من الدول الكافرة ، والشعور بقوتهم =

الشر به وهذا كله من كيد الشيطان ومكره .

٢- التخويف من الفقر والحاجة كلما هم العبد بصدقة أو بذل وإحسان ، قال تعالى: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾ (١) .

سيفتقر ولن يجد بعد ذلك ما لا فيظل محافظاً عليها خشية الفقر ، ومثلاً قد يهم العبد بصدقة فيأتيه الشيطان ويذكره الحاجة والعيال ، فيرجع في صدقته ، وهكذا يقف له صاداً عن الخير مخوفاً من الفقر (٢) .

٣- نشر القصص والروايات التي تبث الخوف والرعب في قلوب الخلق ، التي تؤدي بهم إلى إفساد اعتقادهم ، كالخوف من الأولياء والصالحين ، أو الخوف من السحرة والكهنة . . . ومن الأمثلة على ذلك ، ما يقوله الشيخ سليمان بن عبدالله آل الشيخ – رحمه الله – : «وهذا القسم هو الواقع اليوم من عباد القبور ، فإنه يخافون الصالحين بل الطواغيت ، كما يخافون الله ، بل أشد ، ولهذا إذا توجهت على أحدهم اليمين بالله أعطاك ما شئت من الأيمان كاذباً أو صادقاً ، فإن كان اليمين بصاحب التربة لم يقدم على اليمين إن كاذباً ، وما ذاك إلا لأن المدفون في التراب أخوف عنده من الله»أ.هـ(٣) .

٤- التخويف من شدة بأس الله ونقمته حتى يوقعه في اليأس والقنوط من رحمة الله ، ويترك العمل ، ولهذا فهو يتعرف على حال العبد فإن وجد منه أمناً وغفلة أمَّنه من مكر الله ، وإن وجد منه خوفاً ويأساً أوقعه في القنوط من رحمة الله (٤) .

وينتج من تخويفه عدة محاذير منها:

=وغلبتهم ، مما جعل أكثر المسلمين يستسلمون لهم يعيثون في شعوبهم فساداً في حين نرى الفئة التي تثبت وتقاتلهم يكتب الله لها النصر والتأييد عليهم ، وما أحداث الشيشان منا ببعيد ، وقبلها المجاهدون الأفغان حيث مكنهم الله من أعتى قوة كانت حينذاك وهي دولة الروس .

(١) سورة البقرة ، الآية: ٢٦٨ .

(٢) انظر: مداخل الشيطان على نفوس الصالحين ،د . الخاصر ، ط . المنتدى الإسلامي .

(٣) تيسير العزيز الحميد ، للشيخ سليمان آل الشيخ ، ص ٤٨٥ .

(٤) سيأتي الكلام حول القنوط من رحمة الله ، في المبحث القادم – بإذن الله – .

١- الوقوع في القنوط من رحمة الله واليأس من روحه كما سبق .

٢- ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله ، ولهذا كان ﷺ يتعوذ كثيراً من الجبن .

٣- اعتقاد أن هناك مصرفاً للأحوال غير الله سبحانه وتعالى ، واعتقاد النفع والضر لمخلوق . سواء كان هذا المخلوق حياً أو ميتاً . . إنسياً أم جنياً ، وهذا الخوف ربما أوقع العبد في عبادة هذا المخلوق .

❊ ❊ ❊

المبحث التاسع

القنوط من رحمة الله

والقنوط معناه: «استبعاد الفرج واليأس منه، وهو يقابل الأمن من مكر الله وكلاهما ذنب عظيم»[(١)]، إذ هو سوء ظن برب العالمين، وجوده وقبوله توبة التائبين[(٢)].

وقيل: «اليأس من الرحمة»[(٣)]، والمعنى واحد.

وفي التحذير من القنوط يقول الله تعالى: ﴿ ۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[(٤)]، وفي سبب نزول هذه الآية (روى الحاكم عن عمر - رضي الله عنه - قال: كنا نقول ما لمفتتن توبة، وما الله بقابل منه شيئاً، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أنزل فيهم ﴿ ۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[(٥)] والآيات بعدها، قال عمر: فكتبتها بيدي في صحيفة وبعثت بها إلى هشام بن العاص قال هشام بن العاص[(٦)] فلما أتتني جعلت أقرؤها بذي طوى أصعد بها فيه وأصوب، ولا أفهمها حتى قلت اللهم فهمنيها، قال: فألقى الله تعالى في قلبي أنها إنما أنزلت فينا، وفيما كنا نقول في أنفسنا ويقال فينا،

---

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، ص ٤٢٨، وانظر: القول المفيد، لابن عثيمين (٢/ ٢٠٤).

(٢) انظر: المرجع السابق، ص ٤٢٩.

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف، لمحمد عبدالرؤوف المناوي (٢/ ٥٩١).

(٤) سورة الزمر، الآية: ٥٣.

(٥) سورة الزمر، الآية: ٥٣.

(٦) هشام بن العاص الأموي، صحابي، أخو عمرو بن العاص، أسلم بمكة قديماً، هاجر إلى الحبشة في الهجرة الثانية، ثم عاد إلى مكة فحبسه قومه، فأقام إلى بعد غزوة الخندق، ثم هاجر وشهد الوقائع مع رسول الله ﷺ، قتل شهيداً في أجنادين عام ١٣هـ، الإصابة (٦/ ٢٨٦-٢٨٧)، الأعلام، للزركلي (٨/ ٨٦).

قال فرجعت إلى بعيري فجلست عليه فلحقت برسول الله ﷺ وهو بالمدينة)[١].

ويقول سبحانه وتعالى في قصة نبيه إبراهيم – عليه السلام –: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ۝ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ۝ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ۝ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ۝ قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ ۝ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾[٢]، وفي هذه الآيات تأكيد من نبي الله خليل الرحمن إبراهيم – عليه السلام – على نفي القنوط، لأن القنوط من رحمة الله إنما هو من أفعال الضالين الذين ضلوا الطريق المستقيم، ولم يعرفوا الله ويقدروه حق قدره سبحانه وتعالى، فإنه لا يقنط من روح الله إلا القوم الكافرون.

فإذا أنعم الله عليهم بألوان النعم فرحوا بها، فإذا ابتلاهم الله بأنواع البلايا قنطوا ويئسوا من رحمة الله، قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾[٣].

والرحمة هنا المراد بها البلاء، وقيل: المطر، وقيل: العافية[٤]، وأما السيئة: فالمراد بها الجوع والقحط، وقيل: المصيبة، وقيل: البلاء وهما بمعنى واحد[٥].

«وهذا الفرح المذكور هاهنا، هو فرح البطر الذي لا شكر فيه...»[٦]. وإبراهيم

---

(١) مستدرك الحاكم (٢/ ٤٣٥)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وأقره الذهبي، وقال الشيخ مقبل الوادعي: «الحديث أخرجه ابن إسحاق، كما في سيرة ابن هشام (١/ ٤٧٥)، وقال الهيثمي في مجع الزوائد (٦/ ٦١)، رواه البزار ورجاله ثقات»، الصحيح المسند من أسباب النزول، ص١٣٠.

(٢) سورة الحجر، الآيات: ٥١-٥٦.

(٣) سورة الروم، الآية: ٣٦.

(٤) انظر: زاد المسير (٤/ ٣٠٣).

(٥) انظر: المرجع السابق الجزء والصفحة نفسها، وتفسير ابن كثير، ص ١٠٣٠.

(٦) المرجع السابق الجزء والصفحة نفسها.

الخليل – عليه السلام – لم يكن قانطاً، ولكنه استبعد حصول الولد [(١)] .

وقال الرازي: «إن الإنسان إذا كان عظيم الرغبة في شيء وفاته الوقت الذي يغلب على ظنه حصول ذلك المراد فيه، فإذا بشر بعد ذلك بحصوله عظم فرحه وسروره، ويصير ذلك الفرح القوي كالمدهش له والمزيل لقوة فهمه وذكائه، فلعله يتكلم بكلمات مضطربة من ذلك الفرح في ذلك الوقت، وقيل أيضاً: إنه يستطيب تلك البشارة فربما يعيد السؤال ليسمع تلك البشارة مرة أخرى ومرتين» [(٢)] .

وفي هذا المعنى يقول تعالى في آية أخرى: ﴿ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ ﴾[(٣)] ، والمراد بالخير في الآية الصحة في الأبدان والمال، والشر المراد به السقم، وقلة ذات اليد وغير ذلك [(٤)] .

والقنوط عكس الرجاء، والرجاء «هو الاستبشار بجود وفضل الرب تبارك وتعالى، والارتياح لمطالعة كرمه سبحانه» [(٥)] ، وقيل: «هو الثقة بجود الرب تعالى»[(٦)] ، وقيل: «هو النظر إلى سعة رحمة الله» [(٧)] ، والمؤمن دائماً ينبغي أن يكون بين الخوف والرجاء فلا يأمن ولا يقنط .

روى مسلم عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: **(لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد)** [(٨)] .

وعن أنس – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ دخل على شاب وهو بالموت فقال: كيف تجدك؟

---

(١) انظر: زاد المسير (٤/ ٤٠٦)، وتفسير ابن كثير، ص ٧٣٣، ط، تفسير الفخر الرازي (١٩/ ٢٠١) .
(٢) تفسيرالفخر الرازي (١٩/ ٢٠١) .
(٣) سورة فصلت، الآية: ٤٩ .
(٤) انظر: جامع البيان، لابن جرير (١٣/ ٢) .
(٥) تهذيب مدارج السالكين (١/ ٤٧٥-٤٧٦)، الرجاء، تأليف: أسعد الصاغري، ص ٨ .
(٦) المرجع السابق (١/ ٤٧٦) .
(٧) المرجع السابق الجزء والصفحة نفسهما .
(٨) رواه مسلم، رقم: ٢٧٥٥، (٤/ ٢١٠٩)، ورواه أحمد في المسند (٢/ ٣٣٤) .

قال: والله يا رسول الله إني أرجو الله، وإني أخاف ذنوبي. فقال رسول الله ﷺ: (لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف)[(١)].

قال البيهقي: «لا ينبغي أن يكون خوف المؤمن بحيث يؤيسه ويقنطه من رحمة الله، كما لا ينبغي أن يكون رجاؤه بحيث يأمن مكر الله أو يجرئه على معصية الله عز وجل» أ.هـ[(٢)].

ومن أمثلة الخوف المؤيس ما رواه مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (أسرف رجل على نفسه، فلما حضره الموت أوصى بنيه فقال: إذا أنا مت فأحرقوني ثم اسحقوني ثم اذروني في الريح في البحر، فوالله لئن قدر عليّ ربي ليعذبني عذاباً ما عذبه به أحداً. قال: ففعلوا ذلك به، فقال للأرض: أديّ ما أخذت، فإذا هو قائم. فقال له: ما حملك على ما صنعت؟ فقال: خشيتك يا رب - أو قال: مخافتك - فغفر له بذلك)[(٣)].

قال النووي - رحمه الله - : «اختلف العلماء في تأويل هذا الحديث فقالت طائفة لا يصح حمل هذا على أنه أراد نفي قدرة الله فإن الشاك في قدرة الله تعالى كافر، وقد قال في آخر الحديث إنه إنما فعل هذا من خشية الله تعالى، والكافر لا يخشى الله تعالى ولا يغفر له . . . فيكون له تأويلان: أحدهما: أن معناه لئن قدر على العذاب أي قضاه . . . والثاني: أي قدر هنا بمعنى ضيق علي.

وقالت طائفة: اللفظ على ظاهره، ولكن قاله هذا الرجل وهو غير ضابط لكلامه، ولا قاصد لحقيقة معناه . . . في حال غلب عليه فيها الدهش، والخوف وشدة الجزع . . . وهذه الحالة لا يؤاخذ فيها . . .

وقال طائفة هذا الرجل جهل من صفات الله تعالى، وقد اختلف العلماء في تكفير

---

(١) رواه الترمذي، باب: (٩)، رقم: ٩٨٨، وقال الترمذي: «حديث غريب» أ. هـ.

(٢) شعب الإيمان، للبيهقي (٢/ ٢٢).

(٣) رواه مسلم في كتاب التوبة، رقم: ٢٧٥٦، (٤/ ٢١١٠).

جاهل الصفة . وقيل: إنما أوصى بذلك تحقيراً لنفسه وعقوبة لها لعصيانها إسرافها . . .»[١] ، وهناك أقوال أخرى مستبعدة [٢] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : «فهذا أعتقد أنه إذا فعل ذلك لا يقدر الله على إعادته ، وأنه لا يعيده أو جوز ذلك وكلاهما كفر ، لكن كان جاهلاً لم يتبين له الحق بياناً يكفر بمخالفته فغفر الله له»أ . هـ [٣] .

وقال أيضاً: «لكنه كان يجهل ذلك ولم يبلغه العلم بما يرده عن جهله وكان عنده إيمان بالله وبأمره ونهيه ووعده ووعيده فخاف من عقابه فغفر الله له بخشيته»أ . هـ [٤] .

ومن الأمثلة – أيضاً – ما رواه أنس بن مالك – ﷺ – أن رسول الله ﷺ عاد رجلاً من المسلمين قد صار كالفرخ ، فقال له رسول الله ﷺ : (ما كنت تدعو بشيء أو تسأله ، قال: نعم ، كنت أقول اللهم ما كنت معاقبني به في الآخرة فعجله لي في الدنيا ، فقال النبي ﷺ : أفلا قلت اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ، قال: فدعا الله فشفاه الله) [٥] .

قال المقدسي – رحمه الله – : «والخوف له إفراط ، وله اعتدال ، وله قصور ، والمحمود من ذلك الاعتدال وهو بمنزلة السوط للبهيمة . . . وليست المبالغة في الضرب محمودة ، ولا المتقاصر عن الخوف أيضاً محموداً . . . وأما القسم الأول وهو الخوف المفرط ، فهو كالذي يقوى ويجاوز حد الاعتدال حتى يخرج إلى اليأس والقنوط ، فهو أيضاً مذموم ، لأنه يمنع من العمل ، وقد يخرج المرض والوله والموت ، وليس ذلك

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (١٧/ ٧١-٧٢) .
(٢) انظر: المرجع السابق الجزء والصفحة نفسهما .
(٣) الرد على البكري ، لابن تيمية (٢/ ٤٩٣) .
(٤) الاستقامة ، لابن تيمية (١/ ١٦٥) .
(٥) رواه النسائي في السنن الكبرى ، رقم: ٧٥٠٦ ، (٤/ ٣٥٨) ، والإمام أحمد في مسنده (٣/ ٢٢٨) ، وأبو يعلى في مسنده ، رقم:٣٥١١ ، (٦/ ٢٧٧) ، وأصله في الصحيحين .

محموداً»أ . هـ [١] .

والقنوط من رحمة الله كبيرة من كبائر الذنوب ، جاء في الحديث عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن رسول الله ﷺ سئل عن الكبائر؟ فقال: (الشرك بالله ، واليأس من روح الله ، والأمن من مكر الله) [٢] .

ولهذا فالشيطان يحرص على أن يجعل العبد قانطاً من رحمة الله والقنوط – كما سبق – أشد اليأس ، فيأتي إليه إن وجه منه الخوف بأن ذنوبه عظيمة ، وأن الله لا يغفرها بأي حال من الأحوال لعظمها فيدخل في قلبه اليأس والقنوط من رحمة الله ويدل على ذلك الحديث التالي .

والسبب في تحريم القنوط من رحمة الله أن فيه سوء ظن بالله من ثلاثة أوجه:

الأول: أن فيه تنقصاً وطعناً في قدرة الله سبحانه وتعالى ، إذ لا يستحيل عليه شيء .

الثاني: أنه طعن في رحمة الله سبحانه وتعالى ، أرحم الراحمين [٣] .

وفي الحديث الصحيح عن جابر بن عبدالله – ﷺ – قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول – قبل موته بثلاث –: «**لا يؤمن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه**» [٤] ، وفي حديث يقول الله عز وجل: « **أنا عند ظن عبدي بي ، فليظن بي ما شاء**» [٥] .

الثالث: أنه طعن في كرم الله وجوده ، وعلمه تعالى بحاجة عبده وافتقاره إليه [٦] .

❁ ❁ ❁

---

(١) مختصر منهاج القاصدين ، للمقدسي ، ص ٣٢٩ .
(٢) قال ابن كثير في تفسيره أخرجه ابن أبي حاتم (١/ ٤٨٥) ، والطبراني ، «رواه البزار والطبراني ورجاله موثوقون» أ . هـ .
(٣) انظر: القول المفيد ، لابن عثيمين (٢/ ٢٠٤) ، وانظر: تفسير ابن كثير (٦/ ١٠١– ١٠٤) .
(٤) رواه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، رقم: ٢٨٧٧ ، (٤/ ٢٢٠٥) .
(٥) رواه أحمد في مسنده (٤/ ١٠٦) ، والدارمي في السنن (٢/ ٣٠٥) ، وصححه ابن حبان ٦٣٣ .
(٦) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ١٠١– ١٠٤) ، والقول المفيد ، لابن عثيمين (٢/ ٢٠٤) .

المبحث العاشر

الأمن من مكر الله

قال تعالى: ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾[(١)] ، والمكر من صفات المقابلة ، التي لا يسمى بها الله تعالى ، ولا يوصف بها على الإطلاق فلا يقال: الله ماكر ، ولا يشتق لـه منها صفة كالمكر والسخرية والمخادعة . . . وإنما يأتي في مقام المدح في مثل قولـه تعالى:﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، على وجه الجزاء لمن فعل ذلك [(٢)] .

وقال ابن القيم – رحمه الله – : «وأما المكر الذي وصف به نفسه ، فهو مجازاته للماكرين بأوليائه ورسله ، فيقابل مكرهم السيئ بمكره الحسن ، فيكون المكر منهم أقبح شيء ، ومنه أحسن شيء لأنه عدل ، وكذلك المخادعة والمكر» أ . هـ [(٣)] .

وقال: «والكيد والخداع لا يذم من جهة العلم ولا من جهة القدرة ، وإنما يذم من جهة سوء القصد وفساد الإرادة . . . ، إذا عرف ذلك فنقول: إن الله تعالى لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع والاستهزاء مطلقاً ، ولا داخل في أسمائه الحسنى . . . والمقصود أن الله سبحانه لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع إلا على وجه الجزاء لمن فعل ذلك بغير حق »[(٤)] .

مكر الله: «بأسه ونقمته وقدرته عليهم ، وأخذه إياهم في حال سهوهم وغفلتهم»[(٥)] ، قال الحسن البصري: «المؤمن يعمل بالطاعات وهو مشفق وجل خائف ،

---

(١) سورة الأعراف ، الآية: ٩٩ .

(٢) مختصر معارج القبول ، للشيخ الحكمي ، ص ٥٦ ، القول المفيد ، لابن عثيمين (٢/ ٢٠٢/ ٢٠٣) .

(٣) الفوائد ، لابن القيم ، ص ٢٩٠ ، والأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية ، للشيخ عبدالعزيز السلمان ، ص ٥٠ ، وكتاب صفات الله لصالح المسند ، ص ١٢١-١٢٢ .

(٤) مختصر الصواعق المرسلة ، لابن القيم ، اختصار: الموصلي (٢/ ٣٣/ ٣٤) .

(٥) تفسير ابن كثير ، ٣/ ٢٠١ .

والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمن»أ. هـ[(١)] .

وقيل في معنى الأمن من مكر الله: الاستدراج بالنعم حيث يملي لهم وينعم عليهم بصحة الأبدان، ورخاء العيش، وكثرة الأموال والأولاد، فإذا أمنوا مكر الله، أنزل بهم بأسه ونقمته وجعلهم عبرة للمعتبرين[(٢)]، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[(٣)]، قال عطاء[(٤)]: سنمكر بهم من حيث لا يعلمون... وقال سفيان الثوري: نسبغ عليهم النعمة وننسيهم الشكر[(٥)] .

والشيطان يختبر العبد، فإن وجد عنده نشاطاً وحرصاً قنطه من رحمة الله، وإن وجد عنده تكاسلاً وفتوراً عن الطاعة ذكره الرجاء وسعة الرحمة وشمول المغفرة حتى يوقعه في الأمن من مكر الله.

قال ابن القيم - رحمه الله -: «فإنه - أي الشيطان - يأتي إلى قلب العبد فيشامّه، فإن وجد فيه فتوراً وتوانياً وترخيصاً أخذه من هذه الخطة، فثبّطه وأقعده، وضربه بالكسل والتواني والفتور، وفتح له باب التأويلات والرجاء وغير ذلك، وإن وجد عنده حذراً وجداً، وتشميراً ونهضة، وأيس أن يأخذه من هذا الباب، أمره بالاجتهاد الزائد، وسوّل له أن هذا لا يكفيك وهمتك فوق هذا، وينبغي لك أن تزيد على العاملين... ونحو ذلك من الإفراط والتعدي، فيحمله على الغلو والمجاوزة وتعدي الصراط المستقيم، كما يحمل الأول على التقطير دونه وإلا يقربه...» أ. هـ[(٦)] .

---

(١) المرجع السابق الجزء والصفحة نفسها

(٢) انظر: جامع البيان، لابن جرير (٦/ ٩)، وفتح المجيد شرح كتاب التوحيد، ص ٤٢٨ .

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٨٢ .

(٤) عطاء بن أبي رباح سيد التابعين، علماً وعملاً وإتقاناً في زمانه بمكة... كان حجة إماما كبير الشأن، أخذ عنه أبو حنيفة، وقال: ما رأيت مثله... وكان عبداً أسود، توفي بمكة عام ١١٤هـ. انظر: ميزان الاعتدال (٣/ ٧٠)، صفة الصفوة (٢/ ٢١١-٢١٢)، الأعلام، للزركلي (٤/ ٣٣٥) .

(٥) تفسير البغوي (٢/ ٢١٨)، تحقيق: خالد العك ومروان سوار .

(٦) الوابل الصيب، لابن القيم، ص ٢٦ .

المبحث الحادي عشر

الاستفزاز

قال سبحانه وتعالى في شأن عدو الله إبليس: ﴿ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ ﴾ (١) .

والاستفزاز في اللغة من الفَزّ يقال فَزَّه فَزّاً وأفَزَّه أفزعه وأزعجه وأستفزّه من الشيء: أخرجه، واستفزه: خَتَلَه حتى ألقاه في مهلكة، واستخفَّه واستجهله (٢) .

ومن هذا المعنى اللغوي يتبين المراد بالاستفزاز المذكور في الآية، إذ الشيطان يستخفُّ العباد ويستجهلهم، وقد اختلف العلماء في المراد بالصوت المذكور في الآية، فقيل: المراد دعاؤه للعباد لطاعته وتزيينه المعاصي وهو قول ابن عباس ورجحه ابن جرير (٣) .

قال ابن جرير – رحمه الله – : «إن الله تبارك وتعالى قال لإبليس: واستفزز من ذرية آدم من استطعْتَ أن تستفزه بصوتك، ولم يخصص من ذلك صوتاً دون صوت، فكل صوت كان دعاء إليه وإلى عمله وطاعته، وخلافاً للدعاء إلى طاعة الله، فهو داخل في معنى صوته» أ. هـ (٤) .

وقيل: إن صوت الشيطان هو الغناء والمزامير وهو قول مجاهد، والغناء إن لم يكن صوت الشيطان فهو من أصواته ومزاميره، فمعلوم أن الغناء من أعظم الدواعي إلى

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٦٤ .

(٢) انظر: لسان العرب، لابن منظور (٥/ ٣٩١)، الصحاح، للجوهري (٣/ ٨٩٠)، القاموس المحيط، للفيروزآبادي، ص ٦٦٩، تفسير غريب القرآن، لابن قتيبة، ص ٢٥٨، تحقيق: السيد أحمد صقر .

(٣) انظر: جامع البيان، لابن جرير(٩/ ١١٨)، وتفسير القرآن، لابن كثير (٤/ ٣٢٥)، وتفسير البغوي (٣/ ١٢٣) .

(٤) جامع البيان، لابن جرير (٩/ ١١٨)، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٠/ ٢٨٨) .

المعصية[١]، وهو لهو الحديث الوارد في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[٢] .

وهذا التفسير منقول عن كثير من الصحابة منهم عبدالله بن مسعود الذي كان يقول: (هو والله الغناء) [٣] . . . وابن عباس وجابر .

ومنقول عن كبار التابعين من أمثال سعيد بن جبير ومجاهد وقتادة وغيرهم [٤] ، والأدلة على تحريم الغناء كثيرة من القرآن والسنة وأقوال السلف .

ويسمى «اللهو، واللغو، والباطل، والزور، والمكاء، والتصدية، ورقية الزنا، وقرآن الشيطان، ومنبت النفاق في القلب، والصوت الأحمق، والصوت الفاجر، وصوت الشيطان، ومزمور الشيطان، والسمود» [٥] .

وفي الحديث الصحيح عن أبي مالك الأشعري - ﷺ - قال: قال رسول الله ﷺ: (ليكونن في أمتي أقوام يستحلون الحِرَ [٦] والحرير، والخمر والمعازف، ولينزلنَّ أقوام إلى جنب علم [٧] ، يروح عليهم بسارحة [٨] لهم، يأتيهم - يعني الفقير - لحاجة فيقولوا: ارجع إلينا غداً، فيبيتهم الله، ويضع العلم، ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة)[٩] .

---

(١) إغاثة اللهفان، لابن القيم (١/ ١٩٩) .
(٢) سورة لقمان، الآية: ٦ .
(٣) رواه الحاكم في المستدك، رقم: ٣٥٤٢، (٢/ ٤٤٦)، وقال: «حديث صحيح الإسناد» ووافقه الذهبي وصححه ابن القيم في إغاثة اللهفان (١/ ١٨٦) .
(٤) جامع البيان، لابن جرير (١١/ ٦١-٦٣)، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٤/ ٥١) .
(٥) إغاثة اللهفان، لابن القيم (١/ ١٨٥) .
(٦) يعني الفرج، انظر فتح الباري (١٠/ ٦٧) .
(٧) أي الجبل العالي، انظر: المرجع السابق نفس الجزء والصفحة .
(٨) أي غنم، انظر: المرجع السابق نفس الجزء والصفحة نفسها .
(٩) رواه البخاري، رقم: ٥٢٦٨، (٥/ ٢١٢٣) .

قال الهيثمي – رحمه الله – : «وهذا صريح ظاهر في تحريم آلات اللهو المطربة، وقد حكى الشيخان أن لا خلاف في تحريم المزمار العراقي وما يضرب به من الأوتار»أ.هـ[١].

وقال ابن القيم – رحمه الله – : «إن المعازف هي آلات اللهو كلها. لا خلاف بين أهل اللغة في ذلك. ولو كانت حلالاً لما ذمهم على استحلالها، ولما قرن استحلالها باستحلال الخمر والخز، فإن كان بالحاء والراء المهملتين، فهو استحلال الفروج الحرام، وإن كان بالخاء والزاي المعجمتين فهو نوع من الحرير»أ. هـ[٢].

وفي الترمذي من حديث عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ: (يكون في أمتي قذف وخسف ومسخ، فقال رجل من المسلمين: متى ذلك يا رسول الله؟ قال: إذا ظهرت القيان، والمعازف، وشربت الخمور)[٣].

وقد أطال العلماء في ذكر الأدلة على تحريمه[٤].

قال ابن القيم – رحمه الله –: «فليعلم أن الدف والشبابة والغناء إذا اجتمعت، فاستماع ذلك حرام، عند أئمة المذاهب وغيرهم من علماء المسلمين، ولم يثبت عن أحد من يعتد بقوله في الإجماع والاختلاف، أنه أباح هذا السماع» أ. هـ[٥].

وقال – رحمه الله – : «وأما سماعة من المرأة الأجنبية، أو الأمرد فمن أعظم المحرمات، وأشدها فساداً للدين»[٦] أ. هـ، وقال الإمام أحمد: «لا يعجبني».

---

(١) الزواجر، لابن حجر الهيثمي (٢/ ٢٠٣).

(٢) إغاثة اللهفان، لابن القيم (١/ ٢٠٢(.

(٣) رواه الترمذي، رقم: ٢٢١٣، (٦/ ٣٦٥)، وقال: هذا حديث غريب.

(٤) انظر: إغاثة اللهفان، لابن القيم (١/ ١٨٥ وما بعدها)، الزواجر، للهيثمي (٢/ ٢٠٢ وما بعدها)، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٤/ ٥١)، تلبيس إبليس، ص ٢١٠ وما بعدها، الدر المنثور، للسيوطي (٦/ ٥٠٥ وما بعدها).

(٥) إغاثة اللهفان (١/ ١٧٧).

(٦) المرجع السابق (١/ ١٧٨).

وقال العلماء برد شهادة من يسمع الغناء [١] .

وقال القرطبي بعد ذكر الآثار في تحريمه: «ولهذا الآثار وغيرها قال العلماء بتحريم الغناء . . . وهو الغناء المعتاد عند المشتهرين به الذي يحرك النفوس ويبعثها على الهوى والغزل . . . فهذا النوع إذا كان في شعر يشبب فيه بذكر النساء ووصف محاسنهن وذكر الخمور والمحرمات لا يختلف في تحريمه لأنه اللهو والغناء المذموم بالاتفاق . . .» أ.هـ[٢] .

وروي في الحديث عن عبدالله بن مسعود – رضي الله عنه –: (الغناء ينبت النفاق في القلب) [٣] .

وقال الإمام أحمد – رحمه الله – : «لا يعجبني الغناء لأنه ينبت النفاق في القلب»[٤] .

وأما الاستفزاز الشيطاني فهي إعلان حرب قائمة بين العدو وبين عباد الله تتمثل فيما يلي:

أولاً: يستفزهم ، ويزعجهم ، ويستخفهم بصوته وهي بداية إعلان الحرب النفسية ، وهدم المعنويات .

ثانياً: حشد القوى ، وذلك بجلب الخيل والرجل ، وهم كل راكب وماش في معاصي الله والتسلط عليهم بما يقدر عليه [٥] .

«والمعنى أجمع عليهم كلما تقدر عليه من مكايدك» [٦] .

ثالثاً: المشاركة في الأموال: والمراد مرهم باكتساب هذه الأموال من الحرام ، وإنفاقها

---

(١) انظر: الزواجر ، للهيثمي (٢/ ٢٠٢) .
(٢) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي (١٤/ ٥٤) .
(٣) رواه أبو داود ، رقم: ٤٩٢٧ ، (٤/ ٢٨٢) ، والبيهقي في السنن الكبرى ، رقم: ٢٠٧٩٥ .
(٤) الكافي في فقه ابن حنبل ، عبدالله بن قدامة المقدسي (٤/ ٥٢٦) .
(٥) انظر: جامع البيان ، لابن جرير (٩/ ١١٨) ، وتفسير القرآن ، لابن كثير (٤/ ٣٢٥) ، وتفسير البغوي (٣/ ١٢٣) .
(٦) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي (١٠/ ٢٨٨) .

في معصية الله سواء كان ذلك ما يذبحونه لآلهتهم من النذور أو تحريمهم الأنعام كالبحيرة والسائبة والوصيلة، فكل ذلك من مشاركة الشيطان لهم في الأموال وغير ذلك من الإنفاق.

«فكل ما أطيع الشيطان فيه من مال وعصي الله فيه، فقد شارك فاعل ذلك فيه إبليس، فلا وجه لخصوص بعض ذلك دون بعض» (١).

رابعاً: شاركهم في الأولاد: قيل: المراد أولاد الزنا، وقيل: مرهم بوأد البنات، وقتل الأولاد خشية الفقر والعار، وقيل: بتربيتهم على الكفر والفسق، وقيل: بتسميتهم عبدالحارث وعبدالعزى (٢).

«فكل ما عصي الله فيه أو به، وأطيع به الشيطان أو فيه، فهو مشاركة» (٣).

وقد سبق الكلام في مشاركة الشيطان في الأولاد (٤).

خامساً: الوعود الكاذبة والأماني الباطلة: كالوعد بالنصر، وبالأموال الطائلة، والحياة السعيدة والخلود، وكل ذلك من أساليبه الماكرة في إفساد الاعتقاد، كما بين ذلك المولى تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ﴾(٥).

(١) جامع البيان، لابن جرير الطبري (٩/ ١٢٠)، وانظر: تفسير القرآن، لابن كثير (٤/ ٣٢٦)، الدر المنثور، للسيوطي (٥/ ٣١٢).
(٢) انظر: المرجع السابق (٩/ ١٢٠-١٢١)، وانظر: تفسير القرآن، لابن كثير (٤/ ٣٢٦)، وزاد المسير، لابن الجوزي (٥/ ٥٩)، الدر المنثور، للسيوطي (٥/ ٣١٢).
(٣) جامع البيان (٩/ ١٢١).
(٤) انظر: ص ١٧٢.
(٥) سورة إبراهيم، الآية: ٢٢.

=

المبحث الثاني عشر

السحر(١)

وقد سبق تعريفه وحكمه(٢) وقد سماه الله تعالى فتنة في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾(٣).

وللشيطان وسائل عدة لإفساد الاعتقاد بالسحر منها:

١- إيقاع السحرة في الشرك الأكبر، من خلال ما يقومون به من التقرب للشياطين والذبح لهم ودعائهم والاستغاثة بهم.

٢- إيقاعهم - أيضاً - في أفعال عظام لا يقدم عليها إلا من باع دينه بدنياه، مثل وضع المصحف على قدميه، ودخول الخلاء به، ومخاطبة الكواكب والسجود لها، والزنا بالمحارم وغير ذلك من الفواحش(٤).

٣- فتنة العباد بهذا الساحر، حيث يتعلق به ضعاف الإيمان فيستغل ضعفهم وحاجتهم لإفساد عقائدهم أولاً، ونهب أموالهم ثانياً لأوليائه وأعوانه، ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾(٥).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: «والشيطان هو نفسه خبيث، فإذا

---

(١) قد سبق بحث موضوع السحر في أكثر من موضوع، وهنا أبين كيف كان وسيلة من وسائل إبليس لإفساد الاعتقاد.

(٢) انظر: ص ٦٠-٦١.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.

(٤) الصارم البتار في التصدي للسحرة الأشرار، تأليف: لوحيد بالي، ص ١٨-١٩.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.

تقرب صاحب العزائم والأقسام وكتب الروحانيات السحرية، وأمثال ذلك بما يحبونه من الكفر الشرك صار ذلك كالرشوة والبرطيل لهم، فيقضون بعض أغراضهم كمن يعطي غيره مالاً ليقتل له من يريد قتله أو يعينه على فاحشة أو ينال معه فاحشة . . .

فإذا قالوا أو كتبوا ما ترضاه الشياطين أعانهم على بعض أغراضهم إما تغوير ماء من المياه، وإما أن يحمل في الهواء إلى بعض الأمكنة، وإما أن يأتيه بمال من أموال بعض الناس . . .» أ.هـ[(١)] .

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[(٢)] .

قال ابن القيم – رحمه الله – : «وهذه الآية منطبقة على أصحاب الأحوال الشيطانية الذين لهم كشوف شيطانية وتأثير شيطاني . فيحسبهم الجاهل أولياء الرحمن، وإنما هم من أولياء الشيطان . أطاعوه في الإشراك، ومعصية الله، والخروج عما بعث به رسله، وأنزل به كتبه، فأطاعهم في أن خدمهم بإخبارهم بكثير من المغيبات والتأثيرات . . .» أ. هـ[(٣)] .



(١) الفتاوى، ١٩/ ٣٤-٣٥ .

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٢٨ .

(٣) إغاثة اللهفان، لابن القيم، ٢/ ١٧٢ .

« الباب الثاني »

مكايد الشيطان وأساليبه في مسائل الاعتقاد

وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: مكايد الشيطان وأساليبه في مسائل التوحيد بأنواعه.

الفصل الثاني: مكايد الشيطان في مسائل النُّبوات.

الفصل الثالث: مكايد الشيطان في مسائل الغيبيات.

الفصل الرابع: أبرز مظاهر مكايد الشيطان عند الفرق والملل والنحل المخالفة

الفصل الأول

مكايد الشيطان وأساليبه في مسائل التوحيد

المبحث الأول: توحيد الربوبية :

التوحيد في اللغة من وحّد يوحّد توحيداً ، والوحدة بمعنى الانفراد ، تقول رأيته وحده ، ويقال فلان واحد دهره أن لا نظير له ، ويقال: فلان أوحد أهل زمانه ، فالكلمة في اللغة تدور حول الوحدة والتفرد (١) .

أما تعريفه في الشرع فيعني إفراد الله عز وجل بما يختص به مما يدل عليه معنى الربوبية من الملك والخلق والتدبير ، وما يدل عليه معنى الألوهية من إفراده تعالى بالعبودية ، والإيمان بأسمائه وصفاته (٢) .

قال العلامة ابن القيم: «التوحيد نوعان: نوع في العلم و الاعتقاد ، ونوع في الإرادة والقصد ، ويسمى الأول التوحيد العلمي والثاني: التوحيد القصدي الإرادي . . إلخ» (٣) .

وقال – رحمه الله – أيضاً في تفسيرهما: «الأول: هو إثبات حقيقة ذات الرب تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وعلوه فوق سماواته على عرشه ، وتكلمه بكتبه وتكليمه لمن شاء من عباده ، وإثبات عموم قضائه وقدره وحكمه .

والنوع الثاني: مثل ما تضمنته سورة: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ ﴾ (٤) ا.هـ .

وقال العلامة عبدالرحمن السعدي – رحمه الله – في تعريفه ، «العلم والاعتراف بتفرد الرب بصفات الكمال والإقرار بتوحده بصفات العظمة والجلال ، وإفراده وحده

(١) الصحاح للجوهري (٢/ ٥٤٧) ، المفردات للراغب ، ص٥١٤ ، لسان العرب (١٥/ ٢٣٠-٢٣٢) .
(٢) انظر القول المفيد على كتاب التوحيد لابن عثيمين (١/ ٥) .
(٣) مدار السالكين لابن القيم (١/ ٢٤-٢٥) .
(٤) المرجع السابق (٣/ ٤٤٩) .

بالعبادة»[(١)] ا.هـ.

وجميع هذه العبارات تبين أن توحيد الله تعالى، يستلزم ثلاثة أركان لا يكمل توحيد العبد ما لم يستكملها وهي:

١ - إفراد الله تعالى بالربوبية. ٢ - إفراد الله تعالى بالألوهية.

٣ - إثبات أسمائه تعالى وصفاته الثابتة في الكتاب والسنة على الوجه الذي يليق به تعالى من غير تكييفٍ ولا تمثيلٍ ولا تشبيه[(٢)].

معنى كلمة الرب: الربوبية مأخوذة من «رب» وهي في اللغة تعني «المالك، والسيد، والمربي، والقيم، والمنعم»[(٣)]، «والرب اسم من أسماء الله عز وجل ولا يقال في غيره إلا بالإضافة ...»[(٤)]، «وعلى هذا انعقد إجماع أهل اللغة والمفسرين، ولم يؤثر عن العرب أنهم استعملوا كلمة (الرب) لغير الله تعالى»[(٥)].

والله عز وجل هو المالك، المتصرف، الخالق، الرازق، المحيي، المميت، المدبر، السيد، المطاع .. الذي لا يسأل عما يفعل، وهم يسألون، له صفات الكمال المطلق، وله تصرف العبادة، وهو الإله الحق الذي يحق الحق بكلماته ولو كره المجرمون.

قال ابن جرير - رحمه الله - في معنى الرب: «السيد الذي لا شبه له، ولا مثل في سؤدده، والمصلح أمر خلقه بما أسبغ عليهم من نعمه، والمالك الذي له الخلق والأمر»[(٦)] ا.هـ.

---

(١) القول السديد لابن سعدي، ص١٠.

(٢) وقد ضلت فرق كثيرة في معناه كالصوفية، والمعتزلة، انظر الرد عليهم في: منهاج السنة لابن تيمية (٥/ ٣٧٠-٣٨٣)، مجموع الفتاوى (٢/ ١٤٠)، مدارج السالكين (٣/ ٤٤٣ وما بعدها)، بدائع الفوائد لابن القيم (١/ ١٨٢)، شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (ص ٢٣ وما بعدها).

(٣) لسان العرب لابن منظور (١/ ٣٩٩) وهو من كلام أحمد بن يحيى.

(٤) الصحاح للجوهري (١/ ١٣٠).

(٥) الشرك في القديم والحديث أبو بكر محمد زكريا (١/ ٥٩) وقد استفدت منه في هذا الفصل.

(٦) جامع البيان لابن جرير (١/ ٦١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : «والرب هو الذي يربي عبده فيعطيه خلقه، ثم يهديه إلى جميع أحواله من العبادة وغيرها» (١) ا.هـ.

ويقول الإمام الشوكاني – رحمه الله – : « .. فإن لفظ الرب باعتبار معناه اللغوي مُشْعِرٌ أتم إشعار بإخلاص توحيده، هذا باعتبار معناه الإفرادي دون الإضافي، ثم في معناه الإضافي دلالة أخرى، فإن كونه رب العالمين يدل على ذلك أبلغ دلالة» (٢) ا.هـ.

وقال ابن القيم – رحمه الله – : «فاسم الرب له الجمع الجامع لجميع المخلوقات، فهو رب كل شيء وخالقه والقادر عليه، لا يخرج شيء عن ربوبيته، وكل من في السماوات والأرض عبد له في قبضته وتحت قهره...» (٣).

ويقول أيضاً في بيان معنى هذا التوحيد: « .. فيشهد صاحبه قيومية الرب تعالى فوق عرشه، يدبر أمر عباده وحده، فلا خالق ولا رازق، ولا معطي ولا مانع، ولا مميت ولا محيي، ولا مدبر لأمر المملكة غيره، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، لا تتحركُ ذرة إلا بإذنه، ولا يجري حادث إلا بمشيئته، ولا تسقط ورقة إلا بعلمه. ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا أحصاها علمه، وأحاطت بها قدرته، ونفذت بها مشيئته، واقتضتها حكمته» (٤) ا.هـ.

فعلى هذا يكون الإيمان بتوحيد الربوبية يعني: «الإقرار بأن الله تعالى رب كل شيء ومالكه وخالقه ورازقه، وأنه المحيي المميت، النافع الضار، المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار، الذي له الأمر كله، وبيده الخير كله، القادر على ما يشاء، ليس له في ذلك

---

(١) مجموع الفتاوى (١/ ٢٢).

(٢) رسالة تتعلق بوجوب توحيد الله، ص١٢، ضمن العَذْب النَّمِير في جواب مسائل عالم بلاد عسير للمؤلف مخطوط بالجامعة الإسلامية، نقلاً من منهج الشوكاني في العقيدة، عبدالله نوسوك (١/ ١٤٩).

(٣) مدارج السالكين لابن القيم (١/ ٣٤).

(٤) مدارج السالكين (٣/ ٥١٠).

شريك، ويدخل في ذلك الإيمان بالقدر»[(١)] .

ومن هنا فإن هذا التوحيد يرتكز على عدة أصول وهي:

١- نفي الشريك عنه سبحانه في الخلق والملك والتدبير وفي جميع صفات الربوبية .

٢- أنه أساس للأنواع الأخرى ، فإذا ثبت أنه الملك ، فهو إذن جدير بالعبادة والتوحيد .

٣- أنه مركوز في الفطر لا يحتاج إلى دليل أو برهان ، إذا سلمت الفطرة من التغيير .

٤- إن المشركين يعترفون به ويقرون به ، ولكن إنكارهم إنما هو لتوحيد العبادة .

وللشيطان في هذا التوحيد مكايد عظيمة ، وحيل وأساليب لا يستطيع الخلاص منها إلا من نوّر الله بصيرته بالعلم ، وعصمه من كيده ، ومن أبرزها:

مكايد الشيطان في هذا التوحيد:

أولا: الانحراف بالفطرة السليمة: سبق الكلام عن الفطرة[(٢)] ، وتبين أن كل الخلق مفطورون على الاعتبار بالخالق جل وعلا ، وعلى توحيده واللجوء إليه عند الشدائد ، وهذه الفطرة تنحرف عن التوحيد بتسلط الشياطين ، كما في حديث عياض بن حمار – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته «ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جَهِلتُمَ مما علمني يومي هذا . كل مال نحلته عبداً حلال ، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ، وحرمت عليهم ما أحلَلْتُ لهم ، وأمرْتُهم أن يشركوا بي ما لم أنزِّل به سلطاناً . وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب . . .» الحديث .

ومعنى اجتالتهم «أي استخفوهم فذهبوا بهم وأزالوهم عما كانوا عليه وجالوا

(١) تيسير العزيز الحميد لسليمان آل الشيخ ، ص١٧ ، وانظر القول المفيد لابن عثيمين (١/ ٥-٨) .

(٢) انظر ص ١٨ وما بعدها .

معهم في الباطل» (١)، وقيل ا لمعنى: حبستهم عن دينهم وصدتهم عنه (٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : «إن أحداً لا يقدر على تبديل خلق الله، أي فطرته التي فطر عليها الناس، لكنه سبحانه بمشيئته أقدر الشيطان والأبوين على تغيير الفطرة، فالتبديل هو أن يولد الطفل من أصل ولادته على غير الفطرة، وهذا لا يقدر عليه أحد» (٣).

يقول الله تعالى – مبينا دور إبليس في تغيير الفطرة – : ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ ﴾(٤)، ومعنى إناثا: «يعني اللات والعزى ومناة، وكان لكل حي صنم يعبدونه ويقولون أنثى بني فلان، قاله الحسن وابن عباس، واتى مع كل صنم شيطانه يتراءى للسدنة للكهنة ويكلمهم . .» (٥)، وقيل المعنى مواتاً وقيل الملائكة (٦).

ومعنى قوله تعالى: ﴿ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ ﴾. «لآمرنّ النصيب المفروض ليس من عبادك بعبادة غيرك من الأوثان والأنداد، حتى ينسكوا له، ويحرّموا ويحللوا له، ويشرعوا غير الذي شرعته لهم فيتبعوني ويخالفوك.

البتك: القطع، وهو في هذا الموضع: قطع أذن البحيرة ليعلم أنها بحيرة، وإنما أراد بذلك الخبيث، أنه يدعوهم إلى البحيرة، فيستجيبون له، ويعملون بها طاعة له» (٧).

---

(١) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (١٨/ ١٩٧).
(٢) انظر: المرجع السابق لنفس الجزء والصفحة.
(٣) درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٤١).
(٤) سورة النساء: الآية ١١٧-١١٩.
(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/ ٣٨٧).
(٦) انظر المرجع السابق نفس الجزء والصفحة، وتفسير ابن كثير (٢/ ٣٩٤-٣٩٥).
(٧) جامع البيان لابن جرير (٤/ ٢٨١)، تفسير ابن كثير (٢/ ٣٩٥).

قال القرطبي – رحمه الله – : «ولما كان هذا من فعل الشيطان وأثره أمرنا رسول الله ﷺ أن تستشرف العين والأذن، ولا نضحي بعوراء، ولا مقابلة ولا مدابرة ولا خرقاء ولا شرقاء» [١] . ا.هـ.

وأما قوله تعالى: ﴿ وَلَآمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِ ﴾ .

فقيل المراد بخلق الله: دين الله .

وقيل: فطرة الله التي فطر الناس عليها، وقيل المراد: خصاء البهائم والرقيق [٢] ، وقيل: الوشم [٣] وقيل: قطع الآذان، وفقء العين . وقيل: معبوداتهم من الشمس والقمر والأحجار والنار وغيرها خلقها الله تعالى للعبرة و الانتفاع فجعلوها آلهة تعبد [٤] .

ولا تنافي بين هذه الأقوال إذ تغيير دين الله يدخل فيه تغيير الفطرة، ويدخل فيه كل ما نهى الله عنه من المعاصي، فالشيطان داعٍ إلى كل معصية [٥] .

ومن وسائله في الانحراف بالفطرة السليمة، أولاً: إضلال العباد بشتى وسائل الإضلال – كما سبق – [٦] ، **وثانياً :** تغيير خلق الله، بدعوتهم إليه وتزيينه في عيونهم . قال

(١) الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٩٠)، أحكام القرآن لابن العربي(١/ ٦٢٩) .
(٢) اختلف العلماء في حكم خصاء البهائم، فأما الآدمي فلا يجوز لأنه مثله، وإذا خصي الآدمي بطلت قوته وانقطع نسله، وهو مأمور بتكثيره . وقال ابن العربي – رحمه الله – : «فأما في الآدمي فمصيبة» ا.هـ، وأما خصاء البهائم فطائفة رخصت فيه إذا قصد به المنفعة، ومنهم من كرهه واختار الكراهة ابن المنذر والأوزاعي كما قال القرطبي لثبوت النهي عن ابن عمر، انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/ ٣٩٠- ٣٩١) ، أحكام القرآن لابن العربي(١/ ٦٣١-٦٣٢) .
(٣) الوشم: هو غرز إبرة في الجلد حتى يسيل الدم، ثم يحشى بالكحل أو النورة أو نحوهما فيخضر وتفعله النساء للزينة!! وفيه لعن كما ثبت في الحديث (لعن الله الواشمة والمستوشمة)، والمستوشمة: هي التي تفعل لها ذلك . انظر: شرح مسلم للنووي (١٤/ ١٠٦)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/ ٣٩٠) .
(٤) جامع البيان لابن جرير (٢/ ٢٨٢ – ٢٨٥)، الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٨٩، ٣٩٤-٣٩٥) .
(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٩٤ – ٣٩٥) .
(٦) سبق الحديث عنها .

تعالى: ﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴾(١) .

ومن مظاهره: قطع آذان الأنعام، حيث كان المشركون يقومون بقطع أذن البحيرة ليعلم أنها بحيرة، بعد أن دعاهم إلى تحريمها فأطاعوه (٢)، ولهذا أمر النبي ﷺ في الأضحية أن تلحظ العين والأذن، لئلا تكون مقطوعة، أو مشقوقة، فيكون للشيطان فيها نصيب، كما سبق توضيحه(٣) .

ونهى عن شريطة الشيطان، وهي التي تذبح فيقطع الجلد ولا تفرى الأوداج، ثم تترك حتى تموت، وسميت شريطة الشيطان؛ لأنه وفى للشيطان فيها بشرطه، ولأنه الذي حملهم على فعل ذلك وحسنه لهم (٤) . والأولى قطع الجميع لأنه أسرع لخروج روح الحيوان وأبلغ في سيلان الدم وتنظيف اللحم منه (٥) .

٢- حلق اللحى للرجال، والوشم والنمص (٦) والتفليج (١) الذي تفعله النساء .

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٢٠ .

(٢) انظر: جامع البيان لابن جرير (٤/ ٢٨١)، نيل الأوطار للشوكاني (٩/ ٢١)، في ظلال القرآن، سيد قطب (٢/ ٧٦١) .

(٣) انظر ص ٤٠ وما بعدها .

(٤) رواه أبو داود رقم ٢٨٢٦ (٢/ ١١٣)، التفسير ليس من الحديث كما صرح أبو داود بها من ابن عيسى، ورواه ابن حبان في صحيحه رقم: ٥٨٨٨ (١٣/ ٢٠٥)، والبيهقي في السنن الكبرى رقم: ١٨٩٠٧ (٩/ ٢٧٨) .

(٥) الكافي في فقه ابن حنبل لابن قدامة المقدسي (١/ ٤٧٩)، تحقيق: زهير الشاويش .

(٦) النمص: هو إزالة شعر الحاجبين وقيل عموم الوجه وهو رأي الطبري واستثنى النووي اللحية والشارب والعنفقة للمرأة، وا ستحب إزالتها إذا نبتت، وعد ابن العربي النمص حتى للعانة فقال: «وأهل مصر ينتفون شعر العانة وهو منه، فإن السنة حلق العانة ونتف الإبط، فأما نتف الفرج فإنه يرخيه ويؤذيه، ويبطل كثيراً من المنفعة فيه» ا.هـ، أحكام القرآن، لابن العربي (١/ ٦٣١)، وانظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٤/ ١٠٦)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/ ٣٩٠) .
* وقد ابتلي بهذا كثيرٌ من نساء المسلمين في هذا الزمان، وأصبح بعض النساء يتحايلون في النمص بأساليب آخر كالتشقير وغيره وقد سئل شيخنا العلامة د. عبدالله بن عبدالرحمن بن جبرين - حفظه الله - عن حكم تشقير الحواجب؟ [أي صبغها بلون أبيض أو أشقر] فأجاب «يقول الله سبحانه وتعالى عن الشيطان: ﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴾ [النساء: ١١٩]، ويقول النبي ﷺ : (لعنَ الله الواشمات والمستوشمات والنامصات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله) [رواه البخاري رقم: ٤٦٠٤، ومسلم رقم ٢١٢٥] **والنمص** هو نتف الشعر من الحاجب وكذلك تشقيره وكذلك حلقه وكذلك التفليج الذي هو توسيع ما بين الأسنان وكذلك الوشم - =

٣- التشبه بالكافرات .

جـ- عبادة غير الله ، بدعوى أنهم شفعاء يشفعون للعباد عند الله ، قال تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ۝٨١ كَلَّاۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ۝٨٢ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾(٢) . وقوله سبحانه: ﴿ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٦٠ وَأَنِ ٱعْبُدُونِىۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٦١ ﴾(٣) .

د- التهويد والتنصير ، وما هذه الحملات التنصيرية وأجهزة التبشير إلا وسيلة من وسائل حزب إبليس لإغواء العباد والانحراف بهم عن الفطرة السوية (٤) .

هـ- تحريف الأديان: قال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًاۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ۝٧٩ ﴾(٥) .

= كل ذلك قال فيه (المغيرات خلق الله) . لاشك أن هذا فيه تغيير لخلق الله وفيه تدليس وتلبيس وإظهار للزينة المصطنعة فنرى أن كل هذا محرم ...» أ.هـ ، مجلة الدعوة ، العدد: ١٧٨٥ في ٤ محرم ١٤٢٢هـ .

(١) التفليج: من الفلج وهو الفرجة التي تكون بين الثنايا والرباعيات ومعناه: بَرْد ما بين الأسنان . قال النووي – رحمه الله – : «وتفعل ذلك العجوز من قاربتها في السن إظهاراً للصغر وحسن الأسنان لأن هذه الفرجة اللطيفة بين الأسنان تكون للبنات الصغار» ا.هـ ، شرح النووي على صحيح مسلم (١٤/ ١٠٦) ، وا نظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/ ٣٩٣) ، وأحكام القرآن لابن العربي (١/ ٦٣١) .

(٢) سورة مريم: الآيات ٨١- ٨٣ .

(٣) سورة يس: الآيتان: ٦٠-٦١ .

(٤) ذكرت مجلة البيان أنه أنشئ مستشفى تنصيري في عام ١٩٦٥ في قرية (معلوم جات) في منطقة (شتيا جانج) في بنغلادش التي لم يكد يوجد بها نصراني آنذاك ، أما الآن فقد بلغ عددهم أربعين ألف نصراني . وكان عدد النصارى في دولة بنغلادش عام ١٩٧٢م مئتا ألف نسمة وارتفع في عام ١٩٩١م أي خلال ١٩ سنة إلى خمسة ملايين» نقلاً من كتاب كيف أخدم الإسلام لعبدالملك القاسم ، ص٨ .

(٥) سورة البقرة ، الآية: ٧٩ .

قال ابن القيم – رحمه الله – : «أخذ دين المسيح في التبديل والتغيير، حتى تناسخ واضمحلَّ، ولم يبق بأيدي النصارى منه شيء، بل ركبوا ديناً بين دين المسيح ودين الفلاسفة عباد الأصنام وراموا بذلك أن يتلطفوا للأمم حتى يدخلوهم في النصرانية، فنقلوهم من عبادة الأصنام المجسدة إلى عبادة الصور التي لا أصل [(١)] لها، ونقلوهم من السجود للشمس إلى السجود إلى جهة المشرق، ونقولهم من القول باتحاد العاقل والمعقول والعقل إلى القول باتحاد الأب والابن وروح القدس» [(٢)] ا.هـ.

ولهذا من انحرف بهم إبليس عن الفطرة وغيّرها، قد يحتاجون إلى نصب الأدلة والبراهين ليقروا بالخالق سبحانه وتعالى، الذي كان إيمانهم به قبل التغيير، وفي حال سلامة الفطرة ضرورياً مسلماً [(٣)].

ثانياً: التعطيل: وهذا يشمل تعطيل ذاته ووجوده سبحانه وتعالى بالكلية كتعطيل فرعون وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾[(٤)]. وتعطيل الملاحدة، والدهرية ومن هؤلاء الوجودية [(٥)].

ويشمل تعطيل الله سبحانه وتعالى عن الكمال اللائق به، ونفي ما له من صفات وأسماء، كما هو عليه المعطلة من الفلاسفة والجهمية ومن سار على نهجهم [(٦)] وسيأتي في المبحث القادم – إن شاء الله – .

---

(١) كذا في الكتاب وأظنه خطأ مطبعي، ومما يفهم من السياق أنها «لا ظل» والله أعلم.

(٢) إغاثة اللهفان (٢/ ٣٨٤) ط. المكتب الإسلامي.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٦/ ٧٣).

(٤) سورة القصص، آية: ٣٨.

(٥) الوجودية: مذهب فلسفي إلحادي يعلي من قيمة الإنسان، وينكر وجود الله ورسله وكتبه وكل الغيبيات، وكل ما جاءت به الأديان، تشيع عندهم الفوضى الخلقية والإباحية الجنسية والفساد، انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان و المذاهب ٥٤٣، الموجز في الأديان والمذاهب.

(٦) انظر: إغاثة اللهفان (٢/ ٣٨٢)، والموسوعة الميسرة ص٥٤٣، والمذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها ص٢١٥، وكواشف زيوف لعبدالرحمن حبنكة ص٣٦٢.

ووسيلته في ذلك التشكيك والوسوسة كما سبق [١] . وفي الحديث «يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربك فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته» .

وفي الحديث الآخر «لن يدع الشيطان أن يأتي أحدكم فيقول: من خلق السماوات والأرض؟ فيقول: الله . فيقول من خلقك؟ فيقول: الله ، فيقول: من خلق الله؟ فإذا أحس أحدكم بذلك فليقل: آمنت بالله ورسله» .

قال عبدالله بن مسعود – ﷺ – : «إياكم وما يحدث الناس من البدع ، فإن الدين لا يذهب من القلوب بمرة ، ولكن الشيطان يحدث له بدعاً حتى يخرج الإيمان من قلبه ، ويوشك أن يدع الناس ما ألزمهم الله من فرضه في الصلاة والصيام والحلال والحرام ، ويتكلمون في ربهم عز وجل ، فمن أدرك ذلك الزمان فليهرب قيل: يا أبا عبدالرحمن: فإلى أين؟ قال: إلى لا أين (قال: يهرب بقلبه ودينه ، لا يجالس أحداً من أهل البدع [٢] .

ثالثاً: الشرك في الربوبية: وهو نوع من التعطيل الربوبية ، ومن أمثلته:

١- شرك المجوس [٣] : الذي كاد لهم الشيطان وسول لهم ، فجعلوا للعالم إلهين وصانعين ، إله الخير والنور ، وإله الظلمة والشر .

٢- شرك الصابئة الحرانية [٤] الذين يدعون تأثير الكواكب السماوية في الحوادث

---

(١) انظر ص ٧٩-٨٠ .

(٢) رواه أبو القاسم اللالكائي (٢/ ١٢١) ، تحقيق د . أحمد سعد حمدان ، دار طيبة .

(٣) المجوسية: ديانة وثنية تؤمن بوجود إلهين هما إله النور الأزلي ، والظلمة المحلكة ، وهم فرق متعددة ولهم اعتقادات كثيرة منها تناسخ الأرواح ، وأن الناس شركاء في الأموال والنساء وسائر اللذات ، انظر: الملل والنحل للشهرستاني (٢/ ٧٣) ، الفرق بين الفرق للبغدادي ص٢٧٦ .

(٤) الصابئة الحرانيون ، طائفة يقدس أصحابها الكواكب والنجوم ، يزعمون أن يحيى عليه السلام أرسل إليهم ، لهم اعتقادات وعبادات كالتعميد ولهم صلوات تؤدى ثلاث مرات في اليوم وصيام ويعظمون يوم الأحد كالنصارى ، انظر: الملل والنحل للشهرستاني (٢/ ٤٩-٥٧) ، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين لفخر الدين الرازي ، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ، ص٣١٧ وما بعدها .

الأرضية .

٣- شرك النصارى الذين نسبوا لله الصاحبة والولد ، قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[1] .

٤- شرك الصوفية القائلين بوحدة الوجود كما هو عند غلاة الصوفية ، وسيأتي - إن شاء الله - في الفصل الرابع [2] .

رابعاً: التكذيب بالقضاء والقدر: القضاء في اللغة: أصله قضايٌ لأنه من قضيت ، إلا إن الياء لما جاءت بعد الألف همزت والجمع الأقضية» [3] .

ومن معانيه في اللغة الحكم [4] ، وهو من أوضح معاني القضاء وأشدها ارتباطاً به ، ويأتي بمعنى الوجوب والوقوع [5] ، قال تعالى: ﴿ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ ﴾[6] وبمعنى الإكمال والإتمام [7] ومنه قوله تعالى: ﴿ ۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ﴾ [8] الآية ويأتي أيضاً بمعنى الأمر وله معانٍ أخرى [9] .

وأما القدر فهو «مصدر قدَّر ، يَقدرُ قَدَراً ، وقد تسكَّن داله» [10] ومن معانيه الحكم والقضاء ، والشرف ، العظمة [11] ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ ﴾[12]

---

(١) سورة التوبة: آية ٣٠ .
(٢) انظر ص ٦٧٤ .
(٣) الصحاح للجوهري (٦/ ٢٤٦٣) ، وانظر لسان العرب (١٥/ ١٨٦) .
(٤) النهاية في غريب الحديث (٤/ ٧٨) ، وانظر: الصحاح (٦/ ٢٤٦٣) ، لسان العرب (١/ ١٨٦) .
(٥) انظر بصائر ذوي التمييز (٤/ ٢٧٧) .
(٦) سورة يوسف ، الآية: ٤١ .
(٧) الصحاح (٦/ ٢٤٦٣) ، لسان العر ب(١٥/ ١٨٧) ، بصائر ذوي التمييز (٤/ ٢٧٧) .
(٨) سورة القصص ، الآية: ٢٩ .
(٩) لسان العرب (١٥/ ١٨٦) ، بصائر ذوي التمييز (٤/ ٢٧٦-٢٧٨) ، مختار الصحاح ، ص٢٦٦ .
(١٠) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٤/ ٢٢) .
(١١) انظر: الصحاح (٢/ ٧٨٦) ، المفردات للراغب ص٣٩٥ ، النهاية في غريب الحديث (٤/ ٢٢) .
(١٢) سورة القدر ، الآية: ١ .

، ويأتي بمعنى التضييق في المكان أو الرزق [١] ففي المكان كما في قوله تعالى: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ ﴾ [٢] .

وفي الرزق كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ﴾ [٣] . ويأتي بمعنى التقدير والقدرة والقوة وغيرها [٤] .

وأما تعريفه في الشرع: هناك من العلماء من جعل القضاء والقدر بمعنى واحد، وهناك من ذكر بينهما فروقاً فقيل: «القضاء من الله أخص من القدر ؛ لأنه الفصل بين التقدير ، فالقدر هو التقدير ، والقضاء هو الفصل والقطع» [٥] .

وقيل: القدر قبل وقوعه يمكن دفعه ، بخلاف القضاء فلا راد له [٦] ، وقيل: «القضاء هو الحكم الكلي الإجمالي في الأزل ، والقدر جزئيات ذلك الحكم وتفاصيله» [٧] ولا دليل فاصل بين القولين [٨] والله أعلم .

والإيمان بالقضاء والقدر يعني الإيمان بعلم الله بما الخلق عاملون ، بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلاً ، وكتابة اللوح في المحفوظ مقادير كل شيء ، ثم الإيمان بمشيئته تعالى ، فما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ووقوعهما على التقدير السابق زماناً ، وصفةً . وهذا ما عليه أهل السنة والجماعة [٩] وهي مراتب القدر الأربع كما يلي:

---

(١) انظر بصائر ذوي التمييز (٤/ ٢٤٣) .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية: ٨٧ ، وللآية معانٍ أخرى .

(٣) سورة الطلاق ، الآية: ٧ .

(٤) انظر الصحاح للجوهري (٢/ ٧٨٦-٧٨٧) ، لسان العرب (٥/ ٧٤ وما بعدها) ، النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٤/ ٢٣) ، بصائر ذوي التمييز (٤/ ٢٤٣-٢٤٦) ، المفردات ص٣٩٥ .

(٥) المفردات في غريب القرآن للراغب ، ص٤٠٦-٤٠٧ .

(٦) انظر المرجع السابق ، ص٤٠٧ .

(٧) فتح الباري (١١/ ٤٨٦) ، وانظر الدين الخالص (٣/ ١٥٤) .

(٨) انظر: القضاء ، د. عبدالرحمن المحمود ، ص٩-٢٢ .

(٩) انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ١٤٨ - ١٤٩) ، (٨/ ٤٤٩ ، ٤٥٢ ، ٤٥٩) ، والواسطية ص٢٢ - ٢٣ ، التدمرية ص٢٠٩ ، شرح العقيدة الطحاوية ص٢٥١ ، لوامع الأنوار للسفاريني (١/ ٣٤٨) .

المرتبة الأولى: العلم، ومعناه الإيمان بأن الله تعالى يعلم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، وهو تعالى يعلم ما الخلق عاملون وعلم أحوالهم، وآجالهم، وأرزاقهم، وهو متصف بهذا العلم أزلاً وأبدا، وهذا ما اتفقت عليه هذه الأمة، ولم ينكره إلا فرقة القدرية (١) الضالة التي ظهرت في أواخر عهد الصحابة. ومن الأدلة عليها قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝ ﴾(٢)، ومنكر هذه المرتبة كافر بالإجماع (٣).

المرتبة الثانية: مرتبة الكتابة، ومعناها أن الله تعالى كتب مقادير كل شيء في اللوح المحفوظ، وعلى ذلك أجمع الصحابة والتابعون، وجميع أهل السنة والحديث (٤).

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: (كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة قال وعرشه على الماء) (٥).

والأدلة على هذه المرتبة من الكتاب والسنة كثيرة جداً (٦).

---

(١) القدرية: نفاة القدر، وأول من قال بنفي القدر معبد الجهني كما ذكرت أكثر المصادر وقتل صبراً في زمن الحجاج عند خروجه مع ابن الأشعث، وقيل أنه مات مصلوباً بدمشق لبدعته في القدر والقدرية قسمان: ١- فرقة الغلاة نفاة العلم السابق، وأن الله لا يعلم الأشياء إلا بعد وقوعها وأن الأمر أنف.
٢- فرقة القدرية المجوسية نفاة المشيئة وا لخلق وهم جمهور المعتزلة ومن وافقهم من الخوارج والمرجئة والشيعة. الفصل في الملل والنحل لابن حزم(٣/ ٨٢)، الملل والنحل(١/ ٣٠)، (١/ ٤٥)، مجموع الفتاوى (٧/ ٢٦٤)، ميزان الاعتدال (٤/ ١٤١)، تهذيب التهذيب (١٠/ ٢٠٣-٢٠٤).

(٢) سورة يونس، الآية: ٦١.

(٣) انظر: السنة للخلال ص٥٢٩ – ٥٣٠، الإبانة للأشعري ص٢٠٣، شرح أصول الاعتقاد للألكائي (٤/ ٧٠٦ وما بعدها) مجموع الفتاوى(٨/ ٤٩١-٤٩٧).

(٤) انظر شفاء العليل لابن القيم، ص٧٧.

(٥) رواه مسلم في كتاب القدر، رقم: ٢٦٥٣ (٤/ ٢٠٤٤).

(٦) انظر: شفاء العليل من ص٧٣ إلى ص٧٩، معارج القبول (٣/ ٩٢٤-٩٤٠).

المرتبة الثالثة: المشيئة، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، قال ابن القيم - رحمه الله -، وهذه المرتبة قد دل عليها إجماع الرسل من أولهم إلى آخرهم، وجميع الكتب المنزلة من عند الله، والفطرة التي فطر الله عليها خلقه، وأدلة العقول والعيان .. والمسلمون من أولهم إلى آخرهم مجمعون على أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن»[1] ا.هـ.

والإيمان بها إيمان بحقيقة الربوبية، إذ لا يجري في الكون إلا ما يشاؤه الرب تعالى، فالخلق خلقه، والعباد عباده، والرزق رزقه، والعطاء عطاؤه والمنع منعه، إذ لا مالك غيره، ولا رب سواه[2].

وهذه المشيئة متعلقة بالأمر الكوني القدري، وهي مستلزمة لوقوع المراد، ولا يلزم منها الحب والبغض، كما شاء الله تعالى خلق الشيطان والكفار وهو يبغضهم، وكذلك خلقه من الأفعال ما يبغضه ويسخطه، كالكفر والشرك والنفاق، فهو سبحانه يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، لا يسأل عما يفعل.

وأما المحبة والرضا فمتعلقها أمره الديني، وهذا لا يستلزم الوقوع، إذ قد يحب الله تعالى أمراً، ولا يشاؤه، فلا يقع لعدم المشيئة، قد يشاؤه ويحبه فيقع[3].

والأدلة عليها من الكتاب والسنة كثيرة جداً، وقد عقد البخاري - رحمه الله - في صحيحه باباً في المشيئة والإرادة[4]. قال تعالى: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾[6]، وقال تعالى:

---

(١) شفاء العليل لابن القيم ص٨٠ .

(٢) انظر المرجع السابق ص٨٠-٩٠ .

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ١٨٨-١٩٠)، (٨/ ١٩٧-٢٠٠)، ومنهاج السنة لابن تيمية (٣/ ١٦-١٧) (٣/ ١٨٠)، شفاء العليل ص٨٨-٩٠ و٤٤٥ - ٤٤٨، وفتح الباري (١٣/ ٤٥٨-٤٥٩).

(٤) انظر صحيح البخاري كتاب التوحيد، باب في المشيئة والإرادة (٦/ ٢٧١٥).

(٥) سورة الإنسان، الآية: ٣٠ .

(٦) سورة القصص، الآية: ٥٦ .

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ (١) .

المرتبة الرابعة: الخلق ، وتعني الإيمان بأن الله خالق كل شيء ، فما في ذلك أفعال العباد ، وقدرهم ، وآجالهم ، وهذه المرتبة اتفق عليها أهل الإسلام واتفقت عليها الكتب الإلهية ، ونازع فيها والتي قبلها طوائف من القدرية (٢) – كما سبق – ، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ ﴾ (٣) .

قال ابن القيم – رحمه الله – : «وهذا عام محفوظ لا يخرج عنه شيء من العالم أعيانه وأفعاله ، وحركاته وسكناته ، وليس مخصوصاً بذاته وصفاته ، فإن الخالق بذاته وصفاته وما سواه مخلوق له» (٤) ا .هـ .

ومنكر هذه المرتبة مبتدع ضال ، ولا يحكم بكفره ، ما لم ينكر العلم (٥) ولا يكتمل إيمان العبد ، إلا بإيمانه بها جميعاً (٦) .

قال الإمام النووي: «تظاهرت الأدلة القطعية من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة ، وأهل الحل والعقد ، من السلف والخلف على إثبات قدر الله سبحانه وتعالى» (٧) ا .هـ .

وقال الإمام الشوكاني – رحمه الله – : «الإيمان بالقدر خيره وشره فهي الخصلة العظمى التي تتفاوت فيها الأقوام بكثير من الدرجات ، فمن رسخ قدمه في هذه الخصلة

---

(١) سورة البقرة ، الآية: ١٨٥ .

(٢) انظر:منهاج السنة لابن تيمية (٣/ ١٢-١٣) ، و(٣/ ١٢٨ ، ١٢٩) ، وشفاء العليل لابن القيم ص٩١ .

(٣) سورة الزمر ، الآية: ٦٢ .

(٤) شفاء العليل ، ص٩٧ .

(٥) انظر الإيمان لابن تيمية ص٣٦٩ ، تخريج العلامة ناصر الدين الألباني ، ط . عام ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م ، المكتب الإسلامي ، بيروت .

(٦) انظر: الواسطية لابن تيمية ص٢٢-٢٣ ، جامع الحلوم والحكم لابن رجب (١/ ١٠٣-١٠٤) ، لمعة الاعتقاد مع شرحها لابن عثيمين ص٩٢-٩٣ ، القضاء والقدر ، د . عبدالرحمن المحمود ص٢٣-٥٨ .

(٧) صحيح مسلم بشرح النووي (٢/ ١٥٥) .

ارتفعت طبقته في الإيمان» [١] ا.هـ.

وللشيطان في القضاء والقدر مكايد واضحة: فعن أبي هريرة - ﷺ - قال: قال رسول الله ﷺ: (**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا، كان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان**) [٢]، وفي رواية ابن حبان (وإياك واللو فإن اللو تفتح عمل الشيطان) [٣].

ومعنى فإن لو تفتح عمل الشيطان «أي من الجزع والعجز واللوم والسخط من القضاء والقدر، ونحو ذلك، ولهذا من قالها على وجه النهي عنه فإن سلم من التكذيب بالقضاء والقدر لم يسلم من المعاندة له واعتقاد أنه لو فعل ما زعم لم يقع المقدور.. وهذا من عمل الشيطان» [٤]، حيث «يلقى في القلب معارضة القدر ويوسوس به» [٥].

والحديث فيه حث على مباشرة الأسباب النافعة في دينه ودنياه سواء واجبة أو مستحبة أو مباحة، ويكون عند مباشرتها متعلقاً قلبه بالله مستعيناً به. ونهاه عن العجز وأمره بالتسليم لقضاء الله وقدره صابراً محتسباً، حتى لا يقع في مصيدة الشيطان ووسوسته، فيكذب بالقدر [٦] قال ابن القيم - رحمه الله -: «فلهذا كان هذا الحديث مما لا يستغنى عنه أبداً بل هو أشد شيء إليه ضرورة، وهو يتضمن إثبات القدر، والكسب والاختيار والقيام بالعبودية ظاهراً وباطناً في حالتي حصول المطلوب وعدمه» [٧] ا.هـ.

---

(١) قطر الولي على حديث الولي ص٤١٣ للشوكاني.
(٢) رواه مسلم، رقم: ٢٦٦٤، (٤/٢٠٥٢)، وابن ماجه في المقدمة رقم: ٧٩ (١/٣١).
(٣) رواه ابن حبان في صحيحه رقم: ٥٧٢١ (١٣/٢٨).
(٤) شرح كتاب التوحيد لسليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، ص٦٠٢.
(٥) شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/٢١٦).
(٦) انظر فتح المجيد للشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، ص ٥٣٨-٥٤٢.
(٧) شفاء العليل ص١٩.

وإذا فات العبد أمر من أموره، فله في تلقي الأمر حالتان:

الأولى: رفض وجزع وتسخط يفضي به إلى العجز الذي هو مفتاح عمل الشيطان، والعجز ينافي الحرص، والعاجز قاعد عن الأسباب غير مستعين بالله.

الثاني: تسليم ورضا، ونظر إلى القدر، وأنه لو لم يشأ الله لم يقع، وهذا هو الحرص على ما ينفع العبد، والإعراض عما لا يفيده من التألم لفوات المقدور [(١)]، مادام أنه فعله على الوجه المأمور به شرعاً.

روي عن أبي الدرداء - ﷺ - عن النبي ﷺ قال: **«لكل شيء حقيقة، وما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه»** [(٢)].

وقال ابن عباس - ﷺ - : (القدر نظام التوحيد فمن وحد الله عز وجل وكذب بالقدر، كان تكذيبه بالقدر نقضاً للتوحيد، ومن وحد الله وآمن بالقدر، كانت العروة الوثقى) [(٣)]، وتظهر مكايد الشيطان وأساليبه في التكذيب بالقدر في عدة مسائل:

الأولى: الاعتراض على الشرع. كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [(٤)].

وهذه الآية نزلت في عبدالله بن أبي بن سلول زعيم المنافقين عندما تخلف عن غزوة أحد، ورجع بثلث جيش المسلمين، فلما انتهت الغزوة واستشهد من استشهد من المؤمنين قال المنافقون لو سمع أولئك مشورتنا ما قتلوا، فرد الله تعالى مقولتهم هذه مكذباً لهم في اعتراضهم على الشرع بأن يدفعوا عن أنفسهم الموت، وهو لا شك آت

---

(١) المرجع السابق، والقول المفيد لابن عثيمين (٣/ ١٣٢).

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده (٦/ ٤٤١-٤٤٢)، وأبو عاصم في السنة رقم: ٢٤٧٦ (١/ ١١٠) وقال الألباني في تخريجه: حديث صحيح، رجاله ثقات، ظلال الجنة (١/ ١١٠).

(٣) رواه الآجُرّي في الشريعة ص٢١، و اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد رقم: ١١١٢ (٣/ ٦٢٣)، وقال الألباني: «ضعيف موقوفاً ومرفوعاً» ا.هـ تخريج العقيدة الطحاوية ص٢٥٠.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٦٨.

إليهم ولو كانوا في بروج مشيدة [١]، وسيأتي لذلك مزيد إيضاح في الفصل القادم إن شاء الله .

الثانية: الاعتراض على القدر : قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ ﴾ [٢] . حيث كان المشركون يعترضون على ما أصاب إخوانهم في السفر أو الغزو ويقولون لو قعدوا عندنا ما أصابهم الموت ، وفي هذا اعتراض على قدر الله ، مع نفوذه فجعل الله ذلك في قلوبهم حسرة وندم [٣] .

ومنه قوله تعالى: ﴿ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَـٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ﴾ [٤] . وفي الآية اعتراض على الشرع أيضاً لعتابهم للرسول ﷺ على خروجه بدون موافقتهم [٥] .

الثالثة: الندم والحسرة : كما في الحديث (وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا فإن «لو» تفتح عمل الشيطان) ، وهذا الندم والحسرة يؤديان إلى انقباض النفس وكسلها ، وربما أقعدها عن السير ، وهو ما يهدف إليه الشيطان ، ولهذا حث الرسول ﷺ على الاستعانة بالله وعدم العجز [٦] .

ولا يدخل في ذلك تمني الخير كما في الحديث في قصة النفر الأربعة الذين قال أحدهم (**لو أن لي مالا لعملت بعمل فلان فهو بنيته فهما في الأجر سواء . . .**) [٧] الحديث ، وما

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ١٥٢) ، فتح المجيد ، ص٥٣٨ ، القول المفيد لابن عثيمين (٣/ ١٢٢-١٢٣) .

(٢) سورة آل عمران ، الآية: ١٥٦ .

(٣) انظر تفسير ابن كثير (٢/ ١٤٠) .

(٤) سورة آل عمران ، الآية: ١٥٤ .

(٥) انظر القول المفيد لابن عثيمين (٣/ ١٢٥) .

(٦) انظر القول المفيد لابن عثيمين (٣/ ١٢٣) .

(٧) رواه الإمام أحمد (٤/ ٢٣٠ – ٢٣١) والترمذي ، رقم: ٢٣٢٦ (٧/ ٨١) وقال: «حسن صحيح» ا .هـ ، واللفظ له ، وابن ماجه ، رقم: ٤٢٢٨ (٢/ ١٤١٣) عن أبي كبشة عمرو بن سعد الأنماري .

لايقع كقول الرسول ﷺ : (**لو لا حدثان عهد قومك بالكفر لنقضت البيت ثم لبنيته على أساس إبراهيم فإن قريشاً استنصرت بناءه وجعلت له خلفاً**)[١] فهذا من المستقبل الذي لم يقع ، ولا اعتراض فيه على القدر فلا كراهة فيه[٢] .

كما لا يدخل فيه «التأسف على أمور الدين ومصالح الشرع» [٣] كقول الرسول ﷺ : (**لو أني استقبلت من أمري ما سقت الهدي معي حتى اشتريته ثم أحل**) [٤] .

رابعاً: نفي خلق الله لأفعال العباد : كقول القدرية المجوسية – كما سيأتي إن شاء الله[٥] ، حيث نسبوا الفعل للعبد ، وقالوا إنه يخلق فعله ، وإن الله لا يخلق في العبد الكفر والمعاصي ، واستدلوا بأدلة نقلية وعقلية .

منها: قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾[٦] . فقالوا «فقد خبر الله أنه هدى ثمود الكفار ، فلم يهتدوا ، فأخذتهم الصاعقة بكفرهم»[٧] ، ومنها قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾ [٨] . فقالوا: إن الله أثبت مشيئة للعبد ، ومنها قوله تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ ﴾[٩] .

فقالوا: «إن العباد يصدر منهم الإيمان والكفر ، فدل على أنهم **يخلقون أفعالهم**»[١٠] .

---

(١) رواه البخاري ، رقم: ١٥٠٨ (٢/ ٥٧٤) ، ومسلم في كتاب: «الحج» رقم: ١٣٣٣ (٢/ ٩٧٢) .
(٢) انظر شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/ ٢١٦) .
(٣) صحيح مسلم بشرح النووي (٨/ ١٥٥-١٥٦) ، وانظر القول المفيد (٣/ ١٢٤) .
(٤) رواه البخاري ، رقم: ٦٨٠٢ ، ورواه ، رقم:١٢١١ (٢/ ٨٧٩) واللفظ له .
(٥) انظر ص ٧٦٦ .
(٦) سورة فصلت ، الآية: ١٧ .
(٧) رسالة إنقاذ البشر من الجبر والقدر ، ضمن رسائل العدل والتوحيد (١/ ٣٢٤) .
(٨) سورة الكهف ، الآية: ٢٩ .
(٩) سورة الإسراء ، الآية: ٩٤ .
(١٠) انظر: رسالة إنقاذ البشر من الجبرو القدر ، ضمن رسائل العدل والتوحيد (١/ ٣٢٤) ، شرح

فقالوا: «فلو كان الإيمان من جهة الله تعالى وموقوفاً على اختياره، حتى إن خلق كان، وإن لم يخلق لم يكن، لكان لا يكون لهذا الكلام معنى ؛ لأن للمكلف أن يقول: الذي منعني منه أنك تخلقه فيَّ، وخلقت فيَّ ضده الذي هو الكفر» (١) .

وهذه الأدلة النقلية استدلوا بها لأنها توافق العقل، وإلا فهم يقولون إن هذه المسألة لا يستدل عليها بالسمع بناء على منهجهم في تقديم العقل على النقل (٢) .

وأما الأدلة العقلية فلهم شبهات كثيرة زيَّنها لهم الشيطان، منها قوله: «لو أراد المعاصي، والقبائح والكفر لوجب أن يكونوا مطيعين لله تعالى بمعاصيهم؛ لأنهم فعلوا ما أراد الله تعالى» (٣) ، وقولهم: إنه تعالى لو خلق الأفعال بما فيها من ظلم ونسق، لوجب كونه تعالى ظالماً جائراً (٤) !!

وبالتأمل في أدلة القدرية يتبين لنا أن هناك عدة أسباب هي سبب ضلالهم وانحرافهم عن الحق:

منها: عدم استطاعتهم أن يجمعوا بين العدل والقدر، لأن القدر عندهم أن يعاقب العبد على ما قضاه الله وقدره عليه، والعدل ينافي ذلك – على زعمهم – فنفوا القدر ليثبتوا العدل، فصار عدلهم تكذيباً بالقدر، كما أن توحيدهم نفي الصفات وتعطيل الكمال (٥) .

ومنها: اعتقادهم أن الإرادة تستلزم الأمر، فما أراده الله تعالى فقد أمر به، ولم

الأصول الخمسة ص٣٥٤-٣٥٥، الرد على المجبرة ضمن رسائل العدل والتوحيد (٢/ ٣٩ وما بعدها).

(١) شرح الأصول الخمسة ص٣٦٠، وانظر في سرد أدلتهم النقلية رسالة الرد على المجبرة ضمن رسائل العدل والتوحيد (٢/ ٣٩) وما بعدها.

(٢) انظر شرح الأصول الخمسة ص٣٥٤ – ٣٥٥.

(٣) المرجع السابق ص٤٦٠، وانظر رسالة الرد على المجبرة (٢/ ٥٨) وما بعدها.

(٤) انظر شرح الأصول الخمسة ص٣٤٥، وانظر أدلتهم العقلية في رسالة الرد على المجبرة ضمن رسائل العدل والتوحيد (٢/ ٥٤) وما بعدها.

(٥) الفوائد لابن القيم ص٤٨ .

يفرقوا بين الإرادة الكونية القدرية، والإرادة الشرعية الدينية المستلزمة للأمر، ويبطل قولهم هذا إجماع المسلمين على أن الله لم يأمر بالسرقة، ومن قال بذلك كفر، ومع ذلك إذا سرق فلا يقال: إن الله تعالى لم يرد سرقته، ولكن نقول: علم الله تعالى ذلك وشاءه، ومع ذلك جعل للعبد قدرة واختياراً على الفعل، وهو مسؤول عن عمله ومعاقب عليه وإقامة الحد عليه بقدر الله (١) .

ومنها: قولهم بنفي نسبة القبيح إلى الله تعالى، وهو ضلال، لأن الفعل القبيح ينسب إلى الله تعالى خلقاً لا فعلاً، فالخلق غير المخلوق، والفعل غير المفعول، وإلا لزم إثبات خالق مع الله (٢) .

ويرد عليهم بقوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾(٣)، وقوله تعالى:﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾(٤) .

ووجه الدلالة: إن الهداية المذكورة في الآيتين هي هداية التوفيق (٥) وهي تستلزم

---

(١) منهاج السنة (٣/ ٢٢٩-٢٣٠)، شفاء العليل ص٤٦٥ .

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٨/ ٥١١)، شفاء العليل ص١٥٥ .

(٣) سورة يونس، الآية: ٣٣ .

(٤) سورة يونس، الآيتان: ٩٩-١٠٠ .

(٥) الهداية في كتاب الله تعالى على أربع مراتب كما ذكره المحققون من العلماء:
المرتبة الأولى: الهداية العامة، وهي هداية كل مخلوق لما يصلح أمور معاشه ،وهي أعم المراتب، وهي شاملة لجميع المخلوقات، قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ طه، الآية: ٥٠ .

المرتبة الثانية: هداية الإرشاد والدعوة والبيان، وهي أخص من التي قبلها حيث إنها مختصة بالمكلفين من الخلق، وا لمراد بها دعوة الخلق وبيان الحق لهم، وهي حجة الله على خلقه فلا يعذب أحداً إلا بعد إرسال الرسل وإنزال الكتب قال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾ [النساء: ١٦٥]، وهذه الهداية هي التي أثبتها الله عز وجل لنبيه في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى:٥٢] .

أمرين: **الأول**: فعل الرب تعالى، وهو الهدى.

الثاني: فعل العبد وهو الاهتداء، وهو أثر فعله سبحانه فهو الهادي والعبد المهتدي، ولا سبيل إلى وجود الأثر إلا بمؤثره التام، فإن لم يحصل فعله لم يحصل فعل العبد، ولهذا قال تعالى: ﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾(١) . وفي هذا بيان أن الله تعالى إذا أراد إضلال عبد لم يستطع أحد هدايته وهذا ما اتفق عليه أهل السنة (٢) .

وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾، رد عليهم أيضاً إذ لو كان المراد هداية البيان والإرشاد، لما صح تقييدها بالمشيئة، إذ هي عامة لجميع الخلق، فدل تقييدها بالمشيئة على أنها خاصة لمن آمن واتبع ما أمره الله (٣) .

= ١- في الآيات السمعية وهي متمثلة فيما يلي:
أ- إرسال الرسل. ب- إنزال الكتب.
٢- في الآيات الكونية والنظر في الآفاق.
٣- بيان الصراط المستقيم، وإقامة أسباب الهداية.
انظر: أصول الدين للبغدادي ١٤١-١٤٢، المفردات للراغب ص٥٣٨، شفاء العليل ١٣٩ - ١٤١.
المرتبة الثالثة: هداية التوفيق والإلهام وخلق المشيئة المستلزمة للفعل وهذه لا يقدر عليها إلا الله سبحانه وتعالى، فمن شاء هدايته اهتدى، ومن شاء ضلاله ضل، وهي أخص مما قبلها إذ هي خاصة للمهتدين من المكلفين، وهي حتمية الوقوع وهي التي نفاها تعالى عن رسوله ﷺ في قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص:٥٦] وهذه المرتبة التي ضلَّ فيها القدرية والجبرية كما سيأتي إن شاء الله. انظر: شفاء العليل ص١٤١، مدارج السالكين (١/ ٤٣) المفردات للراغب ص٥٣٨ .
المرتبة الرابعة: الهداية إلى طريق الجنة أو طريق النار - والعياذ بالله - وهذه الهداية تكون في الآخرة بعد الحساب والجزاء. قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾ [محمد:٤-٥] . فهذه الهداية حاصلة لهم بعد قتلهم، فدلَّ على أن المراد بها هداية إلى طريق الجنة على القول الراجح، انظر شفاء العليل ص١٤٨، وانظر جامع البيان (١١/ ٨٨-٨٩)، وتفسير ابن كثير (٣/ ٤٨٦).

(٢) انظر شفاء العليل ص١٤١، درء تعارض العقل، والنقل لابن تيمية (٨/ ٣٧٩).

(٣) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص١٠٨-١٠٩، الإبانة للأشعري ص١٩١ .

وقد نفى الله عز وجل القدرة على الهداية عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ﴾[1] . فلو أعطاها الله لأحد لكان أحق بها رسول الله ﷺ ، فالعبد الفقير أعجز من باب أولى عن خلق أي عمل من أعماله ، بل هو مخلوق بعمله ، وقدرته وإرادته ، فتبين أن الله تعالى هو الذي يهدي من يشاء ، ويضل من يشاء ، ومن قال: إن ذلك للعبد ، فقد جعل العبد قادراً على ما يقدر عليه الله تعالى من القدرة والسلطان ، ونظيره قول من قال: إن الله أعطى العباد علم ما لم يعلمه ، وهذا محال ، فكذلك القدرة لا يقدرهم على ما لا يقدر عليه ، فمن فرق بينهما فعليه الدليل[2] .

وإذا جاز عندهم أن يثبت العبد على فعله الاختياري الذي هو بتوفيق الله له ، فلم لا يجوز أن ينعم عليه ابتداء بتوفيقه لهذا العمل واختياره للهدى دون الضلال [3] ولو سأل سائل هل يكون الإيمان مقدوراً للعبد الذي لم يشأ الله له الإيمان؟ فالجواب على ذلك أن يقال:

إن القدرة التي هي شرط في الأمر موجودة لدى الكافر والمؤمن قبل الفعل ، وهي مناط التكليف ، وتكون موجودة مع المؤمن عند الفعل ، وهو الصحيح أن القدرة توجد قبل الفعل ومعه كما قرر ذلك شيخ الإسلام[4] ابن تيمية – رحمه الله – . وأما القدرة التي هي مستلزمة للفعل فلا توجد إلا مع الفعل وهي مختصة بالمطيع ، وليست شرطاً في التكليف ، فالقدرة الأولى عدله أعطاه تعالى جميع خلقه ولم يكلفهم بما لا يطيقون ، والثانية فضله يختص به من يشاء ، وعلى هذا اتفق علماء السلف والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ

---

(١) سورة القصص ، الآية: ٥٦ .

(٢) انظر: الإبانة للأشعري ص١٦٧ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، الحجة في بيان المحجة (٢/ ٤١٤-٤١٥) .

(٣) انظر: منهاج السنة (٣/ ٢٦٣-٢٦٤) .

(٤) انظر مجموع الفتاوى (٨/ ٣٧١ وما بعدها) .

وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ ﴾[(١)] .

فدل على أن الله تعالى اختص المؤمنين بمزيد فضل، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء[(٢)]، وإضلال الله تعالى للعبد نوعان:

الأول: ما يكون جزاء للكافر على كفره وإعراضه عن الحق، كما في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ ﴾[(٣)] .

الثاني: ما يفعله الله تعالى بالعبد ابتداء، لعلمه السابق أنه لا يقدر نعمة الهداية، ولا يؤدي حق الله تعالى عليه في شكرها، فهو غير صالح للهداية أصلاً[(٤)] كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرًا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴾[(٥)].

ومن الأدلة على خلقه تعالى لأفعال العباد قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ ﴾[(٦)] . فقوله: ﴿ يُسَيِّرُكُمۡ ﴾ دليل على خلقه لأفعال العباد، فالتسيير فعل الله والسير فعل العبد، كذلك الهداية والضلال فعله، فهو الهادي وهو المضل، والعبد هو المهتدي وهو الضال، وهذه حقيقة لا مجازاً[(٧)] .

وليس لأحد أن يزعم أن تعذيب الله تعالى للكافر على كفره مع إرادته لذلك يعد ظلماً ومزيد بيان ذلك في الأوجه التالية:

الأول: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[(٨)]، وقوله تعالى: ﴿ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾[(١)] .

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ٧ .
(٢) انظر: منهاج السنة (٣/ ٤٤-٤٥) (٣/ ٥٤-٧٢) (٣/ ١١٨-١١٩) .
(٣) سورة الصف، الآية: ٥ .
(٤) الفوائد لابن القيم ص ٤٨-٤٩، عقيدة المسلمين والرد على الملحدين، للبليهي ص٢٩٧-٣٠٠ .
(٥) سورة الأنفال، الآية: ٢٣ .
(٦) سورة يونس، الآية: ٢٢ .
(٧) انظر: منهاج السنة (٣/ ١١١-١١٢)، شفاء العليل ص١٠٦ .
(٨) سورة يونس، الآية: ٤٤ .

وفي هاتين الآيتين نفي للظلم عن الله تعالى ، فإذا أمر الله عباده بالفعل ، وبين لهم الطريق ، ومكنهم من الأسباب والشروط ، فعصوه ، ولم يعنهم على الطاعة عقوبة لهم ، وعاقبهم على ذلك ، كان ذلك عدلاً منه ، لأن العبد عوقب على فعله ، ومثال ذلك – ولله المثل الأعلى – السارق إذا سرق فقطع الإمام يده فلا شك أن هذا الإمام عادل ويشكر على إقامته الحد ، ولو احتج هذا السارق بالقدر لم يقبل منه ، وكذلك الكافر لو احتج على الله بالقدر لم يكن هذا عذراً مقبولاً ، فالقدر ليس حجة لأحد ، والله تعالى قد أمره ونهاه ، ثم عاقبه بعد ذلك على مقتضى عدله وحكمته وعلمه (٢) .

الثاني: إن الإعانة على الفعل ليست هي الفعل ، فإذا أعان الله تعالى العبد على الطاعة فذلك فضله ، وأما الطاعة ففعل العبد ، والعبد لا يقول لا أفعل ذلك الفعل الذي هو من مصلحتي ، ما لم يخلق الله فيَّ الفعل ، ومثال ذلك لو أن سيلاً انحدر على شخص من منحدر لم يكن له أن يقول أجلس في مكاني حتى يخلق الله في الهرب ، بل تراه يبادر إلى الهرب .

الثالث: إن ما اعتقدته القدرية من نفي خلق الله تعالى لأفعال العباد ؛ لأن خلقه لها ثم معاقبتهم على فعلها يعد ظلماً ، يرد عليهم بالقول: إن ما أثبتوه من خلق العبد لفعله ، يقتضي وصف الله بالنقص ، إذ هذا يلزم منه أن يكون الله تعالى قادراً على البعض غير قادر على البعض الآخر ، مع أن الجميع داخل في ملكه ، فشمول خلقه وقدرته على كل شيء ، أكمل من شموله الخلق والقدرة لشيء دون والرب لا يوصف إلا بالكمال المطلق .

الرابع: أن الظلم يراد به أمران:

١- التصرف في ملك الغير بلا إذن .

٢- مخالفة الأمر الذي ينبغي طاعته ، والله جل وعلا ، لا تجب عليه طاعة مخلوق ،

---

(١) سورة يونس ، الآية: ٥٤ .

(٢) انظر منهاج السنة لابن تيمية (٣/ ٣٣-٣٥) .

وكلنا عبيده، وتحت تصرفه، والمالك يتصرف في ملكه كما يشاء وكونه تعالى لا يظلم ليس عجزاً ولا امتناعاً، وإنما لكمال عدله.

الخامس: إن قولهم «لوجب أن يكون ظالماً جائراً» دعوى مجردة من الدليل، ولا دليل لهم سوى القياس الفاسد الذي هو أفسد القياس وهو قياس أفعال الرب على أفعال العباد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : «لا نزال بين المسلمين أن الله عادل ليس بظالم، لكن ليس كل ما كان ظلماً من العبد يكون ظلماً من الرب، ولا ما كان قبيحاً من العبيد يكون قبيحاً من الرب» [1] ا.هـ.

فلهذا صاروا مشبهة الأفعال، وعلم البشر قاصر، وهم لا يعلمون من حكمة الله وعلمه إلا ما علمهم منها، فلا يكون عدم علمهم دليلاً على نفي الحكمة والعلم اللذين لم يعلماهما.

فمثلاً تبين لنا أن الإنسان يفعل ما فيه إيلام وضرر بالحيوان كالذبح مثلاً، لمصلحة راجحة عنده، ومعلوم أن ذلك لا يعد ظلماً منه قبيحاً [2].

ومن الأدلة في الرد على القدرية قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾[3]. وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[4].

ففي هذه الآيات دليل واضح على أن الطبع على القلوب من فعل الله تعالى ومثل

---

(١) منهاج السنة لابن تيمية (٢/ ١٥١).

(٢) انظر: الشريعة للآجري ص١٥١، مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦/ ١٢٥-١٣٠) و(٨/ ٢٦٢-٢٦٥)، جامع الرسائل ص١٢١ وما بعدها، منهاج السنة لابن تيمية (٣/ ٣٣-٣٨)، (٣/ ١٥١)، والفوائد ص٤٨، شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص٥٢١ – ٥٢.

(٣) سورة يونس، الآية: ٧٤ .

(٤) سورة يونس، الآية: ٩٦ .

الختم، والرين، والموت والغشاوة، والقساوة، والشدة ..

وبهذا تبطل أقوال القدرية وحججهم الواهية، وقد أُثر عن أئمة السلف – رحمهم الله – قولهم «ناظروا القدرية بالعلم، فإن أنكروا العلم رجعوا، وإن اعترفوا به خصموا» ومعنى ذلك أن يقال لهم هل تؤمنون بعلم الله تعالى لما كان وما يكون فإن قالوا: لا كفروا، إذا أنكروا النصوص الصريحة من الكتاب والسنة، وإن قالوا: نعم رجعوا عن مذهبهم الباطل، إذ كيف يعلم الله تعالى الأشياء بما فيها أعمال العباد، ثم لم يقدرها ولم يردها، وهذا تناقض ظاهر، فإما أن ينكروا العلم والمشيئة والخلق كأسلافهم من القدرية، وإما أن يثبتوا العلم والمشيئة والخلق كما هو مذهب أهل السنة والجماعة[(١)] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : «أفعال العباد مخلوقة باتفاق سلف الأمة وأئمتها، كما نص على ذلك سائر أئمة الإسلام: الإمام أحمد ومن قبله وبعده، حتى قال بعضهم: من قال: إن أفعال العباد غير مخلوقة فهو بمنزلة من قال: إن السماء والأرض غير مخلوقة» [(٢)] ا.هـ.



(١) جامع العلوم والحكم لابن رجب (١/ ١٠٣)، الدرة البهية لابن سعدي ص٢٠-٢١ .

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٨/ ٤٠٦).

المبحث الثاني

توحيد الألوهية

وأما هذا التوحيد فمكايده فيه عظيمة لا تحصى، وهو سبب طرده وإبعاده إلى نار تلظى، لهذا شمَّر عن ساعده وجمع ذريته وأعوانه لصد الناس عن عبادة الله تعالى.

وقبل بيان مكايده وأساليبه في هذا التوحيد أعرف به باختصار، فالألوهية مأخوذ من آله، الاهةً وألوهة، وهي العبادة، والجمع آلهة، والإله كل ما عبد بحق، وهو الله عز وجل، أو بغير حق كالأصنام وغيرها مما يعبد من دون الله عز وجل [(١)].

وقيل مأخوذ من «الإلهِ، وتقديرها فُعلانية بالضم: تقول إلاه بين الإلاهية والألهانية، وأصله من أله يأله إذا تحير، يريد إذا وقع العبد في عظمة الله تعالى وجلاله... وصرف وهمه إليها أبغض الناس حتى لا يميل قلبه إلى أحد» [(٢)].

وقيل: مأخوذ من ولاه، وقيل: لاه يلوه لياها وفيه أقوال أخرى [(٣)]، وأما معنى توحيد الألوهية في الشرع، فالمراد به إخلاص العبادة لله تعالى وحده لا شريك له، والعبادة هي: «اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة» [(٤)].

فلا يدعى إلا الله، ولا يستغاث إلا به، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يذبح إلا له، ولا يطاع إلا هو، ولا يرجى إلا هو.... إلخ.

وهذا هو التوحيد الطلبي، القصدي، الإرادي العملي الذي بينه تعالى في آيات كثيرة في كتابه العزيز منها، قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا

---

(١) انظر: لسان العرب (١٣/ ٤٦٧ وما بعدها)، والقاموس المحيط، ص ١٦٠٣.
(٢) النهاية في غريب الحديث (١/ ٦٢)، والصحاح (٦/ ٢٢٢٤)، ولسان العرب (١٣/ ٤٦٩).
(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ص ٢١-٢٢.
(٤) العبودية لابن تيمية، ص ٤، ومجموع الفتاوى (١٤/ ٣٧٨-٣٨٠)، بدائع الفوائد، (١/ ١٣٨).

تَعۡبُدُونَ ۝ وَلَآ أَنتُمۡ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝ ﴾[(١)] .

وهو الذي من أجله بعث الله الرسل مبشرين ومنذرين ، فكل نبي أرسل في قومه دعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَـٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَـٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝ ﴾[(٢)] ، وهذا هود - عليه السلام - يقول: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودًاۚ قَالَ يَـٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَـٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝ ﴾[(٣)] ، وهذا صالح يقول: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَـٰلِحًاۚ قَالَ يَـٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَـٰهٍ غَيۡرُهُۥ ﴾[(٤)] ، وهذا شعيب يقول: ﴿ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبًاۚ قَالَ يَـٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَـٰهٍ غَيۡرُهُۥ ﴾[(٥)] .

ومن أجل هذا التوحيد كانت الخصومة بين الأنبياء وأقوامهم ، وأنزلت لأجله الكتب ، ومن أجله قام الجهاد في سبيل الله ، وخلقت الجنة والنار ، وهذا التوحيد أنكره الكفار ، وأبوقبوله مع اعترافهم بتوحيد الربوبية ، ومع ذلك لم يقبل منهم وكانوا خالدين في النار وبئس المصير[(٦)] .

أما مكايد الشيطان في هذا التوحيد فعظيمة لا يعلمها إلا من نور الله بصيرته بنور العلم ، وحماه من كيد عدوه ، وأعانه على التسلح بسلاح التقوى ، وهداه صراطه المستقيم .

ومن أعظم مكايده للعباد إيقاعهم في الشرك الأكبر ، الذي يخلد صاحبه في النار ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ

---

(١) سورة الكافرون ، الآيات: ١-٣ .
(٢) سورة المؤمنون ، الآية: ٢٣ .
(٣) سورة الأعراف ، الآية: ٦٥ .
(٤) سورة الأعراف ، الآية: ٧٣ .
(٥) سورة الأعراف ، الآية: ٨٥ .
(٦) انظر: زاد المعاد (١/ ٣٤).

بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾[(١)] .

والمشرك محروم من الشفاعة، مستباح الدم والمال والعرض، ومن أنواع الشرك الذي أوقع الشيطان فيها العباد:

أولاً: شرك العبادة . **ثانياً**: شرك الطاعة والاتباع .

ثالثاً: شرك الدعاء . **رابعاً**: شرك الشفاعة .

خامساً: القول على الله بلا علم . **سادساً**: الردة .

أولاً: شرك العبادة: قال تعالى محذراً عباده من عبادة الشيطان: ﴿ ۞ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٦٠﴾ ﴾[(٢)]، ومعنى عبادته هنا طاعته، كما ذكر ذلك كثير من المفسرين ومنهم ابن جرير[(٣)]، وابن كثير[(٤)]، والقرطبي[(٥)]، والشوكاني[(٦)] .

وقال سبحانه مبيناً قول إبراهيم – عليه السلام – لأبيه آزر: ﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴾[(٧)] .

قال ابن كثير: «أي لا تطعه في عبادتك هذه الأصنام، فإنه هو الداعي إلى ذلك والراضي به»أ. هـ[(٨)]، قال القرطبي – رحمه الله – : «من أطاع شيئاً في معصية الله فقد

---

(١) سورة النساء، الآية: ٤٨ .

(٢) سورة يس، الآية: ٦٠ .

(٣) انظر: جامع البيان (١٢/ ٢٣) .

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ص ١١١٩، ط . دار السلام، الرياض .

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٤٧) .

(٦) انظر: فتح القدير (٤/ ٣٧٧) .

(٧) سورة مريم، الآيتان: ٤٤-٤٥ .

(٨) تفسير القرآن، لابن كثير، ص ٨٣٦، وزاد المسير، لابن الجوزي (٥/ ٢٣٦) .

عبده» أ. هـ [١]، وهذا ما يسمى بشرك الطاعة [٢].

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ ﴾ [٣]، قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي – رحمه الله: «إن الله لم يجعل له عليهم سلطاناً ابتداء البتة، ولكنهم هم الذين سلَّطوه على أنفسهم بطاعاته ودخولهم في حزبه، فلم يتسلط عليهم بقوة لأن الله يقول: ﴿ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ ﴾ [٤] وإنما تسلط عليهم بإرادتهم واختيارهم» أ. هـ [٥].

بل هناك من عبد الشيطان عبادة، فصلَّى له وأَلهه [٦]، وهؤلاء قد خصهم بمزيد ضلاله وفحشه – كما سيأتي – غير أنه لم ييأس من إضلال سائر العباد، إلا من حماه الله وخلَّصه.

فتربص لهم ليفسد عليهم عباداتهم ودينهم، ويحول بينهم وبين الوصول إلى صراط الله المستقيم، جاء في الحديث: (إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقة فقعد له بطريق الإسلام، فقال: تسلم وتذر دينك ودين آبائك وآباء أبيك فعصاه فأسلم، ثم قعد له بطريق الهجرة فقال: تهاجر وتدع أرضك وسماءك، وإنما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطول، فعصاه فهاجر، فقعد له بطريق الجهاد، فقال: تجاهد فهو جهد النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح المرأة ويقسم المال، فعصاه فجاهد، فقال رسول الله ﷺ: فمن فعل ذلك كان حقاً على الله عز وجل، أن يدخله الجنة، ومن قتل كان حقاً على الله عز وجل أن يدخله الجنة، إن غرق كان حقاً على الله أن يدخله الجنة...) [٧].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١١/ ١١١).
(٢) انظر: أضواء البيان، للشنقيطي (٤/ ٣٠٨).
(٣) سورة سبأ، الآيتان: ٢٠-٢١.
(٤) سورة النساء، الآية: ٧٦.
(٥) أضواء البيان (٣/ ٣٢٧).
(٦) سيأتي – إن شاء الله – بيان مذهب اليزيدية عبدة الشيطان.
(٧) رواه النسائي، رقم: ٣١٣٤، (٦/ ٢١-٢٢).

وهو في هذه المعركة ليس وحيداً، بل معه جنود ومناصرون، قال تعالى: ﴿ فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ (١) .

والمراد بالجنود: «كل من كان من أتباعه ومن ذريته كان أو من ذرية آدم» (٢) .

قال ابن القيم – رحمه الله – : «ومن شره أنه قعد لابن آدم بطرق الخير كلها فما من طريق من طرق الخير إلا والشيطان مرصد عليه يمنعه بجهده أن يسلكه، فإن خالفه وسلكه ثبَّطه منه وعوَّقه وشوش عليه بالمعارضات والقواطع، فإن عمله وفرغ منه قبض له ما يبطل أثره ويرده على حافرته»أ. هـ (٣) .

وقوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ (٤) ، والمعنى: «يا بني آدم لا يخدعنكم الشيطان، فيبدي سوآتكم للناس بطاعتكم إياه عند اختباره لكم، كما فعل بأبويكم آدم وحواء... فأخرجهما بما سبب لهما من مكره وخداعه من الجنة، ونزع عنهما ما كان ألبسهما من اللباس ليريهما سوآتهما بكشف عورتهما وإظهارها لأعينهما بعد أن كانت مستترة» (٥) .

ومعنى (قبيله)، قيل: صنفه وجنسه، جمع قُبُل: وهم الجن (٦) ، وقيل: أعوانه من الشياطين والجنود (٧) .

قال ابن عباس: «جعلهم الله يجرون من بني آدم مجرى الدم، وصدور بني آدم

---

(١) سورة الشعراء، الآيتان: ٩٤-٩٥ .
(٢) جامع البيان (١١/ ٨٨) .
(٣) تفسير المعوذتين، ص ١١٠ .
(٤) سورة الأعراف، الآية: ٢٧ .
(٥) جامع البيان، لابن جرير (٥/ ١٥١-١٥٢) .
(٦) انظر: المرجع السابق نفس الجزء والصفحة .
(٧) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٧/ ١٨٦)، زاد المسير، لابن الجوزي (٣/ ٤٣٦)، فتح القدير، للشوكاني (٢/ ١٩٧)، تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (٣/ ١٦)، في ظلال القرآن(١٢٧٩-١٢٨٠) .

مساكن لهم، فهم يرون بني آدم، وبني آدم لا يرونهم»[١]، وقيل: (قبيله): أي نسله وجيله[٢].

عن ابن عباس قال: «أيما رجل منكم تخيل له الشيطان حتى يراه فلا يصدن عنه، وليمض قدماً فإنهم منكم أشد فرقاً منهم فإنه إن صد عنه ركبه وإن مضى هرب منه»[٣].

ولعبادة الشيطان صور كثيرة وأشكال متعددة منها: تعظيم الأجرام السماوية وعبادتها، كالكواكب والملائكة والمخلوقات الأرضية كالأشجار والأحجار والشمس والقمر[٤].

قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴾[٥].

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَهَـٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[٦].

وهذا السؤال الموجه من الله تعالى للملائكة يوم الحشر فيه توبيخ للمشركين الذين كانوا يعبدون الأنداد على صور الملائكة، ويتقربون إلى الله تعالى بهذه العبادة، فيسألهم تعالى وهو أعلم: ﴿ أَهَـٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴾.

---

(١) زاد المسير، لابن الجوزي (٣/ ١٨٤).
(٢) انظر:الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٧/ ١٨٦)، الدر المنثور، للسيوطي (٣/ ٤٣٦).
(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٤٣٦).
(٤) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٧/ ٤٦٠).
(٥) سورة فصلت، الآيتان: ٣٧-٣٨.
(٦) سورة سبأ، الآيتان: ٤٠-٤١.

فتقول الملائكة: ﴿ سُبْحَـٰنَكَ ﴾ تنزيهاً وتقديساً لله تعالى أن يكون معه إله يعبد.

﴿ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ﴾، المراد بالجن الشياطين لأنهم زينوا لهم الشرك وعبادة غير الله وأضلوهم وزعموا أن الملائكة بنات الله فعبدوهم [١].

قال ابن القيم – رحمه الله –: «فالشيطان يدعو المشركين إلى عبادته ويوهمهم أنه ملك، كذلك عباد الشمس والقمر والكواكب يزعمون أنهم يعبدون روحانيات هذه الكواكب، وهي التي تخاطبهم وتقضي لهم الحوائج، ولهذا إذا اطلعت الشمس، قارنها الشيطان فيسجد لها الكفار فيقع سجودهم له وكذلك عند غروبها، وكذلك من عبدالمسيح وأمه لم يعبدهما وإنما عبد الشيطان، فإنه يزعم أنه يعبد من أمره بعبادته وعبادة أمه ورضيها لهم، وأمرهم بها، وهذا هو الشيطان الرجيم – لعنة الله عليه – ... فما عبد أحد من بني آدم غير الله كائناً من كان إلا وقعت عبادته للشيطان» أ. هـ [٢].

ومن ذلك عبادة الأصنام والحجارة، كما في حديث ابن عباس – رضي الله عنه – قال: (دخل رسول الله ﷺ يوم الفتح وعلى الكعبة ثلاثمائةصنم وستون صنماً، قد شدّ لهم إبليس أقدامهم بالرصاص ومعه قضيبه، فجعل يهوي به إلى كل صنم منها، فيخر لوجهه ويقول: ﴿ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ [٣] حتى أمر به عليها كلها) [٤].

ومنها صرف الاستعانة والاستغاثة والتوكل لغير الله، وذلك بما توصل به في قلوبهم من اعتقاد النفع والضر لغير الله، حتى قال قائلهم: «ملعون ابن ملعون من كان

---

(١) تفسير القرآن، لابن كثير (٥/ ٥٥٩)، زاد المسير، لابن الجوزي (٦/ ٤٦٢).

(٢) الجواب الكافي، ص ٩٩، وانظر: شفاء العليل، ص ٢٧.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٨١.

(٤) الطبراني في الكبير قم: ١٠٦٥٦، (١٠/ ٢٧٩)، والصغير رقم: ١١٥٢، (٢/ ٢٧٢)، وأصله في الصحيحين عن ابن مسعود – قال: (دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب فجعل يطعنها بعود في يده ويقول: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾.

في شدة أو في ضيق ولم يقل يا ست أو يا سيد»[١] .

وحتى قال قائلهم:

يا كعبة الأسـرار أنت غياثنا   يا كاشف الكربات يا شيخ العـرب

ومنها السجود والركوع والقيام والطواف وحلق الرأس ، وكذلك الذبح والنحر والنذر لغير الله .

وهذه كلها عبادات يشرك فيها القلب مع الجوارح ، ومن صرف منها شيئاً لغير الله فهو مشرك كافر كفراً أكبر .

قال القرطبي: «وهذا السجود المنهي عنه قد اتخذه جهال الصوفية عادة في سماعهم وعند دخولهم على مشايخهم واستغفارهم فيرى الواحد إذا أخذه الحال – بريبة – يسجد لأقدام الجهلة ، سواء كان للقبلة أو غيرها جهالة منه ، ضل سعيهم وخاب أملهم»[٢] .

قال ابن القيم – رحمه الله – : «فجاء شيوخ الضلال والمزاحمون للربوبية الذين أساس مشيختهم على الشرك والبدعة ، فأرادوا من مريديهم أن يتعبدوا لهم ، فزَّينوا لهم حلق رؤوسهم لهم ، كما زينوا لهم السجود لهم ، وسموه بغير اسمه ، وقالوا: هو وضع الرأس بين يدي الشيخ ، ولعمر الله إن السجود لله هو وضع الرأس بين يديه سبحانه ، وزيَّنوا لهم أن ينذروا لهم ، ويتوبوا لهم ، ويحلفوا بأسمائهم ، وهذا هو اتخاذهم أرباباً وآلهة من دون الله»أ . هـ[٣] .

وقال – رحمه الله –: «والمقصود إن النفوس الجاهلة الضالة أسقطت عبودية الله

---

(١) السنن والمبتدعات ، لمحمد بن أحمد الحوامدي ، ص ١١٠ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١/ ٢٩٤) .

(٣) زاد المعاد في هدى خير العباد ، لابن القيم (٤/ ١٥٩) ، وقال الحافظ الذهبي في ترجمة نفيسة بنت الحسن بن زين العابدين بن الحسن بن علي بن أبي طالب القرشية الهاشمية: «وللجهلة المصريين فيها اعتقاد يتجاوز الوصف ، ولا يجوز مما فيه من الشرك ، ويسجدون لها ، ويلتمسون منها المغفرة وكان ذلك من دسائس دعاة العبيدية»أ . هـ ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٠٦) .

سبحانه وأشركت فيها من تعظمه من الخلق، فسجدت لغير الله، وركعت له، وقامت بين يديه قيام الصلاة، وحلفت بغيره، ونذرت لغيره، وحلقت لغيره، وذبحت لغير بيته، وطافت لغير بيته، وعظمته بالحب والخوف، والرجاء، والطاعة، كما يعظم الخالق، بل أشد، وهؤلاء هم المضادون لدعوة الرسل، وهم الذين بربهم يعدلون»[١].

ويقول شيخ الإسلام - رحمه الله - في تحريم الطواف لغير الكعبة: «ليس في الأرض مكان يطاف به، كما يطاف بالكعبة، ومن اعتقد أن الطواف لغيرها مشروع فهو شر ممن يعتقد جواز الصلاة إلى غير الكعبة...» أ. هـ[٢].

ومن أمثلة هذه العبادة في عصرنا الحاضر، القيام في البرلمان مطأطأً الرؤوس لمدة خمس دقائق عند موت زعيم في الدولة. والركوع عند دخول البرلمان احتراماً له إذ مكنه من الكلام أمام الناس، ومنه: الركوع على المسرح من بعض المغنين والممثلين أمام الجمهور.

ومنه: إعطاء الزهور عند القبور في اليوم الوطني بزعمهم أنهم شهداء الدولة، ويظل الشخص ساجداً أمام القبر بضع دقائق.

ومنه: تعظيم التماثيل والنصب التذكارية في بعض البلدان والسجود لها أو الركوع أو القيام، ومنه: القيام في الأصنام التذكارية لكبار الدولة عندما يسمونه (باليمين الدستورية) ومع قيامهم يحلفون بالدستور حلفاً يقصدون به تعظيم المحلوف عليه، نسأل الله السلامة والعافية[٣].

وأما الذبح والنحر والنذر منها أيضاً عبادة من العبادات لا يجوز التقرب منهما بشيء لغير الله تعالى، قال سبحانه: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ

---

(١) المرجع السابق (٤/ ١٦١).
(٢) مجموع الفتاوى (٢٧/ ١٠).
(٣) انظر: الشرك في القديم والحديث، أبو بكر محمد زكريا (٢/ ١١٣٤-١١٣٥).

ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ (١) ، قال ابن كثير – رحمه الله – : «يأمره تعالى أن يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون لغير اسمه أنه مخالف لهم في ذلك فإن صلاته لله ، ونسكه على اسمه وحده لا شريك له» أ.هـ(٢) .

و«النسك هي الذبيحة رحمته ، وهي أجل العبادات المالية ، وما يجتمع للعبد في نحره من إيثار الله ، وحسن الظن به ، وقوة اليقين ، والوثوق بما في يد الله أمر عجيب إذا قارن ذلك الإيمان والإخلاص» (٣) .

ولهذا كادهم إبليس في هذه العبادة حتى صرفوها لغير الله معتقدين النفع والضر فيمن تذبح لهم ، وكانوا يقدمون النذور للآلهة والأصنام ، وربما قدموا الذبائح الآدمية ، كما في قصة نذر عبدالمطلب ذبح واحد من أولاده (٤) .

ومن النذر الذي يكون للشيطان ، النذر الذي لا يكون ابتغاء وجه الله ، ومن ذلك ما رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ مر على رجلين مقترنين ، فقال: **«ما للأقران، فقالا: نذرنا لنقترنن حتى نأتي الكعبة، فقال ﷺ : أطلقا أنفسكما ليس هذا نذراً إنما النذر ما يبتغى به وجه الله»** (٥) .

---

(١) سورة الأنعام ، الآيتان: ١٦٢-١٦٣ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير (٢/ ١٨٩) .

يقول الشيخ مبارك الميلي مبيناً واقع قومه في الجزائر ووقوعهم في هذا الشرك: «إن كل من خالط العامة ، يجزم بأن قصدهم بذبائح الزردة التقرب من صاحب المزار ، ويكشف عن ذلك أشياء:

أحدها: أنهم يضيفون الزردة إلى صاحب المزار ، فيقولون زردة سيدي فلان ، أو طعام سيدي .

ثانيها: أنهم يفعلونها عند قبره ، وفي جواره ، ولا يرضون لها مكاناً آخر .

ثالثهما: أنهم إن نزل المطر إثرها ، نسبوه إلى سر المذبوح له ، وقوي اعتقادهم فيه وتعويلهم عليه .

رابعها: إنهم لو تركوها فاصيبوا بمصيبة نكسوا على رؤوسهم ، وقالوا: إن وليهم غضب عليهم لتقصيرهم في جانبه»أ . هـ ، رسالة الشرك ومظاهره ، ص ٢٥٧ .

(٣) مجموع الفتاوى ، لابن تيمية (١٦/ ٥٣١-٥٣٢) .

(٤) انظر: السيرة لابن هشام (١/ ٢٠٣-٢٠٧) .

(٥) رواه محمد بن إسحاق الفاكهي في أخبار مكة ، رقم: ٤٤٤ ، (١/ ٢٣٧-٢٣٨) ، ذكره ابن حجر في فتح الباري (٣/ ٤٨٢) ، وقال: «وإسناده إلى عمرو حسن»أ. هـ .

ومن الذبائح التي تكون للشيطان ما يسمى (بشريطة الشيطان)، كما في الحديث عن ابن عباس وأبي هريرة - رضي الله عنهما - قالا: **(نهى رسول الله ﷺ عن شريطة الشيطان وهي التي تذبح فيقطع الجلد ولا تفرى الأوداج ثم تترك حتى تموت)** (١).

«وكان أهل الجاهلية يقطعون بعض حلقها ويتركونها تموت؛ وإنما أضافها إلى الشيطان لأنه هو الذي حملهم على ذلك، وحسَّن هذا العمل لديهم وسوَّله لهم» (٢).

وقيل: «إنه من الشرط الذي هو العلامة، أي شارطهم الشيطان فيها على ذلك»(٣).

ومن عبادة الشيطان السحر، فالساحر يعبد الشيطان، ويستعين به، ويذبح باسمه، ويتقرب إليه بأنواع الطاعات والقربات، ومنها النذر له، والقيام بما يأمره به، ولو كان ذلك شركاً وكفراً، كإهانة القرآن الكريم، وسب الله تعالى، وغيرها من أفعال السحرة، نعوذ بالله منهم (٤).

ومن عبادته الخوف من غير الله، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ (٥).

قال ابن القيم - رحمه الله -: «المعنى عند جميع المفسرين: يخوفكم بأوليائه، قال قتادة: ويعظمهم في صدوركم، ولهذا قال: ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾، فكلما قوي إيمان العبد زال من قلبه خوف أولياء الشيطان، وكلما ضعف إيمانه قوي خوفه منهم» أ. هـ (٦).

---

(١) رواه أبو داود، رقم: ٢٨٢٦، (٣/ ١٠٢-١٠٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٢٧٨)، والحاكم في المستدرك (٤/ ١١٣)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي، وأحمد في المسند (٢٨٩) مختصراً.

(٢) النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير (٢/ ٤٦٠).

(٣) شرح مشكاة المصابيح، للطيبي (٨/ ١٠٣).

(٤) انظر: تفسير المعوذتين، ص ٧٥.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٧٥.

(٦) إغاثة اللهفان، لابن القيم (١/ ٨٨)، تفسير ابن جرير(٤/ ١٨٣-١٨٤)، وابن كثير (١/ ٤٣٢).

والخوف على أربعة أقسام:

١- خوف السر: وهو خوف التذلل والتعظيم والخضوع، وهذا لا يصلح إلا لله تعالى، ومن صرفه لغير الله أشرك كمن يخشى من صنم أو أي معبود أن يصيبه بشيء من مرض أو موت أو فقر [١].

٢- الخوف من الوعيد: وهو المقامات العالية في العبودية، وهو مما يحبه الله، قال تعالى في مدح الخائفين: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾ ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾[٤]، لكن هذا الخوف ينبغي ألا يوقع صاحبه في اليأس والقنوط من رحمة الله – كما سبق بيان ذلك – .

قال ابن السعدي: «فإن كان الخوف والخشية خوف تأله وتعبد وتقرب بذلك الخوف على من يخافه وكان يدعو إلى طاعة باطنة وخوف سري يزجر عن معصية من يخافه كان تعلقه بالله من أعظم واجبات الإيمان وتعلقه لغير الله من الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله، لأنه أشرك في هذه العبادة التي هي من أعظم واجبات القلب غير الله مع الله» أ. هـ [٥].

٣- الخوف من الناس: كمن يخشى المواجهة في القتال، والإقدام على صعاب الأمور، وهو ما يعرف بالجبن، وهذا يمنع العبد من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن الجهاد وكثير من الأعمال الشرعية التي تتطلب الشجاعة والقوة، ولهذا تعوذ الرسول ﷺ من الجبن لأنه مذموم ويدل على ضعف الإيمان.

---

(١) القول المفيد، لابن عثيمين (٢/ ١٦٦)، تيسير العزيز الحميد، ٤٨٤-٤٨٦.
(٢) سورة الرحمن، الآية: ٤٦.
(٣) سورة النحل، الآية: ٥٠.
(٤) سورة المؤمنون، الآية: ٥٧.
(٥) القول السديد، لابن سعدي، ص ٩٨.

٤- الخوف الطبيعي والجبلي: كالخوف من العدو أو السبع أو الغرق، وهذا الخوف إن حمله على ترك واجب أو فعل محرم كان محرماً وإلا كان مباحاً [١] .

وأما الخوف من الشيطان فيشمل عدة أمور:

١- الخوف من إيذاء الصنم، وإنها تسمع وتعي، ولها القدرة على إلحاق الضرر بمخالفيها .

٢- الخوف من أصحاب القبور ومن يسمون بالأولياء والأقطاب والأوتاد وإيهامهم أن لديهم من القوة والقدرة على إنزال العقوبة بمخالفيها .

٣- خوف السدنة والزعماء من ذوي المناصب التقليدية على مكانتهم الاجتماعية .

٤- الخوف من قطع العلاقات الاجتماعية معه إن ترك ما هم عليه .

٥- الخوف من الموت بسبب ترك عبادة الوثن .

٦- الخوف من ضياع الممتلكات [٢] .

مما جعلهم يقدمون القرابين والنذور للأوثان وأصحاب الأضرحة والقبور .

ومن عبادته النياحة على الميت، عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: (لما افتتح النبي ﷺ مكة رن إبليس رنة اجتمعت إليه جنوده، فقال: ايئسوا أن نريد أمة محمد على الشرك بعد يومكم هذا، ولكن افتنوهم في دينهم وأفشوا فيهم النوح) [٣] .

---

(١) القول المفيد، لابن عثيمين (٢/ ١٦٦)، الشرك في القديم والحديث، (٢/ ١٠٨٥-١٠٨٦) .

(٢) استفدت هذه النقاط من أحد الإخوة من طلبة العلم في بلاد التوجو بغرب أفريقيا حيث يعيش الواقع، وتكثر عندهم عبادة الاوثان، وقد ألحقت هذا البحث بمجموعة من صور الأوثان والتماثيل المنصوبة التي تعبد إلى اليوم، انظر: الملاحق .

(٣) سبق تخريجه، بدون زيادة (ايئسوا أن نريد أمة محمد . . . .) وهذه الزيادة رواها الطبراني في المعجم الكبير، رقم:١٢٣١٨، (١٢/ ٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٣): «ورجاله موثقون» أ . هـ . ورواه أبو نعيم في الحلية (٩/ ٦، ٦٣)، وابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان، رقم: ٣٣، ص ٥٣، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب رقم: ٣٥٢٦ (٣/ ٣٨١) .

ثانياً: شرك الطاعة والاتباع: وهو من أعظم الذنوب، وأشدها عند الله عز وجل، لأنه اعتداء على خصائص الربوبية والألوهية، فلا مشرع إلا الله، ولا حاكمية إلا لله سبحانه وتعالى.

والشيطان قد حرص على إيقاع العباد في هذا اللون من الشرك، قال تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [1].

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ ﴾ [2]، والمراد بالطاغوت: الشيطان على قول كثير من الصحابة والتابعين [3]، وقيل: الكهان [4]، وقيل: السحرة [5].

وعلى العموم فأكبر طاغوت هو الشيطان، كما ذكر ذلك شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله - في قوله: «والطاغوت عام في كل ما عبد من دون الله ورضي بالعبادة من معبود أو متبوع أو مطاع في غير طاعة الله ورسوله، فهو طاغوت... والطواغيت كثيرة ورؤوسهم خمسة:

الأول: الشيطان الداعي إلى عبادة غير الله...» [6]، وهذا اللون من الشرك أعظم ما ابتلي به العباد في هذا الزمان، فكثير من الطوائف قد اتخذت لها معبوداً من دون الله تطيعه في تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرم الله، فها هم الرهبان والأحبار، وهؤلاء هم

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٢١.

(٢) سورة النساء، الآية: ٦٠.

(٣) انظر: جامع البيان (٣/ ١٨)، (٥/ ١٣١-١٣٢)، المحرر الوجيز، لابن عطية (٢/ ٢٨٣)، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٥/ ١٦١)، معالم التنزيل للبغوي (٢/ ٢٣٤)، الدر المنثور، للسيوطي (١/ ٥٨٤).

(٤) انظر: جامع البيان (٣/ ١٩)، تفسير ابن كثير (١/ ٥١٣).

(٥) انظر: جامع البيان (٣/ ١٩)، اقتضاء الصراط المستقيم، لابن تيمية، ص ٤٠٥.

(٦) مجموعة التوحيد، ص ٩، أضواء البيان (١/ ١٩٩)، مجموع الفتاوى (١٦/ ٥٦٥).

طواغيت الشر من دعاة القومية [١] ، والوطنية ، والعلمانية [٢] ، قد رفعوا راياتهم ودعوا العباد إلى عبادتهم بصور متعددة ، وأشكال متنوعة لا يعلم مداها إلا الله ، وهي عبادة لإبليس ، إذ هو صانعها الأول ومرتكزها الأساسي .

يقول سيد قطب – رحمه الله – : «والطواغيت التي تقوم في الأرض لتخضع الناس لحاكميتها وشرعها وقيمها وموازينها وتستبعد حاكمية الله وشرعه والقيم والموازين المنبثقة من دينه . . . إنما هي شياطين الإنس التي توحي لها شياطين الجن ، والمعركة معهما هي المعركة مع الشيطان نفسه . . . وهكذا تتركز المعركة الكبرى الطويلة الضاربة في المواجهة مع الشيطان ذاته ، ومع أوليائه . . .» أ . هـ [٣] .

ومن الأمثلة على هذا النوع من الشرك ، الحكم بغير ما أنزل الله وطاعة العلماء والسلاطين فيه .

وهذا عده الإمام محمد بن عبدالوهاب من نواقض الإسلام العشرة ، فقال في الناقض الرابع: «الرابع: من اعتقد أن غير هدى النبي ﷺ أكمل من هديه ، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه ، كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكمه فهو كافر» [٤] .

وقال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ

---

(١) القومية: «حركة سياسية فكرية متعصبة ، تدعو إلى تمجيد العرب ، وإقامة دولة موحدة لهم ، على أساس من رابطة الدم والقربى واللغة والتاريخ ، وإحلالها محل رابطة الدين» . يصفها سماحة الشيخ عبدالعزيز ابن باز – رحمه الله – بأنها: «دعوة جاهلية إلحادية تهدف إلى محاربة الإسلام والتخلص من أحكامه وتعاليمه ، ويقول أيضاً: «وقد أحدثها الغربيون من النصارى لمحاربة الإسلام والقضاء عليه في داره . . .» ، الموسوعة الميسرة ، ص ٤٠١-٤٠٢ .

(٢) العلمانية: وهي تعني اللادينية أو الدنيوية ، وهي دعوة إلى إقامة الحياة بعيداً عن الدين ، نشأت في أوروبا نتيجة لهيمنة الكنسية واستبدادها ، ثم انتقلت إلى البلاد العربية والإسلامية بعد الاستعمار ، وكان لها دعاة حملوا لواءها ونشروها ، ومن أبرزهم كمال أتاتورك حاكم تركيا ، وقاسم أمين ، وطه حسين ، وغيرهم ، انظر: الموسوعة الميسرة ، ص ٣٦٥ ، العلمانية ، د . سفر الحوالي .

(٣) في ظلال القرآن ، سيد قطب (٣/ ١٢٦٥-١٢٧٥) ، وانظر: (٢/ ٨٢٨) .

(٤) مجموعة التوحيد ، ص ٢٧ .

ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[١]، قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن – رحمه الله – : «وتفسيرها الذي لا إشكال فيه طاعة العلماء والعباد في المعصية لا دعاؤهم إياهم»[٢] .

وقد سبق ذلك في حديث عدي بن حاتم – ﷺ – عندما تلا عليه هذه الآية ، فقال لسنا نعبدهم ، قال: (صدقت ولكن كانوا يحلون لهم ما حرم الله فيستحلونه ، ويحرمون ما أحل الله لهم فيحرمونه) ، وهؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً لهم حالان:

الأول: أن يتبعوهم مع علمهم بمخالفة الحق ، وما جاءت به الرسل ، ويعلمون أنهم بدلوا شريعة الله ، فيعتقدون معهم تحليل ما حرم الله ، وتحريم ما أحل الله ، فهذا كفر لا يشك في كفر صاحبه .

الثاني: أن يتبعوهم في هذا طاعة لهم مع اعتقادهم بتحريم الحلال الذي أحلوه ، وتحليل ما حرموه مما هو حلال في شريعة الله التي جاءت بها الرسل ؛ فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب والمعاصي ، كما صرح بذلك شيخ الإسلام ابن تيمية[٣] .

وفي النوع الأول يقول تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾[٤]، فليس لديهم حجة في الإعراض عما أنزل الله تعالى ، إلا التقليد والاتباع للآباء والأجداد ، على الإطلاق حتى وإن كانوا على ضلال وفيه هي دعوة الشيطان فزيّن لهؤلاء الآباء الشرك ، ثم دعوته للتابعين باتباعهم والتمسك بما هم عليه[٥] ، وهذا قول على الله بلا علم ولا برهان ، ولهذا عقب الله تعالى بقوله سبحانه: ﴿ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ

---

(١) سورة التوبة ، الآية: ٣١ .

(٢) الجامع الفريد ، ص ٣٤١ ، وانظر: كتاب الإيمان ضمن مجموع الفتاوى (٧/ ٦٧) .

(٣) انظر: كتاب الإيمان ضمن مجموع الفتاوى (٧/ ٧٠) .

(٤) سورة لقمان ، الآية: ٢١ .

(٥) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٣٩٣) ، فتح القدير ، للشوكاني (٤/ ٢٤١-٢٤٢) .

فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [١] .

والمعنى من أخلص لله في العمل وانقاد لأوامره، واتبع الشريعة الحقة، مراقباً لله تعالى في سائر شئونه، فبهذا يكون قد أخذ من الله موثقاً متيناً على ألا يعذبه [٢] .

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي – رحمه الله – بعد أن أورد بعض الآيات في مسألة الحكم بغير ما أنزل الله: «وبهذه النصوص السماوية التي ذكرنا يظهر غاية الظهور، إن الذين يتبعون القوانين الوضعية التي شرعها الشيطان على ألسنة أوليائه مخالفة لما شرعه الله جل وعلا على ألسنة رسله، إنه لا يشك في كفرهم وشركهم إلا من طمس الله على بصيرته، وأعماه عن نور الوحي مثلهم» أ. هـ [٣] .

وقد سبق نقل نصوص العلماء في هذه المسألة.

تحريم بعض الأطعمة طاعة للطواغيت، قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَـٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ۝٥٩ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ۝٦٠﴾ [٤] .

حيث كان المشركون يحرمون على أنفسهم أنواعاً من الرزق، ويحللون أنواعاً أخرى من تلقاء أنفسهم مما تمليه عليهم الشياطين. قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَـٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَـٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝١٣٦﴾ [٥] .

---

(١) سورة لقمان، الآية: ٢٢ .

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٣٩٣-٣٩٤) .

(٣) أضواء البيان، للشيخ محمد الأمين الشنقيطي (٤/ ٩٢) .

(٤) سورة يونس، الآيتان: ٥٩-٦٠ .

(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٣٦ .

قال ابن عباس – ﷺ – في تفسير هذه الآية: «جعلو لله من ثمراتهم وماهم نصيباً، وللشيطان والأوثان نصيباً، فإن سقط من ثمره ما جعلوا لله في نصيب الشيطان تركوه، وإن سقط مما جعلوه للشيطان في نصيب الله التقطوه وحفظوه وردوه إلى نصيب الشيطان، وإن انفجر من سقي ما جعلوا لله في نصيب الشيطان تركوه، وإن انفجر من سقي ما جعلوه للشيطان في نصيب الله سدوه...» أ. هـ[1].

وقال تعالى: ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ۝١٠٣ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسۡبُنَا مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ۝١٠٤ ﴾[2]، وقد جاء في تفسير معنى البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام، أقوال ذكرها المفسرون وغيرهم، أذكر بعضاً منها ليظهر ضلال هؤلاء المشركين وسفههم:

قيل إن البحيرة: «الناقة إذا أنتجت خمسة أبطن، والخامس ذكر بحروه فأكله الرجال والنساء، وإن كان الخامس أنثى بحروا أذنها، أي شقوها وكانت حراماً على النساء، لحمها ولبنها، فإذا ماتت حلت للنساء»[3].

وقيل: إنها ابنة السائبة، وهي التي تابعت اثنتي عشرة أنثى ليس بينهن ذكر، فما نتجت بعد ذلك من أنثى شق أذنها ثم خليت وتسمى بحيرة[4].

وقيل البحيرة التي يمنع درها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس[5].

وأما السائبة فهي: «البعير يسيب بنذر يكن على الرجل إن سلّمه الله من مرض أو

---

(١) رواه ابن جرير في تفسيره (٨/ ٤٠)، وذكره ابن كثير في تفسيره (٣/ ١٠٦)، وقال: «وهكذا قال مجاهد وقتادة والسدي وغير واحد».

(٢) سورة المائدة، الآيتان: ١٠٣-١٠٤.

(٣) تفسير غريب القرآن، لابن قتيبة، ص ١٤٧، وروي عن ابن عباس، زاد المسير (٢/ ٣٦).

(٤) انظر: جامع البيان (٧/ ١٨)، ونقل عن عطاء، انظر: زاد المسير (٢/ ٤٣٦).

(٥) روي عن سعيد بن المسيب كما روى ذلك البخاري في كتاب، رقم: ٤٣٤٧، ٤/ ١٦٩٠).

بلغه منزله أن يفعل ذلك»[١] .

وقيل: إن السائبة هي الناقة إذا ولدت اثني عشرة إنثى ليس فيها ذكر سيبت فلا تركب ولا يشرب لبنها ولا يؤخذ وبرها[٢] .

وقيل: «إن الرجل كان يسيب من ماله ما شاء فيأتي به خزنة الآلهة ، فيطعمون ابن السبيل من ألبانه ولحومه إلا النساء ، فلا يطعمونهن شيئاً منه إلا أن يموت فيشترك فيه الرجال والنساء ، روي عن ابن عباس[٣] ، وقيل هي: «الناقة إذا تابعت بين عشر إناث ليس بينهن ذكر ، سيبت فلم يركب ظهرها»[٤] ، وقال سعيد بن المسيب: «السائبة: كانوا يسيبونها لآلهتهم لا يحمل عليها شيء»أ.هـ[٥] ، وأول من سيب السوائب عمرو بن عامر الخزاعي ، كما روى البخاري عن أبي هريرة – ﷺ – قال: قال رسول الله ﷺ : (رأيت **عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار، كان أول من سيب السوائب)**[٦] .

وأما الوصيلة ، قيل: «من الغنم ، كانوا إذا ولدت الشاة سبعة أبطن نظروا فإن كان السابع ذكراً ذبح فأكل منه الرجال والنساء ، وإن كان أنثى تركت في الغنم ، وإن كان ذكراً وأنثى قالوا: قد وصلت أخاها ، فلم تذبح لمكانها ، وكانت لحومها حراماً على النساء ، ولبن الأنثى حرام على النساء ، إلا أن يموت منها شيء فيأكله الرجال والنساء»[٧] !!

وقيل: «الوصيلة: إن الشاة إذا انتجت عشر إناث متتابعات في خمسة أبطن ليس

---

(١) تفسير غريب القرآن ، لابن قتيبة ، ص ١٤٧ .
(٢) انظر: جامع البيان (٧/ ٨٨) .
(٣) زاد المسير (٢/ ٤٣٧) .
(٤) السيرة لابن هشام (١/ ١٣٣) .
(٥) رواه البخاري في كتاب: «التفسير» (٤/ ١٦٩٠) ، كما تقدم في الهامش .
(٦) رواه البخاري ، رقم: ٤٣٤٧ ، (٤/ ١٦٩٠) ، ومسلم ، رقم: ٥١ ، (٤/ ٢١٩٢) .
(٧) تفسير غريب القرآن ، لابن قتيبة ، ص ١٤٧ ، وقال ابن الجوزي: «رواه أبو صالح عن ابن عباس» ، انظر: زاد المسير (٢/ ٤٣٨) .

منها ذكر، جعلت وصيلة، قالوا: وصلت، فكان ما ولدت بعد ذلك لذكورهم دون إناثهم، إلا أن يموت منها شيء، فيشتركون في أكله ذكورهم وإناثهم»[(١)] .

وروي عن سعيد بن المسيب قال: «فالوصيلة من الإبل كانت الناقة تبتكر بالأنثى، ثم ثنت بأنثى فسموها وصيلة، ويقولون: وصلت اثنيين، ليس بينهما ذكر، فكانوا يجدعونها لطواغيتهم، أو يذبحونها»[(٢)] .

وأما الحام فقيل إنه: «الفحل الذي ركب ولد ولده، ويقال: إذا نتج من صلبه عشرة أبطن، قالوا: قد حمى ظهره فلا يركب ولا يمنع من كلأ ولا ماء»[(٣)] . وقد نقل هذا القول عن ابن عباس ومالك والشعبي – رحمهم الله –[(٤)] .

وقيل: «إنه الفحل يظهر من أولاده عشر إناث من بناته، وبنات بناته»[(٥)] .

ولا شك أن هذا التحريم والتحليل لا دليل عليه، وإنما صدق إبليس ظنه فيهم، فأطاعوه وصرفوا ما رزقهم الله افتراء على الله، كما في حديث عياض بن حمار – رضي الله عنه – السابق وفيه: (وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً) .

ومن التحريم الذي كان الطواغيت يمارسونه في الجاهلية تحريم لبس الثياب التي عليهم أثناء الطواف، فكان أحدهم يطوف عرياناً، حتى النساء كن يطفن عاريات وربما وضعت الواحدة منهن يدها على قبلها، وهي تقول: اليوم يبدو بعضه أو كله فما بدا منه فلا أحله[(٦)] .

---

(١) جامع البيان (١١/ ٨٨)، وانظر: السيرة، لابن هشام (١/ ١٣٣).
(٢) رواه ابن جرير في تفسيره (والشك منه)، (٧/ ٩١)، وذكره ابن كثير في تفسيره (٢/ ٦٦٥).
(٣) تفسير غريب القرآن، لابن قتية، ص ١٤٨، وانظر: السيرة، لابن هشام (١/ ١٣٣).
(٤) انظر: جامع البيان، لابن جرير (٧/ ٨٩).
(٥) زاد المسير، لابن الجوزي (٢/ ٨٩) ونقل عن عطاء – رحمه الله – .
(٦) انظر: السيرة الحلبية، لعلي الحلبي (٣/ ٢٣٣).

ثالثاً: شرك الدعاء: قال تعالى: ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ ﴾ [(١)]، والدعاء باب عظيم ومسألة شريفة، وقد قسمه العلماء إلى قسمين:

١ - دعاء مسألة. ٢ - دعاء عبادة [(٢)].

وهناك من زاد قسماً ثالثاً، وهو دعاء الثناء [(٣)]، ومعناه: «السؤال والطلب رغبة أو رهبة أو مجموعهما» [(٤)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: «وأعظم الاعتداء والعدوان والذل والهوان، أن يدعى غير الله فإن ذلك من الشرك، والله لا يغفر أن يشرك به وإن الشرك لظلم عظيم»[(٥)]، وقال أيضاً: «دعاء الموتى والغائبين من الأنبياء والملائكة والصالحين والاستغاثة بهم والشكوى إليهم، فهذا لم يفعله أحد من السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا رخص فيه أحد من أئمة المسلمين» أ. هـ [(٦)].

وقال أيضاً - رحمه الله -: «ولا يجوز لأحد أن يستغيث بأحد من المشايخ الغائبين ولا الميتين، مثل أن يقول: يا سيدي فلان أغثني وانصرني وادفع عني، وأنا في حسبك ونحو ذلك، بل كل هذا من الشرك الذي حرمه الله ورسوله، وتحريمه مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام» [(٧)].

وهذا الشرك قد وقع فيه عامة الأمة في هذا الزمان إلا من رحم الله [(٨)]. بل هو

---

(١) سورة النساء، الآية: ١١٧.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١/ ٦٩)، (٢/ ٤٥٦)، (١٠/ ٢٣٧-٢٣٨)، زاد المعاد، لابن القيم (١/ ٢٣٤-٢٣٥)، وبدائع الفوائد، لابن القيم (١/ ١٦٤)، (٢/ ٩٠).

(٣) مدارج السالكين، لابن القيم (١/ ٤٢٠)، والوابل الصيب، ص ١٧٨-١٨٠.

(٤) القول الفصل النفيس، لعبد الرحمن بن حسن، ص ٤٧، ما ذكره ابن القيم في بدائع الفوائد (٣/ ٢).

(٥) مجموع الفتاوى (١/ ٢٦٥).

(٦) مجموع الفتاوى (١/ ٢٦٥).

(٧) التوسل والوسيلة، لابن تيمية، ص ١١٦.

(٨) بعض الباحثين يقدر عدد الأضرحة في القطر الذي يعيش فيه بما لا يقل عن عدد المدن والقرى في هذا القطر، حيث يقول: «وأضرحة الأولياء التي تنتشر في مدن مصر نحو ستة آلاف قرية: هي مراكز لإقامة الموالد للمريدين والمحبين، ويمكننا القول: إنه من الصعب أن نجد يوماً على مدار السنة ليس فيه احتفال بمولد ولي في مكان ما بمصر»، دمعة على التوحيد، من إصدارات المنتدى، ص ٢٥-٢٦.

أصل شرك العالم [١] .

يقول ابن القيم – رحمه الله – : «غرهم الشيطان فقال: بل هذا تعظيم لقبور المشايخ والصالحين ، وكلما كنتم أشد لها تعظيماً ، وأشد فيهم غلوا ، كنتم بقربهم أسعد ، ومن أعدائهم أبعد» [٢] .

حتى قال بعضهم: «إذا نزلت نازلة بالمسلمين يذهبون إلى القبور ويدعون عندها لزوال ضرها . . .»أ . هـ [٣] ، وقال أيضاً: «ثم يتوسل بأهل تلك المقابر: أعني بالصالحين منهم في قضاء حوائجه ومغفرة ذنوبه»أ . هـ [٤] .

قال شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب – رحمه الله – : «فتفكر رحمك الله ، فيما حدث في الناس اليوم من دعاء غير الله ، في الشدة والرخاء ، فهذا تلحقه الشدة في البر أو البحر فيستغيث بعبدالقادر [٥] ، أو شمسان أو نبي من الأنبياء ، أو ولي من الأولياء أن ينجيه من هذه الشدة [٦] ، فيقال لهذا الجاهل: إن كنت تعرف أن الإله هو المعبود ، وتعرف أن الدعاء من العبادة ، فكيف تدعو مخلوقاً ميتاً ، وتترك الحي القيوم الحاضر الرؤوف الرحيم القدير» [٧] أ . هـ ، كلامه رحمه الله .

---

(١) انظر: مدارج السالكين ، لابن القيم (١/ ٣٤٦) .
(٢) إغاثة اللهفان ، لابن القيم (١/ ١٩٨) .
(٣) المدخل ، لابن الحاج (١/ ٢٤٨) .
(٤) المرجع السابق .
(٥) انظر ما ذكره رحمه الله عن تكفير الطاغوت شمسان في مؤلفاته ، ص ٧٥ ، ٨٩ ، ٢٢٨ .
(٦) ذكر الشيخ علي بابكر قصة واقعية حصلت للشيخ محمد أحمد باشميل ذكرها في رسالة له بعنوان: «كيف نفهم التوحيد» ملخصها أن مجموعة من الجهلة ركبوا سفينة في البحر الأحمر ، وكان معهم فهاجت السفينة وغشيهم الموج من كل مكان ، وفي تلك الساعة العصيبة ضج القبوريون بالدعاء وطلب العون والمدد من الأموات والغائبين ومنهم الشيخ سعيد بن عيسى الذي فارق الحياة منذ أكثر من ستمائة سنة قائلين: (يا ابن عيسى ، يا ابن عيسى جلها يا عمود الدين) وعندما حاول الشيخ محمد باشميل نصحهم ثاروا عليه ووصفوه بأنه وهابي ، وكادوا يقذفون به بين الأمواج ، وعندما هدأت العاصفة أقبل بعضهم يهني بعضاً مذكرين بأنه لولا حضور القطب ابن عيسى لكانوا في بطون الأسماك . . .!! فعجباً من هذا الكفر الصراح ، الآيات البينات في تحريم دعاء الاموات ، ١٣-١٨ .
(٧) الدرر السنية (٢/ ٥٤) . جمع العلامة عبدالرحمن بن محمد بن قاسم .

ومن الأمثلة قول بعض المتصوفة:

يا مرجي الخطوب أنت المرجى
عندما ترجى الخطوب الرجاء
عظمت كربتي فجئتك قصدا
قاصداً للعظائم العظماء [١]

وهذا كله شرك بدعاء غير الله، ولا شك أن الشياطين تفتنهم بهذا فتنة عظيمة، حيث يسمعون الأصوات تخاطبهم وترد عليهم من داخل هذه القبور، وأحياناً تظهر لهم في صورته، فقضى حوائجهم التي طلبوها فيزدادون فتنة وضلالاً - والعياذ بالله - .

قال شيخ الإسلام - رحمه الله - : «وهؤلاء المستغيثون بالغائبين والميتين عند قبورهم وغير قبورهم لما كانوا من جنس عباد الأوثان صار الشيطان يضلهم ويغويهم كما يضل عباد الأصنام ويغويهم، فتتصور الشياطين في صورة ذلك المستغاث به وتخاطبهم بأشياء على سبيل المكاشفة، كما تخاطب الشياطين الكهان»[٢] .

رابعاً: شرك الشفاعة: ومن أنواع الشرك التي كاد بها الشيطان العباد، شرك الشفاعة، قال تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[٣] .

«والشفاعة في اللغة مأخوذ من شفع، وهي خلاف الوتر، وهو الزوج، نقول: كان وتراً فشفعته شفعاً، وشفع لي يشفع شفاعة، وتشفع: طلب، والشفيع: الشافع، والجمع شفعاء، واستشفع بفلان على فلان وتشفع له إليه فشفعه فيه»[٤] .

(١) المرجع السابق، وانظر: ديوان عبدالرحيم البرعي، ص ١٤-٢٥ .
(٢) التوسل والوسيلة، لابن تيمية، ص ١١٦ .
(٣) سورة يونس، الآية: ١٨ .
(٤) لسان العرب، (٨/ ١٨٣-١٨٤)، والصحاح (٣/ ١٢٣٨)، القاموس المحيط، ص ٩٤٧ .

إذن فالشفاعة بمعنى ضم شيء إلى آخر مساوياً له أو دونه لإعانته أو التوصل إلى محبوب عنده .

وهي تعني عند المشركين دعاء غير الله والتوجه إليه بالعبادة والتضرع والرغبة والرهبة والمحبة وسؤاله الحاجات ، ليكون ذلك وسيلة إلى نيل ما عند الله عز وجل .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – :«وكثيراً ما يتمثل لهؤلاء المشركين صورة ذلك الشخص المستغاث به ويكون ذلك شيطاناً تمثل على صورته ليضل ذلك المستغيث به المشرك ، كما كانت الشياطين تلكم الناس من الأصنام ، وكما يقع كثير من ذلك في أرض الشرك أرض الصين والترك والهند والغرب والجنوب والشمال يردون أحياناً أن ميتهم قد جاء وحدثهم بأمور ، وقضى لهم حوائج فيظنونه قد عاش بعد موته ، وإنما هو شيطان قد تمثل على صورته»أ.هـ [(١)] .

وقد لبس عليهم الشيطان هذا الشرك بشبهة عظيمة تتلخص في أن هؤلاء المشركون يقولون: إن الله تعالى لعظمته لا نسأله إلا بالوسائط والشفعاء كحال الملوك .

ثم جعلهم يصرفون العبادة لذلك الشافع والوسيط ، مع فقر هؤلاء الآلهة [(٢)] وحاجتهم للخالق جل وعلا ، قال تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَـٰعَةُ جَمِيعًا ﴾ [(٣)] .

قال شيخ الإسلام – رحمه الله – : «لا يجوز أن يقول لملك ولا نبي ولا شيخ – سواء كان حياً أو ميتاً – اغفر ذنبي ، ولا انصرني على عدوي ، ومن سأل ذلك مخلوقاً ، فهو مشرك بربه من جنس المشركين الذين يعبدون الملائكة والأنبياء والتماثيل التي

---

(١) الصفدية لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢/ ٢٩٢) ، تحقيق: رشاد سالم .

(٢) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم ، لابن تيمية ، ص ٣١٦ ، كشف الشبهات مع الهامش ص ١١-١٩ ، مجموع الفتاوى (٦/ ١٣٣) ، الهدية السنية جمع ابن سحمان ، ص ٥١-٥٢ .

(٣) سورة الزمر ، الآيتان: ٤٣-٤٤ .

صورونها على صورهم، ومن جنس دعاء النصارى للمسيح وأمه...»[١].

والشفاعة المثبتة لا تكون إلا بإذن الله تعالى ورضاه عن الشافع والمشفوع[٢].

قال تعالى: ﴿ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ﴾[٣]، وقوله: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[٥].

خامساً: القول على الله بلا علم: قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾[٦].

قال ابن كثير – رحمه الله –: «أي إنما يأمركم عدوكم الشيطان بالأفعال السيئة، واغلظ منها الفاحشة كالزنا ونحوه، واغلظ من ذلك وهو القول على الله بلا علم فيدخل في هذا كل كافر وكل مبتدع» أ. هـ[٧].

وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾ ﴾[٨].

وقد نزلت هذه الآية في النضر بن الحارث[٩]، فقد كان يكثر الجدل في الملائكة

---

(١) كتاب الزيارة، ص ٧٨-٧٩، مراجعة وتعليق: سيف الدين الكاتب.
(٢) انظر: في تفصيل الشفاعة وأنواعها، مجموع الفتاوى (١٤/ ٣٨٠-٣٨٢)،(١٤/ ٤١٤)، مدارج السالكين (١/ ٣٤٠-٣٤١)، شرح الطحاوية، ص ٢٣٥-٢٣٦.
(٣) سورة يونس، الآية: ٣.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.
(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٢٨.
(٦) سورة البقرة، الآيتان: ١٦٨-١٦٩.
(٧) تفسير ابن كثير (١/ ٣٥٩).
(٨) سورة الحج، الآيتان: ٣-٤.
(٩) النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف، من بني عبدالدار، من قريش، كان من شجعان قريش ووجوهها آذى النبي ﷺ كثيراً، صاحب لواء المشركين ببدر، وقتل بها سنة ٢هـ، وهو ابن خالة النبي ﷺ، وكان كثير الأذى والصد عن رسول الله ﷺ، انظر: الإصابة في ترجمة ابنته (قتيلة) رقم: ٨٨٩، (٨/ ١٧٠)، ومعجم البلدان (١/ ١١٢)، الأعلام (٨/ ٣٣).

يزعم أنها بنات الله، وأن القرآن أساطير الأولين، وينكر البعث والقيامة، فأخبر تعالى أنه في جداله هذا متبع للشيطان، الذي قضى الله تعالى عليه بأن كل من يتبعه سوف يصير إلى ضلال وعذاب أليم - والعياذ بالله - [١].

قال ابن كثير - رحمه الله -: «وهذا حال أهل البدع والضلال المعرضين عن الحق المتبعين للباطل يتركون ما أنزله الله على رسوله من الحق المبين، ويتبعون أقوال رؤوس الضلالة الدعاة إلى البدع بالأهواء والآراء» أ. هـ [٢].

ومن الأمثلة على القول على الله بلا علم (ادعاء علم الغيب) وللشيطان فيه أعوان ومقربون ومن أبرزهم:

١- **الكهان**: والكهانة هي: «فعالة مأخوذة من التكهن، وهو التخرص والتماس الحق بأمور لا أساس لها» [٣].

والكاهن: «هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل» [٤]، وأساسها قائم على استراق الجني للسمع من كلام الملائكة، ثم يلقيه على أذن الكاهن فيزيد فيه وينقص [٥].

قال شيخ الإسلام - رحمه الله -: «والكهانة كانت ظاهرة كثيرة بأرض العرب، فلما ظهر التوحيد هربت الشياطين وبطلت، أو قلت ثم إنها تظهر في المواضع التي يختفي فيها أثر التوحيد...» أ. هـ [٦].

وفي الحديث عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: (إن الملائكة تنزل في العنان -

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٦١٣)، الجامع لأحكام القرآن، (١٢/ ٥)، معالم التنزيل، (٣/ ٢٧٤-٢٧٥).
(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٦١٣).
(٣) معجم ألفاظ العقيدة، عامر بن عبدالله فالح، ٣٤٠، النهاية في غريب الحديث (٤/ ٢١٤).
(٤) معجم ألفاظ العقيدة، ص ٣٤٠، مقدمة فتح الباري، لابن حجر (١/ ٨١).
(٥) انظر: فتح الباري (١٠/ ٢١٦-٢١٧)، النهاية في غريب الحديث (٤/ ٢١٤).
(٦) النبوات، ص ٢٨٠.

وهو السحاب – فتذكر الأمر قضي في السماء فتسترق الشياطين السمع فتسمعه فتوحيه إلى الكهان، فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم) (١) .

والشياطين تخدم الكهان، وتأتي لهم بما يطلبونه منها من مال أو فعل كقتل عدو أو غير ذلك، مقابل استمتاعهم بالكهان هؤلاء فتارة يسجد لهم وقد يمكنهم من فعل الفاحشة بنفسه، وقد يفعل من يطلب منه من إهانة أسماء الله تعالى وكلامه (٢) .

قال النووي: «وقد تظاهرت الأحاديث الصحيحة بالنهي عن إتيان الكهان وتصديقهم فيما يقولون، وتحريم ما يعطون من الحلوان وهو حرام بإجماع المسلمين، وقد نقل الإجماع في تحريمه جماعة منهم أبو محمد البغوي- رحمهم الله تعالى – » أ. هـ (٣) ،

والكهانة ثلاثة أنواع:

١- أن يكون للكاهن ولي من الجن يخبره بما يسترقه من السمع، وهذا كان قبل بعثة النبي ﷺ، أما بعد مبعثه فقد حرست السماء ممن يسترق السمع ترسل عليه الشهب، قال تعالى: ﴿ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝ ﴾ (٤) .

٢- أن يكون له ولي من الجن يخبره بما يحدث في أقطار الأرض وأطرافها، مما يخفى على كثير من الناس.

٣- طائفة المنجمين والعرافين الذين يستدلون على الغيب بأمور وأسباب يعرفونها، كضرب الحصى والخط في الأرض والزجر وغير ذلك، ويكون الكذب فيه هو

---

(١) رواه البخاري، رقم: ٢٢١٠، (٦/ ٣٠٤).

(٢) انظر: دقائق التفسير، لابن تيمية (٢/ ١٣٧)، الروح، لابن القيم، ٢٦٦، مجموع الفتاوى (٣٥/ ١١٦).

(٣) شرح مسلم للنووي (٥/ ٢٢).

(٤) سورة الجن، الآية: ٩.

الغالب [١] .

٢- الساحر: والسحرة كذلك تدعي علم الغيب، وهذا الغيب الذي تزعم هو إملاء ووحي من الشيطان الرجيم - نعوذ بالله تعالى منه -، قال تعالى: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ١٠٢ ﴾ [٢] .

ومعنى ﴿ تَتۡلُوا ﴾ أي: «تتقوله وتقرؤه . . . على عهد ملك سليمان، وقد كانون يظنون أن هذا هو علم سليمان، وأنه يستجيزه ويقول به، فرد الله ذلك عليهم وقال: ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ ﴾» [٣] .

قال الرازي: «إن الشياطين كانوا يسترقون السمع، ثم يضمون إلى ما سمعوا أكاذيب يلفقونها ويلقونها إلى الكهنة، وقد دونوها في كتب يقرءونها ويعلمونها الناس، وفشا ذلك في زمن سليمان - عليه السلام - حتى قالوا: إن الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم له ملكه إلا بهذا العلم، وبه يسخر الجن والإنس والريح التي تجري بأمره» [٤] .

ويقول شيخ الإسلام - رحمه الله - في شأن السحرة: «وهؤلاء يعبدون الكواكب بأنواع العبادات والقرابين وتتنزل عليهم الشياطين التي يسمونها هم روحانيات

(١) انظر: المرجع السابق (١٤/ ٢٢٣).
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٠٢ .
(٣) زبدة التفسير من فتح القدير، لمحمد بن سليمان الأشقر، ص٢٠ .
(٤) التفسير الكبير، للرازي (٣/ ٢٢٠).

الكواكب، وهي أشخاص منفصلة عليهم، وإن لم يروها سمعوا كلامها فتخبرهم وتخاطبهم بأمور كثيرة، وتقضي لهم أنواعاً من الحوائج، وهذا موجود اليوم كثيراً... وأعرف من هؤلاء عدداً وهم كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ [(١)]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [(٢)] ...» أ. هـ [(٣)].

٣- العرافون والمنجمون: العراف: «هو الذي يستدل على الأمور بأسباب ومقدمات يدعي معرفتها» [(٤)].

وفي الحديث عن أبي هريرة - ﷺ - قال: قال رسول الله ﷺ: **(من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد)** [(٥)]، «وظاهر الحديث أنه يكفر متى اعتقد صدقه بأي وجه كان لاعتقاده أنه يعلم الغيب، وسواء كان ذلك من قبل الشياطين أو من قبل الإلهام ولا سيما وغالب الكهان في وقت النبوة إنما كانوا يأخذون عن الشياطين» [(٦)].

وأما المنجم فهو مدعي علم التنجيم، وهو «الاستدلال على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية» [(٧)].

ومن هذه الحوادث أوقات هبوب الرياح، ونزول المطر، والحر والبر، ويزعمون معرفتها بسير الكواكب في مجاريها واجتماعها وافتراقها، ويزعمون أنها تؤثر في حوادث

---

(١) سورة طه، الآية: ٦٩.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.
(٣) الصفدية (١/ ١٧٣)، وانظر: مجموع الفتاوى (١٤/ ٣٦٠).
(٤) الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٣).
(٥) رواه الحاكم في المستدرك، رقم: ١٥، (١/ ٤٩) وصححه، ورواه البيهقي في السنن الكبرى، رقم: ١٦٢٧٣، (٨/ ١٣٥)، وأبو يعلى في مسنده، رقم: ٥٤٠٨، (٩/ ٢٨٠).
(٦) شرح كتاب التوحيد، للشيخ عبدالله بن سليمان بن محمد بن عبدالوهاب، ص ٣٥٨.
(٧) مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٩٢)، والفروع لابن مفلح المقدسي (٦/ ١٦٩).

الأرض ، وكل ذلك إدعاء لعلم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله [(١)] .

والتنجيم على ثلاثة أقسام ، «أحدها كفر بإجماع المسلمين ، وهو القول بأن الموجود في العالم السفلي مركبة على تأثير الكوكب . . . وإن له قدرة فاعلة مختارة وهذا قول الصابئة المنجمين .

الثاني: الاستدلال على الحوادث الأرضية بمسير الكواكب واجتماعها وافتراقها مع نسبة الفعل لتقدير الله ومشيئته ، فلا ريب في تحريم ذلك ، واختلف المتأخرون في تكفير القائل بذلك ، وينبغي أن يقطع بكفره ، لأنها دعوى لعلم الغيب .

الثالث: تعلم منازل الشمس والقمر للاستدلال بذلك على القبلة وأوقات الصلاة ، وهذا مما اختلف فيه السلف» [(٢)] .

ويدخل في ادعاء علم الغيب ما يسمى بالعيافة والطرق والطيرة ، عن قبيصة [(٣)] – رضي الله عنه – أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **(إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت)** ، **قال عوف** [(٤)] : **العيافة زجر الطير، والطرق الخط في الأرض، والجبت قال الحسن إنه الشيطان)** [(٥)] .

قال القرطبي: «وكلها ينطبق عليها اسم الكهانة قاله القاضي عياض» [(٦)] .

---

(١) شرح كتاب التوحيد ، ص ٣٨٧ ، وشرح الطحاوية ، ص ٥٦٨ .

(٢) المرجع السابق (باختصار وتصرف يسير) ، ص ٣٨٨ ، ٣٩٣ ، وانظر: في القسم الثالث مجموع فتاوى العقيدة ، للشيخ محمد بن صالح العثيمين (٢/ ١٨٥) .

(٣) قبيصة بن المخارق بن عبدالله بن شداد بن صعصعة الهلالي أبو بشر ،روى عن النبي ﷺ ، روى عنه ولده قطن وأبو عثمان النهدي ، قال البخاري وابن أبي حاتم له صحبة ، الإصابة (٥/ ٤٠١) .

(٤) عوف بن أبي جميلة العبدي أبو سهل البصري المعروف بالأعرابي ، مات سنة ١٤٦هـ ، وقيل: سبع ، روى عن الحسن البصري وحيان بن العلاء ، روى عنه يزيد بن هارون ، ومحمد بن جعفر غندر ، وثقه يحيى بن معين والنسائي وأحمد بن حنبل ، وقال ابن حجر: رمي بالقدر والتشيع ، انظر: تهذيب الكمال ، (٢٢/ ٤٣٧) ، تقريب التهذيب ، رقم: ٥٢١٥ ، ص ٤٣٣ .

(٥) رواه الإمام أحمد في مسنده (٥/ ٦٠) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ١٣٩) ، وأبو داود ، رقم: ٣٩٠٧ ، (٢/ ٤٠٩) ، والنسائي في السنن الكبرى ، رقم: ١١١٠٨ ، (٦/ ٢٤) .

(٦) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي (٧/ ٣) .

وذكر بعض العلماء فرقاً بين الكهانة والعرافة، بأن الكهانة يدعي معرفة ما في المستقبل، وأما العراف فيدعي معرفة الشيء المسروق والضالة، يعني ما مضى والكاهن فيما يستقبل (١).

سادساً: الردة: والرِّدة بمعنى التحول والرجوع والاسترداد وارتد فلان عن الإسلام إذا كفر بعد إسلامه ورجع عن الإسلام (٢).

والشيطان في مكايده في هذا التوحيد لم يقتصر على إضلال من ضلَّ وحاد عن الطريق، بل له مكايد عظيمة، وحيل ووسائل لمن سلك سبيل الحق وسار عليه، ليرده على طريق الضلال والانتكاس بالردة عن دين الله.

والردة بمعنى التحول والرجوع والاسترداد، ويقال: ارتد فلان عن الإسلام إذا كفر بعد إسلامه (٣)، وفي قصة ردة عبدالله بن أبي السرح (٤)، أبرز مثال على ذلك، وكان صحابياً وكاتباً لوحي رسول الله ﷺ.

كما في الحديث عن ابن عباس - رضي الله عنه - قال: (كان عبدالله بن سعد بن أبي السرح يكتب لرسول الله ﷺ فأزله الشيطان فلحق بالكفار، فأمر رسول الله ﷺ أن يقتل يوم الفتح، فاستجار له عثمان بن عفان فأجاره رسول الله ﷺ) (٥)، وقد رجع إلى الإسلام

---

(١) انظر: شرح مسلم للنووي (٥/ ٢٢)، وقد نقله عن الخطابي.

(٢) انظر: لسان العرب (٣/ ١٧٣-١٧٤)، مختار الصحاح (١/ ١٠١)، المطلع على أبواب المقنع، محمد البعلي الحنبلي، ص ٣٧٨، أنيس الفقهاء، تأليف: قاسم القونوي (١/ ١٨٦-١٨٧).

(٣) لسان العرب (٣/ ١٧٣-١٧٤٩، مختار الصحاح ٠١/ ١٠١)، المطلع على أبواب المقنع، ص ٣٧٨، انيس الفقهاء (١/ ١٨٦-١٨٧).

(٤) عبدالله بن سعد بن أبي السرح القرشي العامري أخو عثمان بن عفان لأمه من الرضاعة، أسلم قبل فتح مكة وكان من كتاب الوحي ثم أرتد عن الإسلام ولحق بالمشركين بمكة وفي فتح مكة أهدر الرسول ﷺ فاستأمن له عثمان فأمنه الرسول ثم رجع إلى الإسلام، انظر: البداية والنهاية (٥/ ٣٥٠).

(٥) رواه أبو داود، رقم: ٤٣٥٨، والنسائي، رقم: ٤٠٦٩، (٧/ ١٠٧)، وقال المنذري: «في إسناده علي بن الحسين بن واقد وفيه مقال»، أ. هـ، وقد توبع تابعه علي بن الحسين بن شقيق، وهو من الثقات، فيرتقي الحديث به إلى الصحيح لغيره، انظر: الأحاديث الواردة في الشيطان، إلهام، ص٨٠٧.

وبايعه النبي ﷺ يوم الفتح [(١)] .

وربما دخل الشيطان على العابد وعلى قارئ القرآن ، كما في حديث حذيفة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ : (إن مما أتخوف عليكم رجل قرأ القرآن حتى إذا ربت بهجته وكان ردء الإسلام اغتره الشيطان إلى ما شاء الله ، فانسلخ منه ونبذه وراء ظهره وسعى على جاره بالسيف ورماه بالشرك .

قلت: يا نبي الله أيهما أولى بالشرك المرمي أو الرامي ، قال: (لا بل الرامي) [(٢)] .

وقد كاد العباد لنقض هذا التوحيد بشبه واهية ، ومكايد وأساليب خفية ، لبّس بها عليهم الحق بالباطل ، حتى وقع في شباكه عدد لا يحصى من الخلق ومنها:

إيهامهم أن المهم هو توحيد الربوبية ، فمن اعتقد بربوبية الله سبحانه وتعالى ، فلا عليه أن يصرف العبادة لمن شاء من المخلوقات ، ولا يعد ذلك مُخرجاً له من الإسلام ، فيدعو من شاء يستغيث بمن شاء مادام يعترف بالربوبية ، وأن ما ورد من الآيات في ذم المشركين إنما لأنهم لم يؤمنوا بالربوبية [(٣)] .

وهذه مغالطة وإنكار لصريح المعنى الوارد في الآيات القرآنية التي تثبت إيمانهم بالربوبية ، ومنها قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[(٤)] .

قال قتادة – رحمه الله – : «إنك لست تلقى أحداً منهم إلا أنباك أن الله ربه ، وهو

---

(١) روى بيعته البيهقي في السنن الكبرى ، رقم: ٣٥٣٠ ، (٢/ ٣٠٢) ، البداية والنهاية (٥/ ٣٥٠) .

(٢) رواه عبدالله علي الهروي ، في ذم الكلام ، ص ٤٣ ، تحقيق: د . سميح وغيم ، وابن حبان في صحيحه ، رقم: ٨١ (١/ ٢٨١-٢٨٢) والبزار في مسنده رقم: ٢٧٩٣ (٧/ ٢٢٠) وحسنه .

(٣) انظر: في إبطال هذه الشبهة كتاب: «الشرك في القديم والحديث» أبو بكر محمد زكريا ، (٢/ ١١٨٧-١١٨٨) ، (٢/ ١١٦٣) ، وتفسير المنار ، لمحمد رشيد رضا (٢/ ٦٥ وما بعدها) .

(٤) سورة يونس ، الآية: ٣١ .

الذي خلقه ورزقه وهو مشرك في عبادته»أ. هـ [١] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : «فأما من أنكر الصانع ، فذلك جاحد معطل للصانع ، كالقول الذي أظهره فرعون والكلام الآن مع المشركين بالله المقرين بوجوده ، فإذاً هذا التوحيد الذي قرروه لا ينازعهم فيه هؤلاء المشركون ، بل يقرون به مع أنهم مشركون ، كما ثبت بالكتاب والسنة والإجماع ، وكما علم بالاضطرار من دين الإسلام» [٢] .

ومنها الاحتجاج بالقدر على المعاصي ، فالشيطان أول من احتج بالقدر على المعاصي ، قال تعالى: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾[٣] ، وقوله تعالى: ﴿ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[٤] .

فيقول: الله قدَّر المعاصي عليَّ فكيف يعذبني على شيء قدره عليَّ لا حيلة لي في دفعه ، وهذه شبهة شيطانية وقع فيها الجبرية الضالة ، ومن قبلهم كان احتجاج المشركين بها ، حيث قال تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ﴾ [٥] .

فيبين الله تعالى أن ذلك لم ينفعهم ، بل عذبوا على كفرهم ، ووصفهم بالجهل واتباع الظن الذي لا يغني عن الحق شيئاً ، وطالبهم بالحجة والبرهان ، ولهذا حذر النبي ﷺ أمته من فتح عمل الشيطان في باب القضاء والقدر ، فقال: (. . . احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان) .

لما يلقيه في القلب من الوساوس ، والشبهات ومعارضة القدر وقد سبق التفصيل

---

(١) جامع البيان ، لابن جرير (١٣/ ٧٨) .
(٢) التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ص ١٨١-١٨٢ ، تحقيق: د. محمد عودة السعوي .
(٣) سورة الأعراف ، الآية: ١٦ .
(٤) سورة الحجر ، الآية: ٣٩ .
(٥) سورة الأنعام ، الآية: ١٤٨ .

في ذلك .

ولو صح الاحتجاج بالقدر للزم من ذلك أن يكون فرعون وقارون ، وأقوام الرسل جميعاً الذين كذبوا رسلهم وعصوهم ، معذورين ، لا لوم عليهم ولا عتب ، وهذا الكفر الصريح ، كما إنه يلزم من ذلك ألا يفرق بين أولياء الله وبين أعدائه ، كما أن ما قدره الله على العبد أمر مجهول لا يعلمه أحد ، فكيف يسلك العبد سبيل الغواية ويحتج بالقدر؟! ولماذا لا يسلك سبيل الاستقامة ، ويقول هذا قدري؟ لا شك أن هذه مغالطة ، ولو كان القدر حجة للعصاة ، لكان في إرسال الرسل عبث ينزه الرب تعالى عنه ، حيث أخبر أن الرسل تقيم الحجة وتبين البرهان فلو كان القدر حجة للعصاة لما أقيمت هذه الحجة[1] .

ولهذا جعل الله العبد مسئولاً عن عمله وكسبه ، وأن ما يناله من عذاب جزاء كفره ، وفعله الذي هو بإرادته وقدرته ، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾[2] ، وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾[3] .

واثبت له مشيئة ، كما في قوله: ﴿ إِنَّ هَـٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾[4] ، وعلى هذا اتفق سلف الأمة وأئمتها[5] ، وكان السلف ينكرون لفظ (الجبر) ، ويقولون: (جبل)[6] .

---

(١) منهاج السنة ، لابن تيمية (٣/ ٥٤-٧٢) ، مجموع الفتاوى (٨/ ٢٦٢-٢٦٥) ، (٨/ ٢٨٨) ، الدرة البهية لابن سعدي (١٩/ ٢٠) ، (٥١-٥٢) .
(٢) سورة يونس ، الآية: ١٠٨ .
(٣) سورة يونس ، الآية: ٥٢ .
(٤) سورة الإنسان ، الآيتان: ٢٩-٣٠ .
(٥) مجموع الفتاوى (٨/ ٤٥٩-٤٦٠) .
(٦) انظر: السنة ، للخلال ، ص ٥٤٩-٥٥٠ ، مجموع الفتاوى (٨/ ١٠٣-١٠٤) ، شفاء العليل ، ص ٢٢٠ .

والجبر من الألفاظ المجملة ، فإن أريد بالجبر القهر والقدرة ، وهو معنى اسم الله تعالى (الجبار) ، أي بمعنى أنه قادر على كل شيء قاهر له ، ومن قهره أن يجعل لـه قـدرة وإرادة على الفعل ، فهذا صحيح فما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن .

وإن أريد بالجبر الإكراه على الفعل ، مع عدم القدرة على جعل الشخص مريداً لفعله ، أو قادراً عليه فهذا باطل ، ولا يطلق على الله تعالى عما يقولون علواً كبيراً ؛ وهذا قد يفعل المخلوق مثله .

والفرق بينه وبين ما قبله يتبين بما يلي:

١- عجز المخلوق عن جعل المكره قادراً أو مريداً .

٢- إن هذا قد يسمى ظلماً والله تعالى منزه عن الظلم .

٣- إن المخلوق جاهل بالعاقبة ، ولا يعلم الحكمة وقد يكون سفيهاً ، جاهلاً ، أما الرب تعالى فأفعاله على مقتضى حكمته وعلمه سبحانه .

٤- إن جبر المخلوق لمخلوق يكون لنقص في المكره وعجز عن القيام بالعمل بمفرده والله تعالى له الكمال المطلق [1] .

والقول بالجبر من أشنع البدع ، وأشدها قبحاً ، قال العلامة عبدالرحمن السعدي – رحمه الله – : «وهذا القول من أشنع البدع وأنكرها ، وهو مخالف للكتاب والسنة ، وإجماع الأئمة المهتدين من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، ومخالف للعقول والفطر ، ومخالف للمحسوس ، وكل قول يمكن صاحبه أن يطرده ، إلا هذا القول الشنيع» أ . هـ [2] .

ومما يدل على بطلان هذا القول عدة أمور:

الأول: إن الله تعالى نسب أفعال العباد إليهم ، كما سبق ذكره في الآيات ، وأخبر

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ٤٦٣-٤٦٥) ، شفاء العليل ، ص ٢٢٠-٢٢٢ .

(٢) الدرة البهية ، لابن سعدي ، ص ٢٢ .

أنه يجازيهم بها ، فدل على أن لهم قدرة وإرادة ، والله تعالى خالقهم وخالق إرادتهم وقدرهم .

الثاني: إنه يلزم منه سقوط الأمر والنهي ، إذا لا قدرة للعبد على فعل مأمور أو ترك محظور .

الثالث: إنه يلزم منه إسقاط إقامة الحدود على مرتكبي الجرائم ، إذ هم مجبورون على الفعل ، ومعلوم أنه لو أعتدي على أحد هؤلاء الجبرية معتد ثم احتج بالقدرة وأنه لا قدرة له على الترك لعد ذلك زيادة تهكم وظلم .

الرابع: أنه يلزم منه إبطال الأسباب وتعطيلها سواء كانت دينية أو دنيوية (١) .

قال شيخ الإسلام – رحمه الله – : «فمن نظر إلى الحقيقة القدرية ، وأعرض عن الأمر والنهي والوعد والوعيد كان مشابها للمشركين ، ومن نظر إلى الأمر والنهي وكذب بالقضاء والقدر كان مشابهاً للمجوسيين ، ومن آمن بهذا وهذا ، وإذا أحسن حمد الله وإذا أساء استغفر ؛ وعلم أن ذلك كله بقضاء الله وقدره ، فهو من المؤمنين ، فإن آدم – عليه السلام – لما أذنب تاب فاجتباه ربه وهداه ، وإبليس أصر واستكبر ، واحتج بالقدر ؛ فلعنه الله وأقصاه» أ.هـ (٢) .

ومنها إيهامهم إن ذلك من التوسل المشروع ، ودخل عليهم من باب الأدلة التي جاء فيها جواز التوسل ، ولم يفرقوا فيها بين التوسل الجائز والممنوع (٣) .

قال النبهاني: «وينبغي للزائر أن يكثر من الدعاء والتضرع والاستغاثة والتشفع والتوسل والتوجه به ﷺ ، فجدير بمن استشفع به أن يشفعه الله تعالى فيه ، فإن كلا من الاستغاثة والتوسل والتشفع والتوجه للنبي واقع في كل حال قبل خلقه وبعده ، في مدة

---

(١) انظر: المرجع السابق ، ص ٢٢-٢٣ .

(٢) مجموع الفتاوى ، لابن تيمية (٨/ ٢٤٣) .

(٣) التوسل والوسيلة ، لابن تيمية ، والشرك في القديم والحديث (٢/ ١١٦٦) وما بعدها .

حياته في الدنيا وبعد موته، في مدة البرزخ، وبعد البعث في عرصات القيامة»[١] .

ومنها إيهامهم أن دعاء الأنبياء والصالحين جائز، لأنه من باب التوسط بهم إلى الله تعالى، ومن باب طلب الشفاعة منهم دون تفريق بين الشفاعة المثبتة والمنفية[٢] .

وأوهمهم أن عبادة الأصنام أشد وأدعى لتعظيم الله تعالى، فقالوا مقام الله عز وجل أعظم من أن نعبده، ولكن نعبد هذه الأصنام لتكون لنا شفعاء عند الله سبحانه وتعالى[٣]، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾[٤]، جاء في سبب نزولها أن النضر بن الحارث قال: «سوف تشفع لي اللات والعزى»[٥] فنزلت هذه الآية.

«بل كادهم إبليس بأعظم من ذلك فكانوا ويزعمون أن المؤثر في حوادث العالم هو قوى النفس أو الحركات الفلكية أو القوى الطبيعية فيقولون: إن الإنسان إذا أحب رجلاً صالحاً قد مات، ولا سيما إن زار قبره فإنه يحصل لروحه اتصال بروح ذلك الميت فيما يفيض على تلك الروح الزائر المستشفعة من غير أن يعلم الله بشيء من ذلك...»[٦] !!

ويحسن لهم الدعاء عند القبور، فإذا ما أجيبت دعوة العبد انتقل معه إلى فتنة أخرى أشد وهي دعاء الله بصاحب القبر وسؤاله به والإقسام عليه به.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: «وهو بدعة باتفاق المسلمين»[٧] .

ثم يتدرج معه إلى فتنة أعظم، وهي اتخاذ هذا القبر وثناً يعبد، ويعكف عليه

---

(١) الأنوار المحمدية، ص ٦٠٤، وانظر: المدخل، لابن الحاج (١/٢٥٨-٢٥٩).
(٢) انظر: الشرك في القديم والحديث، لأبي بكر محمد زكريا (٢/١١٩٩).
(٣) انظر: تفسير الرازي (١٧/ ٦٣).
(٤) سورة الأنعام، الآية: ٩٤ .
(٥) انظر: جامع البيان لابن جرير الطبري (٧/ ٢٧٩).
(٦) مجموع الفتاى (١/ ١٦٧-١٦٨).
(٧) نقله عنه تلميذه ابن القيم في إغاثة اللهفان (١/ ١٦٨).

ويطاف ويتمسح به، فإذا تمكن ذلك من قلب هذا العبد انتقل به إلى فتنة أشد، وهي دعوة الناس إلى عبادة هذا القبر واتخاذه عيداً.

ثم يوهم الناس أن المنع من قصد القبر وإيقاده بالسرج وبناء القباب عليه والسفر إليه والاستغاثة به، إنما هو حط من قدر صاحب القبر وتنقيص له، فتراهم ركعاً، سجداً، معظمين لهذا القبر، ولا حول ولا قوة إلا الله [١].

ومنها إيهامهم أن الأنبياء والأولياء وأصحاب الأضرحة أحياء في قبورهم يسمعون من يدعوهم ويقضون حاجات من يلجأ إليهم، وقد يسعى إبليس وأعوانه في تأكيد الفتنة بما يحصل عند هذه الأضرحة من سماع الأصوات ورؤية بعض الأشخاص.

كما بين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – فقال: «ولا ريب أن الأوثان يحصل عندها من الشياطين وخطابهم وتصرفهم ما هو من أسباب ضلال بني آدم، وجعل القبور أوثاناً هو أول الشرك، ولهذا يحصل عند القبور لبعض الناس من خطاب يسمعه وشخص يراه وتصرف عجيب ما يظن أنه من الميت، وقد يكون من الجن والشياطين، مثل أن يرى القبر قد انشق وخرج منه الميت وكلمه وعانقه، وهذا يرى عند قبور الأنبياء وغيرهم، وإنما هو شيطان، فإن الشيطان يتصور بصور الإنس ويدعي أحدهم أنه النبي فلان أو الشيخ فلان، ويكون كاذباً في ذلك، وفي هذا الباب من الوقائع ما يضيق هذا الموضع عن ذكره، وهي كثيرة جداً، والجاهل يظن أن ذلك الذي رآه قد خرج من القبر وعانقه أو كلمه هو المقبور أو النبي أو الصالح . . .إلخ» [٢].

وقضاء الحوائج قد يكون سببه اضطرار الداعي، أو رحمة الله له، أو أمراً قضاه الله[٣].

---

(١) المرجع السابق (١/ ١٦٧-١٦٩)، وانظر: في أبطال هذه الشبهة: مجموع الفتاوى (١/ ٢٠٠)، (١/ ١٦٧-١٦٨)، وإغاثة اللهفان (١/ ١٧٠ وما بعدها)، وحادي الأرواح، ابن القيم، ص ٢٠٨.

(٢) مجموع الفتاوى (١/ ١٦٨).

(٣) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٦٥٣)، وإغاثة اللفهان (١/ ٣٣٣-٣٣٤).

وقد يكون فتنة لـه لإضلاله وإضلال أتباعه، كما ذكر ذلك ابن تيمية بقوله: «وهكذا كثير من أهل البدع والضلال والشرك المنتسبين إلى هذه الأمة؛ فإن أحدهم يدعو ويستغيث بشيخه الذي يعظمه وهو ميت... ويرى ذلك الشخص قد أتاه في الهواء ودفع عنه بعض ما يكره، أو كلمه ببعض ما سأله عنه... وهو لا يعرف أن تلك شياطين تصورت في صورته لتضله، وتضل أتباعه، فتحسن لهم الإشراك بالله ودعاء غير الله» أ. هـ[(١)].

ومنها افتتانهم بقضاء الحوائج فيقال: فلان ذهب إلى قبر الولي فلان وسأله حاجته فقضيت، وسأله الشفاء فشفي[(٢)]، وتنشر مثل هذه القصص الموهمة، والحكايات الغريبة، ويروج لها أحاديث موضوعة ومختلفة، كقولهم: (إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور).

قال ابن تيمية: «فهذا الحديث كذب مفترى على النبي ﷺ، بإجماع العارفين بحديثه لم يروه أحد من العلماء بذلك، ولا يوجد في شيء من كتب الحديث المعتمدة» أ. هـ[(٣)].

وقولهم: (لو أحسن أحدكم ظنه بحجر نفعه).

ومنها افتتانهم بما يرون من الصور والأشكال، فيرى أحدهم النبي ﷺ ويزعم أنه صافحه وعانقه يقظة لا مناماً، بل ربما رأى الكعبة تطوف به، وربما يرى عرشاً وعليه صورة عظيمة أو يرى أشخاصاً يظنها الملائكة فيظن أن هذه الصورة العظيمة هي الله تعالى وتقدس[(٤)].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٧/ ٤٥٦)، تلخيص الاستغاثة، لابن تيمية، ص ٣٢٥ وما بعدها.
(٢) انظر: إغاثة اللهفان، لابن القيم (٨/ ١٦٧).
(٣) مجموع الفتاوى (١/ ٣٥٦)، إغاثة اللهفان (١/ ٣٣٢).
(٤) انظر: مجموع الفتاوى (١/ ١٧١-١٧٢)، وقد ذكر قصة الشيخ عبدالقادر الجيلاني في حكايته المشهورة: «حيث قال كنت مرة في العبادة فرأيت عرشاً عظيماً وعليه نور فقال لي: يا عبدالقادر! أنا ربك وقد حللت لك ما حرمت على غيرك، قال: فقلت: له أنت الله الذي لا إله إلا هو؟ اخسأ يا عدو الله، قال: فتمزق ذلك النور وصار ظلمة، وقال: يا عبدالقادر نجوت مني بفقهك في دينك وعلمك وبمنازلاتك في أحوالك، لقد فتنت بهذه القصة سبعين رجلاً...» أ. هـ.

قال شيخ الإسلام – رحمه الله – : «فإذا كانت الشياطين تأتي الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – لتؤذيهم وتفسد عبادتهم . . . فكيف من هو دون الأنبياء؟ فالنبي ﷺ قمع شياطين الإنس والجن بما أيده الله تعالى من أنواع العلوم والأعمال . . . فمن كان متبعاً للأنبياء نصره الله سبحانه بما نصر به الأنبياء ، وأما من ابتدع ديناً لم يشرعوه ، وابتدع الغلو في الأنبياء والصالحين والشرك بهم ، فإن هذا تتلاعب به الشياطين» (١) .

وقال – رحمه الله – : «وقد لبس الشيطان على كثير من الجهال ، فجعلهم يرجون غير الله ويسألون غيره ؛ كما يفعل المشركون الذين اتخذوا من دون الله شفعاء سواء كانوا ملائكة أو أنبياء أو صالحين . . . وكثيراً ما يتمثل لهؤلاء المشركين صورة ذلك الشخص المستغاث به ، ويكون ذلك شيطاناً تمثل على صورته ليضل ذلك المستغيث به المشرك ، والشيطان كما قد يتمثل في المنام بصورة شخص ؛ فقد يتمثل أيضاً في اليقظة بصورة شخص ، يراه كثير من الناس ؛ كما كانت الشياطين تكلم الناس من الأصنام» (٢) .

قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا ﴾ «إناثاً يعني اللات والعزى ومناة ، وكان لكل حي صنم يعبدونه ، ويقولون: أنثى بني فلان ، قاله الحسن وابن عباس ، وأتى مع كل صنم شيطانه يتراءى للسدنة والكهنة ويكلمهم . . .» (٣) .

وقد حصل مثل هذا كثيراً لابن تيمية وتلميذه ابن القيم – رحمهما الله تعالى – حيث تتصور الشياطين بصورتيهما وتأتي إلى من استغاث بهما وتقضي حاجته (٤) .

وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: كانت العزى شيطانه تأتي ثلاث سمرات ببطن نخلة ، فلما افتتح رسول الله ﷺ مكة بعث خالد بن الوليد فقال ائت بطن

---

(١) المرجع السابق (١/ ١٧١) مختصراً .
(٢) فتح المنان (١/ ٢٦٧) .
(٣) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي (٥/ ٣٨٧) .
(٤) انظر: فتح المنان (١/ ٢٧٠-٢٧١) .

نخلة فإنك تجد ثلاث سمرات فاعتضد الأولى فأتاها فعضدها ، فلما جاء إليه قال: هل رأيت شيئاً قال: لا ، قال فاعضد الثانية فأتاها فعضدها ، ثم أتى النبي ﷺ . فقال هل رأيت شيئاً ، قال: لا ، قال فاعضد الثالثة فأتاها فإذا هو بجنية نافشة شعرها واضعة يديها على عاتقها تصر بأنيابها وخلفها دية السُّلمي ، وكان سادنها فقال خالد يا عز كفرانك لا سبحانك ، أني رأيت الله قد أهانك ، ثم ضربها ففلق رأسها فإذا هي حممة ثم عضد الشجرة وقتل دية السادن ثم أتى النبي ﷺ فأخبره فقال تلك العزى ولا عزى بعدها للعرب (١) .

ومنها افتتانهم بالرؤى والمنامات التي ترى لهم (٢) .

قال شيخ الإسلام – رحمه الله – : «ومنهم من يرى في المنام شخصاً يظن أنه المقبور ويكون ذلك شيطاناً تصور بصورته أو بغير صورته ، كالشياطين الذين يكونون بالأصنام وكالشياطين الذين يتمثلون لمن يستغيث بالأصنام والموتى والغائبين ، وهذا كثير في زماننا وغيره . . .» أ . هـ (٣) .

ومنها إيهامهم بأن الآيات التي تنهى عن دعاء غير الله والاستغاثة بمن سوى الله ، إنما وردت في الأصنام والأوثان فقط ، وأما الأولياء والصالحون فلا يشملهم النهي فهم

---

(١) تلبيس إبليس ، لابن الجوزي ، ص ٧٣ ، انظر: إغاثة اللهفان ، (٢/ ١٥٧) .

(٢) من أمثلة ذلك ما يظهر بين آونة وأخرى وما يسمى «بوصية الشيخ أحمد خادم الحرم النبوي الشريف» الذي قال فيها: «كنت ساهراً ليلة الجمعة أتلو القرآن الكريم ، وبعد تلاوة قراءة أسماء الله الحسنى ، فلما فرغت من ذلك تهيأت للنوم ، فرأيت صاحب الطلعة البهية رسول الله ﷺ . . . فقال: يا شيخ أحمد قلت: لبيك يا رسول الله ، يا أكرم خلق الله ، فقال لي: أنا خجلان من أفعال الناس القبيحة ، ولم أقدر أن أقابل ربي ولا الملائكة ، لأن من الجمعة إلى الجمعة مات مائة وستون ألفاً على غير دين الإسلام . . .» ثم ختم هذه الوصية بترغيب في نشر هذه الوصية وأن من نشرها بني له قصر في الجنة ، وإن كان فقيراً أغناه الله وإن كان مديوناً قضي دينه ، وإن كان عليه ذنوب غفرت ذنوبه . . . إلخ ، مجموع فتاوى ومقالات ، سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز – رحمه الله – (١/ ١٩٨-١٩٩) ، وانظر: الرد عليها في نفس الجزء والصفحة ، ط . الثانية ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م .

(٣) تلخيص الاستغاثة ، لابن تيمية ، ص ٣١١ .

ليسوا كالأصنام [١] .

ومن المعلوم أن هؤلاء المشركين الذين نزلت عليهم الآيات التي تذم عبادتهم وتنهاهم عنها لم يكونوا يعبدون الأصنام كلهم بل كان منهم من يعبد الملائكة ، ومنهم من يعبد عزيراً وعيسى وأمه ، كما ذكر ذلك السلف [٢] ، عند تفسير قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ۝٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ۝٥٧ ﴾ [٣] .

ولهذا يقول شيخ الإسلام – رحمه الله – بعد ذكر الأقوال في تفسير هذه الآية: «وهذه الأقوال كلها حق ، فإن الآية تعم كل من كان معبوده عابداً غير الله سواء كان من الملائكة أو من الجن أو من البشر ، والسلف – رضي الله عنهم – في تفسيرهم يذكرون جنس المراد بالآية على نوع التمثيل» [٤] .

ومما يدل على شمولها قوله تعالى: ﴿ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ ، فإن هذا لا يمكن في الجمادات [٥] .

ومنها إيهامهم أن هذا ما هو إلا تبرك بآثار وذوات الصالحين ، وأن هذا التبرك لا يعد من العبادة [٦] ، وليس بمحرم مستندين في ذلك على بعض الشبه التي فتنهم بها إبليس [٧] ، **ومن مكايده** في هذا التوحيد استحسان عبادة الوثن والظن والاعتقاد بأنه الحق ، وإقناع الأبناء بأن أرواح الآباء والأجداد الذين ماتوا في الوثنية لن ترتاح إن أسلم

---

(١) الشرك في القديم والحديث (٢/ ١٢٥٨) ، والمجموع المفيد ، د . محمد الخميس ، ص ٦٠ .
(٢) جامع البيان (١٥/ ١٠٥) ، زاد المسير (٥/ ٤٩-٥٠) ، الجامع لأحكام القرآن ، (١٠/ ٢٧٩) .
(٣) سورة الإسراء ، الآيتان: ٥٦-٥٧ .
(٤) مجموع الفتاوى (١٥/ ٢٢٦) .
(٥) انظر: فتح القدير ، للشوكاني (٣/ ٢٣٧) ، وانظر: في إبطال هذه الشبهة ، تاريخ ابن غنام (٢/ ٢٨٥) .
(٦) انظر: المدخل ، لابن الحاج (١/ ٢٤٩) .
(٧) انظر: التبرك أنواعه وأحكامه ، د . ناصر الجديع ، ص ٣٨٥-٣٨٧ .

الأبناء وأن عبادة الأبناء توصل الرحمة للآباء .

ومنها تخويفهم العار والخيانة ، وهذا الذي أوقع أبو طالب عم النبي ﷺ في النار وموته على الشرك خشية أن يموت على ملة غير ملة عبدالمطلب!

ومنها تأصيل العادات والأفكار الباطلة في نفوسهم وتزيينها لهم بما يصحب ذلك من المراسيم الوثنية والحفلات المصاحبة بالطبول والرقص والخمور ، ومنها إيهامهم بأن تقليد الآباء والأجداد أسلم لأن «الأدلة تشتبه والصواب قد يخفى والتقليد سليم» (١) .

قال محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله - : «فهو - أي التقليد - القاعدة الكبرى لجميع الكفار: أولهم وآخرهم . . .» (٢) ، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ﴾ (٣) .

قال سيد قطب - رحمه الله - : «فهذا الموقف إنما هو دعوة من الشيطان لهم ، ينتهي إلى عذاب السعير ، فهل هم مصرون عليه ولو قادهم إلى ذلك المصير» (٤) .

كما بين ﷺ في الحديث السابق بقوله: (إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه فقعد له بطريق الإسلام فقال تسلم وتذر دينك ودين آبائك وآباء أبيك فعصاه فأسلم . . .) ، ومن هنا توصل الشيطان مع عابديه بهذه الشبهة إلى نتائج خطيرة ومهلكة ومنها:

١- الدمار والهلاك ، كما صرح تعالى في كتابه في قصة - نوح عليه السلام - عندما دعاهم إلى عبادة الله تعالى ، فمنعهم تقليد الآباء والأجداد عن الانصياع لأمره والاستجابة له ، فقالوا: ﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (٥) .

---

(١) تلبيس إبليس ، ص ١٠٠ .

(٢) مسائل الجاهلية ، شرح وتحقيق: د . يوسف السعيد (١/ ١٧١) .

(٣) سورة لقمان ، الآية: ٢١ .

(٤) الشيطان في ظلال القرآن ، عكاشة الطيبي ، ص ١٣٢ .

(٥) سورة المؤمنون ، الآية: ٢٤ .

وكذلك هود كما في قوله: ﴿ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾(١)، وكذلك صالح – عليه السلام – كما في قوله: ﴿ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ ﴾(٢).

وهذا الخليل – عليه السلام – يجيبه قومه عندما دعاهم إلى عبادة الله ونبذ عبادة الأصنام فردوا عليه بأنهم وجدوا آباءهم لها عابدين، كما في قوله تعالى: ﴿ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾(٣)، وقوله: ﴿ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴾(٤).

وعلى ذلك سار مشركو العرب عندما جاءهم نبينا محمد ﷺ، كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾(٥).

٢- انحراف الموحدين عن العقيدة الصحيحة، كما في قصة بني إسرائيل عندما طلبوا من موسى أن يجعل لهم إلهاً يعبدونه، وكذلك تقليدهم للسامري في عبادة العجل.

ونسبة الولد لله تعالى، قال تعالى مبيناً حالهم في تقليد من سبقهم: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾(٦).

٣- ارتكاب الفواحش، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ﴾(٧).

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٧٠.
(٢) سورة هود، الآية: ٦٢.
(٣) سورة الشعراء، الآية: ٧٤.
(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٥٣.
(٥) سورة البقرة، الآية: ١٧٠.
(٦) سورة التوبة، الآية: ٣٠.
(٧) سورة الأعراف، الآية: ٢٨.

٤- انتشار البدع، فأكثر المبتدعة اليوم كان سبب انتشار بدعهم التقليد كالشيعة والصوفية، «فالمتصوفة يرون أنه لا يجوز الإنكار على المشايخ أمراً فعلوه، ولو كان مخالفاً للشريعة، ويرون من ينكر عليهم خارجاً عن طريقتهم، بل ربما قالوا: عن الإسلام؛ وذلك لأن المشايخ في نظرهم لا يمكن أن يفعلوا ما يخالف الإسلام، وأوجبوا على المريدين التسليم الكامل لهم، حتى ولو كان فيه مخالفة يراها المريد» (١).

ومن هذه البدع ما شرعه لهم مشايخهم من الأذكار المبتدعة، والاجتماع لسماع القصائد سواء كان ذلك بكف أو بدف، كقولهم يا «هو، يا من لا هو إلا هو، ديهار، يا ديهور...» إلخ. حتى اعتبروا قول (لا إله إلا الله) التي هو أعظم كلمة توحيد العوام(٢).

قال شيخ الإسلام: «وأما الاقتصار على الاسم المفرد مظهراً أو مضمراً فلا أصل له، فضلاً عن أن يكون من ذكر الخاصة والعارفين، بل هو وسيلة إلى أنواع من البدع والضلالات وذريعة إلى تصورات أحوال فاسدة من أحوال أهل الإلحاد وأهل الاتحاد»(٣).

ويقول الشيخ عبدالعزيز بن باز: «الاجتماع على الذكر بصوت جماعي لا أصل له في الشرع، وهكذا الاجتماع بقول: الله. الله، أو هو. هو، إنما الذكر الشرعي أن يقول: لا إله إلا الله، فهذا هو الذكر الشرعي، أو سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، أستغفر الله، اللهم أغفر لي، أما الاجتماع بصوت واحد: لا إله إلا الله، أو: الله، الله، أو: هو هو؛ فهذا لا أصل له، بل هو من البدع المحدثة... إلخ»(٤).

---

(١) مسائل الجاهلية (١/ ١٧١)، للشيخ محمد بن عبدالوهاب، شرح وتحقيق: د. يوسف السعيد.

(٢) انظر: تفسير الرازي (١/ ١٥٨).

(٣) مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٣٣)، وانظر: (١٠/ ٣٩٦)، (١٠/ ٥٥٦).

(٤) البدع والمحدثات وما لا أصل له، جمع وإعداد حمود بن عبدالله المطر، ص ٤٢٥.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : «فهذا لم يفعله أحد من الصحابة، لا من أهل الصفة ولا من غيره، بل ولا من التابعين، بل القرون المفضلة...»أ. هـ [١].

وكتشريع عبادات وصلوات ما أنزلها الله، حظهم منها التعب والنصب، فأحيوا البدع، وأماتوا السنن، ومن أمثلتها: إحياء ليلة النصف من شعبان، وصلاة الرغائب، وصلاة الكفاية [٢]، والاحتفال بليلة الإسراء والمعراج، والمولد النبي، وغيرها من البدع.

يقول الحوامدي في كتابه السنن والمبتدعات: «يقوم الدرويش (المربي) بعد نصف الليل بساعة أو ساعتين فيتوضأ ويصلي ركعتين في ربع دقيقة ثم يجلس، تحت السبحة الغليظة المعلقة في السقف في (البكرة) ثم يقرأ الفاتحة لشيخه ومشايخه وأصحاب السلسلة (!!) وأصحاب التصريف (!!) والأغواث والأقطاب والأنجاب والأبدال والعشرة الكرام، ثم يناديهم....» [٣] إلخ ما ذكره من البدع والمحدثات التي أملاها عليهم إبليس.

ومنها الاغترار بالكثرة حيث «يستدلون على بطلان الشيء بغربته وقلة أهله»[٤].

وكذلك إغراؤهم باتباع الفسقة والمترفين، كما حصل لليهود باتباعهم السامري في عبادة العجل وكذلك اتباع المشركين لعمرو بن لحي في عبادة الأصنام [٥]، كما بين تعالى في قوله: ﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾[٦].

(١) مجموع الفتاوى (١١/ ٥٧).

(٢) هي ركعتان يصليها العبد في أي وقت ويقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة الإخلاص عشر مرات، و﴿ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ خمسين مرة ثم يسلم، انظر: إحياء علوم الدين، للغزالي (١/ ١٩٢ وما بعدها).

(٣) السنن والمبتدعات، محمد بن أحمد الشقيري الحوامدي، ص ١٦٨.

(٤) مسائل الجاهلية، للشيخ محمد بن عبدالوهاب (١/ ١٧٨)، تحقيق: د. يوسف السعيد.

(٥) انظر: المرجع السابق، (١/ ٢٠٠ وما بعدها).

(٦) سورة الأحزاب، الآية: ٦٧.

ومنها الاستدلال بفعل أهل الأفهام والأعمال وأصحاب الملك والمال والجاه كاليهود والنصارى ليدل على رجاحة الشيء وحسنه [١]، قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ ﴾[٢] .

ومنها خداعه لأهل الباطل بأن الحق لم يتبعه إلا الضعفاء كما نسمع في هذا الزمن من يتشدق بأن الإسلام سبب ضعف المسلمين وتخلفهم!! وما علموا أن المسلمين ما وصل بهم الحال إلى هذه الحال إلا بسبب بعدهم عن التمسك بتعاليمه[٣] .

والشبهات كثيرة وهذا ما فتح الله به - وسيأتي في المبحث القادم مكايده في إفساد توحيد الأسماء والصفات - أعاذنا الله من الشيطان وكيده .



(١) انظر: مسائل الجاهلية، شرح: د. يوسف السعيد (١/ ١٩٢-١٩٣) .

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٦٧ .

(٣) انظر: أمثلة في شرح مسائل الجاهلية (١/ ٢٠٠ وما بعدها) .

المبحث الثالث

توحيد الأسماء والصفات

الإيمان بأسماء الله وصفاته هو القسم الثالث من أقسام التوحيد، وهو يندرج ضمن التوحيد العلمي، الاعتقادي، الخبري، ومعرفة هذا التوحيد والإيمان به من أكبر عوامل جلب محبة الله عز وجل في القلب وزيادة الإيمان فيه [(١)] .

ومعناه: الإيمان بكل ما وصف الله به نفسه في كتابه، أو وصفه به رسول ﷺ فيما ثبت عنه على الحقيقة من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تكييف ولا تعطيل ولا تحريف ونفي ما نفي سبحانه عن نفسه أو نفاه رسوله ﷺ فيما صح عنه.

وأسماء الله تعالى كلها حسنى، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾[(٢)] .

ومعنى كونها حسنى أن «كل اسم دال على صفة كمال عظيمة، وبذلك كانت حسنى، فإنها لو دلت على غير صفة؛ بل كانت علماً محضاً، لم تكن حسنى، وكذلك لو دلت على صفة، ليست بصفة كمال، بل إما صفة نقص أو صفة منقسمة إلى المدح والقدح، لم تكن حسنى» [(٣)] ، «وقد اتفق الصحابة والتابعون على إقرارها وإمرارها مع فهم معانيها وإثبات حقائقها» [(٤)] .

والذي عليه السلف في هذا التوحيد أنهم اجتنبوا التعطيل في مقام النفي والتنزيه، وتجنبوا التمثيل في مقام الإثبات، وضابطهم في هذا الباب إن أسماء الله وصفاته توقيفية، فلا نسمي الله جل وعلا إلا بما سمىً به نفسه، وكذلك لا نصفه إلا بما وصف به نفسه،

---

(١) انظر: مدارج السالكين (٣/ ١٧).

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠ .

(٣) تيسير الكريم الرحمن، لابن سعدي (٣/ ١٢٠)، وانظر: مجموع الفتاوى (٣/ ٤).

(٤) مختصر الصواعق المرسلة، على الجهمية والمعطلة، لابن القيم، (١/ ٢١)، وشرح العقيدة الأصفهانية، لابن تيمية (٢/ ٢٤)، العقيدة الواسطية، لابن تيمية، ص ٦، ص ٢٣، ص ٢٩ .

أو جاء على لسان رسوله ﷺ، فلا نثبت إلا ما أثبته الله ولا ننفي إلا ما نفاه الله عن نفسه وأسماؤه جل وعلا حق على حقيقتها، وليس فيها ألغاز، بل معناه واضح معروف لا سيما وهو كلام الله وكلام رسوله الذي هو أعلم الخلق بربه وأفصحهم بياناً [(١)].

وهذا مذهب السلف قاطبة روى الدارقطني عن الوليد بن مسلم [(٢)] قال: «سألت الأوزاعي ومالك بن أنس وسفيان الثوري، والليث بن سعد، عن هذه الأحاديث التي فيها الرؤية وغير ذلك، فقال امضها بلا كيف» [(٣)].

ومن منهجهم إن كل اسم من أسمائه تعالى، إذا أطلق عليه فهو يتضمن إثبات صفة له سبحانه وتعالى لأن أسماءه تعالى أعلام وأوصاف، ولو كانت أعلاماً محضة لم تكن محمودة، ولساغ إبدال بعضها ببعض، ولأصبح معنى العزيز، والرحيم، والقوى . . . واحداً ولأصبحت من المترادفات، وهذا من أبطل الباطل، وهذا الإلحاد في أسماء الله تعالى، حيث قال: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [(٤)].

قال أبو حنيفة – رحمه الله – في الفقه الأكبر بعد ذكره الصفات وأنها على قسمين ذاتية وفعلية: «لم يزل ولا يزال بأسمائه وصفاته لم يحدث له اسم ولا صفة لم يزل عالماً بعلمه، والعلم صفة في الأزل، وقادراً بقدرته، والقدرة صفة في الأزل ومتكلماً بكلامه، والكلام صفة في الأزل، وخالقاً بتخليقه والتخليق صفة في الأزل، وفعل الله تعالى غير

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٥/ ٢٦-٢٧).

(٢) «الوليد بن مسلم القرشي، أبو العباس الدمشقي، ثقة لكنه كثير التدليس والتسوية مات سنة ١٩٥»، التقريب، ص ٥٨٤، وانظر: ترجمته في ميزان الاعتدال (٤/ ٣٤٧-٣٤٨).

(٣) رواه الدارقطني، في كتاب: «الصفات»، ص ٧٥، ورواه الذهبي في العلو عن الوليد بن مسلم (المختصر رقم ١٣٧، ص ١٤٣)، وروى أيضاً نحوه، رقم ١٣٤، ص ١٤٢، وقال الألباني في المختصر: «إسناده صحيح رجاله كلهم ثقات . . .»، أ. هـ، مختصر العلو، ص ١٤٢. للحافظ الذهبي.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

مخلوق وصفاته في الأزل غير محدثة ولا مخلوقة، فمن قال: إنها مخلوقة أو محدثة، أو وقف أو شكَّ فيها فهو كافر بالله تعالى»أ. هـ [(١)].

وروى الذهبي عن يونس بن عبدالأعلى [(٢)] قال: سمعت الشافعي يقول: «لله تعالى أسماء وصفات لا يسع أحد قامت عليه الحجة ردها»[(٣)].

وروى اللالكائي عن محمد بن الحسن قال: «اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب عز وجل من غير تغيير ولا وصف، ولا تشبيه، فمن فسر اليوم شيئاً من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبي ﷺ وفارق الجماعة، فإنهم لم يصفوا ولم يفسروا ولكن أفتوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا فمن قال بقول جهم فقد فارق الجماعة، لأنه قد وصفه بصفة لا شيء» [(٤)].

ونقل شيخ الإسلام ابن تيمية عن الإمام أحمد – رحمهما الله – قوله: «لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف، ولا تعطيل ومن غير تكييف، ولا تمثيل، بل يثبتون له ما أثبته لنفسه من الأسماء الحسنى، والصفات العليا، ويعلمون أنه: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[(٥)]، لا في صفاته، ولا في ذاته، ولا في أفعاله»أ. هـ [(٦)].

ويقول الإمام الأوزاعي – رحمه الله – : «كنا والتابعون متوافرون – نقول: إن الله

---

(١) الفقه الأكبر مع شرحه، ص ١٨٠، قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر، ص ٤٨ وما بعدها.

(٢) يونس بن عبدالأعلى، أبو موسى الصدفي، وثقه أبو حاتم، ونعتوه بالحفظ والعقل ووثقه ابن حجر، مات سنة ١٦٤هـ، (انظر: ميزان الاعتدال ٤/ ٤٨١)، والتقريب، ص ٦١٣.

(٣) رواه الذهبي (المختصر، ص ١٧٧)، وقال الذهبي: قد تواتر عن الشافعي ذم الكلام وأهله وكان شديد الاتباع للآثار في الأصول والفروع . . . أ. هـ.

(٤) شرح أصول الاعتقاد اللالكائي، رقم: ٧٤٠، (٣/ ٤٣٢-٤٣٣).

(٥) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٦) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٥/ ٢٥٧)، معارج القبول، لحافظ الحكمي (١/ ٣٦٢-٣٦٥).

تعالى ذكره فوق عرشه ونؤمن بما وردت به السنة من الصفات»[(١)] .

ويقول: «كان الزهري ومكحول يقولان: أمروا الأحاديث كما جاءت»[(٢)] .

وأما مكايد الشيطان في هذا التوحيد، فهي عظيمة جداً، إذ ضلَّ في فهمه أقوام كثيرة، وحيث إنه متعلق بذات الرب تعالى، وأسمائه وصفاته، فدعاهم الشيطان إلى الخوض في الكيفية والقول على الله بلا علم لهم به، ثم ألقى عليهم شبهات كثيرة للإحكام عليهم في فهم هذا التوحيد، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾[(٣)] .

قال ابن القيم – رحمه الله – في بيان مكايد الشيطان في هذا التوحيد: «وقصر [أي الشيطان] بقوم حتى قالوا: إن رب العالمين ليس داخلاً في خلقه ولا بائنا عنهم، ولا هو فوقهم ولا تحتهم ولا خلفهم ولا أمامهم ولا عن أيمانهم ولا عن شمائلهم، وتجاوز بآخرين حتى قالوا: هو في كل مكان بذاته . . . وقصر بقوم حتى نفوا حقائق أسماء الرب تعالى وصفاته وعطلوه منها، وتجاوز بآخرين حتى شبهوه بخلقه ومثلوه بهم»أ . هـ[(٤)] .

وأعظم ما أوقعهم فيه الإلحاد، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾[(٥)] ، وأصل الإلحاد والميل والعدول والجور ومنه اللحد في القبر الانحراف لجهة القبلة[(٦)] .

قال ابن جرير – رحمه الله – : «يعني به المشركين، وكان إلحادهم في أسماء الله

---

(١) رواه البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ١٥٠)، وصححه ابن تيمية في الحموية، ص٢٣، والذهبي في العلو، انظر: المختصر للألباني، ص ١٣٨ .

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة اللالكائي (٣/ ٤٣٠-٤٣١)، رقم: ٧٣٥ .

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٦٩ .

(٤) إغاثة اللهفان، لابن القيم (١/ ٩٤)، ط . المكتبة الثقافية .

(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠ .

(٦) بصائر ذوي التمييز (٤/ ٤٢٠)، لسان العرب (٣/ ٣٨٨)، المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، ص ٤٤٨ .

أنهم عدلوا بها عما هي عليه، فسموا بها آلهتهم وأوثانهم، وزادوا فيها ونقصوا منها، فسموا بعضها اللات اشتقاقا منهم لها من اسم الله الذي هو الله، وسموا بعضها العزى، اشتقاقا لها من اسم الله الذي هو العزيز» أ. هـ [(١)]، ويقول ابن القيم – رحمه الله –: «الإلحاد هو العدول بأسماء الله وصفاته وآياته عن الحق الثابت» أ. هـ، وقيل: الإلحاد هو تحريف اللفظ أو المعنى [(٢)].

وقيل: «هو الشرك في العبادة، لأن أسماءه تعالى تدل على التوحيد فالإشراك بغيره إلحاد في معاني أسمائه سبحانه وتعالى ولا سيما مع الإقرار بها» [(٣)]، ولذلك قيل: أنه أصل الشرك [(٤)]، والإلحاد في أسماء الله وصفاته أنواع:

الأول: الإلحاد بالتغيير والتبديل، كما فعل المشركون، الذين شبهوا المخلوق بالخالق واستقوا لآلهتهم أسماء من أسماء الله تعالى، فسموا اللات من الإله والعزى من العزيز، ومناة من المنان، كما ذكر ذلك ابن عباس ومجاهد وغيرهما.

الثاني: الإلحاد بالزيادة عليها وذلك بأن يسمي الله بما لم يسم به نفسه في كتابه، أو على لسان نبيه محمد ﷺ، كأن يقال: يا سخي بدل جواد أو يا جلد بدل قوي، لأن أسماء الله تعالى توقيفية، «وقد أنكر ابن عباس على رجل قال: يا رب القرآن» [(٥)].

الثالث: الإلحاد بالنقصان بأن ينفي بعض أسماء الله تعالى أو صفاته، كحال المعطلة الذين عطلوا أسماء الله تعالى وما تضمنته من صفات الكمال، أو أثبتوا أسماءً مجردة من المعاني.

قال ابن القيم – رحمه الله –: «ونفي معاني أسمائه الحسنى من أعظم الإلحاد،

---

(١) جامع البيان، لابن جرير (٦/ ١٣٣)، وانظر: تفسير ابن كثير، ص ٥٥٦.
(٢) انظر: زبدة التفسير مختصر تفسير الإمام الشوكاني، لمحمد سليمان الأشقر، ص ٢٢٢.
(٣) شرح كتاب التوحيد، لسليمان بن عبدالله، ص ٥٨١، مكتبة الرياض الحديثة.
(٤) انظر: مدارج السالكين (١/ ٢٨ وما بعدها).
(٥) زاد المسير، لابن الجوزي (٣/ ٢٩٣).

ولأنها لو لم تدل على معان وأوصاف لم يجز أن يخبر عنها بمصادرها، ويوصف بها لكن الله أخبر عن نفسه بمصادرها وأثبتها لنفسه وأثبتها له رسوله..» أ. هـ [١].

الرابع: الإلحاد بالتشبيه كقول المشبه له يد كيدنا، وبصر كبصرنا وتسميته بما لا يليق كتسمية النصارى له (أب)، وإطلاق الفلاسفة عليه العلة الفاعلة أو موجباً بذاته.، ووصفه بما لا يليق كقول اليهود: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ﴾[٢]، وقولهم: ﴿ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾[٣]، وكقولهم (إن الله استراح بعد أن خلق الخلق)، على غير ذلك من أنواع الكفر والفحش تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً [٤].

فوقع هؤلاء الملاحدة في التعطيل والتحريف الذي سموه تأويلاً، كما وقعوا في التكييف والتمثيل والتشبيه، وإليك بيان ما وقعوا فيه بكيد إبليس وتلبسه عليهم بشبه واهية وفلسفات عقيمة:

١- التعطيل: ومعناه: تخلية الله سبحانه من صفاته أي نفي صفاته سبحانه وإنكار قيامها بذاته جل شأنه [٥].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: «قال عمرو بن عثمان المكي [٦] في كتابه الذي سماه: «التعرف بأحوال العباد والمتعبدين»، قال: باب (ما يجيء به الشيطان

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٢٨).
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨١.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٦٤.
(٤) انظر: فيما سبق في أنواع الإلحاد، جامع البيان، لابن جرير (٦/ ١٣٣)، الجامع لأحكام القرآن، (٧/ ٣٢٨)، تفسير ابن كثير (٢/ ٢٧٠)، مختصر الصواعق المرسلة (٢/ ١١٠-١١١)، مدارج السالكين، لابن القيم (١/ ٢٨ وما بعدها)، فتح القدير، للشوكاني (٢/ ٦٨).
(٥) انظر: بدائع الفوائد (١/ ١٦٩)، التنبهات السنية، ص ٢٣.
(٦) عمرو بن عثمان بن كرب، أو عبدالله المكي، قال أبو نعيم في الحلية: العارف البصير والعالم الخبير له اللسان الشافي، والبيان الكافي، معدود في الأولياء، محمود في الأطباء، أحكم الأصول وأخلص في الوصول»أ. هـ، حلية الأولياء (١٠/ ٢٩١)، له مصنفات في التصوف، تاريخ بغداد، (١٢/ ٢٢٣-٢٢٥).

للتائبين) وذكر أنه يوقعهم في القنوط، ثم في الغرور وطول الأمل، ثم في التوحيد فقال: من أعظم ما يوسوس في التوحيد، بالتشكيك أو صفات الرب، بالتمثيل والتشبيه، أو بالجحد لها والتعطيل . . . إلى أن قال: » .

«فالله تعالى . . . أعظم وأجل، وأكبر ألا تسمع لقوله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ﴾[(١)]، وقوله: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾[(٢)]، أي لا شبيه ولا نظير ولا مساوي ولا مثل . . . فإن اعتصمت بها وامتنعت منه أتاك من قبل التعطيل لصفات الرب – تعالى وتقدس – في كتابه وسنة رسوله محمد ﷺ، فقال لك: إذا كان موصوفاً بكذا أو وصفته أوجب له التشبيه فأكذبه، لأنه اللعين، إنما يريد أن يستزلك ويغويك، ويدخلك في صفات الملحدين، الزائغين الجاحدين لصفة الرب تعالى . . .»[(٣)] .

٢- التحريف: وهو مأخوذ من التغيير والإمالة والعدول[(٤)]، ومعناه: تغيير ألفاظ أسماء الله تعالى، سواء ألفاظها أو معانيها[(٥)]، وقد سموه تأويلاً، ليقبل منهم وزخرفوه بباطل القول، وعارضوا أدلة الحق[(٦)]، **والتحريف نوعان:**

---

(١) سورة الشورى، الآية: ١١ .

(٢) سورة الإخلاص، الآية: ٤ .

(٣) مجموع الفتاوى، (٥/ ٦٣) .

(٤) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (٢/ ١٦٣)، التعريفات، للجرجاني (٢/ ٧٥) .

(٥) التنبيهات السنية، عبدالعزيز الرشيد، ص ٢٣، تلخيص الحموية، لابن عثيمين (ضمن رسائل لعقيدة)، ص ٥٤ .

(٦) انظر: شرح الطحاوية، ص ٢٣٢، شرح نونية ابن القيم، لأحمد بن عيسى (٢/ ١٦)، والتأويل يطلق على معان منها:
١- حقيقة المعنى الذي يؤول اللفظ إليه، وهي الحقيقة الموجودة في الخارج .
٢- «المعنى والبيان» في إصطلاح المفسرين .
٣- عند أهل الكلام «صرف الفظ عن ظاهره إلى معنى مرجوح . .»
انظر: تفصيل ذلك في مجموع الفتاوى (٥/ ٣٥-٣٦)، مختصر الصواعق (١/ ١٢-١٤)، شرح العقيدة الطحاوية، ص ٦٩-٧٠، ط . المكتب الإسلامي .

١- لفظي كنصب لفظ الجلالة في قوله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴾[(١)] ، أو تغيير اللفظ بزيادة أو نقصان .

٢- معنوي ، ومعناه العدول بالمعنى إلى معنى آخر ، يشترك معه في اللفظ كتحريفهم المعنى في قوله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾ فقالوا معناه: «جرّح الله موسى بأظفاره الحسن ومخالب الفتن»[(٢)] .

وكتحريفهم المعنى في قوله تعالى: ﴿ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ ﴾[(٣)] ، المضافتين على الله تعالى ، بالقوة والنعمة .

فقالوا: «ظاهر الآية يقتضي اقتضاء السجود لاختصاص آدم بما تضمنته الآية ، فالظاهر متروك إذاً ، والعقل حاكم بأن الذي يقع الخلق به القدرة»[(٤)] .

وقالوا في تحريف قوله تعالى: ﴿ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا ﴾[(٥)] .

«ولم يثبت أحد من المنتمين إلى التحقيق أعينا لله تعالى ، والمعنى بالآية أنها تجري بأعيننا ، وهي منا بالمكان المحوط بالملائكة والحفظ الرعاية . . .»[(٦)] .

وأهل التحريف قد ورثوه من سلفهم اليهود ، حيث لم يتمكنوا من تحريف اللفظ ، كما فعل سلفهم فآلوا إلى تحريف المعنى ، لأن الله تعالى قد تعهد بحفظ كتابه جل وعلا ، فقال: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[(٧)] .

ومن الأمثلة على تحريفهم للكلم عن مواضعه ، تحريفهم معنى الاستواء

---

(١) سورة النساء ، الآية: ١٦٤ .
(٢) تفسير الكشاف للزمخشري نقلاً من موسوعة جامع التفاسير الإلكترونية ، شركة عريس .
(٣) سورة ص ، الآية: ٧٥ .
(٤) الإرشاد ، للجويني ، ص ١٤٧ ، وانظر: المواقف ، للإيجي ، ص ٢٩٨ .
(٥) سورة القمر ، الآية: ١٤ .
(٦) الإرشاد ، ص ١٤٧ ، في رد التحريف وإبطاله ، درء تعارض النقل والعقل (١/ ٢٠٥ وما بعدها) .
(٧) سورة الحجر ، الآية: ٩ .

بالاستيلاء والغلبة، وتحريفهم للعرش بالملك [١] .

يقول البغدادي - رحمه الله - : «واختلف أصحابنا في هذا فمنهم من قال: إن آية الاستواء من المتشابه [٢] ، الذي لا يعلم تأويله إلا الله، وهذا قول مالك بن أنس وفقهاء المدينة والأصمعي، ومنهم من قال: إن استواءه على العرش فعل أحدثه في العرش سماه استواء . . .»، ثم ساق الأقوال إلى أن قال: «والصحيح عندنا تأويل العرش في هذه الآية على معنى الملك كأنه أراد أن الملك ما استوى لأحد غيره . . .» أ. هـ [٣] .

«وقال بعض أصحاب بن كلاب [٤] : إن الاستواء صفة ذات ومعناه نفي الاعوجاج» [٥] ، ولشناعة هذه الأقوال أبسط القول في الرد عليهم مستعينة بالله تعالى: فالاستواء من الصفات الفعلية [٦] التي أثبتها أهل السنة والجماعة، قال سبحانه وتعالى:

---

(١) شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبدالجبار، ص ٢٢٦، الإرشاد، للجويني، ص ٥٩-٦٠ .

(٢) إن نسبة القول أن الاستواء من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله إلى الإمام مالك وفقهاء المدينة، افتراء عليهم، فمذهبهم معلوم، وقول مالك المشهور في الاستواء عندما سأله رجل كيف استوى ربنا؟ فقال: «الكيف غير معقول والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وإني لأخاف أن تكون ضالاً، ثم أمر به فأخرج»، رواه الدارمي في الرد على الجهمية، ص ٢٨٠، والبيهقي في الاعتقاد من طريق أخرى، وقال ابن حجر في الفتح (١٣/ ٤١٧): «سنده جيد»، وفي هذا دليل على أنه يرى رأي أهل السنة في أن الاستواء معلوم غير مجهول المعنى، وقد نقل عنه أنه نقل الإجماع على إثبات الاستواء على العرش، انظر: مجموع الفتاوى (٥/ ٣٩)، واجتماع الجيوش الإسلامية، لابن القيم، ص ١١١ .

(٣) أصول الدين، للبغدادي، ص ١١٢-١١٣، لمع الأدلة في قواعد أهل السنة، للجويني، ص ١٠٨ .

(٤) «عبدالله بن سعيد بن كلاب، أبو محمد القطان، متكلم يقال له ابن كلاب، قيل: لقب بها لأنه كان يجتذب الناس إلى معتقده إذا ناظر عليه . . . له كتب منها (الصفات) و(خلق الأفعال)، و(الرد على المعتزلة)، توفي سنة ٢٤٥»، الأعلام، للزركلي (٤/ ٩٠) .

(٥) انظر: الفصل في الملل والنحل (٢/ ٢٨٩)ن وانظر: الرد عليه في المرجع نفسه ونفس الجزء والصفحة .

(٦) صفات الله تعالى تنقسم إلى قسمين:

أولاً: صفات ثبوتية كالسميع، والعليم، والقدير، والحي . . . وتنقسم إلى ثلاثة أقسام:

أ- صفات ذاتية: وهي الصفات الملازمة لذاته سبحانه لم يزل ولا يزال متصفاً بها، كالعلم، والحياة، والسمع، والبصر، والقدرة، والوجه، واليدين . . =

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [(١)] .

وقد انعقد إجماع سلف الأمة على إثبات صفة الاستواء [(٢)] ، روى البيهقي بسنده عن محمد بن كثير المصيصي [(٣)] قال: سمعت الأوزاعي يقول: «كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله تعالى ذكره فوق عرشه ، ونؤمن بما وردت السنة به من صفاته جلا وعلا» [(٤)] ، وذكر البخاري عن أبي العالية [(٥)] في معنى ﴿ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [(٦)]: ارتفع ، وعن مجاهد استوى: علا على العرش [(٧)] .

= ب- صفات فعلية تتعلق بإرادته ومشيئته تعالى ، كالنزول والاستواء والمجيء . . .إلخ .

جـ- صفات ذاتية فعلية: أي أن الله تعالى متصف بها أزلاً وأبداً ، وأنها في الوقت نفسه تحدث آحادها بمشيئته وإرادته ، كالكلام .

ثانياً: صفات سلبية: وهي صفات النقص التي نفاها الله عز وجل عن نفسه ، كقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ الكهف ، الآية: ٤٩ . فهي لا تقتضي النفي المطلق بل النفي فيها لإثبات كمال الضد ، لأن النفي المحض لا كمال فيه ولا مدح ، ويوصف به الجماد ، كما يقال: الجدار لا يظلم ، لعجزه وعدم مقدرته ، وهذا نقص ينزه الرب عنه ، انظر: مجموع الفتاوى ، لابن تيمية (١٤/ ١٣٣) ، التدمرية ، لابن تيمية ، ص ٥٧-٥٩ ، القواعد المثلى ، لابن عثيمين ، ص ٢١ وما بعدها .

(١) سورة يونس ، الآية: ٣ .

(٢) انظر: مجموع الفتاوى ، لابن تيمية (٥/ ٣٩) ، (٥/ ١٦٤) ، اجتماع الجيوش الإسلامية ، لابن القيم ، ص ١١١ وما بعدها ، ص ١٢٢ ، مختصر العلو للذهبي ، ص ١٢٨ .

(٣) «محمد بن أبي كثير النفعي ، نزيل المصيصة ، صدوق كثير الغلط ، مات سنة مائة وبضع عشرة» ، التقريب ، رقم:٦٢٥٠ ، انظر: تهذيب التهذيب ، لابن حجر (٩/ ٣٦٩-٣٧٠) .

(٤) سبق تخريجه .

(٥) رفيع بن مهران أبو العالية الرياحي ، أدرك الجاهلية ، وأسلم بعد وفاة النبي ﷺ بسنتين ، مات سنة ٩٠هـ ، وقيل: غير ذلك ، قال العجلي ، تابعي ثقة من كبار التابعين ، انظر: تهذيب التهذيب ، لابن حجر (٣/ ٢٤٦-٢٤٧) ، التقريب ، رقم: ١٥٩٣ ، ص ٢١٠ .

(٦) سورة فصلت ، الآية: ١١ .

(٧) ذكره البخاري في كتاب: «التوحيد» ، باب: (وكان عرشه على الماء ، معلقاً بصيغة الجزم (٦/ ٢٦٩٨) ، وانظر: فتح الباري ، لابن حجر (١٣/ ٤١٥) ، جامع البيان ، لابن جرير (١/ ١٩١-١٩٢٩) .

وقد أبطل ابن تيمية تأويل المعطلة للاستواء بالاستيلاء من اثني عشر وجهاً منها: إن هذا التفسير مخالف لما فسره سلف الأمة كما سلف وأول من أحدثه هم الجهمية والمعتزلة، ولم يختلفوا عليه، فكل تفسير حدث بعد ذلك لا يلتفت إليه.

ومنها: إن معنى الاستواء مشهور ومعلوم عند العلماء من السلف، ولو لم يكن معلوماً ما قال الإمام مالك (الكيف مجهول) فنفي الكيف دلالة على العلم بالأصل.

ومنها: لو جاز تفسير الاستواء بالاستيلاء لجازم أن نقول: إنه مستو على السماء والأرض، ولجاز أن يقال: إنه مستو على الهواء والبحار . . . ولما منع ذلك دلَّ اختصاص الاستواء بالعرش.

ومنها: إن تفسير الاستواء بالاستيلاء يفهم منه أن الرب جل وعلا لم يكن مستوياً على العرش حتى خلق السموات والأرض وهذا باطل.

إن هذا التفسير لم يثبت في اللغة، وعمدتهم في ذلك بيت من الشعر [١]، وهو بيت مصنوع مختلق لا يعرف في اللغة.

إن الاستواء لو حمل على هذا المعنى لفهم منه إنه كان عاجزاً، ثم غلب كما ذكر ذلك بعض علماء اللغة في تفسير معنى الاستيلاء، كما إنه يأتي بمعنى المنازعة والمغالبة فمن نازع الرب جل وعلا في العرش؟!!

إن لفظ الاستواء تكرر في جميع المواطن التي ذكر فيها بهذا اللفظ، ولو كان بمعنى الاستيلاء لذكر ولو لموضع واحد، فلما لم يذكر وجب تفسيره بما دل عليه القرآن والسنة واللغة [٢].

كما أبطله ابن القيم من اثنين وأربعين وجهاً، أوجز بعضها فيما يلي:

---

(١) البيت هو قول الشاعر:

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق

انظر: شرح الأصول الخمسة، ص ٢٢٦.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٥/ ١٤٤-١٤٩).

- إن لفظ الاستواء يأتي مطلقاً ويأتي مقيداً، والمطلق من أمثال قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ﴾[(١)]، ومعناه كمل وتم، والمبتدأ يأتي مقيداً (بإلى) أو (على) أو (مقروناً بالواو)، وفي الأولى يكون معناه العلو والارتفاع، كما في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾، والثاني أيضاً معناه العلو والارتفاع والاعتدال، كما في قوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ ﴾، وقوله: ﴿ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ﴾، والثالث في مثل نحو استوى على الخشبة بمعنى ساواها، وهذه معاني الاستواء في اللغة ولم يرد فيها الاستيلاء البتة.

- إنه لو كان الاستواء على العرش بمعنى الاستيلاء، لم يكن لذكر الاستواء على العرش فائدة أصلاً، لأن الله عز وجل مستولٍ على كل شيء.

- إنه أتى بلفظ (ثم) التي معناها الترتيب مع التراخي، ولو كان معنى الاستواء الاستيلاء، لكان يعنى أن الرب جل وعلا لم يستول على العرش إلا بعد خلق السموات والأرض، ومعلوم بطلانه.

- إن الإجماع منعقد على أن الله عز وجل مستو على عرشه حقيقة، وقد نقل هذا الإجماع عدد من أئمة أهل السنة.

أن البيت الذي استدلوا به محرف والصحيح أنه هكذا . . .

بشر قد استولى على العراق....

وهذا لو كان له قائل معروف، فكيف وهو غير معروف في دواوين العرب وأشعارهم، وعلى فرض صحته فلا دليل فيه، لأن معناه الاستواء حقيقة على سرير الملك حيث إن بشراً نائب لعبدالملك بن مروان على العراق، ولم يكن مستولياً على العراق، وإنما الذي استولى عليها هو عبدالملك بن مروان، ولم يكن بشر منازعاً لأخيه ملكه.

---

(١) سورة القصص، الآية: ١٤.

أن حقيقة قولهم هذا إخلاء العرش من الله سبحانه وتعالى [١] .

ونقل شيخ الإسلام ابن تيمية عن أبي حنيفة قوله فمن قال لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض ، قال: «قد كفر لأن الله يقول: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[٢] ، وعرشه فوق سبع سموات» [٣] .

ويقول الإمام الدارمي – رحمه الله – : «وما ظننا أن نضطر إلى الاحتجاج على أحد ممن يدعي الإسلام في إثبات العرش والإيمان به ، حتى ابتلينا بهذه العصابة الملحدة في آيات الله ، فشغلونا بالاحتجاج لما لم تختلف فيه الأمم قبلنا» أ. هـ[٤] .

٣- التكييف: «وهو تعيين كنه الصفة ، يقال: كيَّف الشيء: أي جعل له كيفية معلومة ، وكيفية الشيء صفته وحاله . . . وهذا مما استأثر الله به ، فلا سبيل على الوصول إليه . . .» [٥] .

ولهذا لما سئل الإمام مالك – رحمه الله – عن الاستواء ، قال السائل: كيف استوى؟ قال الراوي: فما رأينا مالكاً وجد من شيء كوجده من مقالته ، وعلاه الرمضاء ، وأطرق ، وجعلنا ننتظر ما يأمر به فيه ، قال: ثم سرى عن مالك ، فقال: «الكيف غير معقول ، والاستواء منه غير مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، وإني لأخاف أن تكون ضالاً» ثم أمر به فأخرج [٦] .

---

(١) انظر: مختصر الصواعق ، لابن القيم ، اختصار محمد الموصلي (٢/ ١٢٦ ، ١٥٢) .
(٢) سورة طه ، الآية: ٥ .
(٣) نقلها ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٥/ ٤٧) ، (٥/ ٥٢) ، وشارح الطحاوية ،ص ٣٢٢ ، والشيخ أحمد بن عيسى في شرح قصيدة ابن القيم (١/ ٤٤٧) ، ونسبها له علي القاري في الفقه الأكبر .
(٤) الرد على الجهمية ، للدارمي ، ص ٢٦٣ ، ضمن عقائد السلف .
(٥) التنبيهات السنية ، عبدالعزيز الرشيد ، ص ٢٤ ، تلخيص الحموية ، ص ٥٥ ، ضمن رسائل في العقيدة .
(٦) رواه الدارمي في الرد على الجهمية ، ص ٢٨٠ . ورواه البيهقي في الاعتقاد ، من طريق أخرى ، ص ٥١ ، ونقله الذهبي في العلو عن البيهقي ، ص ١٠٣ ، وقال: «إسناده صحيح» ، وقال ابن حجر ، في الفتح (١٣/ ٤١٧): «سنده جيد» ، وقال ابن تيمية: «إسناده كلهم ثقات» ، مجموع الفتاوى (٥/ ٤٠-٤١) .

والفرق بين التشبيه والتكييف: «أن التكييف أن يحكي كيفية الشيء سواء كانت مطلقة أم مقيدة بشبيه ، وأما التمثيل والتشبيه فيدلان على كيفية مقيدة بالمماثل والمشابه»(١) ، ومن هنا فالتكييف أعم من وجه وأخص من وجه آخر ، فالعموم ما سبق ، وأما الخصوص فلكونه خاصاً بالصفات دون القدر والذات .

٤- **التمثيل**: وهو بمعنى التشبيه ، يقال: مثل الشيء بالشيء ، أي سوَّاه وشبهه به وجعله مثله وعلى مثاله ، فالمِثْل والمَثَل والمَثِيل ، كالشِبْه والشَبَه والشبيه لفظاً ومعنى(٢) .

وفي نفي المثل والشبيه ، يقول تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾(٣) .

والتمثيل والتشبيه على قسمين:

الأول: تشبيه المخلوق بالخالق كتشبيه النصارى عيسى بن مريم بالله تعالى في صفات الألوهية والربوبية ، وتشبيه المشركين آلهتهم بالله واشتقاقهم لها اسماً من أسماء الله كقولهم العزى من العزيز ومناة من المنان واللات من الإله(٤) .

الثاني: تشبيه الخالق بالمخلوق كتشبيه اليهود حيث شبهوا الخالق بالمخلوق ، ووصفوه بصفات النقص والعجز ، فقالوا: فقير وبخيل ، ووصفوه بالبكاء والحزن تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ، وكما زعمت المشبهة(٥) - أخزاهم الله - فقالوا: «أن

---

(١) تلخيص الحموية لابن عثيمين ، ص ٥٥ ، ضمن رسائل في العقيدة .

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز ، (٤/ ٤٨١) ، المفردات في غريب القرآن ، التنبيهات السنية ، ص ٢٥ ، وقد فرق بينهما الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين - رحمه الله - فقال: «التمثيل: إثبات مثيل للشيء ، والتشبيه: إثبات مشابه له ، فالتمثيل يقتضي المماثلة ، وهي المساواة من كل وجه ، والتشبيه يقتضي المشابهة ، وهي المساواة في أكثر الصفات»أ . هـ ، تلخيص الحموية ، ص ٥٥ ، ضمن رسائل في العقيدة ، وانظر: معجم ألفاظ العقيدة ، ص ٩٩ .

(٣) سورة الشورى ، الآية: ١١ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٥ ، التحفة العراقية ، ص٤٠ ، مطبوع ضمن الرسائل المنيرية ، الجزء الثاني .

(٥) المشبهة: أصحاب هشام بن الحكم الرافضي ، المتوفى سنة ١٩٠ ، في خلافة المأمون ، وهم =

معبودهم جسم لـه نهاية، وحد طويل عريض، عميق، طوله مثل عرضه، وعرضه مثل عمقه ذو لون وطعم ورائحة مجسة . . .»[(١)] .

ويزعمون: «أن الله تعالى على صورة الإنسان، وأنه نور ساطع يتلألأ بياضاً، وأنه لـه حواس خمس كحواس الإنسان، سمعه غير بصره، وكذلك سائر حواسه . . .»[(٢)] .

إلى آخر ما قالوا - تعالى الله عن قولهم هذا علواً كبيراً - وأكثرهم من الشيعة .: «وكلا النوعين كفر، وكل مشبه معطل وبالعكس، فإن المعطل لم يفهم من صفات الله إلا ما يليق بالمخلوق، فشبه أولاً وعطل ثانياً وشبهه ثالثاً بالمعدومات والناقصات، وكذلك المشبه عطل الصفة التي تليق بالله ووصفه بصفات المخلوق، فعطل أولاً وشبهه ثانياً: فكل معطل مشبه وبالعكس»[(٣)] .

وقد دخل الشيطان على هؤلاء المشبهة من باب (الغلو)، ومن خلال هذا الغلو في الإثبات، أثبتوا الله صفات ليست لـه تعالى وشبهوه بالمخلوق!! كقولهم: «إنه ينزل عشية عرفة على جمل أورق فيصافح المشاة، ويعانق الركبان»، و«أن النبي ﷺ رآه في الطواف»أو «في بعض سكك المدينة» و«أن مواضع الرياض هو موضع خطواته»، ونحو ذلك مما فيه من وصفه بالتحيز أمر باطل مبني على أحاديث موضوعة ومفتراة[(٤)] .

= صنف شبهوا ذات الباري بذات غيره، وصنف شبهوا صفاته بصفات غيره، وهم فرق شتى: منهم السبابية، والبيانية اتباع بيان بن سمعان، والمغيرية، والمنصورية، ومنهم: الخطابية والحلولية . . . وغيرهم، انظر: مقالات الإسلاميين، لأبي الحسن الأشعري، ص ٢٠٩، والفرق بين الفرق، للبغدادي، ٢١٤-٢١٩، والملل والنحل، للشهرستاني (١/ ١٠٣ وما بعدها)، والأعلام، للزركلي (٨/ ٨٥).

(١) مقالات الإسلاميين، ص٣١٠-٣١٢، الفصل في الملل والنحل (٢/ ٢٧٧)، والملل والنحل (١/ ٩٢).

(٢) مقالات الإسلاميين، ص ٢٠٩ .

(٣) التنبيهات السنية على الواسطية، ص ٢٥، وانظر: التوحيد، لابن خزيمة (١/ ١٩٦)، ومجموع الفتاوى (٥/ ٢٧)، والتحفة العراقية، ص ٤٠، مطبوع ضمن الرسائل المنيرية .

(٤) تلبيس الجهمية، لابن تيمية (٢/ ١٤).

يقول أبو الحسن الأشعري ناقلاً أقوالهم: «واختلفوا – أي المجسمة – في مقدار الباري بعد أن جعلوه جسماً، فقال قائلون: هو جسم، وهو في كل مكان، غير أن مساحته أكثر من مساحة العالم؛ لأنه أكبر من كل شيء، وقال بعضهم: ليس لمساحة الباري نهاية ولا غاية، وأنه ذاهب في الجهات الست اليمين والشمال والأمام والخلف والفوق والتحت . . . وقال قوم: إن معبودهم هو الفضاء، وهو جسم تحل الأشياء فيه، ليس بذي غاية ولا نهاية . . .»ألخ أقوالهم الشنيعة والمنكرة، وقال بعضهم: «إن ربه في مكان دون مكان، وأن مكانه هو العرش، وأنه مما س للعرش، وأن العرش قد حواه وحده . . .» [1] !!

«ومن أهل الأهواء من بالغ وقال: إنه صورة على صورة الإنسان، ثم هؤلاء اختلفوا فمنهم من قال: على صورة شاب أمرد جعد قطط، ومنهم من قال: هو على صورة شيخ أشمط الرأس واللحية، ومنهم من قال: إنه مركب من لحم ودم . . .» [2] !!

إلى آخر أقوالهم المنكرة التي يردها النقل والعقل، والتي يستحيا من – ذكرها تعالى الله وتقدس عما يصفه الظالمون علواً كبيراً –، وقد أوقعهم إبليس في هذا الإلحاد بعدة شبه منها:

١- التنزيه: فغلاة المعطلة نفوا عن الله تعالى الأسماء والصفات، بل نفوا ذاته تعالى بدعوى التنزيه .

«فقالوا: وليس له اسم كالشيء والحي والعليم، ونحو ذلك، لأنه إذا كان له اسم من هذه الأسماء لزم أن يكون متصفاً بمعنى الاسم كالحياة والعلم، وذلك يقتضي قيام الصفات به، وذلك محال؛ ولأنه إذا سمي بهذه الأسماء فهي مما يسمى به غيره، والله منزه عن مشابهة غيره . . .» [3] .

---

(١) مقالات الإسلاميين، لأبي الحسن الأشعري .
(٢) غاية المرام في علم الكلام، لعلي بن أبي علي الآمدي، (٢/ ١٨٠) .
(٣) مجموع الفتاوى (٦/ ٣٥)، الرد على الزنادقة والجهمية، للإمام أحمد، ص ٧٢ .

يقول صاحب جوهرة التوحيد:

«وكـل نص أو هم التشبيه أوّله أو فوّض ورم تنزيها» [١] .

قال ابن القيم موضحاً كيد إبليس في هذا التوحيد: «وأبـرز لهـم الـشرك في صـورة التعظيم، والكفر بصفات الرب تعالى وعلوه وتكلمه في قالب التنزيه»أ.هـ [٢] .

فقالوا: «الرحمة لغة رقة القلب وانعطافه، وذلك مـن الكيفيـات التابعـة للمـزاج، والله منزه عنها، فالمراد بها في حقه تعالى إرادة الخير والإحسان . . . والاستهزاء من بـاب العبث والسخرية، والله تعالى منزه عن ذلـك، فمعنـى يـستهزئ بهـم أي يجـازيهم علـى استهزائهم . . أو المعنى يعاملهم معاملة المستهزئ . . . والضحك هو رضـاه تعـالى بفعـل عبده ومحبته إياه وإظهاره نعمته . . .» [٣] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : «والجهمية تدعي أنهـا تقدسـه بنفـي الصفات، ومنهم من يقول: بمخالطته للنجاسات والباقون يلتزمون ذلك؛ فهم منجـسون لا مقدسون، وهو سبحانه (القدوس ، السلام)، والقدوس: مأخوذ من التقديس، وهو التطهير . . . وحصل بما ذكره الأئمة أن هؤلاء الجهمية أصل قولهم الذي يموهون به علـى الناس، إنما هو التنزيه، ويسمون أنفسهم المنـزهين، وهـم أبعـد النـاس عـن تنزيـه الله، وأقرب الناس إلى تنجيس تقديسه . . .» [٤] .

فنزهوه عن الأعراض ونفوا لأجل ذلك وصفه بأي صفة، ونزهوه عن الأغـراض ونفوا لذلك حكمته ومشيئته تعالى .

ونزهوه عن الحوادث ونفوا مع هذا التنزيه كلامه ونزولـه وغـضبه وفرحـه ومحبتـه ونداءه وغير ذلك من أفعاله جل وعلا .

---

(١) المختصر المفيد في شرح جوهرة التوحيد، ص ٨٦ .
(٢) إغاثة اللهفان، (١/ ٨٨)، وأقاويل الثقات، للكرمي، ص ٧١-٧٢ .
(٣) أقاويل الثقات، للكرمي، ص ٧١-٧٣) .
(٤) مقدمة بيان تلبيس الجهمية، لابن تيمية (١/ ٢٤-٢٥) .

ونزهوه عن الجسم والتحيز والجهة، ونفوا لأجل ذلك علوه واستواءه على عرشه تعالى الله عما يقول الظالمون [(١)] .

قال ابن القيم – رحمه الله –: «وحقيقة هذا التنزيه إنه منزه عن الوجود وعن الإلهية وعن الربوبية وعن الملك، وعن كونه فعالاً لما يريد، بل عن الحياة والقيومية، ولا يتقرر كونه رباً للعالمين، وإلهاً للعباد إلا بالتنزيه عن هذا التنزيه والإجلال عن هذا الإجلال، كسوا حقائق أسمائه وصفاته وعلوه على خلقه واستوائه على عرشه، هذه الألفاظ ثم توصلوا إلى نفيها»أ.هـ[(٢)] .

ويقول الأشعري في الإبانة – رحمه الله –: «فلم يثبتوا له في وصفهم حقيقة، ولا أوجبوا له بذكرهم إياه وحدانية، إذ كل كلامهم يؤول إلى التعطيل وجميع أوصافهم تدل على النفي يريدون بذلك التنزيه ونفي التشبيه على زعمهم فنعوذ بالله من تنزيه يوجب النفي والتعطيل»أ. هـ [(٣)] .

وأما سلف الأمة وأئمتها، فإن تنزيههم لله تعالى يرجع إلى أصلين ثابتين **هما**:

الأول: تنزيهه عن النقص المناقض لكماله، فما دلَّ على ثبوت الكمال له فهو يدل على تنزهه عن النص المناقض لكماله، وهذا معلوم بالعقل.

الثاني: أنه ليس كمثله شيء في صفات الكمال [(٤)] .

ومن الأصول أيضاً في تنزيهه تعالى أن يقال: «كل كمال ثبت لمخلوق فالخالق أولى به، وكل نقص تنزه عنه المخلوق فالخالق أولى بتنزيهه عن ذلك» [(٥)] .

٢- نفي الجسمية والتحيز والتركيب والجوهر والانقسام: وهي مصطلحات كلامية

---

(١) انظر: الصواعق المرسلة، (٣/ ٩٤٨)، الدين الخالص، للقاسمي (١/ ١٠٨-١٠٩).
(٢) الصواعق المرسلة (٣/ ٩٤٨).
(٣) الإبانة، لأبي الحسن الأشعري (٢/ ١١٧).
(٤) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١٦/ ٣٦٣) «بتصرف واختصار». وانظر:(٣/ ٧٤، ٨١).
(٥) المرجع السابق (٣/ ٨٦).

عقيمة لم يرد بها كتاب ولا سنة [(١)] ، لبّس بها إبليس على المعطلة لقياس أسماء الله وصفاته بها فأوقعهم في نفيها وإنكارها .

فقالوا: «لو كان الله تعالى جسماً لكان كونه جسماً ذاتاً لا صفة ، فإذا كان سائر الأجسام مساوية له في الجسمية ، أعنى في كونها متحيزة طويلة عريضة عميقة ، فحينئذ تكون سائر الأجسام مماثلة لذات الله تعالى في كونه ذاتاً والنص ينفي ذلك فوجب ألا يكون جسماً» [(٢)] .

وقالوا: «لو كان متحيزاً بكل جزء علم وقدرة ؛ فيلزم تعدد الآلهه ، وربما يقال: لو كان متحيزاً لكان مساوياً لسائر المتحيزات ، فيلزم إما قدم الأجسام أو حدوثه ، وهو بناء على تماثل الأجسام ، وربما يقال: لو كان متحيزاً لساوى الأجسام في التحيز ، ولا بد من أن يخالفها بغيره فليزم التركيب» [(٣)] .

وقالوا: «فإن كان جسماً لاتصف بصفات الأجسام ، إما كلها فيجتمع الضدان أو

---

(١) قال ابن تيمية – رحمه الله – : «أول من تكلم بالجسم نفياً وإثباتاً هم طوائف من الشيعة المعتزلة . . .»أ.هـ، بيان تلبيس الجهمية (١/ ٥٤) ، وقال رحمه الله – : «لفظ الجسم لم يتكلم به أحد من الائمة والسلف في حق الله لا نفياً ولا إثباتاً ولا ذموا أحداً ولا مدحوه بهذا الاسم ، وإنما تواتر عنهم ذم الجهمية الذين ينفون هذه الصفات . . .» المرجع السابق ، (١/ ٤٧) .

(٢) تفسير الفخر الرازي (٢٧/ ١٥١) ، وانظر: الإرشاد ، للجويني ، ص ٦١ ، وقد ذكر الرازي مقدمات وأطال فيها لإثبات أن الأجسام متماثلة ، ثم ذكر أقوال الإمام ابن خزيمة في كتابه التوحيد وسماه: «كتاب الشرك»!! وعقب بقوله: «فثبت أن الكلام الذي أورده إنما ذكره لأجل أنه كان من العوام» ، انظر: (٢٧١٥٢-١٥٣٩ ، فإذا كان ابن خزيمة – رحمه الله – من العوام وهو من قال فيه الذهبي: «كان هذا الإمام جهبذاً عالماً بالحديث ، بصيراً بالرجال»أ. هـ ، سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٧٢) .
وقال ابن أبي حاتم لما سئل عنه «ويحكم ، هو يسأل عنا ولا نسأل عنه ، هو إمام يقتدي به» ، أ. هـ ، سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٧٦-٣٧٧) ، وقال ابن كثير – رحمه الله – : « . . . كان بحراً من بحور العلم ، طاف البلاد ، ورحل إلى الآفاق ، في الحديث وطلب العلم ، فكتب الكثير وصنف وجمع وهو من المجتهدين في دين الإسلام»–أ. هـ ، البداية والنهاية (١١/ ١٤٩) ، وانظر: ترجمته في مقدمة محقق كتاب التوحيد ، د. عبدالعزيز الشهوان ، فمن يكون العالم إذن!! أعاذنا الله من البدع .

(٣) المواقف ، للإيجي ، ص ٢٧١-٢٧٢ ، وأقوال الرازي في تأسيس التقديس ، ص ٣١ .

بعضها فيلزم الترجيح بلا مرجح، أو الاحتياج»(١).

ومن أقوالهم: ومن خلال نفي الحيز توصل معهم إبليس إلى نفي علو الله تعالى وفوقيته مع إجماع أهل السنة واتفاقهم على ذلك، وتواتر النقل وشهود الفطرة عليه (٢)، فقالوا: «مذهب أهل الحق قاطبة (٣) إن الله سبحانه يتعالى عن التحيز والتخصص بالجهات، وذهبت الكرامية (٤) وبعض الحشوية (٥) إلى أن الباري تعالى عن قولهم (!!) متحيز بجهة فوق...» (٦).

كما أدى ذلك إلى نفيهم لرؤية الله تعالى، وبعضهم قال: إن الله يرى لا في جهة(٧)!! ونفيهم الاستواء ونفي الصفات الخبرية.

---

(١) المرجع السابق، ص ٢٧٣.

(٢) انظر: بسط الأدلة على علو الله تعالى في مجموع الفتاوى (١٦/ ٨٤-٨٩)، منهاج السنة، لابن تيمية (٣/ ٣٤٢-٣٤٣)، اجتماع الجيوش الإسلامية، لابن القيم، ص ٨٦ وما بعدها، العلو للذهبي.

(٣) بل مذهب أهل الباطل.

(٤) «فرق من فرق المرجئة، وهم اتباع أبي عبدالله محمد بن كرام، قامت بخراسان، وهم فرق كثيرة منهم الطريقة الإسحاقية، الحماقية، العابدية، اليونانية، حقاقية، الواحدية، الهيمصمية، من عقائدهم مجسمة ومشبهة في الصفات، وقالوا: الإيمان إقرار وتصديق باللسان دون القلب، وأجازوا الخطأ على الأنبياء في التبليغ» انظر: الفرق بين الفرق، للبغدادي، ص ٢٠٢-٢١٤، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، للرازي، ص ٦٧، غاية المرام، للآمدي (٢/ ٨٩)، (٢/ ١٨٠)، الفصل لابن حزم(٤/ ٢)، الملل ونحل، للشهرستاني (١/ ١٠٨).

(٥) الحشوية يقصدون مثبتة الصفات من أهل السنة، يقول ابن القيم - رحمه الله - في نونيته:

ومن العجائب قولهم لمن اقتدى بالوحي من أثر ومن قرآن
حشويه يعنون حشوا في الوجود وفضلة في أمة الإنسان
ويظن جاهلهم بأنهم حشوا رب العباد بداخل الأكوان

شرح العقيدة، لمحمد خليل هراس (١/ ٣٣٣-٣٣٤)، وانظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٨٧-٨٨)، (٥/ ١١١)، (٦/ ٤٠)، (١٢/ ١٧٦).

(٦) الإرشاد للجويني، ص ٥٨.

(٧) انظر: المرجع السابق، ص ١٦٧، وانظر: الرد عليهم تلبيس الجهمية، لابن تيمية (١/ ٣٥٩)، وسيأتي - إن شاء الله - بسط أقوالهم والرد عليهم.

أما المعتزلة والجهمية فإنهم نفوا بناء على ذلك كل كمال لله تعالى، بل نفوا ذاته بناء على قاعدة باطلة، وهي «إن كل ما يقال له حي وعالم وقادر فهو جنس واحد متماثل» [(١)].

فشبهوه تعالى بالجمادات، بل المعدومات التي لا تقبل الكمال، وقد عاب تعالى الأصنام بسلبها صفات الكمال من كلام وهداية وحياة، فقال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾[(٣)]، وقوله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ... ﴾[(٤)].

وجدالهم هذا من الجدال بالباطل، وهو من إيحاء الشيطان، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ ﴾[(٥)].

والسلطان: الحجة [(٦)]، وإن كانت نزلت في كفار مكة، لكن العبرة بعموم اللفظ.

ولهذه الألفاظ المجملة متى وضحت معانيها وفصل المراد بها زال الاشتباه فيها، وبطلت حجتهم وظهر المعنى الحق [(٧)].

---

(١) انظر: تلبيس الجهمية (٢/ ٩٦-٩٧).
(٢) سورة يونس، الآية: ٣٥.
(٣) سورة يونس، الآية: ١٠٦.
(٤) الأعراف، الآية: ١٤٨، وانظر: تلبيس الجهمية (٢/ ٩٦-٩٧).
(٥) سورة غافر، الآية: ٥٦.
(٦) انظر: جامع البيان، لابن جرير (١٢/ ٧٦-٧٧)، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٥/ ٣٢٤-٣٢٥)، زاد المسير (٧/ ٢٣٤).
(٧) تلبيس الجهمية (٢/ ٦١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : «وما تنازع فيه المتأخرون، نفياً أو إثباتاً، فليس على أحد، بل ولا له أن يوافق أحداً على إثبات لفظ أو نفيه، حتى يعرف مراده، فإن أراد حقاً قبل، وإن أراد باطلاً رُدّ، وإن اشتمل كلامه على حق وباطل لم يقبل مطلقاً ولم يرد جميع معناه، بل يوقف اللفظ ويفسر المعنى»أ. هـ (١) .

«فإن أرادوا بالجسم ما يشار إليه بمعنى أن الأيدي ترفع إليه في الدعاء، ويقال: هو هنا وهناك، ويراد به القائم بنفسه، ويراد به الموجود» (٢) ، فهذا معنى حق، وإن أريد بالجسم: «المركب من الجواهر المفردة أو من المادة والصورة» (٣) ، فهو معنى باطل ينزه عنه الحق سبحانه وتعالى.

وكذلك لفظ التحيز إن أريد به «أنه منحاز عن المخلوقات مباين لها منفصل عنها، ليس حالاً فيها» (٤) .

فهذا معنى حق، وإن أريد بالحيز أنه تحوزه المخلوقات (٥) ، أو أنه تحويه بعض المخلوقات، فهذا معنى باطل فمعلوم أنه بائن من خلقه ليس فيه شيء من خلقه، وليس هو في شيء من مخلوقاته تعالى وتقدس.

وكذلك لفظ التركيب، يقال لهم: إن أردتم أن الرب تعالى مركب، بمعنى أنه ركبه غيره، فهذا من أفحش الكفر وأقبحه، وإن أردتم أنه مؤلف من أجزاء متفرقة اجتمعت، فهذا أيضاً قول باطل لم يقل به أحد، وهو كفر وضلال تعالى الله وتقدس، وكذلك من زعم أنه مركب من الجواهر المفردة أو المادة والصورة، فهو قول باطل.

وكذلك من زعم أنه مركب بمعنى أنه يقبل التفريق والانقسام، فهذه أقوال باطلة

---

(١) التدمرية، ص ٦٥-٦٦ .
(٢) مجموع الفتاوى (٥/ ٤٢٠).
(٣) المرجع السابق (٥/ ٤١٩).
(٤) التدمرية، ص ٦٨ .
(٥) انظر: المرجع السابق، ص ٦٧ .

ينزه الرب تعالى عنه، وهي من أكبر أصول المعطلة، وهي من أفسد الخيالات [١].

«وحقيقة كلامهم أن ما وصف به الرب نفسه لا يعقل منه إلا ما يعقل في قليل من المخلوقات التي نشهدها كأبدان بني آدم، وهذا في غاية الجهل، فإن من المخلوقات مخلوقات لم نشهدها كالملائكة والجن، حتى أرواحنا، ولا يلزم أن يكون ما أخبره به الرسول ﷺ مماثلاً لها، فكيف يكون مماثلاً لما شاهدوه» [٢].

ومجمل القول أن يقال: إن هذه الألفاظ ألفاظ مبتدعة لم يرد بها كتاب ولا سنة، ولا قال بها أحد من السلف، بل حتى الملل الأخرى لم يرد عنها ذكر مثل هذه الألفاظ، فقد أنكر تعالى على اليهود أقوالهم وأفعالهم ولم يرد منهم مثل هذه الألفاظ، بل ولا حتى المشركين – والعياذ بالله [٣].

قال ابن القيم – رحمه الله – : «فكذلك أهل البدع والضلال من جميع الطوائف هذا معظم ما ينفرون به عن الحق ويدعون به إلى الباطل، فيسمون إثبات صفات الكمال لله تجسيماً وتشبيهاً وتمثيلاً، ويسمون إثبات الوجه واليدين له تركيباً، ويسمون إثبات استوائه على عرشه وعلوه على خلقه فوق سمواته تحيزاً وتجسيماً، ويسمون العرش حيزاً وجهة، ويسمون الصفات أعراضاً والأفعال حوادث . . .» أ. هـ [٤].

٣- نفي الجهة: ومجمل هذه الشبهة أن الله تعالى – على حد زعمهم – ليس في جهة بمعنى أنه «لو كان في جهة لكان إما أن يكون غير متناه من كل الجهات، وإما أن يكون متناهياً في كل الجهات، وإما أن يكون متناهياً من بعض الجهات دون البعض . . .» [٥].

---

(١) مجموع الفتاوى (٥/ ٤٢٧-٤٢٩)، وتلبيس الجهمية (٢/ ٢٠٧)، (١/ ٢٧ وما بعدها).

(٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٥/ ٤٣٣-٤٣٤).

(٣) انظر: الرد عليهم، تلبيس الجهمية، لابن تيمية (١/ ٤٧)، (١/ ٥٣٤ وما بعدها)، مجموع الفتاوى، (٦/ ٣٤)، ومنهاج السنة، (٢/ ٣٤٨) (٥٥٨-٥٥٩)، العقيدة الأصفهانية، لشيخ الإسلام (٢/ ١١٤)، ص ٣٦-٣٨، الصفدية (٢/ ١١٤ وما بعدها)، الصواعق المرسلة، لابن القيم (٣/ ٩٤٨ وما بعدها).

(٤) الصواعق المرسلة، لابن القيم (٢/ ٤٣٩).

(٥) تفسير الفخر الرازي (١٤/ ١٠٦ وما بعدها)، وانظر: أقواله (٥/ ١٠٣ وما بعدها) في تفسير قوله

وقالوا: «لو كان مختصاً بالحيز والجهة لكان محتاجاً في وجوده إلى ذلك الحيز وتلك الجهة وذلك محال» [(١)] .

وهذا يلزم عندهم أن تكون السموات والأرض حالة في ذاته، وبعضهم يتوهم بقدم الجهة، ويلزم منه على زعمهم أن تكون ذاته سماء لسكان العر[(٢)]، تعالى الله علوا كبيراً، وقالوا: إنه لو كان في جهة مستوياً على العرش للزم تغير الذات، لأن كل شيء يفني ومن ذلك العرش[(٣)] ، كما قال تعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾[(٤)]، وفساد قولهم بيّن ظاهر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : «وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنى بالكلية، كالجنة والنار والعرش وغير ذلك؛ ولم يقل بفناء جميع المخلوقات إلا طائفة من أهل الكلام المبتدعين كالجهم بن صفوان، ومن وافقه من المعتزلة ونحوهم، وهذا قول باطل يخالف كتاب الله وسنة رسوله، وإجماع سلف الأمة وأئمتها . . .» [(٥)] .

«والشبهة التي قادت نفاة الجهة إلى نفيها هي أنهم اعتقدوا أن إثبات الجهة يوجب إثبات المكان، وإثبات المكان يوجب إثبات الجسمية . . .»[(٦)] .

«وهذا النفي تنكره بداهة العقول، لأنه يستلزم إثبات موجود مع وجود غيره ولا

تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ . . . ﴾ سورة البقرة، الآية: ١٨٦ .

(١) تأسيس التقديس للرازي، نقلاً من بيان تلبيس الجهمية (٢/ ١٠٦) .

(٢) تفسير الفخر الرازي (١٤-١٠٦ وما بعدها)، وانظر: أقواله في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ . . . ﴾ البقرة، الآية: ١٨٦ .

(٣) انظر: المرجع السابق (١٤/ ١٠٦)، و (٥/ ١٠٣) .

(٤) سورة القصص، الآية: ٨٨ .

(٥) مجموع الفتاوى (٨/ ٣٠٧)، وانظر: في الرد عليهم تلبيس الجهمية (١/ ٥٣٢-٥٣٦)، اجتماع الجيوش الإسلامية، لابن القيم، ص ٣٢٦ وما بعدها .

(٦) بيان تلبيس الجهمية، لابن تيمية (١/ ٣١ وما بعدها، (١/ ١٢٠) .

يكون وجود أحدهما قبل وجود الآخر ولا معه ولا بعده» [(١)] .

«ومنشأ غلط كثير من الناس هنا، أن الجهة نوعان، إضافية متغيرة وثابتة، لازمة حقيقة، فالأولى هي بحسب الحيوان، فإن كل حيوان له ست جهات جهة يؤمها هي أمامه، وجهة يخلفها هي خلفه، وجهة تحاذي يمينه وجهة تحاذي يساره، وجهة فوقه وتحته، وهذه الجهات تتبدل وتتغير بحسب حركته، وليس لها صفة لازمة ثابتة، وإنما الجهة اللازمة الثابتة الحقيقية هي جهتا العلو والسفل فقط . . . وإذا كان الأمر كذلك لزم من مباينة الله للعالم أن يكون فوقه، وليس هناك شيء آخر يجوز أن يكون جهة لله تعالى ولا يمين العالم ولا يساره ولا تحته . . .» [(٢)] .

ومن نفى الجهة فيلزمه أحد أمرين: «إما أن يقول: إنه سبحانه بعد انتهاء العالم محيط به من سائر جوانبه وجهاته وحينئذ فهو تعالى لا في جهة، بل في جميع الجهات لكن هذا لا يقال به ولا أعلم أحداً قال به [(٣)] .

وإما أن يقول: إنه سبحانه داخل العالم أو معه سارياً في جميعه، كما يقول به بعض المتصوفة، وهذا لا يقال به لأنه يوهم الحلول أو هو لازمه وأنه سبحانه مختلط بالمخلوقات تعالى الله عن ذلك، وهذا خلاف إجماع المسلمين» [(٤)] .

وأما لفظ الجهة فلم يرد دليل من الكتاب أو السنة على إثباته أو نفيه، «وقد علم أنه ما ثم موجود إلا الخالق والمخلوق، والخالق مباين للمخلوق سبحانه وتعالى، ليس في مخلوقاته شيء من ذاته، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته، فيقال لمن نفى الجهة: أتريد بالجهة أنها شيء موجود مخلوق فالله ليس داخلاً في المخلوقات؛ أم تريد بالجهة ما وراء

---

(١) بيان تلبيس الجهمية (١/ ٤٣٥-٤٣٥).

(٢) المرجع السابق (٢/ ١٢١)، وانظر: أقاويل الثقات، ص ٩٣ .

(٣) القائل هو مرعي الكرمي – رحمه الله – .

(٤) أقاويل الثقات، للكرمي، ص ١٠٧ .

العالم، فلا ريب أن الله فوق العالم، بائن من المخلوقات...»[(١)].

وقد ثبت في الصحيح عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: (يقبض الله الأرض ويطوي السموات بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض)[(٢)].

فكيف يظن ظان، أو يقول قائل: إن المخلوقات تحويه أو تحيط به!! سبحانه تعالى وتقدس[(٣)]، وهو مستوٍ على عرشه، بل قد اتفقت جميع الشرائع السماوية على أن الله تعالى في السماء[(٤)]، فالجهة أمر وجودي وعدمي، فإن أريد الوجودي، أي العرش، ومعنى كونه فيها أي مستوٍ على العرش فهذا معنى حق، ويكون المعنى أنه فوق الموجودات كلها وهو غني عنها، وإن أريد العدمي أي بمعنى أنه فوق بائن من خلقه فيما فوق العالم، فهو معنى حق أيضاً، وهو في كلا الأمرين ليس محتاجاً إلى أحد من مخلوقاته، بل هم جميعاً بحاجته وبأشد الفقر إليه[(٥)].

قال تعالى: ﴿ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ﴾[(٦)].

قال ابن تيمية - رحمه الله -: «ومن توهَّم أن كون الله في السماء بمعنى أن السماء تحيط به وتحويه أو أنه محتاج إلى مخلوقاته، أو أنه محصور فيها، فهو مبطل كاذب إن نقله عن غيره وضال إن اعتقد في ربه، فإنه لم يقل به أحد من المسلمين بل لو سئل العوام هل تفهمون من قول الله ورسوله أن الله في السماء أن السماء تحويه؟ لبادر كل أحد منهم بقوله: هذا شيء لعله لم يخطر ببالنا، بل عند المسلمين أن معنى كون الله في السماء وكونه على العرش واحداً بمعنى أنه تعالى في العلو لا في السفل، ولا يتوهم أن خلقاً يحصره

---

(١) التدمرية، ص ٦٦، بيان تلبيس الجهمية، لابن تيمية (٢/ ١٣)، وشرح الطحاوية، ص٢١٢، ص٤٤٢.

(٢) رواه البخاري، رقم: ٤٥٣٤، (٤/ ١٨١٢)، ومسلم، رقم: ٢٧٨٧.

(٣) انظر: قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر، لمحمد صديق، ص ٤٣.

(٤) انظر: بيان تلبيس الجهمية (١/ ٣١)، (١/ ١٢٠).

(٥) انظر: المرجع السابق (١/ ٥٢٠)، وللاستزادة انظر: (١/ ٥٨٣).

(٦) سورة الحج، الآية: ٦٥.

ويحويه تعالى عن ذلك» أ. هـ [١] .

ونقل عن القرطبي – رحمه الله تعالى – قوله:« . . . قد كان السلف الأول – رضي الله عنهم – لا يقولون بنفي الجهة ولا ينطقون بذلك، بل نطقوا هم والكافة بإثباتها لله تعالى، كما نطق كتابه وأخبرت رسله، ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة . . . وإنما جهلوا كيفية الاستواء فإنه لا تعلم حقيقته»أ .هـ[٢] .

٤- نفي التشبيه: وهي شبهة عظيمة دخل بها إبليس على النفاة، فقالوا: «لا يسمى بإثبات ولا نفي، ولا يقال: موجود ولا لا موجود، ولا حي ولا لا حيٌ لأن في الإثبات تشبيهاً له بالموجودات وفي النفي تشبيهاً له بالمعدومات وكل ذلك تشبيه» [٣] .

يقول الزمخشري عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[٤]: «الغرض من هذا الكلام إذا أخذته بجملته ومجموعه تصوير عظمته، والتوقيف على كنه جلاله من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين إلى جهة حقيقة أو مجاز»[٥] .

نقل ابن القيم عن الإمام أحمد قوله: «التشبيه أن تقول: يد كيد، أو وجه كوجه، فأما إثبات يد ليست كالأيدي، ووجه ليس كالوجوه، فهو إثبات ذات ليست كالذوات وحياة ليست كغيرها من الحياة، وسمع وبصر ليس كالأسماع والأبصار»أ . هـ[٦] .

وهؤلاء النفاة من الأشاعرة يثبتون الحياة والسمع والبصر والعلم والقدرة والإرادة

---

(١) نقلاً من أقاويل الثقات، للكرمي، ص ٩٤، وانظر: الرد عليهم، تلبيس الجهمية (١/ ٨٨)، (١/ ١١١-١١٧)، (١/ ٥٥٨ وما بعدها)، (٢/ ٢٢/ ١٢٨).

(٢) بيان تلبيس الجهمية، لابن تيمية (٢/ ٣٧).

(٣) مجموع الفتاوى (٦/ ٣٥)، العقيدة الاصفهانية (١/ ١٠٦)، والإرشاد، للجويني، ص ٥٧ .

(٤) سورة الزمر، الآية: ٦٧ .

(٥) تفسير الزمخشري (٤/ ٤٠).

(٦) مختصر الصواعق (١/ ٢٧)، النصيحة في صفات الرب، لأحمد الواسطي (٢/ ٢٣ وما بعدها).

والكلام فقط [١] ، دون باقي الصفات ، فيؤولونها ويقال لهم: فكما أنكم تقولون حياته ليست بعرض وعلمه كذلك وبصره كذلك . . . فكذلك نقول نحن في باقي صفاته تعالى من العلو والاستواء والنزول والضحك واليد والقبضة . . . فهي معلومة لنا من حيث المعنى والثبوت ، غير معقولة الكيف والتحديد ، وبهذا ننجو من الوقوع في التحريف والتشبيه . فلا فرق بين سائر الصفات لأنها ثابتة جميعاً بالنصوص القطعية في الكتاب والسنة ، وإلا لزمهم التأويل في سائر الصفات التي أثبتوها حيث آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض .

وكذلك الكلام في الذات كالكلام في الصفات فكما أن له ذاتاً لا تشبه ذوات المخلوقين ، فكذلك له صفات لا تشبه صفات المخلوقين [٢] .

وقالوا: «لو كانت ذاته مساوية لسائر الذوات في هذه الصفات لزم افتقاره إلى خالق آخر ، ولزم التسلسل ، أو لزم القول: إن الإمكان والحدوث غير محوج إلى الخالق ، وذلك يلزم منه نفي الصانع» [٣] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: «المعتزلة ونحوهم من نفاة الصفات يقولون: كل من أثبت لله صفة قديمة فهو مشبه ممثل ، فمن قال: إن لله علماً قديماً ، أو قدرة قديمة ، كان عندهم مشبهاً ممثلاً ، لأن القديم عند جمهورهم هو أخص وصف الإله ، فمن أثبت له صفة قديمة فقد أثبت لله مثلاً قديماً ، ويسمونه ممثلاً بهذا الاعتبار» أ.هـ[٤] .

ويقول الدارمي – رحمه الله – في الرد عليهم: «وكيف استجزت أن تسمي أهل السنة وأهل المعرفة بصفات الله المقدسة مشبة ، إذا وصفوا الله بما وصف به نفسه في

---

(١) انظر: تفصيلاتهم وأدلتهم في المواقف ، للإيجي ، ص ٢٧٩ .
(٢) النصيحة في صفات الرب ، لأحمد الواسطي (٢/ ٢٢ وما بعدها) ، التدمرية ، لابن تيمية ، ص ٤٣ ، العقيدة الأصفهانية ، لابن تيمية (٢/ ٢٤ وما بعدها) ، شرح قصيدة ابن القيم ، (١/ ٢٨-٢٩) .
(٣) تأسيس التقديس ، للرازي ،نقله ابن تيمية في نقض التأسيس (١/ ٥٧) ، والرد عليه .
(٤) مجموع الفتاوى (٣/ ٧٠) .

كلامه بالأشياء التي أسماؤها موجودة في صفات بني آدم بلا تكييف .

وأنت قد شبهت إلهك في يديه وسمعه وبصره بأعمى وأقطع ، وتوهمت في معبودك ما توهمت في الأعمى والأقطع ، فمعبودك في دعواك مخدج منقوص أعمى لا بصر له ؛ وأبكم لا كلام له ، وأصم لا سمع له ، ومقعد لا حراك به ، وليس هذه بصفة إله المصلين . . .إلخ» [(١)] .

قال شيخ الإسلام – رحمه الله – رداً عليهم: «إن مجرد الاعتماد في نفي ما ينفى على مجرد نفي التشبيه لا يفيد إذ ما من شيئين إلا ويشتبهان من وجه ويفترقان من وجه ، بخلاف الاعتماد على نفي النقص والعيب . . . وكذلك إذا أثبت له صفات الكمال ونفي مماثلة غيره له فيها ، فإن هذا نفي المماثلة فيما هو مستحق له ، وهذا حقيقة التوحيد ، ولهذا كان مذهب سلف الأمة وأئمتها إثبات ما وصف به نفسه من الصفات ، ونفي مماثلته لشيء من المخلوقات» [(٢)] .

وما يستدل به المعطلة من أن الشيء إذا ماثل أو شابه غيره في شيء جاز عليه ما يجوز عليه ، وامتنع عليه ما يمتنع عليه ، ووجب له ما وجب عليه ، يرد عليه بأن هذا القدر المشترك لازمه غير ممتنع على الرب سبحانه وتعالى إذ لا يقتضي نقصاً ولا حدوثاً .

فالله تعالى سمى نفسه عليماً ، وسمى بعض عباده عليماً ، وكذلك السميع والبصير والحليم . . . ومعلوم قطعاً أن العليم ليس كالعليم فالخالق له من صفات الكمال ما ينفي أن يشاركه فيها أحد من خلقه ، والعبد له صفات المخلوقين اللائقه [(٣)] .

«ولما كان الأمر كذلك كان كثير من الناس يتناقض في هذا المقام ، فتارة يظن أن إثبات القدر المشترك يوجب التشبيه الباطل ، فيجعل ذلك حجة فيما يظن نفيه من الصفات ، حذراً من ملزومات التشبيه ؛ وتارة يتفطن أنه لا بد من إثبات هذا على كل

---

(١) رد الإمام الدارمي على بشر المريسي ، ص ٤٢ .

(٢) التدمرية ، ص ١٢٤ ، وانظر: مجموع الفتاوى (٣/ ٦٩ وما بعدها) .

(٣) الرد على الجهمية ، لابن تيمية (١/ ٥٧-٥٨) ، الحجة في بيان المحجة (١/ ١٤٤-١٦٨) .

تقدير ، فيجيب به فيما يثبته من الصفات لمن احتج به من النفاة»[١] .

٥- **نفي الأعراض**: والعرض هو ما «يحتاج في وجوده إلى موضع أي محل يقوم به كاللون المحتاج في وجوده إلى جسم يحله ويقوم هو به»[٢] .

ومن الأعراض ما يشاهد وتجتمع أجزاؤه في الخارج كالبياض والسواد ، ومنه ما لا تجتمع أجزاؤه كالحركة والسكون ، وكذلك من العرض ما هو سريع الزوال ، كحمرة الخجل ، ومنه ما هو بطيء الزوال كالشيب[٣] ، وقد نفاه المعطلة وتوصلوا بهذا النفي إلى نفي صفات الله تعالى وما تدل عليه من معاني الكمال .

فقال الجهمية: «لو قام به صفة لكان جسماً ، ولو كان جسماً لكان حادثاً ، فيلزم من إثبات صفاته إنكار ذاته»[٤] ، وقد نفوها بناء على مقدمين ذكرها ابن تيمية – رحمه الله – :

الأولى: أن الجسم لا يخلو عن الأعراض التي هي الصفات .

الثانية: أن ما لا يخلو عن الصفات التي هي الأعراض فهو محدث لأن الصفات التي هي الأعراض لا تكون إلا محدثة[٥] .

ثم أعقبها بقوله – رحمه الله – : «فهذه الطريقة مما يعلم بالاضطرار أن محمداً ﷺ لم يدع الناس بها إلى الإقرار بالخالق ونبوة أنبيائه ، ولهذا اعترف حذاق أهل الكلام – كالأشعري وغيره – بأنها ليست طريقة الرسل وأتباعهم ، ولا سلف الأمة وأئمتها ، وذكروا أنها محرمة عندهم ، بل المحققون على أنها طريقة باطلة . . .»[٦] .

---

(١) التدمرية ، ص ١٢٨ ، وانظر: الصواعق المرسلة ، لابن القيم (١/ ٢٣٤-٢٣٥) .
(٢) التعريفات ، للجرجاني ، ص ١٥٣ .
(٣) انظر: المرجع السابق ، ص ١٥٣-١٥٤ .
(٤) الصواعق المرسلة ، لابن القيم (٣/ ٩٨٥-٩٨٦) .
(٥) درء تعارض النقل والعقل (١/ ٣٩) ، انظر: في الرد عليهم ، الصواعق المرسلة ، لابن القيم (١/ ٢٢٧ وما بعدها) .
(٦) درء تعارض العقل والنقل ، لابن تيمية (١/ ٣٩) .

«فتنزيهه عن الأعراض هو جحد صفاته كسمعه وبصره وحياته وعلمه وكلامه وإرادته ، فإن هذه أعراض لا تقوم إلا بجسم ، فلو كان متصفاً بها لكان جسماً ، وكانت أعراضاً له وهو منزه عن الأعراض» [(١)] .

ولهذا كان لوازم القول به ، القول بفناء الجنة والنار ، وهذا قول جهم بن صفوان ، وانقطاع حركات أهل الجنة ، وهو قول أبو الهذيل العلاف . . . إلى غير ذلك من اللوازم الباطلة [(٢)] ، فكلما تلاعبوا بالنصوص وانتهكوا حرمتها وادعوا تنزيه الله عن أمر وقعوا وللأسف في شر مما فروا منه .

ثم لما أحرق نور الإيمان واليقين ، وأدلة الكتاب والسنة شبهاتهم وأدلتهم الشيطانية ، سلك بهم إبليس طريقاً آخر لنفي هذه الصفات ، طريق المجاز ، وهذه الدعوى هي مما «لهج به المتأخرون ، والتجأ إليه المعطلون وجعلوه جنة يَتترَّسُون بها من سهام الراشقين ، ويصدون به عن حقائق الوحي المبين ، فمنهم من يقول الحقيقة هي: اللفظ المستعمل فيما وضع له أولاً ، ومنهم من يقول الحقيقة هي: المعنى الذي وضع له اللفظ أولاً ، والمجاز استعمال فيما وضع له ثانياً . .» [(٣)] ، والمجاز في اللغة هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له .

والمراد من التمسك بهذه الشبهة القول: إن صفات الله تعالى وأسمائه تطلق عليه مجازاً لا حقيقة ، وزعموا أن من قال: عالم حقيقة ، قادر حقيقة مشبه [(٤)] .

يقول الفخر الرازي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا

---

(١) الصواعق المرسلة ، لابن القيم (٣/ ٩٣٤) ، (١/ ٢٢٧) ، ومجموع الفتاوى(٦/ ٣٤) ، (٥/ ٢١٥) .
(٢) درء تعارض النقل والعقل ، لابن تيمية (١/ ٣٩-٤٠) ، والصواعق المرسلة (١/ ٢٣٤) ، (١/ ٢٢٨) .
(٣) مختصر الصواعق المرسلة ، لابن القيم ، اختصار: محمد الموصلي (٢/ ٢) .
(٤) انظر: الرد عليهم ، الإبانة للأشعري (٢/ ١٤٠) ، مختصر الصواعق المرسلة (٢/ ٢-٧٦) .

يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾[(١)] :

«لا شك أن لفظ القبضة واليمين مشعر بهذه الأعضاء والجوارح ، إلا أن الدلائل العقلية قامت على امتناع الأعضاء والجوارح لله تعالى ، فوجب حمل هذه الأعضاء على وجوه المجاز ، فنقول: إنه يقال فلان في قبضة فلان ، إذا كان تحت تدبيره وتسخيره»[(٢)] .

وحمل أسماء الله تعالى على المجاز هو من أقوال غلاة الجهمية ، ومن أشدها شراً ، وهو مخالف لإجماع أهل السنة ، وحقيقته نفي الخالق جل وعلا[(٣)] .

وقال أيضاً: «وإنما ينكر أن تكون هذه الأسماء حقيقة النفاة من القرامطة الإسماعيلية الباطنية ، ونحوهم من المتفلسفة الذين ينفون عن الله الأسماء الحسنى ، ويقولون: ليس بحي ولا عالم ولا جاهل ، ولا قادر ولا عاجز ، ولا موجود ، ولا معدوم ؛ فهؤلاء ومن ضاهاهم ينفون أن تكون له حقيقة . . .» أ . هـ[(٤)] .

ولا شك أن هذا الادعاء لا يغني عنهم شيئاً ، لأن الحقيقة واحدة لا فرق بين كونهم نفوها أو جعلوها مجازاً ، ومما يدل على بطلانه في أسماء الله تعالى وصفاته أن معيار المجاز صحة نفيه ، كما يقال: زيد أسد فيصح القول زيد ليس بأسد ، وهذا لا خلاف فيه بينهم .

ولا يصح أن يقال: الله ليس بسميع أو بصير أو رحيم[(٥)] .

قال الإمام أحمد – رحمه الله – في الرد على الزنادقة: «فعند ذلك تبين للناس أنهم لا يثبتون شيئاً ، لكنهم يدفعون عن أنفسهم الشنعة بما يقرون في العلانية . . . وإذا سمع الجاهل قولهم يظن أنهم من أشد الناس تعظيماً لله ولا يعلم أنهم إنما يقودهم قولهم إلى

---

(١) سورة الزمر ، الآية: ٦٧ .
(٢) تفسير الفخر الرازي (٢٧/ ١٦-١٧) .
(٣) مجموع الفتاوى (٥/ ١٩٨) ، وشرح قصيدة ابن القيم ، لأحمد بن عيسى (١/ ٢٥٠) .
(٤) مجموع الفتاوى (٥/ ١٩٧) .
(٥) مجموع الفتاوى (٥/ ١٩٧-١٩٩) ، شرح نونية ابن القيم ، لأحمد بن عيسى (١/ ١٥) .

ضلال وكفر . . .»[١] .

ويقول ابن القيم – رحمه الله – في نونيته:

يـا قـوم لـيس نزولـه وعلـوه — حقـاً لـديكم بـل همـا عـدمان

كـذاك لـيس يقـول شـيئاً عنـدكم — لا ذا ولا قـولاً سـواه ثـان

كـل مجـاز لا حقيقـة تحتـه — أوّل وزد وانقـص بـلا برهـان[٢]

ويقول: « . . . له ذات حقيقة ليست كالذوات، وله صفات حقيقة لا مجازاً ليست كصفات المخلوقين، وكذلك قولنا في وجهه تبارك وتعالى ويديه وسمعه وبصره وكلامه واستوائه، ولا يمنعنا ذلك أن نفهم المراد من تلك الصفات وحقائقها، كما لا يمنع ذلك من أثبت لله شيئاً من صفات الجمال من فهم معنى الصفة وتحقيقها، فإن من أثبت له سبحانه السمع والبصر أثبتهما حقيقة، وفهم معناهما، فهكذا سائر الصفات المقدسة»[٣] .

«وقد ثبت في الخطاب العربي الذي أجمع عليه أهل اللغة أن تسمية الوجه في أي محل وقع من الحقيقة والمجاز يزيد على قولنا ذات، فأما في الحيوان فذلك مشهور حقيقة، ولا يمكن دفعه، وأما في مقامات المجاز فكذلك أيضاً، لأنه يقال: فلان وجه القوم لا يراد به ذوات القوم، إذ ذوات القوم غيره قطعاً . . .»[٤] .

«ومن حق الكلام أن يحل على حقيقته حتى تتفق الأمة أنه أريد به المجاز، إذ لا سبيل إلى اتباع ما أنزل إلينا من ربنا تعالى إلا على ذلك، وإنما يوجه كلام الله – عز وجل – على الأشهر والأظهر من وجوهه، ما لم يمنع من ذلك ما يجب له التسليم، ولو ساغ ادعاء المجاز لكل مدعٍ ما ثبت شيء من العبادات، وجل الله أن يخاطب إلا بما تفهمه

(١) شرح قصيدة ابن القيم، للشيخ أحمد بن عيسى (١/ ٢٥٠) .
(٢) انظر: المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة .
(٣) الصواعق المرسلة، لابن القيم (٢/ ٤٢٦-٤٢٨) .
(٤) أقاويل الثقات، للكرمي، ص ١٤٣ .

العرب من معهود مخاطباتها مما يصح معناه عند السامعين»[(١)] .

وقد أطال شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم - رحمهما الله - في إبطال المجاز في القرآن ، وسماه ابن القيم - رحمه الله - طاغوتاً وأبطله من خمسين وجهاً[(٢)] ، وكذلك الشيخ محمد الأمين الشنقيطي وغيرهم[(٣)] .

٦- **تحكيم العقل في مسائل الصفات**: وقد تقدم الحديث عن تقديم العقل على النقل في مكايد الشيطان في إيقاع العباد في البدع ، ولا شك أنها شبهة عظيمة وقع فيها أهل البدع أدت بهم على إنكار الصفات وتأويلها .

قال ابن القيم - رحمه الله - : «إن الله سبحانه اقتضت حكمته وعدله أن يفسد على العبد عقله الذي خالف به رسله ، ولم يجعله منقاداً لهم مسلماً لما جاءوا به ، مذعنا له بحيث يكون مع الرسول كمملوكه المنقاد ، فأول ما أفسد سبحانه عقل شيخهم القديم إبليس حيث لم ينقد به لأمره وعارض النص بالعقل وذكر وجه المعارضة . . .

ثم تأمل كيف أفسد عقول من أعرض عن رسله وعارض ما أرسلوا به فآل بهم فساد تلك العقول إلى ما قصه الله عنهم في كتابه ، ومن فساد تلك العقول أنهم لم يرضوا بنبي من النبيين ورضوا بإله من الحجر ، ومن فساد تلك العقول أنهم استحبوا العمى على الهدى ، وآثروا عقوبة الدنيا والآخرة على سعادتهما . . . إلخ»[(٤)] .

إلى أن قال - رحمه الله - : «وأما متكلمو الجهمية والمعتزلة فأفسد عقولهم عليهم حتى قالوا: ما يسخر العقلاء من قائله . . . وقالوا: يتكلم الرب بغير كلام يقوم به ، وخالق بلا خلق يقوم به ، وسميع بلا سمع ، وبصير بلا بصر ، وحي بلا حياة ، وقدير بلا قدرة ، ومريد بلا إرادة . . . وقالوا: الرب موجود قائم بنفسه ليس في العالم ولا

---

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية ، لابن القيم ، ١٣٦ ، والتمهيد ، لابن عبدالبر (٧/ ١٤٥) .

(٢) لشيخ الإسلام ، رسالة بعنوان: «الحقيقة والمجاز» ، ضمن مجموع الفتاوى (٢٠/ ٤٠٠-٤٩٨) ، والفتاوى (١٢/ ٢٧٧) ، ومختصر الصواعق ، لابن القيم ، الجزء الثاني .

(٣) له رسالة بعنوان: «منع جواز المجاز» ، وانظر: التمهيد ، لابن عبدالبر (٧/ ١٣١) .

(٤) الصواعق المرسلة ، لابن القيم (٣/ ٨٦١-٨٦٢) .

خارجه، ولا متصلاً به ولا منفصلاً عنه، ولا فوقه ولا تحته، ولا عن يمينه ولا عن يساره...» (١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: «... كل ما يدل عليه الكتاب والسنة، فإنه موافق لصريح المعقول، وإن العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح، ولكن كثيراً من الناس يغلطون، إما في هذا وإما في هذا، فمن عرف قول الرسول ومراده كان عارفاً بالأدلة الشرعية، وليس في المعقول ما يخالف المنقول...» (٢).

ومن الأمثلة على نفي الصفات بحجة أن العقل يحيلها مسألة «الرؤية» أي رؤية الله تعالى في الآخرة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: «ثم المخالفون للكتاب والسنة وسلف الأمة من المتأولين لهذا الباب، في أمر مريج، فإن من أنكر الرؤية يزعم أن العقل يحيلها، وأنه مضطر فيها إلى التأويل، ومن يحيل أن لله علماً وقدرة، وأن يكون كلامه غير مخلوق ونحو ذلك، يقول: إن العقل أحال ذلك فاضطر إلى التأويل (٣)؛ بل من ينكر حقيقة حشر الأجساد والأكل والشرب الحقيقي في الجنة، يزعم أن العقل أحال ذلك وأنه مضطر إلى التأويل...» (٤).

فمن أقوالهم: «يستحيل أن يرى في ذاته، فيجب أن يدل ذلك على أنه لا يصح أن يرى بالأبصار، ولا يدرك بها، لأنها لا يصح أن يرى بالبصر ما يستحيل أن يرى في

---

(١) المرجع السابق (٣/ ٨٦٤).
(٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١٢/ ٨٠-٨١).
(٣) مجموع الفتاوى (٥/ ٢٨-٢٩).
(٤) كذلك يمكن إثبات الصفات التي نفوها بالعقل – أيضاً – فنقول: نفع العباد تدل على الرحمة، ومثوبة الطائعين تدل على محبته لهم، وعقابه للكافرين يدل على بغضهم... انظر في رده هذه الشبه: مجموع الفتاوى (٥/ ٢٨ وما بعدها)، حيث أطال – رحمه الله – في الرد عليهم، وانظر: التدمرية، ص ٥٦-٥٧، وص ٣٢-٣٤، وتوضيح الكافية الشافية، ص ٦١، للعلامة ابن سعدي.

نفسه، كما لا يصح أن يعلم بالقلب ما يستحيل أن يكون معلوماً في نفسه»[(١)] .

يقول جمال الدين القاسمي - رحمه الله - راداً عليهم في تحكيم العقل وتقديمه على نصوص الكتابة والسنة:

«ولنضرب مثلاً لذلك مسألة الرؤية: فإن المعتزلة الذين أنكروها يزعمون أن العقل يحيل رؤية بلا جهة، وأنهم مضطرون إلى تأويل النصوص الواردة بإثباتها، بينما يخالفهم خصومهم من الأشعرية في تلك الاستحالة العقلية، ويقولون: إن الرؤية لا تستلزم الجهة، فيمكن أن تقع بدونها، فبأي عقل إذاً يمكن أن توزن نصوص الكتاب والسنة والعقول كما ترى مختلفة متناقضة؟»[(٢)] .

وقد استدلوا على نفي الرؤية بقوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِي ﴾[(٣)]، وقوله تعالى: ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾[(٤)] .

فقالوا: «وجه الدلالة في الآية، هو ما قد ثبت من أن الإدراك إذا قرن بالبصر لا يحتمل إلا الرؤية، وثبت أنه تعالى نفى عن نفسه إدراك البصر، ونجد في ذلك تمدحاً راجعاً إلى ذاته، وما كان في نفيه تمدحاً راجعاً إلى ذاته، كان إثباته نقصاً، والنقائص غير جائزة على الله تعلى في حال من الأحوال»[(٥)] .

وقالوا مستدلين بالعقل: «إنه يستحيل أن يرى في ذاته، فيجب أن يدل ذلك على أنه لا يصح أن يرى بالأبصار، ولا يدرك بها»[(٦)] .

وقالوا: «ومما يدل على أنه لا يصح أن يرى بالأبصار أن البصر لا يصح أن يرى

---

(١) المغني في أبواب التوحيد والعدل، للقاضي عبدالجبار (٤/ ١٤٠).
(٢) دلائل التوحيد، لجمال الدين القاسمي، ص ٦٢ .
(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣ .
(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٠٣ .
(٥) شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبدالجبار، ص ٢٣٣ .
(٦) المغني في أبواب التوحيد والعدل، للقاضي عبدالجبار (٤/ ١٤٠).

به إلا ما كان مقابلاً له، أو في حكم المقابل له»[١].

وأما الأشاعرة فقالوا: إن الله يرى لا في جهة[٢].

ومما هو معلوم وعليه السلف والخلف من أهل السنة والجماعة، أن رؤية الله تعالى ثابتة لم يختلف فيها، بل هي غاية شمر لها المشمرون، وتنافس عليها المتنافسون، وأكرم الله بها أولياءه وأهل محبته، وحجب عنها أهل سخطه ومقته، وهي أعظم نعيم أهل الجنة، قال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[٣].

وقد أضاف الله تعالى النظر إلى الوجه الذي هو محل النظر، وعداه (بإلى) التي هي صريحة في النظر بالإضافة على عدم وجود قرائن صارفة للمعنى الظاهر[٤].

وقد روي عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: (إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه ألفي سنة، وإن أفضلهم منزلة لمن ينظر في وجه الله عز وجل في كل يوم مرتين، ثم تلا: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾، قال: البياض والصفا ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾، قال: ينظر كل يوم إلى وجه الله عز وجل»[٥].

وهذا التفسير ثبت عن عدد من الصحابة والتابعين من أمثال ابن عباس وعكرمة والحسن وغيرهم»[٦]، وكذلك تفسير (الزيادة)، في قوله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[٧].

---

(١) المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة.

(٢) انظر: الإرشاد، للجويني، ص ١٦٧، والتوحيد، للماتريدي، ص ١٥٥.

(٣) سورة القيامة، الآيتان: ٢٢-٢٣.

(٤) انظر: التصديق بالنظر، للآجري، ص ٩، وحادي الأرواح، ص ٢٧٦.

(٥) رواه الدارقطني في الرؤية، ص ٢٧٣-٢٧٤، ورواه الترمذي، رقم: ٢٥٥٦، (٧/ ٢٣١)، بمعناه. وقال الترمذي: «وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن إسرائيل عن ثوير عن ابن عمر مرفوعاً...».

(٦) انظر: السنة لعبد الله بن أحمد، ص ٦١-٦٢، والشريعة، للآجري، ص ٢٥٦.

(٧) سورة يونس، الآية: ٢٦.

فالحسنى: الجنة ، والزيادة: النظر إلى وجه الله الكريم ، وقد صح مرفوعاً وموقوفاً على عدد من الصحابة والتابعين .

ومنها ما رواه مسلم في صحيحه عن صهيب عن النبي ﷺ قال: (**إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تعالى وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم، فيقولون: ألم تبيِّض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل**) [١] ، وفي رواية أخرى [٢] ثم تلا الآية: ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ .

وروى الدارقطني عن أبي موسى الأشعري عن رسول الله ﷺ قال: (**يبعث الله عز وجلّ يوم القيامة منادياً بصوت يسمع أولهم وآخرهم: إن الله عز وجل وعدكم الحسنى وزيادة، فالحسنى الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله عز وجل**) [٣] .

وروى موقوفاً عن أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - في قوله تعالى: ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ ، قال: (النظر إلى وجه الله تعالى) [٤] .

وأما الأدلة من السنة فقد تواترت عن النبي ﷺ في إثبات الرؤية ، وقد نص على التواتر عدد من الأئمة [٥] ، ابن قتيبة ، والآجري ، والبيهقي ، والنووي ، وابن تيمية ،

---

(١) رواه مسلم ، رقم: ٢٩٧ ، (١/ ١٦٣) .

(٢) رواه مسلم ، رقم: ٢٩٨ ، (١/ ١٦٣) ، ورواه ابن ماجه ، رقم: ١٨٧ ، (١/ ٦٧) ، ورواه الترمذي ، رقم: ٢٥٥٥ ، (٧/ ٢٣٠) ، ورواه ابن أبي عاصم في السنة ، ص ٢٠٥-٢٠٦ .

(٣) رواه الدارقطني في الرؤية ، ص ١٥٦ ، ورواه من طرق أخرى عديدة عن أبي بكر الهذلي به ، وبنحوه ، ومختصراً ص ١٥٧-١٥٨ .

(٤) رواه ابن أبي عاصم في السنة ، ص ٢٠٦ ، رقم: ٤٧٣ ، ورواه عبدالله بن الإمام أحمد في السنة ، ص ٥٩ ، والآجري في التصديق بالنظر ، ص ٣٧ ، والدارقطني في الرؤية ، ص ٢٨٩ ، من طرق ص ٢٩٠-٢٩٣ ، وابن مندة في الرد على الجهمية ، ص ٩٥ ، والبيهقي في الاعتقاد ، ص ٥٨ ، كلهم عن أبي إسحاق به ، وقال الألباني - رحمه الله - في ظلال الجنة: «حديث موقوف صحيح ، ورجاله ثقات رجال الشيخين من الطريق الثانية ، وكذا الأولى إلا مسلم بن نذير وهو لا بأس به ، كما قال أبو حاتم لكن أبا إسحاق السبيعي مدلس وقد عَنْعَنَهُ ، لكن يشهد له الحديث المرفوع قبله»أ . هـ ، ص٢٠٦ ، وانظر: آثار التابعين في إثبات تفسير هذه الآية بالرؤية في الرؤية ، للدارقطني ، ص ٢٩٨ ، ٣٠٠ ، ٣٠٢ وما بعدها ، والاعتقاد ، للبيهقي ، ص ٥٩ ، والتوحيد ، لابن خزيمة (٢/ ٤٤٧-٤٤٩) .

(٥) انظر: الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية ، لابن قتيبة ، ص ٢٣٨ ، ضمن عقائد السلف ،

وابن القيم، وابن كثير، وابن حجر العسقلاني، وغيرهم.

ومنها ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن أناساً في زمن النبي ﷺ قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال النبي ﷺ: **(نعم هل تضارُّون في رؤية الشمس بالظهيرة، ضوء ليس فيها سحاب)**، قالوا: لا، قال: **(وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر، ضوء ليس فيها سحاب)**، قالوا: لا، قال النبي ﷺ: **(ما تضارون في رؤية الله عز وجل يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما . . .)**[1].

والأدلة كثيرة ليس هذا مجال سردها[2].

وأما استدلال المبتدعة بقوله تعالى: ﴿ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِي ﴾[3].

فهي دليل عليهم لا لهم من وجوه:

الأول: إن السائل للرؤية - موسى عليه السلام - وهو من الرسل ومحال أن يسأله ما لا يجوز، ولو سأل ما لا يجوز لجاء بيان ذلك، كما جاء في شأن نوح - عليه السلام -

---

التصديق بالنظر، للآجري، ص ١٠، والشريعة، للآجري، ص ٢٧٦، الاعتقاد، للبيهقي، ص ٦٦، شرح مسلم للنووي (٣/ ١٥)، مجموع فتاوى ابن تيمية (٦/ ٤٢١)، حادي الأرواح، لابن القيم، ص ٢٧٧، ٣١٩، تفسير ابن كثير (٧/ ١٧١)، فتح الباري، (٣/ ٤٤٣)، شرح الطحاوية، ص ١٧٠، نظم المتناثر من الحديث المتواتر، رقم: ٣٠٧، ص ٢٥٠-٢٥١، لأبي الفيض جعفر الحسني الأدريسي، الفقه الأكبر مع شرحه، ص ٧٦، لوامع الأنوار (٢/ ٢٤٣)، معارج القبول (١/ ٣٣٣)، مشكاة المصابيح (الهامش) (٣/ ١٥٧٧).

(١) رواه البخاري، رقم: ٤٣٠٥)، ورقم: ٧٠٠١، بأطول منه مسلم، رقم: ١٨٣ (١/ ١٦٧).

(٢) انظر: الرؤية، للدارقطني، ص ٩١، وما بعدها، وحادي الأرواح، ص ٢٧٧ وما بعدها، وهل هذه الرؤية خاصة بالمؤمنين أم أن أهل الموقف يرونه تعالى مؤمنهم وكافرهم ومنافقهم، قال ابن تيمية - رحمه الله -: بأنه خاص بالمؤمنين لا يشاركهم فيه غيرهم، وقال ابن خزيمة: يراه المنافقون في الموقف.

وقيل: يراه المؤمن والكافر والمنافق، ثم يحتجب عنهم أن الكافر يراه في رؤية تعريف وتعذيب لا رؤية فرح وسرور، ثم يحتجب عنهم، انظر: مجموع الفتاوى (٦/ ٤٨٦)، وحادي الأرواح، لابن القيم، ص ٢٦٩، والتوحيد، لابن خزيمة (٢/ ٤٢٠)، وشرح الطحاوية، ص ١٧٤.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

في قولـه تعالى: ﴿ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴾[١] .

الثاني: إن الله تعالى قال: ﴿ لَن تَرَىٰنِى ﴾ ، ولم يقل لست بمرئي ، أو لا تجوز رؤيتي .

الثالث: إن الجبل مع قوته وصلابته لم يحتمل ذلك ، فكيف بقوى البشر الـضعيفة؟! وهذا في الدنيا ، وأما في الآخرة فينشئهم الله نشأة أخرى ليست كحالهم في الدنيا .

الرابع: إن الله تعالى علق رؤيته باستقرار الجبل مع إمكان ذلك ، ولم يعلقه بمحال .

الخامس: إن الله تعالى تجلى للجبل وهو جماد لا يعقل ، فكيف يمنع من ذلك أولياءه وأهل كرامته .

السادس: إن الله تعالى كلم موسى وناجاه ، ومن جاز لـه ذلك ، جازت لـه الرؤيـة من باب أولى .

السابع: إم ﴿ لن ﴾ ليست لتأبيد النفي ، فقد جاءت مطلقة في الآية ، ولو جاءت مقيدة بالتأبيد لم تقتضه ، كما في قولـه تعالى: ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا ﴾ [٢] ، مع قولـه تعالـى: ﴿ وَنَادَوْاْ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾[٣] ، كما إن كوم ﴿لن﴾ للتأبيد مردود بكثير من الآيات ، كما في قولـه تعالى: ﴿ لَّن تَتَّبِعُونَا ﴾[٤] ، وقولـه: ﴿ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ ﴾[٥] ، وقولـه: ﴿ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِيَ أَبَدًا ﴾ [٦] ، فهذه كلها جائزة عقلاً ، لولا إن الخبر منع من وقوعها ، وقوله تعالى: ﴿ لَن تَرَىٰنِى ﴾ ، المراد به في الدنيا دون الآخرة ، كما هو ظاهر من سياق الآية .

الثامن: إن البشر يعجزون عن رؤية ملك من الملائكة في الدنيا إلا من أيده الله مـن الأنبياء ، فكيف برؤية الله تعالى [٧] .

---

(١) سورة هود ، الآية: ٤٦ .

(٢) سورة البقرة ، الآية: ٩٥ .

(٣) سورة الزخرف ، الآية: ٧٧ .

(٤) سورة الفتح ، الآية: ١٥ .

(٥) سورة هود ، الآية: ٣٦ .

(٦) سورة التوبة ، الآية: ٨٣ .

(٧) انظـر فيمـا سـبق: الاعتقـاد ، للبيهقـي ، ص ٥٧ ، حـادي الأرواح ، ٢٦٧-٢٩٦ ، شـرح العقيـدة

وأما قوله تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾[١] .

فهي دليل عليهم أيضاً ، لأن الإدراك هوالإحاطة ، وليس كل مرئي مدرك ، وكل مدرك مرئي ، فالله تعالى يرى ولا يدرك ، كما هو حصيلة هاتين المقدمتين ، كما نرى السماء ولا ندركها ولله المثل الأعلى .

كما أن الآية سيقت في مجال المدح ، فدل على تضمنها صفة كمال ، لأن العدم ليس مدحاً ، وليس هو من صفات الله تعالى ، فلا يوصف الله تعالى بأنه لا يرى ، لأن هذا سلب للكمال ، والله تعالى له صفات الكمال المطلق ، وهذا الحق الذي اتفق عليه السلف .

كما إن تمام الآية: دليل عليهم إذ يقول تعالى: ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ فهذا دليل على إدراكه الأبصار ، والمعتزلة ينفون ذلك[٢] .

وأما إبطال أدلتهم العقلية فأقول: إن نفيهم للرؤية بناء على أن إثباتها يؤدي إلى كون الرب في جهة ، ولو كان في جهة لكان جسماً ، والأجسام متماثلة ، فإثبات الجسم يقتضي الحدوث ، فكل جسم حادث على حد زعمهم[٣] .

والجهة التي ينفونها من الألفاظ المجملة التي تحتاج إلى تفصيل ، فإن أريد بالجهة أمراً وجودياً ، أي بمعنى أن الله تعالى داخل في خلقه ، أو تحويه بعض مخلوقاته ، فلا شك في بطلان هذا القول .

وإن أريد بالجهة أمراً عدمياً وهو ما فوق العالم ، وأنه تعالى بائن من خلقه فوق

الطحاوية ، من ص ١٦٦ إلى ص ١٦٨ ، الانتصاف .

(١) سورة الأنعام ، الآية: ١٠٣ .

(٢) انظر: التصديق بالنظر ، للآجري ، ص ١٠ ، مجموع فتاوى ابن تيمية (٦/ ٢٨٩) ، التدمرية ، ص ٥٩ ، حادى الأرواح ، لابن القيم ، ص ٢٧٣ ، شرح العقيدة الطحاوية ، لابن أبي العز الحنفي ، ص ١٦٨-١٦٩ ، فتح الباري ، لابن حجر (١٣/ ٤٣٥-٤٣٦) .

(٣) انظر: منهاج السنة ، لابن تيمية (٣/ ٣٤٣) ، التدمرية ، لابن تيمية ١١٩-١٢٠ .

سماواته، مستوٍ على عرشه فهذا بلا شك معنى حق [(١)] .

والله جل وعلا له صفات تليق بجلاله وعظمته، لا تشبه صفات المخلوقين، فلا يجوز قياس صفاته تعالى بصفاتهم، كما لا يجوز قياس ذاته بذواتهم .

والخلاف مع هؤلاء خلاف منهج، إذ إنهم في اعتمادهم على العقل وتقديمه على السمع، جانبوا النصوص، وأدخلوا في دين الله ما ليس فيه، وأعرضوا عن الحق ففساد مذهبهم في مسألة ما يعود إلى فساد المنهج العقلي الذي سلكوه .

ويقال لهم أيضاً أليس الذي قال: (سترون ربكم عياناً) ، هو الذي أنزل عليه القرآن، وبلغه لأمته؟ فهل يظن ظان أن هؤلاء المبتدعة علموا من القرآن، وفهموا منه أشد وأوضح مما فهمه نبي الأمة – عليه صلوات الله وسلامه – ؟!!

وأما قول الأشاعرة بإثبات الرؤية، ونفي الجهة، فهذا ممتنع في بداهة العقول، والرسول ﷺ قد شبه رؤية الله تعالى يوم القيامة برؤية الشمس والقمر، وهما من أشد الأشياء وضوحاً، وهم يرونها فوقهم عياناً، فدل ذلك على إثبات رؤية الله تعالى عياناً مواجهة، وقولهم هذا لضعفه، واستحالته، كان سبباً لتطاول منكري الرؤية عليهم وإظهار تناقضهم [(٢)] .

ونفيهم العلو والاستواء هو الذي دفعهم لسلوك هذا الرأي الباطل الذي جمعوا فيه بين الحق والباطل، والذي علم فساده بالضرورة، مع اتفاق أهل السنة عليه وشهادة الفطر السليمة به [(٣)] .

---

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٥/ ٢٦٢-٢٩٣٩، منهاج السنة (٢/ ٣٤٨، ٥٥٨-٥٥٩) .

(٢) انظر: تلبيس الجهمية (١/ ٣٥٩-٣٦٠)، (٢/ ٨٨-٨٩)، منهاج السنة (٣/ ٣٤١) .

(٣) انظر: منهاج السنة (٣/ ٣٤٢-٣٤٣)، مجموع الفتاوى (١٦/ ٨٤-٨٩)، وقد عقد ابن القيم – رحمه الله – فصلاً في حادي الأرواح بعنوان: «وعيد منكري الرؤية» ساق الآيات والأحاديث ثم عقبها بقوله: «فأجمع بين قوله: فإنكم سترون ربكم» وقوله: لمن ظن أنه غير ملاقيه، فإني أنساك كما

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : « . . . كل ما يدل عليه الكتاب والسنة ، فإنه موافق لصريح المعقول ، وإن العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح ، ولكن كثيراً من الناس يغلطون ، إما في هذا ، وإما في هذا ، فمن عرف قول الرسول ومراده كان عارفاً بالأدلة الشرعية ، وليس في المعقول ما يخالف المنقول . . .» [(١)] .

ومن هنا يتبين أن وظيفة العقل في باب الأسماء والصفات:

١- فهم معانيها .

٢- التفكر والتدبر لآثارها ومقتضياتها .

٣- استعمال الأقيسة العقلية الصحيحة اللائقة بالله تعالى وهي:

أ- إثبات الكمال لله ونفي النقص .

ب- قياس الأولى [(٢)] .

جـ- نفي الصفة إثبات لكمال ضدها .

وقياس الأولى معناه كما بين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – بقوله:

«أن العلم الإلهي لا يجوز أن يستدل فيه بقياس تمثيلي يستوي فيه الأصل والفرع ، ولا بقياس شمولي تستوي أفراده ، فإن الله سبحانه ليس كمثله شيء ، فلا يجوز أن يمثل بغيره ، ولا يجوز أن يدخل هو وغيره تحت قضية كلية يستوي أفرادها .

ولكن يستعمل في ذلك قياس الأولى ، سواءً كان تمثيلاً أو شمولاً ، كما قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ ، مثل أن نعلم أن كل كمال للممكن أو المحدث لا نقص فيه بوجه من الوجوه ، وهو ما كان كمالاً للوجود غير مستلزم للعدم بوجه ، فالواجب

نسيتني ، وإجماع أهل اللغة على أن اللقاء المعاينة بالأبصار ، ويحصل لك العلم بأن منكري الرؤية أحق بهذا الوعيد . . .»أ . هـ ، حادي الأرواح ، ص ٣١٨-٣١٩ .

(١) مجموع الفتاوى ، لابن تيمية (١٢/ ٨٠-٨١) .

(٢) كتاب مذهب أهل التفويض ، لأحمد بن عبدالرحمن القاضي ، ص ٤٧٣ .

القديم أولى به ، وكل كمال لا نقص فيه بوجوه من الوجوه ، ثبت نوعه للمخلوق والمربوب المدبر ، فإنما استفاده من خالقه وربه ومدبره ، فهو أحق به منه ، وأن كل نقص وعيب في نفسه ، وهو ما تضمن سلب هذا الكمال إذا وجب نفيه عن شيء من أنواع المخلوقات والمحدثات فإنه يجب نفيه عن الرب تبارك وتعالى بطريق الأولى» أ. هـ [1] .

قال تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[2] ، وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [3] ، وقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [4] ، وكلها تدل على قياس الأولى ، وإثبات الكمال لله تعالى ونفي النقص .

كذلك نفي الصفة إثبات لكمال ضدها ، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾[5] ، لكمال عدله ، فينفي ضدها صفات النقص عنه متضمناً إثبات الكمال .

وقوله: ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [6] ، فينفي العزوب هنا لإثبات كمال علمه تعالى [7] .

ومن الغايات في ذكر هذه الصفات السلبية – والله أعلم .

١- بيان عموم الكمال ، أي كماله تعالى ، كما في قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾[8] ، ٢- نفي ادعاء المشركين والمكذبين ، كما في قوله تعالى: ﴿ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٢٩٧) ، وشرح العقيدة الطحاوية ، ص ١٢٢ ، والصواعق المرسلة (١/ ٦٤) .
(٢) سورة النحل ، الآية: ٦٠ .
(٣) سورة الروم ، الآية: ٢٧ .
(٤) سورة الشورى ، الآية: ١١ .
(٥) سورة الكهف ، الآية: ٤٩ .
(٦) سورة يونس ، الآية: ٦١ .
(٧) انظر: بدائع الفوائد ، لابن القيم (١/ ١٥٩-١٦١) ، تلخيص الحموية ، ص ٥٤ ، ضمن رسائل العقيدة ، وانظر: القواعد المثلى ، لابن عثيمين ، ص ٢٥-٢٨ .
(٨) سورة الشورى ، الآية: ١١ .

وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾ (١) .

٣- دفع توهم النقص فيما يتعلق بأمر معين (٢) ، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴾(٣) ، وقوله: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾(٤) .

٧- **التفويض:** ومن الشبه التي كادهم بها إبليس شبهة التفويض (٥) ، ومعناه: «صرف اللفظ عن ظاهره ، مع عدم التعرض لبيان المعنى المراد منه ، بل يترك ويفوض علمه إلى الله تعالى – بأن يقول: الله أعلم بمراده» (٦) .

ومعنى هذا القول إن أسماء الله تعالى وصفاته ليس لها معنى ، أو لها معنى لا يعلمه إلا الله ، ولم يعلمه رسوله ولا جبريل – عليهما السلام – ولا الصحابة الكرام – رضوان الله عليهم – (٧) .

قال – رحمه الله – : «ومنهم من يقول بل تُجرى على ظاهرها وهؤلاء يشتركون في القول بأن الرسول لم يبين المراد بالنصوص التي يجعلونها مشكلة أو متشابهة ، ولهذا يجعل كل فريق المشكل من نصوصه غير ما يجعله الفريق الآخر مشكلاً ، ثم منهم من يقول لم يعلم معانيها أيضاً ، ومنهم من يقول علمها ولم يبينها بل أحال في بيانها على الأدلة العقلية»أ.هـ(٨) .

---

(١) سورة مريم ، الآيتان: ٩١-٩٢ .

(٢) القواعد المثلى ، لابن عثيمين ، ص ٢٨ ، (بتصرف واختصار يسير) .

(٣) سورة الأنبياء ، الآية: ١٦ .

(٤) سورة ق ، الآية: ٣٨ .

(٥) نسب بعض المؤلفين هذا المذهب لأهل السنة . . . وهو قول باطل ، انظر: بيان ذلك والرد عليه في كتاب: «مذهب أهل التفويض» ، لأحمد القاضي ، ص ١٥٢ وما بعدها .

(٦) النظام الفريد بتحقيق جوهرة التوحيد ، لمحمد محيي الدين عبدالحميد ، حاشية على إتحاف المريد بجوهرة التوحيد ، لعبد السلام ، اللقاني ، ص ١٢٨ .

(٧) انظر: مجموع الفتاوى (٥/ ٣٤) ، (٣/ ٦٦ وما بعدها) ، (٥/ ٣٥ وما بعدها) .

(٨) شرح الطحاوية ، لابن أبي العز الحنفي ، ص ٥٩٦ ، ودرء التعارض ، لابن تيمية (١/ ٢٠٤) .

ولهذا سماهم ابن القيم – رحمه الله – أصحاب التجهيل، فقال: «والصنف الثالث: أصحاب التجهيل: الذين قالوا: نصوص الصفات ألفاظ لا تعقل معانيها، ولا ندري ما أراد الله ورسوله منها، ولكن نقرأها ألفاظاً لا معاني لها، ونعلم أن لها تأويلاً لا يعلمه إلا الله . . . فلو ورد علينا منها ما ورد نعتقد فيه تمثيلاً ولا تشبيهاً ولم نعرف معناه، وننكر على من تأوله ونكل علمه إلى الله . . .»أ. هـ [١].

يقول أبو منصور الماتريدي [٢] – رحمه الله – في صفة الاستواء: «فيجب القول بالرحمن على العرش استوى على ما جاء به التنزيل، وثبت ذلك في العقل، ثم لا نقطع تأويله على شيء لاحتماله غيره مما ذكرنا، واحتماله ما لم يبلغنا مما يعلم أنه غير محتمل شبه الخلق»أ. هـ [٣].

ومن خلال تأمل هذا القول يظهر لك أنهم متناقضون أشد التناقض فمن قائل منهم أن نصوص الصفات تجري على ظواهرها على القول: إن لها تأويلاً لا يعلمه إلا الله.

قال شيخ الإسلام – رحمه الله –: «ومنهم من يقول: بل تُجرى على ظاهرها، وتحمل على ظاهرها، ومع هذا فلا يعلم تأويلها إلا الله، فيتناقضون حيث أثبتوا لها تأويلاً يخالف ظاهرها، وقالوا: مع هذا إنها تحمل على ظاهرها . . .»أ. هـ [٤].

---

(١) الصواعق المرسلة، (٢/ ٤٢٢)، ط. الأولى ١٤٠٨هـ، دار العاصمة، الرياض.

(٢) أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي، وهو من أئمة علماء الكلام نسبته إلى ما تريد (محلة بسمرقند)، توفي سنة ٣٣٣هـ، عاصر أبا الحسن الأشعري، من آرائه: إن معرفة الله تعالى مدركة بالعقل، وإن أفعال الله تعالى أرادها لحكمة اختارها، وإن كلام الله هو المعنى القائم بذاته وأنها قديمة ،وله آراء أخرى، وله مؤلفات منها التوحيد، التأويلات وغيرها، انظر: الأعلام، للزركلي (٧/ ١٩)، جامع الفرق والمذاهب الإسلامية، أمير المهنا وعلى خريس، ص ١٧٠-١٧١، كتاب أبي منصور الماتريدي حياته وآراؤه، موقف ابن تيمية من الأشاعرة، د. عبدالرحمن المحمود.

(٣) التوحيد، للماتريدي، ص ٧٤، وقد سبق الرد على من أنكر الاستواء.

(٤) درء تعارض العقل والنقل، (١/ ١٥-١٦)، وانظر: التدمرية، ص ١١٣-١١٤، الصواعق المرسلة (٣/ ٩٢١)، (٤٢٣-٤٢٤).

ولفساد هذا القول لزم منه لوازم باطلة منها: التعطيل المحض إذ لا فرق بين هذا القول وقول المعتزلة من حيث الأثر فكلاهما نفى معاني صفات الله وما دلت عليه .

ومنها: الطعن في القرآن الذي وصفه الله تعالى بأنه نور وبرهان وهدى وموعظة وكتاب وفرقان ، فهم يقولون: إنه احتوى على ألفاظ لا معنى لها ، وأنه سبب الحيرة والضلال .

ومنها: رد صحيح السنة ومتواترها [١] ، يقول ابن القيم – رحمه الله – مبيناً المنهج الحق في الرد على النفاة والمشبهة: « . . . المعاني المفهومة من الكتاب والسنة لا ترد بالشبهات ، فيكون ردها من باب تحريف الكلم عن مواضعه ، ولا يترك تدبرها ومعرفتها فيكون ذلك مشابهة للذين إذا ذكروا بآيات ربهم خروا عليها صماً وعمياناً ، ولا يقال هي ألفاظ لا تعقل معانيها ولا يعرف المراد منها فيكون ذلك مشابهة للذين لا يعلمون الكتاب إلا أماني . . .»أ . هـ [٢] .

ومن هنا فهؤلاء المفوضة يمكن أن يرد عليهم من وجهين:

الأول: أن هذا القول لم يقل به أحد من سلف الأمة ولا الأئمة ، فمضمون هذا القول إن أسماء الله وصفاته بمنزلة الكلام الأعجمي الذي لا فهم معناه ، وكان يمكن القول: إن خطاب رسول الله ﷺ خالٍ من الفائدة وليس له معنى صحيحاً ، وهذا لم ينقل عن أحد من السلف .

الثاني: إن كان نفيهم مبنياً على أن العقل لا يدل على إثبات الصفات فيقال لهم: السمع دليل مستقل بنفسه ، فيجب الاعتصام به في المضايق ، فلماذا تنفون المدلول أو تجعلون الصفات كلها عائدة إلى الإرادة مع أن النصوص لم تفرق [٣] .

---

(١) انظر: مذهب أهل التفويض ، لأحمد القاضي ، ص ٥٠٥ وما بعدها .

(٢) الصواعق المرسلة ، لابن القيم (١/ ٢٢٩) .

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٥/ ٢٩٤-٣٠٠) ، انظر: مشكل الحديث وبيانه ، لابن فورك ، ص ٢٤٣-٢٤٤ ، تحقيق وتعليق: د . عبدالمعطي أمين قلعجي .

قال شيخ الإسلام – رحمه الله –: «فعلى قول هؤلاء يكون الأنبياء والمرسلون لا يعلمون معاني ما أنزل الله عليهم من هذه النصوص، ولا الملائكة ولا السابقون الأولون، وحينئذ فيكون ما وصف الله به نفسه في القرآن، أو كثير مما وصف الله به نفسه لا يعلم الأنبياء معناه، بل يقولون: كلاماً لا يعقلون معناه... ومعلوم أن هذا قدح في القرآن والأنبياء، وعلى هذا التقدير فيقول كل ملحد ومبتدع: الحق في نفس الأمر ما علمته برأيي وعقلي، وليس في النصوص ما يناقض ذلك، لأن تلك النصوص مشكلة متشابهة لا يعلم أحد معناها...».

إلى أن قال: «فتبين أن قول أهل التفويض الذين يزعمون أنهم متبعون للسنة والسلف من شر أقوال أهل البدع والإلحاد»أ. هـ[1].

٨- نفي الصفات بناء على أن إثباتها يستلزم منه تعدد القدماء: فقالوا لو أثبتنا صفة العلم مثلاً لله تعالى: «فإنه لا يخلو أن يكون الله العالم بنفسه، ويكون العلم من صفاته في ذاته لا صفته لغيره، فقد جعل مع الله سواه، ولو كان مع الله سواه، لكان أحدهما قديماً والآخر محدثاً، فيجب على من قال بذلك أن يبين أيهما المحدث لصاحبه، فإن قال: إن العلم أحدث الخالق كفر، وإن قال: إن الله أحدث العلم، فقد زعم أن الله كان غير عالم حتى أحدث العلم، ومتى لم يكن العلم فضده لا شك ثابت، وهو الجهل...»[2].

وقالوا: «لو كان العلم نفس الذات، والقدرة نفس الذات، لكان العلم نفس القدرة؛ فكان المفهوم من العلم والقدرة واحداً، وأنه ضروري البطلان، واحتج المعتزلة بوجوه:

الأول: أن إثبات القدماء كفر، وبه كفرت النصارى.

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية (١/ ٢٠٤-٢٠٥).

(٢) رسائل العدل والتوحيد (٢/ ١٣٧-١٣٨)، وانظر في الرد عليهم: مجموع الفتاوى(١٢/ ٢٣١-٢٣٤)، التدمرية، ص ١١٧، والإبانة، لأبي الحسن الأشعري (٢/ ١٤٤)، وتوضيح الكافية الشافية، ص ٦١، والأسماء والصفات، للشنقيطي، ص ٩٦-٩٨.

الثاني: عالميته وقادريته واجبة فلا تحتاج إلى الغير .

الثالث: صفته صفة كمال ، فيلزم أن يكون ناقصاً لذاته ، مستكملاً بغيره وهو باطل» [(١)] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : «فقال نفاة الصفات من الجهمية والمعتزلة والفلاسفة ونحوهم: (الواحد) هو الذي لا صفة له ولا قدرة ، ويعبرون عن هذا المعنى بعبارات ، فيقول من يريد هذا المعنى من الفلاسفة كابن سينا وأمثاله: إن واجب الوجود واحد من كل وجه ليس فيه أجزاء ولا أجزاءكم أو يقال: ليس فيه كثرة حد ولا كثرة كم . . . ومقصود هذه العبارات أنه ليس لله صفة ولا له قدرة .

وكذلك تقول الجهمية من المعتزلة وغيرهم: إن القديم واحد ليس معه في القدم غيره ، ولو قامت به الصفات لكان معه غيره ، وأنه ليس بجسم ؛ إذ الجسم مركب مؤلف منقسم ، وهذا تعدد ينافي التوحيد ، أو يقولون أيضاً: إن ثبوت الصفات تقتضي كثرة وعدداً في ذاته وذلك خلاف التوحيد ، ويسمون أنفسهم (الموحدين)» [(٢)] .

وقال أيضاً: « . . إنهم يزعمون أن إثبات الصفات ينافي التوحيد ويزعمون أنهم هم الموحدون ، فإن من أثبت الصفات فهو مشبه ليس بموحد ، وأنه يثبت تعدد القدماء لا يجعل القديم واحداً فقط . . . ويجعلون نفي الصفات داخلاً في مسمى التوحيد . . .» [(٣)] .

ويقال لهم هذه النخلة التي أمامكم بجزعها وليفها وسعفها . . . أليست يطلق عليها اسم النخلة بما فيها ، فكذلك الله تعالى ولله المثل الأعلى لا نقول إن صفاته منفصلة عن ذاته .

وألم يقل سبحانه تعالى في كتابه عن الوليد بن المغيرة: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ

(١) المواقف ، للإيجي ، ص ٢٨٠ .
(٢) بيان تلبيس الجهمية ، لابن تيمية (١/ ٤٦٥) .
(٣) تلبيس الجهمية (١/ ٤٦٣) ، والرد على الجهمية ، للإمام أحمد ، ص ١٠٤-١٠٦ .

وَحِيدًا ﴾[1] ، فسماه وحيداً مع أن لـه صفات وأعراضاً وحواس ، ولله المثل الأعلى[2] .

ومما يدل على فساد قولهم إنه لو صح لجاز أن يقال يا علم الله اغفر لي وارحمني[3] .

ويقال لهم أيضاً: إن من قال الله متكلم قائل آمر ناه لا قول لـه ولا كلام ولا أمر ولا نهي لـه ، فهو خارج عن ملة الإسلام وهم يقرون بذلك فكذلك من قال إن الله تعالى عالم ولا علم لـه ، وكذلك يقال في الإرادة وسائر الصفات[4] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في الرد عليهم: «ولفظ (الواجب . والقديم) يراد به الإلـه الخالق سبحانه ، الواجب الوجود القديم[5] ، فهذا ليس إلا واحداً ، ويراد به صفاته الأزلية ، وهي قديمة واجبة بتقدم الموصوف ، ووجوبه لم تجب أن تكون مماثلة لـه ، ولا تكون إلهاً ، كما أن صفة النبي ليست بنبي ، وصفة الإنسان والحيوان ليست بإنسان ولا حيوان»[6] .

كما أن أقوالهم تلك تؤدي إلى إثبات رب لا يتصور وجوده إلا في الأذهان ، فليس له ذات ولا صفة بل هو أشبه بالمعدوم[7] .

---

(١) سورة المدثر ، الآية: ١١ .

(٢) انظر: الرد على الزنادقة ، للإمام أحمد بن حنبل .

(٣) انظر: الإبانة ، لأبي الحسن الأشعري (٢/ ١٤٤) .

(٤) انظر: المرجع السابق نفس الجزء والصفحة .

(٥) هل القديم من أسماء الله؟! قال شارح الطحاوية – رحمه الله – : «وقد أدخل المتكلمون في أسماء الله تعالى (القديم) وليس هو من الأسماء الحسنى ، فإن القديم في لغة العرب: هو المتقدم على غيره ، ولم يستعملوا هذا الاسم إلا في المتقدم على غيره ، لا فيما لم يسبقه عدم . . . وأما إدخال القديم في أسماء الله تعالى ، فهو مشهور عند أكثر الكلام ، وقد أنكر ذلك كثير من السلف والخلق . . .» أ. هـ ، شرح الطحاوية ، لابن أبي العز ، ص ٥٩-٦٠ .

(٦) مجموع الفتاوى (١٢/ ٢٣١) .

(٧) انظر: المرجع السابق (١٧/ ٢٨٨) ، وللاستزادة ، انظر: الصفدية لابن تيمية (٢/ ٢٧٧) ، مجموع الفتاوى (٣/ ٢٣-٢٤) ، (١٢/ ١٦١ وما بعدها) ، (١٧/ ١٦٨) .

وخلاصة القول إن إبليس قد زين لهم شبهات كادهم بها حتى سلخهم من دينهم، فجعلهم يعتمدون على أقوال الفلاسفة، وعباراتهم ومصطلحاتهم فقاسوا: بناء عليها صفات الله تعالى وأسمائه فأدخلوا في دين الله ما ليس منه، ولهذا جاءوا بعبارات موهمة وألفاظ غريبة لم تكن معهودة، ولا معروفة عند سلف الأمة [١] الذين تلقوا المعين الصافي من هادي البشرية، ونبي الرحمة محمد عليه صلوات الله وسلامه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: «فأما الذي جحد ما وصف الرب من نفسه تعمقاً وتكلفاً فقد ﴿ ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَـٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ ﴾ [٢] فصار يستدل بزعمه... على جحد ما وصف الرب وسمى من نفسه...» أ. هـ [٣].



(١) وقد أثر عن أبي عبدالله الرازي قوله - عند موته -: «ولقد اختبرت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيت منها فائدة تساوى الفائدة التي وجدتها في القرآن لأنه يسعى في تسليم العظمة والجلال لله، ويمنع من التعمق في إيراد المعارضات والمناقضات، وما ذاك إلا للعلم بأن العقول البشرية تتلاشى في تلك المضايق العميقة والمناهج الخفية؛ فلهذا أقول: كل ما ثبت بالدلائل الظاهرة من وجوب وجوده ووحدته وبراءته عن الشركاء كما في القدم والأزلية والتدبير والفعالية فذاك هو الذي أقول به وألقى الله.. .إلخ»، طبقات الشافعية (٥/ ٣٧).

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٧١.

(٣) مجموع الفتاوى (٥/ ٤٣).

« الفصل الثاني »

مكايد الشيطان في مسائل النبوات

وفيــــه:

المبحث الأول: مكايده في إنكار النبوات.

المبحث الثاني: مكايده في الغلو في الأنبياء.

المبحث الثالث: مكايده في نفي المعجزات والكرامات.

المبحث الرابع: مكايده فيما يتعلق بالولاية والأولياء.

المبحث الأول

مكايده في إنكار النبوات

النبوة في اللغة مشتقة من النبأ: وهو الخبر والجمع أنباء [١] ، «تقول نبأ ونبَّأ أي أخبر ، ومنه أُخذ النبي لأنه أنبأ عن الله تعالى وهو فعيل ، بمعنى فاعل» [٢] ، وقد يأتي فعيل بمعنى مفعول كقوله تعالى: ﴿ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝ ﴾[٣] .

وقيل: «النبي مشتق من النَّباوة ، وهي الشيء المرتفع» [٤] .

وأما الرسول فهو المرسل ، مأخوذ من الإرسال ، وأصله رَسَّلُ [٥] ، وهو «الانبعاث على التؤدة ، ويقال: ناقة رسلة سهلة السير ، وإبل مراسيل منبعثة انبعاثاً سهلاً ، ومن الرسول المنبعث . . .» [٦] .

«والجمع على أرسل ورُسُل ورُسْل ورُسلاء» [٧] ، وقد يطلق الرسول على الجمع[٨] ، كما في قوله تعالى: ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٩] ، والرسول هو الذي يتابع أخبار من بعثه [١٠] .

---

(١) لسان العرب ، لابن منظور (١/ ١٦٢) .
(٢) الصحاح ، للجوهري (١/ ٧٤) .
(٣) سروة التحريم: الآية: ٣ ، وانظر: المفردات للراغب ، ص ٤٨٢ .
(٤) لسان العرب ، لابن منظور (١/ ١٦٣) ، واشترط الراغب في المفردات للخبر عندما يسمى نبأ أربعة شروط هي: ١- أن يكون خبراً . ٢- أن يتضمن فائدة .
٣- أن يحصل به علم أو غلبة ظن .
٤- خلوه من الكذب بأن يصل حد التواتر ، انظر: المفردات ، ص ٤٨١ .
(٥) انظر: القاموس المحيط ، للفيروزآبادي ، ص ١٣٠٠ .
(٦) المفردات ، ص ١٩٥ .
(٧) لسان العرب ، مادة: (رسل) ، (١١/ ٢٨٣) ، وانظر: المفردات ، ص ١٩٥ .
(٨) انظر: المفردات ، ص ١٩٥ .
(٩) سورة الشعراء ، الآية: ١٦ .
(١٠) لسان العرب (١١/ ٢٨٤) .

أما التعريف الإصلاحي للفظي النبوة والرسالة، فاختلف العلماء في اتفاقهما وترادفهما، أو تباينهما على أقوال ذكرها الماوردي [١] - رحمه الله - فقال: «اختلف أهل العلم في الأنبياء والرسل على قولين: أحدهما أن الأنبياء والرسل واحد، فالنبي رسول والرسول نبي، والرسول مأخوذ من تحمل الرسالة، والنبي مأخوذ من النَبَأ، وهو الخبر إن همز، ومأخوذ من النُّبوة إن لم يهمز، وهو الموضع المرتفع، وهذا أشبه لأن محمداً ﷺ قد كان يخاطب بهما.

القول الثاني: أنهما يختلفان، لأن اختلاف الأسماء يدل على اختلاف المسميات والرسول أعلى منزلة من النبي، ولذلك سميت الملائكة رسلاً ولم يسموا أنبياء» أ.هـ[٢].

واختلف من قال بالتفريق بينهما في ذكر الفرق على أقوال عدة منها:

١- طريق الوحي والتبليغ، فالرسول تنزل عليه الملائكة، والنبي يوحى إليه مناماً.

٢- الرسول من أوحي إليه وأمر بالتبليغ، والنبي من أوحي إليه ولم يؤمر بالتبليغ.

٣- الرسول من أرسل إلى من خالف أمر الله ليبلغهم الرسالة بشريعة جديدة، فأما النبي فهو يعمل بشريعة من قبله، ولم يرسل إلى أحد يبلغه عن الله رسالة.

٤- وقيل النبي يأتي إلى قوم بما يعرفون أنه الحق سواء تابع من قبله أم لا والرسول يبعث ويرسل إلى قوم مخالفين مخالفة كبرى وعظمى، حتى لو كان تابعاً لشريعة من قبله.

٥- وقيل: الرسول من أوحي إليه وجمع مع المعجزة كتاباً منزلاً، والنبي لا كتاب له خاص به[٣].

---

(١) علي بن محمد بن حبيب، أبو الحسن الماوردي، أقضى قضاة عصره، من العلماء الباحثين، أصحاب التصانيف الكثيرة، ولد في البصرة وانتقل إلى بغداد، وكان يميل إلى مذهب الإعتزال، وفاته في بغداد سنة ٤٥٠، الأعلام، للزركلي (٤/ ٣٢٧)، وانظر: ميزان الاعتدال (٣/ ١٥٥).

(٢) أعلام النبوة، للماوردي، ص ٣٨، وانظر: كتاب الفقه الأكبر مع شرحه، للالقارى، ص ٥٢.

(٣) انظر: الإعلام، للقرطبي (٣/ ٢٣٨-٢٣٩)، المنهاج في شعب الإيمان (١/ ٢٣٩)، أعلام النبوة للماوردي، ص ٣٨، النبوات، ص ٢٨١.

وجميع هذه الأقوال متقاربة، وقول من قال بالتفريق هو الصواب – إن شاء الله – لقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ ﴾[١].

فعطف النبي على الرسول والعطف يقتضي المغايرة ولقوله ﷺ للبراء بن عازب[٢] – رضي الله عنه – عندما علمه الذكر الذي يقوله عند النوم (آمنت بكتابك الذي أنزلت، ورسولك قال: لا ونبيك الذي أرسلت)[٣]، حملاً للفظ على التأسيس لا التأكيد.

وفي الحديث الصحيح النصّ على أن نوحاً أول رسول إلى أهل الأرض[٤]، مع العلم أنه كان قبله أنبياء كآدم وإدريس[٥] والرسالة والنبوة.

بينهما عموم من وجه وخصوص من وجه آخر، فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً، فالرسالة أعم من جهة نفسها، وأخص من جهة أهلها.

والرسالة أكمل من النبوة إذ هي – أي الرسالة – نبوة وزيادة، كما أنهما يجتمعان في أن كلا من الرسول والنبي يوحى إليه، وكلاهما اصطفاء وتشريف من الله عز وجل، ولا تنال بالكسب والاجتهاد، كلاهما قد ختم بسيد المرسلين محمد ﷺ، وكلاهما مأمور بتبليغ الوحي[٦].

---

(١) سورة الحج، الآية: ٥٢.

(٢) هو البراء بن الحارث بن عدي من الأوس الأنصاري يكنى أبا عمارة، له ولأبيه صحبة وهو الذي افتتح الري سنة ٢٤هـ، وشهد مع علي الجمل وصفين وقتال الخوارج ونزل بالكوفة ومات سنة ٧٢هـ، روى عن النبي ﷺ جملة من الأحاديث، انظر: الإصابة (١/ ١٤٧)، الإعلام (٢/ ٤٦).

(٣) الحديث في البخاري، رقم ٢٤٤، ورواه مسلم، رقم: ٢٧١٠، عن البراء.

(٤) كما روى البخاري، رقم: ٣١٦٢، (٣/ ١٢١٥-١٢١٦)، ومسلم، رقم: ١٩٤، (١/ ١٨٤-١٨٦).

(٥) انظر: النبوات، ص ٢٨١، وروح المعاني، للآلوسي (١٧/ ١٧٢-١٧٣)، دار إحياء التراث، ط. الرابعة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، الفرق بين الفرق، للبغدادي، ص ٣٣٢، أصول الدين، للبغدادي، ص ١٥٤، النبوة بين المثبتين والمنكرين، د. جمال الدين حسين عفيفي، ص ١٤-١٦.

(٦) ذكر الماوردي في التفريق بين النبوة والرسالة قولاً نقله عن قطرب وهو: «أن الرسول هو المبعوث إلى أمة والنبي هو المحدث الذي لا يبعث إلى أمة» أعلام النبوة، ص ٣٨، وهو قول فاسد لأنه يفضي إلى رفع=

ولإبليس في باب النبوات مكايد عظيمة ، سواء بإبطالها أو الغلو فيها أو إنكار الآيات والبينات .

والأصل في هذا الفصل قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ ﴾[١] .

«والمراد بما يلقي الشيطان: ما يقع للقارئ من إبدال كلمة بكلمة أو حرف بحرف: أو تغيير إعراب سهواً ، وقيل: المراد ما يلقيه في الآيات المتشابهة من الاحتمالات التي ليست مراداً لله تعالى ، والمعنى إذا تمنى إيمان قومه وهدايتهم ألقى الشيطان إلى أوليائه شبهاً فينسخ الله تعالى تلك الشبه ويحكم الآيات الدالة على دفعها»[٢] .

وقيل المعنى: «ألقى الشيطان الوساوس والشبهات في طريق أمنيته لكيلا تتحقق هذه الأمنية ، بأن يوهم الشيطان الناس بأن هذا الرسول أو النبي ساحر أو مجنون ، أو غير ذلك من الصفات القبيحة التي برأ الله تعالى منها رسله وأنبياءه»[٣] .

=المحدث إلى درجة النبي ، كما يفضي إلى القول: إن النبوة يمكن أن تنال بالكسب ، وهذا يخالف إجماع المسلمين بل وحتى الملل الأخرى من اليهود والنصارى .

والمحدث لا يصل إلى درجة الأنبياء والرسل ، كما جاء في الحديث عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال: «**لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس محدثون، فإن يك من أمتي أحد فإنه عمر**» ، وفي رواية أخرى: (**لقد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل رجال، يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء، فإن يكن من أمتي منهم أحد فعمر**) ، رواه البخاري في كتاب: «فضائل الصحابة» ، باب: (**مناقب عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –**) ، رقم: ٣٤٨٦ ، (٣/ ١٣٤٩) ، ورواه في كتاب: «الأنبياء» ، باب: (**أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم**) ، رقم: ٣٢٨٢ ، (٣/ ١٢٧٩-١٢٨٠) ، عن أبي هريرة بنحوه .

والمحدث: الملهم ، وقيل: الرجل الصادق الظن ، وقيل: من يجري الحق على لسانه من غير قصد ، وقيل: من تكلمه الملائكة ، وقيل: غير ذلك . انظر: شرح العقيدة الأصفهانية ، لابن تيمية ، ص١٢٣ ، تقديم حسين مخلوف ، القاهرة ، فتح الباري ، لابن حجر (٧/ ٦٢) ، شرح الطحاوية ، لابن أبي العز ، ص ١٦٨ .

(١) سورة الحج ، الآية: ٥٢ .

(٢) روح المعاني ، للآلوسي (١٧/ ١٧٥) .

(٣) التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، د . محمد سيد طنطاوي .

وقد سبق بحث هذه الآية وبيان الأقوال فيها .

وهو بهذا الإبطال وإلقاء هذه الشبهات يريد إغلاق الطريق لمعرفة الله تعالى وقيام دينه في الأرض ، فلولا الرسل لم يعبد الله تعالى في الأرض ولم يعلم العباد صفاته وأسمائه الحسنى ، ولم يعلموا دينه وشرائعه وثوابه وعقابه (١) .

«بل يقال: إنه ليس في الأرض مملكة قائمة إلا في نبوة أو أثر نبوة» (٢) ، ومن هنا أستطيع حصر بعض مكايده في هذا الشأن بوجه عام ومنها:

الأول: دعوى السحر والكهانة والشعر . **الثاني**: دعوى الجنون .

الثالث: دعوى الكذب . **الرابع**: الجنس البشري .

الخامس: أن الأنبياء – عليهم السلام – أظهروا للناس في الإيمان بالله واليوم الآخر خلاف الأمر لينقادوا .

السادس: تفضيل بعض البشر على الأنبياء .

أولاً: **دعوى السحر والكهانة والشعر** (٣) : وهي شبه قديمة كاد بها إبليس أنبياء الله تعالى ورسوله وسلط عليهم بها حزبه وأولياءه ، قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ ﴾ (٤) .

وقال تعالى مبيناً حال كفار مكة من رسالة محمد ﷺ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ

---

(١) انظر: الصارم المسلول ، لابن تيمية (٢/ ٤٥٩) .

(٢) المرجع السابق ، نفس الجزء والصفحة .

(٣) يقول حسن قطامش في كتاب: «المواجهة» ، ص ٧٣-٧٤: «العجيب أن التهم الموجهة للرسل وأتباعهم هي تهم شيطانية كذلك فالسحر ، والجنون ، والكهانة ، والشعر ، كل هذه تهم مرتبطة بالشياطين وعلة ذلك أن البشرية بفطرتها تنفر عن الشياطين ، وكل ما ينسب إليها ، فحين توجه للرسل والدعاة مثل هذه التهم تتلازم معها النفرة الفطرية ، وهذا من خبث مكر إبليس اللعين وجنده» أ . هـ .

(٤) سورة الذاريات ، الآية: ٥٢ .

لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ ﴾[١] .

وقال تعالى: ﴿ الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ ﴾[٢] .

روى ابن عباس – رضي الله عنهما – : (أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن فكأنه رقّ له ، بلغ ذلك أبا جهل فأتاه ، فقال: يا عم إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالاً ، قال: لم؟ قال: ليعطوكه فإنك أتيت محمداً لتعرض لما قبله ، قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالاً ، قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له «أو أنك كاره له» ، قال: وماذا أقول فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني ، ولا أعلم برجزه ولا بقصيدته مني ، ولا بأشعار الجن ، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا ، ووالله إن لقوله الذي يقول حلاوة ، وإن عليه لطلاوة وإنه لمثمر أعلاه ، مغدق أسفله ، وإنه ليعلو وما يعلى وإنه ليحطم ما تحته .

قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه ، قال: فدعني حتى أفكر فيه ، فلما فكر قال: هذا سحر يؤثر ، يأثره عن غيره فنزلت ﴿ ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾[٣])[٤] ، وهي شبه باطلة لما يلي:

١ - أن الأنبياء تتنزل عليهم الملائكة ، قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[٥] ، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢١٠﴾

---

(١) سورة سبأ ، الآية: ٤٣ .

(٢) سورة يونس ، الآيتان: ١-٢ .

(٣) سورة المدثر ، الآية: ١١ .

(٤) الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٠٦) ، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه» .

(٥) سورة البقرة ، الآية: ٩٧ .

﴿ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ ﴾[(١)] ، أما السحرة وأضرابهم فتتنزل عليهم الشياطين والجن ، قال تعالى: ﴿ هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ ﴾[(٢)] .

٢- إن السحر مبناه على الظلم ، والشرك والكذب وغير ذلك مما يبغضه الرب سبحانه وتعالى وينهى عنه ، والأنبياء جاءوا بخلاف ذلك من الدعوة إلى التوحيد ، والعدل ، والصدق .

٣- إن خوارق السحرة يمكن معارضتها وإبطالها من قبل السحرة ومن غيرهم ، أما خوارق الأنبياء ، فلا يمكن لأحد أن يعارضهم ، ولا يستطيع أحد أن يبطلها ، ولهذا سحرة فرعون آمنوا بموسى بعد أن أيقنوا أن ما جاء به موسى – عليه السلام – ليس من جنس السحر .

٤- إن كرامات أتباع الأنبياء دليل على صدق الأنبياء بخلاف خوارق السحرة فهي دليل على الساحر وعلى سحره ولا تتعداه .

٥- إن هدف الساحر هو التخريب والإفساد في الأرض ، أما الأنبياء فهم يدعون إلى العدل والإصلاح ، وعبادة الله وحده لا شريك له .

٦- إن السحر والكهانة تنال بالكسب والتعلم بخلاف النبوة .

٧- إن خوارق السحرة والكهان مقدورة للجن والإنس بل والحيوان كالطير في الهواء والمشي على الماء ، بخلاف معجزات الأنبياء فلا يقدر عليها مخلوق كإنزال الكتب وتكليم موسى – عليه السلام – وغير ذلك .

٨- الأنبياء – عليهم صلوات الله وسلامه – يصدق بعضهم بعضاً أما السحرة فيكذب بعضهم بعضاً ويذم بعضهم بعضاً .

---

(١) سورة الشعراء ، الآيتان: ٢١٠-٢١١ .

(٢) سورة الشعراء ، الآيتان: ٢٢١-٢٢٢ .

٩- إن النبوة لو كانت تنال بالكسب لكان طريقها هو عبادة الله وحده لا شريك له، والصدق والعدل وتزكية النفوس، بعكس السحر والكهانة، فهي لا تنال إلا بالشرك بالله تعالى والكذب والزور والاحتيال، وشتان بين الأمرين.

١٠- إن هذه الأمور معروفة ومعتادة، ولها خواص مستلزمة لها، وهي خارقة لعادة سائر الناس دون الأنبياء (١).

ويقال لهم أيضاً: هل عرف السحر عن أحد من الأنبياء، ولهذا آمن السحرة بموسى – عليه السلام – ليقينهم أن هذا ليس بسحر.

وكان عقلاء الكفار يعترفون بأن ما جاء به نبينا محمد ﷺ ليس بسحر، كما في حديث عتبة بن ربيعة (٢) والنضر وغيرهما (٣) من الصحابة قبل إسلامهم.

روى الإمام أحمد – رحمه الله – عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – قوله: (خرجت أتعرض رسول الله ﷺ قبل أن أسلم فوجدته قد سبقني إلى المسجد، فقمت خلفه فاستفتح سورة الحاقة، فجعلت أعجب من تأليف القرآن، قال فقلت: هذا والله شاعر كما قالت قريش، قال فقرأ: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍۚ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ ﴾، قال: قلت: كاهن قال: ﴿ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍۚ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَـٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾(٤)،

---

(١) النبوات، لابن تيمية، ص ٤٣-٤٩، ص ٢٩٦، ص ٤٣٩-٤٤٩، الجواب الصحيح، (١/ ٢٤١)، (٤/ ٢٦٠-٢٦٢)، إيثار الحق على الخلق، لابن الوزير، ص ٢٠٤-٢١١.

(٢) عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، أبو الوليد: كبير قريش، وأحد سادتها في الجاهلية، كان موصوفاً بالرأي والحلم والفضل، خطيب نافذ القول... أدرك الإسلام، وطغى فشهد بدراً مع المشركين... فأحاط به علي بن أبي طالب وحمزة وعبيدة بن الحارث فقتلوه. الأعلام، للزركلي (٤/ ٢٠٠).

(٣) انظر: هذه الروايات في دلائل النبوة، للبيهقي (٢/ ٢٠١-٢٠٥).

(٤) سورة الحاقة، الآيات: ٤٠-٤٧.

إلى آخر السورة، قال: فوقع الإسلام في قلبي كل موقع) (١) .

وعن ابن عباس – رضي الله عنه – قال: «قام النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبدالدار بن قصي فقال: يا معشر قريش إنه والله لقد نزل بكم أمر ما ابتليتم بمثله، لقد كان محمد فيكم غلاماً حديثاً أرضاكم فيكم، وأصدقكم حديثاً، وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم قلتم: ساحر، لا والله ما هو بساحر قد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم، وقلتم: كاهن لا والله ما هو بكاهن قد رأينا الكهنة وحالهم وسمعنا سجعهم، وقلتم: شاعر لا والله ما هو بشاعر، قد رأينا الشعر وسمعنا أصنافه كلها هزجه ورجزه وفريضه، وقلتم: مجنون لا والله ما هو بمجنون لقد رأينا الجنون فما هو بخنقه ولا وسوسته ولا تخليطه يا معشر قريش انظروا في شأنكم فإنه والله لقد نزل بكم أمر عظيم...» (٢) .

ثانياً: دعوى الجنون: وهذه الشبهة قديمة أيضاً قالها أقوام الرسل لرسلهم، حيث بين تعالى ذلك في كتابه جل وعلا: ﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ۝ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ۝ ﴾ (٣) .

وكانت هذه الشبهة مما تمسك به مشركو قريش، حيث وصفوا نبينا محمداً ﷺ بالجنون وقاربهم في ذلك بعض المستشرقين، حيث وصفوا الرسول ﷺ بأنه تعتريه حالات عصبية فسروها بمرض - الصرع أحياناً وبالهستيريا أحياناً أخرى، وقالوا: إن أثرها ظاهري في مزاجه العصبي القلق (٤) .

ومجرد تصور هذه الشبهة الشيطانية كاف في ردها، فحياة الأنبياء وسلوكهم وكمال أخلاقهم ظاهر للبشر.

---

(١) رواه أحمد في المسند (١/ ١٧-١٨)، وذكره ابن كثير (٤/ ٤١٨)، ولم يعلق عليه.

(٢) السيرة النبوية (١/ ٣١٩-٣٢٠)، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد.

(٣) سورة الذاريات، الآيتان: ٥٢-٥٣.

(٤) رؤية إسلامية للاستشراق، ص ٣٨، آراء المستشرقين حول القرآن (١/ ٣٩٨)، د. عمر رضوان.

ورسولنا الحبيب عاش بين قومه أربعين سنة، كان معروفاً فيها بالشجاعة والصدق، والوفاء، والعقل، والرزانة، وكان كبار قريش ورؤساؤهم يطلبون منه القضاء بينهم عند التنازع، فكيف يكون من هذه صفته مصاباً بالجنون.

ثم بالنظر والتأمل إلى ما جاء به من نصوص الوحي الذي أعجز فحول الشعر أن يأتوا بآية من مثله، ومن تأمل هذا التشريع الرباني المتكامل وبناء تلك الدولة العظيمة أيقن بُعْد هذا القول وسخافته، فليس عندهم دليل واحد على صدق قولهم.

وأما ما زعمه المستشرقون في حال النبي الكريم - عليه صلوات الله وسلامه - فنحن نعلم بل قد ثبت علمياً وطبياً أن المصروع تتعطل مداركه ولا تصبح لديه مقدرة على التفكير والحفظ، بل هو في حالة إغماء تام، وتعطل لحركة الشعور (١).

فأين هذا من حال رسولنا الكريم ﷺ عند نزول الوحي عليه حيث أنه يخاطب أصحابه، وينقل لهم ما سمعه من جبريل - عليه السلام - دون أن يخطئ كلمة واحدة.

وأما مرض «الهستيريا فهو داء عصبي عضال، أكثر إصاباته في النساء ومن أعراضه شذوذ الخلق، وضيق في التنفس، واضطراب في الهضم، وقد يصل بصاحبه إلى حالة شلل موضعي، ثم إلى تشنج، ثم إلى إغماء، ثم إلى هذيان مصحوب بحركة واضطراب في اليدين والرجلين وقفز من مكان إلى مكان...» (٢).

ووصف هذا المرض كافٍ في الجزم بأن حالات الوحي لا يمكن أن تلتبس بمثل هذه الأعراض ولكنه التعصب المذموم.

كما أن الواقع يكذب ذلك، فالمصروع والمصاب بالهستيريا يلفظ ألفاظاً عشواء لا يعي ما يقول، ولا يفهم منه، فأين هذا مما جاء به نبي الأمة ﷺ من نصوص الوحي الربانية (٣).

---

(١) انظر: دائرة معارف القرن العشرين (٥/ ٤٦٩-٤٧٨).

(٢) مناهل العرفان، للزرقاني (١/ ٧٤)، ودائرة معارف القرن العشرين (١٠/ ٥٠٧-٥١٠).

(٣) انظر فيما سبق: مناهل العرفان، للزرقاني (١/ ٧٤)، وحي الله لحسن ضياء الدين عتر، =

ثالثاً: دعوى الكذب: ومن الشبه التي كاد بها إبليس لإبطال نبوات الأنبياء اتهامهم بالكذب والخيانة، قال تعالى: ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ ﴾ (١)، وقوله تعالى: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ ﴾ (٢)، وقوله تعالى: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴾ (٣)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾(٤)، وقوله تعالى: ﴿ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ ﴾(٥) .

ومن ذلك أيضاً تكذيب اليهود لعيسى – عليه السلام – وزعمهم أنه ولد زنا .

والمتأمل في حياة الرسل والأنبياء ودعواتهم، يرى ما هم عليه من علو الهمة والأمانة، والصدق، والترفع عن سفاسف الأمور .

كما أنهم من أكمل الناس خُلقاً وخَلقاً، ونسباً وعقلاً: ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾(٦) .

وهم من أشد الناس بلاءً، عن مصعب بن سعد عن أبيه قال: قلت يا رسول الله: أي الناس أشد بلاءً، قال: (الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلباً اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه، فما

= ص ٢٠٥-٢٠٦، آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره (١/٣٩٨)، الوحي في الإسلام وإبطال الشبهات، عبدالله أبو بكر ٣٦٩-٣٧٦، رسالة ماجستير مقدمه إلى جامعة أم القرى، مكتوبة على الآلة الكاتبة .

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨٤ .
(٢) سورة الحج، الآية: ٤٢ .
(٣) سورة فاطر، الآية: ٢٥ .
(٤) سورة الحجر، الآية: ٨٠ .
(٥) سورة الشعراء، الآية: ١٧٦ .
(٦) سورة الأنعام، الآية: ١٢٤ .

يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة)[١] .

فلو لم يكن الله اصطفاهم واختارهم وكلفهم بهذا ، أكانوا يتجشمون[٢] هذه الصعاب؟!! ويكذبون على الناس؟! ليكون ذلك سبباً إلى منافرتهم وقتالهم!!

ومن ادعى النبوة فسرعان ما يظهر عواره ، ويتضح كذبه ، حتى ولو جرت على يديه الخوارق الشيطانية ، لأن سنة الله في كشفهم وهزيمتهم جارية .

كما إن الفروق بين النبي والمتنبي الكاذب واضحة يدركها كل ذي لب وبصيرة ، ومنها:

١- ما يتعلق بالصفات: فصفات النبي هي الصدق والنزاهة والدعوة إلى التوحيد ، وصفات المتنبي الكذب ، والخيانة ، ولهذا لما ذهب أبو سفيان إلى الشام والتقى مع هرقل[٣] ودار بينهما الحوار في الحديث المعروف وفيه:

(. . . قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا ، قال: فهل يغدر؟ قلت: لا ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها ، قال: ولم تكن كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة . . .)[٤] .

فقريش كلهم لم يكونوا يشكون في صدق نبينا محمد ﷺ ، وكان يلقب قبل البعثة بالصادق الأمين ، فهل كان سيترك الكذب على الناس ثم يكذب على الله حاشاه!!

٢- ما يتعلق بالأخبار والأوامر والنواهي: فالنبي لا يأتي إلا بما صح ، وتبين صدقه من

---

(١) رواه الترمذي ، رقم: ٢٤٠٠ ، (٧/ ١٢٤) ، وقال: هذا حديث حسن صحيح . أ. هـ ، ورواه ابن ماجه في كتاب: «الزهد» ، رقم: ٤٠٢٣ ، (٢/ ١٣٣٤) ، ورواه أحمد في مسنده (١/ ١٧٢) عن مصعب بنحوه ، وانظر: السلسلة الصحيحة ، حديث رقم: ١٤٣ ، (١/ ٥٣-٥٤) .

(٢) «جَشَمَ الأمر ، بالكسر يَجشَمُه وجشامةً وتجشمَّه: تكلَّفه على مشقة» ، لسان العرب (١٢/ ١٠٠) .

(٣) اسمه هرقل ، ولقبه قيصر ، ملك الروم ، أرسل له الرسول ﷺ دحية الكلبي ليدعوه للإسلام فدعا البطارقة والقساوسة فأبو الإسلام فخاف على ملكه وبقي على النصرانية ، انظر: البداية والنهاية (٥/ ١٤) .

(٤) رواه البخاري ، رقم: ٧ ، (١٥/ ٧-٩) ، ورواه مسلم ، رقم: ١٧٧٣ ، (٣/ ١٣٩٣-١٣٩٧) .

الأخبار، ولو جاء بخبر وتبين كذبه، لرد خبره، وعرف أنه ليس بنبي، كذلك ما تحمله الأوامر والنواهي من حكم وغايات وأهداف سامية، كل ذلك دليل صدقه ونبوته ﷺ، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾[1].

ويقول تعالى ذكره: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[2].

وكذلك ما يتعلق بالأوامر والنواهي فهم لا يأمرون إلا بالحق، وبما فيه صلاح البشرية، قال تعالى: ﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾[3].

وتأمل هذا النور الإلهي مع ما جاء به مسيلمة الكذاب من قوله: «والشاء وألوانها، وأعجبها السود ألبانها، والشاة السوداء واللبن الأبيض، إنه لعجب محض، وقد حرم المذق، فما لكم لا تمجعون»[4].

وقوله: «يا ضفدع ابنة ضفدع، نقي ما تنقين، أعلاك في الماء وأسفلك في الطين، لا الشارب تمنعين، ولا الماء تكدرين»[5].

ولهذا روى ابن جرير أن أبا بكر الصديق لما قدم عليه وفد من بني حنيفة قال لهم: «سبحان الله! ويحكم إن هذا الكلام ما خرج من إل ولا بر فأين يذهب بكم»[6].

---

(١) سورة يونس، الآية: ٣٧.

(٢) سورة الحاقة، الآيات: ٤٤-٤٧.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٥١.

(٤) تاريخ الأمم والملوك، لابن جرير (٤/ ١٠٢).

(٥) المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة.

(٦) المرجع السابق (٤/ ١١٨).

٣- **فيما يتعلق بالآيات**: فآيات الأنبياء لا يمكن معارضتها، ولا الإتيان بمثلها، بخلاف غيرهم فمدعو النبوة خوارقهم من جنس خوارق السحرة والكهان، وهي تعارض وتبطل بالآيات القرآنية [١].

والله عز وجل لا يؤيد من كذب عليه، وأبطل شرائعه، ولهذا روي أنه كان إذا جيء لمسيلمة الكذاب بالصبي فحنكه ومسح رأسه، قرع ولثغ [٢] واستبان مهلكه، وتمضمض في بئر ليباركها فغارت، وتوضأ في حائط فعادت يباباً [٣].

٤- **فيما يتعلق بالنصر والتأييد**: فالله تعالى نصر رسله وأيدهم بالبينات، ولم يخذلهم قط، أما مدعي النبوة فيقطعه، ويخذله، ويجعله عبرة للمعتبرين، فمتى رأينا متنبئاً نصره الله، وأبقى دعوته، والتاريخ شاهد على ذلك من أمثال خذلانه وإهلاكه تعالى لمسيلمة الكذاب وطليحة الأسدي [٤]، وسجاح [٥] وغيرهم.

حتى أهل الكتاب يوجد عندهم من يدعي النبوة .. ففي سفر التثنية الإصحاح الثامن عشر «٢٠- وأما النبي الذي يطغى فيتكلم باسمى كلاماً لم أوصه أن يتكلم به، أو

---

(١) انظر: الجواب الصحيح، لابن تيمية (١/ ١٤٩-١٥٠).

(٢) «الألثغ: الذي لا يستطيع أن يتكلم بالراء، وقيل: هو الذي يجعل الراء غيناً أو لاماً... وقيل: هوالذي لا يبين الكلام..»، لسان العرب (٨/ ٤٤٨).

(٣) انظر: تفصيل هذه الروايات في تاريخ الأمم والملوك (٤/ ١٠٣-١٠٤).

(٤) «طليحة بن خويلد الأسدي، من أسد خزيمة، متنبىء، شجاع، من الفصحاء يقال له: (طليحة الكذاب) كان من أشجع العرب، قدم وفد أسد خزيمة سنة تسع، وأسلموا ولما رجعوا أرتد طليحة، وادعى النبوة، فقاتله أبو بكر الصديق، فلحق بالشام، ثم عاد بعد وفاة أبي بكر وأسلم وحسن إسلامه، مات سنة ٢١هـ»، انظر: تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٥٤)، والأعلام، للزركلي (٣/ ٢٣٠).

(٥) «سجاح بنت الحارث بن سويد بن عقفان، التميمية، من بني يربوع أم صادر: متنبئة مشهورة، كانت شاعرة أديبة عارفة بالأخبار، رفيعة الشأن في قومها... ادعت النبوة بعد وفاة النبي ﷺ وكانت في بني تغلب بالجزيرة... فتبعها جمع من عشيرتها» تزوجها مسيلمة الكذاب، ولما قتل أسلمت وهاجرت إلى البصرة وتوفيت بها عام ٥٥هـ.
انظر: الأعلام، للزركلي (٣/ ٧٨).

الذي يتكلم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبي» .

وهذا دليل عليهم ، إذ لو كانت رسالة محمد ﷺ - ادعاء كما زعموا - لما بقيت وانتشرت هذا الانتشار .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: «وما من أحد ادعى النبوة من الكذابين إلا وقد ظهر عليه من الجهل والكذب والفجور واستحواذ الشياطين عليه ما ظهر لمن له أدنى تمييز ، وما من أحد ادعى النبوة من الصادقين إلا وقد ظهر عليه من العلم والصدق والبر وأنواع الخيرات ما ظهر لمن له أدنى تمييز»أ . هـ[١] .

وبالجملة فإن صدق الأنبياء معلوم بالضرورة ، فقد أخبروا بعاقبة كل من خالفهم ، وحذروا من هلاك الظالمين ، فكان كما قالوا كما علم بالتواتر حيث أهلك الله قوم نوح بالطوفان ، وأغرق فرعون وقومه . . . إلخ .

كما أن أحوالهم ، وأخلاقهم ، وما جاءوا به من الرحمة والخير ومكارم الأخلاق والإصلاح لا يمكن أن يصدر من كذاب متنبئ[٢] .

رابعاً: الجنس البشري: ومن المكايد التي كاد بها إبليس العباد لإبطال النبوات ، دعوى البشرية ، والمعنى أن الرسل بشر وليسوا ملائكة ، وهذا يدل على كذبهم - بزعمه - فلا بد أن يكونوا ملائكة ليتميزوا عن البشر .

قال تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولاً ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولاً ﴿٩٥﴾ ﴾[٣] .

وقد بين تعالى هذه الشبهة في مواضع عدة من كتابه العزيز ومنها: قوله تعالى:

---

(١) شرح الأصفهانية ، لابن تيمية ، ص ٨٩ .

(٢) انظر: شرح الطحاوية ، ص ١٢٠ ، مسائل الجاهلية ، للإمام محمد بن عبدالوهاب ، ص ٨٢-٨٧ .

(٣) سورة الإسراء ، الآيتان: ٩٤-٩٥ .

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْ ۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ ﴾[(١)]، وقوله تعالى: ﴿ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ ﴾[(٢)]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[(٣)]، وقوله تعالى: ﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ ﴾[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾[(٥)]، وقوله تعالى: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾[(٦)].

وقوله تعالى: ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾[(٧)].

وقد أبطل الله تعالى هذه الشبهة في آيات كثيرة منها: قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾[(٨)]، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾[(٩)].

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولاً ﴿٩٣﴾ ﴾[(١٠)]، وقوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾

---

(١) سورة التغابن، الآية: ٦.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٣.

(٣) سورة الشعراء، الآية: ١٨٦.

(٤) سورة المؤمنون، الآية: ٣٣.

(٥) سورة إبراهيم، الآية: ١٠.

(٦) سورة يونس، الآية: ٢.

(٧) سورة الأعراف، الآية: ٦٣.

(٨) سورة إبراهيم، الآية: ١١.

(٩) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

(١٠) سورة الإسراء، الآية: ٩٣.

وَلَوْ جَعَلْنَـٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَـٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ ﴾[١] .

ويظهر من خلال هذه الآيات إبطال هذه الشبهة ، حيث إن الجنس إلى مثله أمثل ، ومن هنا أرسل الله تعالى للبشر بشراً مثلهم ، قال سبحانه وتعالى: ﴿ لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَـٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ ﴾[٢] ، وهذا من لطفه تعالى ورحمته ليتمكنوا من مخاطبته ، وفهم قوله إذ لو كان من الملائكة فلا يخلو الأمر من إحدى حالين:

الأولى: أن يكون بهيئته وشكله الملائكي ، وهذا لا يمكن البشر القدرة على تحمل رؤيته ، وإما أقدر الله تعالى أنبياءه على ذلك ليكون لهم آية ومعجزة ، قال ابن عباس «ما أتاهم إلا في صورة رجل ، لأنهم لا يستطيعون النظر إلى الملائكة»[٣] .

الثاني: أن يأتوا بصورة البشر كما كانت الملائكة تأتي إلى الأنبياء بصورة بشر في قصة إبراهيم ولوط ونبينا محمد ﷺ عندما جاءه جبريل – عليه السلام – في صورة دحية الكلبي[٤] – رضي الله عنه – .

وهذا لا يزيل اللبس ، بل قد يقول المعاند إن هذا بشر وليس ملكا ، فهاتوا الدليل والبرهان على أنه ملك[٥] فيكذب الرسول ، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَـٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَـٰهُ رَجُلًا ﴾[٦] .

---

(١) سورة الأنعام ، الآيتان: ٨-٩ .

(٢) سورة الإسراء ، الآية: ٩٥ .

(٣) رواه ابن جرير في تفسيره (٥/ ١٥٣) .

(٤) «دحيه بن خليفة بن فروة بن فضالة الكلبي: صحابي ، بعثه رسول الله ﷺ برسالته إلى «قيصر» يدعوه للإسلام وحضر كثيراً من الوقائع ، كان يضرب به المثل في حسن الصورة وشهد اليرموك . . . عاش إلى خلافة معاوية» ، الأعلام (٢/ ٣٣٧) ، وانظر: الإصابة (١/ ٤٧٣) .

(٥) انظر: جامع البيان ، لابن جرير(٥/ ١٥٢-١٥٣) ، أحكام القرآن ، للقرطبي (٦/ ٣٩٣) ، (١٠/ ٣٢٢) ، مجموع الفتاوى (١٢/ ٢٧٠) ، تفسير القرآن ، لابن كثير ، ص ٤٦٧-٧٩٩ ، تلبيس إبليس ، لابن الجوزي ، ص ٨٣-٨٤ ، أضواء البيان ، للشنقيطي (٢/ ٢٩٠) ، (٣/ ٥٧٢-٥٧٣) .

(٦) سورة الأنعام ، الآية: ٩ .

خامساً: أن الرسل – عليهم السلام – أظهروا للناس في الإيمان بالله واليوم الآخر خلاف الأمر: قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : «وهؤلاء [(١)] يرون: إقرار النصوص على ظواهرها هو المصلحة التي يجب حمل الناس عليها مع اعتقادهم أن الأنبياء لم يبينوا الحق، ولم يورثوا علماً ينبغي للعلماء معرفته . . .» [(٢)] .

ويقول – رحمه الله – : «فالفارابي [(٣)] يقول: إن خاصة النبوة جودة تخييل الأمور المعقولة في الصور المحسوسة . . .» [(٤)] .

وقال أيضاً: «وابن سينا يذكر هذا المعنى في مواضع ويقول: ما كان يمكن موسى ابن عمران مع أولئك العبرانيين، ولا يمكن محمداً مع أولئك العرب الجفاة أن يبينا لهم الحقائق على ما هي عليه، فإنهم كانوا يعجزون عن فهم ذلك، وإن فهموه على ما هو عليه انحلت عزماتهم عن اتباعه، لأنهم لا يرون فيه من العلم ما يقتضي العمل . . .»[(٥)] .

ثم أعقبه بقوله – رحمه الله – : «وكل من اعتقد نفي ما أثبته الرسول حصل في نوع من الإلحاد بحسب ذلك»[(٦)] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : «إن الرسول لا يجوز عليه أن يخالف شيئاً من الحق، ولا يخبر بما تحيكه العقول وتنفيه، لكن يخبر بما تعجز العقول عن معرفته

---

(١) يقصد الفلاسفة ومن سار على نهجهم من أمثال أبي حامد الغزالي في بعض كتبه وبعض الأشاعرة .
(٢) درء تعارض العقل والنقل (١٠/ ٢٧٠) .
(٣) الفارابي: اسمه محمد بن محمد أوزلغ بن طرخان، ولد سنة ٢٦٠هـ، وتوفي سنة ٣٣٩هـ، يعرف بالمعلم الثاني، أكبر الفلاسفة الذين عرفوا في الإسلام، نشأ في بغداد وألف فيها أكثر كتبه، ورحل إلى مصر والشام، واتصل بسيف الدولة ابن حمدان، من مؤلفاته: «النصوص» و «آراء هل المدينة الفاضلة»، وغيرهما، انظر: ومع الفارابي والمدن الفاضلة، فاروق سعد، ص ٥٣-٥٦، الأعلام للزركلي (٧/ ٢٠) .
(٤) مجموع الفتاوى (٤/ ٩٩)، وانظر: (٣/ ٣٣٩) .
(٥) المرجع السابق .
(٦) درء تعارض العقل والنقل (١٠/ ٢٧٠) .

فيخبر بمحارات العقول، لا بمحالات العقول...»[١] .

وقد توصل بها إبليس – أخزاه الله – إلى عدة لوازم باطلة، منها:

١- نفي صفات الله تعالى وأسمائه وهو معنى الإلحاد الذي حذر منه تعالى في قوله: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾[٢] ، كما سبق بيان ذلك.

٢- نفي الاحتجاج بالكتاب والسنة، إذ جميع ما ورد فيها يخالف الحقيقة والواقع، وما هو إلا تخييل تنتفع به العامة.

٣- إن أعظم العلوم وأهمها وهو العلم بالله تعالى لم تبينه الرسل، ولا هدت الخلق إليه بل معرفته إنما تتم بواسطة العقول.

٤- إنكار البعث والمعاد ومشاهد القيامة.

٥- إنكار النبوة فما فائدة هذا الرسول الذي جميع ما أتى به إنما هو ضرب من الخيال وجذب جمهور الخلق إليه[٣] ، وهذا هو الهدف الأسمى لإبليس.

سادساً: تفضيل بعض البشر على الأنبياء: وهي مكيدة أخرى كاد بها إبليس عباد الله لإبطال النبوات- وسيأتي بحثها في مكايده فيما يتعلق بالولاية والأولياء – ولكن إيرادها هنا لبيان أن هناك إبليساً يلقي بهذه الشبهة لإبطال تعظيم الأنبياء في قلوب العباد ورفع غيرهم من البشر إلى أعلى مقامهم، لتسقط هيبتهم من القلوب وتتعلق بغيرهم ممن أغوى وفتن بهم إبليس خلق كبير، كما في أولياء وأقطاب الصوفية والقاديانية[٤] وأئمة الشيعة... وغيرهم.

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٥/ ٢٩٧)، ومجموع الفتاوى (٢/ ٣١٢)، الصواعق المرسلة (٣/ ٨٣٠).

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

(٣) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٥/ ٢١)، (١/ ١٩).

(٤) القاديانية: مؤسسها مرزا غلام أحمد القادياني (١٨٣٩-١٩٠٨) نشأت عام ١٩٠٠م بتخطيط من الاستعمار الإنجليزي في الهند بهدف إبعاد المسلمين عن دينهم وعن فريضة الجهاد... يعتقدون أن الرسالة لم تختم وإن غلام أحمد هو أفضل الأنبياء، ولهم اعتقادات شنيعة في الألوهية، تعالى الله عن أقوالهم علواً كبيراً.

المبحث الثاني

مكايد الشيطان في الغلو في الأنبياء

لقد سلك إبليس لإبطال النبوات مسلكين:

الأول: التكذيب والصدّ كما سبق في المبحث الأول ، **الثاني**: الغلو - كما سيأتي - حيث رفعهم فوق منزلتهم إلى مقام الألوهية من باب التعظيم والإجلال .

وهذا الأمر قد حذر منه نبينا ﷺ وخشي على أمته من الوقوع فيه وقال الرجل الذي قال: (يا محمد يا سيدنا وابن سيدنا وخيرنا وابن خيرنا . . . فقال عليه الصلاة والسلام: قولوا بقولكم ولا يستجركم الشيطان أو الشياطين أنا محمد بن عبدالله ورسوله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل) [1] .

ومن أبرز مظاهره في الغلو:

١ - تأليه الأنبياء ومنهم: عيسى ، وعزيز ومحمد ﷺ .

٢ - سؤالهم الشفاعة والتضرع لهم وإظهار الفاقة والحاجة لهم من دون الله .

٣- الغلو في قبورهم ، ومن أمثلته:

اتخاذها أعياداً ومساجد ، واعتقاد أن من زار قبر النبي ﷺ وجبت له الشفاعة ، والاستغاثة بها عند الشدائد والكروب ، واعتقاد الصوفية أن يده الشريفة تخرج من القبر لتصافح من يسمى بالأولياء والأقطاب ، واعتقاد الصوفية أنه يحضر مجالسهم ، وأنهم يرونه يقظة لا مناماً وأنه يلقن مشايخهم الأوراد والأدعية التي يعظمونها ، إقامة الأعياد والموالد [2] .

---

(١) ورواه أحمد في المسند (٣/ ١٥٣ ، ٢٤١) ، عن أنس - رضي الله عنه - والبيهقي في السنن الكبرى ، رقم: ١٠٠٧٥ ، (٦/ ٧٠) بنحوه ، وأحمد الشيباني في الآحاد والمثاني ، رقم: ١٤٨٢ ، (٣/ ١٥٣) .

(٢) انظر: خصائص النبي ﷺ بين الغلو والجفا ، تأليف: الصادق بن محمد بن إبراهيم .

وفيما يلي البيان والتفصيل بعون الله وتوفيقه:

١- **تأليه الأنبياء**: لقد برز كيد الشيطان لكثير من الناس بأن زين لهم الغلو في الأنبياء وتأليههم وسأذكر لذلك ثلاثة أمثلة:

أ- **عيسى – عليه السلام –**: ومن أبرز من كادهم إبليس بتأليه الأنبياء النصارى حيث زعموا أن عيسى اتحد بذات الله وتجسد به، كإشراق النور على الجسم المشف، وقيل: انطبع فيه انطباع النقش بالشمع، وقيل: مازجت الكلمة جسد المسيح ممازجة اللبن الماء والماء اللبن (١)، قال ابن كثير – رحمه الله –: «والنصارى عليهم لعائن الله من جهلهم، وليس لهم ضابط ولا لكفرهم حد بل أقوالهم وضلالتهم منتشر، فمنهم من يعتقده إلهاً، ومنهم من يعتقده شريكاً ومنهم من يعتقده ولداً، وهم طوائف كثيرة لهم آراء مختلفة، وأقوال غير مؤتلفة» (٢).

ففي إنجيل متى جاء قولهم: «أما ولادة يسوع المسيح، فكانت هكذا، لما كانت أمه مريم مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس».

قال القرطبي – رحمه الله –: «والنصارى مع فرقهم مجمعون على التثليث، ويقولون: إن الله جوهر واحد وله ثلاثة أقانيم...» (٣).

حتى كتبهم – رغم تحريفها – ترد عليهم ففيها إثبات أن عيسى – عليه السلام – رسول، ففي إنجيل يوحنا ١٤: ٢٤ تعترف عيسى – عليه السلام – بأنه رسول كما في النص التالي: «الكلام الذي تسمعونه ليس لي بل للآب الذي أرسلني» (٤).

وفي إنجيل متى ٢٣: ٨ «لا تدعو سيدي لأن معلمكم واحد المسيح وأنتم جميعاً إخوة ولا تدعوا معلمين لأن معلمكم واحد المسيح» (٥)، وفي يوحنا ١٧: ٣ «... وهذه

---

(١) انظر: الملل والنحل، للشهرستاني (١/ ٢٢٠).
(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١/ ٥٩٠)، القاهرة، دار الفكر.
(٣) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٦/ ٢٤).
(٤) إنجيل يوحنا ١٤: ٢٤.
(٥) إنجيل متى ٢٣: ٨.

هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته» .

وقد أفسد إبليس عليهم دينهم عن طريق أحد أوليائه وأتباعه وهو النصراني بولس (١) حيث ألقى إليهم شبهه أن عيسى – عليه السلام – إله والمؤيدات لذلك كثير منها: ما أجرى الله على يديه من المعجزات والآيات الباهرات من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص – بإذن الله – وغيرها ، خخلقه من غير أب ، وهذا لا يقدر عليه إلا إله ، أو ابن إله ففتنوا به وضلوا ضلالاً بعيداً ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩ ﴾(٢) ، وسيأتي مزيد بيان لذلك – إن شاء الله – في الفصل الرابع .

ب- عزير – عليه السلام – : ومن الأنبياء الذي غلا فيه أتباعه عزير – عليه السلام – . قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٣٠ ﴾(٣) ، وقد ذكر المفسرون سبب إطلاق اليهود عليه هذه المقالة ، فقيل: «إن سبب ذلك القول إن اليهود قتلوا الأنبياء بعد موسى – عليه السلام – فرفع الله عنهم التوراة ومحاها عن قلوبهم ، فخرج عزير يسيح في الأرض ؛ فأتاه جبريل ، فقال: أين تذهب؟ قال: أطلب العلم ؛ فعلمه التوراة كلها فجاء عزير بالتوراة إلى بني إسرائيل

---

(١) اسمه الأصلي شاول ، ولد في طرطوس وتربى في أروشليم ، وجاء عنه أنه من الفرنسيين يهودي اعتنق النصرانية نفاقاً ، وكتب المسيحية متفقة على أنه من اليهود ، حيث كان في بداية حياته من أشد الناس عداوة للمسيحيين ، وقد حاول الاتصال بتلاميذ المسيح عيسى ثم أخذ في إنشاء الكنائس وإلقاء الخطب والمواعظ ، وتأليف الرسائل التي اعتمد عليها النصارى بعده ، وهي مليئة بالكفر والشرك والدعوة إلى التثليث ، انظر: محاضرات في النصرانية ، لأبي زهرة ، ١٥٠-١٥٤ ، إظهار الحق ، لرحمت الله الهندي (٤/ ١٠٠٠-١١١٥) ، وانظر: ما ذكره عنه الرازي (١٦/ ٣٥) في دوره في إفساد دين النصارى ، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ، ص ٥٠٠-٥٠١ ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي .

(٢) سورة آل عمران ، الآية: ٥٩ .

(٣) سورة التوبة ، الآية: ٣٠ .

فعلمهم . . .» [١] .

وقيل: إن سببه ما رواه ابن عباس - رضي الله عنه - قال: «إن بختنصر [٢] لما ظهر على بني إسرائيل ، وهدم بيت المقدس وقتل من قرأ التوراة كان عزير غلاماً فتركه ، فلما توفي عزير ببابل ومكث مائة عام ، ثم بعثه الله تعالى إلى بني إسرائيل ، وقال أنا عزير فكذبوه وقالوا: قد حدثنا آباؤنا أن عزيراً قد مات ببابل ، فإن كنت عزيراً فاملل علينا التوراة ، فكتبها لهم ، فقالوا: هذا ابن الله» [٣] .

ويقال: إنه المذكور [٤] في قوله تعالى: ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ﴾ [٥] .

ورجحه ابن الجوزي [٦] - رحمه الله - ، ويؤيد ذلك ما رواه الحاكم في المستدرك عن علي - ﷺ - قال: (خرج عزير نبي الله من مدينته وهو رجل شاب فمر على قرية وهي خاوية على عروشها قال: أنّى يحي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه فأول ما خلق عيناه فجعل ينظر إلى عظامه ينظم بعضها إلى بعض ثم كسيت لحماً ونفخ فيه الروح وهو رجل شاب فقيل له: كم لبثت ، قال: يوماً أو بعض يوم ، قال: بل لبثت مائة عام ، قال: فأتى بالمدينة وقد ترك جاراً له إسكافاً شاباً فجاء وهو شيخ كبير) [٧] .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي (٨/ ١١٧) .

(٢) ملك من ملوك بني إسرائيل ، كان كافراً بالله تعالى ، ملك الأرض من مشرقها إلى مغربها ، وتسلط على بني إسرائيل بالقتل والتشريد ، وخرب وهدم بيت المقدس ، انظر: تاريخ الأمم والملوك (١/ ١٧٤ وما بعدها) ، (١/ ٣١٦ وما بعدها) ، البداية والنهاية (٢/ ٣٢٤) ، الدر المنثور ، للسيوطي (٢/ ٢٥) .

(٣) زاد المسير ، لابن الجوزي (٣/ ٤٢٣-٤٢٤) ، جامع البيان ، لابن جرير (٦/ ١١١) .

(٤) نقل عن كعب وقتادة وابن عباس والربيع وعكرمة والضحاك وغيرهم ، انظر: تفسير الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي (٣/ ٢٨٨-٢٩٠) ، جامع البيان ، (٣/ ٢٨-٢٩) ، زاد المسير (١/ ٣٠٨-٣١٠) ، وقال: «ولا بيان عندنا من الوجه الذي يصح من قبله البيان على اسم قائل ذلك . . .»أ. هـ .

(٥) سورة البقرة ، الآية: ٢٥٩ .

(٦) انظر: زاد المسير (١/ ٣٠٩) .

(٧) رواه الحاكم في المستدرك ، رقم: ٣١١٧ ، (٢/ ٣١٠) ، وقال: «هذا حديث على شرط الشيخين ولم يخرجاه»أ. هـ ، ووافقه الذهبي .

جـ- **محمد ﷺ** : وممن قيل بتأليهه من الأنبياء نبينا محمد ﷺ ، وإن لم يكن ذلك صراحة ، كما قالت اليهود والنصارى ، وهذا وقع من الصوفية الذين غَلَو غلواً كبيراً في نبينا محمد ﷺ .

يقول عبدالكريم الجيلي (١) : «اعلم حفظك الله أن الإنسان الكامل هو القطب الذي تدور عليه أفلاك الوجود من أوله إلى آخره ، وهو واحد منذ كان الوجود إلى أبد الآبدين ، ثم له تنوع في ملابس ، ويظهر في كنائس ، فيسمى به باعتبار لباس ، ويسمى به باعتبار لباس آخر ، فاسمه الأصلي الذي هو له محمد ، وكنيته أبو القاسم ، ووصفه عبدالله ، ولقبه شمس الدين . . . ثم اعلم أن الإنسان الكامل هو الذي يستحق الأسماء الذاتية والصفات الإلهية . . . والإنسان الكامل أيضاً مرآة الحق ، فإن الحق تعالى أوجب على نفسه ألا ترى أسماؤه ولا صفاته إلا في الإنسان الكامل»أ . هـ (٢) !!

ويظهر هذا الغلو في نبينا محمد ﷺ من خلال: **إضفاء خصائص الربوبية عليه ﷺ** : ومن أمثلة ذلك:

أ- الزعم بأن الرسول ﷺ مخلوق من نور الله تعالى ، وأن الوجود كله مخلوق منه .

ومنهم من يقول: إن الله خلق نور النبي ﷺ أولاً ومن نوره خلقت بقية الأشياء ، ومنها آدم - عليه السلام - ويستدلون بحديث ينسبونه لجابر بن عبدالله - رضي الله عنه - قال: قلت يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي ، أخبرني عن أول شيء خلقه الله قبل الأشياء؟ قال النبي ﷺ : (إن الله خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره ، فجعل ذلك النور يدور في القدر حيث شاء الله ، ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ، ولا جنة ولا نار ، ولا ملك ولا سماء ولا أرض ، ولا شمس ولا قمر ، ولا جني ولا إنسي ، فلما أراد أن يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء: فخلق من الجزء الأول القلم ، ومن الثاني: اللوح ،

---

(١) عبدالكريم بن إبراهيم بن عبدالكريم الجيلي ، ابن سبط الشيخ عبدالقادر الكيلاني ، ولد عام ٧٦٧ ، كان صوفياً ومن مؤلفاته «الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوئل» ، «شرح مشكلات الفتوحات المكية» ، «الكمالات الإلهية في الصفات المحمدية» . انظر: الأعلام (٤/ ٥٠-٥١) .

(٢) الإنسان الكامل ، عبدالكريم الجيلي (٢/ ٧٣-٧٧) .

ومن الثالث: الجنة والنار . . .) [(١)] .

وبأسطورة النور هذه يتمسك بعض الشيعة .

يروى عن الكليني عن جعفر الصادق زوراً وبهتاناً ، قوله: «كنا عند الله وليس عنده أحد سوانا لا ملك ولا غيره ثم بدا له فخلق السماوات والأرض فخلق ونحن معه . . . ونصب الخلق في صورة كالهباء قبل دخول الأرض ورفع السماء ، وهو في انفراد ملكوته ، وتوحيد جبروته ، وأتاح نوراً من نوره فلمع ، ونزع قبساً من قبسه فسطع ، ثم اجتمع النور في وسط تلك الصورة الخفية ، فوافق ذلك صورة نبينا محمد ﷺ ، فقال الله عز من قائل أنت المختار والمنتخب ، وعندك مستودع نوري وكنوز هدايتي ، من أجلك أسطح البطحاء ، وأموج الماء ، وأرفع السماء ، وأجعل الثواب والعقاب والجنة والنار ، وأنصب أهل بيتك للهداية ، وأويتهم من مكنون علمي ما لا يشكل به عليهم دقيق ، ولا يغيب عنهم به خفي . . . ولم يزل الله تعالى يخبئ النور تحت الزمان إلى أن وصل محمداً في ظاهر الفترات ، فدعا الناس ظاهراً وباطناً . . . ثم انتقل النور إلى غرائزنا ، ولمع في أئمتنا فنحن أنوار السماء وأنوار الأرض . . . .إلخ» [(٢)] .

وأما الصوفية فيرى الحلاج «أن للنبي ﷺ صورتين مختلفتين:

أ- صورته نوراً أزلياً قديماً كان قبل أن يوجد العالم ، ومنه استمد كل علم وعرفان

---

(١) كشف الخفاء ومزيل الإلباس فيما اشتهر من الأحاديث ، للشيخ إسماعيل العجلوني (١/ ١١٣) ، وعزاه إلى عبدالرزاق ، يقول الألباني – رحمه الله – عند تعليقه على حديث (إن أول شيء خلقه الله القلم) في السلسلة الصحيحة رقم: ١٣٣ : «وفي الحديث إشارة إلى ما يتناقله الناس حتى صار ذلك عقيدة راسخة في قلوب كثير منهم ، وهو أن النور المحمدي هو أول ما خلق الله تبارك وتعالى وليس لذلك أساس من الصحة وحديث عبدالرزاق غير معروف إسناده» أ. هـ .

قال ابن تيمية – رحمه الله – : «وكذلك ما ذكر من أن الله قبض من نور وجهه قبضة ونظر إليها فعرقت ودلقت فخلق من كل قطرة نبياً ، وأن القبضة كانت هي النبي ﷺ ، وأنه بقي كوكباً دُرِّي ، فهذا أيضاً كذب باتفاق أهل المعرفة بحديثه وكذلك ما يشبه هذا . . .»أ. هـ ، مجموع الفتاوى (١٨/ ٣٦٧) .

(٢) الكافي ، ص ٢٧٦ .

حيث أمد الأنبياء السابقين عليه والأولياء اللاحقين به .

ب- ثم صورته نبياً مرسلاً وكائناً محدثاً تعين وجوده في مكان وزمان محدودين والنبي المرسل ﷺ إنما صدر في رسالته عن ذاك النور الأزلي القديم» [(١)] ، ويقول ابن عربي: «بدء الخلق الهباء ، وأول موجود فيه الحقيقة المحمدية الرحمانية»أ.هـ [(٢)] ، ويقول: «أنوار النبوة من نوره برزت ، وأنوارهم من نوره ظهرت ، وليس في الأنوار نور أنور وأظهر وأقدم من القدم سوى نور صاحب الكرم ، همته سبقت الهمم ، وجوده سبق العدم واسمه سبق القلم لأنه كان قبل الأمم» [(٣)] .

ويلاحظ اعتقاده بقدم النور الذي خلق منه محمد ﷺ .

يقول الدباغ [(٤)]: «اعلم أن أنوار المكونات كلها من عرش وفرش وسموات وأرضين وجنات وحجب ، وما فوقها وما تحتها ، إذا جمعت كلها ، وجدت بعضاً من نور محمد ، وأن مجموع نوره لو وضع على العرش لذاب ، ولو وضع على الحجب السبعين التي فوق العرش لتهافتت ، ولو جمعت المخلوقات كلها ووضع ذلك النور العظيم عليها لتهافتت وتساقطت»أ. هـ [(٥)] .

وتأمل هذا الدعاء وما فيه من الغلو بذات النبي ﷺ : «اللهم إني أتقرب إليك باسمك القدس الأعلى (هو) المضيء المشرق المتلألئ بأنوارك من باب: (هو الله الذي لا إله إلا هو) . وأتقرب إلى أسمائك الحسنى التي هي (هي) ، تبلغ كل منتهى ، باسمك

---

(١) محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع ، تأليف: عبدالرؤوف محمد عثمان ، ١٦٨-١٦٩ .

(٢) الفتوحات المكية ، لابن عربي (١/ ١١٨) ، وانظر: في معنى الحقيقة المحمدية كتاب الفكر الصوفي ، ص١٥١ ، تأليف: الشيخ عبدالرحمن بن عبدالخالق ، محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع ، تأليف: عبدالرؤوف محمد عثمان ، ص ١٧٧ وما بعدها .

(٣) الكشف عن حقيقة الصوفية ، ص ٢٦٣ .

(٤) عبدالعزيز بن مسعود المعروف بالدباغ ، توفي عام ١١٣٢هـ ، صوفي من المغرب ، كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، ولأتباعه مبالغة في الثناء عليه ونسبة الخوارق إليه ، انظر: الأعلام (٤/ ٢٨) .

(٥) الابريز للدباغ (٢/ ٨٤) ، نقلاً من هذه هي الصوفية ، تأليف: عبدالرحمن الوكيل ، ص ٨٧ .

الحميد المتلألىء المضيء المشرق بأنوارها ، من باب محمد ﷺ . وأتقرب إلى اسمك الحميد ، باسم محمد المتلألئ المضيء المشرق بأنواره ، من باب أحمد . وأتقرب إلى اسم محمد ، باسم أحمد المتلألئ المضيء المشرق بأنواره ، من باب أبي القاسم» (١) !!

ويرد على قول الغلاة بأن الرسول ﷺ مخلوق من نور الله تعالى وأن الوجود كله مخلوق منه: بطلان حديث جابر سنداً ومتناً ، أما سنداً فما سبق من ذكر تخريجه وأقوال العلماء فيه ، وأما متناً فلمخالفته النصوص الصحيحة ومنها قوله ﷺ : (**أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة**) (٢) .

(إن أول ما خلق الله القلم قال له اكتب فقال يا رب وما أكتب؟ قال اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة) .

ثانياً: إن التفاضل بين الناس ليس بأصل خلقته ونوعية عنصره إذ ذلك فلسفة إبليس حينما قال: ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾(٣) ، إنما ميزان التفاضل في الإسلام هو الإيمان والتقوى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ (٤) ، وكذلك ثبت في النصوص الصحيحة إن الله خلق آدم من طين ، وأنه أبو البشرية وبالتالي محمد ﷺ مخلوق من طين مع أفضليته ومكانته (٥) .

ثالثاً: إن هذه من أمر العقيدة ، ولا دليل عليه من كتاب ولا سنة فاعتقاده أمر مخالف ومعصية ينبغي التوبة منها ، وهو أمر يؤدي إلى تشويه الإسلام في نظر أعدائه ، إن في هذا القول مشابهة لقول النصارى بأن المسيح ابن مريم – عليه السلام – فيه طبيعتان

---

(١) التوحيد الأعظم ، لأحمد بن علوان ، ص ١٦٧-١٦٨ ، تحقيق: عبدالعزيزسلطان طاهر المنصوب .

(٢) رواه أبو داود ، رقم: ٤٧٠٠ ، وصححه الألباني ، انظر: صحيح سنن أبي داود (٣/ ٨٩٠-٨٩١) .

(٣) سورة الأعراف ، الآية: ١٢ .

(٤) سورة الحجرات ، الآية: ١٣ .

(٥) انظر: الصواعق المرسلة على الشبه الداحضة الشامية ، للشيخ سليمان بن سحمان ، ص ١٥ وما بعدها ، وقفات حوار مع الشيخ محمد الشعراوي ، لنبيل حمدي ، ص ١٧٦-١٧٩ .

(لاهوتية ، وناسوتية) [١] .

وهذا القول يؤدي إلى ادعاء الألوهية للنبي ﷺ ، وقد توصل به الصوفية إلى الزعم بأن الإله حل في الأولياء ، كما حل في الأنبياء ، كما إن هذا القول منقول عن الفلسفة اليونانية والهندية والمصرية [٢] .

يقول الشيخ سليمان بن سحمان – رحمه الله – : «ومن المعلوم بالضرورة من دين الإسلام أن هذا – أي: ذلك الحديث الذي يقال: أن عبدالرزاق رواه عن جابر الأنصاري – من الكذب الذي لا يمتري فيه – أي : في كونه كذباً على رسول الله ﷺ – عاقل فضلاً عن العلماء الذين هم أعلم الخلق بالله وبكتابه وبرسوله وسنة نبيه . . .» أ . هـ [٣] .

ب– اتحاد الرسول بذات الله تعالى: يقول صاحب كتاب النفحات القدسية: «فشأن محمد في جميع تصرفاته هو شأن الله تعالى ، فليس لمحمد ﷺ من محمد شيء ولذلك كان نوراً ذاتياً من عين ذات الله» [٤] .

ويقول جلال الدين الرومي – شاعر الصوفية – : «عندما كان النبي ﷺ مستغرقاً وتكلم ، كان يقول: قال الله من جهة الصورة كان لسانه هو الذي تكلم ؛ لكنه لم يكن موجوداً ، والمتكلم على الحقيقة كان الحق ، وعندما كان قد رأى نفسه في البدء جاهلاً مثل هذا الكلام غير عارف به ولا علم له به ، ثم الآن يصدر عنه مثل هذا الكلام ، عرف أنه الآن ليس ذلك الشخص الأول ، هذا تصرف الحق ، وهكذا كان المصطفى ﷺ يخبر عن أناس وأنبياء مضوا قبل وجوده بعدة آلاف من السنين ، وماذا سيكون حتى آخر

---

(١) انظر: النور المحمدي ، ص ٥٨ ، محبة الرسول بين الاتباع والابتداع ، عبدالرؤوف عثمان ، ١٧٠-١٧١ .

(٢) انظر: محبة الرسول ﷺ ، المصدر السابق ، ص ١٨٢ .

(٣) الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية ، لسليمان بن سحمان ، ص ١٥ ، وانظر: الرد المفصل عليهم في كتاب: «القول الفصل في حكم الاحتفال بمولد خير الرسل» للشيخ إسماعيل الأنصاري (٢/ ٧٠٣ وما بعدها) ، مطبوع ضمن رسائل حكم الاحتفال بالمولد .

(٤) النفحات القدسية في شرح الصلوات الأحمدية ، لمحمد بهاء الدين البيطار ، ص ٩ .

الدنيا، وعن العرش والكرسي وعن الخلاء والملاء، كان وجوده قديماً، إذ إن من المقطوع به أن الحادث لا يتحدث عن مثل هذه الأشياء، كيف يخبر الحادث عن القديم؟ وهكذا غدا معلوماً أنه ليس هو الذي كان يقول؛ بل الحق هو الذي يقول...»(١) !!

جـ- أنه يمحو الذنوب ويعلم ما في اللوح المحفوظ وله التصرف في أمور الآخرة من دخول الجنة والنجاة من أهوال يوم القيامة:

يقول البوصيري في بردته:

فإن من جودك الدنيا وضرتها ... ومن علومك علم اللوح والقلم(٢)

ويقول آخر:

سيدي أبا البقول أغثني ... أنت أدرى بما حواه الضمير(٣)

ونقل صاحب كتاب جواهر المعاني عن التيجاني(٤) قوله: «أسأل من فضل سيدنا رسول الله ﷺ أن يضمن لي دخول الجنة بلا حساب ولا عقاب في أول الزمرة الأولى أنا وكل أب وأم ولدوني... إلخ»(٥).

ثم يعقب بقوله بعد دعاء طويل تمجه القلوب والأسماع: «... فأجاب ﷺ

---

(١) كتاب فيه ما فيه، لجلال الدين الرومي، ص٧٨، ترجمه عيسى على العاكوب.

(٢) ديوان البوصيري، تحقيق: محمد سيد العلاني، ص ٢٠٠.

(٣) شواهد الحق، للنبهاني، ص ٣٦٣.

(٤) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد بن محمد التيجاني، ولد عام ١١٥٠ في قرية عين ماضي من قبيلة تجاني أو تجانا... نشأ أبو العباس بهذه القرية وحفظ بها القرآن ورحل في طلب العلم إلى بلاد عدة وتأثر في أسفاره بمن التقى به من مشايخ الطرق الصوفية... ثم زعم أنه التقى الرسول ﷺ يقظة لا مناماً ولقنه الورد الذي يلقنه المريدون، وزعم أن نسبه يرجع إلى النبي ﷺ وأن رسول الله ﷺ بشره بالجنة... انظر: جواهر المعاني، لعلي حرازم، الباب الأول (١/ ٢٢ وما بعدها)، وبها مشه رماح حزب الرحيم، وانظر: بحث مختصر في طائفة التيجانية، للجنة الدائمة للإفتاء، ص ٥.

(٥) جواهر المعاني، لعلي الفاسي (١/ ١٠٩).

بقوله الشريف كل ما في هذا الكتاب ضمنته لك ضمانة لا تتخلف عنك، وعنهم أبداً إلى أن تكون أنت وجميع من ذكرت في جواري في أعلى عليين، وضمنت لك جميع ما طلبته منا ضمانة لا يخلف عليك الوعد فيها والسلام . . .وكل هذا وقع يقظة لا مناماً . .»أ.هـ[(١)] .

د- **تفويض الأمور إليه ﷺ والقدرة على خلق الدنيا:** وقد نقل الأشعري - رحمه الله - في المقالات عن الشيعة بعد أن عدد أصنافهم فقال: «والصنف الخامس من أصناف الغالية يزعمون أن الله عز وجل وكل الأمور وفوّضها إلى محمد ﷺ ، وأنه أقدره على خلق الدنيا فخلقها ودبرها وأن الله سبحانه لم يخلق من ذلك شيئاً . . .» أ. هـ[(٢)] .

ويقول الخميني الهالك: «وعلينا ألا ننسى بأن النذر للنبي أو الإمام يكون صحيحاً ومشروعاً عندما يكون النذر للإله ويوضع موضع التنفيذ وآنذاك فإن النبي والإمام هما اللذان يعطيان ثوابه، وإلا فإنه يعتبر باطلاً، بل وقد يكون حراماً»أ. هـ[(٣)] .

ولا شك أن أقوالهم هذه تأباها العقول السليمة وتنفر منها الطباع السليمة[(٤)] ،

---

(١) المرجع السابق (١/ ١١٠-١١١).

(٢) مقالات الإسلاميين، لأبي الحسن الأشعري، ص ١٦ .

(٣) كشف الأسرار، للخميني، ص ١٤١، تقديم د. محمد أحمد الخطيب.

(٤) يقول صاحب كتاب خصائص المصطفى بين الغلو والجفاء، ص ٢٠١: «وهنا قد يتساءل أصحاب الفطر السلمية ألا يكفي في الرد على هؤلاء الغلاة بشأن مقالاتهم المزعومة في جعل خصائص للنبي ﷺ هي من جنس خصائص الربوبية والإلهية أن تعرض مجرد عرض، فإن مجرد العرض يكفي لمجها والنفرة منها؟! أقول هذا التساؤل وجيه؛ ولكن إذا عرف السبب فعسى أن يزول العجب، وهو أن أولياء الغلاة أحكموا القبضة على مريديهم وأتباعهم بتأليف أوراد مبتدعة صرفوهم بها عن كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ، وأخذوا عليهم العهود والمواثيق في الاشتغال بها صباح مساء وأن من نسيها فعليه القضاء وأن من تركها بالكلية فسيقع عله الهلاك والدمار، وفي هذا يقول طاهر ميغري البرناوي وكان خليفة من خلفاء الطريقة التجانية - قد رجع عنها - لما رسم الشيخ التيجاني لأتباعه دائرته التي قرر أنها كانت مكنوزة وراء جميع دوائر دين الإسلام بقصد محوه وإزالة جميع آثاره . . . أدرك أنه إذا تركهم يقرؤون القرآن فإنهم لا محالة ينسون أنهم كانوا في تلك الدائرة . . . ولذلك فكر في طريقة سهلة يصرفهم بها عن قراءة القرآن وهم لا يعلمون، ومن ثم ذهب يزين لهم صلاة =

فلا شك أننا نؤمن بجميع الأنبياء والإيمان بهم واجب وكذلك محبتهم وإجلالهم ونؤمن بأنهم أفضل البشر وأعلاهم وأقربهم على الله تعالى . . .ومع ذلك نؤمن بأنهم بشر لا يعبدون من دون الله ، ولا نرفعهم إلى مرتبة الألوهية والآيات الدالة على ذلك كثيرة ومنها: قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[١] ، وقوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾[٢] .

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾[٣] ، وقوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾[٤] .

وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾[٥] ، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ ﴾[٦] ، وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴾[٧] .

= الفاتح التي زعم أن الملك هو الذي نزل بها في صحيفة من نور ، وأنها أفضل من القرآن ستمائة مرة أو ستة آلاف مرة . . .»أ.هـ ، التحفة السنية في توضيح الطريقة التيجانية ، لطاهر ميغري البرناوي ، ص ١٢٧ .

(١) سورة النحل ، الآية: ٣٦ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية: ١٨٨ .

(٣) سورة الأحقاف ، الآية: ٩ .

(٤) سورة الأنعام ، الآية: ٥٠ .

(٥) سورة الأنبياء ، الآية: ٢٥ .

(٦) سورة الجن ، الآيات: ٢٠-٢٢ .

(٧) سورة الحاقة ، الآيات: ٤٤-٤٧ .

وهم بشر يموتون كما يموت غيرهم، قال تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾[١].

ويقول تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ ﴾[٢].

وقد حرص المصطفى ﷺ على تربية أصحابه وأمته على العموم على عدم الغلو فيه ورفعه إلى منزلة الربوبية والألوهية، وجاء رجل فقال: أنت سيد قريش، فقال النبي ﷺ (السيد الله)، **فقال: أنت أفضلها فيها قولاً وأعظمها فيها طولاً**، فقال رسول الله ﷺ: **(ليقل أحدكم بقوله ولا يستجرنه الشيطان أو الشياطين)** [٣]، وقال ﷺ: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله).

ولم يأت نبي من الأنبياء إلا وبين لأمته وحذرهم من الشرك والبدع وبلغ الدين أتم البلاغ، قال ﷺ: **(ما بعث الله من نبي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم)** [٤].

فأما تأليه الأنبياء وجعلهم أبناء الله أو آلهة مع الله – تعالى عما يقول الظالمون – فيقول تعالى في بيان إبطال هذه العقيدة: ﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَـٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَـٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٣٤.

(٣) رواه أحمد (٤/ ٢٥)، والنسائي في السنن الكبري، رقم: ١٠٠٧٤، (٦/ ٧٠)، وأبو داود، رقم: ٤٨٠٦)، (٢/ ٦٦٩)، والبخاري في كتاب: «الأدب المفرد»، رقم: ٢١١، ص ٨٣، وصححه العراقي في تخريج أحاديث الإحياء، رقم: ٢٥٥٩، (٤/ ١٦٤١).

(٤) جزء من حديث طويل رواه مسلم، في كتاب: «الإمارة»، رقم: ١٨٤٤، (٣/ ١٤٧٢-١٤٧٣).

بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ ﴾[1] .

فنفى تعالى أن يكون عيسى ابن الله ، كما زعمت النصارى ونهاهم عن الغلو فيه ، وإنما هو رسول الله وكلمته «يعني بالكلمة الرسالة التي أمر الله ملائكته أن تأتي مريم بها ، بشارة من الله . . . عن قتادة . . . قال: هو قوله كن فكان» أ . هـ[2] .

﴿ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ معناها: حياة منه بمعنى إيحاء الله إياه بتكوينه ، وقيل: رحمة على المؤمنين ممن صدقه واتبعه ، وقيل: المراد جبريل – عليه السلام – فيصير المعنى: كلمته ألقاها إلى مريم وإلى روح منه وهو جبريل – عليه السلام – .

وقيل: المراد نفخ جبريل بأمر الله وسمي روحاً لأنه ريح تخرج من الروح ، وقيل: إن الإضافة هنا للتشريف والتكريم ، وقيل: سمى روحاً لإحيائه الموتى وإحيائه القلوب ، وقيل: لطهارته ونقائه ، حيث إنه متكون من النفخ لا من النطفة[3] .

قال تعالى ناهياً إياهم من القول عليه بغير علم ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَـٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ﴾ ، يقول الرازي عند تفسير هذه الآية: «واعلم أن مذهب النصارى مجهول جداً ، والذي يتحصل منه أنهم أثبتوا ذاتاً موصوفة بصفات ثلاثة ، إلا أنهم وإن سموها صفات فهي في الحقيقة ذوات ، بدليل أنهم يجوزون عليها الحلول في عيسى ومريم بأنفسها ، وذلك محض الكفر»أ . هـ[4] .

وأبطل تعالى هذه العقيدة من عدة جوانب منها:

- إثبات وحدانيته تعالى وتنزه عن الولد والصاحبة ، ملكه لجميع المخلوقات بما فيها

---

(١) سورة النساء ، الآية: ١٧١ .

(٢) تفسير الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي (٦/ ٢٥) ، تفسير الخازن (١/ ٦٢٦-٦٢٨) ، الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي (٦/ ٢٠-٢٥) ، ابن كثير (١/ ٥٨٩-٥٩١) ، فتح القدير للشوكاني (١/ ٥٣٩) .

(٣) انظر: جامع البيان ، لابن جرير (٦/ ٢٤-٢٥) ، تفسير ابن كثير (١/ ٥٨٩-٥٩١) ، محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ٦٧٤-٦٨٦) ، الجوهر في تفسير القرآن ، طنطاوي جوهري (٣/ ١١٧) .

(٤) تفسير الرازي (١١/ ١١٤) .

السموات والأرض وما حوت من المخلوقات التي من ضمنها عيسى عليه السلام.

- قدرته تعالى على الملك والتدبير ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلاً ﴾، فليس له حاجة إلى أحد من خلقه لتدبير الأمور معه، أن عيسى - عليه السلام - لا يأنف عن أن يكون عبداً لله بل هذا شرف وكمال له، وهو محتاج إلى خالقه ورازقه والعبيد كلهم عبيده وإماؤه [1].

قال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾ ﴾[2].

ومن الآيات التي تبطل هذه العقيدة في عيسى - عليه السلام - قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾[3].

«يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ قل لهؤلاء الجهلة من النصارى لو كان المسيح كما يزعمون أنه هو الله، وليس كذلك لقدر أن يرد أمر الله إذا جاءه بإهلاكه وإهلاك أمه، وقد أهلك أمه، فلم يقدر على دفع أمره منها إذ نزل ذلك ففي ذلك لكم معتبر إن اعتبرتم وحجة عليكم إن عقلتم في أن المسيح بشر كسائر بني آدم» [4].

ولهذا نهى رسول الله ﷺ أمته أن تغلو فيه كما غلا النصارى في عيسى ابن مريم.

فعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم؛ إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله)، وحذر من الغلو في الحديث فقال: (إياكم

---

(١) أنوار التنزيل، للبيضاوي (٢/ ١٣٠-١٣١، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٦/ ٢٠-٢٥)، ابن كثير (١/ ٥٨٩-٥٩١)، محاسن التأويل، للقاسمي(٥/ ٦٧٤-٦٨٦).

(٢) سورة الإسراء، الآية: ١١١.

(٣) سورة المائدة، الآية: ١٧.

(٤) جامع البيان، لابن جرير (٦/ ١٠٤)، ط. دار المعرفة، ط. عام ١٩٧٨م.

والغلو ، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو) .

وقد بين ﷺ أن هؤلاء المشركين سيقفون يوم القيامة موقف الخزي والندامة ، وسيعلمون أن غلوهم وعبادتهم هذه هي الخسران والهلاك ، فعن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - قال رسول الله ﷺ : (يجمع الله الناس يوم القيامة ، قال: فينادي منادٍ أيها الناس ألم ترضوا من ربكم الذي خلقكم ورزقكم وصوركم أن يولي كل إنسان منكم إلى من كان يتولى في الدنيا ، قال: ويمثل لمن كان يعبد عزيراً شيطان عزير حتى يمثل لهم الشجرة والعود والحجر ويبقى أهل الإسلام جثوماً فيقال لهم: ما لكم لا تنطلقون كما ينطلق الناس؟ فيقولون:

إن لنا رباً ما رأيناه بعد . قال فيقال: فبم تعرفون ربكم إن رأيتموه؟ قال: بيننا وبينه علامة إن رأيناه عرفناه ، قيل: وما هي؟ قالوا: يكشف عن ساق ، قال: فيكشف عند ذلك عن ساق ، قال: فيخر من كان لظهره طبقاً ساجداً ، ويبقى قوم ظهورهم كصياصي البقر يريدون السجود ، فلا يستطيعون ، ثم يؤمرون فيرفعون رؤوسهم فيعطون نورهم على قدر أعمالهم ، قال:

فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل بين يديه ، ومنهم من يعطي نوره فوق ذلك ، ومنهم من يعطى نوره مثل النخلة بيمينه ، ومنهم من يعطى دون ذلك بيمينه حتى يكون آخر ذلك من يعطى نوره على إبهام قدمه يضيء مرة ويطفئ مرة . . .)(١) .

وسيتبرأ هؤلاء الأنبياء الصادقون عن هذه العبادة ويصدعون بإنكارها وردها ، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٢/٤٠٨) ، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ ﴾[١] .

وبين تعالى صدق منهجهم في الدعوة، فقال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾[٢] .

وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ ﴾[٣] .

٢- سؤالهم الشفاعة، ودعاؤهم والتضرع إليه وإظهار الفاقة لهم:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به … سواك عند حلول الحادث العمم

وقوله:

ولن يضيق رسول الله جاهك بي … إذا الكريم تحلى باسم منتقم
فإن لي ذمة منه بتسميتي … محمداً وهو أوفى الخلق بالذمم
إن لم يكن في معادي آخذاً بيدي … فضلاً وإلا فقل يا زلة القدم[٤]

ويقول:

هو الحبيب الذي ترجى شفاعته … لكل هول من الأهوال مقتحم[٥]

٣- الغلو في قبور الأنبياء: ومن ذلك ما أخبرنا به نبينا ﷺ في أحاديث كثيرة منها:

---

(١) سورة المائدة، الآيتان: ١١٦-١١٧ .
(٢) سورة آل عمران، الآيتان: ٧٩-٨٠ .
(٣) سورة الإسراء، الآيتان: ٥٦-٥٧ .
(٤) ديوان البوصيري، ص ١٩٩ .
(٥) شواهد الحق، للنبهاني، ص ٣٨٠، (والقائل فتح الله بن النحاس)، ط . الحلبي مصر .

حديث عائشة قالت: لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها، فقال: - وهو كذلك - (لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، يحذر ما صنعوا) [١] .

يقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ - رحمه الله - تعليقاً على هذا الحديث: «ومن غربة الإسلام أن هذا الذي لعن رسول الله ﷺ فاعليه تحذيراً لأمته أن يفعلوه معه ﷺ، ومع الصالحين من أمته، قد فعله الخلق الكثير من متأخري هذه الأمة[٢]، واعتقدوه قربة من القربات، وهو من أعظم السيئات والمنكرات، وما شعروا أن ذلك محادةٌ لله ورسوله» أ. هـ [٣] .

ويقول ﷺ: **(ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك)** [٤]، وفي الحديث يقول ﷺ: **(اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد؛ اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)** [٥] .

وعن علي بن الحسين أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ، فيدخل فيها فيدعو فنهاه، وقال: ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول

---

(١) رواه البخاري، رقم: ٤٢٥، (١/ ١٦٨)، ورواه مسلم، رقم: ٥٣١ (١/ ٣٧٧) واللفظ للبخاري.

(٢) أول من أحدث عبادة القبور هم الرافضة قبحهم الله، وبسببهم حدث الشرك في عبادة القبور في هذه الأمة، انظر: كتاب التوحيد، للإمام محمد بن عبدالوهاب وشرحه فتح المجيد، ص٢٧٥.

(٣) فتح المجيد، للشيخ عبدالرحمن بن حسن، ص ٢٤٦.

(٤) رواه مسلم في كتاب: «المساجد»، باب: (النهي عن بناء المساجد)، رقم: ٣٧٧.

(٥) رواه مالك في الموطأ، ص ١١٩، مرسلاً عن عطاء بن يسار، رقم: الحديث: ٤١٤، إعداد: أحمد راتب عرموش، ورواه مرفوعاً الإمام أحمد في المسند عن أبي هريرة - ﷺ - ص ٢٤٦.
قال الزرقاني - رحمه الله -: «محفوظ من طرق كثيرة صحاح وعمر بن محمد بن عبدالله بن عمر بن الخطاب [الراوي عن زيد عن عطاء] من ثقات أشراف أهل المدينة، وروى عنه مالك والثوري وسليمان بن بلال، فالحديث صحيح عند من يحتج بمراسيل الثقات... وله شاهد عند العقيلي من طريق سفيان عن حمزة بن المغيرة عن سهل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة...»، شرح الزرقاني على موطأ مالك (١/ ٣٥١).

الله ﷺ قال: (لا تتخذوا قبري عيداً ولا بيوتكم قبوراً، وصلُّوا عليَّ فإن تسليمكم يبلغني أين كنتم)(١) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – معلقاً على هذا الحديث: « . . . فبين أن الصلاة تصل إليه من بعُد ، وكذلك السلام ، ولعن من اتخذ قبور الأنبياء مساجد ، وكانت الحجرة في زمانهم يدخل إليها من الباب . . . وهم مع ذلك التمكن من الوصول إلى قبره لا يدخلون إليه ، لا لسلام ولا لصلاة عليه ولا لدعاء لأنفسهم ، ولا لسؤال عن حديث أو علم ، ولا كان الشيطان يطمع فيهم . . . كما طمع في غيرهم ، فأضلهم عند قبره وقبر غيره ، حتى ظنوا أن صاحب القبر يحدثهم ويفتيهم ويأمرهم وينهاهم في الظاهر ، وأنه يخرج من القبر ويرونه خارجاً من القبر ، ويظنون أن نفس أبدان الموتى خرجت من القبر تكلمهم ، وأن روح الميت تجسدت لهم فرأوها ، كما رآهم النبي ﷺ ليلة المعراج يقظة لا مناماً» أ. هـ(٢) .

ومن صور اتخاذ القبور مساجد: أن تبنى عليها المساجد ، أن تقصد للصلاة عندها ، وإن لم يكن هناك مسجد فمجرد قصد الصلاة عندها يعد من اتخاذها مساجد(٣).

قال الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين – رحمه الله – : «ولا ريب أن أصل تحريم بناء القبور على المساجد ، لأن المساجد مكان الصلاة ، والناس سيأتون إليها للصلاة

---

(١) رواه البخاري في التاريخ الكبير (٢/ ١٨٦٩ ، وأبو يعلى كما في مجمع الزوائد(٤/ ٣) ، وقال الهيثمي: «وفيه جعفر بن إبراهيم الجعفري ذكره أبو حاتم ، ولم يذكر فيه جرحاً وبقية رجاله ثقات»أ. هـ ، وله شاهد من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: **(لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم)** رواه أحمد (٢/ ٣٦٧) ، وأبو داود في كتاب: «المناسك» ، باب: (زيارة القبور) ، رقم: (٢/ ٥٣٤) ، وصححه النووي في الأذكار ، ص ٩٣ .

(٢) مجموع الفتاوى ، لابن تيمية (٢٧/ ٣٨٧-٣٨٨) .

(٣) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد ، للشيخ محمد بن صالح العثيمين (١/ ٤٠٩) .

فيها، فإذا صلى الناس في مسجد بني على قبر فكأنهم صلوا عند القبر، والمحذور الذي يوجد في بناء المساجد يوجد فيما إذا اتخذ هذا المكان للصلاة، وإن لم يبن مسجد»أ.هـ(١).

قال ابن عبدالهادي تعليقاً على حديث لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد: «هذا من أقوى أسباب ضلال أهل الكتاب ولهذا لعنهم النبي ﷺ على ذلك تحذيراً لأمته، وبين أن هؤلاء شرار الخلق عند الله يوم القيامة ولما كان أصحابه أعلم الناس بدينه وأطوعهم له لم يظهر فيهم من البدع ما ظهر فيمن بعدهم... لم يعرف عن أحد من الصحابة شيء من ذلك بل النقول الثابتة عنهم تدل على موافقتهم للكتاب والسنة وكذلك اجتماع رجال الغيب بهم، أو الخضر أو غيره وكذلك مجيء الأنبياء إليهم في اليقظة وحمل من يحمل منهم إلى عرفات ونحو ذلك مما وقع فيه كثير من العباد وظنوا أنه كرامة من الله، وكان من إضلال الشياطين لهم... وكذلك الشرك بأهل القبور لم يطمع الشيطان أن يوقعهم فيه فلم يكن على عهدهم في الإسلام قبر نبي يسافر إليه، ولا يقصد للدعاء عنده أو لطلب بركته أو شفاعته أو غير ذلك»أ. هـ(٢).

ولهذا تخرج أصحابه من هذه المدرسة النبوية فساروا على خطى نبيهم - عليه الصلاة والسلام - فلم يقيموا أعياداً وموالد، ولا أضرحة ولا مشاهد.

ولما مات قام أبو بكر الصديق - ﷺ -، فقال كما في البخاري عن ابن عباس - ﷺ -: (أما بعد: فمن كان منكم يعبد محمداً ﷺ فإن محمداً ﷺ قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت...)(٣).

وفي حادثة الإفك تقول عائشة لما قال لها رسول الله ﷺ: (يا عائشة أما الله عز وجل فقد برأك) تقول: فقالت لي أمي: قومي إليه قالت: فقلت لا والله لا أقوم إليه ولا

---

(١) المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة.
(٢) الصارم المنكي في الرد على السبكي، لابن عبدالهادي، ص ١٧٨.
(٣) رواه البخاري، رقم: ١١٨٥، (١/ ٤١٩).

أحمد إلا الله . .[١] .

وقد سبق حديث علي بن الحسين وإنكاره على الرجل الذي يجيء إلى فرجة ، كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو فنهاه ، قال ابن القيم – رحمه الله – معلقاً على الحديث: «وهذا من أفضل التابعين من أهل بيته ، نهى ذلك الرجل أن يتحرَّى الدعاء عند قبره ﷺ واستدل بالحديث وهو الذي رواه وسمعه من أبيه الحسين عن جده علي – رضي الله عنه – وهو أعلم بمعناه من هؤلاء الضلال ، قال شيخنا [يقصد ابن تيمية] فانظر هذه السنة ، كيف مخرجها من أهل المدينة وأهل البيت[*] ، الذين لهم من رسول الله ﷺ قرب النسب ، وقرب الدار؟ لأنهم إلى ذلك أحوج من غيرهم فكانوا له أضبط»أ.هـ[٢] .

وثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما فعلوا ، قالت عائشة – رضي الله عنها – ولولا ذلك لأبرز قبره ولكن كره أن يتخذ مسجداً» .

قال ابن القيم – رحمه الله –: «فهذا حال من سجد لله في مسجد على قبره فكيف حال من سجد للقبر بنفسه وقد قال النبي : (اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد) . . .»أ.هـ[٣] .

وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد بسنده عن أنس بن مالك – رضي الله عنه –: (أن رجلاً قال: يا محمد يا سيدنا ، وابن سيدنا ، وخيرنا وابن خيرنا ، فقال رسول الله ﷺ عليكم بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان أنا محمد بن عبدالله ، عبد الله ورسوله ، والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل) .

ونهى عن الوقوف له فكيف لو رأى ما يفعل الآن عند قبره؟!! ونهى أصحابه أن

---

(١) رواه البخاري في كتاب: «الشهادات» ، رقم: ٢٥١٨ ، (٢/ ٩٤٢-٩٤٦) .

(*) بعض من يدعي النسب الشريف اليوم هم من أشد الناس تعظيماً للقبور وعبادة لها وهم الرافضة – أخزاهم الله!!

(٢) إغاثة اللهفان ، لابن القيم (١/ ١٥١) ، المكتبة الثقافية ، بيروت .

(٣) الجواب الكافي ، لابن القيم ، ص ٩٣ .

يصلوا خلفه قياماً، فقال: (إن كدتم آنفاً لتفعلون فعل فارس والروم، يقومون على ملوكهم وهم قعود فلا تفعلوا ائتموا بأئمتكم، إن صلى قائماً فصلوا قياماً وإن ﷺ قاعداً فصلوا قعوداً) (١) .

ومع شدة تحذير النبي ﷺ لأمته من الغلو في قبره ومشابهة اليهود والنصارى وقعوا في أشد من ذلك ومن الأمثلة:

أ- اعتقاد أن من زار قبره ﷺ وجبت له الشفاعة، بل جعل بعض الغلاة من زار قبره ﷺ بعد أداء الحج وغزا غزوة وصلى عليه في بيت المقدس مسقطاً لجميع الفرائض!!

ويستدلون بحديث (من حج حجة الإسلام وزار قبري وغزا غزوة وصلى في بيت المقدس لم يسأله الله عز وجل فيما افترض عليه) (٢) ، وحديث: (**من زارني بعد موتي فكأنما زارني وأنا حي، ومن زارني كنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة**) (٣) ، وفي لفظ آخر: (من زار قبري

---

(١) رواه مسلم في كتاب:«الصلاة»، باب: (ائتمام المأموم بالإمام)، رقم:٤١٣ (١/ ٣٠٩).

(٢) قال ابن عبدالهادي: «هذا الحديث رواه أبو الفتح الأزدي في الثاني من فوائده»أ. هـ.
ثم قال رحمه الله -: «هذا حديث موضوع على رسول الله ﷺ بلا شك ولا ريب عند أهل المعرفة بالحديث ولم يحدث به عبدالله بن مسعود قط ولا علقمة ولا إبراهيم ولا منصور ولا سفيان الثوري، وأدنى من يعد من طلبة هذا العلم يعلم أن هذا الحديث مختلق...»أ. هـ، الصارم المنكي، ص٢٢٢، وانظر: أوضح الإشارة في الرد على من أجاز الممنوع من الزيارة، تأليف: أحمد بن يحيى النجمي، ص ١٥٣-١٥٦، وخصائص المصطفى بين الغلو والجفا، للصادق بن محمد، ص ١٦٦-١٧٠.

(٣) قال ابن عبدالهادي في الحكم على الحديث: «هذا حديث منكر لا أصل له وإسناده مظلم بل هو حديث موضوع...»أ. هـ، الصارم المنكي، ص ١٤٢، وقال الشيخ أحمد بن يحيى النجمي - بعد أن ذكر أقوال العلماء في رجال السند-: «وبهذا يتبين أن الحديث محطم السند منكر المتن مكذوب على النبي ﷺ، وهل يعقل أن يقول من أوتي جوامع الكلم هذا الكلام الركيل المتهافت وهو أفصح العرب لساناً وأبلغهم قولاً؟ وبيان ذلك من وجهين:
الأول: أن الزيارة بعد الموت ليست زيارة للشخص ولكنها زيارة لقبر الشخص، ولم يعرف في اللغة تسمية الزيارة للمقبرة زيارة للشخص، فلا يقال لمن زار قبراً فلان زار فلاناً، وهذا إنما هو من انتحال الصوفية والشيعة وأمثالهم ممن يريدون إعادة الوثنية إلى الإسلام، **والثاني**: أن التسوية بين زيارة قبره ميتاً وزيارته حياً شيء لا يعقل أبداً، ومن الأمور البدهية التي لا ينازع فيها عاقل... =

وجبت له شفاعتي) [(١)] .

ومن المعلوم عند المسلمين قاطبة أنه ﷺ سيد الشفعاء، وأنه صاحب الشفاعة العظمى في فصل القضاء حيث يذهب الخلق إلى أولي العزم من الرسل، فكل واحد يحيلهم إلى الآخر يصلوا إلى نبينا محمد ﷺ فيقول أنا لها ثم يذهب فيخر تحت العرش ساجداً . . . فيقال له: (يا محمد ارفع رأسك قل يسمع سل تعطه واشفع تشفع . . .) كما في الحديث الطويل السابق.

وله الشفاعة في أهل الكبائر وله الشفاعة في دخول أهل الجنة الجنة . . . وغيرها من أنواع الشفاعات التي نص عليها العلماء بعد أذن الله له بالشفاعة [(٢)] .

ومن أنكر شفاعته ﷺ فهو مبتدع ضال [(٣)] ، لكنها لا تكون إلا بإذن الله تعالى ورضاه، وكذلك من ادعى أن هناك مخلوقاً يشفع لأحد من الخلق بدون رضا الله تعالى

= لما يترتب على زيارته في حياته من رؤيته ومشاهدة ما يتحقق على يديه من المعجزات والآيات ونزول الوحي . . . ونيل رتبة الصحبة التي من نالها فقد نال الخير كله، أما زيارة قبره ميتاً فلا يترتب عليها شيء مما ذكر . . .»أ. هـ، أوضح الإشارة في الرد على من أجاز الممنوع من الزيارة، ص ١٨٥ .

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان، وقال البيهقي: «وسواء قال عبيدالله أو عبدالله فهو منكر عن نافع عن ابن عمر لم يأت به غيره» يعني الراوي موسى بن هلال العبدي، وقال النووي في المجموع (٧/ ٢٠٣): «وأما حديث ابن عمر فرواه البزار والدارقطني والبيهقي بإسنادين ضعيفين»أ. هـ. وقال ابن عبدالهادي: «هو حديث منكر عند أئمة هذا الشأن ضعيف الإسناد عندهم لا يقوم بمثله حجة ولا يعتمد على مثله عند الاحتجاج»أ. هـ، وقال أيضاً: «ولو كان هذا اللفظ معروفاً عنده [يعني الإمام مالك] أو مشروعاً أو مأثوراً عن النبي ﷺ لم يكرهه ولو كان هذا الحديث المذكور من أحاديث نافع التي رواها عن ابن عمر لم يخف على مالك الذي هو أعرف الناس بحديث نافع ولرواه عن مالك بعض أصحابه الثقات فلما لم يروه عنه ثقة يحتج به ويعتمد عليه علم أنه ليس من حديثه، وأنه لا أصل له بل هو مما أدخل على بعض الضعفاء المغفلين في طريقه فرواه وحدث به وقد قال الحافظ أبو جعفر محمد بن عمرو العقيلي في كتاب الضعفاء موسى بن هلال البصري سكن الكوفة عن عبيد الله بن عمر لا يصح حديثه ولا يتابع عليه»أ. هـ، الصارم المنكي، ص ٣٢-٣٣ .

(٢) انظر: شرح الطحاوية، لأبي العز الحنفي، ص ٢٢٣ وما بعدها.

(٣) أنكر المعتزلة والخوارج شفاعته ﷺ لأهل الكبائر، انظر: الطحاوية، ص ٢٣١ .

وإذنه فهو مخالف لإجماع المسلمين [١]، قال تعالى: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾[٤].

ويقول الحافظ محمد بن عبدالهادي: «اعتقاد أنه يعلم الغيب – أي الرسول ﷺ – وأنه يعطي ويمنع ويملك لمن استغاث به من دون الله الضر والنفع، وأنه يقضي حوائج السائلين، ويفرج كربات المكروبين، وأنه يشفع فيمن يشاء ويدخل الجنة من يشاء، فدعوى المبالغة في هذا التعظيم مبالغة في الشرك، وانسلاخ من جملة الدين»أ. هـ [٥].

ب- الاستغاثة به عند الشدائد والكربات: يقول أحد المعاصرين من الصوفية: «فالواسطة ليست شركاً وليس كل من اتخذ بينه وبين الله واسطة يعتبر مشركاً وإلا لكان البشر كلهم مشركين لأن أمورهم جميعاً تبنى على الواسطة، فالنبي ﷺ تلقى القرآن بواسطة جبريل، فجبريل واسطة النبي ﷺ وهو ﷺ الواسطة العظمى للصحابة – رضي الله عنهم – فقد كانوا يفزعون إليه في الشدائد...» ا.هـ[٦].

ويقول أحد الغلاة:

يا ملاذي يا منجدي يا هنائي ... يا معاذي يا مقصدي يا رجائي
يا نصيري يا عمدتي يا مجيري ... يا خفير يا عدتي يا شفائي

---

(١) انظر: الصارم المنكي، لابن عبدالهادي، ص ٥١-٥٢.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.
(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٢٨.
(٤) سورة النجم، الآية: ٢٦.
(٥) الصارم المنكي، ص ٢٥.
(٦) مفاهيم يجب أن تصحح، لمحمد علوي المالكي، ص ٢٦، وانظر الرد عليه في كتاب هذه مفاهيمنا للشيخ د.صالح بن عبدالعزيز بن محمد آل الشيخ، ص٨٣ وما بعدها.

أنت عوني وملجئي وغياثي وجلا كربتي وأنت غنائي [(١)]

وقد كادهم إبليس بهذه المكيدة بواسطة خطواته الإبليسية فبدأ معهم بأن ذلك مجرد توسل بحق الأنبياء فقط دون عبادتهم، ثم صار لكل عبد مؤمن.

ثم تدرج بهم الشيطان إلى القول: إن معنى ذلك هو الاستغاثة بهم وطلب الحاجات وتفريج الكربات، فأصبح النبي يدعى ويستغاث به من دون الله تعالى حتى في وقت الشدة بل وأوصلوه إلى مرتبة الربوبية، وأصبح حالهم أشد شركاً من مشركي قريش[(٢)] حتى قال قائلهم:

يا رسول الإله إني ضعيف فاشفعني أنت مقصد للشفاء

يا رسول الإله إن لم تغثني فإلى من ترى يكون التجائي [(٣)]!!

قال شيخ الإسلام – رحمه الله – : «فإذا كان على عهد سول الله ﷺ وخلفائه الراشدين، قد انتسب إلى الإسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة؛ حتى أمر النبي ﷺ بقتالهم، فيعلم أن المنتسب إلى الإسلام أو السنة في هذه الأزمان قد يمرق من الإسلام والسنة، حتى يدعى السنة من ليس من أهلها بل قد يمرق منها بأسباب:

منها: الغلو الذي ذمه الله تعالى في كتابه حيث قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُ ﴾[(٤)] ...»أ. هـ[(٥)].

«فكل من غلا في نبي أو رجل صالح، وجعل فيه نوعاً من الإلهية، مثل أن يقول: يا سيدي فلان انصرني، أو أغثني أو ارزقني، أو أنا في حسبك، ونحو هذه الأقوال، فكل

---

(١) شواهد الحق، للنبهاني، ص ٣٥٥، والقائل هو محمد الجمالي الحلبي.

(٢) انظر: خصائص المصطفى بين الغلو والجفاء، للصادق بن محمد بن إبراهيم، ص ١٣٨-١٤٠.

(٣) شواهد الحق، ليوسف النبهاني، ص ٣٥٢، ط. الحلبي، مصر.

(٤) سورة النساء، الآية: ٧١.

(٥) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٨٣).

هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه، فإن تاب وإلا قتل، فإن الله سبحانه وتعالى إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب، ليعبد وحده لا شريك له، ولا يدعى معه إله آخر، والذين يدعون مع الله آلهة أخرى، مثل المسيح والملائكة والأصنام، لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق الخلائق، أو تنزل المطر، أو تنبت النبات، وإنما كانوا يعبدونهم أو يعبدون قبورهم، أو يعبدون صورهم، يقولون: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾[(١)] . . .»[(٢)] .

قال شيخ الإسلام – رحمه الله – : «وإذا تكلمنا فيما يستحقه الله تبارك وتعالى من التوحيد، بيَّنا أن الأنبياء – عليهم السلام – وغيرهم من المخلوقين لا يستحقون ما يستحقه الله تبارك وتعالى من الخصائص، فلا يشرك بهم، ولا يتوكل عليهم، ولا يستغاث بهم كما يستغاث بالله، ولا يُقسم على الله بهم، ولا يتوسل بذواتهم، وإنما يتوسل بالإيمان بهم، وبمحبتهم، وطاعتهم، وموالاتهم، وتعزيزهم، وتوقيرهم، ومعاداة من عاداهم وطاعتهم فيما أمروا، وتصديقهم فيما أخبروا وتحليل ما حللوه، وتحريم ما حرموه . . .»أ. هـ[(٣)] .

جـ – اعتقادهم بأن يده الشريفة تخرج من القبر لتصافح من يسمى بالأولياء والأقطاب:
ويحكون في ذلك قصصاً وأكاذيب مزعومة، ومنها ما ينسب إلى أحمد الرفاعي[(٤)] .

أنه حج ووقف تجاه الحجرة الشريفة وأنشد:

في حالة البعد روحي كنت أرسلها ... تقبل الأرض عني وهي نائبتي
وهذه نوبة الأشباح قد ظهرت ... فامدد بمينك كي تحظى بها شفتي

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٣ .
(٢) فتح المجيد، ص ١٨١ .
(٣) التوسل والوسيلة، لابن تيمية، ص ٢٤٠-٢٤١، تحقيق: د. ربيع بن هادي .
(٤) أحمد بن علي بن يحيى أبي الحسين الرفاعي، مؤسس الطريقة الرفاعية، ولد سنة ٥١٢هـ، وتوفي سنة ٥٧٨هـ، نشأ في واسط بالعراق، وقبره لا يزال بها، له أتباع كثيرون لهم فيه اعتقاد كبير، جمع بعض كلامه في رسالة بعنوان «رحيق الكوثر»، انظر: الأعلام للزركلي (١/ ١٧٤) .

فخرجت إليه يد الرسول ﷺ من القبر فقبلها والناس ينظرون[1]!!

ولم يكتفوا بذلك بل ادعوا أنه يخرج ﷺ من قبره ويجالس مشايخهم يقظة لا مناماً.

لما سئل ابن حجر الهيثمي: «هل يمكن الاجتماع بالنبي ﷺ يقظة والتلقي منه؟ فأجاب قوله: نعم يمكن ذلك وصرح بأن ذلك من كرامات الأولياء، وقد حكي عن بعض الأولياء أنه حضر مجلس فقيه فروى ذلك الفقيه حديثاً فقال له الولي: هذا الحديث باطل، قال: ومن أين لك هذا؟ قال هذا النبي ﷺ واقف على رأسك يقول: إني لم أقل هذا الحديث وكشف للفقيه فرآه» [2].

د- اعتقاد الصوفية أنه يحضر مجالسهم وأنهم يرونه يقظة لا مناماً، وأنه يلقن مشايخهم الأوراد والأدعية التي يعظمونها:

نقل عن الشعراني [3] قوله: «**رأيت رسول الله ﷺ فقال لي عن نفسه الشريفة لست بميت، وإنما موتي عبارة عن تستري عمن لا يفقه عن الله، وأما من يفقه عن الله فهأنذا أراه ويراني**»أ. هـ[4].

---

(١) انظر: قلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي وأتباعه الأكابر، لمحمد بن أبي الهدى أفندي الرفاعي الصيادي، ص ٦٧-٦٨، ونفحات الرضا والقبول في فضائل المدينة، للحضراوي، ص ٤٧.

(٢) الفتاوى الحديثية، ص٢١٧، لابن حجر الهيثمي، وبهامش الدرر المنتثرة في الأحاديث المنتشرة.

(٣) عبدالوهاب بن أحمد الشعراني الحنفي نسبه إلى محمد ابن الحنفية، من علماء الصوفية ولد بمصر عام ٨٩٨هـ، وتوفي بها ٩٧٣هـ، صاحب مؤلفات كثيرة منها «الطبقات الكبرى والصغرى في تراجم الصوفية، و«أدب القضاة»، وغيرها... وله ضلالات كثيرة ضمنها مؤلفاته ومنها «ادعاء علم الغيب»، انظر: الأعلام للزركلي (٤/ ١٨٠، شذرات الذهب، لابن أبي العماد (٨/ ٣٧٢).

(٤) الطبقات الكبرى للشعراني (٢/ ٦٩)، المطبعة التوقيفية، مصر.

* **يستدل الصوفية بقوله ﷺ في الصحيح (من رآني في المنام فسيرآني في اليقظة ولا يتمثل الشيطان بي)** رواه البخاري، رقم: ٦٥٩٢)، ولفظ مسلم (من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي)، كتاب: «الرؤيا» (١٥/ ٢٤) بشرح النووي، وعند الإمام أحمد (٢/ ٤١١)، وعند أحمد من طريق أخرى (من رآني في المنام فقد رأى الحق فإن الشيطان لا يتشبه بي)، (٢/ ٢٦١)، وقد رواه جماعة من الصحابة منهم أنس بن مالك وابن عباس وابن مسعود وغيرهم بلفظ (من رآني في المنام فقد رآني)، انظر: صحيح البخاري ، الأحاديث، رقم: ٦٥٩٣، ورقم: ٦٥٩٦.

ونظراً لمخالفة هذا الحديث لألفاظ الروايات التي رويت من طرق أخرى عن أبي هريرة - ﷺ - ورويت لغيره من الصحابة حمل العلماء هذا الحديث- نظراً لكونه في البخاري - =

وسيأتي مزيد بسط لهذا الموضوع في مبحث الولاية – إن شاء الله – .

ينقل الشعراني عن أحد الصوفية **«قلت يا رسول الله ﷺ إن الناس يكذبوني في صحة رؤيتي لك، فقال رسول الله ﷺ : وعزة الله وعظمته من لم يؤمن بها أو كذبك فيها لا يموت إلا يهودياً أو نصرانياً أو مجوسياً»** (١) .

وفي إبطال هذه الدعوى يقول ابن حجر – رحمه الله –: «ونقل عن جماعة من الصالحين (٢) أنهم رأوا النبي ﷺ في المنام ثم رأوه بعد ذلك في اليقظة، وسألوه عن أشياء كانوا منها متخوفين فأرشدهم إلى طريق تفريجها فجاء الأمر كذلك . . . وهذا مشكل جداً

= على عدة تأويلات ذكرها ابن حجر والنووي – رحمهما الله – ومنها:
فقيل: إن ذلك اللفظ جاء على سبيل التشبيه والتمثيل، وقيل: أن ذلك خاص بأهل عصره ﷺ فمن آمن به من الصحابة ولم يره بعد. وقيل: إن ذلك خاص بيوم القيامة وتكون هنا للرائي خصوصيته في القرب والشفاعة، وقيل: إن ذلك متعلق بالرؤيا والمعنى سيرى في اليقظة تأويلها أو حقيقتها.
وقيل: من رآه ولم يهاجر فإن الله يوفقه للهجرة، وقيل: إن ذلك حقيقة فإنه يراه في الدنيا ويخاطبه وهذا قول باطل مردود.
انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (١٥/ ٢٦)، فتح الباري، لابن حجر (١٢/ ٢٧٦ وما بعدها)، خصائص المصطفى بين الغلو والجفاء، للصادق محمد إبراهيم، ص ٢١١ وما بعدها.

(١) الطبقات الكبرى، للشعراني (٢/ ٦٧)، المطبعة التوقيفية، مصر.
* أقول: إذن تعتبر رؤية النبي ﷺ في اليقظة بعد موته من أصول الدين على زعم الشعراني!!، فعلى هذا كيف لم يعلمها صحابة رسول الله ﷺ والتابعين من بعدهم، وهم خير القرون؟! وعلمها علماء الصوفية . . . بل كيف لم يدع أصحابه هذه الرؤية بعد موته وهم أقرب الناس إليه وشاهدها علماء الصوفية؟!! ورسول الله ﷺ مطاع وتجب طاعته بعد موته وقد أجمع المسلمون على أن الشريعة كملت وأن خبر السماء المتعلق بالأمر والنهي قد انقطع . .
وأن مما أتعجب له ادعاء السيوطي أنه يرى الرسول ﷺ في اليقظة – إن صحّ ما نقل عنه –ويسأله عن درجة الحديث هذا مع جلالة علمه وسعة اطلاعه، وهنا مما يدل على شدة كيد إبليس ومكره حتى بالعلماء.
يقول الشعراني في قول عنه في الطبقات: «وكان – ﷺ – يقول: رأيت النبي ﷺ يقظة فقال لي يا شيخ الحديث، فقلت: يا رسول الله أمن أهل الجنة أنا؟ فقال: نعم، فقلت: من غير عذاب يسبق؟ فقال النبي ﷺ: لك ذلك»!! الطبقات الصغرى، ص ٢٨-٢٩ .

(٢) من ادعى ذلك فليس بصالح، وقد يكون مراد ابن حجر أنه نسب إليهم ذلك من قبل مريديهم.

ولو حمل على ظاهره لكان هؤلاء صحابة، ولأمكن بقاء الصحبة إلى يوم القيامة... وخبر الصادق لا يتخلف، وقد أشتد إنكار القرطبي [(١)] على من قال: من رآه في المنام فقد رأى حقيقته ثم يراها كذلك في اليقظة»أ. هـ [(٢)].

ثم نقل كلام القرطبي – رحمه الله – : «اختلف في معنى الحديث فقال قوم هو على ظاهره فمن رآه في النوم رأى حقيقته، يلزم عليه أن لا يراه أحد إلا على صورته التي مات عليها وألا يراه رائياً في آن واحد في مكانين وأن يحيا الآن ويخرج من قبره ويمشي في الأسواق ويخاطب الناس ويخاطبوه، ويلزم من ذلك أن يخلو قبره من جسده، فلا يبقى من قبره فيه شيء فيزار مجرد القبر ويسلم على غائب، لأنه جائز أن يرى في الليل والنهار... وهذه جهالات لا يلتزم بها من له أدنى مسكة من عقل»ا. هـ [(٣)].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما اليقظة فلا يراه أحد بعينه في الدنيا، فمن ظن أن المرئي هو الميت فإنما أتى من جهله، ولهذا لم يقع مثل هذا لأحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وبعض من رأى هذا أو صدق من قال: إنه رآه اعتقد أن الشخص الواحد يكون بمكانين في حالة واحدة فخالف صريح المعقول»أ. هـ [(٤)].

قال شيخ الإسلام: «وقد يرى أشخاصاً في اليقظة، إما ركباناً، وإما غير ركبان، ويقولون: هذا فلان النبي، إبراهيم، وإما المسيح، وإما محمد، وهذا فلان الصديق إما أبا بكر، وإما بعض الحواريين. ويكون ذلك شيطاناً ادعى أنه ذلك النبي، أو ذلك الشيخ أو ذلك الصديق. ومثل هذا يجري كثيراً لكثير من المشركين والنصارى، وكثير من المسلمين»أ.هـ [(٥)].

---

(١) يقصد أبو العباس أحمد بن عمر الأنصاري القرطبي المالكي الفقيه المحدث صاحب التفسير والمفهم في شرح مسلم، وغيرهما توفي سنة ٦٥٦هـ، انظر: البداية والنهاية (١٣/ ٢٢٦).

(٢) فتح الباري، لابن حجر (١٢/ ٤٧٦).

(٣) المرجع السابق (١٢/ ٤٧٥).

(٤) التوسل والوسيلة، ص ٢٩.

(٥) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية (١/ ٣١٩).

وقال – رحمه الله – تعليقاً على حديث (من رآني في المنام فقد رآني . . .): «فرؤيا الأنبياء في المنام حق، وأما رؤية الميت في اليقظة، فهذا جني تمثل في صورته»أ . هـ [(١)] .

وقال – رحمه الله – : «والذي له عقل وعلم يعلم أن هذا ليس هو النبي ﷺ تارة لما يراه منهم من مخالفة الشرع مثل أن يأمروه بما يخالف أمر الله ورسوله وتارة بعلمه أن النبي ﷺ ما كان يأتي أحداً من أصحابه بعد موته في اليقظة، ولا كان يخاطبهم من قبره فكيف يكون هذا إليَّ [(٢)] »أ . هـ [(٣)] .

ويرد عليهم بأنه لو أمكن رؤيته ومشاهدته وعرض عليه المشكلات لكان أولى بذلك صحابته عندما تنازعوا على الخلافة بعد موته، وغيرها من المسائل التي أدت على وقوع القتال بينهم .

ولأمكن لابنته التي هي بضعة منه رؤيتها له وسؤالها عن حقها في الميراث [(٤)] ، بل نستطيع أن القول: إنه بناء على هذا القول لا يحكم بموت النبي ﷺ بل هو باقٍ إلى قيام الساعة ومعلوم أن موته ﷺ من المسلمات المعلومة لكل من عاش في زمنه

٥- إقامة الموالد والأعياد: ومن مكايد إبليس التي كاد بها العباد لإفساد دينهم في باب الغلو في الأنبياء إشغالهم بإقامة الموالد والأعياد في ذكرى مولد النبي أو الرسول أو إقامة عيد لأي مناسبة أو ذكرى مرتبطة به .

فصارت هذه الأعياد هماً لكثير من أهل البدع مما أدى إلى اندثار السنن وعلو شأن البدع . . . وحسّن لهم إبليس ذلك بشبهة أن ذلك تعظيما لشأن الرسل وإغاظة لعدوهم ورفعه لدينهم، حتى أصبحت عندهم أهم من إقامة الدين وفعل الواجبات والسنن،

---

(١) المرجع السابق (١/ ٣٢١) .

(٢) كذا بالأصل وهو خطأ لفظي والصواب (ولي) .

(٣) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ص ٥٩-٦٠ .

(٤) انظر: رسالة القول والفصل في حكم الاحتفال بمولد خير الرسل، للشيخ إسماعيل الانصاري (٢/ ٨٥٣-٨٥٤)، ضمن رسائل حكم الاحتفال بالمولد، وانظر: الفتاوى (٦/ ٢٣٨٥)، لرشيد رضا .

وكادهم إبليس فصاروا يعظمون الأنبياء فيها ويرفعونهم فوق منازلهم ويجعلون لهم صفات الربوبية ، ويزعمون كذباً وزوراً أنهم يحضرون هذه الموالد ويشربون ويأكلون معهم .

ثم أصبح الأمر بعد ذلك شهوة وهوى مطاع ، ينعق به من ينعق لإشباع رغباته وتحقيق نزواته الشهوانية من مال ونساء ورقص وغناء!! وطعام وشراب وفسق وضلال!! وغالوا في حفلاته وابتدعوا لها من المراسيم والطقوس التي لم ينزل الله بها من سلطان .

وأصبح من ينكر ذلك عليهم ضالاً مبتدعاً مبغضاً لرسول الله ﷺ ورفع لهم إبليس الراية لحربه وتجريمه واتهامه بالفسق والزندقة (١) .

يقول الشيخ / عبدالرحمن بن عبدالخالق: «فالاحتفال بالمولد عند أهله المبتدعين نظام وتقليد معين ، واحتفال مخصوص بشعائر مخصوصة وأشعار تقرأ على نحو خاص ، وهذه الأشعار تتضمن الشرك الصريح والكذب الواضح ، وعند مقاطع مخصوصة من

---

(١) يقول عداب الحمش ، ص ٥٦ ، في النور المحمدي: «ودعيت مرة إلى أحد المساجد لحضور هذه المناسبة ، وقام مفتي البلد يقرأ ديباجة المولد بإيقاع خاص ، لم يسبق لي أن استمعت إلى مثله ، وردت في ديباجته كلمات تفيد أن الله ما خلق الكون إلا من أجل محمد ﷺ ، وأن محمداً من نور الله وأنه أول الأنبياء في الخلق ، وآخرهم في البعث . . .إلخ»!!
ويقول ابن كثير – رحمه الله – في البداية والنهاية (١٣/ ١٣٦-١٣٧) ، ط . مكتبة المعارف ، بيروت ، في ترجمة المظفر أبو سعيد كوكبري: « . . . وكان يعمل المولد الشريف في ربيع الأول ، ويحتفل به احتفالاً هائلاً وكان مع ذلك شهماً شجاعاً فاتكاً بطلاً عاقلاً . . . وقد صنف الشيخ أبو الخطاب ابن دحية له مجلداً في المولد النبوي سماه التنوير في مولد البشير ، فأجازه على ذلك بألف دينار وقد طالت مدته . . . حكى بعض من حضر سماط المظفر في بعض الموالد كان يمد في ذلك السماط خمسة آلاف رأس مشوي وعشرة آلاف دجاجة ومائة ألف زبدية وثلاثين ألف صحن حلوى قال وكان يحضر عنده في المولد أعيان العلماء والصوفية فيخلع عليهم ويطلق لهم ويعمل للصوفية سماعاً من الظهر إلى الفجر ويرقص بنفسه معهم (!!) . . . وكان يصرف على المولد كل سنة ثلاثمائة ألف دينار . .» ا .هـ ، أقول: فليت هذه الأموال صرفت في أعمال خيرية أو وزعها على الفقراء وإني لأتساءل هل هذه أمور تعبدية يفعلونها أم ولائم ومناسبات للطعام والشراب والرقص والغناء لإشباع شهواتهم ؟!!

هذا الشعر يقوم القوم قياماً على أرجلهم زاعمين أن الرسول ﷺ يدخل عليهم في هذه اللحظة ويمدون أيديهم للسلام عليه، وبعضهم يطفئ الأنوار، ويضعون كذلك كأساً للرسول ﷺ ليشرب منه... ويضعون مكاناً خاصاً له ليجلس فيه بزعمهم... ثم يقوم الذكر فيهم على نظام مخصوص بهز الرأس يميناً وشمالاً وقوفاً على أرجلهم، وفي أماكن كثيرة يدخل حلقات الذكر هذه الرجال والنساء جميعاً»أ. هـ[١].

وهم في هذا الفعل يتشبهون بالنصارى فهم يقيمون لأنبيائهم الموالد والأعياد، كما بين - عليه الصلاة والسلام - في الحديث عن ابن عمر - ﷺ - أن رسول الله ﷺ قال: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله).

يقول الشيخ حمود التويجري - رحمه الله - : «لا شك أن الاحتفال بالمولد النبوي واتخاذه عيداً مبني على التشبه بالنصارى في اتخاذهم مولد المسيح عيداً»أ. هـ[٢].

يقول ابن القيم - رحمه الله - في بيان لأحد أعياد النصارى، وهو ما يسمونه عيد النور: «... محله بيت المقدس، فيجتمعون من سائر النواحي في ذلك اليوم، ويأتون إلى بيت فيه قنديل معلق لا نار فيه، فيتلوا أحبارهم الإنجيل، ويرفعون أصواتهم، ويبتهلون في الدعاء، فبينا هم كذلك وإذا نار قد نزلت من سقف البيت فتقع على ذبالة القنديل فيشرق ويضيء ويشتعل فيضجون ضجة واحدة، ويصبون على وجوههم، ويأخذون في البكاء والشهيق»أ. هـ[٣].

وهذه النار التي تنزل من سقف البيت إنما هي مكيده وخداع، وإلا فهم في الواقع:

---

(١) مقال للشيخ/ عبدالرحمن بن عبدالخالق: «حقيقة الاحتفال بالمولد النبوي» منشور بموقع أون لاين.
* إن مما يتعجب منه في هذا الأمر إطفاء السراج والأنوار عند دخول (الحضرة المحمدية)، بزعمهم!! ولا أشك أن الذي يدخل شيطان مريد أو كاذب مخادع من شياطين الإنس. وإلا فلماذا لا يراه الجميع بصفته وهيئته؟ وهذا مما يوضح كذبهم وخداعهم وتلبيساتهم الشيطانية.
(٢) الرد القوي على الرفاعي، ص ٨٧، ضمن رسائل حكم الاحتفال بالمولد.
(٣) إغاثة اللهفان، لابن القيم (٢/ ٢١١).

«يأخذون من خيطاً دقيقاً من نحاس . . . ويجعلونه في وسط قبة البيت إلى رأس الفتيلة التي في القنديل ، ويدهنونه بدهن اللبان ، والبيت مظلم ، بحيث لا يدرك الناظرون الخيط النحاس وقد عظموا ذلك البيت ، فلا يمكنون كل أحد من دخوله ، وفي رأس القبة رجل ، فإذا اقدسوا ودعوا ألقى على ذلك الخيط النحاس شيئاً من نار النفط ، فتجري النار مع دهن اللبان إلى آخر الخيط النحاس ، فتلقى الفتيلة فيتعلق بها»أ .هـ[١] .

ومن المعلوم أنه أمر مبتدع لم يشرعه المصطفى ﷺ ولا أقامه ولا دعا إليه أصحابه كذلك هم لم يفعلوه ، وكانت بداية ظهوره في عصر الفاطميين الإسماعيلية[٢] الغلاة في مصر[٣] في نهاية القرن الثالث .

يقول الشيخ حمود التويجري – رحمه الله – : «ومن الأعمال المردودة بلا ريب إحياء ليلة المولد كل عام ، لأنه لم يكن من أمر النبي ﷺ ، ولا من عمل الصحابة – رضي الله عنهم – ولا من عمل التابعين وتابعيهم بإحسان ، وإنما هو من محدثات الأمور التي حذَّر منها رسول الله ﷺ ، وأخبر أنها بدعة وضلالة»أ . هـ[٤] .

فمن قال بشرعية المولد فقد نسب إلى رسول الله ﷺ بأنه لم يكمل الدين ، أو يتهم صحابته الكرام أنهم لم يعظموا الرسول حق تعظيمه ، ولم يفعلوا سنته بعد موته بل أهملوها ، وهذا مما ينزه عنه الصحابة الذين كانوا يحرصون على تطبيق أدق السنن واخفاها اتباعاً لهديه ﷺ[٥] .

---

(١) المرجع السابق (٢/ ٢١٢) .

(٢) ينتسبون إلى إسماعيل بن جعفر الصادق المتوفى سنة ١٩٨هـ ، وهي فرقة من فرق الرافضة الاثني عشرية ولكن انفصلت منها لادعائها الإمامة لإسماعيل بن جعفر الصادق دون موسى الكاظم بن جعفر الصادق . . . وهم باطنية ملاحدة إذ يعتقدون بأن لكل ظاهر باطن ولكل تنزيل تأويلاً لذلك لقبوا بالباطنية ولهم ألقاب أخرى منها القرامطة والمزدكية ، من معتقداتهم نفي الصفات وتعطيل الذات عن جميع الصفات . . . ولهم آراء فلسفية ولا يؤمنون بالمعاد ، ويعتقدون عصمة الأئمة ، الملل والنحل ، (١/ ١٩١-١٩٨) ، المقالات ، للأشعري (١/ ٢٦-٢٧) .

(٣) الرد القوي على الرفاعي ، للشيخ حمود التويجري (١/ ٨٢) .

(٤) المرجع السابق (١/ ٧٣) ، مطبوع ضمن رسائل حكم الاحتفال بالمولد .

(٥) انظر: المرجع السابق (١/ ٧٨) .

وإنما هو من أفعال أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ومعلوم أن التشبه بهم حرام [١].

قال ﷺ: (من تشبه بقوم فهو منهم)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : «وقد احتج أحمد وغيره بهذا الحديث، قال: وهذا الحديث أقل أحواله أنه يقتضي تحريم التشبه بهم، وإن كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم، كما في قوله: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾[٢] ...» أ. هـ.

ومن يدعي أن إقامة هذه الموالد من تعظيم الرسول ﷺ ومحبته فيقال لهم: محبته ﷺ وتعظيمه إنما هي بإحياء سنته واتباع هديه.

وتأمل إنكار ابن مسعود – ﷺ – للقوم الذين اجتمعوا في المسجد يكبرون ويحمدون ومعهم رجل يقول لهم كبروا مائة... سبحوا مائة وفي أيديهم يعدون بها التسبيح، فقال – ﷺ – : (ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبدالرحمن حصى نعُدُّ به التكبير والتهليل والتسبيح، قال: فعدوا سيئاتكم، فأنا ضامن ألا يضيع من حسناتكم شيء، ويحكم يا أمة محمد، ما أسرع هلكتكم، هؤلاء صحابة نبيكم ﷺ متوافرون، وهذه ثيابه لم تبل، وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده، إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد ﷺ، أو مفتتحو باب ضلالة، قالوا: والله يا أبا عبدالرحمن ما أردنا إلا الخير، قال: وكم من مريد للخير لن يصبه) [٣].

فكيف لو شاهد – ﷺ – هذه الموالد وما يقام فيها من الشرك والبدع واللهو وضرب الدفوف وغير ذلك [٤].

---

(١) احتفال النصارى بالمولد ليس من أصل دينهم، بل هو بدعة وثنية دخلت عليهم، رسالة الاحتفال بالمولد بين الاتباع والابتداع (٢/ ٩١٩)، للشيخ محمد بن سعد بن شقير، ضمن رسائل المولد.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥١.

(٣) رواه الدارمي في سننه، رقم: ٢٠٤، (١/ ٧٩).

(٤) انظر: الرد القوي على الرفاعي... للشيخ حمود التويجري (١/ ٨٥ وما بعدها).

قال تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾[١]، بل إن إبليس قد لبس على بعضهم حتى عدُّوا الاحتفال بالمولد النبوي من السنن والمستحبات، وأنه وسيلة للدعوة إلى الله تعالى وفرصة للإكثار من الصلاة على النبي ﷺ، والتعرف على شمائله ﷺ وإظهار الفرح بولادته، وإطعام الطعام والاجتماع على ذكر الله[٢].

ولا شك أن فيها من المفاسد العظيمة أضعاف ما ذكروه، ففيها الغلو في النبي ﷺ، وقد حذر أمته من الغلو والإطراء، وفيها أنه من ابتداع الرافضة والباطنية والفاطمية، فكيف يليق بأهل السنة والاتباع السير على منوال هؤلاء الرافضة الذين هم أهل الفساد والبدع، وفيها تقليد النصارى والإيمان يقتضي بغضهم ومخالفتهم، وفيها أنه مخالفة لهدى المصطفى ﷺ وصحابته من بعده فليسعنا ما وسعهم[٣].

قال العلامة عبدالعزيز بن باز – رحمه الله –: «والقاعدة الشرعية: رد ما تنازع فيه الناس إلى كتاب الله، وسنة رسوله محمد ﷺ ... وقد رددنا هذه المسألة – وهي الاحتفال بالمولد – إلى كتاب الله سبحانه، فوجدناه يأمرنا باتباع الرسول ﷺ فيما جاء به ويحذرنا عما نهى عنه، ويخبرنا بأن الله سبحانه قد أكمل لهذه الأمة دينها، وليس هذا الاحتفال مما جاء به الرسول ﷺ، فيكون ليس من الدين الذي أكمله الله لنا وأمرنا باتباع الرسول فيه، وقد رددنا ذلك – أيضاً – إلى سنة الرسول ﷺ فلم نجد فيها أنه فعله، ولا أمر به، ولا فعله أصحابه – رضي الله عنهم – فعلمنا بذلك أنه ليس من الدين، بل هو من البدع المحدثة، ومن التشبه بأهل الكتاب من اليهود والنصارى في

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣.

(٢) انظر: الإنصاف فيما قيل في المولد من الغلو والإجحاف، للشيخ أبي بكر الجزائري (١/ ٣٦٤)، ضمن رسائل في حكم الاحتفال بالمولد، وانظر: أقوال الضال محمد بن علوي مالكي التي نقلها العلامة حمود التويجري (١/ ٢٧٨ وما بعدها) من كتاب المذكور المسمى (حول الاحتفال بالمولد النبوي).

(٣) رسالة الاحتفال بالمولد بين الاتباع والابتداع، للشيخ محمد بن سعد بن شقير (٢/ ٩٣٣-٩٣٤).

أعيادهم» أ. هـ [١] .

«وأما من قصد السفر لمجرد زيارة القبر ولم يقصد الصلاة في مسجده وسافر إلى مدينته فلم يصل في مسجده ﷺ ، ولا سلم عليه في الصلاة بل أتى القبر، ثم رجع .. فهذا مبتدع ضال مخالف لسنة رسول الله ﷺ ولإجماع أصحابه ولعلماء أمته ... والذي يفعله علماء المسلمين هو الزيارة الشرعية يصلون في مسجده ﷺ ويسلمون عليه في الدخول للمسجد وفي الصلاة وهذا مشروع باتفاق المسلمين»أ. هـ [٢] .

ولقد استعان إبليس في إيقاع العباد في هذه المكايد بعدد من الزنادقة الذين وضعوا أحاديث ونسبوها كذباً وزوراً إلى رسول الله ﷺ حتى يضفوا ثوب الشرعية على البدع والمنكرات التي يمارسونها، ومن تلك الأحاديث حديث جابر السابق.

وحديث (كنت نبياً وآدم بين الماء والطين) [٣] .

---

(١) حكم الاحتفال بالمولد النبوي، للعلامة ابن باز (١/ ٦٠-٦١).

(٢) الصارم المنكي، لابن عبدالهادي، ص ٥٣ .

(٣) قال السيوطي: «لا أصل له بهذا اللفظ، ... قال: وزاد العوام فيه (كنت نبيا ولا أرض ولا ماء ولا طين) ولا أصل له أيضاً»أ. هـ، الدرر المنتشرة في الأحاديث المشتهرة، ص ١٤٧-١٤٨ ، وقال الحافظ السخاوي: «وأما الذي على الألسنة بلفظ: كنت نبينا وآدم بين الطين والماء فلم نقف عليه ...»أ. هـ، المقاصد الحسنة، ص ٣٢٧ ، قال ابن تيمية: «لا اصل له، لم يروه أحد من أهل العلم بالحديث بهذا اللفظ، وهو باطل ...»مجموع الفتاوى (٢/ ٢٣٨).

والصحيح ما رواه ميسرة الفجر قال: قلت يا رسول الله، متى كنت نبياً؟ وفي لفظ متى كتبت نبينا؟ قال: (وآدم بين الروح والجسد). رواه أحمد في المسند (٥/ ٥٩)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٦٠٨-٦٠٩)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه»أ. هـ، وقال الهيثمي: «رواه أحمد والطبراني ورجاله رجال الصحيح»أ. هـ، مجمع الزوائد (٨/ ٢٢٣).

قال شيخ الإسلام: «ولهذا يغلط كثير من الناس في قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه ميسرة قال: (قلت يا رسول الله متى كنت نبينا؟ وفي ورواية متى كتبت نبيا؟ قال: وآدم بين الروح والجسد)، فيظنون أن ذاته ونبوته وجدت حينئذ، وهذا جهل فإن الله إنما نبأه على رأس أربعين من عمر، وقد قال له: ﴿ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ سورة يوسف، الآية: ٣ ، ومن قال أن النبي ﷺ كان نبياً قبل أن يوحى إليه فهو كافر باتفاق المسلمين، وإنما المعنى أن الله كتب نبوته، فأظهرها وأعلنها بعد خلق جسد آدم، وقبل =

وبعد سعي إبليس لإبطال النبوة، التمس طريقاً آخر لإبطالها عند من لم يستجب له في هذه الطريق ألا وهو إبطال ما يدل على صدقهم من الآيات والبينات الباهرات التي لا يماري فيها إلا معاند منكر لحقائق الأمور، وهذا سيأتي بسطه - إن شاء الله - في المبحث القادم.



= نفخ الروح فيه، كما أخبر أنه يكتب رزق المولود وأجله وعمله وشقاوته وسعادته بعد خلق جسده، وقيل نفخ الروح فيه، كما في حديث العرباض بن سارية أنه قال: (إني عبدالله وخاتم النبيين، لمكتوب خاتم النبيين، وأن آدم لمجندل في طينته وسأنبئكم بأول ذلك دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى ورؤيا أمي رأت حين ولدتني أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام) [المسند (٤/ ١٢٧-١٢٨)، والمستدرك (٢/ ٦٠٠)، وقال: صحيح الإسناد. أ. هـ] وكذلك ترى أمهات النبيين - صلوات الله عليهم - وكثير من الجهال المصنفين وغيرهم يرويه (كنت نبياً وآدم بين الماء والطين)، (وآدم لا ماء ولا طين)، ويجعلون ذلك وجوده بعينه، وآدم لم يكن بين الماء والطين بل الماء بعض الطين لا مقابله»أ. هـ، مجموع الفتاوى (٨/ ٢٨٢-٢٨٣)، وانظر: النور المحمدي، ص ٢٦-٢٨.

وقال تعليقاً على هذا الحديث في معرض رده على صاحب الفصوص: «قوله: (كنت نبيا وآدم بين الماء والطين) بخلاف غيره من الأنبياء... كذب واضح مخالف لإجماع أئمة الدين، وإن كان هذا يقوله طائفة من أهل الضلال والإلحاد، فإن الله علم الأشياء، وقدرها قبل أن يكونها، ولا تكون موجودة بحقائقها إلا حين توجد ولا فرق في ذلك بين الأنبياء وغيرهم، ولم تكن حقيقته ﷺ موجودة قبل أن يخلق، إلا كما كانت حقيقة غيره بمعنى أن الله علمها وقدرها»أ. هـ، مجموع الفتاوى (٢/ ٢٣٧).

المبحث الثالث

مكايد الشيطان في نفي المعجزات والكرامات

لقد أيد الله تعالى أنبياءه ورسله بآيات بينات هي دلائل صدقهم، إذ قال تعالى مبيناً إنكار الكفار للبينات والآيات: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ﴾[(١)]، محال أن يؤيد الله من يدعي الكذب عليه.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾[(٢)]، وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾[(٣)].

وتسمى دلائل الأنبياء آية، وبينة وبرهاناً، والآية في اللغة: «العلامة الظاهرة»[(٤)]، وأما البينة فهي بمعنى الإيضاح: «بان بياناً، اتضح فهو بين... وبيَّنة وتبينته وأبنته واستبينته، أوضحته وعرفته...»[(٥)]، وأما البرهان فهو: «الحجة الفاصلة البينة، يقال: برهن، يبرهن، برهنة إذا جاء بحجة قاطعة للألد[(٦)] الخصم فهو مبرهن»[(٧)]، وأما لفظ المعجزة فلم يرد في الكتاب ولا السنة، وهو مأخوذ من العجز «أعجزه الشيء فاته وفلاناً: وجده عاجزاً، وصيره عاجزاً، والتعجيز: التثبيط والنسبة إلى العجز»[(٨)].

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩١.
(٢) سورة يونس، الآية: ١٣.
(٣) سورة يونس، الآيتان: ٧٤-٧٥.
(٤) بصائر ذوي التمييز (٢/ ٦٣).
(٥) القاموس المحيط، ص ١٥٢٦.
(٦) الألد: الخصم الجدل الشحيح الذي لا يزيغ إلى الحق، لسان العرب (٣/ ٣٩٠-٣٩١).
(٧) لسان العرب (١٣/ ٥١)، مادة: «رهن».
(٨) القاموس المحيط، ص ٦٦٣.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : «ويسميها من يسميها من النظار معجزات، وتسمى دلائل النبوة، وأعلام النبوة، ونحو ذلك، وهذه الألفاظ إذا سميت بها آيات الأنبياء، كانت أدل على المقصود من لفظ المعجزات، ولهذا لم يكن لفظ (المعجزات) موجوداً في الكتاب والسنة، وإنما فيه لفظ (الآية)، و(البينة)، و(البرهان)...»أ. هـ [(١)] .

وقال القرطبي – رحمه الله –إن في تسميتها بالمعجزات تجوز، ثم قال: «إن المعجز على التحقيق إنما هو خالق العجز، وهذه الأسباب التي يقع العجز عندها تسمى معجزة بالتوسع، وذلك من تسمية الشيء باسم غيره إذا جاوزه، أو كان معه بسبب»أ. هـ [(٢)] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «آيات الأنبياء هي التي تعلم أنها مختصة بالأنبياء، وأنها مستلزمة لصدقهم، ولا تكون إلا مع صدقهم، ولابد أن تكون خارقة للعادة، خارجة عن قدرة الإنس والجن ولا يمكن أحداً أن يعارضها، لكن كونها خارقة للعادة ولا تمكن معارضتها هو من لوازمها ليس هو حداً مطابقاً لها، والعلم بأنها مستلزمة لصدقهم قد يكون ضرورياً كانشقاق القمر، وجعل العصاحية، وخروج الناقة»أ.هـ [(٣)] .

ومن هذا التعريف يتبين أن آيات الأنبياء لا يشاركهم فيها غيرهم، ولا يصح أن تحد بأنها خارقة للعادة، ويتحدى بها النبي، ويدعي النبوة، إذ لو ظهرت آية من تلك الآيات على يدي بشر، ولم يتحد، أو يدعي النبوة لم تكن آية في نظر من يقول بذلك وهم من المتكلمين من أمثال القاضي عبدالجبار والباقلاني [(٤)] وغيرهم، ولهذا أنكر

---

(١) الجواب الصحيح (٤/ ٦٧).

(٢) الإعلام (٢/ ٢٣٩).

(٣) النبوات، ص ٣٠٨.

(٤) محمد بن الطيب بن محمد، أبو بكر القاضي المعروف بابن الباقلاني، المتكلم على مذهب الأشعري، سكن بغداد وسمع بها الحديث، له تصانيف كثيرة في الرد على المخالفين من الرافضة، والمعتزلة، والجهمية، والخوارج، توفي سنة ٤٠٢هـ، تاريخ بغداد (٥/ ٣٧٩-٣٨١)، وانظر: الأعلام

المعتزلة خوارق السحرة، إذ لا فرق بينها وبين آيات الأنبياء عندهم [(١)] .

وأما الكرامة فهي أمر خارق للعادة يجريه الله تعالى على يد ولي من أوليائه وهي من معجزات الأنبياء، ودليل صدقهم، وهي تظهر على أيدي أتباع الرسل لحسن اتباعهم وصدقهم مع الله، وبينها وبين المعجزات فروق منها:

- إن الكرامة لا تصل إلى درجة آيات الأنبياء فهي أقل منها، إنها من دلائل صدق النبوة، نفي العصمة عن الولي بخلاف النبي، إن الولي لا يدعي النبوة ولو ادعاها كان كذاباً زنديقاً.
- إن الكرامة قد تكون استدراجاً لصاحبها، بخلاف آيات الأنبياء فهي دليل على صدقهم ونبوتهم، إن صاحبها يخفيها غالباً، ليست شرطاً في إثبات النبوة.
- لا تكون خارقة لعادة الصالحين، بل كثيراً ما تقع لأولياء الله في جميع الملل[(٢)] .

وأما مكايد عدو الله إبليس في هذا المبحث فهي غير واضحة، ولكنها موصولة بما

(١٧٦/٦).

(١) انظر: البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات، ص٣٥-٣٦، والمغني للقاضي عبدالجبار (٢٥٩/١٥-٢٦٠). وقولهم هذا مردود إذ على قولهم هذا لو ظهرت آية من تلك الآيات على يدي بشر ولم يتحد أو يدعي النبوة، لم تكن آية، فإن تحدى وادعى النبوة كانت آية، وأما خرق العادة فلا يصح شرطاً لوجهين:

أحدهما: أن العادة أمر نسبي لا ينضبط، فقد يكون الأمر عادة عند قوم دون غيرهم، الثاني: أن هذا لا يختص بالأنبياء، فقد يشاركهم فيه غيرهم، كالساحر مثلاً يأتي بما هو خارق لعادة من يشاهده، ولا يستطيع الحاضرون معارضته مع أن هذا الأمر ليس خارقاً لعادة السحرة أمثاله.

وأما ادعاء النبوة فيقال: إن هناك من الأشخاص من ادعى النبوة كاذباً وجرى على يديه بعض الخوارق ولم يعارض، ومع ذلك عرف الناس كذبه ولم يصدقوه كأمثال مسيلمة والأسود العنسي وغيرهم، وآيات الأنبياء دليل وبرهان صدقهم ولا يشترط فيها الاستدلال أو التحدي ومن أمثلة ذلك نبع الماء بين يدي رسول الله ﷺ وتكثير الطعام وغيرهما، مما كان لحاجة المسلمين ولم يتحد بها رسول الله ﷺ، النبوات، ص ١٨، ص٣٠٨، ص ٣٤، الجواب الصحيح (٢٦١/٤ وما بعدها).

(٢) النبوات، ص ١٩، ص ٤٤٣، مجموع الفتاوى (٣١٢/١١)، فتح الباري (٢٢٣/١٠).

سبق في المبحث السابق - إنكار النبوات - فحيث ألقى على مكذبي الرسل شبهة أن هذا الرسول ساحر كذاب . . . إلخ ، فكذلك ما يأتي به يعد من قبيل السحر والكهانة ، والكذب ، وهذا مأخوذ من عموم قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ ﴾ [١] ، وقد سبق نقل أقوال المفسرين فيها .

لهذا يحاول الشيطان أن ينفي معجزات الأنبياء ويشكك الناس في صحتها ، ويوهمهم بالقدرة على معارضتها تارة ، وبأنها ليست من عند الله تعالى بل اخترعوها وجاءوا بها ونقلوها من غيرها تارة أخرى ، ومن الآثار الدالة على ذلك ما رواه عمران بن الحارث [٢] قال: بينا نحن عند ابن عباس - رضي الله عنهما - (إذ جاءه رجل ، فقال ابن عباس: من أين جئت؟ قال: من العراق . قال: من أيه؟ قال: من الكوفة . قال: ما الخبر؟ قال: تركتهم يتحدثون أن علياً خارجاً إليهم . ففزع فقال: ما تقول لا أبا لك لو شعرنا ما نكحنا نساءه ولا قسمنا ميراثه ؛ أما إني أحدثكم عن ذلك ؛ أنه كانت الشياطين يسترقون السمع من السماء ، فيأتي أحدهم بكلمة حق قد سمعها ، فإذا حدث عنه صدق كذب معها سبعين كذبة ، قال: فيشربها قلوب الناس ، فأطلع الله عليها سليمان فدفنها تحت كرسيه ، فلما توفي سليمان بن داود قام شيطان بالطريق فقال: ألا أدلكم على كنزه الممنع الذي لا كنز مثله تحت الكرسي . فأخرجوه فقالوا: هذا سحر فتناسخها الأمم حتى بقاياهم ما يتحدث به أهل العرق ، فأنزل الله عذر سليمان: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ ﴾[٣]) [٤] ومن هنا فأوجز مكايده فيما يلي:

---

(١) سورة الحج ، الآية: ٥٢ .

(٢) عمران بن الحارث السلمي أبو الحكم الكوفي ، روى عن عبدالله بن الزبير ، انظر: تهذيب التهذيب (٨/ ١١٠) ، الكاشف (٢/ ٩١) ، تقريب التهذيب ، ص ٤٢٩ .

(٣) سورة البقرة ، الآية: ١٠٢ .

(٤) رواه ابن جرير في تفسيره (١/ ٣٥٦) ، والحاكم في المستدرك ، رقم: ٣٠٥٠ ، (٢/ ٢٩١) ، وقال ابن حجر في الفتح (١٠/ ٢٢٣): «أخرجه الطبري وغيره عن السدي ، ومن طريق سعيد بن جبير =

الأول: مكايد عامة في نفي معجزات جميع الأنبياء ومنها:

أولاً: الزعم بأن ما يأتي به الأنبياء من معجزات إنما هي من ضروب السحر، **ثانياً:** إنكار الآيات والمعجزات، **وثالثاً:** إنكار الكرامات

الثاني: مكايد خاصة بمعجزات نبينا محمد ﷺ ومنها:

أولاً: الزعم بأنه ﷺ كان شاكاً في الوحي ومادام شاكاً فيه فلا تثبت به حجة، **ثانياً:** إن هذه المعجزات نابعة من أوهامه وتخيلاته، **ثالثاً:** الزعم بأنه ﷺ نقل ما عند أهل الكتاب في كتبهم، **رابعاً:** إنكار معجزات النبي ﷺ الحسية.

وأستعين بالله تعالى في بيانها وتفصيلها:

الأولى: مكايد عامة في نفي معجزات جميع الأنبياء:

١- الزعم بأن ما يأتي به الأنبياء من آيات بينات، إنما هي من ضروب السحر: قال تعالى في ذكر هذه الشبهة: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ ﴾[(١)]، قال القرطبي - رحمه الله -: «يريد فرعون وقومه قالوا: إن هذا السحر مبين حملوا المعجزات على السحر» أ. هـ[(٢)].

وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُواْ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾[(٣)]، يعني كفار مكة عندما جاءهم الحق المبين على يد الرسول ﷺ طالبوه

= بسند صحيح نحوه ومن طريق عمران بن الحارث موصولاً بمعناه» أ. هـ، وله شاهد رواه ابن جرير (١/ ٣٥٧)، من طريق سعيد بن جبير بمعناه وهو الذي صحح إسناده ابن حجر وفيه «فانطلقت الشياطين فكتبت في تلك الأيام كتباً فيها سحر وكفر ثم دفنوها تحت كرسي سليمان ثم أخرجوها فقرؤوها على الناس، وقالوا: إنما كان سليمان يغلب على الناس بهذه الكتب...».

(١) سورة يونس، الآية: ٧٦.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨/ ٣٦٦)، وانظر: (١١/ ١٤٥)، وجامع البيان، للطبري(١١/ ٤٥).

(٣) سورة القصص، الآية: ٤٨.

بأن يأتي بمثل معجزات موسى – عليه السلام – من العصا واليد كذباً وزوراً بإحياء من يهود مكة، مع كفرهم بموسى وزعمهم أنه ما جاء به السحر، والمقصود بالساحران: موسى ومحمد ﷺ [(١)]، وقرئت ساحران بغير ألف سحران والمراد الإنجيل والقرآن وقيل: التوراة والقرآن[(٢)].

يقول ابن سينا [(٣)]: «إن الأمور الغريبة، تنبعث في عالم الطبيعة من مبادئ ثلاثة:

أحدها: الهيئة النفسانية.

ثانيها: خواص الأجسام العنصرية، مثل: جذب المغنطيس للحديد.

ثالثها: قوى سماوية بينها وبين أمزجة أجسام أرضية مخصوصة بهيئات وضعية أو بينها وبين قوى نفوس أرضية مخصوصة بأحوال ملكية... والسحر من قبيل القسم الأول، بل المعجزات والكرامات والنيرنجات من قبيل القسم الثاني، والطلسمات من قبيل القسم الثالث» [(٤)]، وقد سبق الرد على هذه الشبهة [(٥)].

٢- إنكار الآيات والمعجزات: قال تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ﴾ [(٦)].

وهذه الآية نزلت في شأن اليهود – قبحهم الله – حيث لم يعظموا الله حق عظمته

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٢٩٤).

(٢) انظر: المرجع السابق نفس الجزء والصفحة، مجموع الفتاوى (١٦/ ٤٤).

(٣) الفيلسوف الشهير أبو علي بن عبدالله بن الحسن بن علي بن البلخي ابن سينا البخاري، ولد عام ٣٧٠هـ وتوفي وعمره ٥٣ عاماً له تصانيف عدة في الطب والفلسفة والمنطق، كان أبوه كاتباً من دعاة الإسماعيلية، وهو من رؤوس فلاسفة الإسلام، وكان تلميذاً للفارابي، كفّره الغزالي في المنقذ من الضلال، وابن تيمية وغيرهما من العلماء، من مصنفاته: «الشفاء»، «الإشارات»، «الإنصاف»، وغيرها، انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي (١٧/ ٥٣١-٥٣٤)، معجم البلدان (١/ ٤٥٥)، البداية والنهاية (١٣/ ٢٠)، مجموع الفتاوى (٥/ ٥٥٠)، (٩/ ٤٠)، (١٢/ ٢٢)، (١٢/ ١٤٥).

(٤) الإشارات لابن سينا (٣/ ٢٥٤-٢٥٥)، نقلاً من كتاب خصائص المصطفى.

(٥) انظر ص

(٦) سورة الأنعام، الآية: ٩١.

سبحانه ، ولا عرفوه حق معرفته ، إذ نسبوا إليه ما يستقبح فزعموا أنه لم يقم الحجة على العباد ، وأنكروا الرسالة وجميع الكتب التي نزلت على الأنبياء [١] ، ولا شك أن هذا القول يؤدي إلى إنكار النبوة ، وقد سبق الرد عليهم في المبحث السابق .

٣- إنكار الكرامات: وهذه طريق أخرى لإبليس – لعنه الله – حيث لم يتمكن من إنكار القرآن الكريم ولا معجزات الرسول الكريم ﷺ ، فلجأ إلى إثارة شبهة نفي كرامات الأولياء فقالت المعتزلة: «إنها لا تظهر إلا على مدعي الرسالة ، لكي يعرف بها صدقه بما تحمله من مصالح الأمة» [٢] .

وألقى عليهم إبليس شبهة وهي أنه لو صح وقوعها لأدى ذلك على التباس الولي بالنبي [٣] .

ونسب هذا القول أيضاً إلى بعض الأشاعرة [٤] ، وابن حزم الظاهري – رحمه الله – ودليله في إنكارها: «أنه لو جاز أن يأتي بهذا الأمر أحد سواهم – أي الأنبياء – لما كان فيه دليل على النبوة»أ . هـ [٥] ، وقال أيضاً: «إن الله عز وجل يسمي هذه الخوارق آيات والآيات لا تكون إلا للأنبياء بلا خلاف»أ . هـ [٦] .

---

(١) انظر: جامع البيان ، لابن جرير الطبري (٦/ ٢٨) ، الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي (٧/ ٣٧) ، تفسير ابن كثير (١/ ٥٨٦) ، الدر المنثور (٣/ ٣١٤) ، مدارج السالكين (١/ ٤١٨) .

(٢) المغني في أبواب التوحيد والعدل ، للقاضي عبدالجبار الهمذاني (١٥/ ٢٤٤) .

(٣) انظر: المرجع السابق (١٥/ ٢٤١-٢٤٦) .

(٤) نسب ذلك إلى أبي إسحاق الإسفراييني وأبي محمد بن أبي زيد وقال شيخ الإسلام: «ولكن كان في الحكاية عنهما غلطاً وإنما أرادا الفرق بين الجنسين»أ . هـ ، النبوات ، ص ١٦ ، وانظر: ص ٤٢٣ .
وقال السبكي: «ويزداد تعجبي عند نسبة إنكارها إلى الاستاذ أبي إسحاق الاسفراييني على أنه نسبة إنكارها إليه على الإطلاق كذب عليه ، والذي ذكره الرجل في مصنفاته أن الكرامات لا تبلغ مبلغ خرق العادة» ، طبقات الشافعية (٢/ ٣١٥) ، وقد خالف السبكي قوله هذا في الطبقات الوسطى ، فقال: «ومن غرائبه أنه كان ينكر كرامات الأولياء» أ . هـ ، حاشية الطبقات الكبرى (٤/ ٢٦٠) .

(٥) الأصول والفروع ، لابن حزم ، ص ١٣٢ .

(٦) المرجع السابق ، ص ١٣٣ .

ولا شك أن في قولهم إنكار للواقع ، وتكذيب بالمحسوسات ويرد عليهم بما يلي:

أولاً: أن هذا خلاف الأدلة الصحيحة من الكتاب والسنة ، والإجماع ، ومكابرة للعقل وإنكار للحس .

فأما القرآن ففي قوله تعالى في شأن مريم – عليها السلام – : ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَـٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾[1] .

قال ابن كثير – رحمه الله – : «فيه دلالة على كرامات الأولياء ، وفي السنة لهذا نظائر كثيرة» أ . هـ[2] .

وفي أصحاب الكهف يقول تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَـٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾[3] .

وفي سورة النمل يقول تعالى: ﴿ قَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَـٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[4] .

وفي الآيات بيان ما أكرم الله به هذا الرجل الذي عنده علم من الكتاب ، إذ أحضر لسليمان عرش بلقيس ملكة اليمن ، قبل ارتداد الطرف ، وهذا كرامة له ، وقد اختلف في اسمه فقيل: إنه بليخا ، وقيل: آصف كاتب سليمان ، وقيل: كان صديقاً يعلم الاسم

---

(١) سورة آل عمران ، الآية: ٣٧ .

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٣) .

(٣) سورة الكهف ، الآيات: ٩-١١ .

(٤) سورة النمل ، الآيات: ٣٨-٤٠ .

الأعظم وهناك أقوال أخرى [(١)] .

وأما السنة فقد تواترت [(٢)] في ذلك ، ومن ذلك حديث صاحب الحديقة عن أبي هريرة - ﷺ - أن النبي ﷺ قال: (**بينا رجل بفلاة من الأرض، فسمع صوتاً في سحابة: اسق حديقة فلان، فتنحى ذلك السحاب، فأفرغ ماءه في حرة فإذا اشرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله . . .**) [(٣)] ، وروى البخاري عن أنس - ﷺ - : (**أن رجلين خرجا من عند النبي ﷺ في ليلة مظلمة، وإذا نور بين أيديهما حتى تفرقا، فتفرق النور معهما**) [(٤)] .

وفي حديث عبدالرحمن بن أبي بكر قال: (جاء أبو بكر بضيف له أو بأضياف له ، فأمسى عند النبي ﷺ فلما جاء قالت أمي: احتبست عن ضيفك أو أضيافك الليلة ، قال: ما عشيتهم؟ فقالت: عرضنا عليه أو عليهم فأبوا ، أو فأبى فغضب أبو بكر فسبَّ وجدّع ، وحلف لا يطعمه ، فأختبأت أنا ، فقال: يا غنثر [(٥)] ، فحلفت المرأة لا تطعمه حتى يطعمه فحلف الضيف أو الأضياف أن ألا يطعمه أو يطعموه حتى يطعمه ، فقال أبو بكر: كأن هذه من الشيطان ، فدعا بالطعام فأكل وأكلوا ، فجعلوا لا يرفعون لقمة إلا ربا من أسفلها أكثر منها ، فقال يا أخت بني فراس ، ما هذا؟ فقالت: وقرة عيني إنها الآن لأكثر قبل أن نأكل ، فأكلوا ، وبعث بها على النبي ﷺ ، فذكر أنه أكل منها) [(٦)] .

---

(١) جامع البيان ، (١٩/ ١٦٢-١٦٣) ، وكرامات أولياء الله ، للالكائي ، ص ٧١-٧٤ .
قال ابن الربيع: «وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة والأخبار والآثار التي ملأت الآفاق ، فضاقت عن حصرها الأوراق على وقوع كرامات الأولياء في كل عصر وزمان»أ . هـ ، حدائق الأنوار ومطالع الأسرار (١٤/ ١٨٤) ، وانظر: لوامع الأنوار (٢/ ٣٩٤) .
(٢) انظر: لوامع الأنوار ، للسفاريني (٢/ ٣٩٤) .
(٣) رواه مسلم ، كتاب: «الزهد والرقائق» ، باب: (الصدقة على المساكين) ، رقم: ٢٩٨٤ ، (٤/ ٢٢٨٨) .
(٤) رواه البخاري ، رقم: ٣٥٩٤ ، ورواه أيضاً في كتبا: «المساجد» ، رقم: ٤٥٣ ، (١/ ١٧٧) عن قتادة به بنحوه ، وفي رواية عن أنس ذجاء ذكر اسم هذين الرجلين بأنهما أسيد بن حضير وعباد بن بشر .
(٥) هو «الثقيل الوخم ، وقيل: الجاهل من الغثارة: الجهل» ، النهاية في غريب الحديث (٣/ ٣٨٩) .
(٦) رواه البخاري ، رقم: ٥٧٩٠ ، رقم: ٥٧٧ ، (١/ ٢١٦-٢١٧) ، عن سليمان بأطول منه .

إلى غير ذلك من الأحاديث والآثار التي يطول المقام في سردها [١] ، وأما الإجماع فقد نص عليه الإمام النووي وغيره [٢] .

ثانياً: أن الشبهة التي تمسكوا بها، لا دليل فيها، لأن الولي لا يدعي النبوة، ولا يتحدى، ولو فعل ذلك لكان متنبئاً كذاباً [٣] ، وهي أيضاً لا تصل إلى مقام آيات الأنبياء .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : «أما الصالحون الذين يدعون إلى طريق الأنبياء لا يخرجون عنها فتلك خوارقهم من معجزات الأنبياء فإنهم يقولون: نحن إنما جعل لنا هذا باتباع الأنبياء، فهؤلاء إذا قدر أنه جرى على يد أحدهم ما هو من جنس ما جرى للأنبياء . . . فهذه الأمور هي مؤكدة لآيات الأنبياء، وهي أيضاً من معجزاتهم بمنزلة ما تقدمهم من الإرهاص، ومع هذا فالأولياء دون الأنبياء والمرسلين، فلا تبلغ كرامات أحد قط إلى مثل معجزات المرسلين . . .»أ . هـ [٤] .

ثالثاً: إن من شرط ظهور الكرامة، أن يتصف صاحبها بصفات الأولياء كما ورد في قوله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾[٥] ، فلا تظهر على مخالف لشرع الله، مرتكب لمحارمه، ولو ظهر على يده شيء من الخوارق لم تكن كرامة بل خوارق شيطانية من جنس أفعال السحرة والكهنة، إذن فلا التباس بين النبي والولي لأن الولي الصادق يكون داعياً إلى تصديق النبي [٦] .

---

(١) انظر: كرامات أولياء الله للالكائي، ودلائل النبوة للأصبهاني (٢/ ٤٩٨-٥٠٧)، الاعتقاد، للبيهقي، ص ١٨٩-١٩٥، الفرقان ، ص٧٢ وما بعدها، مشكاة المصابيح (٣/ ١٦٧٤) وما بعدها) .

(٢) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (١٦/ ١٠٨)، وانظر: حدائق الأنوار ومطالع الأسرار (١/ ١٨٣) .

(٣) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ص ٤٩٨، ط . المكتب الإسلامي .

(٤) النبوات، لابن تيمية، ص ١٩ .

(٥) سورة يونس، الآيتان: ٦٢-٦٣ .

(٦) انظر: مجموع الفتاوى (١/ ١٦٨-١٧٩)، طبقات الشافعية (٢/ ٣١٩-٣٢٠) .

رابعاً: إن ما ذكروه من اشتباه الولي بالنبي – على حد زعمهم – يمكن وقوعه لو لم تكن النبوة قد ختمت بسيد المرسلين، وبما أنها قد ختمت بسيد المرسلين فلا اشتباه، ولا يبقى لهذا البحث متعلق في هذه الأمة وإنما في الأمم السابقة [١].

ومن هنا بطلت شبهتهم، ظهر فسادها، كما ذكر ذلك الإمام السفاريني [٢] – رحمه الله – بقوله: «مع هذه الأدلة المتواترة، والوقائع المتكاثرة، فالإنكار لها مكابرة غير منظور إليه، ولا معول عليه، وزعمهم أن الخوارق لو جاز ظهورها من الأولياء لالتبس النبي بغيره... باطل المأخذ غير صالح للتمسك به، والتعويل عليه والالتفات له والمصير إليه حتى ولو لم تكن الأدلة بكرامات الأولياء طافحة والعيان والبيان والبراهين بها واضحة، فكيف والأدلة القرآنية والسنن النبوية والآثار السلفية والمشاهدات العيانية أكثر من أن تحصى وأجل وأعظم من أن تستقصى»أ. هـ [٣].

الثاني: مكايد خاصة بنبينا محمد ﷺ ومنها: الزعم بأن محمداً ﷺ كان شاكاً في الوحي: ومن الشبه الباطلة التي يلقيها إبليس – أخزاه الله – التشكيك في صحة الوحي الزعم بأن محمداً ﷺ كان شاكاً في الوحي، واستندوا في ذلك إلى قوله تعالى: ﴿ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾[٤]، إن المراد بالخطاب: «للنبي ﷺ والمراد غيره، أي لست في شك، ولكن غيرك في شك» [٥].

وقيل: إن المراد بالشك هنا ضيق الصدر، والمعنى إن ضاق صدرك بتكذيب

---

(١) طبقات الشافعية، للسبكي (٢/ ٣٢٠-٣٢١).
(٢) محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، شمس الدين، أبو العون: عالم بالحديث والأصول والأدب، محقق ولد في سفارين (من قرى نابلس)، ورحل إلى دمشق فأخذ من علمائها، وعاد إلى نابلس فدرس وأفتى، وتوفي فيها عام ١١٨٨هـ، الأعلام ، للزركلي (٦/ ١٤).
(٣) لوامع الأنوار (٢/ ٣٩٤-٣٩٥).
(٤) سورة يونس، الآية: ٩٤.
(٥) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٨/ ٣٨٢).

المكذبين فسأل أهل الكتاب من قبلك ليخبروك بصبر الأنبياء من قبلك، وجزاء المكذبين، واستدلوا بمعنى الشك في اللغة وإن أصله الضيق [١].

وقيل: إن الخطاب للنبي ﷺ ولكن ليس المراد أنه شاك فيما جاءه بل روى أئمة التابعين كالحسن وسعيد بن جبير وقتادة في تفسير هذه الآية قولهم: ما شك وما سأل[٢].

كما أنه ليس فيها دليل على وقوع السؤال، وإنما هذا الخطاب جاء على عادة العرب في مخاطباتهم كقول القائل: إن كنت مملوكي فانته إلى أمري، وقول القائل لابنه: إن كنت ابني فبرني، مع عدم شكه في بنوته[٣]، وليس فيها دليل على وقوع الشك فالأمر بالسؤال عند وجود الشك ولا يعني ذلك أن عنده شكا [٤].

وفي الآية دليل على أن لدى أهل الكتاب ما يثبت صدقك فيما كذبك به المشركون، فموسى - عليه السلام - دعا لعبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه. إذن فالدعوة إلى التوحيد ليست دعوة جديدة حتى يستنكرها المشركون، قال تعالى: ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾[٦].

كما أن سؤال أهل الكتاب لمعرفة الصفات والبشارات بنبوة محمد ﷺ [٧]، كما قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى

---

(١) المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة.
(٢) انظر: جامع البيان، لابن جرير الطبري (١١/ ١٦٨).
(٣) انظر: المرجع السابق (١١/ ١٦٩).
(٤) انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١٦/ ٣٢٥).
(٥) سورة الزخرف، الآية: ٤٥.
(٦) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.
(٧) انظر: الجواب الصحيح، لابن تيمية (١/ ٣٣٤-٣٤٠).

ﭐلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ ﴾[١] ، كما أن أهل الكتاب يعلمون أن الرسل من قبل محمد – عليهم وعلى نبينا صلوات الله وسلامه – كانوا بشراً ولم يكونوا ملائكة كما زعم المشركون .

ومن الآيات التي يستندون إليها في تقرير هذا المعنى ، قوله تعالى: ﴿ ۞ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢٤﴾ ﴾[٢] .

يقول القرطبي – رحمه الله – : «المعنى أنتم الضالون حين أشركتم بالذي يرزقكم من السموات والأرض . . . و (أو) عند البصريين على بابها وليست للشك ، ولكنها على ما تستعمله العرب في مثل هذا إذا لم يرد المخبر أن يبين وهو عالم بالمعنى» أ . هـ[٣] .

ويقول ابن تيمية: «وهذا من الإنصاف في الخطاب الذي كل من سمعه من ولي وعد وقال لمن خوطب به: قد أنصفك صاحبك كما قال العادل الذي ظهر عدله للظالم الذي ظهر ظلمه: الظالم إما أنا وإما أنت ، لا للشك في الأمر الظاهر ، ولكن لبيان أن أحدنا ظاهر الظلم ، وهو أنت لا أنا ، إنه إذا قيل: أهل التوحيد الذين يعبدون الله على هدى ، أو في ضلال مبين ، وأهل الشرك الذين يعبدون ما لا يضر ولا ينفع على هدى أو في ضلال مبين أن أهل التوحيد على الهدى ، وأهل الشرك على الضلال . . .» أ .هـ[٤] .

٢– الزعم بأن الوحي كان نابعاً من نفسه ﷺ وتصوراته وأوهامه: وهي شبهة تثار في القديم ، والحديث فقد تمسك بها المشركون وذكرها لنا ربنا ، فقال تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ

(١) سورة الأعراف ، الآية: ١٥٧ .

(٢) سورة سبأ ، الآية: ٢٤ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي (١٤/ ٢٩٩) .

(٤) الجواب الصحيح ، لابن تيمية (١/ ٨٧) .

قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[١] ، ويقول تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾[٢] .

وفي العصر الحديث نجد بعض المستشرقين تلقف هذه الشبهة الجاهلية، فنسبوا هذا الوحي لشخص محمد ﷺ وتجاهلوا الحقيقة، وأعرضوا عن الحق الذي يعرفونه، يقول جولد تسيهر[٣]: «وكان قد بلغ الأربعين من عمره [يقصد النبي محمداً ﷺ] وأخذ يقضي وقته على ما تعود من الخلوة في الغيران المجاورة للمدينة حيث كان نهباً للأحلام القوية، والرؤى الدينية وتملكه شعور بأن الله يدعوه بقوة تزداد شيئاً فشيئاً ليذهب إلى قومه منذراً إياهم بما يؤدي بهم ضلالهم من الخسران المبين، وبكلمة واحدة، أحس بقوة لا تستطيع لها مقاومة تدفعه إلى أن يكون مربياً لشعبه، أي منذرة ومبشرة» أ.هـ[٤]، ويظهر بطلان هذه الشبهة بأمور منها:

١- عجزهم عن الإتيان بمثله مع تحديهم بذلك حيث جاء التحدي في عدة آيات من كتاب الله العزيز: الأولى: قوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾[٥] .

(١) سورة يونس، الآيتان: ١٥-١٦ .

(٢) سورة الطور، الآيتان: ٣٣-٣٤ .

(٣) جولد تسيهر (اجنتس) ولد سنة ١٨٥٠م في بلاد المجر من أسرة يهودية، درس في بودابست السنين الأولى، ثم ذهب إلى برلين، ثم انتقل إلى جامعة ليبتسيك وتتلمذ على يد فليشر وهو من كبار المستشرقين، ثم حصل على الدكتوراه عام ١٨٧٠م، أقام في القاهرة مدة ثم سافر إلى سوريا وفلسطين، عني بالدراسات العربية عامة والإسلامية خاصة، عين أستاذاً للغات السامية عام ١٨٩٤م توفي سنة ١٩٢١م، انظر: موسوعة المستشرقين ١٩٧-٢٠٣ .

(٤) العقيدة والشريعة، ص٧ .

(٥) سورة البقرة، الآيتان: ٢٣-٢٤ .

ففي قوله تعالى: ﴿ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾ تحد ظاهر، ثم في قوله تعالى: ﴿ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ تحد ثان وأيضاً في قوله تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ﴾ تحد ثالث، مع اشتماله على الخبر عن المستقبل بعجزهم فكان كما أخبر، وهذا لا يمكن الجزم به إلا ممن يعلم السر وأخفى، وهو الواحد الحق المبين، فدل على أن هذا قوله (١).

الثانية: قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾(٢).

ففي هاتين الآيتين وقع التحدي في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾، وقوله: ﴿ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ ﴾، فلم يستطع بشر أن يأتي بمثله، وقوله: ﴿ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾، وهذا قمة التحدي.

الثالثة: في قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَـٰتٍ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾(٣).

الرابعة: في قوله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾(٤)*.

---

(١) انظر: إثبات نبوة النبي ﷺ، لأحمد الزيدي، ص ٢٢، لوامع الأنوار، للسفاريني (١/ ١٧١-١٧٢).
(٢) سورة يونس، الآيتان: ٣٧-٣٨.
(٣) سورة هود، الآيتان: ١٣-١٤.
(٤) سورة الإسراء، الآية: ٨٨.
* هذا العجز عن الإتيان بمثل هذا القرآن يشمل الجن والإنس فإن قيل: كيف لنا معرفة عجز الجن؟! فالجواب من عدة أوجه: منها: إن الله عز وجل أخبر بعجز الجن والإنس جميعاً مع اتحادهما، والافتراق من باب اولى، ومنها: إنه قد رويت أشعار للجن، وقد حفظت وهي لا تتجاوز ما عند الإنس بل قد تضعف عنها.
=

وهذا لا يمكن صدوره من مخلوق، إذ مبناه على علم ما سيكون، لا سيما من نبي يدعو قومه إلى عبادة الله جل وعلا، وإثبات صدقه، مع تكذيبهم له، ووصفه بالكذب، فعلم أن ذلك من عند الرب سبحانه وتعالى.

الخامس: في قوله تعالى: ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1]، ففي قوله تعالى: ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾، تحدٍ، وفي قوله تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ تحد ثان، إذ هو تقريع وزجر لهم بتركهم الاستجابة مع عجزهم، وفي قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ تحد ثالث.

السادس: في قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾[2].

وهذه الآيات قد وقع فيها التحدي ظاهراً جلياً، وأما ما وقع فيه التحدي ضمناً فكثيرة جداً[3]، وهذا بمجموعه يقوي الدوافع، ويشحذ الهمم[1]، ومع ذلك عجزوا[2].

= ومنها: ما ذكره تعالى في القرآن من تعجب الجن لهذا القرآن في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ الأحقاف: الأيتان: ٢٩-٣٠.

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴾ سورة الجن، الآية: ١، ومن خلال هذه الأوجه تبين عجزهم، انظر: إعجاز القرآن، للباقلاني، ص٦٥، المنهاج في شعب الإيمان (١/ ٢٨٣)، للحليمي، البرهان في علوم القرآن، للزركشي (٢/ ١١١).

(١) سورة القصص، الآيتان: ٤٩-٥٠.

(٢) سورة الطور، الآيتان: ٣٣-٣٤.

(٣) كما في سورة يونس، الآيتان: ٤٢-٤٣، وسورة الرعد، الآية: ٣١، وسورة العنكبوت، الآية: ٥١، وسورة الحشر الآلآية: ٢١.

ومما يدل على عجزهم أمران:

الأول: أنهم لو استطاعوا ذلك لنقل، واستفاض، لأنه مما توافر الدواعي على نقله، ولا يمكن كتمانه.

الثاني: إنهم لو استطاعوا معارضته، لكان في ذلك حجة لهم في إبطال رسالته، ولما احتاجوا مع ذلك على سفك الدماء، وإزهاق الأرواح وأخذ بذل الأموال، وسبي الذرية.

---

(١) إثبات نبوة النبي ﷺ، لأحمد الزيدي، ص ٢٢-٢٥، تحقيق: خليل أحمد إبرهيم.

(٢) عد بعض العلماء الصرفة نوعاً من الإعجاز كأبي القاسم التيمي في كتاب: «الحجة على تارك المحجة»، (١/ ٣٥٠)، وأبي الحسين الزيدي، في كتاب: «إثبات نبوة محمد ﷺ»، ص ٢٨، حيث قال: «ويكفى في آية واحدة من آيات التحدي أن يقرع أسماعهم فكيف يصح أن يقال: إنها تبلغهم، إلا أن يكون الله تعالى صرفهم عن سماعها ولئن جاز ذلك فالصرف من عظيم المعجزات» أ. هـ.
وقد قال به بعض المتكلمين ومن أشهر من عرف عنه هذا القول النظام من المعتزلة حيث زعم «أن نظم القرآن وحسن تأليف كلماته ليس بمعجزة للنبي ﷺ ولا دلالة على صدقه في دعواه النبوة... وإنما وجه الدلالة منه على صدقه ما فيه من الإخبار عن الغيوب، فأما نظم القرآن وحسن تأليف آياته فإن العباد قادرون على مثله وعلى ما هو أحسن منه في النظم والتأليف...» أ. هـ، الفرق بين الفرق، للبغدادي، ص ١٢٨، وانظر: الانتصار، للخياط، ص ٦٨، وكذلك أبو المعالي الجويني (انظر: العقيدة النظامية، ص ٧٣-٧٤)، وبعض القدرية وابن حزم الأندلسي انظر: الفصل في الملل والنحل، (٣/ ٢٧-٢٩). ومعنى هذا القول إبطال إعجاز القرآن في النظم والتأليف والفصاحة والبلاغة والزعم بأن عجز العرب عن معارضته لأن قدرهم سلبت، ولأنهم صرفوا عن ذلك الآخر، انظر: أعلام النبوة، للماوردي، ص ٧٢، مباحث في إعجاز القرآن، لمصطفى مسلم، ص ٥٧.
وهذا القول من أضعف الأقوال وأفسدها كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – انظر: الجواب الصحيح (٤/ ٧٥).
وانظر: في إفساد هذا الرأي: الاتقان في علوم القرآن (٢/ ٢٥٥-٢٥٦)، الخصائص الكبرى، للسيوطي (٦/ ١٩٤)، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١/ ٦٦)، إعجاز القرآن، للباقلاني (٥٢/ ٥٣)، وص ١٧٥-١٩٦، لوامع الأنوار للسفاريني (١/ ١٧٤)، الشفا، للقاضي عياض (١/ ٣٧٣، ٥٣٠)، أعلام النبوة للماوردي، ص ٧٢ وما بعدها، الرسالة الشافية في وجوه الإعجاز، للجرجاني، (٦١١-٦١٦).

ولو لم يتيقن – عليه الصلاة والسلام – بعجزهم ، لما تحداهم بـه ، لا سيما وهـم أمم كثيرة ، وهم أهل الفصاحة والبلاغة ، فدل ذلك على يقينه إذ ذلـك مما لا يكـون في استطاعتهم [(١)] .

وللعلماء أقوال كثيرة في أوجه إعجاز القرآن أجملها فيما يلي [(٢)] :

الأول: إعجازه من حيث البيان والبلاغة ، وعجيب التأليف والتبيـان ويظهـر مـن خلال: أولاً: من حيث الجملة ، فهو مباين للمألوف من كلام البشر ، على اختلاف أوجه نظمه ، ثانياً: إنه من طوله قد بلغ أرقى مراتب الفـصاحة في جميـع سـوره وآياتـه ، ثالثـاً: عجيب نظمه ، وتآلف أجزائه ، مع اختلاف موضوعاته ، ففيه الوعد والوعيـد والترهيـب والترغيـب ، وفيـه القـصص والـسير وفيـه التـشريع والأحكـام ومـع هـذا لا تنـافر ولا اختلاف ، رابعاً: كثرة المعـاني مـع الإيجـاز ، وتأمـل قولــه تعـالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[(٣)] .

---

(١) انظر: إعجاز القرآن ، للباقلاني ، ص ٤٣ ، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر ، أعلام النبوة ، للماوردي ، ص ٧١ ، شمائل الرسول ، لابن كثير ، ص ١٢ ، قال الباقلاني: وقد ادعى قوم أن ابن المقفع عارض القرآن ، وإنما فزعوا إلى الدرة اليتمية ، وهما كتابان: أحـدهما يتـضمن حكمـاً منقولـة ، توجـد عنـد حكماء كل أمة . . . فليس فيها شيء بديع من لفظ ولا معنى ، والآخـر في شـيء مـن الـديار ، وقـد تهوس به مما لا يخفى على متأمل ، وكتابه الذي بينـاه في الحكـم ، منـسوخ مـن كتـاب بـزر جمهـر في الحكمة فأي صنع لـه في ذلك وأي فضيلة حازها؟ . . . فليس يوجد كتاب يدعي مدع أنه عارض فيه القرآن ، بل يزعمون أنه اشتغل بذلك مدة ، ثم فرق ما جمع واستحيا لنفسه من إظهـاره . . .»أ ، هــ ، إعجاز القرآن ، ص ٥٦ .

(٢) انظر: إعجاز القرآن ، للباقلاني (٥٧-٦١) ، إثبات نبـوة الـنبي ﷺ ، لأبـي الحـسين الزيـدي ، أعـلام النبـوة ، للمـاوردي (٥٨-٨٣) ، الـشفا ، للقاضـي عيـاض (١/ ٣٥٨-٣٩٦) ، الإعـلام ، للقـرطبي (٣/ ٣٢٣-٣٤٧) ، الـشمائل ، لابـن كـثير(١٢٦-١٣٥) ، البرهـان في علـوم القـرآن ، للزركـشي (٢/ ٩٠-١١٧) ، مباحث في علوم القرآن ، للشيخ مناع القطان ، ص ٢٥٧-٢٧٥ .
قال الفيروزآبادي – رحمه الله – : «هذه أربع كلمات وستة عشر حرفاً تتضمن مـا ينيـف علـى ألـف ألف مسألة ، قد تصدى لبيانها علماء الشريعة . . . حتى بلغوا ألوفـاً مـن المجلـدات ، ولم يبلغـوا بعـد كنهها وغايتها»أ . هـ ، بصائر ذوي التمييز (١/ ٦٩) .

(٣) سورة البقرة ، الآية: ١٧٩ .

وتأمل قوله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[١]، «فهي جامعة لجميع مكارم الأخلاق»[٢].

الثاني: ما اشتمل عليه من الإخبار بأمور الغيب مما لا يمكن لبشر الاطلاع عليه، مثل قوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ۞ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۞ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۞ ﴾[٣]، فوقع كما أخبر.

قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾[٤].

الثالث: ما احتوى عليه من أخبار الأمم البائدة وقصصهم مما لا يمكن العلم به ولا يوجد منه إلا أخبار يسيرة، عند بعض علماء أهل الكتاب على ما فيها من تحريف ونقص ونسبة الأفعال المشينة إلى الأنبياء – عليهم صلوات الله وسلامه – .

الرابع: ما تضمنه من الإخبار بما تكنه الضمائر، كما في قوله تعالى: ﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا ﴾[٥]، وقوله: ﴿ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ ﴾[٦].

الخامس: المهابة والخشية التي تلحق بالقلوب عند تلاوته، تأثيره في النفوس وعدم الملل من ترداده وتكراره، مما كان سبباً في إسلام عدد من الصحابة.

السادس: الإعجاز في تشريعاته، وأحكامه، التي فاقت جميع النظم والقوانين.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.
(٢) بصائر ذوي التمييز (١/ ٧١).
(٣) سورة الروم، الآية: ١-٣.
(٤) سورة الفتح، الآية: ٢٧.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٢٢.
(٦) سورة المجادلة، الآية: ٨.

السابع: حفظ الله تعالى لـه ، فلا يمكن لبشر أن يزيد فيـه أو يـنقص ولـو رام ذلـك مخلوق ، لانكشف ذلك للعيان من سائر الناس .

الثامن: إعجازه العلمي ، وهذا يظهر من خلال دعوته للإنسان بالنظر والتأمل وحثه على التفكير في خلق الله ، قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾[(١)] .

٣- دعوى الأخذ من الديانات السابقة: وأنه ﷺ نقل القرآن من كتـب أهـل الكتـاب وقد تعلق بهذه الشبهة عدد من المستشرقين واستندوا في مـزاعمهم تلـك إلى شبه واهيـة منها: أوجه التشابه بين الإسلام وبين الديانات الأخرى كاليهودية والنصرانية والمجوسـية ، بل وحتى الوثنية ، أن هذه الديانات كانت موجودة في جزيـرة العـرب ، وجـود علاقـات شخصية بين محمد ﷺ وبعض النصارى كورقة بن نوفل[(٢)] ، وبحيرا الراهب وغيرهما[(٣)] .

يقول جولد تسهر: «لقد أفاد [يقصد النبي ﷺ] من تاريخ العهـد القـديم ، وكـان ذلك في أكثر الأحيان عن طريق قصص الأنبيـاء ، ليـذكر علـى سـبيل الإنـذار والتمثيـل بمصير الأمم السالفة ، الذين سخروا من رسلهم الذين أرسـلهم الله لهـدايتهم ووقفـوا في طريقهم»أ . هـ[(٤)] .

ويقول أيضاً: «لقد كان فيما مضى يعترف بأن الصوامع والبيـع والـصلوات تعتـبر

---

(١) سورة يونس ، الآية: ١٠١ .

* يقول موريس بوكاي: «لقد أذهلتني دقة بعض التفاصيل الخاصة بهذه الظواهر ، وهـي تفاصيـل لا يمكن أن تدرك إلا في النص الأصلي ، أذهلتني مطابقتها للمفاهيم التي نملكها اليـوم عـن نفـس هـذه الظواهر والتي لم يكن ممكناً لأي إنسان في عصر محمد أن يكون عنها أدنى فكرة . . .»أ . هـ ، دراسـة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ، ص ١٤٤-١٤٥ ، تأليف: موريس بوكاي .

(٢) ورقة بن نوفل بن أسد بن عبدالعزي من قريش: حكيم جاهلي ، اعتزل الأوثان قبل الإسلام ، وامتنع من أكل ذبائحها وتنصر ، وقرأ كتب الأديان ، وهو ابن عم خديجة زوج النبي ﷺ ، صدق النبي ﷺ وآمن به سئل عنه رسول الله ﷺ فقال: يبعث يوم القيامة أمة وحده ، الإصابة (٦/ ٣١٧-٣١٨) .

(٣) انظر: آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره ، د . عمر رضوان ، (١/ ١٠٠ ، ١٠٤ ، ١١٣) .

(٤) العقيدة والشريعة ، ص ٩ .

أمكنة عبادة حقيقية . . . ، لكن الأمر تغير بعد هذا ، كما صار رهبان المسيحيين وأحبار اليهود موضع مهاجمة منه ، وقد كانوا في الواقع أساتذة له . . .»أ. هـ (١) .

وفي الأخذ من الوثنية الجاهلية يقول أيضاً: «وفيما يتعلق بشعائر الحج التي نظمها ، أو على الأحرى احتفظ بها من بين تقاليد الوثنية العربية . . .»أ. هـ (٢) .

وقد فند الله دعواهم تلك في كتابه العزيز في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾(٣) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : «معلوم أن من يعلم من غيره إما أن يأخذ تلقيناً وحفظاً ، وإما أن يأخذه من كتابه ، وهو لم يكن يقرأ شيئاً من الكتب من حفظه ، ولا يقرأ مكتوباً ، والذي يأخذ من كتاب غيره إما أن يقرأه ، وإما أن ينسخه ، وهو لم يكن يقرأ ولا ينسخ» (٤) .

وفي قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٣-١٤ ، وانظر: ص ١٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٣ ، ومن العجيب أن بعض المسلمين يحسنون الظن بهؤلاء المستشرقين ، فنجد مثلاً أن من ترجم كتب «جولد تسهر» يثني عليه ويلقبه بالعلامة!! وقولهم في مدحه: «ومما لا ريب فيه كذلك أنه بهذا التراث الذي خلفه وبهذين الكتابين بصفة خاصة ، يعتبر فيما نرى في المرتبة الأولى من المستشرقين ، من أعظم من تناول الإسلام ومذاهبه وعلومه الأصلية بالدرس والبحث المستفيض ، كما أنه لذلك أيضاً يعد من كبار المستشرقين الذين فهموا – بقدر ما وسعهم – الإسلام وروحه وتعاليمه ومذاهبه . . .»أ. هـ ، ولا أدري أي فهم للإسلام ذلك الذي فهمه وهو ينكر الوحي ، ويزعم أن القرآن مستمد من اليهودية والنصرانية . . .!! وبهذا وحده يمكن أن يهدم الإسلام من أساسه فكيف وله من الشبهات ، والافتراءات ما ملأ به كتابه هذا وغيره من مؤلفاته وهم بزعمهم هذا يهدفون إلى أمرين:
١- محاولة إثبات أن الإسلام ليس ديناً مستقلاً وإنما هو مزيج من اليهودية ، النصراية ، وأن محمداً ﷺ لم يكن ليهتدي إليه بفطرته ، وهذا لا يكاد يغفله مستشرق تكلم عن الإسلام .
٢- الدعوة إلى النصرانية ، وإنها الديانة السماوية الصحيحة ، انظر: الوحي المحمدي .

(٣) سورة العنكبوت ، الآية: ٤٨ .

(٤) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، لابن تيمية (٤/ ٣١) .

كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾[1] ، وقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ ﴾[2] .

يقول الشيخ محمد رشيد رضا – رحمه الله – : «إن هذه المعلومات المحمدية التي تصورها هؤلاء المحللون لمسألة الوحي قليلة المواد ، ضيقة النطاق عن أن تكون مصدراً لوحي القرآن ، وإن القرآن لأعلى وأوسع وأكمل من كل ما كان يعرفه مثل بحيرا ، ونسطور ، وكل نصارى الشام ، ونصارى الأرض ويهودها ، دع الأعراب الذين كان يمر بهم النبي ﷺ بالطريق إلى الشام»أ . هـ[3] .

وهذه الأمية التي كان متصفاً بها – عليه صلوات الله وسلامه – قبل مبعثه كانت من أجل معجزاته ويظهر جلال هذه المعجزة من عدة جوانب منها:

أنه ﷺ كان يقرأ عليهم كتاب الله سبحانه وتعالى مرة تلو مرة ولم ينقل منه أنه غير أو بدل شيئاً مما كان قاله سابقاً وهذه بحد ذاتها معجزة ، إذ لا يمكن لأحد من البشر أن يخطب خطبة أو يتفوه بكلمات ثم يعيدها أخرى إلا زاد أو نقص عليها .

إن أميته هذه علامة لصدقه إذ لو كان قارئاً قبل ذلك لا تهم بأن هذا الكتاب نقله ممن سبقوه .

إنه جمع بين أمرين متضادين ففي الوقت الذي أتى بهذه المعجزة العظيمة التي عجز عن الإتيان بمثلها جميع البشر ، بل وحتى الإتيان بعشر آيات منها ، وهو في الوقت نفسه لم يتعلم الخط والكتابة مع سهولتها وبساطتها وإدراك ضعاف العقول لها ، فكأن ذلك جار

---

(١) سورة المائدة ، الآية: ١٥ .
(٢) سورة المائدة ، الآية: ١٩ .
(٣) الوحي المحمدي ، لمحمد رشيد رضا ، ص ١٢٦ .

مجرى الجمع بين الضدين [١] .

وأما لقاؤه – عليه الصلاة والسلام – بعلماء أهل الكتاب ومعرفته الشخصية ببعضهم فقد ثبت في السير أنه ما رحل إلى الشام وسوى مرتين ، فأما الأولى فكانت مع عمه أبي طالب ، وهو طفل كما روى الترمذي – رحمه الله – وغيره عن أبي موسى الأشعري – رضي الله عنه –قال: «خرج أبو طالب إلى الشام وخرج معه النبي ﷺ في أشياخ قريش فلما أشرفوا على الراهب هبطوا فخلوا رحالهم فخرج إليهم الراهب ، وكان قبل ذلك يمرون فلا يخرج إليهم ولا يلتفت [قال فهم يحلون رحالهم] فجعل يتحللهم الراهب حتى جاء فأخذ بيد رسول الله ﷺ فقال هذا سيد العالمين ، هذا رسول رب العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين ، فقال له أشياخ: من قريش ما علمك؟

فقال: إنكم أشرفتم من العقبة لم يبق حجر ولا شجر إلا خرَّ ساجداً ، ولا يسجدان إلا لنبي ، وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة ثم رجع فصنع لهم طعاماً ، فلما أتاهم به فكان هو في رعية الإبل فقال أرسلوا إليه فأقبل وعليه غمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فيء الشجرة ، فلما جلس مال فيء الشجرة عليه ، فقال:

انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه ، قال: فبينما هو قائم عليهم وهو يناشدهم أن لا يذهبوا به إلى الروم فإن الروم إن رأوه عرفوه بالصفة فيقتلونه ، فالتفت فإذا بسبعة قد أقبلوا من الروم فاستقبلهم ، فقال:

ما جاء بكم . قالوا: جئنا إن هذا النبي خارج في هذا الشهر فلم يبق طريق إلا بعث إليه بأناس وإنا قد أخبرنا خبره بعثنا إلى طريقك هذا ، قال:

هل خلفكم أحد هو خير منكم ، قالوا: إنما أخبره بطريقك هذا ، قال:

---

(١) انظر: تفسير الرازي (١٥/ ٢٤) ، تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨/ ٢٩٧-٢٩٩) ، أمية الرسول محمد ﷺ ، د . قحطان عبدالرحمن الدوري (٢٧-٣٠) .

أفرأيتم أمراً أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس رده؟ قالوا: لا .

قال: فبايعوه وأقاموا معه، قال: أنشدكم بالله أيكم وليه؟ قالوا: أبو طالب فلم يزل يناشده حتى رده أبو طالب وبعث معه أبو بكر بلالا وزوده الراهب من الكعك والزيت»[(١)] .

ولقد كان عمر النبي ﷺ في هذه الرحلة تسع سنين كما روى ذلك ابن جرير، وقيل: اثنتا عشرة سنة [(٢)] .

وأما الرحلة الثانية فقد رواها ابن جرير – رحمه الله – وغيره بسنده قال: (كانت خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصي امرأة تاجرة، ذات شرف ومال، تستأجر الرجال في مالها، وتضاربهم إياه بشيء تجعله منه، وكانت قريش قوما تجارا، فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها من صدق حديثه وعظم أمانته، وكرم أخلاقه بعثت إليه فعرضت عليه أن يخرج في مالها إلى الشام تاجراً وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار، مع غلام لها يقال له ميسرة فقبله منها رسول الله ﷺ .

فخرج في مالها ذلك، وخرج معه غلامها ميسرة، حتى قدما الشام، فنزل رسول الله ﷺ في ظل شجرة قريباً من صومعة راهب من الرهبان، فأطلع الراهب رأسه إلى ميسرة فقال: من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة؟ فقال له ميسرة: هذا رجل من قريش من أهل الحرم، فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي، ثم باع

---

(١) رواه الترمذي في كتاب: «المناقب»، رقم: ٣٦٢٤، (٦/ ٢٤٣-٢٤٤)، وقال: «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه» أ. هـ، ورواه ابن جرير بنحوه بطرق عدة في التاريخ (٢/ ٣٦٣-٣٦٦)، وابن إسحاق في السيرة (١/ ٢٣٦)، ورواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٦٧٢)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»أ. هـ، ورواه البيهقي في الدلائل (٢/ ٢٤-٢٩)، ورواه ابن سيد الناس في عيون الأثر (١/ ١٠٥-١٠٨)، وقال الحافظ في الإصابة: «الحديث رجاله ثقات، وليس منه منكر سوى اللفظ، فيحتمل أنها مدرجة فيه من حديث آخر وهما من أحد رواته» وقال ابن سيد الناس: «ليس في إسناد هذا الحديث إلا من خرج له في الصحيح»، عيون الأثر (١/ ١٠٨).

(٢) انظر: تاريخ الأمم والملوك (١/ ٥٢١)، وعيون الأثر (١/ ١٠٥).

رسول الله ﷺ سلعته التي خرج بها، واشترى ما أراد أن يشتري، ثم أقبل قافلاً على مكة، ومعه ميسرة.

فكان ميسرة - فيما يزعمون - إذا كانت الهاجرة واشتد الحر يرى ملكين يظلانه من الشمس، وهو يسير على بعيره، فلما قدم مكة على خديجة بمالها، باعت ما جاء به فأضعفت، أو قريباً من ذلك.

وحدثها ميسرة عن قول الراهب، وعما كان يرى من إظلال الملكين إياه، وكانت خديجة امرأة حازمة لبيبة شريفة، مع ما أراد الله بها من كرامته فلما أخبرها ميسرة بما أخبرها، بعثت إلى رسول الله ﷺ فقالت له: - فيما يزعمون - يا ابن عم، إني قد رغبت فيك لقرابتك وسطتك في قومك، وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك، ثم عرضت عليه نفسها...)[1].

ومن خلال هذه الروايات يتبين أن رسول الله ﷺ لم يتعلم من أهل الكتاب شيئاً والأدلة على ذلك ما يلي:

الأول: إن رسول الله ﷺ عندما ذهب في المرة الأولى كان صغيراً مع عمه أبي طالب وهو لا يفقه شيئاً من أمور أهل الكتاب، وفي المرة الثانية كان مشغولاً بالتجارة، وفي كلا السفرتين كان معه شاهد، في الأولى عمه أبو طالب، وفي الثانية ميسرة غلام خديجة - رضي الله عنها - ولو وقع شيء من ذلك لنقلاه لنا، واستفاض، كما أن القافلة بها عدد كبير من الرفاق الذين لا يخفى حال بعضهم عن بعض، فلو اعتزل محمد ﷺ ليطلب علم أهل الكتاب لشاع ذلك.

الثاني: إن بحيرا الراهب بشر بنبوة محمد ﷺ فلو أن محمداً ﷺ أخذ منه لم ينسب النبوة له، ولكان هو أولى بالنبوة والرسالة.

---

(١) تاريخ الأمم والملوك (٢/ ٣٦٧-٣٦٨)، وابن إسحاق في السيرة، سيرة ابن هشام (٢/ ٢٤٤-٢٤٥)، والبيهقي في الدلائل (٢/ ٦٥-٦٧)، وابن سيد الناس في عيون الأثر (١/ ١١٥-١٢٠).

الثالث: أنَّ مما يستحيل في العادة أن يبرز عالم في علم من العلوم ، ما لم يكثر التردد على العلماء والأخذ منهم ، والصبر على تلقي العلم ، وقد ثبت أن رسول الله ﷺ لم يتردد على هؤلاء الأحبار والرهبان ولا جالسهم ، وهو أمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة ، وهذا دليل قاطع على أن العلم الذي تعلمه والوحي الذي جاء به إنما هو من عند الله قطعاً وجزماً .

الرابع: أما ورقة بن نوفل فحديثه في البخاري [1] وهو دليل على نبوة محمد ﷺ إذ شهد له بالنبوة ، وأن قومه سيخرجونه ، فحصل ما قال فهذا دليل على علمه السابق بصدق نبوة محمد ﷺ مما قرأه من مبشرات خروجه في كتب النصارى .

بل تأمل قوله: (وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً) ، حيث أعلن النصرة والمتابعة .

الخامس: قد دلت النصوص على أنه لا يوجد بين رسول الله ﷺ وبين ورقة بن نوفل أي صلة قبل الوحي ، ولم يطرأ على بال محمد ﷺ أن يذهب إليه ويخبره ، وإنما كان ذلك من اقتراح خديجة – رضي الله عنها – لعلمها بابن عمها وإن لديه علم الكتاب .

السادس: جاء في الحديث (ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي) فالنص دليل على أن موت ورقة كان سريعاً بعد نزول الوحي بفترة وجيزة ، إذن فكيف آن لهذه الدعوة أن تستمر وتؤتي ثمارها على مدى خمسة عشر قرناً؟!

السابع: لم يؤثر عن ورقة أنه كان داعية إلى النصرانية ، إنما المعروف أنه كان رجلاً حريصاً على معرفة دين الله الصحيح ليتعبد به فاعتنق لذلك النصرانية .

الثامن: إننا نعلم شدة عداوة أهل الكتاب للنبي ﷺ وكتمانهم لأدلة نبوته عندهم ، ومحاولتهم التشكيك والطعن في نبوته فلو علموا شيئاً من ذلك لأظهروه .

التاسع: إن هذا لم يتم ولو تم لنقل لنا ، وإذ لم ينقل لم يصح ادعاؤه ، لأن الدعوى لا

---

(١) رواه البخاري ، رقم: ٣ ، (١/ ٥٠٤) ، عن عائشة – رضي الله عنها – .

بد لها من دليل، ولا دليل هنا بل الأدلة بخلافه.

العاشر: إن المتأمل لحياة العرب في مكة، يجد ذلك المجتمع الصغير، الذي لا يكاد يخفى بعضه على بعض، كما يلحظ اجتماعاتهم المستمرة في المسجد الحرام، فهل كان سيخفى أمر سفر النبي ﷺ إلى الشام، وتكرار ذلك، وهو الشاب المعروف بين أهل مكة.

الحادي عشر: هل يعقل أن يكون هذا الدين بكماله وتعاليمه، مستمداً من دين محرف [(١)] كتمه أهله، وحرفوه وأعرضوا عن تعاليمه، فكيف يلحق الكامل بالناقص؟

الثاني عشر: إن قصص الأنبياء عند أهل الكتاب في غاية الوقاحة، إذ نسبوا إلى الأنبياء كثيراً من الفضائح التي يترفع عنها عامة الناس ومن الأمثلة على ذلك، ما جاء في سفر التكوين، الإصحاح التاسع: «٢٠- وابتدأ نوح يكون فلاحاً وغرس كرماً، ٢١- وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه، ٢٢- فابصر حام أبو كنعان عورة أبيه وأخبر أبيه وأخبر أخويه خارجا...» [(٢)].

وفي سفر التكوين - أيضاً - الإصحاح التاسع عشر في ذكر قصة لوط - عليه السلام -: «٢٠- وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل وابنتاه معه لأنه خاف أن يسكن صوغر، فسكن في المغارة هو وابنتاه، ٢١- وقالت البكر للصغيرة أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض، ٢٢- هلم نسقي أبانا خمراً ونضطجع معه، فنحيي من أبينا نسلاً، ٢٣- فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها، ٢٤- وجدت في الغد البكر قالت للصغيرة إني قد اضطجعت البارحة مع أبي نسقيه خمراً الليلة أيضاً فأدخلي اضطجعي معه، فنحيي من أبونا نسلاً، ٢٦- فحبلتا ابنتا لوط من أبيهما» [(٣)] !!

---

(١) انظر: أمثلة التحريف، ص ١٨٠-١٨٣.

(٢) سفر التكوين، الإصحاح التاسع الفقرة (٢٠/ ٢٥).

(٣) سفر التكوين، الإصحاح التاسع عشر، الفقرة (٢٠-٢٦).

فهل يليق أن يصدر هذا من الأنبياء – عليهم صلوات الله وسلامه – وهذا غيض من فيض مما لديهم من ذلك (١) – أخزاهم الله – . فأين هذا من قصص القرآن الكريم .

و«جولد تسهر» عندما ادعى ذلك لم يأت بدليل واحد بين صدق دعواه ، ولهذا يحاول أهل الكتاب إثبات أن محمداً ﷺ كان يعرف القراءة والكتابة ، وما شاع عن أميته غير صحيح ، بل هو لإظهار معجزته ، ونصوص الوحي ترد عليهم ، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ (٢) .

الثالث عشر: إنه قد علم حالة المجتمع الجاهلي قبل بعثة الرسول ﷺ وحالتهم السيئة التي يعيشونها وفشو الجهل وفساد الأخلاق ، وفي هذا الوسط يبرز أحد الأفراد فيأتي بعلم الأولين والآخرين ، ويشرع الشرائع ، ويبين الأحكام ، وهذا مما يستحيل في العادة ، وفي ذلك إثبات صدق الوحي والرسالة .

الرابع عشر: إن المشركين عندما راموا الطعن في النبوة والوحي ، نسبوا هذا إلى رجل أعجمي يعمل حداداً وهذا مبلغ السخف والظرافة ، وهو يصور مدى العداوة لنبي الأمة وخاتم المرسلين ، ولهذا أنكر الله تعالى عليهم بقوله: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (٣) ، ولم يقولوا في زعمهم هذا أنه تعلم من علماء أهل الكتاب!!

الخامس عشر: إن القطع بأن محمداً ﷺ لم يتلق ذلك من بشر يحصل عن طريقين:

١- قومه ومجتمعه الذي عاش فيه ، وسبق بيان ذلك في الأدلة السابقة .

---

(١) للاستزادة انظر: إظهار الحق ، لرحمت الله الهندي (٣/ ٨٣٥-٨٣٦) ، والأسفار المقدسة في الأديان السابقة ، د . علي عبدالواحد ، من ص ٤٨-٦٢ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية: ١٥٧ .

(٣) سورة النحل ، الآية: ١٠٣ .

٢- أما من لم يعش في زمنه ، فعلمه به من عدة طرق:

- ما تواتر من أحواله وسيرته الذاتية منذ مولده إلى وفاته ﷺ وكلها معلومة لدينا ، فكيف خفي هذا الأمر مع أهميته إنه ﷺ أخبر بأمور لم يكن يعلمها أهل الكتاب ولا غيرهم كقصة عاد وثمود ، وصالح ، وإنزال المائدة ، وإيمان امرأة فرعون ، وكثير من تفاصيل سير الأنبياء ، مما هو مجمل عند أهل الكتاب .

- ما علم من شدة العداوة له ﷺ من قبل قومه ، ومن قبل أهل الكتاب ، ولو وقع ذلك قال قائلهم: «إنما تعلم ذلك منا وعن طريقنا» .

- إن هذا الأمر مما تتوافر الدواعي على نقله ، ولو كان هناك تواطؤ على كتمانه لعلمه المقربون منه ﷺ وهل يظن ظان أن هؤلاء الصحابة سيتحملون هذه المشاق والعذاب والهجرة ، وترك الأوطان مع علمهم وتكذيبهم باطناً بهذا الرسول ، وهو في الوقت نفسه لم يعطهم مالاً ولا جاهاً ، ولا قصوراً ، بل أخرجهم من أوطانهم وأهليهم ، ومعلوم أن الحيلة والفطرة تأبى أن تتبع كاذباً قد علم كذبه .

السادس عشر: ثبت في القرآن والسنة أن أهل الكتاب كانوا يسألون النبي ﷺ في الأمور الغيبية ، كما قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ ﴾[1] ، وقوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[2] ، إلى غير ذلك من الأسئلة التي وردت في الكتاب والسنة[3] ، ولو أخذ هذا منهم لما سألوه لفضحوا أمره ، بالإضافة إلى أن علمهم بها إنما

---

(١) سورة الكهف ، الآية: ٨٣ .

(٢) سورة الإسرا ، الآية: ٨٥ .

(٣) كما في حديث عبدالله بن سلام عن أنس بن مالك قال: بلغ عبدالله بن سلام مقدم رسول الله ﷺ المدينة فأتاه فقال: (**إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: ما أول أشراط الساعة، ما أول طعام يأكله أهل الجنة، ومن أي شيء ينزع الولد إلى أبيه . .**) ، الحديث كما رواه البخاري ، باب: (قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾) ، رقم: ٣١٥١ ، (٣/ ١٢١١-١٢١٢) .

هو مأخوذ من أنبيائهم ، ولو تلقاه منهم لم يكن نبياً .

السابع عشر: إن هذه الأنباء الغيبية التي جاء بها رسول الله ﷺ من أخبار الساعة والقيامة والحشر ، وأخبار غزواته وأنباء المستقبل التي كانت تقع كما أخبر ﷺ وقعت في حياته ، وبعد مماته .

فإن قيل: إن ذلك عند أهل الكتاب ، قيل لهم: إذن هذا دليل صدقه – عليه الصلاة والسلام – فإن هذه الأنباء ذكرت في كتبهم ونسبت إلى نبي ، وهو هذا النبي الذي أخبرت به وبشرت به كتبهم .

الثامن عشر: إن المجتمع آنذاك كان إما مشركاً ، وإما كتابياً ، ولم يكن فيهم أحد يدعو إلى ما دعا إليه محمد ﷺ (١) .

٤- إنكار معجزات النبي ﷺ الحسية: زين إبليس لبعض المتأخرين إنكار معجزات النبي ﷺ حيث إنه إذ لم يستطع إقناعهم بإنكار القرآن وهو المعجزة الكبرى الباقية سلك طريقاً آخر يؤدي إلى إنكار نبوة محمد ﷺ ، وإنكار شريعته وسنته ﷺ .

يقول سليمان إبراهيم في كتابه محمد رسول الله: «ولقد آثرنا بالاتفاق مع نصوص القرآن(!!) . . وبالاتفاق مع علماء الإسلام للصدر الأول(٢) (!!) ومع أصحاب الفكر الحر من المعاصرين كالشيخ محمد عبده الذائع الصيت ، أن نضرب صفحاً عن جميع الخوارق التي نسبت إلى النبي العربي بعد زمن طويل من وفاته ، والتي يبدو أن في نسبتها إليه ما يسلبه من سيماه الحقيقية»أ .هـ(٣) .

وهذه شبهة ساقطة ومردودة إذ إن هذه المعجزات كثيرة ومتواترة وقد أفردت فيها المصنفات ومنها انشقاق القمر ، تكثير الطعام ، انقياد الشجر وشهادته على نبوته ﷺ ،

---

(١) الجواب الصحيح ، ابن تيمية (١/ ١٩٧) ، (٤/ ٢٥-٣١ ، ٥٤-٦٣) ، إظهار الحق ، لرحمت الله الهندي (٣/ ٨٣٥-٨٣٦) ، مناهل العرفان ، للزرقاني (٢/ ٣١٧-٣٢٤) ، الوحي المحمدي ، لمحمد رشيد رضا ،ص ١٢٣-١٢٦ ، الوحي المحمدي ، د . عبدالجليل شلبي ، ص ٢٠١-٢٠٢ .

(٢) «لا أدري ماذا يقصد بقوله: «بالاتفاق مع علماء الإسلام للصدر الأول ، فإن كان يريد أنهم أعرضوا عنها ولم ينقلوها فهذا يرده الواقع ، إذ المؤلفات في شمائل النبي ﷺ ومعجزاته ودلائل نبوته كثيرة جداً لا يتسع المقام لسردها» .

(٣) محمد رسول الله ، لسليمان إبراهيم ، ص ٥٤ .

حنين الجذع، تسبيح الحصى في كفه الشريفة – عليه الصلاة والسلام – استجابة دعائه في كثير من المواطن، تكليم البهائم والسباع وسجودها له وتسليم الأحجار والأشجار عليه، ونبع الماء من بين أصابعه الشريفة، وقتال الملائكة معه يوم بدر، وما جرى لأتباعه من الكرامات التي هي دليل على صدق نبوته – عليه السلام – وغير ذلك كثير [١] .

وهذا القول يفضي إلى إنكار السنة والطعن فيها، وهذا سبيل إلى إنكار أحكام الشريعة وتفاصيل الأحكام، إذ من روى لنا هذه المعجزات، هو الذي روى لنا الأحكام، ولا سيما مع ما علم من اهتمام العلماء الأجلاء في تدقيق النصوص وتمحيصها، والحكم على الأسانيد وكثير منها قد تواتر نقله وقد نص على تواترها عدد من الأئمة كشيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – حيث قال: «ومنها ما هو متواتر يعلمه العامة والخاصة كنبع الماء من أصابعه، وتكثير الطعام، وحنين الجذع ونحو ذلك فإن كلاً من ذلك تواترت به الأخبار، واستفاضت ونقلته الأمة جيلاً بعد جيل، وخلفاً عن سلف ما من طبقة من طبقات الأمة إلا وهذه الآيات منقولة مشهورة مستفيضة فيها»أ.هـ [٢] .

ونصَّ على تواترها – أيضاً – ابن حجر – رحمه الله – حيث قال: «ومجموع ذلك يفيد القطع بأنه ظهر على يده ﷺ من خوارق العادات شيء كثير، كما يقطع بجود حاتم، وشجاعة علي، وإن كانت أفراد ذلك ظنية وردت مورد الآحاد مع أن كثيراً من المعجزات النبوية قد اشتهر وانتشر ورواه العدد الكثير، الجم الغفير، وأفاد الكثير منه القطع عند أهل العلم بالآثار، والعناية بالسير والأخبار . . . بل لو ادعى مدع أن غالب هذه الوقائع مفيدة للقطع بطريق نظري لما كان مستبعداً . . .»أ. هـ [٣] .

---

(١) انظر: دلائل النبوة للفريابي، دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني، دلائل النبوة للبيهقي، الشفا للقاضي عياض، الوفا لابن الجوزي، الشمائل لابن كثير، الخصائص الكبرى للسيوطي، الصحيح المسند من دلائل النبوة لمقبل الوادعي .

(٢) الجواب الصحيح، لابن تيمية (٤/ ٢٧٧) .

(٣) فتح الباري (٦/ ٦٧٣-٦٧٤)، وانظر: الرد عليهم مفصلاً في كتاب: «القول الفصل بين الذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون»، بكامله للشيخ مصطفى صبري .

المبحث الرابع

مكايده فيما يتعلق بالولاية والأولياء

الولاية في اللغة: مشتقة من (ولي) والاه، يواليه، موالاة، وهو ضد العدو «وأوليته أنا: أدنيته، وكلٌّ مما يليك: مما يقربك... وولي الأمر وتولاه، وهو وليه ومولاه» (١)، ويقال: «تولاه اتخذه ولياً» (٢)، ويقال: «بينهما ولاء... أي قرابة» (٣).

وقد فرق علماء العربية في فتح الواو وكسرها فقيل: «الوِلاَية بالكسر: السلطان...» (٤)، وقيل: «الوَلاَية بالفتح المصدر، والوِلاَية بالكسر الاسم... لا أنه اسم لما توليته وقمت به فإذا أرادوا المصدر فتحوا» (٥)، وقيل: «الوِلاية تشعر بالتدبير والقدرة والفعل...» (٦)، وقيل: «الوَلاية بالفتح، في النسب والنصرة والمعتق» (٧).

وقال الراغب: «الوِلاية النّصرة، والوَلاية تولي الأمر» (٨)، وقيل: إن الفتح والكسر سواء وهما لغتان، وقيل: ولاية بالكسر ما أشعر بصناعة كنساجة وحدادة ونجارة(٩).

ويلاحظ أن معانيها تدور حول: القرب، والمحبة، والدنو، والقرابة، والرب، والملك والعصبة، والمعتق، والناصر، والحليف (١٠).

---

(١) بصائر ذوي التمييز، للفيروزآبادي (٥/ ٢٨٠).
(٢) لسانب العرب، مادة: (ولي)، (١٥/ ٤١١).
(٣) المرجع السابق (١٥/ ٤١٠).
(٤) معجم الصحاح (٦/ ٢٥٣٠).
(٥) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة.
(٦) النهاية في غريب الحديث (٥/ ٢٢٧).
(٧) المفردات، ص ٥٣٣.
(٨) المرجع السابق (٥/ ٢٢٨).
(٩) انظر: لسان العرب (١٥/ ٤٠٧).
(١٠) انظر: معجم الصحاح(٦/ ٢٥٢٨-٢٥٣١)، النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير(٥/ ٢٢٧-٢٣٠)، لسان العرب (١٥/ ٤٠٦-٤١١)، القاموس المحيط ،ص١٧٣٢ ، بصائر ذوي التمييز(٥/ ٢٨٠-٢٨٤).

وبهذه المعاني جاءت مادة (ولي) في القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[(١)]، أي: «ناصرهم ومعينهم، وقيل: محبهم، وقيل: متولي أمورهم لا يكلهم إلى غيره»[(٢)].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ۝٣٤﴾[(٣)]، أي: «كالصديق والقريب»[(٤)].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ۝٦٢﴾[(٥)]، أي: «المالك الذي يتولى أمورهم...»[(٦)]، والآيات في هذا كثيرة جداً، يصعب استيفاؤها.

وأما تعريفها في الشرع. فيقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولي الله من ولاه بالموافقة في محبوباته ومرضياته، وتقرب إليه بما أمر به من طاعته» أ. هـ[(٧)].

وعرفها ابن القيم - رحمه الله - بقوله: «أولياء الرحمن هم المخلصون لربهم المحكمون لرسوله في الحرم والحل الذين يخالفون غيره لسنته، ولا يخالفون سنته لغيرها، فلا يبتدعون ولا يدعون إلى بدعة، ولا يتحيزون إلى فئة غير الله ورسوله وأصحابه، ولا يتخذون دينهم لهواً ولعباً، ولا يستحبون سماع الشيطان على سماع القرآن» أ. هـ[(٨)].

وقال أيضاً: «الولاية عبارة عن موافقة الولي الحميد في محابه ومساخطه، ليست بكثرة صوم ولا صلاة، ولا رياضة» أ. هـ[(٩)].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.
(٢) معالم التنزيل، للبغوي (١/ ٢٤١).
(٣) سورة فصلت، الآية: ٣٤.
(٤) المرجع السابق (٤/ ١١٥).
(٥) سورة الأنعام، الآية: ٦٢.
(٦) المرجع السابق (٢/ ١٠٣).
(٧) مجموع الفتاوى (١١/ ٦٢)، وانظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ص ٩.
(٨) الروح، لابن القيم، ص ٣٤٨.
(٩) الجواب الكافي، ص ١٣٧، ونقلها شارح الطحاوية، ص ٣٩٨.

وعرفها ابن رجب الحنبلي – رحمه الله – بقوله : «أولياء الله هم الذين يتقربون إليه بما يقربهم منه ، وأعداؤه الذين أبعدهم منهم بأعمالهم المقتضية تطردهم»أ . هـ[١] .

وقال ابن حجر – رحمه الله – : «المراد بولي الله العالم بالله ، المواظب على طاعته ، المخلص في عبادته»أ . هـ[٢] .

وجميع هذه الأقوال متحدة المعنى ، وإن اختلفت العبارات ، إذ هي تجتمع على أن ولي الله هو المتبع لما أمر الله به ، التارك لما نهى الله عنه .

وقد أجمل شيخ الإسلام في تعريف الولاية بقوله: «أولياء الله هم الذين يتبعون رضاه بفعل المأمور ، وترك المحظور ، والصبر على المقدور»أ . هـ[٣] .

وأما مكايد الشيطان في الولاية فكثيرة ، وأصلها ناتج عما ما يقوم به الشيطان من إيهام شخص ما بأنه ولي لله والتلبيس عليه في ذلك أو افتنان الناس به .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في هذا الشأن: « . . . اعرف من تخاطبه النباتات بما فيها من منافع ، وإنما يخاطبه الشيطان الذي دخل فيها ، واعرف من يخاطبهم الحجر والشجر وتقول: هنيئاً لك يا ولي الله ، فيقرأ آية الكرسي فيذهب ذلك ، وأعرفُ من يقصد صيد الطير فتخاطبه العصافير ، وغيرها وتقول: خذني حتى يأكلني الفقراء ، ويكون الشيطان قد دخل فيها ، كما يدخل في الإنس ويخاطبه بذلك ، ومنهم من يكون في البيت ، وهو مغلق فيرى نفسه خارجه ، وهو لم يفتح وبالعكس . . . وتكون الجن قد أدخلته وأخرجته بسرعة أو تمر به أنوار . . . وأعرفُ من يخاطبه مخاطب ويقول له: أنا من أمر الله ، ويعده بأنه المهدي الذي بشر به النبي ﷺ ، ويقول له: علامة أنك أنت المهدي أنك تنبت في جسدك شامة فتنبت ويراها . . . وتأتيه بأشخاص في صورة جميلة وتقول له: هذه الملائكة الكربيون أرادوا ياريك . . . وكله من مكر

(١) جامع العلوم والحكم (٢/ ٣٣٥) .

(٢) فتح الباري في شرح صحيح البخاري (١١/ ٣٥٠) .

(٣) مجموع الفتاوى (١/ ٨٥) .

الشيطان»أ.هـ[١]. لذا تنقسم مكايده في مسائل الولاية إلى قسمين:

القسم الأول: كيده لعباد الله بالأولياء الصالحين بالغلو فيهم، وبتقديسهم ودعائهم والتمسح بقبورهم وعبادتهم من دون الله، مع بغض هؤلاء الأولياء لذلك وعدم رضاهم عنه وإنكارهم على من فعله، وهذا يقع غالباً بعد موتهم، قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾[٢].

القسم الثاني: كيده بأوليائه وحزبه ممن أضفى عليهم مهابة الولاية وعنوان التقديس، فطار بهم في الهواء، وكاد بهم بحيل شيطانية من السحر والشعوذة، حتى خدع بهم طائفة من العباد فتوهموا فيهم الولاية وقدسوهم وعبدوهم من دون الله، واعتقدوا فيهم النفع والضر. ومن أبرز صفاتهم:

«المباشرة للنجاسات والخبائث التي يحبها الشيطان، أكل الحيات والعقارب والزنابير وآذان الكلاب، دعاء غير الله والاستغاثة به، لا يتوضأون ولا يصلون الصلوات المفروضة، مأواهم المزابل والمواضع النجسة أو مقابر الكفار، كراهيتهم لسماع القرآن، وإقبالهم على سماع الأغاني والأشعار»[٣].

قال ابن تيمية: «اتفق أولياء الله على أن الرجل لو طار في الهواء أو مشى على الماء لم يغتر به حتى ينظر متابعته لرسول الله ﷺ وموافقته لأمره ونهيه»أ. هـ[٤].

يقول الإمام الصنعاني[٥] – رحمه الله –: «فإن قلت أنه قد يتفق من هؤلاء الذين

---

(١) مجموع الفتاوى (١١/ ٣٠٠-٣٠١) باختصار وتصرف يسير.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٥٧.

(٣) الفرقان بين أولياء الرحمن، لابن تيمية، ص ٤١ (باختصار وتصرف يسير).

(٤) المرجع السابق، ص ٣٩.

(٥) محمد بن إسماعيل الأمير اليمني الصنعاني ولد سنة ١٠٥٩هـ، في كحلاني، ثم انتقل إلى صنعاء وأخذ عن علمائها، ورحل إلى مكة وقرأ الحديث على أكابر علمائها وعلماء المدينة، وبرع في جميع العلوم وفاق الأقران وتفرد برياسة العلم في صنعاء... كان يجتهد في المسائل الفقهية، ويعمل بالدليل وينفر من التقليد... من مؤلفاته: «سبل السلام في شرح بلوغ المرام»، وله مؤلفات أخرى شعرية، توفي سنة ١١٨٢هـ. انظر: خاتمة تطهير الاعتقاد، ص ٣١، البدر الطالع، للإمام الشوكاني.

يلوكون الجلالة [١] ويضيفون إليها أهل الخلاعة والبطالة ، خوارق عادات ، وأمور تظن كرامات ، كطعن أنفسهم ، وحملهم لمثل الحنش والحية والعرب ، وأكلهم النار ، ومسهم إياها بالأيدي وتقلبهم فيها بالأجسام .

قلت هذه أحوال شيطانية ، وإنك لملبوس عليك إن ظننتها كرامات لأموات ، أو حسنات للأحياء . . .

إن هذه أحوال وأفعال طاغوتية ، وأعمال إبليسية ، يفعلها الشياطين لإخوانهم من هؤلاء الضالين . . . وقد ثبت في الأحاديث إن الشياطين والجان يتشكلون بأشكال الحية والثعبان . . . وقد يكون ذلك من باب السحر . . . إلخ» [٢] .

قال شيخ الإسلام – رحمه الله – : «فمن اعتقد أن هؤلاء أولياء الله فهو كافر مرتد عن الإسلام باتفاق أئمة الإسلام ، ولو كان نفسه زاهداً عابداً»أ . هـ [٣] .

ومن الأمثلة على تلاعب إبليس وفتنته لعباد الأضرحة والمشاهد ما نقل عن بعضهم أنه كان في بعض أسفاره قاصداً زيارة المرقد الطاهر – بزعمه – لسلطان الأولياء علي بن موسى الرضا [٤] ، فضل الطريق وتاه في الجبال والبراري فالتجأ إلى هذا الولي قائلاً: «مولاي! أنت تعلم أنني قاصد لزيارتك إلا أنني ضللت الطريق وتهت في هذا الوادي ، وأنت قادر على إعانتي ، فأعني ، وأنقذني مما أنا فيه ، وبعد دقائق ، وإذا به يرى الخضر يحضر عنده ويرشده ظاهرياً وباطنياً ، ويرى نفسه قد طوى الأرض بمدد المولى خلال عدة دقائق . . .»أ . هـ [٥] .

---

(١) الجلالة: الحيوانات التي تتبع النجاسات وتأكل العذرة وقد ورد النهي عن أكلها وركوبها ، انظر لسان العرب (١١/ ١١٩) ، ومختار الصحاح (١/ ٤٦) .

(٢) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد ، للإمام الصنعاني ، ص ٢٧-٢٨ .

(٣) مجموع الفتاوى (١٠/ ٤٣٥) ، وانظر: (١٠/ ٤٣٤) .

(٤) علي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق أبو الحسن الملقب بالرضا ، ثامن الأئمة الاثني عشر عند الإمامية . . . ولد بالمدينة ، واحبه المأمون العباسي فعهد إليه بالخلافة من بعده ، وزوجه ابنته . . . ومات في حياة المأمون بطرس فدفنه إلى جانب أبيه الرشيد ولم تتم له الخلافة . الإعلام للزركلي (٥/ ٢٦) .

(٥) سيماء الأولياء وكراماتهم ، ص ٢٥-٢٦ .

وما أظنه إلا شيطاناً مريداً تمثل بصورة الخضر – عليه السلام – ليفتن هذا الرجل، ولهذا تظهر لهم الشياطين كثيراً بصورة بشر تخدمهم وتقضي حوائجهم زيادة في الفتنة والضلال (١). نسأل الله السلام. آمين، وقد تطير بهم في الهواء (٢).

يقول الصنعاني – رحمه الله –: «وقد يعتقدون في بعض فسقة الأحياء، وينادونهم في الشدة والرخاء، وهو عاكف على القبائح، لا يحضر حيث أمر الله عباده المؤمنين بالحضور هناك، ولا يحضر جمعة ولا جماعة، ولا يعود مريضاً ولا يشيع جنازة، ولا يكتسب حلالاً، ويضم إلى ذلك دعوى التوكل وعلم الغيب، ويجلب إليه إبليس جماعة قد عشش في قلوبهم، وباض فيها وفرخ، يصدقون تهافته، ويعظمون شأنه، ويجعلون هذا نداً لرب العالمين ومثلاً، فيا للعقول أين ذهبت، ويا للشرائع كيف جهلت...» أ.هـ(٣).

ومن أبرز مظاهر مكايده في مسائل الولاية:

أولاً: القول بالحلول والاعتقاد بأن هؤلاء الأولياء يملكون خصائص الربوبية والألوهية، ثانياً: مساواتهم بالأنبياء وتفضيلهم على سائر الأولياء، ثالثاً: الاستغاثة بهم ودعائهم وتعظيم قبورهم والتمسح بها والتذلل بين أيديهم، رابعاً: الغلو فيهم وادعاء رؤيتهم للنبي محمد ﷺ يقظة لا مناماً، وأنه يصافحهم ويشد الرحال لزيارتهم، خامساً:

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص ٢٦، وانظر: ما سبق ذكره في مكايده في توحيد الألوهية.

(٢) انظر: سيماء الأولياء وكراماتهم، علي الأصفهاني، ص ٥٦-٥، ومن الأمثلة التي ذكرها ما ذكره عن أبي القاسم الهندي قال: «ذهبت إلى الشيخ حسن علي في جبل معجوني المتاخم لمدينة مشهد، وفي تلك الأثناء ظهر قرب الجبل شخص يدعى (محمد قوش آبادي) وهو رجل متمرد، وقد زعزع الأمن في تلك المنطقة، ووجه لنا تحذيراً: إذا تحركتم سأقتلكم، عندها سألني الشيخ: هل أنت على وضوء (!!)؟ قلت: نعم. امسك بيدي، وقال: اغمض عينيك بعد عدة ثوان، لم نكن مشينا لأكثر من خطوتين أو ثلاث حتى قال الشيخ: افتح عينيك، ولما نظرت وجدت أننا عند بوابة المدينة»!! وتأمل سؤاله عن الوضوء، وهذا لا شك من التمويه، وتلبيس الحق بالباطل لزيادة إضلال الخلق وادعاء الكرامات.

(٣) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد، للإمام محمد الصنعاني، ص ١٣.

الإتيان بشريعة غير شريعة محمد ﷺ والادعاء بأنهم يرون الملائكة تخاطبهم ونزول الرقاع عليهم من الله ، سادساً: ادعاؤهم إحياء الموتى ، وسابعاً: علمهم منطق الطير وسائر لغات الوحوش ، ثامناً: ادعاء العصمة ، تاسعاً: خروجهم عن الصفات البشرية في بعض الأحوال ، عاشراً: ادعاء علم الغيب ، الحادي عشر: تفضيلهم على أبي بكر وعمر وسائر الصحابة

وسأذكر فيما يلي بياناً موجزاً لكل واحدة من هذه المكايد:

١ - القول بالحلول والاعتقاد بأن هؤلاء الأولياء يملكون خصائص الربوبية والألوهية.

يقول أحد الحلولية: «خذ العبارة الشهيرة: (أنا الحق) يظن بعض الناس أنها ادعاء عظيم ؛ لكن أنا الحق على الحقيقة تواضع عظيم ، لأن من يقول: (أنا عبدالحق) يثبت وجودين اثنين ، أحدهما نفسه ، والآخر الله ، أما من يقول: (أنا الحق) فقد نفى نفسه وأسلمها للريح ، يقول: (أنا الحق) يعنى (أنا عدم) هو الكل ، لا وجود إلا لله ، أنا بكليتي عَدَم أنا لست شيئاً»أ. هـ[١] !!

يقول عبدالكريم الجيلي - مادحاً نفسه - :

لي الملك في الدارين لم أر فيهما ... سواي فأرجو فضله أو فأخشاه

ولا قبل من قبلى فألحق شأنه ... ولا بعد من بعدي فأسبق معناه

وقد حزت أنواع الكمال وأنني ... جمال جلال الكل ما أنا إلا هو

إلى أن قال - والعياذ بالله - :

وإنــي رب للأنام وسيد ... جميع الورى اسم وذاتي مسماه[٢]

ومن هذا ادعاء الشيعة الألوهية في علي - رضي الله عنه -[٣] .

يقول ابن حزم - رحمه الله - في ذكر أصناف الغلاة من الرافضة: «والقسم الثاني

(١) كتاب فيه ما فيه ، لجلال الدين الرومي ، ص ٨٣ .

(٢) الإنسان الكامل ، ص ٣١-٣٢ .

(٣) المقالات ، لأبي الحسن الأشعري ، ص ٥-٨٥ ، والفرق بين الفرق ، للبغدادي ، ص ٢٩-٧٢ .

من فرق الغالية الذين يقولون بالإلاهية لغير الله عز وجل فأولهم قوم من أصحاب عبدالله بن سبأ [(١)] الحميدي لعنه الله ، أتوا إلى علي بن أبي طالب فقالوا مشافهة: أنت هو ، فقال لهم: ومن هو؟ قالوا: أنت الله ، فاستعظم الأمر وأمر بنار فأججت فأحرقهم بالنار ، فجعلوا يقولون وهم يرمون في النار: الآن صح عندنا إنك الله لأنه لا يعذب بالنار إلا الله . . .» [(٢)] ، وكذلك الصوفية تدعي في الأقطاب الربوبية .

وفي وصف أحمد التيجاني يقول صاحب كتاب جواهر المعاني: «يحي القلوب ويبرئ من العيوب ، يغني بنظرة ويصول إلى الحضرة ، إذا توجه أغنى وأقنى ، وبلغ المنى ، يتصرف في أطوار القلوب بإذن علام الغيوب . . .» أ . هـ [(٣)] .

وقد سبق الرد عليهم في أكثر من موضع [(٤)] .

وللأولياء عندهم طبقات ومراتب: «القطبية الكبرى هي مرتبة قطب الأقطاب ، وهو باطن نبوة محمد ﷺ فلا يكون إلا لورثته ، لاختصاصه - عليه الصلاة السلام - بالأكملية فلا يكون خاتم الولاية وقطب الأقطاب إلا على باطن خاتم النبوة .

والغوث هو القطب حين ما يلجأ إليه ، ويؤخذه منه ، ولا يسمى في غير ذلك الوقت غوثاً» [(٥)] .

«والإمامان هما الشخصان اللذان أحدهما عن يمين الغوث - أي القطب - ونظره

---

(١) عبدالله بن سبأ الملقب بابن السوداء ، كان يهودياً من أهل صنعاء ينسب إلى سبأ . . . ونسبه ابن حزم على حمير ونسب إلى همدان وكلا النسبيين يؤكدان الأصل اليمني لابن سبأ ، وأمه حبشية . أراد إفساد دين المسلمين بالغلو في أهل البيت ، فانتسب إلى الرافضة السبابية ، ودلس ضلالته في تأويلاته ، يقول عنه الذهبي - رحمه الله - : «من غلاة الزنادقة ، ضال مضل أحسب أن علياً حرقه بالنار»أ .هـ . انظر: في ترجمته: الفرق بين الفرق ، للبغدادي ، ص ٢٢٥-٢٢٦ ، ميزان الاعتدال ، للذهبي (٢/ ٤٢٦) ، الفصل في الملل والنحل ، لابن حزم (٥/ ٣٦) ، الشيعة والسنة ، لإحسان إلهي ظهير ، ص ١٥ .

(٢) الفصل في الأهواء والملل ، لابن حزم (٥/ ٤٦-٤٧) .

(٣) جواهر المعاني ، لعلي بن حرازم الفاسي (١/ ٦٣) .

(٤) انظر: مبحث مكايده في إيقاع الناس في الكفر والشرك ، ومبحث مكايده في مسائل توحيد الألوهية .

(٥) التعريفات ، للجرجاني ، ص ١٦٩ ، وانظر: ص ٢٦٦ .

في الملكوت، والآخر عن يساره، ونظره في الملك، وهو أعلى من صاحبه، وهو الذي يخلف القطب، والأوتاد هم الرجال الأربعة الذين هم على منازل الجهات الأربع من العالم، بهم يحفظ الله تعالى الخلق، لكونهم محال نظره في العالم، والبدلاء سبعة رجال لا يسافر أحد عن موضعه إلا ويترك جسداً في صورته فيه بحيث لا يعرف أحد أنه فقد (!!) والنجباء هم الأربعون القائمون على إصلاح أمور الناس، وحمل أثقالهم المتصرفون في حقوق الخلق لا غير، والنقباء هم الذين تحققوا بالاسم الباطن، فأشرفوا على بواطن الناس، واستخرجوا خفايا الضمائر لانكشاف الساتر عن وجه السرائر...»(١).

وقالوا بختم الولاية كما ختمت النبوة، كما سيأتي - إن شاء الله -.

وما ذكروه وما أثبتوه من طبقات الأولياء فهي أسماء لم ترد في كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ لا بإسناد صحيح ولا ضعيف عدا لفظ الأبدال فقد وردت فيه أحاديث، حكم المحققون من أهل السنة بوضعها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: «كل حديث يروى عن النبي ﷺ في عدة الأولياء والأبدال والنقباء والنجباء والأوتاد والأقطاب، فليس في ذلك شيء صحيح عن النبي ﷺ ولم ينطق السلف بشيء من هذه الألفاظ إلا بلفظ الإبدال وروي فيه حديث إنهم أربعون رجلاً، وأنهم بالشام، وهو في المسند في حديث علي - رضي الله عنه - وهو حديث منقطع ليس بثابت» أ.هـ(٢).

وقال أيضاً: «فالغرض أن هذه الأسماء تارة تفسَّر بمعانٍ باطلة بالكتاب والسنة وإجماع السلف، مثل تفسير بعضهم (الغوث) هو الذي يغيث الله به أهل الأرض في

---

(١) نص النصوص، لحيدر الآملي، مخطوط مكتبة مجلس الأمة، طهران، نقلاً عن ختم الولاية للحكيم الترمذي، ص ٥٠٤-٥٠٥، وانظر: الفتوحات المكية، لابن عربي، ص ٢٤٣ وما بعدها.

(٢) الفرقان، ص ١٢، وانظر في تخريج أحاديث الأبدال: كتاب الأولياء، لابن أبي الدنيا، ص ٣٤، ص ٦٥-٦٦، وتحقيق: أحمد شاكر للمسند، رقم: ١٦٩، (٢/ ٨٩٨)، وسلسلة الأحاديث الضعيفة، للعلامة الألباني، رقم: ٩٣٥، ورقم: ٩٣٦، (٢/ ٣٣٩-٣٤١)، وقال: «واعلم أن أحاديث الأبدال لا يصح منها شيء وكلها معلولة، وبعضها أشد ضعفاً من بعض» أ. هـ، (٢/ ٣٣٩).

رزقهم ونصرهم، فإن هذا نظير ما تقوله النصارى في الباب وهو معدوم العين، والأثر شبيه بحال المنتظر الذي دخل السرداب من نحو أربعمائة وأربعين سنة»أ. هـ [(١)].

«ولفظ (القطب) يمكن إطلاقه على كل من دار عليه أمر من الدين أو الدنيا، فيسمى قطباً لذلك الأمر ومداره، وليس من شرطه أن يتفرد بذلك الأمر بل قد يشركه غيره، وكذلك لفظ (الوتد) إن كان يقصد به أنه شخص يثبت الإيمان في القلوب، وكذلك العلم، كما تثبت الأوتاد الجبال فهذا معنى حق، وهو للعلماء والأفذاذ، وهم كثير وليسوا محصورين في عدد معين، وكذلك لفظ (البدل) وتخصيصهم بالشام باطل فإن العلم والإيمان كان بالحجاز واليمن قبل الشام، وكانت الشام بلاد كفر حتى فتحها المسلمون، ولو كانت خاصة بالإبدال لكانت أفضل من غيرها من بلاد الله» [(٢)].

٢- مساواهم بالأنبياء بل وتفضيلهم عليهم في بعض الأحيان: قال أبو الحسن الأشعري - رحمه الله - مبيناً مقالات الغلاة من الروافض: «ويزعمون أن الأئمة ينسخون الشرائع ويهبط عليهم الملائكة وتظهر عليهم الأعلام والمعجزات ويوحى إليهم...» [(٣)].

يروي الكليني في الكافي عن علي - رضي الله عنه - عن المفضل بن عمر عن أبي عبدالله: كان أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - كثيراً ما يقول أنا قسيم الله بين الجنة والنار، ولقد أقرت لي جميع الملائكة والروح والرسل بمثل ما أقروا لمحمد ﷺ، ولقد حملت مثل حمولته وهي حمولة الرب، وإن رسول الله يدعي فيكسى وأدعى فأكسى، ولقد أعطيت خصالاً ما سبقني إليها أحد قبلي، علمت المنايا والبلايا والأنساب، وفصل الخطاب فلم يفتني ما سبقني، ولم يعزب عني ما غاب عنى... إلخ» [(٤)].

بل يوجد عند غلاة الروافض من فضّل الأئمة على الأنبياء يقول أبو الحسن الأشعري - رحمه الله -: «اختلفت الروافض في الأئمة، هل يجوز أن يكونوا أفضل من

---

(١) مجموع الفتاوى (١١/ ٤٤٢).

(٢) انظر: المرجع السابق (١/ ٤٤٠-٤٤٢).

(٣) مقالات الإسلاميين، لأبي الحسن، ص ١٦.

(٤) الكافي في كتاب الحجة، ص ٢٨٥، ط. إيران.

الأنبياء أم لا يجوز ذلك وهم ثلاث فرق:

. . . الفرقة الثانية منهم يزعمون أن الأئمة أفضل من الأنبياء والملائكة، وأنه لا يكون أحد أفضل من الأئمة، وهذا قول طوائف منهم . . .»أ. هـ [١] .

وفي صحيح الكافي يروى عن أبي جعفر قوله: «إن لله عز وجل علمين: علم مبذول، وعلم مكفوف، فأما المبذول فإنه ليس من شيء تعلمه الملائكة والرسل إلا نحن نعلمه، وأما المكفوف فهو الذي عند الله عز وجل في أم الكتاب إذا خرج نفذ» [٢] .

وأقوالهم في هذا [٣] منكرة، وهي شر من أقوال اليهود والنصارى، وهي الكفر الصريح، فقد علم عقلاً أن المتأخر يأخذ من المتقدم، وهم جعلوا الولي هو الذي يستفيد منه المتقدم وهو النبي [٤] ، وهذا القول مخالف لما أجمعت عليه الأمة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: «وقد اتفق سلف الأئمة وأئمتها وسائر أولياء الله تعالى أن الأنبياء أفضل من الأولياء الذين ليسوا بأنبياء . . .»أ. هـ [٥] ، وتفضيلهم الولي على النبي أمرين:

الأول: تلقيه للوحي مباشرة بدون وساطة ملك، فيقول قائلهم: «مكثت ثلاثين سنة ما يسمع لساني إلا من سري، ثم تغيرت الحال فمكثت ثلاثين سنة لا يسمع سري إلا من ربي» [٦] ، **الثاني:** كمال الدين على يديه [٧] ، يقول ابن عربي الطائي: مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولي [٨] .

وكُفْرُ من قال بهذين ظاهر، قال شارح الطحاوية - رحمه الله -: «وكفر ابن

---

(١) مقالات الإسلاميين، ص ٤٧ .

(٢) صحيح الكافي، باب: أن الأئمة - عليهم السلام - يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرسل، لمحمد الباقر، ص ٣٠، ط. الدار الإسلامية.

(٣) انظر: الأصول من الكافي: «كتاب الحجة»، باب: (طبقات الأنبياء والرسل والأئمة)، (١/ ١٧٥).

(٤) انظر: جامع الرسائل والمسائل، لابن تيمية، ص ٢٠٥-٢٠٦ .

(٥) الفرقان، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص ٤٥ .

(٦) الرسالة القشيرية (٢/ ٦٨٢)، والقائل هو: أبو الحارث الأولاشي.

(٧) انظر: مجموعة الرسائل والمسائل، لابن تيمية (٤/ ٧٢)، وهذه الصوفية، ص ١٢٩ .

(٨) نقلاً من شرح الطحاوية، ص٥٥٦ ط. المكتب الإسلامي.

عربي وأمثاله فوق كفر القائلين: ﴿ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ﴾ [(١)] ، ولكن ابن عربي وأمثاله منافقون زنادقة ، اتحادية في الدرك الأسفل من النار . . .»أ.هـ[(٢)] .

ومما يرد به عليهم حديث أنس – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: (هذان سيدا ، كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين لا تخبرهما يا علي) [(٣)] ، فلم يفضلهما – عليه السلام – على الأنبياء والمرسلين مع عظيم مكانتهما ومنزلتهما في الدين – رضي الله عنهما وأرضاهما – .

ويقال هذاالوحي الذي ينزل عليهم – على حد زعمهم – هل هو موافق لما في الكتاب والسنة أم مخالف لهما ، فإن كان موافقاً فلا حاجة لنا به ، وإن كان مخالفاً كان هذا اتهاماً للدين بعدم كماله ، إن كان ذلك مخالفة له في الأخبار ، وإن كان في الأحكام عدَّ نسخاً لهذا الدين [(٤)] .

وهذا خلاف ما أجمع عليه الأمة من تمام هذا الدين وكماله . وختم الرسالات بنبوة محمد ﷺ ، وهم يعتقدون ذلك وقولهم هذا أشد قبحاً من فعل أهل الكتاب الذين يكتبون الكتاب بأيديهم ، ثم يقولون هو من عند الله كما ذكر الله تعالى عنهم: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلاً ﴾[(٥)] .

فهؤلاء الصوفية – أخزاهم الله – كتبوا كتب الكفر والزندقة ، ثم زعموا أنها وحي منزل عليهم أنفسهم من عند الله تعالى [(٦)] .

---

(١) سورة الأنعام ، الآية: ١٢٤ .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٤٩٤ ، ط . المكتب الإسلامي .

(٣) رواه الترمذي ، رقم: ٣٦٦٦ ، ورواه ابن ماجه رقم: ٩٥ ، (١/ ٣٠٦) ، ورواه أحمد في مسنده عن علي – رضي الله عنه – ، (١١/ ٨٠) بنحوه وزاد (وشبابها) .

(٤) انظر: عقيدة ختم النبوة ، ص ١٦٣ ، وص ١٤٨ ، وما بعدها ، مجموع الرسائل والمسائل(٤/ ٥٠- ٥١) .

(٥) سورة البقرة ، الآية: ٧٩ .

(٦) انظر: مجموع الرسائل والمسائل ، لابن تيمية (٤/ ٥٠-٥١) .

٣- الاستغاثة بهم ودعائهم والتذلل بين أيديهم وتعظيم قبورهم والتمسح بها:

فيقول قائلهم:

يـا سـيدي ويـا صـفي الـدين يـا سـندي
يـا عمـدتي بـل ويـا ذخـري ومفتخـري

أنـت المـلاذ لمـا أخـشى ضـرورته
وأنـت لـي ملجـأ مـن حـادث الـدهر

ويقول صاحب كتاب جواهر المعاني في الثناء على أحمد التيجاني:

«واعلم رحمك الله أني لا أستوفي ما لسيدنا وشيخنا ومولانا أحمد التيجاني - رضي الله عنه - من المآثر والآيات والمناقب والكرامات أبد الآبدين، كلما تذكرت آية رأيت أكبر من أختها وهلم جرا، جعلنا الله وإياكم من المنخرطين في سلكه، ومن المحسوبين في حزبه، وممن عرف قدره وقدر محبته بجاه محمد وآله وصحبه، فإن من تشبث بأذيالهم بلغ المأمول، فابسط أيها المحب يد الضراعة عند ذكرهم، وقف متذللاً عند بابهم، وقل بلسان الافتقار إليهم ارحم عُبيدَك الضعيف، وإن كان بها على الجور والتطفيف، وحاشا لمن تعلق بأذيالهم أن يهملوه، أو تحيز لجنابهم أن يتركوه فإن طفيلي ساحتهم لا يرد، وعن بابهم لا يصد(!!) . . .إلخ» (١) .

ونقل صاحب كتاب المفاخر العلية في المآثر الشاذلية عن أبي الحسن الشاذلي (٢) قوله عن نفسه:

ولا شك إن أقوالهم هذه وأفعالهم تفيض بالشرك الأكبر، وفيها من دعاء غير الله

---

(١) جواهر المعاني، لعلي بن حرازم الفاسي (١/ ٦-٨).

(٢) علي بن عبدالله بن عبدالجبار بن يوسف ابن هرمز الشاذلي المغربي، أبو الحسن، رأس الطائفة الشاذلية، من المتصوفة، وصاحب الأوراد المسماة «حزب الشاذلي»، ولد في المغرب، وتفقه وتصوف بتونس، وسكن (شاذلة) قرب تونس، كان ضريراً يزعم أنه نسبه يعود للأدارسة، أخبر بذلك بطريق المكاشفة بزعمه. قال الذهبي: «نسب مجهول لا يصح، ولا يثبت كان أولى به تركه»أ. هـ، كانت وفاته سنة ٦٥٦هـ، انظر: الأعلام، للزركلي (٤/ ٣٠٥)، كتاب المفاخر العلية لأحمد بن عباد.

والتوسل والاستغاثة به، الشيء الكثير، وهذا مكايد إبليس ومكره بهم، وأغلب منشئها من تعظيم القبور كما سيأتي.

يقول العلامة الشوكاني- رحمه الله -: «... هذه البدعة صارت وسيلة لضلال كثير من الناس، لا سيما العوام، فإنهم إذا رأوا القبر، وعليه الأبنية الرفيعة والستور الغالية وانضم إلى ذلك إيقاد السرج عليه تسبب عن ذلك الاعتقاد في ذلك الميت، ولا يزال الشيطان يرفعه من رتبة إلى رتبة، حتى يناديه مع الله سبحانه ويطلب منه ما لا يطلب إلا من الله عز وجل ولا يقدر عليه سواه فيقع في الشرك...»أ. هـ[1].

وقد سبق الرد عليهم في مبحث مكايده في مسائل توحيد الألوهية.

٤- ادعاء الغلو فيهم وادعاء رؤيتهم للنبي ﷺ يقظة لا مناماً ومصافحتهم وشد الرحال لزيارتهم: يقول الغزالي: «ومن أول الطريقة تبتدئ المكاشفات والمشاهدات حتى إنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتهم، ويقتبسون منهم فوائد ثم يترقى الحال من مشاهدة الصورة والأمثال إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق»[2].

ومن المعاصرين من يقول: «وأما الاجتماع يقظة بأهل البرزخ والاطلاع على أحوالهم يقظة بالنسبة لغير الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - فإن ذلك لا يناله إلا من أكرمه الله تعالى من عباده الصالحين ومن ذلك إكرام الله تعالى لبعض أوليائه بالاجتماع يقظة مع رسول الله ﷺ، وأخذهم عنه صنوفاً من البشائر والمعارف والمواهب الإلهية»[3].

ومن أقوالهم: «أن الأولياء يرون رسول الله ﷺ يقظة، وأنه يحضر كل مجلس، أو مكان أراد بجسده وروحه، وأنه يتصرف ويسير في أقطار الأرض وفي الملكوت، وهو

---

(١) السيل الجرار، نقلاً من كتاب شفاء الصدور في الرد على الجواب المشكور.
(٢) المنقذ من الضلال لأبي حامد الغزالي، ص ١٤٣-١٤٥.
(٣) الإيمان بعوالم الآخرة ومواقفها، لعبدالله سراج الدين، ص ١١٠-١١١، وقد ساق بعد ذلك قصة حصلت لعبدالقادر الجيلاني تفيض كذباً وافتراءً، ثم قال أيضاً: «وقد ذكر الشيخ سراج الدين أيضاً في ترجمة الشيخ خليفة بن موسى النهر ملكي أنه كثير الرؤيا لسيدنا رسول الله ﷺ يقظة ومناماً.

بهيئته التي كان عليها قبل وفاته لم يتبدل منه شيء ، وأنه مغيب عن الأبصار ، كما غيبت الملائكة مع كونهم أحياء بأجسادهم ، فإذا أراد الله أن يراه عبد رفع عنه الحجاب فيراه على هيئته التي كان هو عليها» (١) .

يقول صاحب جواهر المعاني عن شيخه أحمد التيجاني: «قال - ﷺ - : أخبرني سيد الوجود يقظة لا مناماً ، قال لي أنت من الآمنين ، ومن رآك من الآمنين إن مات على الإيمان» (٢) !!

وتأمل ما قاله محمد مهدي الرفاعي الشهير بالرواس في كتابه (رفرف العناية) ما نصه: «أفاض عليَّ حبيبي [يعني الرسول ﷺ] عهداً جامعاً في حضرة قربة ، بين الجحاجحة الأعيان من آله وصحبه ، وخلص أتباعه وخاصة حزبه ، في مشهد مشاهدة ، ومحضر مكافحة ، ومحاضرة في سدرة مشافهة استغرقت بنورها ، وانغمست بسرورها ، وهذا نص العهد المبارك المتمثل المطاع المؤيد المؤبد الذي لا ينحل إن شاء الله عقده ، ولا ينقض عهده . . .» ثم سرد هذا العهد إلى أن قال: «ولتعلم أنك الوارث المحمدي والنائب الأحمدي المؤيد بالنظر النبوي الملحوظ بالعزم الرسولي ، المبارك الوجه ، المقبول الجاه في الحضرة ، فجدد لأهل القبول أمر دينهم بك وبمن اتبعك من أهل التوفيق . . . والبيعة سارية فيك وفي وارثك ، ومن انتمى إليك . . .» ا.هـ (٣) .

ولا شك أن عرض أقوالهم هذه كاف في ردها وقد سبق الرد عليهم في المبحث السابق .

وإني لأعجب إذن كيف يصدق مثل هذا القول وينخدع به عوام كثيرة من الناس ، وبين أيديهم مشكاة النبوة الصحيح ونور الهدى البين!!

---

(١) رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم ، لعمر بن سعيد الفوتي (١/١٩٨-١٩٩) ، نقلاً من مجلة البحوث الإسلامية ، العدد ١٤ بحث التيجانية .

(٢) جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التيجاني لعلي الفاسي (١/١٢٩) .

(٣) رسالة النائب العام عن كل ما تقدم من الحكم والأحكام لمحمد مهدي الرفاعي الحسيني ، ص ٢٦٣ وما بعدها ، مطبوع ضمن المجموعة النادرة لأبناء الآخرة .

يقول أحمد التيجاني: «لما أمرني ﷺ بالرجوع إليها - يقصد صلاة الفاتح - سألته ﷺ عن فضلها؟ فأخبرني أولاً: بأن المرة الواحدة منها تعدل من القرآن ست مرات، ثم أخبرني ثانياً: أن المرة الواحدة منها تعدل من كل تسبيح وقع في الكون، ومن كل ذكر، ومن كل دعاء كبير أو صغير، ومن القرآن ستة آلاف مرة»أ. هـ (١).

ومثل ذلك يقع لأهل الكتاب مع المسيح - عليه السلام - إذ يتمثل الشيطان بصورته ويخاطبهم ويأمرهم وينهاهم، وكان سبب ضلال وفتنة عظيمة لهم (٢).

٥- الإتيان بشريعة غير شريعة محمد ﷺ، والادعاء بأنهم يرون الملائكة وتخاطبهم ونزول الرقاع عليهم من الله:

يقول علي الفاسي: «فلا يعترض سيأ (٣) من أمور الشيخ، فإن لم توافق ما عنده من ظاهر العلم أو باطنه فليعلم أن هناك دقائق بين الشيخ وربه لا يدريها التلميذ والشيخ يجرى على منوال تلك الدقائق التي بينه وبين ربه، فإذا خالف صورة ظاهر الشرع، فليعلم أنه في باطن الأمر يجري على منوال الشرع من حيث لا يدريه الخلق(!!)» (٤).

ومن هذا الكلام يتبين أن للشيخ أن يشرع شرع مخالفاً لشريعة محمد ﷺ، ولا ينكر عليه لأنه على زعمهم موافق له في الباطن - نسأل الله السلامة والعافية - وجعلوا هذا الشيخ معصوماً كالأنبياء.

حيث يقول صاحب الكتاب نفسه: «... فليس يظهر الكمال صورة ومعنى وحسا بريئاً من النقص بكل وجه وبكل اعتبار إلا في ثلاث مراتب فقط، لا ماعداها وهي الرسالة لمن دخل حضرتها، والنبوة لمن دخل حضرتها والقطبانية لمن دخل حضرتها، فإن هذه الثلاثة لا صورة للنقص فيها، ولو ظهر للمرء فيها صورة نقص

---

(١) جواهر المعاني، لعلي الفاسي (١/ ١٣٦).
(٢) انظر: الجواب الصحيح، لابن تيمية (١/ ٣٢٠).
(٣) كذا بالأصل، ولعل الصواب شيئا.
(٤) جواهر المعاني، لعلي حرازم الفاسي (١/ ١٣٣)، دار الجيل، بيروت.

فذلك النقص هو غاية الكمال، وإنما ينتقصه المرء بجهله»[(١)] .

ولهذا يرون عدم الاعتراض على الولي وطاعته طاعة عمياء، حتى ولو أمر بغير حق: «حتى قال بعض المشايخ لبعض المريدين أرأيت لو وجهك شيخك في أمر، فمررت بمسجد تقام فيه الصلاة فما تصنع فقال أمضي لأمر الشيخ، ولا أصلي حتى أرجع إليه فقال له أحسنت»[(٢)] .

ومن أقوالهم: «ومن شرط المريد أن يكون بين يدي الشيخ كالميت بين يدي الغاسل إن غسل عضواً من أعضائه قبل عضو آخر أو حركة أو تصرف فيه كيف يشاء بما يرى من المصلحة فلا يخطر عليه خاطر اعتراض ولو عاينه قد خالف الشريعة»[(٣)] .

وفي مسألة نزول الملائكة ومشاهدتهم ومخاطبتهم لها، ونزول الرقاع من الله تعالى

---

(١) المرجع السابق (١/ ١٣٣).

(٢) رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم، مطبوع بهامش جواهر المعاني (١/ ١٣٤).

(٣) المرجع السابق (١/ ١٣٤).

* ومما يتعجب له معرفتهم بالأحوال الشيطانية التي تقع للعباد ومع ذلك وقعوا في أعظم منها - نسأل الله الثبات - حيث يقول صاحب هذا الكتاب: «الفصل الموفي عشرين: تحذيرهم عن قصد الكشوفات الكونية والكرامات العيانية، لئلا يركنوا إليه فيجد الشيطان سبيلاً إلى إغوائهم وإضلالهم فيريهم من الأباطيل ما يكون استدراجاً لهم، كما يقع لكثير ممن ركن إلى ذلك فضل وأضل، وهلك وأهلك، قيل لأبي يزيد فلان يمشي في ليله إلى مكة، فقال: الشيطان يمشي في ساعة من المشرق إلى المغرب في لعنة الله تعالى، وقال زين العابدين الخوافي في الوصايا: ولا يدخل الخلوة لقصد كشف كوني أو تحصيل كرامات عيانية فإن من دخل الخلوة على هذه الأماني.

ولا يراعي شرط الإخلاص، يتصرف فيه الشيطان، ويلعب به ويتسخر ويريه الأشياء الباطلة بصورة الحق، وقال دخل واحد من الأصحاب في خرسان الخلوة بلا إذن، وبلا وقت، فجاء إليه الشيطان في صورة الخضر فقال له: أتريد أن تحصل لك العلوم اللدنية، فقال: نعم، وكان مائلاً إلي يتكلم بالمعارف على جريان اللسان، فقال له: افتح فاك، ففتح فاه، فرمى الشيطان بزاقه في فيه. ثم بعد ذلك صنف كتاباً مشتملاً على أبواب من المعارف، فلما وصل إلى الملاقاة عرض على ما صنف وحكى واقعته، فقلت يا مسكين ذلك كان الشيطان قد جاء إليك في صورة الخضر ولعب بك وشغلك عن طاعة الله تعالى وذكره رح، واغسل الكتاب وتب إلى الله...»أ. هـ!! (١/ ١٤٠-١٤١).

أقول: وشهد شاهد من أهلها، فيتضح من أقوالهم وشهادتهم هذه أن ما هم فيه من الباطل ما هو إلا من مكايد إبليس اللعين، حمانا الله من شره ومكره وألاعيبه... آمين.

عليهم، يقول الغزالي: «ومن أول الطريق تبتدئ المكاشفات والمشاهدات حتى إنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتاً، ويقتبسون منهم فوائد» [١].

وينقلون عن ذي النون المصري [٢] قوله: «رأيت شاباً عند الكعبة يكثر الركوع والسجود، فقلت له فيه، فقال: أنتظر الإذن من ربي بالانصراف، فسقطت عليه رقعة فيها: من العزيز الغفور إلى عبدي الصادق انصرف مغفوراً لك» [٣].

ويزعمون أن الخضر – عليه السلام – يقابلهم ويبلغهم بأوامر ونواهٍ يعتبرونها.

ولا شك أن هذه الأقوال المنكرة ما هي إلا تشريع لدين جديد، لا يصح أن نعترض على شيء من شرائعه عندهم، وضعه لهم شيخهم إبليس اللعين فقد بين الله تعالى لنا أقواله في القرآن الكريم. فقال تعالى: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿ لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[٥]، وقد سبق بيان تحريم التحاكم إلى غير الله والحكم بغير ما أنزل الله.

ولسائل أن يسأل ما هي هذه الفوائد التي يقتبسونها من الملائكة، وهذه الرقاع التي تنزل عليهم؟! وما هي هذه الشريعة التي جاءوا بها؟! هل هي موافق لما في الكتاب والسنة أم مخالفة لهما؟!!

فإن كان موافقاً لا حاجة لنا به، وإن كان مخالفاً كان هذا اتهاماً للدين بعدم

---

(١) المنقذ من الضلال، للغزالي، ص ١٤٥.

(٢) ثوبان بن إبراهيم الإخميمي المصري أبو الفياض، أو أبو الفيض: أحد الزهاد، من أهل مصر، نوبي الأصل من الموالي، كانت له فصاحة وحكمة وشعر، وهو أول من تكلم بمصر في «ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية» فأنكر عليه عبدالله بن الحكم، واتهمه المتوكل العباسي بالزندقة، فاستحضره إليه وسمع كلامه، توفي بالجيزة بمصر سنة ٢٤٥هـ، الأعلام، للزركلي (٢/ ١٠٢) بتصرف يسير.

(٣) جامع كرامات الأولياء للنبهاني (١/ ٦٢٥)، ويا ليت شعري من أين جاءت هذه الرقعة؟!!ما أظنها إلا من شيطان مريد يريد إضلال هذا العبد!!

(٤) سورة ص، الآية: ٨٢.

(٥) سورة الحجر، الآية: ٣٩.

كماله ، إن كان في ذلك مخالفة لـه في الأخبار ، وإن كان في الأحكام عُدَّ نسخاً لهذا الدين[١] .

وهذا خلاف ما أجمعت عليه الأمة من تمام هذا الدين وكماله ، وختم الرسالات بنبوة محمد ﷺ ، وهم يعتقدون ذلك وقولهم هذا أشد قبحاً من فعل أهل الكتاب الذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ، كما ذكر الله تعالى عنهم: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾[٢] ، فهؤلاء كتبوا كتب الكفر والزندقة ، ثم زعموا أنها وحي منزل عليهم أنفسهم من عند الله تعالى وإنما هي في الحقيقة وحي الشيطان[٣] .

روى ابن جرير بسنده عن ابن عباس – ﷺ – قال: «كنت قاعداً عند ابن عباس فجاءه رجل من أصحابه ، فقال: يا ابن عباس ، زعم أبو إسحاق[٤] – يعني المختار بن أبي عبيد – أنه أوحى إليه الليلة ، فقال ابن عباس: صدق ، فنفرت[٥] فقلت: يقول ابن عباس صدق؟ فقال ابن عباس: هما وحيان: وحي الله ووحي الشيطان فوحي الله إلى محمد ، ووحي الشيطان إلى أوليائهم»[٦] .

---

(١) انظر: عقيدة ختم النبوة ، ص ١٦٣ ، مجموع الرسائل والمسائل ، (٤/ ٥٠/ ٥١) .

(٢) سورة البقرة ، الآية: ٧٩ .

(٣) انظر: مجموع الرسائل والمسائل ، لابن تيمية (٤/ ٥٠/ ٥١) .

(٤) المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي ، يكنى أبو إسحاق ، سكن البصرة بعد موت علي ، شهد مع ابن الزبير بداية الحرب مع الحجاج ، ثم ذهب إلى الكوفة ودعا الناس إلى إمامة محمد بن الحنفية ، وقال إنه استخلفه فبايعه جمع غفير وسار بهم إلى الكوفة ، وكان يتزين بطلب دم الحسين ، وكان يزعم أن ابن الزبير أمره أن يدعو الناس لمبايعة محمد بن الحنفية ، ثم ادعى أن محمد بن الحنفية هو المهدي المنتظر ، وقد غلب واشتهر أمره واستمر في الإمارة ستة عشر شهراً ، قال ابن حجر – رحمه الله – في ترجمته: «يكنى أبا إسحاق ، ولم يكن بالمختار ، ليست له صحبة ولا رؤية ، وأخباره غير مرضية ، حكاها عنه ثقات مثل الشعبي وغيره» أ.هـ ، انظر في ترجمته: الإصابة لابن حجر (٦/ ١٩٨-٢٠٠) ، الفرق بين الفرق للبغدادي ، ص ٣١-٣٧ ، الأعلام للزركلي (٧/ ١٩٢) .

(٥) المراد الراوي .

(٦) جامع البيان لابن جرير (٥/ ٢٠) .

٦- ادعاؤهم إحياء الموتى: يقول البريلوي [(١)] : «إن الأولياء يحيون الأموات ويبرئون الأكمه والأبرص ويطوف الأرض كلها بقدم واحد» [(٢)] .

ونقل الغلاة عن أحمد الرفاعي أنه دخل الرباط مع جماعة من القوم وفيه طفل نائم تحت الكساء ، فلما استقروا وغنوا كعادتهم بالسحر (!!) ورقصوا داسوا الطفل ، وقتلوه تحت أقدامهم ، فلما علم والده ضاق ذرعاً وذهبوا إلى أحمد الرفاعي فقام وبسط خرقة وصلى ركعتين ، ثم مد يده ودعا بدعوات ، ثم نادى الطفل يا فلان اقعد صل ، قال: فقام الطفل ملبياً كأن لم يكن به ألم [(٣)] .

وهذا من الكذب والافتراء ، فلا يستطيع أحد أن يحيي الموتى ، ولا يملك ذلك سوى الله تعالى ، أو من أعطاه تعالى هذا بإذنه كعيسى – عليه السلام – قال تعالى: ﴿ وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [(٤)] ، وكما في قصة الغلام المؤمن [(٥)] .

٧- إنهم يعلمون منطق الطير وسائر اللغات: وهذه قصة لأحد أولئك المفتونين وهو محمد مهدي الصيادي الرفاعي الحسيني الشهير بالرواس حيث يقول:

---

(١) أحمد رضا أبوه نقي علي وجده رضا علي ولد ١٢٧٢هـ ، سمى نفسه عبدالمصطفى وهو مؤسس طائفة البريلوية ، وهي طائفة من طوائف شبه القارة الهندية الباكستانية . . تخدم الاستعمار نادى بتعطيل الجهاد لهم عقائد باطلة منها الغلو في ذات النبي ﷺ والأولياء ولهم كفريات شنيعة ، انظر: البريلوية عقائد وتاريخ ، تأليف إحسان الهي ظهير ، ط . السادسة ، إدارة ترجمان السنة .

(٢) الحكايات الرضوية ، ص ٤٤ ، نقلاً من البريلوية عقائد وتاريخ ، إحسان الهي ، ص٧٤ .

(٣) انظر: جامع كرامات الأولياء ، للنبهاني (١/ ٤٩١) .

(٤) سورة آل عمران ، الآية: ٤٩ .

(٥) كما في صحيح مسلم ، رقم: ٣٠٠٥ ، (٤/ ٢٢٩٩-٢٣٠١) ، وقد وقعت بعض الكرامات لبعض اتباع محمد ﷺ كصلة بن أشيم عندما «مات فرسه ، وهو في الغزو ، فقال اللهم لا تجعل لمخلوق عليَّ منة ، ودعا الله عز وجل فأحيا له فرسه ، فلما وصل إلى بيته قال يا بني خذ الفرس فإنه عارية ، فأخذ سرجه فمات الفرس» الجواب الصحيح (١/ ٢٨٠) ، وهذه الكرامات ظهرت لهم لصلاحهم واستقامتهم ، ولم يطلبوها ويدعوها بالإضافة إلى إن ذلك حصل لهم بدعاء الله تعالى والتضرع إليه .

«كنت سنة اثنتين وخمسين ومائتين وألف في مكة المكرمة، في بيت الله الحرام، وقد استقبلت القبلة واشتغلت بذكر الله تعالى، فسمعت بلبلاً يبرقم بلغة كنت سمعتها في ديوان حضور(!!) وعلمنيها رجل غيبي، بأمر نبوي، فلذلك فهمت ما برقم به البلبل يخاطب رفيقاً له، فكتبت قوله والجواب الذي ردَّ له في هذه الصفحات المباركة القليلة، وإنها لمن أعجب العجائب، وأغرب الغرائب، يعرف سرها العارفون...».

ثم أطال في ذكر ما قال هذا البلبل الغريب!! هو وصديقه البلبل الآخر من كلام فيه من الكذب والافتراء والغلو ما لا يخفى على عاقل حتى قال:

«فقال البلبل الأول: ... وأنت بالله عليك هل تعرف أن هذا الملتحف بكسائه الرثّ المستقبل الكعبة هو يعلم لغتنا هذه، وقد فهم كل ما قلناه؟

فقال الثاني: لا والله ما علمت هذا.

قال الأول: بلى وهو من آل رسول الله ﷺ، ومن نوّابه الذين أشرت إليهم، ونوهت عليهم، وهو عالم الزمان وشيخ الأوان.

فقال الثاني: تعالى نتبرك به، ونقبل قدميه (!!)، وقد وجب ذلك بعد أن علمنا أنه علم ما قلناه، وفهم ما ذكرناه...».

وبعد ختام هذه الرواية الباطلة أعطاه البلبل صحيفة بيضاء وضعها فوق مقام إبراهيم – عليه السلام – (!!)

ثم بعد ذلك غاب عن الوجود للذة نشأته ستة أشهر لا يصحوا إلا في أوقات الفروض وباقي الأوقات غائب في سكر الضلال والتيه [1].

ولسائل أن يسأل من هو هذا الرجل الغيبي الذي جاء إليه وعلمه لغة هذا البلبل؟!! فإما أن يكون من الملائكة أو من الشياطين...

فإن كان من الأول فهل جاء أن الملائكة تأتي لتعلم الناس لغة الطيور والبلابل، وتخاطب الناس، وإذا جزمنا نفي الأول فيقال أنه من الشياطين أو أن هذه القصة بكاملها

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص ٨٢-٨٣.

كذب واختلاق لفتنة العباد، ثم هذا الولي!! إذا كان ولياً حقاً فهل يصدر من الأولياء تزكية أنفسهم ومدحها وادعاء الكرامات والتحدث بها!!

وهذه الصحيفة التي رماها عليه هذا البلبل، وما فيها من الكذب والغلو والمدح والتعظيم، هل وقع مثل ذلك لأحد من الصحابة وهم الذين – رضي الله عنهم وأرضاهم – وقرنهم خير القرون، وهم أفضل هذه الأمة بعد نبيها ﷺ.

ولو سلمنا بولايته واستحقاقه لهذا المديح، فهل نصدق بصحيفة يرمي بها طائر، ويكون ما فيها معتمداً موثقاً يصح العمل به ونسب ما فيه إلى أنه من الله تعالى؟! وهل يصح لعاقل أن يعتقد في شريعة الله اعتقاد مصدره صحيفة يرمي بها طائر؟!

وما هي حالة السكر التي أصابته لمدة ستة أشهر لا يفيق إلا في أوقات الصلاة؟!

ومن هنا تتجلى مكايد إبليس من خلال هذه الوقائع ومنها:

١- فتنته لهذا الرجل بإسماعه صوت الطائر في ديوان حضور سابق ليألف صوته، مجيئه بصورة رجل غيبي وتعليمه للغة هذا الطائر.

٢- استغلال وقت العبادة والجلوس في المسجد الحرام لإيهامه إن هذه الحال جاءت لشدة العبادة والإقبال على الله تعالى، فيصدقها بعكس لو جاءه في وقت غفلة أو ذنب.

٣- المديح والإطراء عليه، وهذا هو مدخل إبليس الخفي على النفوس حيث يشغلها بالمدح لتخدع بمعسول الكلام عن الحق وقبوله.

وتأمل قولهم: «تعال نتبرك به ونقبل قدميه، وقد وجب ذلك بعد أن علمنا أنه علم ما قلناه، وفهم ما ذكرناه...».

٨- ادعاء العصمة لهم: ودعوى عصمة الأئمة أكثر من قال بها الرافضة والمتصوفة [(١)]، يقول بعض علمائهم: «إن الإمام يتعين بالنص من النبي، ولا يجوز لنبي إغفال النص على خليفته وتفويض الأمر إلى اختيار الأمة، وأن الإمام معصومٌ من الكبائر

---

(١) ذهب كثير من المحققين والباحثين إلى أن عقيدة الصوفية مأخوذة من عقيدة الرافضة، انظر: مجموع الفتاوى (١١/٤٣٩)، الصفدية، ص ٢٦٢، التصوف المنشأ والمصادر، ص ١٦٢، ولاية الله والطريق إليها، ص ٧٠-١٠٧، الصوفية معتقداً ومسلكاً، ص ١٠١.

والصغائر . .»[(١)] .

ويقول الطبرسي[(٢)] في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[(٣)]: «استدل أصحابنا بهذه الآية على أن الإمام لا يكون إلا معصوماً عن القبائح لأن الله سبحانه نفى أن ينال عهده الذي هو الإمامة ظالم، ومن ليس بمعصوم فقد يكون ظالماً إما لنفسه وإما لغيره . . .»ا . هـ[(٤)] .

وأما الصوفية فيعبرون عنها (بالحفظ) يقول القشيري[(٥)] : «الولي له معنيان أحدهما: فعيل بمعنى مفعول، وهو من يتولى الله سبحانه أمر، قال الله تعالى: ﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[(٦)] ، فلا يكله إلى نفسه لحظة، بل يتولى الحق سبحانه رعايته، والثاني: فعيل مبالغة من الفاعل، وهو الذي يتولى عبادة الله وطاعته، فعبادته تجري على التوالي من غير أن يتخللها عصيان»أ. هـ[(٧)]، ويقول أيضاً: «ومن شرط الولي: أن يكون محفوظاً، كما أن من شرط النبي أن يكون معصوماً» أ. هـ[(٨)] .

وفي الرد عليهم يقول ابن تيمية: «وأما عصمة الأئمة فلم يقل بها إلا - كما قال[(٩)]

---

(١) الشيعة والحاكمون، لمحمد جواد مغنية، ص ١٢-١٣ .

(٢) الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي، مفسر، محقق لغوي من الشيعة الإمامية، نسبته إلى طبرستان، توفي ٥٤٨هـ، من مؤلفاته: «مجمع البيان في تفسير القرآن»، وغيرها، الأعلام، للزركلي (١٤٨/٥) .

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٢٤ .

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن (١/ ٣٨٠) .

(٥) عبدالكريم بن هوازن بن عبدالملك ابن طلحة النيسابوري القشيري، من بني قشير ابن كعب، أقام بنيسابور ومات فيها سنة ٤٦٥هـ، أخذ التصوف عن أستاذه أبي علي الدقاق، من كتبه «الرسالة القشيريه»، وكتاب: «لطائف الإشارات» وغيرهما، انظر: تاريخ بغداد، (١١/ ٨٣، طبقات الشافعية، (٥/ ١٥٣-١٦٢) .

(٦) سورة الأعراف، الآية: ١٩٦ .

(٧) الرسالة القشيرية، للقشيري (٢/ ٥٢٠) .

(٨) المرجع السابق (٢/ ٥٢١) .

(٩) يقصد شيخ الإسلام الرافضي ابن المطهر الحلي .

– الإمامية والإسماعيلية[1] ، وناهيك بقول لم يوافقهم عليه إلا الملاحدة المنافقون الذين شيوخهم الكبار أكفر من اليهود والنصارى والمشركين»أ. هـ[2] .

والشيعة الإمامية أول من قال بالعصمة لغير الأنبياء[3] وهم يزعمون أنهم أخذوا هذا القول عن أئمة أهل البيت وهذا باطل من وجوه:

منها: أن هذا مخالف لما أثر عن أئمة البيت – رحمهم الله جميعاً ورضي عنهم –، **ومنها:** أن الشيعة الإمامية مخالفون لعقائد أهل بيت رسول الله ﷺ في الصفات والقدر والإمامة وغيرها من مسائل الدين ، **ومنها:** أنهم مختلفون كثيراً فيما بينهم ، فأي مذهب هو الصحيح وأي معصوم منهم هو الأصوب للأخذ برأيه ، **ومنها:** إن أقوالهم هذه لا أسانيد لإثبات صحة نسبة القول إلى الإمام والحكم عليه بالصحة أو البطلان كما هو منهج أهل السنة[4] .

كما أن ما ادعاه هؤلاء من العصمة والوصاية وغيرهما دعوى مجردة من الدليل وما جاء من الأدلة عندهم لا تخلو من أمرين:

الأول: استدلالهم بالنص الصحيح على غير وجهه وتأويلهم إياه تأويلات باطلة .

الثاني: وضعهم الأحاديث التي تؤيد مذهبهم ، وزعمهم أن هذا منقول عن النبي ﷺ ، وإن كان مقصود الرافضة بأن هؤلاء الأئمة لديهم من العلم والدين ما يؤهلهم أن يكونوا أئمة مطاعين ، فهذا ليس قاصراً عليهم ، بل في الأئمة سواهم كثير ، ممن نفع الله بعلمه ، وممن نقلوا الأحاديث والآثار رواية ودراية .

وأئمة الشيعة لا يخلو الواحد منهم من إحدى حالتين:

---

(١) الإسماعلية: ينتسبون لإسماعيل بن جعفر ، واختلفوا في موته فمنهم من قال بموته ، ومنهم من قال: إنه لم يمت وإنما أظهر موته تقية ومن أشهر القابهم الباطنية وسموا بذلك لقولهم بأن لكل ظاهر باطن ، ومن ألقابهم القرامطة ، والمزدكية ، وهم من فرق الشيعة الغلاة وقد خلطوا كلامهم بآراء الفلاسفة ، وصنفوا في ذلك المصنفات ، انظر: الملل والنحل ، للشهرستاني (١/ ١٩١ وما بعدها) .

(٢) منهاج السنة ، لابن تيمية (٣/ ٣٧٤) ، تحقيق: رشاد سالم .

(٣) انظر: جامع الرسائل ، لابن تيمية ، ص ٢٦٤ .

(٤) انظر: منهاج السنة (٤/ ١٦-١٩) .

الأولى: أن يكون الإمام موجوداً، وهذا تعترف به أهل السنة، وتعتقد علمه وفضله، لكن لا تقول بعصمته، كما إنها تأتم به وبغيره من العلماء والأئمة من غير آل البيت، ولا تفضل واحداً منهم على ما أجمعت الأمة على تفضيله كأبي بكر وعمر وعثمان.

الثاني: الإمام المعدوم الذي في السرداب والذي لا يُرى، ولا تعلم حاله، ويقوم بالولاية عنه فاسق أو كافر أو ظالم فهذا تنكره أهل السنة وتخالف مدعيه [١].

وما استدلوا به على عصمة الأئمة من قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾[٢]، لا دليل فيها على عصمة الأئمة من وجوه:

الأول: إنهم يرمون في تأويل هذه الآية، بهذا التأويل نفي صحة ولاية الشيخين أبي بكر وعمر – رضي الله عنهما– مع ثبوتها بإجماع الصحابة وغيرهم في ذلك العصر مع جلالتهما، وسابقتهما في الإسلام، وعليه فقولهم مردود، لفساد أصله، وليس في الآية نص على تعيين إمام معين فقولهم هذا تعسف.

الثاني: أن العلماء قد اختلفوا في العهد الذي لا يناله الظالم، فقيل: هو النبوة، وقيل: دين الله، وقيل: الإمامة [٣]، والجزم بقول واحد، لابد فيه من إقامة الدليل.

الثالث: لا اختلاف في أن الظالم لا يمكن أن يكون إماماً يقتدى به، ولكن على قول الرافضة يصبح جميع أفراد الأئمة – عدا الرافضة وأئمتهم – ظالمين، وهذا قول لم يقل به أحد.

الرابع: إن بين لفظ «الظلم» ولفظ «العصمة» اختلافاً، وتبياناً ولا يلزم من انتفاء العصمة، ثبوت الظلم، وإلا لكانت الأمم غير الأنبياء ظالمين.

الخامس: إن ثبوت العصمة لبشر، أمر يتنافى مع الطبيعة البشرية، ولا يمكن الجزم

(١) انظر: منهاج السنة، لابن تيمية (٤/ ١٠٣-١١٩).
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.
(٣) انظر: جامع البيان، لابن جرير الطبري (١/ ٥٣٠-٥٣٢).

به لأحد، ما لم يدل على ذلك دليل قطعي [(١)] ، والعصمة لم تثبت لبشر غير الأنبياء - عليهم صلوات الله وسلامه - وهذه العصمة فيما يبلغون عن الله تعالى، ولو ثبت لأحد لكان أحق بها عمر بن الخطاب وقد شهد له رسول الله ﷺ بأنه من المحدثين، كما سبق في قوله ﷺ : (لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس محدثون فإن يك من أمتي أحد فإنه عمر)، وأن الشيطان يفر من طريقه، ومع ذلك فهو يخطئ ويصيب، ويراجعه أصحابه ويرجع إلى أقوالهم [(٢)] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : «وهذا الذي ذكرته من أن أولياء الله يجب عليهم الاعتصام بالكتاب والسنة، وإنه ليس منهم معصوم يسوغ له أو لغيره اتباع ما يقع في قلبه من دون اعتبار بالكتاب والسنة، وهو مما اتفق عليه أولياء الله عز وجل ومن خالف في هذا فليس من أولياء الله سبحانه الذين أمر الله باتباعهم، بل إما أن يكون كافراً وإما أن يكون مفرطاً في الجهل» أ. هـ [(٣)] .

ومما يرد عليهم هذا القول أيضاً: إن الله وصف الأولياء بالإيمان والتقوى، وفي آية أخرى وصفهم بالتقوى مع وقوع بعض السيئات فدل على أن تقواهم لا تمنع من وقوع بعض الآثام لعدم العصمة [(٤)] ، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [(٥)] .

وهذا الغلو أوقعهم في الشرك الأكبر - والعياذ بالله - إذ أصبحوا يتبركون بهم ويستشفعون بهم، ويقدمون لقبورهم القرابين، ويعتقدون أن بيدهم النفع والضر بل زاد

---

(١) انظر: الإمامة عند الجعفرية، لعلي أحمد السالوس، ص ٤٧-٥٢ .
(٢) انظر: مجموعة الرسائل والمسائل، لابن تيمية (١/ ٥٣) .
(٣) الفرقان، ص ٣٧ .
(٤) انظر: مجموع الرسائل والمسائل، لابن تيمية (١/ ٥٤) .
(٥) سورة الزمر، الآيات: ٣٣-٣٥ .

شركهم عن شرك أهل الجاهلية [١] .

يقول الاسفراييني [٢] – رحمه الله –: واعلم أن هذه (المقالة) [٣] التي رويناها عن الروافض ليست مما يستدل على فسادها ، فإن العاقل ببديهة العقل يعلم فسادها وينكر عليها ، فلا يمكن أن تحمل منهم هذه المقالات إلا على أنهم قصدوا بها إظهار ما كانوا يضمرونه من الإلحاد والشر بموالاة قوم من أشراف أهل البيت ، وإلا فليس لهم دليل يعتمدون عليه» [٤] .

أما لفظ التصوف فلم يعرف إلا بعد القرون الثلاثة الأول [٥] ، ومن هنا ، فهو بدعة منكرة ، وطريقة مستحدثة ، وهو معول هدم في جسم الأمة الإسلامية ، ولننظر إلى حال السلف الصالح فمن سار على نهجهم فهو ولي ، ومن خالف ذلك فليس بولي ، وما عليه غلاة الصوفية من بدع وغلو – شابهوا فيه الرافضة – مخالف تماماً لما كان عليه السلف الصالح – رضوان الله عليهم أجمعين – والشيعة والصوفية بهذا قد جعلوا الولاية قصراً لطائفة مخصوصة تنتقل إليهم بالوراثة والنسب ولا حق لغيرهم فيها .

٩- خروجهم عن الصفات البشرية في بعض الأحوال:

يقول صاحب كتاب سيماء الأولياء: «سألت السيد [٦] بأنني سمعت أن يدك حينما كانت مكسورة ووضعت عليها الزفت بأمر الطبيب ، قالوا لك: ألا تزيل الزفت حتى ينقشع من ذاته ، فماذا فعلت؟ قال: نعم ، كان الأمر كذلك ولم ينقشع الزفت عن يدي لمدة أربعة عشر يوماً قلت: وكيف كنت تتوضأ طيلة تلك المدة؟ قال: صدر الأمر –

---

(١) انظر: تطهير الاعتقاد ، للشوكاني ، ص ٢٦-٣٣ .

(٢) شهفور بن طاهر بن محمد الاسفرايني ، أبو المظفر ، فقيه أصولي ، مفسر صنف التفسير الكبير ، وصنف في الأصول ، توفي سنة ٤٧١هـ ، انظر: طبقات الشافعية (٥/ ١١) ، الأعلام للزركلي (٣/ ١٧٩) .

(٣) بالأصل مقاتلة وهو خطأ لفظي .

(٤) التبصير في الدين ، ص ٤٠ ، للاسفرايني .

(٥) انظر: رسالة الصوفية والفقراء ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ١٣ .

(٦) يقصد شيخه ووالده حسن على الأصفهاني .

حسب المشيئة الإلهية – إلى طبيعتي البشرية بالتوقف عن أي عمل ونشاط، وألا يمر النوم على عيني، ولم يعرض لي خلال هذه المدة ما يبطل الوضوء.. .إلخ»[(١)] .

كما أنهم ينفون عن الأولياء وقوع الموت، فهم لا يموتون بزعمهم ولكن ينتقلون من دار إلى دار[(٢)] .

ولا شك أن هذه الأقوال لا يمكن تصديقها، حتى الأنبياء – صلوات الله وسلامه عليهم – لم تنتف عنهم هذه الأحوال، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ﴾[(٣)]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾[(٤)]، فأنى لهؤلاء المبتدعة أن يأتوا بعد ذلك ويدعوا أن مشايخهم لا يموتون وإنما ينتقلون من دار إلى دار، ولا شك أن ذلك من التلبيس، وخداع العوام.. .!!

١٠- ادعاء علم الغيب: ومن أمثلة ذلك ما ذكره علي الأصفهاني عن الميرزا علي الجابري الأصفهاني في سنة ١٣٦٣هـ، قال:

«عزمت على زيارة مدينة شهد المقدسة فأوصاني السيد محمد صادق خاتون آبادي وأكّد علي بضرورة زيارة الشيخ حسن علي الأصفهاني في مشهد، عند عودتي سألني السيد خاتون آبادي: كيف وجدت الشيخ؟ قلت: لا بأس به، قال: إنك لم تعرفه حق معرفته، ولكن إذا واجهتك مشكلة فاتجه إليه، مرّت عليّ هذه الحادثة سنوات عديدة لم أر فيها الشيخ ولم أراسله إلى أن كانت أواخر سلطه رضاشاه، حيث جاءت مجموعة من الناس إلى المحكمة تشكو أن جلاوزة الشاة قد غصبوا أملاكهم وألحقوها بأملاك الشاه، فأصدرت حكمي ضد البلاط ورجعت إلى أصفهان. بعدة عدة أيام أخبرت بوجوب الذهاب إلى مركز الشرطة، لكنني وبدلاً من الذهاب إلى هناك ذهبت، إلى دار أحد أصدقائي، وتواريت فيها؛ وفي أحد الأيام تذكرت حديث السيد محمد صادق، وما

---

(١) سيماء الأولياء وكراماتهم، لعلي المقدادي الأصفهاني، ص ٢٣ .

(٢) انظر المرجع السابق، ص ٤٠ .

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٢٠ .

(٤) سورة الزمر، الآية: ٣٠ .

أوصاني به بأن أتوجه إلى الشيخ حسن علي ، فيما لو وقعت في مأزق ، فكَّرت أول الأمر بمراسلته لكنني تصورت أن الرسائل خاضعة للرقابة في طهران ، ولهذا السبب صرفت النظر عن مراسلته ، بعد أيام جاء رجل إلى الدار التي كنت مختفياً فيها ، وأخبر صاحب الدار أنه يحمل رسالة من الشيخ حسن علي الأصفهاني إلى الميرزا على الجابري على عنوان هذه الدار ، فصرخت من مكاني: نعم الرسالة لي ، فتح صاحب الدار الباب وتسلمت الرسالة من الرجل ، وكان مكتوب فيها: لقد خشيت أن تكتب لي رسالة ، أما أنا فلا أخشى عملاً كهذا ، وتضمنت الرسالة تعليمات أيضاً عليّ القيام بها خلال ثلاثة أيام ليحصل الفرج بعدها بإذن الله (!!)

واصلت الذكر والدعاء لثلاثة أيام . كما أوصاني ، ومن بعدها وصلتني برقية من أصفهان تشير إلى أن بلاط الشاه طلب حضوري ، وأنني سأحظى برعاية الشاه شخصياً ، ذهبت من فوري إلى أصفهان ثم إلى طهران ، واتجهت إلى بلاط رضا شاه ، كافأني الشاة وأجزل لي العطاء ، ثم رجعت إلى محل عملي ورقيت فيه درجة(!!)» [(١)] .

ومن القصص الغريبة التي فيها ادعاء علم الغيب ما نقل عن آخر [(٢)] أنه قال: «في أحد الأيام التمستني امرأة علوية فقيرة ، عباءة ومقنعة ، فقلت لها: ليس عندي الآن ما يسد حاجتك ، وصادف أن ذهبت في ذلك اليوم إلى الشيخ حسن علي الأصفهاني وعرضت عليه حاجتي ، ولما أردت الخروج من عنده ، أعطاني مبلغاً من المال وقال: اشتري بهذا المبلغ عباءة ومقنعة لتلك العلوية ، ثم أضاف إلى ذلك توماناً وحوالة لاستلام ثلاث كيلو غرامات من الرز لأقدمها لها .

بقيت مندهشاً متفكراً كيف عرف الشيخ امرأة طلبت مني عباءة ومقنعه ، نهضت من عنده ، فخطر على ذهني ألا أعطيها التومان وحوالة الرز حالياً بل أرسلهما لها فيما بعد ، ولكن تناهت إلى سمعي صيحة من الشيخ أن أفعل ما أمرتك ولا تتصرف من

(١) سيماء الأولياء وكراماتهم ، على الأصفهاني ، ص ٥٤-٥٥ ، وتأمل ما فيها من المنكرات وما فيها من المبالغات والتهويل لشأن هذا الرجل واطلاعه بما يدور في السرائر ، نسأل الله العافية والسلامة .

(٢) هو مختار الروحاني كما ذكره المؤلف .

عندك(!!)»[(١)] .

ويقول البريلوي: «رأينا جماعة علموا متى يموتون وعلموا ما في الأرحام حال حمل المرأة وقبله»[(٢)] .

ومن ادعاء الغيب عند أولياء الشيطان ادعاؤه عن طريق الكهانة والعرافة والتنجيم ، وقد سبق في مكايده في مسائل توحيد الألوهية .

١١- تفضيلهم على أبي بكر وعمر وسائر الصحابة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والرافضة تجعل الأئمة الاثنى عشر أفضل من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وغاليتهم يقولون: إنهم أفضل من الأنبياء لأنهم يعتقدون فيهم الإلهية ، كما اعتقدته النصارى في المسيح والنصارى يقولون إن الدين مسلم للأحبار والرهبان ، فالحلال ما حللوه ، والحرام ما حرموه والدين ما شرعوه ، والرافضة تزعم أن الدين مسلم إلى الأئمة ، فالحلال ما حللوه والدين ما شرعوه»[(٣)] .

وقد نقل صاحب كتاب الرماح عن شيخه أحمد التجاني قوله: «قدماي هاتان على رقبة كل ولي لله تعالى من لدن آدم إلى النفخ في الصور . .» ، وقوله: «إن مقامنا عند الله في الآخرة لا يصله أحد من الأولياء ولا يقاربه من كبر شأنه ، ولا من صغر ، وأن جميع الأولياء من عصر الصحابة إلى النفخ في الصور ليس فيهم من يصل مقامنا»ا .هـ[(٤)] .

ومن خلال هذه المكايد توصل إبليس إلى إيقاع العباد في ضلالات عظيمة أبلغها الشرك بالله تعالى ، وهو غاية أهدافه ومساعيه ، فقد أقسم بعزة الله: ﴿ فَبِعِزَّتِكَ

---

(١) سيماء الأولياء وكراماتهم ، علي الأصفهاني ، ص٦٠ .
(٢) خالص الاعتقاد ، للبريلوي ، ص ٥٣ ، نقلاً من البريلوية عقائد وتاريخ ، لإحسان إلهي ظهير ، ص٩٢ .
(٣) دقائق التفسير (٢/ ١٥٢) .
(٤) الرماح ، عمر سعيد الفوتي (٢/ ٥) ، مطبوع بهامش جواهر المعاني .

لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[١] ، وتوصل بهذه المكايد إلى أن من رأى أحمد التيجاني يدخل الجنة بلا حساب ولا عذاب ، ولا مطمع له في عليين إلا أن يكون ممن ذكرهم التيجاني [٢] ، وأن من أخذ ذكر منه غفرت ذنوبه [٣] ، وأن الأوراد التي يلقنها أصحابه أفضل من القرآن [٤] ، وغير ذلك مما تعد التيجانية نموذجاً واحداً لها . . فكيف بمئات الطرق الصوفية التي فيها من تعظيم الشيوخ والغلو فيهم الشيء الكثير الذي يخرج أغلبه عن ملة التوحيد ، حتى وصل بهم الحال إلى تقديمهم على أنبياء الله ورسله!!

ومن خلال ما سبق تظهر الأسباب التي أدت على وقوعهم في هذه المكايد ومنها:

١- الرضا بالجهل بالدين – وقد سبق بيان ذلك وبينت كونه سبباً من أسباب الانحراف بالفطرة [٥] – فلما عمّ الجهل بمقاصد الشريعة وحدودها ، وعمّ الجهل بفهم النصوص فأُولت ، وجاء من انحرف بها ولوى أعناقها لتأييد مذهب باطل ، أو اجتهاد خاطئ ، وسار الاتباع على منوال شيوخهم الذين جعلوا همهم ترديد أذكار البدع والضلال التي جعلوها أفضل من القرآن بمئات المرات ، فأنى لهذه العقول أن تصدق بمثل هذه الخرافات والترهات لولا الجهل؟!

٢- اتباع الهوى ، قال تعالى: ﴿ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾[٦] .

٣- وضع الأحاديث المنكرة والموضوعة لتأييد مذاهبهم ونشر باطلهم وأكثر من شاع عنهم ذلك الشيعة [٧] .

---

(١) سورة ص ، الآية: ٨٢ .

(٢) انظر: جواهر المعاني ، لعلي الفاسي (١/ ١٢٩) .

(٣) انظر: المرجع السابق (١/ ١٣٠) .

(٤) انظر: المرجع السابق (١/ ١٣٦) .

(٥) انظر ص

(٦) سورة الروم ، الآية: ٢٩ .

(٧) يقول ابن أبي الحديد الرافضي ، صاحب كتاب شرح نهج البلاغة: «واعلم أن أصل الأكاذيب =

ومما يؤيد هذا ما رواه مسلم عن عبدالله بن مسعود – رضي الله عنه – قال: (إن الشيطان ليتمثل في صورة الرجل، فيأتي القوم، فيحدثهم بالحديث من الكذب فيتفرقون، فيقول الرجل منهم: سمعت رجلاً أعرف وجهه ولا أدري ما اسمه يحدِّث)[1].

٤– تعليقهم بأذكار مبتدعة والترويج بفضلها لإبعاد الناس عن القرآن الكريم والسنة النبوية، كما في صلاة الفاتح حيث جاء في فضلها – في كتبهم – «... إن المرة الواحدة منها تعدل من القرآن ست مرات، ثم أخبرني ثانياً: أن المرة الواحدة منها تعدل من كل تسبيح وقع في الكون، ومن كل ذكر ومن كل دعاء كبير أو صغير ومن القرآن ستة آلاف مرة لأنه من الأذكار»[2].

٥– الظهور في صورة الصالحين، وإسداء النصح بحيل شيطانية، قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : «والخوارق التي يضل بها الشياطين لبني آدم مثل تصور الشيطان بصورة شخص غائب أو ميت، ونحو ذلك ضل بها كثير من الناس المنتسبين إلى المسلمين أو إلى أهل الكتاب وغيرهم، وهم بنو ذلك على مقدمتين:

إحداهما: أن من ظهرت هذه على يديه فهو ولي لله، وبلغة النصارى هو قديس عظيم.

الثاني: أن من يكون كذلك فهو معصوم، وكل ما يخبر به حق، وكل ما يأمر به فهو عدل، وقد لا يكون ظهرت على يديه خوارق، لا رحمانية ولا شيطانية، ولكن صنع حيلة من حيل أهل الكذب والفجور، فيظن أن ذلك من العجائب الخارقة للعادة» أ.هـ[3].

وقال – رحمه الله – : «والشيطان إنما يضل الناس ويغويهم بما يظن أنهم يطيعونه

= في أحاديث الفضائل كان من جهة الشيعة، فإنهم وضعوا في مبدأ الأمر أحاديث مختلفة في صاحبهم، حملهم على وضعها عداوة خصومهم» أ.هـ، (١١/٤٨–٤٩)، قال المغيرة: (لم يكن يَصدُق على علي – رضي الله عنه – في الحديث عنه، إلا من أصحاب ابن مسعود) صحيح مسلم المقدمة (١/١٤).

(١) رواه مسلم في المقدمة، رقم: ٧، (١/١٢).

(٢) روح المعاني، لعلي الفاسي (١/١٣٦).

(٣) الجواب الصحيح، لابن تيمية (١/٣٢٥).

فيه فيخاطب النصارى بما يوافق دينهم، ويخاطب من يخاطب من ضلال المسلمين بما يوافق اعتقاده وينقله إلى ما يستحب لهم فيه بحسب اعتقادهم ...»أ. هـ[١].

ويقول أيضاً: «ويتمثل لمن يستغيث به من ضلال المسلمين بشيخ من الشيوخ في صورة ذلك الشيخ، كما يتمثل لجماعة ممن أعرفه في صورتي وفي صورة جماعة من الشيوخ الذين ذكروا في ذلك، ويتمثل كثيراً في صورة بعض الموتى، تارة يقول: أنا الشيخ عبدالقادر.. وتارة يقول: أنا أحمد الرفاعي... وإذا كان يقول أنا المسيح، أو إبراهيم أو محمد؛ فغيرهم بطريق الأولى، والنبي ﷺ قال: (من رآني في المنام فقد رآني حقاً، فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي)[٢] ... فرؤيا الأنبياء في المنام حق، وأما رؤية الميت في اليقظة فهذا جني تمثل في صورته...»أ. هـ[٣].

ومن القصص الغريبة الدالة على ذلك ما ذكره شيخ الإسلام - رحمه الله - عن «شيخ بمصر أوصى خادمه، فقال: إذا أنا مت فلا تدع أحداً يغسلني، فأنا أجيء وأغسل نفسي، فلما مات رأى الخادم شيخاً في صورته فاعتقد أنه هو دخل وغسل نفسه، فلما قضى ذلك الداخل غسله - أي غسل الميت - غاب، وكان ذلك شيطاناً كان قد أضل الميت، وقال: إنك تجيء وتغسل نفسك، فلما مات جاء أيضاً في صورته ليغوي الأحياء

---

(١) المرجع السابق (١/ ٣٢٠).

(٢) * يقول عمر سعيد الفوتي صاحب كتاب الرماح نقلاً عن بعض شيوخه: «ولقد رأيته جاء إلي بصورة الخضر في زاوية نور اباد في خراسان في الخلوة، فقلت بعد كلام معه أريد أن أسمع منك حديثاً، سمعته من رسول الله ﷺ بلا واسطة، كما سمع الشيخ ركن الملة والدين علاء الدولة - قدس الله سره- منك بلا واسطة فتغير ثم إذا افتتحت الحديث وقلت قال رسول الله ﷺ إذا رأيت الرجل حجوحاً معجباً برأيه فقد تمت خسارته (!!) قام وهرب فتغير الصورة الخضروية إلى صورة لص مكدرة فقصدت أخذه فلم أدركه...»أ. هـ، بهامش جواهر المعاني (١/ ١٤٢). فتعجب كيف يضل هؤلاء الشيوخ بصورة الخضر الذي يزعمون - وكيف تمكنوا من معرفة صورته - وكيف اختفى عند ذكر الصلاة على النبي ﷺ، ومع ذلك فللأسف الشديد خدعوا وضلوا ضلالاً بعيداً وعلى رأسهم مؤلف الرماح الذي ينقل هذا الكلام ثم يقع في أعظم منه، عافانا الله وإياكم.

(٣) الجواب الصحيح، لابن تيمية (١/ ٣٢١).

كما أغوى الميت قبل ذلك»(١) .

وقد يتصور لهم الشيطان في صورة طائر كالبلبل ونحوه من الطيور ويتكلم بلغة يفهمونها ، كما سبق في قصة محمد بن مهدي الرفاعي الشهير بالرواس(٢) .

٦- الرؤى المنامية الشيطانية التي يتراءى لهم إبليس ، منها معظماً حال هؤلاء الأولياء ، وهي على قسمين:

أ- الرؤى التي يراها هؤلاء الأولياء المفتونون من حزب إبليس فيصدر لهم أوامره بإسقاط الفرائض عنهم بل جميع العبادات وهذه تكثر عن شيوخ الطرق وأربابهم .

ب- الرؤى التي يراها أتباعهم ، حتى جعلوا الوقوف بين يدي الولي أفضل من عبادة الله وجعلوه موعظة من نبينا محمد ﷺ فينقل عن أحد هؤلاء الأتباع أنه رأى النبي ﷺ في المنام فقال: عظني يا رسول الله ، فقال له – عليه الصلاة والسلام – : وقوفك بين يدي ولي لله كحلب شاة أو كشي بيضة خير لك من أن تعبد حتى تتقطع إرباً إرباً ، قال حيا كان أو ميتاً يا رسول الله ، قال: حياً كان أو ميتاً . . .»أ.هـ(٣) !!

هذه بعض الأسباب التي جعلت إبليس ينشر أباطيله ، ويفتن كثير من العباد بتعظيم الأشخاص وتقديسهم ، ولهذا كان له مجال آخر في مسائل الغيبيات التي فتن بها كثير من الخلق كما سيأتي في الفصل القادم – إن شاء الله – .

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١١/ ٢٨٨) ، وانظر: الجواب الصحيح (١/ ٣١٩) .
(٢) انظر ص
(٣) رسالة بعنوان «فذلكة الحقيقة في أحكام الطريقة» ، لمحمد مهدي الرفاعي الحسيني ، ص ١٨١ ، ضمن المجموعة النادرة لأبناء الآخرة .
* أقول: وماذا يفعل في وقوفه بين يدي الولي ، هل هو لتقبيل القدمين واليدين؟ أم للانحناء والخضوع؟! أم للتضرع والدعاء . .؟!
وأين الدليل على ما تقولون؟ أم أنه الهوى الذي يجعلنا نأخذ الدين والأحكام من الرؤى والمنامات!!
ومن العجيب أنه يرد على نفسه في الكتاب نفسه ، ص ٢٣٦ ، في المادة (٣٤٣) فيقول: «عدم الاغترار بالمنامات كيف كان ، فإن من غرته المنامات تحت طي المنى مات وحدها التفاؤل الحسن بالرؤية الصالحة ، والاشتغال كل الاشتغال بالأعمال الصالحة . . .»أ . هـ .
يقول ص ٢٣٥: «رد ما يقع في الخاطر ويزعمه الزاعم إلهاماً ولم يكن مطابقاً للأحكام الشرعية فإن الجنيد – رضي الله عنه – قال: قد تقع في خاطري النكتة من علوم القوم فلا أقبلها إلا بشاهدين عادلين الكتاب والسنة»!!

الفصل الثالث

مكايد الشيطان في مسائل الغيبيات

المبحث الأول: مكايده في مسائل الإيمان بالملائكة :

إن مكايد إبليس في مسائل الغيبيات كثيرة وخطيرة، حيث وجد في هذا الباب مرتعاً خصباً لوساوسه وتلبيساته إذ لا مجال للمشاهدة والتحقق، فاستطاع الدخول من هذا المدخل لضعاف الإيمان واليقين.

ومن هذه المسائل التي كاد العباد بها، المسائل المتعلقة بالإيمان بالملائكة، فالإيمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الإيمان، قال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾[1] .

وقوله: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[2]، والملائكة جمع ملك أصلها «مألك بتقديم الهمزة، من الألوك، وهي الرسالة، ثم قلبت وقدمت اللام فقيل: ملاك.. ثم تركت همزته لكثرة الاستعمال، فقيل: ملك، فلما جمعوا ردوها إليه فقالوا: ملائكة وملائك...»[3] .

وقيل: أصله: ألك[4] ، وقيل أصله: ل أ ك[5] ، وكلها مشتقة من الرسالة، والملائكة في اصطلاح الشرع مخلوقات نورانية، وهم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، لهم قدرة على التشكل بأشكال مختلفة، وهم من عالم الغيب الذي أمرنا بالإيمان به، ولهم صفات عظيمة ووظائف جسيمة[6] ، والإيمان بهم يقتضي:

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥ .

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٧٧ .

(٣) الصحاح (٤/ ١٦١١) .

(٤) انظر: بصائر ذوي التمييز (٤/ ٥٢٤) .

(٥) انظر: المرجع السابق نفس الجزء والصفحة، النهاية في غريب الحديث (٤/ ٣٥٩) .

(٦) منهاج السنة (٢/ ٥٣٣-٥٣٨)، والإيمان بالملائكة، للشيخ صالح الفوزان، ص ٥-٦ .

أولاً: الإيمان بوجودهم .

ثانياً: الإيمان بأنهم عباد الله المكرمون ، لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ، وهذا ينفي اعتقاد أنهم متولدون عن الله عز وجل ، أو أنهم عقول فعالة تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

ثالثاً: الإيمان بهم على سبيل الإجمال والتفصيل ، فالإجمال بهم جميعاً ، والتفصيل فيمن ذكرهم الله جل وعلا في كتابه ، أو ذكر لنا رسوله ﷺ في سنته مما ثبت ، وصح عنه كجبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، ورضوان خازن الجنة ، ومالك خازن النار ، وحملة العرش ، والكربيين ، وملك الموت [(١)] .

رابعاً: الإيمان بما جاء من صفاتهم ، ومن ذلك أنهم خلقوا من النور ، وأن لهم أجساماً عظيمة ، وأن لهم أجنحة ، قال تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾[(٢)] .

وفي الحديث عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ : (إذا قضى الله الأمر في السماء ، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله ، كأنه سلسلة على صفوان ، قال علي [(٣)] : وقال غيره: صفوان ينفذهم ذلك ، فإذا فُزِّع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم ، قالوا: الحق وهو العلي الكبير) [(٤)] .

ومن صفاتهم أيضاً القوة في العبادة كما وصفهم جل ذكره بقوله: ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[(٥)] ، ومن صفاتهم أيضاً جمال المنظر وحسنه وبهاؤه ، ومن

---

(١) قال ابن كثير - رحمه الله - : «وأما ملك الموت فليس بمصرح له باسمه في القرآن ولا في الأحاديث الصحاح ، وقد جاء تسميته في بعض الآثار بعزرائيل والله أعلم»أ. هـ ، البداية والنهاية (١/ ٤٢) .

(٢) سورة فاطر ، الآية: ١ .

(٣) أحد رواة الحديث .

(٤) رواه البخاري ، رقم: ٧٠٤٣ ، (٦/ ٧٢٠) ، وفي كتاب: «التفسير» ، رقم: ٤٥٢٤ ، (٤/ ١٧٣٦) .

(٥) سورة الأنبياء ، الآية: ٢٠ .

صفاتهم أنهم منزهون عما يعتري البشر من الجوع والمرض، والتعب والنوم، والنكاح، ومن صفاتهم الموت فهم يموتون كما يموت البشر، ومن صفاتهم السمع، والبصر، والكلام، والأيدي، والأقدام، والصعود والنزول... وغير ذلك من الصفات[(١)].

خامساً: الإيمان بما كلفوا به من أعمال وهي كثيرة وعظيمة، منها: تبليغ وحي الله جل وعلا إلى رسله - وسيأتي - ومنها إنزال القطر من السماء، وإنبات النبات والموكل به ميكائيل - عليه السلام - ومنهم يخلق الرزق وله أعوان، ومنهم الموكل بالنفخ في الصور، قال تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾[(٢)]، ومنهم حملة العرش، قال تعالى: ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَـٰنِيَةٌ ﴾[(٣)]، وقال تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾[(٤)]..

«ومنهم الكربيون الذين هم حول العرش وهم أشرف الملائكة مع حملة العرش، وهم الملائكة المقربون»[(٥)]، ومنهم الموكل بالنطفة في الرحم حتى يتم خلقها ويخرج من بطن أمه كما جاء ذلك مصرحاً في كثير من الأحاديث.

ومنهم الموكل بالجنة وإعداد النعيم لأصحابها في مقدمة هؤلاء - رضوان - عليه السلام - خازن الجنة، ومنهم الموكل بإيقاد النار وإعداد العذاب لأهلها الزبانية، وفي مقدمتهم مالك خازن النار، قال تعالى: ﴿ وَنَادَوْا۟ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ ۝٧٧ لَقَدْ جِئْنَـٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ ﴾[(٦)].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٤/ ٢٥٩-٢٦٠)، البداية والنهاية (١/ ٤٠)، الإيمان بالملائكة، للشيخ محمد بن سليمان الدرويش، ص ١٨-٥٥.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٦٨.

(٣) سورة الحاقة، الآية: ١٧.

(٤) سورة الزمر، الآية: ٧٥.

(٥) البداية والنهاية (١/ ٤٠).

(٦) سورة الزخرف، الآيتان: ٧٧-٧٨.

ومنهم الموكل بتبشير المؤمنين بالجنة والكرامة ، وذلك عند موتهم ، ومنهم الموكل بعمارة البيت المعمور في السماء ، ومنهم الموكلة بالسحاب وسوقه ، ومنهم الموكلة بالجبال ، ومنهم الموكلة بكتابة أعمال العباد من خير وشر ، ومنهم الموكلة بإنزال العذاب على الأمم المكذبة بأمر الله تعالى (١) .

يقول ابن القيم – رحمه الله – : «وكل حركة في السماوات والأرض من حركات الأفلاك ، والنجوم والشمس ، والقمر ، والرياح ، والسحاب ، والنبات ، والحيوان ، فهي ناشئة عن الملائكة الموكلين بالسماوات والأرض ،كما قال تعالى:﴿ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴾(٢) ، وقال: ﴿ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ۝٤ ﴾(٣) ، وهي الملائكة عند أهل الإيمان وأتباع الرسل – عليهم السلام – وأما المكذبون للرسل ، المنكرون للصانع ، فيقولون: هي النجوم»أ.هـ(٤) .

ولإبليس مكايد عظيمة في مسائل الإيمان بالملائكة . . وإن كانت غير ظاهرة لكنها مستنبطة من عموم مكايده في العقائد ، ومن أهمها ما يلي:

أولاً: إنكارهم . **ثانياً:** عبادتهم وتقديسهم .

ثالثاً: ادعاء مشاهدتهم ومخاطبتهم .

وفيما يلي تفصيل وبيان لتلك المكايد:

أولاً: إنكارهم: يسعى إبليس جاهداً لإبطال الإيمان بالملائكة ، وهو هدف عظيم ، لأن ذلك يؤدي إلى إنكار الرسالات والكتب ، بل إنكار الخالق جل وعلا ، فلم يتم معرفته والإيمان به تعالى إلا بما أخبرتنا به الرسل عن طريق الوحي الذي تلقته عن ملائكة

(١) انظر في تفصيل وظائف الملائكة والإيمان بهم: المنهاج للحليمي (١/ ٣٠٢ وما بعدها) ، شعب الإيمان ، للبيهقي (١/ ٤٠٥-٤٠٦) ، البداية والنهاية (١/ ٣٥ وما بعدها) ، الحبائك في أخبار الملائك ، ص ١٣ وما بعدها ، معارج القبول (٢/ ٦٥٦) ، عالم الملائكة ، د. عمر الأشقر ، الإيمان بالملائكة ، لأحمد عزالدين البيانوني ، ص ٧ وما بعدها ، الإيمان بالملائكة وأثره ، للشيخ صالح الفوزان .

(٢) سورة النازعات ، الآية: ٥ .

(٣) سورة الذاريات ، الآية: ٤ .

(٤) إغاثة اللهفان (٢/ ١٧٢-١٧٣) .

الله تعالى ، ومن وسائله في ذلك:

١- تفسير اللفظ بما لم يستعمل له ، كقول النصارى إن روح القدس هو حياة الله(١) ، قال ابن تيمية - رحمه الله - : «فالذي فسر النصارى به ظاهر كلام المسيح هو تفسير لا تدل عليه لغة المسيح وعادته في كلامه ولا لغة غيره من الأنبياء والأمم بل المعروف في لغته وكلامه وكلام سائر الأنبياء تفسيره بما فسرناه ، وبذلك فسره أكابر علماء النصارى ، وأما ضلال النصارى المحرفون لمعاني كتب الله عز وجل فسروه بما يخالف معناه الظاهر وينكره العقل والشرع»أ. هـ(٢) .

٢- قول الفلاسفة بأنهم عقول فعالة متولدة عن نفس الله تعالى تولد العلة من المعلول لا ينفك عنه ، وجعلوه كالابن والبنت ، فالعقول بنوه والنفوس بناته(٣) .

يقول جلال الدين الرومي(٤) أحد فلاسفة الصوفية: «العقل الجزئي قابل للتعلم ، وهو محتاج إلى التعليم ؛ العقل الكلي هو المعلم ، وغير محتاج إلى التعلم ، وهكذا ، كلُّ الحرف عندما تجيل فيها عين البحث والتأمل تجد أن الأصل والبداية فيها إنما كان الوحي ؛ . . . كل من لديه عقل جزئي محتاج إلى التعليم ، والعقل الكلي هو الواضع للأشياء جميعاً ، والأنبياء والأولياء هم الذين وصلوا العقل الجزئي بالعقل الكلي وجعلوهما شيئاً واحداً»(٥) .

---

(١) انظر: الجواب الصحيح (٣/ ١٩٨-١٩٩) .

(٢) المرجع السابق (٣/ ١٩٨) .

(٣) الصفدية ، لابن تيمية (١/ ٨-٩) ، دقائق التفسير (٢/ ١٢٣) ، (١/ ١٦٢) .

(٤) محمد بن محمد بن الحسين بن أحمد البلخي الرومي جلال الدين ، ولد عام ٦٠٤هـ ، في بلخ إحدى مدن خراسان ، شاعر وفيلسوف ، من غلاة الصوفية تنسب إليه الطريقة (المولوية) انتقل إلى بغداد وتجول في عدد من البلاد الإسلامية ، ثم استقر في قونية تولى التدريس فيها ، ثم انصرف إلى الرياضة وسماع الموسيقي ونظم الأشعار وإنشادها له ، كتاب المثنوي ، وكتاب فيه ما فيه مليئة بالاتحاد والحلول . وله قبر بقونية يضم متحفاً لمخلفاته وكتبه ، انظر: مقدمة ترجم كتاب فيه ما فيه ، ص ١٠-١٩ ، دائرة المعارف ، (٧/ ٦٠-٦٣) ، الأعلام ، للزركلي (٧/ ٣٠) .

(٥) كتاب فيه ما فيه ، لشاعر الصوفية جلال الدين الرومي ، ص ٢١١ .

وبعضهم يقول عن الملائكة: «أنوار في أنوار وأنوار في ظلال وأنوار في ظلمة، والأول هي العقول والثاني هي النفوس الفلكية والثالث النفوس الطبيعية» (١).

ومنهم من يزعم بأن العقل الفعال هو جبريل، ويزعمون أن كلام الله يفيض على قلوب العباد بالعلوم والمعارف، وأن الملائكة تتشكل في النفس بصورة أشكال نورانية، وهذا الفيض يكون بحسب استعداد النفوس له، ولهذا فالنبوة ليست مختصه بالأنبياء، بل هي مكتسبة لكل أحد بحسب تلقي النفس بهذا الفيض الذي يمكن اكتسابه بنوع معين من الرياضيات وقوة التخيل والحسن الباطن (٢).

وقولهم هذا أعظم جرماً وأشد فحشاً من قول النصارى: إن المسيح ابن الله وأنه اتحد به تعالى، وأشد من قول مشركي العرب أن الملائكة بنات الله (٣).

قال ابن تيمية: «أما هؤلاء أعظم ضلالاً من اليهود والنصارى ومشركي العرب فإنهم في الحقيقة لا يجعلون الرب تعالى خالقاً لشيء، ولا يفعل فعلاً بمشيئته واختياره، ولا يجعلون الملائكة عباده بل يجعلون العقل الأول هو رب كل ما سوى الله» أ. هـ(٤).

ويقال لهم: «إن العقل في لغة المسلمين كلهم من أولهم إلى آخرهم ليس ملكاً من الملائكة ولا جوهراً قائماً بنفسه بل هو العقل الذي في الإنسان، ولم يسم أحد من المسلمين قط أحداً من الملائكة عقلاً، ولا نفس الإنسان الناطقة عقلاً بل هذه من لغة اليونان...» (٥).

«ولهذا يؤول بهم الأمر إلى أن يجعلوا الملائكة والشياطين أعراضاً تقوم بالنفس ليس أعياناً قائمة بنفسها حية ناطقة ومعلوم بالاضطرار أن هذا خلاف ما أخبرت به

---

(١) بغية المرتاد (١/ ٢١٩).
(٢) انظر: كتاب سؤال عمن يقول: إن صفات الله مخلوقة (١/ ١٦٢).
(٣) انظر: الصفدية، لابن تيمية (١-٦-٨)، بغية المرتاد (١/ ٢٨٤)، سؤال عمن يقول: إن صفات الله مخلوقة (١/ ١٦٢).
(٤) العقيدة الأصفهانية، لابن تيمية (١/ ٨٠).
(٥) بغية المرتاد، لابن تيمية (١/ ٢٥١).

الرسل واتفق عليه المسلمون . . .»[(١)] .

٣- قول من يدعي أن الملائكة هي القوى الخيرة التي في الإنسان والتي تحثه وتدفعه لعمل الخير، بعكس قوى الشر الرديئة وهي الشياطين .

وهذا القول: وإن كان أخف من قول من يدعي بأنها العقول، غير أنه ينافي ما اتفق عليه المسلمون ودلَّ عليه الكتاب والسنة [(٢)] ، كما أنه يؤدي إلى جعل الملائكة والشياطين أعراضاً قائمة بالنفس لا وجود لها في الواقع [(٣)] .

ولهذا هم يثبتون ما يسمى بالقوى الخفية كما سيأتي - إن شاء الله - في مبحث مكايده فيما يتعلق بالأرواح .

قال: « . . . الدلائل الدالة على وجود الملائكة غير إخبار الأنبياء كثيرة منها أن يقال الحركات الموجودة في العالم ثلاثة، قسرية وطبيعية وإرادية ووجه الحصر أن مبدأ الحركة إما أن يكون من المتحرك، أو من سبب خارج فإن لم تكن حركته إلا بسبب خارج عنه كصعود الحجر إلى فوق، فهذه الحركة القسرية، وإن كانت بسبب منه، فإما أن يكون المتحرك له شعور، وإما أن لا يكون فإن كان له شعور فهي الحركة الإرادية، وإلا فهي الطبيعية والحركة الطبيعية في العناصر، إما أن تكون لخروج الجسم عن مركزه الطبيعي، وإلا فالتراب إذا كان في مركزه لم يكن في طبعه الحركة، فالمتولدات من العناصر لا تتحرك إلا بقاسر يقسر العناصر على حركة بعضها إلى بعض، وإذا كانت الحركات الطبيعية والقسرية مفتقرة إلى محرك من خارج علم أن أصل الحركات كلها الإرادة، فيلزم من هذا أن يكون مبدأ جميع الحركات من العالم العلوي والسفلي هو الإرادة، وحينئذ فإن كان الرب هو المحرك للجميع بلا واسطة ثبت أنه فاعل مختار، فبطل أصل قولهم وجاز حدوث المعجزات عن مشيئته بلا سبب، وإن كان حركها بتوسط إرادات أخرى فأولئك هم الملائكة، وقد علم بالدلائل الكثيرة أن الله خالق الأشياء بالأسباب فعلم أن

---

(١) المرجع السابق (١/ ٢١٩) .

(٢) انظر: إغاثة اللهفان، لابن القيم (٢/ ٣٧٤)، ط. المكتب الإسلامي .

(٣) بغية المرتاد، لابن تيمية (١/ ٢٥١) .

الملائكة هم الوسائط فيما يخلقه الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴾ [النازعات:٥]، ﴿ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ ﴾ [الذاريات:٤]، وإذا كانوا موجودين أمكن حدوث الحوادث عنهم وبطل قول من يزعم أنه ليس لها إلا الأسباب الثلاثة المتقدمة» أ.هـ[(١)].

ثانياً: عبادتهم وتقديسهم: وهي طريقة أخرى للشيطان - أعاذنا الله منه - فزين لأناس عبادة الملائكة وتقديسها لإيقاعهم في الشرك والكفر وعبادته.

قال ابن القيم - رحمه الله -: «ومن تلاعبه بهم: أن زين لقوم عبادة الملائكة فعبدوهم بزعمهم، ولم تكن عبادتهم في الحقيقة لهم ولكن كانت للشياطين»[(٢)].

وقال أيضاً: «لما عبد المشركون الملائكة بزعمهم وقعت عبادتهم للشيطان، وهم يظنون أنهم إياكم كانوا يعبدون الملائكة، كما قال تعالى:: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾، فالشيطان يدعو المشركين إلى عبادته ويوهمهم أنه ملك»[(٣)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - تعليقاً على هذه الآية: «يعني أن الملائكة لم تأمرهم بذلك، وإنما أمرتهم بذلك الجن، ليكونوا عابدين للشياطين التي تتمثل لهم، كما يكون للأصنام شياطين وكما تتنزل الشياطين على بعض من يعبد الكواكب ويرصدها، حتى تنزل عليه صورة فتخاطبه، وهو شيطان من الشياطين»[(٤)].

وقد عبد الملائكة طوائف[(٥)] منهم:

١- الصابئة[(١)]، قال شيخ الإسلام - رحمه الله -: «... وبهذا وصف بعض

(١) الصفدية، لابن تيمية (١/ ١٧٥).
(٢) إغاثة اللهفان (٢/ ١٧٣)، ط. المكتبة الثقافية، بيروت.
(٣) الجواب الكافي، لابن القيم (١/ ٩٩).
(٤) مجموع الفتاوى (٤/ ١٣٥).
(٥) انظر: أحكام الذمة (١/ ٢٣٣-٢٣٥)، وانظر: تلبيس الجهمية لابن تيمية (١/ ٣٧٦).

السلف الصابئة بأنهم يعبدون الملائكة وكذلك الكتب المعربة عند قدمائهم أنهم كانوا يسمونها الآلهة والأرباب الصغرى، كما كانوا يعبدون الكواكب البيضاء...»[٢]، قال تعالى منكراً عليهم عبادة الملائكة: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾[٣].

«كما اتخذت الصابئة الملائكة واليهود عزيراً والنصارى عيسى»[٤]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾[٥].

وممن عبد الملائكة مشركي العرب الذين قالوا: إن الملائكة بنات الله[٦]، كما ذكر ذلك تعالى في القرآن في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾[٧]، قال ابن كثير -رحمه الله- معلقاً على قولهم ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ﴾: «... جمعوا بين أنواع كثيرة من الخطأ: **أحدها**: جعلهم الله تعالى ولداً، تعالى وتقدس وتنزه عن ذلك علواً كبيراً، **الثاني**:

---

(١) الصابئة: يقال لهم الصابئون، وهي بمعنى واحد، ومعناه: التارك لدينه الذي شرع له إلى دين آخر ... وهم طوائف منهم الحنفاء، ومنهم من عبد الملائكة والكواكب والنجوم، وكانوا في مبدأ أمرهم يسجدون للكواكب. واخترعوا صوراً على أشكالها وسموها بأسمائها، والصابئة هم من أهل حران وكثير من بلاد الروم، انظر: الملل والنحل، للشهرستاني (٢/ ٥ وما بعدها)، المرشد الأمين إلى اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص ١٤٣، دائرة المعارف القرن العشرين (٥/ ٤٢٦ وما بعدها)، هداية الحيارى، ص١١، إغاثة اللهفان، لابن القيم (٢/ ٣٦٠).

(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ١٣٢).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٨٠.

(٤) تفسير الجلالين (١/ ٧٧).

(٥) سورة الأنبياء، الآيتان: ٢٦-٢٧.

(٦) انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١٧/ ٢٧١-٢٧٢)، وأشهر من عرف عنهم بنو مليح، انظر: بدائع الفوائد، لابن القيم (٤/ ٩٦٠)، وشفاء العليل، لابن القيم (١/ ٢٦).

(٧) سورة الزخرف، الآيتان: ١٩-٢٠.

دعواهم أنه اصطفى البنات على البنين فجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً ،
الثالث: عبادتهم لهم مع ذلك كله بلا دليل ولا برهان ، ولا إذن من الله عز وجل بل مجرد الآراء والأهواء والتقليد للأسلاف والكبراء والآباء والخبط في الجاهلية الجهلاء .

الرابع: احتجاجهم بتقديرهم على ذلك قدراً ، وقد جهلوا في هذا الاحتجاج جهلاً كبيراً ، فإنه تعالى قد أنكر ذلك عليهم أشد الإنكار ، فإنه منذ بعث الرسل وأنزل الكتب يأمر بعبادته وحده لا شريك له وينهى عن عبادة ما سواه» [1] .

وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾ [2] ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : «هو قولهم الملائكة بنات الله ، وسمى الملائكة جناً لاجتنانهم عن الأبصار ، وهو قول مجاهد وقتادة ، وقيل: قالوا لحي من الملائكة يقال لهم الجن ، ومنهم إبليس وهم بنات الله ، وقال الكلبي قالوا – لعنهم الله – بل تزوج من الجن فخرج بينهما الملائكة . . .»أ. هـ [3] .

ثالثاً: ادعاء مشاهدتهم ومخاطبتهم: ومن ذلك ادعاء الصوفية نزول الملائكة على أوليائهم ومشاهدتهم لهم ، وتكليمهم إياهم ، وقد سبق بيان ذلك وتفنيده .

وهذه المكيدة وسيلة لادعاء الجن والشياطين أنهم ملائكة مكرمون ، وإظهارهم لكرامات وأقوال تؤدي بالعباد إلى الكفر والزندقة مع إيهامهم أن هذا وحي من عند الله كما سبق .

❀ ❀ ❀

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٢٢٢) .
(٢) سورة الصافات ، الآية: ١٥٨ .
(٣) مجموع الفتاوى (١٧/ ٢٧١-٢٧٢) .

المبحث الثاني

مكايده في إنكار البعث

البعث في اللغة: الإرسال يقال: «بعثه وابتعثه بمعنى ، أي أرسله فانبعث» (١) .

ويأتي بمعنى الإسراع ، يقال: «انبعث في السير أي أسرع» (٢) ، ويأتي بمعنى الإحياء بعد الموت (٣) ، ويأتي بمعنى الإثارة ، والنشر ، والتحريك (٤) .

أما في اصطلاح الشرع: فيراد به البعث بعد الموت ، بإحياء الأجساد ، وعودة الأرواح إليها وذلك بعد النفخ في الصور ، النفخة الثانية .

قال ابن كثير – رحمه الله – : «البعث وهو المعاد ، وقيام الأرواح ، والأجساد يوم القيامة» (٥) ، وقال الشيخ عبدالعزيز السلمان – رحمه الله – في تعريف البعث هو: «إعادة الأبدان وإدخال الأرواح فيها ، فيخرجون من الأجداث أحياء مهطعين إلى الداعي» (٦) ، يقول القرطبي – رحمه الله –: «وعند أهل السنة أن تلك الأجساد الدنياوية تعاد بأعيانها وأعراضها بلا خلاف بينهم» أ . هـ (٧) .

وهذا ما أجمع عليه أهل الحق وهو «المتبادر عند الإطلاق ، ويجب الإيمان به واعتقاده ويكفر منكره» (٨) ، يقول ابن حزم – رحمه الله – : «أجمع جميع المسلمين على أن

---

(١) الصحاح للجوهري (١/ ٢٧٣) ، لسان العرب ، لابن منظور (٢/ ١١٦) ، القاموس المحيط ، ص ٢١١ .

(٢) لسان العرب (٢/ ١١٧) .

(٣) انظر: المرجع السابق ، والصحاح (١/ ٢٧٣) .

(٤) انظر: الصحاح (١/ ٢٧٣) .

(٥) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير (٤/ ٦١٤) .

(٦) الكواشف الجلية عن معاني الواسطية ، للشيخ عبدالعزيز السلمان ص ٧٨-٧٩ .

(٧) التذكرة ، للقرطبي ، تحقيق: فواز أحمد زمرابي ص ١٨٢ .

(٨) الكواكب الدرية لشرح الدرة المضنية ، لمحمد بن مانع ، ص ٦٥ .

الله تعالى يبعث الأجساد يوم القيامة، فيرد إليها أرواحها»أ. هـ[١]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «ومعاد الأبدان متفق عليه عند المسلمين واليهود والنصارى»أ.هـ[٢]، وقال صاحب المواقف: «أجمع أهل الملل عن آخرهم على جوازه ووقوعه»أ. هـ[٣].

وأما مكايد الشيطان في إنكار البعث فأستنبطها من خلال: قوله تعالى في ذكر وسوسته لآدم - عليه السلام -: ﴿ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ ﴾[٤]، فقد مناهما بالحياة الطويلة والملك الذي لا يفنى، لما علمه الضال من حب النفس لهما.

وفي هذا إنكار لكونه يعتريهما الموت والضعف، ومن هنا فلا موت ولا بعث، فالشيطان يحرص على إلقاء الشبهات التي تصد عن الإيمان بالبعث والجزاء ليبقى العبد في غفلة وبعد عنها، حتى يأتيه اليقين، والشبهات في هذا الباب كثيرة منها:

الشبهة الأولى: إن الميت إذا مات تفتتت أجزاؤه، واختلطت بالتراب على وجه لا يمكن تمييزه فنفوا بناء على هذه الشبهة المعاد للأجساد والأرواح كما هو اعتقاد مشركي العرب، واليونان والهند كما بينه تعالى في كتابه في قوله تعالى: ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[٥].

ولا شك أن ما عليه سلف الأمة أن الأجساد تستحيل تراباً كما كانت[٦] عدا عجب الذنب[٧]، كما في الحديث عن أبي هريرة - ﷺ - أن رسول الله ﷺ قال: (كل

(١) الأصول والفروع، ص ١٦.
(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ٢٨٤)، وتفسير الرازي (١٧/ ٧)، ويقظة أولي الاعتبار، لصديق حسن خان، وما بعدها، ولم يخالف إلا فرقة الصدوقيين من النصارى كما ذكر ذلك د. عمر الأشقر في اليوم الآخر، ص ٩٢-٩٤، وقولهم في الإصحاح الثاني والعشرين من إنجيل متى فقرة ٢٣.
(٣) المواقف، للإيجي، ص ٣٧٢.
(٤) سورة طه، الآية: ١٢٠.
(٥) سورة الصافات، الآية: ١٦.
(٦) يستثنى من ذلك أجساد الأنبياء والشهداء ونحوهم الذين خصهم الدليل كما في حديث جابر بن عبدالله وقصة استشهاد والده في أحد كما في البخاري، كتاب: «الأنبياء»، باب: (هل يخرج الميت من القبر واللحد لعله) رقم: ١٢٨٦، (١/ ٤٥٣).
(٧) «هو العظم الذي في أسفل الصلب عند العجز»، النهاية في غريب الحديث (٣/ ١٨٤).

ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب ، منه خلق وفيه يركب)[(١)] .

وهذه الاستحالة ليست أمراً مستحيلاً ، فها هي النطفة تستحيل علقة ثم مضغة ، ثم تكتمل بشراً سوياً ، وكذلك في أثناء حياته ، فهو يبدأ طفلاً ثم شاباً ، ثم كهلاً ، وهكذا الإعادة ، يعاد الخلق بعد أن استحالوا تراباً[(٢)] .

الشبهة الثانية: وكاد آخرين بنفي المعاد الجسدي وجعلوه مقصوراً على الأرواح وقالوا: باستحالة إعادة الأجسام بعد فنائها وإن الله تعالى يخلق جسماً آخر تتنعم فيه الروح أو تتعذب فقالوا: «أنت إذا تأملت وتدبرت ، ظهر لك أن الغالب على ظاهر التربة المعمورة جثث الموتى المتربة ، وقد حرق فيها وزرع وتكون منها الأغذية ، وتغذى بالأغذية جثث أخرى ، فأنى يمكن بعث مادة كانت حاملة لصورتي إنسانين في وقتين لهما جميعا في وقت واحد ، بلا قسمة»[(٣)] ، وهو قول الفلاسفة أتباع ارسطو[(٤)] من أمثال ابن سينا[(٥)] ، والفارابي[(٦)] وغيرهما من المنافقين والصابئة والمجوس والباطنية . . .[(١)] .

---

(١) رواه مسلم ، رقم: ٢٩٥٥ ، (٤/ ٢٢٧١) ، رقم: ٤٧٤٣ ، (٢/ ٦٤٩) ، ورواه النسائي ، رقم: ٢٠٧٧ ، (٤/ ١١١-١١٢) .

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ، لابن العز الحنفي ، ص ٤٧١ .

(٣) الأضحوية في أمر المعاد ، لابن سينا ، ص ٥٧ ، تلبيس إبليس ، ص ٩٧ .

(٤) ارسطو هو أشهر فلاسفة اليونان الأقدمين ، لقب أمير الفلسفة ، ولد سنة ٣٨٤ق .م ، وتوفي سنة ٣٢٢ق .م ، ذهب إلى أثينا في عصر ازدهار الفلسفة ، وكان شيخها أفلاطون فالتحق به حوالي عشرين سنة ، ثم اعتزله فجأة ، مما كان مسوغاً لنقد أعدائه وطعنهم ، يلقب بالمعلم الأول ، وله مؤلفات كثيرة في الإلهيات والطبيعيات . انظر: دار معارف القرن العشرين (١/ ١٦٤-١٦٩) .

(٥) الحسين بن عبدالله بن سينا أبو علي ، فيلسوف ، أصله من بلخ ، ولد في إحدى قرى بخارى سنة ٣٧٠هـ ، وكانت وفاته سنة ٤٣٨هـ ، أظهر الإسلام ، وأبطن الإلحاد والزندقة ، قال ابن القيم – رحمه الله – : «وكان ابن سينا كما أخبر عن نفسه قالوا: أنا وأبي من أهل دعوة الحاكم ، فكان من القرامطة الذين لا يؤمنون بمبدأ ولا معاد ولا رب خالق ، ولا رسول مبعوث جاء من عند الله»أ .هـ ، إغاثة اللهفان (٢/ ٨٠) ، وانظر: الأعلام ، للزركلي (٢/ ٢٤١-٢٤٢) .

(٦) محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ ، أبو نصر الفارابي ، يلقب بالمعلم الثاني ، من الفلاسفة المتنسبين للإسلام ولد في فاراب سنة ٢٦٠هـ ، نشأ في بغداد ، وألف فيها معظم كتبه ، ومن مؤلفاته «الفصوص» و«آراء أهل المدينة الفاضلة» وغيرهما ، توفي بدمشق سنة ٣٣٩هـ ، انظر: الأعلام للزركلي (٧/ ٢٠) .

يقول ابن سينا: «إذا بطل أن يكون المعاد للبدن وحده، وبطل أن يكون للبدن والنفس جميعاً وبطل أن يكون للنفس على سبيل التناسخ فالمعاد إذن للنفس وحدها...»(٢) .

الشبهة الثالثة: وعلى النقيض كاد آخرين بنفي معاد الأرواح، وإنما يكون للأبدان فقط ونسب شيخ الإسلام -رحمه الله- هذا القول إلى كثير من المتكلمين من الجهمية والمعتزلة (٣) .

وكادهم إبليس بشبهة أن البعث لا علاقة له بالقدرة، وأنه أمر لا فائدة منه، ولا تقضيه الحكمة، والحكمة بقاء النوع الإنساني وتجدده (٤) .

وقولهم هذا بناء على اعتقادهم بأن الروح عرض قائم بالبدن، وعلى هذا فهي عندهم تفنى مع البدن (٥) .

الشبهة الرابعة: وجاء إلى آخرين عندما لم يستطع إيقاعهم في هذا الكفر فأوهمهم أن المعاد لا بد منه، ولكن المبعوث جسم آخر، أو خلق جديد (٦) .. ليتوصل بهذه الشبهة إلى نفي القدرة الربانية في إعادة المخلوق الأول بعينه، ويوصلهم إلى معنى أقوال الفلاسفة الذين نفوا المعاد الجسماني، حيث إن الله تعالى يخلق جسماً آخر تتنعم فيه الروح، أو تتعذب فهي - أي الروح - المقصودة بالعذاب أو النعيم .

---

(١) انظر: الجواب الصحيح (٤/ ٩٦-١٠٠)، مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٤/ ٣١٣-٣١٥)، والمواقف للإيجي (٣٧١-٣٧٤)، القيامة الكبرى، د. عمر الأشقر (٧١-٧٢) .

(٢) الأضحوية في أمر المعاد، ص ١٢٦، وللاستزادة من آراء الفلاسفة وشبههم والرد عليهم انظر: البعث عند الفلاسفة، د. عبدالكريم الحميدي، ص ١٦٨-٣٧٤، واليوم الآخر في اليهودية والمسيحية والإسلام، ص ٣١٧ وما بعدها .

(٣) الجواب الصحيح، لابن تيمية (٤/ ٩٦-١٠٠)، مجموع الفتاوى (٤/ ٣١٣-٣١٥) .

(٤) انظر: الفوائد لابن القيم، ص ١٥-١٦، المواقف، للإيجي، ص ٣٧٣ .

(٥) القول الفصل بين الذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون، لمصطفى صبري، ص ١٧٢ .

(٦) المواقف للإيجي، ص٣٧٣-٣٧٤، الأربعين في أصول الدين، للرازي، ٢٨٤-٢٨٦، روح المعاني، للآلوسي (٢٣/ ٥٧-٦١) . وقد مال إلى هذا القول مصطفى صبري في (القول الفصل) ص١٧٢ .

وقال: إن المادة التي خلقوا منها ضعيفة، يستحيل بقاءها ثم إعادتها [١] .

وقالوا: الإعادة لا تكون إلا مع إعادة الزمان [٢] .

قال شيخ الإسلام: «الإعادة التي أخبر الله بها هي الإعادة المعقولة في هذا الخطاب، وهي الإعادة التي فهمها المشركون والمسلمون عن رسول الله ﷺ . . . وهي التي يدل عليها لفظ الإعادة، والمعاد هو الأول بعينه، وإن كان بين لوازم الإعادة ولوازم البدأة فرق، فذلك الفرق لا يمنع أن يكون قد أعيد الأول ليس الجسد الثاني مبايناً للأول من كل وجه . . . ولا أن النشأة الثانية كالأولى من كل وجه . . . كما أنه سبحانه خلق الإنسان ولم يكن شيئاً، كذلك يعيده بعد أن لم يكن شيئاً، وعلى هذا فالإنسان الذي صار تراباً ونبت من ذلك التراب نبات آخر أكله إنسان آخر، وهلم جرا . . . ففي هذا كله قد عدم هذا الإنسان، وهذا الإنسان، وصار كل منهما تراباً، كما كان قبل أن يخلق، ثم يعاد هذا ويعاد هذا من التراب، وإنما يبقى عجب الذنب، منه خلق، ومنه يركب، وأما سائره فعدم، فيعاد من المادة التي استحال إليها . . .»أ. هـ [٣] .

وقال – رحمه الله – : «فعلم أن النشأتين نوعان تحت جنس، يتفقان ويتماثلان ويتشابهان من وجه، ويفترقان ويتنوعان من وجه آخر، ولهذا جعل المعاد هو المبدأ وجعل مثله أيضاً، فاعتبار اتفاق المبدأ والمعاد فهو هو، وباعتبار ما بين النشأتين من الفرق فهو مثله . . .» [٤] .

ومن الأدلة على بطلانه قوله ﷺ في حديث أبي هريرة – ﷺ – في الصحيح: (كان رجل يسرف على نفسه، فلما حضره الموت قال لبنيه: إذا أنا مت فأحرقوني، ثم اطحنوني ثم ذروني في الريح، فوالله لئن قدر علي ربي ليعذبني عذاباً ما عذبه أحداً، فلما مات فعل به ذلك، فأمر الله الأرض، فقال: اجمعي ما فيك منه، ففعلت، فإذا هو

---

(١) انظر: تلبيس إبليس، لابن الجوزي، ص ٩٧ .

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١٧/ ٢٥٥) .

(٣) المرجع السابق نفس الجزء، ص ٢٥٥-٢٥٦ .

(٤) المرجع السابق نفس الجزء، ص ٢٥٣ .

قائم، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: يا رب خشيت، فغفر له)[١].

كما إنه يلزم من هذا القول ألا يسمى البعث بهذا الاسم، وإنما يسمى خلقاً جديداً، وهذا باطل[٢].

ومسألة إنكار البعث شبهة قديمة منشؤها القياس الفاسد، فقد قاسوا بعقولهم قدرة الله تعالى بقدرة البشر كما حسنها لهم إبليس، فاعتقدوا استحالة ذلك، ولهذا نجد أن القرآن الكريم في تقريره لقضية البعث، يركز على ثلاثة أصول:

الأول: تقرير كمال العلم، قال تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾[٣]، وهذه الآية جاء بعد الآيات التي تثبت البعث، وقال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾[٤].

الثاني: تقرير كمال القدرة، قال تعالى: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾[٥]، فالنظر ليس لضعف المادة التي خلق منها البشر، وإنما تنظر إلى عظمة الخالق الفاعل لهذه المخلوقات.

الثالث: تقرير كمال الحكمة، قال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾[٦]، وقوله تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾[٧].

---

(١) رواه البخاري، رقم: ٣٩٩٤، (٣/ ١٢٨٣)، ومسلم، رقم: ٢٧٥٦، (٤/ ٢١٠٩-٢١١٠).
(٢) انظر: الفوائد، لابن القيم، ص ١٥-١٦.
(٣) سورة يونس، الآية: ٦١.
(٤) سورة يس، الآيتان: ٧٨-٧٩.
(٥) سورة يس، الآيتان: ٨١-٨٢.
(٦) سورة المؤمنون، الآية: ١١٥.
(٧) سورة القيامة، الآية: ٣٦.

وأدلة إثبات البعث والرد على منكريه كثيرة جداً [١] ، منها ما يتعلق بالإمكان ومنها ما يتعلق بالوقوع كما بين تعالى في قوله: ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ ﴾ [٢] .

وقوله تعالى: ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَـٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ ﴾ [٣] ، ومن هذه الأدلة:

١- تأكيد القرآن الكريم على هذه المسألة بأساليب متعددة ومتنوعة ومن الأمثلة:

أ- نفي الشك عن وقوع البعث بحيث يصبح قضية مسلمة لا جدال فيها ، قال تعالى: ﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾ [٤] .

ب- توبيخ المكذبين بالبعث ، وبيان حالهم يوم القيامة ، وما هم فيه من الذل والندامة ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَـٰتِنَا غَـٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [٥] .

د- بيان عجز الآلهة عن إعادة الخلق ، فدل ذلك على أن من مقتضى الكمال لله

---

(١) انظر: المواقف ، للإيجي ، ص ٣٧١-٣٧٣ ، تفسير الرازي (١٧/ ١٧-٢٦) ، درء تعارض العقل والنقل (١/ ٣٢-٣٨) ، مجموع الفتاوى (١٧/ ٢٤٦-٢٦١) ، الفوائد ، لابن القيم ، ص ١٥-١٧ ، شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٤٦٣-٤٧٢ ، تلبيس إبليس ، لابن الجوزي ، ص ٩٧-٩٨ .

(٢) سورة البقرة ، الآية: ٢٤٣ .

(٣) سورة البقرة ، الآية: ٢٥٩ .

(٤) سورة يونس ، الآية: ٤ .

(٥) سورة يونس ، الآيتان: ٧-٨ .

تعالى القدرة على إعادة الخلق بعد موتهم، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ (١).

هـ- الإقسام على وقوعه، قال تعالى: ﴿ ۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ (٢).

وقوله تعالى: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ ﴾ (٣).

٢- ومنها الاستدلال ببدء الخلق على إعادته، فمن بدأ الخلق من العدم فهو قادر على الإعادة، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ ﴾ (٤).

قال ابن القيم - رحمه الله - : «خلق الإنسان فإنه من أعظم الأدلة على التوحيد والمعاد، وأي دليل أوضح من تركيب هذه الصورة الآدمية بأعضائها وقواها وصفاتها، وما فيها من اللحم والعظم والعروق والأعصاب والعلوم والإرادات والصناعات، كل ذلك من نطفة ماء» أ. هـ (٥).

٣- ومنها أن حكمة الله تعالى تقتضي البعث والجزاء، قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ ﴾ (٦).

---

(١) سورة يونس، الآية: ٣٤.
(٢) سورة يونس، الآية: ٥٣.
(٣) سورة التغابن، الآية: ٧.
(٤) سورة الحج، الآية: ٥.
(٥) الفوائد، ص٢١، تفسير الرازي (١٧/ ٢٦، الصواعق المرسلة (٢/ ٤٧٣-٤٧٥)، (٢/ ٤٨٠).
(٦) سورة يونس، الآية: ٤.

فالله تعالى خلق العباد وأمرهم ونهاهم، ووعدهم على امتثال أوامره وتوعدهم على ترك الأمر، فلو لم يكن هناك بعث ولا جزاء، لكان هذا الأمر والنهي والوعد والوعيد عبثاً، وهذا ينزه عنه البارئ جل وعلا.

قال ابن القيم – رحمه الله –: «لهذا كان الصواب أن المعاد معلوم بالعقل مع الشرع، وأن كمال الرب تعالى، وكمال أسمائه وصفاته تقتضيه وتوجبه...»أ.هـ(١).

«فلو لم يكن للإنسان عاقبة ينتهي إليها غير هذه الحياة الخسيسة المملوءة نصباً وهماً وحزناً، ولا يكون بعدها حال مخبوطة لكان أخس الحيوانات أحسن حالاً من الإنسان»(٢).

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٩٢ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾(٤).

فيستحيل أن يكون الله خلق الخلق عبثاً، قال تعالى: ﴿ أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ۝٦ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ۝٧ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ﴾(٥).

٤- ومنها إحياء الأرض الميتة، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾(٦)، وقوله تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ

(١) الفوائد، لابن القيم، ص ١٧.
(٢) تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، للراغب الأصفهاني، ص ١٩٨.
(٣) سورة يونس، الآية: ٤٤.
(٤) سورة الحجر، الآيتان: ٩٢-٩٣.
(٥) سورة ق، الآيات: ٦-٨.
(٦) سورة الأعراف، الآية: ٥٧.

مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[١] .

وبيان دلالة إحياء الأرض على البعث تتبين من خلال ما يأتي:

الأول: صعود الماء إلى السماء ثم نزوله على هيئة مطر ، دليل القدرة ، إذ الماء ثقيل بطبعه ، وصعوده إلى أعلى خلاف المألوف ، فمن قدر على تغيير طبيعة الماء ، فهو قادر على أن يعيد الحياة إلى الجسم الذي بلي وأصبح تراباً ، **الثاني**: إن الماء بعد تبخره تتفرق أجزاؤه ، ثم يجمعها الرب عز وجل مرة أخرى فتنزل مجتمعة ، فمن جمعها فلا شك أنه قادر على جمع ما تفرق من أجزاء الإنسان بعد موته ، **الثالث**: إن خروج النبات من الأرض ، إنما هو لحاجة العباد إليه في معاشهم ، وكذلك تسيير السحاب والرياح ، إنما هو لمصلحة العباد ، فكذلك بعثهم وحشرهم ، إنما هو لمصلحتهم ، ولمجازاتهم بما عملوا ، إن خيراً فخير وإن شراً فشراً .

الرابع: إن إنكارهم للبعث ناتج عن قصور إدراكهم عن إعادة الإنسان بعد موته ، وبعد أن أصبح رميماً ، فلفت الحق جل وعلا أنظارهم إلى الأرض اليابسة ، فهي أشد جموداً وخموداً ، ومع ذلك تفتقت بالنبات الأخضر وانبعث أطرافها ، وعادت لها الحياة والنمو ، فكذلك الإنسان[٢] .

وسحالة[٣] الذهب إذا تفرقت في التراب أمكن جمعها بقليل من الزئبق حيث يجتمع الذهب على صغر ذراته وتفرقها فكيف بقدرة الله تعالى[٤] .

٥- ومنها الاستدلال على البعث بوقوع المتضادات . . . وخلقه تعالى لها[٥] ، قال

---

(١) سورة الحج ، الآيتان: ٥-٦ .

(٢) انظر: اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام ، تأليف: د . فرج الله عبدالباري ، ص ٣٩٧ ، ومحمد ﷺ المثل الأعلى ، تأليف: أحمد جاد المولى ، ص ١٤٨-١٤٩ ، تحقيق: عبدالرحيم مارديني .

(٣) ما سقط منه ، انظر: تحقيق: تلبيس إبليس ، ص ٩٨ .

(٤) انظر: تلبيس إبليس ، لابن الجوزي ، ص ٩٨ .

(٥) انظر: مناهج الجدل في القرآن الكريم ، د . زاهر الألمعي ، ص ٣١٧ ، مطابع الفرزدق .

تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ ﴾(١) .

فالذي أمات بعد الحياة ، قادر على الإحياء بعد الممات ، وهذا ظاهر الدلالة ومن خلق هذه المتضادات فهو قادر على إعادة الحياة إلى عظام قد بليت وأصبحت رفاتاً .

٦- ومنها التنبيه بخلق الأعلى على خلق الأدنى ، ومن ذلك لفت النظر إلى خلق السماوات والأرض ، وخلق الأفلاك والكواكب ، على ما اشتملت عليه من العظمة التي تعلو على خلق الإنسان أضعافاً مضاعفة ، قال تعالى: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ ﴾(٢) .

٧- معجزات الأنبياء تدل على وقوع البعث فقد أجرى الله على أيديهم من المعجزات والآيات الدالات على قدرته سبحانه من قلب العصا حية ، وإخراج الناقة من الصخرة ، وإحياء الموتى ، ما هو أعظم من إعادة الإنسان بعد موته (٣) .

وقد بيَّن شيخ الإسلام – رحمه الله – إمكان الاستدلال بالدليل العقلي على البعث من خلال هذا الدليل ، فقال: «الإنسان يعلم الإمكان الخارجي تارة بعلمه بوجود الشيء ، وتارة بعلمه بوجود نظيره وتارة بعلمه بوجود ما الشيء أولى بالوجود منه ، فإن وجود الشيء دليل على أن ما هو دونه أولى بالإمكان منه ، ثم إنه إذا تبين كون الشيء ممكناً فلا بد من بيان قدرة الرب على ذلك»أ . هـ (٤) .

ثم أثبت – رحمه الله – البعث على ضوء هذا الاستدلال إذ خلق السماوات والأرض أبلغ من خلق الإنسان ، قال تعالى: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾(٥) .

(١) سورة النجم ، الآيات: ٤٣-٤٥ .
(٢) سورة يس ، الآية: ٨١ .
(٣) انظر: تلبيس إبليس ، لابن الجوزي ، ص ٩٨ .
(٤) درء تعارض العقل والنقل ، لابن تيمية (١/ ٣١-٣٢) .
(٥) سورة غافر ، الآية: ٥٧ .

وكذلك البدء أشق من الإعـادة، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[١]، وهذه الأمور موجودة، ومعلومة، وكونه - أي البعث - ممكناً لأنه داخل في القدرة الربانية، فثبت صحة الاستدلال عليه بالدليل العقلي[٢]، وبهذه الأدلة وغيرها نسقط دعاوى إبليس وشبهاته على لسان دعاته من منكري البعث.



(١) سورة الروم، الآية: ٢٧.

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل (١/ ٣٢-٣٤).

المبحث الثالث

مكايده في إنكار اليوم الآخر

إن الإيمان باليوم الآخر، وما اشتمل عليه من أهوال ومشاهد، ابتداء بحياة البرزخ إلى ما بعد ذلك من بعث، وحشر، وحساب، وجنة ونار...، ضرورة حتمية، إذ هو من مقتضيات الإيمان بحكمة الله تعالى وعدله، قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[1].

والعاقل يرى في هذه الحياة، الطائعين القائمين بما أمر الله به وافترض عليهم، وبالمقابل يرى المكذبين لأمر الله المعرضين عن أوامره، ومع هذا فقد لا يحصل أحد منهم على جزائه في الدنيا، وحكمة الله تعالى تأبى أن يجعلهما متساويين، قال سبحانه وتعالى: ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[2].

والمتأمل لمخلوقات الله تعالى وما اشتملت عليه من العظمة والقدرة يعلم علماً يقيناً بأن هذا لم يخلق عبثاً ولا سدى[3].

قال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾[4].

والإيمان باليوم الآخر من الإيمان بالغيب الذي مدح الله تعالى المتصفين به في قوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ ﴾[5].

---

(١) سورة الجاثية، الآية: ٢١.

(٢) سورة القلم، الآيتان: ٣٥-٣٦.

(٣) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، لأبي العز الحنفي، ص ٤٦٣ وما بعدها، العقيدة الإسلامية وأسسها، لعبدالرحمن حنبكة الميداني، ص ٦٢١-٦٢٧.

(٤) سورة المؤمنون، الآيتان: ١١٥-١١٦.

(٥) سورة البقرة، الآيات: ١-٣.

وإبليس يسعى جاهداً لإبطال عقيدة الإيمان باليوم الآخر ، إذ من خلال إبطالها يتم تنفيذ مخططاته ، ونجاح مكايده فيصبح العباد كالبهائم يحيون ويموتون بلا جزاء ولا حساب ولا جنة ولا نار ، هنا يقف بعدها إبليس خطيباً [١] في أهل النار ، في موقف الخزي والندامة ، والحسرة والألم الذي لا ينقضي ، يعلن تخليه عن أوليائه وحزبه يقطع قلوبهم أسى يوم لا ينفع ندم ولا حسرة .

﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [٢] .

وفي الحديث عن عقبة بن عامر [٣] – ﷺ – عن رسول الله ﷺ قوله: (إذا جمع الله الأولين والآخرين قضى بينهم ، وفرغ من القضاء ، قال المؤمنون: قد قضى بيننا ربنا ، فمن يشفع لنا على ربنا؟ فقولون: انطلقوا إلى آدم فإن الله خلقه بيده ، وكلمه فيأتون فيقولون: قم فاشفع لنا على ربنا فيقول آدم: عليكم بنوح . فيأتون نوحاً فيدلهم على إبراهيم ، فيأتون إبراهيم فيدلهم على موسى ، فيأتون موسى فيدلهم على عيسى ، فيأتون عيسى ، فيقول: أدلكم على النبي الأمي ، قال: فيأتوني فيأذن تعالى لي أن أقوم إليه ، فيثور مجلسي أطيب ريح شمها أحد قط ، حتى آتي ربي فيشفعني ويجعل لي نوراً من شعر رأسي إلى ظفر قدمي ، فيقول الكفار عند ذلك لإبليس: قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فقم أنت فاشفع لنا إلى ربك ؛ فإنك أنت أضللتنا . قال: فيقوم فيثور مجلسه أنتن ريح شمها أحد قط ، ثم يؤمهم لجهنم ، فيقول عند ذلك: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ

---

(١) سماها ابن كثير في تفسيره «خطبة إبليس في أهل النار» ، (٢/ ٥٣٠) .

(٢) سورة إبراهيم ، الآية: ٢٢ .

(٣) عقبة بن عامر الجهني – ﷺ – روى كثيراً من الأحاديث ، وروى عنه جماعة من الصحابة والتابعين ، شهد الفتوح ، وتولى إمارة مصر في عهد معاوية ، وتوفي في خلافته ، انظر: الإصابة (٢/ ٤٨٩) .

إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ﴾)[(١)] .

لقد كان موقف إبليس هذا قاصماً للظهور، حيث تجلت الحقيقة التي كان ذاهلاً عنها أولياؤه الذين خدعهم بمعسول مكايده، فاعترف بعدة أمور وهي:

أولاً: بطلان وعوده وأمانيه، وأنها سراب خادع لا تغني شيئاً مع ظهور صدق موعود الرب تعالى وتقدس، **ثانياً**: خلفه للوعد وكذبه في كل ما وعدهم به، **ثالثاً**: لومه لهم وعتابه على تصديقهم له وانجرافهم وراءه بدون حجة ولا برهان، **رابعاً**: طلب منهم أن يلوموا أنفسهم، فهم السبب في كل ذلك فأين عقولهم وبصائرهم التي عميت وانساقت وراء أوهامه بلا بينة، وتخلى عن لوم نفسه لأن لهم عقولاً تفهم وعيوناً تنظر، **خامساً**: أعلن ضعفه وعجزه التام عن نصرتهم، بل حتى نصرة نفسه من باب أولى، ﴿ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ﴾ أي بنافعكم أو منقذكم أو مخلصكم أو مغيثكم[(٢)] .

ومكايده في هذا المبحث شاملة لجميع ما سبق من مكايده في إيقاع الناس في الكفر والشرك والبدع، حتى نسوا الله فنسيهم وأضيف عليها بعض مكايده الواضحة في هذا الشأن ومنها:

١- **تزيين الكفر**: قال تعالى: ﴿ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾[(٣)] ، قال الشوكاني – رحمه الله – : «وعدتكم وعداً باطلاً بأنه لا بعث ولا حساب ولا جنة ولا نار فأخلفتكم ما

---

(١) رواه الدارمي في سننه، رقم: (٢/ ٣٢٧)، والبخاري في كتاب خلق أفعال العباد، ص ١١٧، وابن جرير في تفسيره (٨/ ٢٠١) من عدة طرق، والطبراني في الكبير، رقم: ٨٨٧، (١٧/ ٣٢٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٧٦): «رواه الطبراني، وفيه عبدالرحمن بن زياد بن أنعم وهو ضعيف»أ. هـ، وأحاديث الشفاعة ثابتة في الصحيحين ومتواترة.

(٢) تفسير جامع البيان، للطبري (١٣/ ٢٠٠)، تفسير ابن كثير (٢/ ٥٣٠)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ١٠٤).

(٣) سورة النحل، الآية: ٦٣ .

وعدتكم به من ذلك»أ. هـ[١].

وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾[٢]: «أتاهم من بين أيديهم فأخبرهم أنه لا بعث ولا جنة ولا نار، ومن خلفهم من أمر الدنيا فزينها لهم ودعاهم إليها...»[٣].

وتأمل قوله تعالى: ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾[٤]. وفي تفسير هذه الآية قيل: إن المراد بها راهب من بني إسرائيل وقصته معروفة وقد سبق ذكرها[٥]، وقال مجاهد: المراد بالإنسان هاهنا جميع الناس في غرور الشيطان إياهم»أ.هـ[٦].

ومعنى قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ ﴾ «أي أغواه حتى قال: إني كافر»[٧] فلما أوصله إلى الكفر تخلى عنه - بعد أن وعده ومناه - وتركه يواجه مصيره الأخروي والعياذ بالله.

٢- **إلقاء الشبهات:** قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ ﴾[٨]. والمعنى أن إبليس ظن

---

(١) فتح القدير (٣/ ١٠٣)، وتفسير ابن كثير (٤/ ١٢٠)، في ظلال القرآن (٤/ ٢١٧٩-٢١٨٠).
(٢) سورة الأعراف، الآيتان: ١٦-١٧.
(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ١٥١).
(٤) سورة الحشر، الآيتان: ١٦-١٧.
(٥) انظر ص
(٦) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٨/ ٤٢)، وانظر: جامع البيان، لابن جرير (٢٨/ ٥١)، وقال السيوطي: أخرجه عبد بن حميد، الدر المنثور (٨/ ١١٩).
(٧) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٨/ ٤٢)، وجامع البيان لابن جرير (٢٨/ ٥١).
(٨) سورة سبأ، الآية: ٢٠.

بهم أنهم يتبعونه ويقبلون غوايته ، وبالفعل تحقق له ظنه ذلك .

وما كان تسليطه ذاك إلا لأنهم شاكون في الآخرة فغرهم بالأماني والوعود والتشكيك والوسوسة والتزيين (١) .

ومن الشبهات التي يلقيها الشيطان محاولة التشكيك في العقائد الأخروية من جنة ونار ، وبعث وحشر وعذاب وقبر ومنكر ونكير . وإنكار الحوض والميزان والصراط والشفاعة . . . وغير ذلك مما أنكره وكثر فيه الخوض من قبل أهل البدع .

قال أبو الحسن الأشعري - رحمه الله - : «أجمع أهل الإسلام جميعاً إلا الجهم أن نعيم أهل الجنة دائم لا انقطاع له ، وكذلك عذاب الكفار في النار .

وقال جهم بن صفوان إن الجنة والنار تفنيان وتبيدان ، ويفنى من فيهما حتى لا يبقى إلا الله وحده كما كان وحده لا شيء معه ، وقال (أبو الهذيل (٢)) بانقطاع حركات أهل الجنة والنار وأنهم يسكنون سكوناً دائماً»أ . هـ (٣) .

قال ابن كثير - رحمه الله - : «والجنة والنار موجودتان الآن ، معدتان لأصحابهما كما نطق بذلك القرآن ، وتواترت بذلك الأخبار عن رسول الله ﷺ ، وهذا اعتقاد أهل السنة والجماعة . . . وهي السنة المثلى إلى قيام الساعة»أ . هـ (٤) .

وهذا ما اتفق (٥) عليه سلف الأمة ، وأن نعيم الجنة دائم لا ينقطع ، وعذاب أهل

---

(١) تفسير ابن كثير ، ص ١٠٩٤ ، زاد المسير ، لابن الجوزي (٦/ ٤٥٠) ، فتح القدير ، للشوكاني (٤/ ٣٢٣) .

(٢) محمد بن الهذيل بن عبدالله بن مكحول البصري أبو الهذيل العلاف ، من شيوخ المعتزلة ، فارق إجماع المسلمين ورد نص كتاب الله ، وجحد صفاته له مقالات في الإعتزال ت سنة ٢٣٥هـ انظر ترجمته: تاريخ بغداد (٣/ ٣٦٦) ، لسان الميزان (٥/ ٤١٣-٤١٤) ، الأعلام (٧/ ١٣١) .

(٣) مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ، ص ٤٧٤-٤٧٥ ، وانظر: ص ٢٧٩ ، والفرق بين الفرق للبغدادي ، ص ١٩٩ ، الملل والنحل ، للبغدادي (١/ ٨٧-٨٨) .

(٤) النهاية في الفتن والملاحم ، لابن كثير (٢/ ٤١٦) ، تصحيح وضبط: أحمد عبدالشافي .

(٥) الفصل في الملل والنحل ، لابن حزم (٤/ ١٤٥) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣٠٧/١٨ ، شرح الطحاوية ، ص٤٩٠ ، رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار ، للصنعاني ، ص ٨٦ ، تحقيق: العلامة ناصر الدين الألباني .

النار دائم وأن الكفار والمشركين مخلدون فيها أبد الآباد [(١)] ، وأما أهل الكبائر من عصاة

---

(١) نسب إلى شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم القول بفناء النار ونسبه شارح الطحاوية ، ص ٤٩٤ إلى السلف وهم برآء منه ، فهو من أقوال الجهمية ، ولم يثبت عن أحد من السلف ، وليس لهم إلا قول واحد هو القول بأبدية النار ، وعدم فنائها ، ويجاب عن نسبة هذا القول لشيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم – رحمهما الله – بعدة أمور منها:

أولاً: إنه قد ورد عنهما خلاف ذلك كما جاء في مجموع الفتاوى (١٨/ ٣٠٧) ، وتلبيس الجهمية لابن تيمية (١/ ١٥٧) ، وانظر: ما نقله عن شيخ الإسلام صاحب كتاب كشف الاستار ، ص ٥٨-٧٦ ، ١٤١٠هـ ، ومن حسن الظن بهذين الإمامين إن صح نسبة هذا القول لهما أن يقال: إن ذلك القول متقدم لما لهما من العلم والفضل ، ولما لهما من الجهود في إبطال البدع ، والرد على أصحابها ، مما لا يزال أثره قائماً إلى اليوم ، فلعله صدّر منهما في أول حياتهما ، وقبل تمرسهما في العلم ، ثم تبين لهما بطلانه فرجعا عنه ، وهذا كثير في حياة العلماء فالعالم قد يكون له قولان أو ثلاثة في المسألة ، ومع ذلك لا ينكر عليه .

ثانياً: أن يحمل قولهما على نار العصاة ، **ثالثاً:** إنه لم يوجد نقل صحيح صريح من كتب ابن تيمية وكل ما في هذه المسألة هو ما نقله عنه تلميذه ابن القيم – رحمه الله – ، والأئمة لا يعملون بمراسيل الحسن – رحمه الله – في أحكام الطهارة فكيف بهذه المسألة العظيمة من مسائل العقيدة ، وعلى فرض صحتها فيجاب عنها بأمرين:

الأول: أنها محمولة على نار العصاة من الموحدين ، **الثاني:** إنها في غير محل النزاع ، فهي تدور حول خروج أهل النار من النار ، وليس فناء النار والخروج منها لا يعني خلوها وفناءها . . . وعليه فلا يصح نسبة القول بفناء النار إلى أحد من الصحابة .

والقول بفناء النار لا يخلو من خمسة وجوه: **الأول:** القول بفنائها ، وفناء عذابها تبعاً ، **والثاني:** موت من فيها ، وبقاؤها على حالها ، **والثالث:** خروج من فيها ، وبقاؤها على حالها ، **والرابع:** بقاؤهم فيها ، مع تخفيف العذاب ، أو زواله ، **الخامس:** بقاء النار ودوامها أبدا .

فأما الأربعة الأولى فقد أبطلها القرآن ونص على فسادها ، فالأول في قوله تعالى: ﴿ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴾ الإسراء ، الآية: ٩٧ ، ومعلوم ﴿ كُلَّمَا ﴾ تقتضي التكرار بتكرار الفعل الذي بعدها ، **وأما الثاني:** فباطل أيضاً بقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ ﴾ فاطر ، الآية: ٣٦ ، وبقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾ الأعلى: الآية: ١٣ ، **وأما الثالث:** ففي قوله تعالى: ﴿ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ البقرة ، الآية: ١٦٧ ، وقوله: ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ الحج ، الآية: ٢٢ ، **وأما الرابع:** ففي قوله تعالى: ﴿ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴾ فاطر ، الآية: ٣٦ .

=

المؤمنين ممن دخلها، فإنهم يخرجون منها إذا شاء الله، ويدخلون الجنة برحمة أرحم الراحمين، أو بشفاعة الشافعين.

قال ابن حزم – رحمه الله – : «اتفقت الأئمة كلها برها وفاجرها – حاشا جهم ابن صفوان وأبي الهذيل محمد بن الهذيل العلاف العبدي البصري – على أن الجنة لا فناء لنعيمها، والنار لا فناء لعذابها، وأن أهلها خالدون أبد الأبد فيها على ما لا نهاية..» أ.هـ[١].

وقد نص على الإجماع عدد من العلماء[٢]، والآيات في ذلك أكثر من أن تحصى، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾[٤]، وقوله تعالى في حال أصحاب النار: ﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ ﴾[٦].

وفي الصحيح عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ : (يؤتى

= وإذا انتفى التخفيف، انتفى من باب أولى زوال العذاب بالكلية أو استحالته عليهم لذة؛ وببطلان الأربعة الوجوه، يتعين بطريق السبر والتقسيم الوجه الخامس. انظر: جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، للآلوسي، ص ٤٨٨، دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، للشنقيطي، ص ١٢٤-١٢٧، مقدمة رفع الأستار، د. علي الحربي، ص ٢١-٢٨.

(١) الأصول والفروع، لابن حزم، ص ٤٣.

(٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية(١٨/ ٣٠٧)، لوامع الأنوار، للسفاريني (٢/ ٢٣٤)، الاعتبار ببقاء الجنة والنار، للسبكي، ص ٦٧.

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: ٦٤-٦٥.

(٤) سورة يونس، الآية: ٢٦.

(٥) سورة يونس، الآية: ٥٢.

(٦) سورة البينة، الآية: ٦.

بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي منادٍ: يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه ثم ينادي: يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا فيقولون: نعم هذا الموت، وكلهم قد رآه، فيذبح ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، ثم قرأ: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [(١)]) [(٢)].

وكذا العقل دلَّ على ذلك، إذ إن النار جزاء الكفر، وهذا الكفر دائم لا نهاية له فناسب أن يكون العذاب دائم بلا انقطاع، والنار لا تطهرهم إذ قد أخبر الله عز وجل بأنهم لو ردوا إلى هذه الحياة لعادوا لكفرهم وعنادهم، فهم إذن مخلدون في النار أبد الآباد، وكذلك أهل الجنة خالدون في الجنة أبد الآباد [(٣)].

وقالت المعتزلة [(٤)] والخوارج [(٥)] بخلود العصاة من المؤمنين من أهل الكبائر في النار، قال القاضي عبدالجبار الهمذاني: «الفاسق يخلد في النار، ويعذب فيها أبد الآبدين ودهر الداهرين»أ. هـ [(٦)].

---

(١) سورة مريم، الآية: ٣٩.

(٢) رواه البخاري، رقم: ٤٤٥٣، (٤/ ١٧٦٠)، ومسلم، رقم: ٢٨٤٩، (٤/ ٢١٨٨) بنحوه.

(٣) انظر: حادي الأرواح، لابن القيم، ص ٣٣٩.

(٤) انظر: رسائل العدل والتوحيد (١/ ١٥٤)، ومقالات الإسلاميين، لأبي الحسن الأشعري، ص ٩٦.

(٥) انظر: مقالات الإسلاميين، لأبي الحسن الأشعري، ص ٩٦.

وفرقة الخوارج: ظهرت في القرن الأول الهجري، وهم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - ﷺ - بعد التحكيم الذي جرى بينه وبين معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنهما - واجتمعوا بالنهروان، وهم مجمعون على تكفير علي رضي الله عنه، ولهم آراء مخالفة لما عليه أهل السنة ومنها: القول بخلود مرتكب الكبيرة في النار ولم يخالف في ذلك إلا فرقة النجدات أصحاب نجدة بن عامر الحنفي ويرون الخروج على الأئمة، وهم فرق شتى منها: النجدية، العجاردة، الإباضية، الأزارقة، الصفرية، انظر: مقالات الإسلاميين ص٨٦ وما بعدها، الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١١٤ وما بعدها)، الخوارج تأليف د. ناصر عبدالكريم العقل، ص٢١ وما بعدها.

(٦) شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبدالجبار، ص ٦٦٦.

وقالت الاتحادية [١] وعلى رأسهم ابن عربي الطائي أن أصحاب النار تنقلب طبيعتهم إلى طبيعة نارية تتلذ بالعذاب [٢]، وتصور هذا القول كاف في بطلانه، فهو إنكار للحس ومكابرة للعقل.

وأما ما عليه المعتزلة والخوارج من القول بتخليد العصاة في النار[٣]، فهو قول مخالف للنصوص الصريحة من القرآن، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[٤]، وغير ذلك من الآيات التي تخص الشرك بعدم المغفرة وتعليق ما سواه بالمشيئة فما شاء الله تعالى غفره، وما شاء تعالى عذب عليه، ولما ثبت من الأحاديث المتواترة [٥] في خروجهم من النار، ودخولهم الجنة [٦].

ومنها حديث أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: **(يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير)** [٧].

وعنه ﷺ عن النبي ﷺ قال: **(يخرج قوم من النار بعدما مسهم منها سفع، فيدخلون الجنة فيسميهم أهل الجنة الجهنميين)**[٨].

---

(١) أصحاب القول بوحدة الوجود، وأن الله تعالى هو عين هذا العالم، وزعيم هؤلاء الاتحادية ابن عربي الضال – وقد سبقت ترجمته – وابن الفارض ت ٥٧٦، انظر: لسان الميزان (٤/ ٣١٧)، شذرات الذهب، لابن العماد (٥/ ١٩٠-٢٠٢)، والأعلام للزركلي (٦/ ٢٨١-٢٨٢).

(٢) الفصل في الملل والنحل، لابن حزم (٤/ ١٤٧-١٤٨)، حادي الأرواح، ص ٣٢٣-٣٣١.

(٣) مع اختلافهما في الحكم عليه في الدنيا، فهو عند الخوارج كافر، أما المعتزلة فهو عندهم في منزلة بين منزلتين، انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٧/ ٤٨٤).

(٤) سورة النساء، الآية: ٤٨.

(٥) التخويف من النار، لابن رجب، ١٦٥، ومجموع الفتاوى، لابن تيمية (٧/ ٤٨٤)، (١١/ ١٨٤).

(٦) انظر: النهاية في الفتن والملاحم، لابن كثير (٢/ ٣١٢ وما بعدها)، شرح العقيدة الطحاوية، ص٢٢٣.

(٧) رواه البخاري، رقم: ٤٤، (١/ ٢٤)، ومسلم في كتاب: «الإيمان»، رقم: ١٩٣ (١/ ١٨٠).

(٨) رواه البخاري، رقم: ٦١٩١، (٥/ ٢٣٩٩)، ومسلم، رقم: ١٩١ (١/ ١٧٧-١٧٨).

وعن عبدالله بن مسعود – ﷺ – قال: قال رسول الله ﷺ: (إني لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها وآخر أهل الجنة دخولاً الجنة رجل يخرج من النار حبواً فيقول الله تبارك وتعالى له: اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول يا رب وجدتها ملأى فيقول الله تبارك وتعالى له: اذهب فادخل الجنة قال فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول يا رب وجدتها ملأى فيقول الله له: اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها أو إن لك عشرة أمثال الدنيا، قال: فيقول أتسخر بي أو أتضحك بي وأنت الملك قال لقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه قال: فكان يقال ذاك أدنى أهل منزلة) (١) .

ونصوص الوعيد قد يتخلف موجبها لعدة أسباب منها:

١- التوبة الصادقة، وهذا لا خلاف فيه. ٢- الحسنات الكثيرة والاستغفار.

٣- وقوع المصائب المكفرة. ٤- العذاب في القبر، وشدة أهوال يوم القيامة.

٥- الشفاعة للمذنبين، ممن – رضي الله عنه – وأذن له بالشفاعة.

٦- مغفرة الله تعالى للعبد وتجاوزه عنه برحمته، بلا سبب من العبد (٢) .

ومن الشبهات التي يلقيها الشيطان لتضليل العباد وإيقاعهم في الشك وإنكار عذاب القبر ما نقله ابن القيم – رحمه الله – من قول الملاحدة: «إنا نكشف القبر فلا نجد فيه ملائكة عمياً صماً يضربون الموتى بمطارق، ولا نجد هناك حيات ولا ثعابين ولا نيراناً توجج ولو كشفنا حالة من الأحوال لوجدناه لم تتغير، ولو وضعنا على عينيه الزئبق وعلى صدره الخردل لوجدناه على حاله...»أ. هـ (٣) .

---

(١) رواه مسلم في كتاب: «الإيمان»، رقم: ١٨٨، (١/ ١٧٥).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٧/ ٤٨٧-٥٠١)، (١١/ ١٨٥)، (٢٤/ ٣٧٥).

(٣) الروح، لابن القيم، ص ٦١، وانظر: ص ٥٨، ومقالات الإسلاميين، لأبي الحسن الأشعري، ص٤٣٠، ومجموع الفتاوى (٤/ ٢٨٤). وهذا قول أكثر المعتزلة.

ومنهم من يقول: إن العذاب على الروح فقط [١] ، قال شيخ الإسلام: «هذا قول منكر عند عامة أهل السنة والجماعة» [٢] .

ومعلوم أن النصوص في ثبوت عذاب القبر ونعيمه متواترة، ومذهب سلف الأمة على ذلك، وأن الميت بعد موته إما منعم، وإما معذب وأن العذاب يحصل لروحه وبدنه.

قال شارح الطحاوية: «وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً...»أ. هـ [٣] ، ونص على تواترها شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – [٤] .

٣- الوعود والأماني الكاذبة: قال تعالى: ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ ﴾[٥] ، وقال تعالى: ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ ﴾[٦] . قال القرطبي – رحمه الله – في قوله تعالى: ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ﴾ «إنه لا قيامة ولا حساب وأنه إن كان حساب وجنة ونار فأنتم أولى بالجنة من غيركم يقويه قوله تعالى: ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ أي باطلاً»أ. هـ [٧] .

قال الحسن – رحمه الله – في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴾[٨] :

---

(١) وهو قول ابن حزم وابن ميسرة، انظر: مجموع الفتاوى (٥/ ٥٢٥).
(٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٥/ ٥٢٥).
(٣) شرح الطحاوية، ص ٤٥٠، ط. المكتب الإسلامي.
(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٢٨٤).
(٥) سورة النساء، الآية: ١٢٠.
(٦) سورة الإسراء، الآية: ٦٤.
(٧) الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٢٩٠).
(٨) سورة سبأ، الآية: ٢١.

«والله ما ضربهم بعصا ولا سيف ولا سوط، إلا أماني وغروراً دعاهم إليها»(١).

٤- الدعوة إلى الباطل والصد عن استماع الحق: قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا أَنفُسَكُم ﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝ ﴾(٣)، وقوله تعالى: ﴿ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ۝ ﴾(٤). والعجيب في الأمر أن أكثر الخلق استجابوا له من غير حجة، ولا برهان بل هي مجرد دعوى مجردة من الحجة والدليل(٥).

قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره إن الشيطان الذي نهيتكم أيها الناس أن تغتروا بغروره إياكم بالله لكم عدو فاتخذوا عدواً . . . فأنزلوه من أنفسكم منزل العدو منكم واحذروه بطاعة الله واستغاثتكم إياه . . . فلا تطيعوه وتتبعوا خطواته . . .»أ. هـ(٦).

فبهذه الدعوة الباطلة، والصد استطاع هذا العدو أن ينسي كثيراً من الناس الاستعداد للآخرة، أو يجعلهم يكذبون بها ولا يؤمنون بها. ومن الأمثلة على ذلك:

دعوهم إلى الفحشاء والمنكر: قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ

---

(١) رواه ابن جرير في تفسيره (٢٢/ ٨٨)، وذكره ابن كثير، ص ١٠٩٤.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٢٢.

(٣) سورة فاطر، الآية: ٦.

(٤) سورة يس، الآيتان: ٦١-٦٢.

(٥) انظر: فتح القدير، للشوكاني (٣/ ١٠٣)، ويقول - رحمه الله - تعليقاً على قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ ﴾ «وقريب من هذا من يقتدي بآراء الرجال المخالفة لما في كتاب الله سبحانه، ولما في سنة رسوله ﷺ ويؤثرها على ما فيهما، فإنه قد استجاب للباطل الذي لم تقم عليه حجة ولا دلّ عليه برهان، وترك الحجة والبرهان خلف ظهره، كما يفعله كثير من المقتدين بالرجال المتنكبين طريق الحق بسوء اختيارهم»أ. هـ، (٣/ ١٠٤).

(٦) جامع البيان (٢٢/ ١١٧).

﴿وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾[١] ، والفحشاء المعاصي ، وقيل: الزنا ، وقيل: اللواط [٢] ، وقيل: «كل ما عظم قبحه»[٣] ، وقيل: «كل ما ظهر قبحه لكل أحد واستفحشه كل ذي عقل سليم» [٤] ، فضاعوا في ضلال الفحشاء والمنكر ، وبعدوا عن صراط الله المستقيم وأصبحت هذه الشهوات هي غاية ما يأملون .

٥- الاغترار بالدنيا ونسيان الآخرة: قال تعالى: ﴿يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا ۚ قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَـٰفِرِينَ﴾[٥] ، ويقول تعالى: ﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَآ إِنَّا نَسِينَـٰكُمْ ۖ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾[٦] .

قال القرطبي - رحمه الله - في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْكَـٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ﴾[٧]: «من الشياطين تغرهم بأن لا عذاب ولا حساب»ا. هـ [٨] ، وقال ابن كثير: «غرهم الشيطان بأن العذاب لا ينزل بهم»أ.هـ[٩] .

والغرور: الشيطان كما روي عن بعض العلماء ، ومنهم ابن جرير الطبري [١٠] - رحمه الله - ، والمعنى أنه يوسوس للعبد ، ويذكره بسعة فضل الله ، وأنه يتجاوز عن معاصيه حتى يغره ويدخله في معصية الله [١١] .

---

(١) سورة البقرة ، الآيتان: ١٦٨-١٦٩ .
(٢) جامع البيان ، لابن جرير (٢/ ٧٧) ، (١٢/ ١٨٥) ، الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي (٢/ ٢٠٩) .
(٣) مجموع الفتاوى ، لابن تيمية (١٣/ ٢٢٠) .
(٤) مدارج السالكين ، لابن القيم (١/ ٣٧١) .
(٥) سورة الأنعام ، الآية: ١٣٠ .
(٦) سورة السجدة ، الآية: ١٤ .
(٧) سورة الملك ، الآية: ٢٠ .
(٨) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٨/ ٢١٨) ، و(٤/ ٣٠٢) ، وتفسير الجلالين (١/ ٧٥٦) .
(٩) تفسير ابن كثير (١/ ٧٥٦) ، ط . دار الفكر .
(١٠) انظر: جامع البيان (٤/ ٢٠٠) ، والجامع لأحكام القرآن (١٤/ ٣٢٣) ، و (١٨/ ٤٢) .
(١١) جامع البيان (٤/ ٢٠٠) ، الجامع لأحكام القرآن (١٤/ ٣٢٣) ، شرح كتاب التوحيد ص ٤٤٩ .

٦- المكر والكيد والخداع: قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[1] . ويتمثل هذا المكر في الصد عن الهدى، والدعوة إلى الفساد، تقبيح الحق وتزيين الباطل، وهي مع ذلك جهود مستمرة لا تمل ولا تكل ليلاً ونهاراً، صباحاً ومساءً[2] . والمكر هو: «الكيد أو التمويه بالأباطيل»[3] .

قال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ ﴾[4] . والمزين لهذا المكر هو الشيطان - أخزاه الله - حتى أوقعهم في الكفر والشرك والتكذيب بآيات الله وصرفهم عن دين الله، فكفروا به وباليوم الآخر[5] .

٧- **نسيان الذكر**: ومن مكايده في إنكار اليوم الآخر نسيان الذكر، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾[6] .

---

(١) سورة سبأ، الآية: ٣٣.

(٢) انظر: تفسير جامع البيان، للطبري (٢٢/ ٩٨)، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٤/ ٣٠٣)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٣/ ٥٤٠)، ط. دار الفكر، وتأمل أولياء الشيطان هذه الأيام في أكثر بلاد المسلمين، مكر بالليل والنهار، ما بين تلفاز إلى راديو يبث المكر والكيد للإسلام والمسلمين، وما ينتهي حتى يأتي كيد محطات وقنوات فضائية تبث سمومها ليلاً ونهاراً، وما تكاد تفتر حتى يأتي دور مجلة هابطة ففيلم خليع، وهكذا مكر دائم لا ينجو منه إلا من عصمه الله.

(٣) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٨٥).

(٤) سورة الرعد، الآية: ٣٣.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٩/ ٣٢٣)، تفسير القرآن، لابن كثير، ص ٧١٠، تفسير البغوي (٣/ ٢١)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٨٥)، تيسير الكريم الرحمن، لابن سعدي (٤/ ١١٣).

(٦) سورة المجادلة، الآيتان: ١٨-١٩.

وفي مشهد القيامة تكون الخصومة بين العبد وقرينه من الجن فيقول العبد يا رب هذا أضلني عن الذكر، ويرد عليه قرينه بقوله: ﴿ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ فعندها تنقطع الحجة وتقوم البينة ﴿ قَالَ لَا تَخْتَصِمُواْ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ ﴾ فأعذرت إليكم بإرسال الرسل، وإنزال الكتب وإقامة الحجج والبينات [1].

قال تعالى مبيناً حسرتهم وندمهم: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [2]، ويقول تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [3]، «فكل ظالم يندم يوم القيامة غاية الندم ويعض على يديه» [4]، وقوله: ﴿ فُلَانًا ﴾ أي الشيطان سواء كان من الجن أو الإنس [5]، «يزين له الباطل، ويقبح له الحق، ويعده الأماني، ثم يتخلى عنه، ويتبرأ منه» [6].

٨- **السخرية والاستهزاء بالمؤمنين والاستكبار عليهم:** وهذه مكيدة إبليسية مستمرة مع كل من آمن وصدق بالله تعالى، وذلك لإضعاف هممهم وصد الناس عنهم.

قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا

---

(١) انظر: تفسير القرآن، لابن كثير (٦/ ٤٠٤).

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٥٣.

(٣) سورة الفرقان، الآيات: ٢٧-٢٩.

(٤) تفسير القرآن، لابن كثير، ص ٩٥٨، ط. دار السلام، وانظر: جامع البيان (١٩/ ٧).

(٥) أحكام القرآن، للقرطبي (١٣/ ٢٦)، زاد المسير، لابن الجوزي (٦/ ٨٦)، فتح القدير للشوكاني (٤/ ٧٢-٧٣).

(٦) تيسير الكريم الرحمن، للشيخ عبدالرحمن السعدي (٥/ ٤٧٥).

وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾(١) ، والمعنى حملكم بغضكم لهم على أن نسيتم عبادة الله تعالى ، ومعاملته وسخرتم من صنيعهم وعبادتهم (٢) .

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ﴾(٣) ، يعني «من العذاب الذي كانوا يستبعدون وقوعه» (٤) .

وهم يخادعون المؤمنين كما قال تعالى في حال المنافقين: ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ﴾(٥) .

والشياطين المراد بهم السادة والكبراء والرؤساء في الكفر والضلال وأصحابهم ومن على شاكلتهم (٦) .

وفي نهاية المطاف يصل إبليس بحزبه وأوليائه إلى جهنم وساءت مصيرا ، فيجد العبد نفسه مربوطاً مع قرينه من الشياطين بسلسلة من حديد جاثمين حول جهنم (٧) كما بين ذلك تعالى في قوله: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ﴾(٨) .

---

(١) سورة المؤمنون ، الآيتان: ١٠٩-١١٠ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير (٣/ ٢٥٩) ، مجموع الفتاوى ، لابن تيمية (١٩/ ١٨٦) .

(٣) سورة الأنعام ، الآية: ١٠ .

(٤) تفسير القرآن ، لابن كثير (٣/ ١٨٠) .

(٥) سورة البقرة ، الآية: ١٤ .

(٦) انظر: تفسير القرآن ، لابن كثير (١/ ٥٢) .

(٧) تفسير ابن كثير (٣/ ١٣٢) ، الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي (١١/ ١٣٢) ، تفسير الجلالين (١/ ٤٠٣) .

(٨) سورة مريم ، الآيتان: ٦٨-٦٩ .

المبحث الرابع

مكايده فيما يتعلق بالأرواح

الرُّوح بالضم في اللغة: «النَّفْسُ، يذكر ويؤنث والجمع الأرواح»[(١)]، وقيل: «ما به حياة الأنفس»[(٢)]، وقيل المراد بالروح: ما يقوم به الجسد وتكون به الحياة»[(٣)].

ويطلق الروح على عدة معان في القرآن الكريم[(٤)] منها: جبريل – عليه السلام – قال: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ ﴾[(٥)]، والوحي، قال تعالى: ﴿ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾[(٦)]، وعيسى – عليه السلام – قال تعالى: ﴿ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾[(٧)].

والرَّوْح بالفتح بمعنى الراحة، والرحمة، والسرور والفرح[(٨)]، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ﴾[(٩)]، أي رحمته.

وأما الرُّوح في الشرع فعرفها العلماء بأنها: «ذات لطيفة تدخل الجسم وتحل فيه، كما يحل الماء في الطين اليابس، ولهذا يقبضها الملك عند الموت، وتكفن ويصعد بها ويراه الإنسان عند موته»[(١٠)].

---

(١) لسان العرب، لابن منظور (٢/ ٤٦٢).

(٢) بصائر ذوي التمييز، للفيروزآبادي (٣/ ١٠٣).

(٣) النهاية لابن الأثير (٢/ ٢٧١).

(٤) لسان العرب، (٢/ ٤٦٢-٤٦٣)، بصائر ذوي التمييز، (٣/ ١٠٥)، النهاية، لابن الأثير (٢/ ٢٧١).

(٥) سورة الشعراء، الآية: ١٩٣.

(٦) سورة غافر، الآية: ١٥.

(٧) سورة النساء، الآية: ١٧١.

(٨) انظر: لسان العرب لابن منظور (٢/ ٤٥٩)، بصائر ذوي التمييز (٣/ ١٠٣).

(٩) سورة يوسف، الآية: ٨٧.

(١٠) القول المفيد لابن عثيمين (٢/ ٣٤٥)، وانظر: مدارج السالكين لابن القيم (٣/ ٤٢٩)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٦٢).

وقال البعض: إنها عرض وهو قول مرجوح [١] ، قال ابن القيم – رحمه الله – : «تظاهرت أدلة القرآن والسنة والآثار والاعتبار والعقل والقول إنها – أي الروح – ذات قائمة بنفسها تصعد وتنزل وتتصل وتنفصل وتخرج وتذهب وتجيء وتتحرك وتسكن، وعلى هذا أكثر من مائة دليل»أ. هـ .

كما أن من مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت بعد موته إما في نعيم، وإما في عذاب، وأن النعيم أو العذاب يحصل للروح والبدن، وأن للروح نوع اتصال بالبدن لا يعلمه إلا الله [٢] ، فإذا كان يوم القيامة أعيدت الأرواح إلى أجسادها كما هو متفق عليه بين المسلمين، وأهل الكتاب [٣] .

وهي من علم الغيب التي استأثر الله بعلمه، قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾[٤]، روى البخاري عن عبدالله بن مسعود – رضي الله عنه – قال: (بينا أنا مع النبي ﷺ في حرث وهو متكئ على عسيب[٥] إذ مر اليهود، فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح، فقال: ما رأيكم إليه وقال بعضهم لا يستقبلكم بشيء تكرهونه فقالوا: سلوه، فسألوه عن الروح فأمسك النبي ﷺ فلم يرد عليهم شيئاً، فعلمت أنه يوحى إليه فقمت مقامي فلما نزل الوحي قال: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾)[٦].

وقد اختلف العلماء في المراد بالروح في الآية الكريمة على أقوال:

---

(١) انظر: القول المفيد لابن عثيمين (٢/ ٣٤٥)، وانظر: الرد عليه في شرح قصيدة ابن القيم، لأحمد بن عيسى (٢/ ١٥١ وما بعدها)، وانظر: شرح الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي (١/ ٤٤٤).

(٢) هناك من أهل البدع من يقول: إن الروح لا تبقى بعد فراق البدن، كما هو قول بعض أهل الكلام من المعتزلة والأشعرية، وهو قول باطل يرده الكتاب والسنة واتفاق الأمة على بقاء الروح بعد فراق البدن، انظر: الروح، ص ٧٢.

(٣) انظر: الروح، لابن القيم، ص ٧٢.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٨٥.

(٥) العسيب: الجريدة التي لا خوص فيها، انظر: النهاية في غريب الحديث (٣/ ٢٣٤).

(٦) رواه البخاري، رقم: ٤٤٤٤، (٤/ ١٧٤٩)، ومسلم، رقم: ٢٧٩٤، (٤/ ٢١٥٢).

الأول: أن المراد الروح المعروفة أي روح الإنسان وهو قول الأكثر ورجحه القرطبي ، **والثاني**: أن المراد جبريل عليه السلام ، **والثالث**: أن المراد بالروح عيسى عليه السلام ، **والرابع**: أن المراد القرآن الكريم [(١)] .

والحكمة – والله أعلم – في إبهام حقيقة الروح وكيفية مسالكها وامتزاجها بالبدن ، ليعلم العباد مدى عجزهم وضعفهم ، حيث لم يتمكنوا من معرفة ما بين جنوبهم مع القطع بوجوده ، فعجزه عن معرفة غيره من باب أولى [(٢)] .

ومن ذلك تحريم الخوض في كيفية أسماء الله وصفاته وذاته تعالى ، مع الإيمان بها وبمعانيها .

قال ابن القيم – رحمه الله – : «قال بعض السلف إن الأرواح تتلاقى في الهواء فتتعارف أو تتذاكر فيأتيها ملك الرؤيا بما هو لاقيها من خير أو شر قال وقد وكل الله بالرؤيا الصادقة ملكاً علمه وألهمه معرفة كل نفس . . .» [(٣)] .

وبين – رحمه الله – أن لها بالبدن خمس متعلقات: **الأول**: حينما يكون جنيناً في بطن أمه ، **والثاني**: حينما يخرج إلى وجه الأرض ، **والثالث**: في حال نومه فهي تفارقه من وجه ومتعلقة به من وجه آخر ، **والرابع**: في حياة البرزخ فلها نوع تعلق بهذا البدن ، حيث ترد السلام على من سلم عليها ، ويتنعم البدن والروح فيها فاتصالها بالبدن مستمر ، **والخامس**: بعد البعث والنشور وهنا يكمل تعلقها بالبدن فلا موت بعد ذلك ولا فساد[(٤)]

والأرواح مخلوقة ، وقال أقوام من غلاة الرافضة والمتصوفة والصابئة والفلاسفة

---

(١) فتح الباري ، لابن حجر (٨/ ٤٠٢-٤٠٣) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٣٢٤) ، جامع البيان ، لابن جرير (١٥/ ١٥٦) ، تفسير ابن كثير (٣/ ٦٢) ، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٣٣٢ وما بعدها) .

(٢) تفسير القرطبي (١٠/ ٣٢٤) ، فتح الباري ، لابن حجر (٨/ ٤٠٣) ، تفسير ابن كثير (٣/ ٦٢) .

(٣) المرجع السابق ، ص٤٥ .

(٤) انظر: المرجع السابق ص ٦١ .

بقدم الروح، وانقسموا في هذا القول إلى طائفتين:

الأولى: تزعم أنها أزلية لكنها ليست من ذات الله تعالى، وهؤلاء هم الصابئة والفلاسفة، **والثانية**: تزعم أنها من ذات الله، وهؤلاء هم الزنادقة من غلاة الرافضة والمتصوفة(١)، وهذا قول باطل وبطلانه يظهر من عدة أوجه:

منها: إن هذا القول مخالف لإجماع الأمة واتفاق سلفها وأئمتها فإجماعهم على أنها مخلوقة (٢)، ومنها: استفاضة الأدلة على أن الروح تخرج وتقبض وتصعد وتنزل وتسرح ومن هذه الأحاديث، ما رواه أبو هريرة في الصحيح قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا خرجت روح المؤمن تلقاها ملكان يصعدانها) (٣).

وفي الصحيح أيضاً من حديث ابن مسعود - رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ (٤) قال ﷺ: (**أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش تسرح في الجنة حيث تشاء؛ ثم تأوي على تلك القناديل...**) (٥).

وفي حديث بلال عندما فاتتهم صلاة الفجر قال ﷺ: (إن الله قبض أرواحكم حين شاء، وردها عليكم حين شاء، يا بلال قم فأذن بالناس بالصلاة...).

قال شيخ الإسلام - رحمه الله - بعد ذكر الأدلة في الرد عليهم: «فقد بان بما ذكرناه أن من قال: إن أرواح بني آدم قديمة غير مخلوقة، فهو من أعظم أهل البدع الحلولية، الذين يجر قولهم إلى التعطيل، بجعل العبد هو الرب، وغير ذلك من البدع

---

(١) انظر أقوالهم في: مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٤/ ٢٢١-٢٢٢)، فتح الباري، لابن حجر (٨/ ٤٠٤)، الروح، لابن القيم ص ١٩٤-١٩٧.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٤/ ٢١٦).

(٣) رواه مسلم في كتاب: «الجنة وصفة نعيمها»، رقم: ٢٨٧٢)، (٤/ ٢٢٠٢).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٦٩.

(٥) رواه مسلم في كتاب: «الإمارة»، رقم: ١٨٨٧، (٣/ ١٥٠٢).

الكاذبة المضلة»أ. هـ [١] ، وهناك من عبد الأرواح واتخذ على صورها الأصنام [٢] .

ومنها: أن قولهم هذا مشابه لقول النصارى في المسيح: إن فيه جزء لا هوتي ، وجزء ناسوتي وهذا القول نابع من قول النصارى ، ثم تلقته جهمية هذه الأمة [٣] .

ولقد وجد الشيطان الرجيم - لعنه الله - في الروح مجالاً رحباً لإضلال الخلق لأنها من عالم الغيب وهي سر استأثر الله تعالى بعلمه فنهى عن الخوض في ماهيتها وأحوالها التي لم ترد بها النصوص [٤] .

فلبس إبليس على أقوام من الفلاسفة والمتصوفة حتى أوقعهم في كثير من الضلال .

وللشيطان في مسألة الروح مكايد لا تخفى ، ونظراً لكثرة تشعب الموضوع وتعدد مسائله حصرت البحث في ثلاث مسائل:

الأولى: تحضير الأرواح ، **والثانية**: الهامة ، **والثالثة**: التناسخ .

المسألة الأولى: تحضير الأرواح: وهي من المسائل التي كثر الخوض فيها ، ولها مؤيدون ، وانتشرت في الغرب والشرق [٥] ، وهي تعرف بما يسمى الاسبرتزم ويعني

---

(١) مجموع الفتاوى ، لابن تيمية (٤/ ٢١٦) .

(٢) نظر: دقائق التفسير ، لابن تيمية (٢/ ١٢٣) .

(٣) انظر تفصيل الرد عليهم في: مجموع الفتاوى ، لابن تيمية (٤/ ٢١٦ وما بعدها) ، شرح الطحاوية ، لأبي العز الحنفي ، ص ٤٤١ وما بعدها ، الروح ، لابن القيم ، ص ١٩٤ وما بعدها .

(٤) قال ابن تيمية: «ليس في الكتاب والسنة أن المسلمين نهوا أن يتكلموا في الروح بما دلّ عليه الكتاب والسنة لا في ذاتها ولا في صفاتها ، وأما الكلام بغير علم فذلك محرم في كل شيء» ، الفتاوى (٤/ ٢٣١) .

(٥) يقال أن بداية نشأتها في أمريكا ، على يد رجل يدعى فيكمان كان يسمع في كل ليلة طرقات متعددة ، وكانت ابنته تشعر بأن هناك يد تلمسها . . . فهجر المنزل . . وسكنه بعده آخر يدعى (جون فوكس) فقامت زوجته بالتخاطب مع هذه الأرواح ، وطلبت منها أن تطرق عشر طرقات ، وهكذا استمرت في التخاطب معه حتى توصلت إلى أنها روح رجل كان يسكن هذا البيت ، وقد قتله جاره ليسرق ماله ويدفنه فيه . . . وضبطت الجريمة واعترف الجاني . . .!! انظر: دائرة معارف القرن العشرين ، محمد وجدي (١/ ٢٤٨-٢٤٩) ، عقيدة البعث في الإسلام ، للتهامي نقرة ، ص ٨٨ وما بعدها .

الاتصال بالكائنات غير المنظورة[١] .

ولها علاقة بما يسمى «الاكتوبلازم» [٢] ، وما يسمى «بالجسم الأثيري »[٣] ،

---

(١) عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة ، لفواز عبيد ، ص ٤٢٧ .

* ويعرفه مورسلي بأنه «العلم الذي يثبت بقاء الروح بعد موت الجسد ، وإمكان اتصالها بالأحياء بواسطة أساليب تدلهم بها على مرادها ، إلا أن الأحياء الذين تتصل بهم ويفهمون مرادها تكون لهم قوى مخصوصة ، ويطلق عليها اسم الوسطاء . . . وتقوم هذه القوى بالأمور الآتية:

أولاً: بحلول الروح في الوسيط وتكلمها بلسانها وكتابتها بيده .

ثانياً: بإصدارها سائلاً أو جسماً روحياً يتشكل بشكل خاص حتى يمكن أن يلمس ويرى ويصور ويفعل بالأجسام ولو كانت بيعدة عنه [!!]

ثالثاً: بإدراك الحالات النفسية في أشخاص يشاركونها في الشعور أو يجعلهم يدركون أحوالها ولو كانوا بعيدين عنها...» أ. هـ، رسائل الأرواح ، ص ٩٠ ، د . فؤاد صروف .

(٢) أي المادة الخارجة من الجسم ، يقول: د . كروفرد ، ود . جيلي – وهما من دعاتها - : «إن هذه المادة تخرج من رأس الوسيط بهيئة شرائط وعقد وأهداب مزركشة ، وهي في بعض الأحيان جامدة ، وفي البعض الآخر لينة مطاطة ، ولكنها تنقبض دائماً عندما تمس شيئاً مادياً . . . أما الدكتور كروفرد فقال: «إن الاكتوبلازم يخرج من القسم الأسفل من جسم وسيطته [!!] ويقرع على الأرض قرعاً شديداً ، ويرفع الموائد ويضرب من أمامه حتى يشعر بالمضروب كأن قضيباً من الحديد الصلب تخره ، وقال جيلي: إن الأكتوبلازم نيِّر وقال في مكان آخر: إن وجود النور يدفع جسد الوسيط لامتصاصه . . .»ا .هـ، رسائل الأرواح ، د . فؤاد صروف ، ص ١٨ .

وقد اتضح كذب القائلين بها حيث صرحوا إنه لا يحلل مطلقاً . . وقال آخرون: إنه مركب من كربونات وفصفات ومادة أخرى لا يعلمها إنسان!! انظر: تفصيل ذلك في المرجع السابق من ص ١٨–٢٠ ، وهو عبارة عن مقال لأحد الأجانب ويدعى المستمر بلاك .

(٣) يعرفه أصحاب الروحية الحديثة بأنه: «لطيف شفاف ، مطابق تماماً للجسم المادي ، ولا يراه عامة الناس ، إلا الموهوبون ، هبات روحية [!!] ويتصل هذان الجسدان بعضهما ببعض اتصالاً وثيقاً طيلة حياة الإنسان الأرضية ، فإذا انفصل الجسم الأثيري انفصالاً مؤقتاً كما في حالة النوم أو الغيبوبة سمي طرحاً مؤقتاً ، وإذا انفصل انفصالاً تاماً حدوث الموت ، سمي طرحاً دائماً ، فيعود الجسم المادي إلى الأرض التي خلق منها ، ويعود الجسم الأثيري للعالم الذي هبط منه ، وهو عالم الروح والبرزخ . . .» موسوعة الظواهر الخارقة ، د . أحمد توفيق حجازي ، ص ١٩٤ ، وللشيعة اعتقاد في الجسم الأثيري وملخصه بأن الروح تتلبس به بعد الموت وتنتقل إلى حيث شاءت ، وربما حضرت في مكانين في آن واحد ، وهذا ما صرح به أحد علمائهم وهو حميد المبارك في موقعه على الشبكة في محاضرة بتاريخ ٦/ ٢/ ٢٠٠٣م ، حيث زعم أن فاطمة – رضي الله عنها – تحضر مجالس العزاء التي تقام لمقتل الحسين كل عام في كل مكان في الشرق أو الغرب . . .!!

و«التلباثي» (١) .

وكلها مصطلحات تدل على معانٍ وهمية ، وقد فسرت ظواهر هذه الحالة بأنها إما قوى شيطانية أو قوى خفية (٢) غير معروفة تفعل ما تؤمر به دون رؤيتها أو عقول منتشرة في الكون يجذبها الوسيط بما وصل إليه من حالات من الشفافية!!

وإما وجود أحياء لا ترى أو أنها من الحيل والخداع أو الاستهواء الذاتي الذي يجعل الإنسان يرى ما لا وجود له ويسمع أصواتاً لا حقيقة لها (٣) .

ويدخل في ذلك ما يسمى بالتنويم المغناطيسي (٤) .

---

(١) أحد الملكات النفسية التي تتجاز ما تألفه الحواس الإنسانية ، ويعرف بالشعور عن بعد وقد يطلق عليها تراسل الأفكار أو البصر المغناطيسي ، وتعني هذه الملكة: أن أناساً يستحضرون في أخلادهم سيرة إنسان بعيد بغير سبب يعلمونه ، فإذا هو ماثل أمامهم ساعة استحضاره ، أو يقلقون لغير سبب في لحظة من اللحظات ، ثم يعلمون بعد ذلك أن إنساناً عزيز عليهم كان يتألم . . . ، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ، (٢/ ١٠٢٠) .

(٢) ظهر في هذا الزمن من يبالغ في تقديس ما يسمى بقوة العقل الباطن ، ويعطيه منزلاً من القداسة حتى زعم بعضهم أن لديه الحل لكافة المشاكل!! وأن بيده الشفاء من جميع الأمراض!! وأنه يمنح القوة والعزيمة ، انظر: كتاب الإيمان وإيقاظ القوى الخفية ، أ.د. توفيق يوسف الواعي ، ص ٣٦-٣٨ ، دار البحوث العلمية ، الكويت .

(٣) انظر: رسائل الأرواح ، د. فؤاد صروف ، ص ٩٩-١٠٠ .

* وتأمل هذا القول للدكتور فؤاد صروف حيث يقول: «استعمل الدكتور جيلي والبارون شرنك . . . وسيطة وكان عليهما أن يبحثا عن وسطاء أمناء يعاونونهما على البحث بإخلاص وحسن نية ، وقد أكد الدكتور جيلي أنه كان يستحيل على هذه الوسيطة أن تخدعه . . . وقد أجرى تجاربه في الظلام الحالك [!!] دخلت الوسيطة حجرة الامتحان فاستولت عليها الغيبوبة حالاً وبدأ الاكتوبلازم يخرج منها وتكونت منه أيد وأرجل ورؤوس عليها شعر . . .»أ. هـ ، المرجع السابق ص ١٩ .

(٤) يقول د. ريكان إبراهيم في تعريفه في كتابه (مقدمة في الباراسايكولوجي):

«في عملية التنويم تجري عملية كف لعمل الحواس الخمس للنائم وإغفاء بايولوجي للوعي . . . وينتقل دماغ المنوم على حالة من الكهربائية والبيركيميائية قريبة من حالة دماغ المنوِّم ، وهذا ما يسهل عملية نقل الأفكار [!!] بطريقة تخاطرية ، ويظل الشخص المنوم أسير الأوامر الصادرة من الفرد الموحي بها طالما أن هناك عملية مناظرة مثلية بين الحالتين في الدماغين . . .» =

= وإني أتساءل هل يمكن على ذلك تغيير عقيدة المنوم وقيمه إذا كان منومه على ديانه أخرى؟!
ويقول مجدي محمد الشهاوي في كتابه التنويم المغناطيسي بين الحقيقة والخرافة ، ص٣٢ ، مكتبة القرآن «ويمكن بواسطة التنويم إحداث حالات من النسيان ، والتذكر والشلل الحركي ، وفقدان الأحاسيس والنكوص (الرجوع) إلى مظاهر سلوكية وعاطفية وفكرية اتصف بها الفرد في سنوات سابقة من حياته وطفولته» ا.هـ.
يقول د. أحمد توفيق حجازي: «إن ظاهرة التنويم المغناطيسي تدل على وجود الروح ، وعلى أن لها قوانينها وعالمها الخاص ، فالإنسان في حالة النوم المغناطيسي تكون حواسه كلها معطلة ، وحتى الأفعال الانعكاسية تكون في حالة شلل تام ، حتى لو وخزت النائم بإبرة فإنه لا يظهر عليه أي شعور ، ومع ذلك فإنك تسأله عن أشياء بعيدة عنه ، فيحدثك عنها وكأنه يراها ، وهو لا يعرفها في حالة اليقظة ، ولا يستطيع لو كان مستيقظاً أن يجيب على أي سؤال مما أجاب عنه وهو نائم ، فإذا استيقظ من هذا النوع من النوم فإنه لا يتذكر شيئاً مما سئل عنه وأجاب . . .»!! موسوعة الظواهر الخارقة ، د. أحمد حجازي ، ص ١٩٢ ، ثم هم في هذا التنويم يدعون أن الشخص يرى ما لا يستطيع رؤيته ، ويسمع ما لا يمكنه سماعه من الأصوات حتى ولو كان بينه وبينها مائة فرسخ يذهب عن الأشياء البعيدة عنه ليراها على حقيقتها . انظر: المرجع السابق ، ص ١٩٢-١٩٣ .
يقول سيد قطب - رحمه الله - : «وهذا التنويم المغناطيسي ما هو وكيف يتم؟ كيف يقطع أن تسيطر إرادة على إرادة ، وأن يتصل فكر بفكر فإن أحدهما يوحي إلى الآخر وإذا أحدهما يتلقى عن الآخر من كتاب مفتوح» ا.هـ ثم يعلق بقوله ، «السحر من قبيل هذه الأمور ، وتعليم الشياطين للناس من قبيل هذه الأمور وقد تكون صورة من صورة: القدرة على الإيحاء والتأثير ، إما في الحواس والأفكار وإما في الأشياء والأجسام» ا.هـ ، في ظلال القرآن (١/ ٩٧) .
وقد أصدرت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء فتوى عن التنويم المغناطيسي ونصها: «التنويم المغناطيسي ضرب من ضروب الكهانة باستخدام جني يسلطه المنِّوم على المنَّوم فيتكلم بلسانه ويكسبه قوة على بعض الأعمال بسيطرته عليه إن صدق مع المنوم ، وكان طوعاً له مقابل ما يتقرب به المنوم إليه ، وتجعل ذلك الجني المنَّوم طوع إرادة المنِّوم يقوم بما يطلبه منه من الأعمال بمساعدة الجني له إن صدق ذلك الجني مع المنوم ، وعلى ذلك يكون استغلال التنويم المغناطيسي واتخاذه طريقاً أو وسيلة للدلالة على مكان سرقة أو ضالة أو علاج مريض ، أو القيام بأي عمل آخر بواسطة المنِّوم غير جائز ، بل هو شرك لما تقدم ، ولأنه التجاء إلى غير الله فيما هو من وراء الأسباب العادية التي جعلها الله سبحانه إلى المخلوقات وأباحها لهم» ، مجموع فتاوى الشيخ بن باز (٣/ ٣١٣-٣١٤) .
«وفي ندوة عقدتها جريدة الدستور الأردنية ونشرتها في العدد ٧٠٨٢ السنة ٢١ في الخميس ٧/ ٥/ ١٩٨٧م على صفحة ١٤-١٥ اشترك فيها العلماء وأساتذة علم النفس وبعض رجال الفكر الإسلامي كانت نتائج الندوة: أن هناك نوعين من المغناطيسي طبي مقبول ، ومسرحي مفروض ، وأن الأخير يتبع الشعوذة والدجل»ا.هـ ، نقلاً من التنويم المغناطيسي بين الحقيقة والخرافة ، تأليف مجدي الشهاوي ص٥٦ .

وعن التحقيق نجد أنها مكيدة شيطانية ، وفكرة إبليسية ، روج لها إبليس وتستر من خلالها لإيقاع البشر في الشرك والبدعة ، وادعاء علم الغيب والتوكل على غير الله ، وهي باختصار قائمة على أن «القرين من الجن لـه قدرة على تقليـد صـاحبه في صـوته ، وقـد يتشكل بشكله ، وهو على دراية واسعة بحاله الظاهرة والباطنة ، وللقرناء صـلة ببعـضهم يعرفون عن طريقها الأخبار التي تحـدث للنـاس ، فـيمكن لقـرين سـعد مـثلاً أن يعـرف أحوال سعيد عن طريق سؤال قرينه . . . فإذا قام إنسان علـى مواصـفات معينـة وبطـرق مختلفة بتحضير روح إنسان فهو يحضر روح قرينه ، الذي يستطيع أن يقلد صـوته ، ويخـبر عن كثير من أحواله ، وعن أمور غائبة عرفها القرناء وتبادلوا أخبارهـا . . . وقـد يكـذب القرناء في أخبارهم ، فيقول قرين الكافر مثلاً ، إنه في نعيم ، وهو بنص القـرآن في عـذاب أليم ، والروح الحقيقية لأي إنسان لا تكذب بعد الموت ، فهو في دار الحق الـتي لا كـذب فيها ، ولم يحدث أن ادعـى مـن يزاولـون تحـضير الأرواح أنهـم احـضروا روح نـبي مـن الأنبياء ، وذلك لأن الشياطين لا تتمثل بهم ، ولا تستطيع تقليد أصواتهم . . .» [1] .

يقول د . عمر الأشقر – حفظه الله – : «انتشر في عصرنا القول بتحـضير الأرواح وصدق بهذه الفرية كثير مـن الـذين يعـدهم النـاس عقـلاء وعلمـاء ، وتحـضير الأرواح المزعوم سبيله ليس واحداً فمنه ما هو كذب صراح يستعمل فيه الإيحاء النفسي والمؤثرات المختلفة ، والحيل العلمية ، ومنه ما هو استخدام للجن والشياطين»أ . هـ [2] .

وعقب – حفظه الله – بقولـه: «وأرى أن غالبية الدعوات التي يزعم فيهـا تحـضير الأرواح هي من هذا القبيل»أ . هـ [3] .

الهدف من وراء التحضير لهذه الأرواح إما معالجة المرضى [4] ، وإما كشف غيـب

---

(١) من فتاوى الشيخ عطية صقر نقلاً من موقع إسلام أون لاين .

(٢) عالم الجن والشياطين ، د . عمر الأشقر ، ص ١٠٠ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٠٢ ،

(٤) انظر: كتاب حوداث خارقة للطبيعة ، إعداد: سيد عبـدالكريم ، ص ٣ ومـا بعـدها ، وللأسـف حتـى بعض المتعلمين انخدعوا بهذا التلبيس ، انظر: كتاب بلغة الأمل على الشفاء العاجل بالطب =

مجهول كما يزعمون ، وإما العثور على مفقود ، وإما إيهام العامة أنهم يلتقون أمواتهم

= الروحاني لمصطفى مرتضي العاملي ، وكتاب رحلتي إلى عالم الجن والعلاج الروحاني ، د . نادية رضوان ، وقد ذكرت قصصاً طويلة تمثلت في رحلتها مع عالم المشعوذين والخرافيين لعلاجها من صداع تعاني منه .

وأظن أن خير شاهد على هذه القصة حديث زوجة ابن مسعود – رضي الله عنهما – عندما قالت: إن عبدالله رأى في عنقي خيطاً ، فقال: ما هذا؟ قلت: خيط رقي لي فيه ، قالت: فأخذه ثم قطعه ، ثم قال: أنتم آل عبدالله لأغنياء عن الشرك ، سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الرقى والتمائم والتولة شرك) فقلت: لقد كانت عيني تقذف ، وكنت أختلف إلى فلان اليهودي ، فإذا رقى سكنت ، فقال عبدالله: إنما ذاك عمل الشيطان ، كان ينخسها بيده ، فإذا رقى كف عنها ، إنما كان يكفيك أن تقولي كما كان رسول الله ﷺ يقول: (اذهب البأس ، رب الناس واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك ، شفاء لا يغادر سقماً) الحديث رواه أبو داود في سننه ، رقم ٣٨٨٣ (٤/ ٤) وأبو يعلى في مسنده برقم ٥٢٠٨ (٩/ ١٣٣) ، والبيهقي في السنن الكبرى رقم ١٩٣٨٧ (٩/ ٣٥٠) .

وممن يتزعم العلاج الروحاني والطب البديل في هذه الأيام من تعرف بمريم نور وهي نصرانية لبنانية نقل عنها في شبكة الدفاع عن السنة بأن هناك موقع نصراني يحذر منها (وأنها من عبدة الشيطان وتروج الأفكار طائفة دينية إلحادية منتشرة في أمريكا يطلق عليها (حركة العصر الجديد – new age more ment) وأن على كل مسيحي أن يكون على حذر من الأفكار والطرق التي تقوم على خلط الأساطير الهندوسية والبوذية والتاوية وما له صلة بعبدة الشيطان وممارسي اليوغا وأن مريم نور ملحدة ومن عبدة الشيطان) ا .هـ .

ومما ينبغي الحذر منه أن لهذه المرأة وجود في بعض القنوات الفضائية ولها موقع تبث من خلاله سمومها ، ومن أقوالها: «أنا مواطنة أميريكية ولكن اعتبر نفسي مواطنة هذا الكوكب . . وليس لدي حياة اجتماعية . . فجل ما أقوم به هو ما أحب أن أكون عليه . . بغض النظر عما أقوله . . وذلك لأن الصمت هو اللغة الوحيدة للحقيقة ، ولأن الصمت هو لغة اللغات ، فمعرفة ذاتك هي الخطوة الأولى في الرحلة هذه . . فلنشبك أيادينا ولنوحد قلوبنا ولنشف حياتنا وأمنا الأرض . . وليحل السلام على الأرض . . كلنا عائلة واحدة في أرض يعم فيها السلام» ا .هـ .

ومن أقوالها: «يزعم البعض بأنني أقوم بغسل عقول البشر ، كلا ، لست بغاسلة لعقول الناس ، فأنا أغسل عقولهم بالتأكيد ، ولكني أؤمن بطريقة التنظيف الجاف . . لنغسل أفكارنا وأجسادنا وعقولنا ونسير معاً إلى الفناء بالله» نقلاً من موقعها على الشبكة .

انظر ما كتب عنها في شبكة الدفاع عن السنة ، وما كتب عنها في منتدى شموخ بعنوان «بحث عن الروحانية مريم نور حقائق لأول مرة ، ابتداه الكاتب بقوله «ساهموا معنا لكي نكشف الحقيقة للمخدوعين فإن مريم نور صارت تشكل خطر حقيقي على بناتنا وشبابنا . . .» إلخ .

الذين سبق أن فارقوهم ويسألون عن أحوالهم وكيف يعيشون!!

ويظهر تلبيس الشياطين عليهم من خلال:

- سماع أصوات تصدر من هذه الأرواح المزعومة، تحريك بعض الأجسام الموجودة في الغرفة كالطاولة أو القلم والكتابة أحياناً، وربما الرسم والنحت، وغير ذلك مما لا يستطيعه المهرة.
- إحضار بعض الأمتعة والأطعمة من خارج غرفة التحضير، وتغير درجة حرارة الشخص المنوم، وارتفاع نبضه، وسماع أصوات موسيقية [1].
- استعمالهم لألفاظ من الأدعية والاستغفار والتهليل لخداع العوام، وقد زعم أحد أنصارهم [2] أن جبريل حضر إحدى جلساته وأبدى ندمه لعدم وجود كاميرا التصوير، والدلالة على مسروق أو غائب.
- اعتراف بعض من دخل فيه وجربه بأنه دجل وكذب وخداع على أيدي الشياطين زيادة في الإضلال وتمويها على العباد، ومن أولئك أحمد عزالدين البيانوني صاحب كتاب الإيمان بالملائكة.

وقد كانت له تجربة شخصية مع أحد محضري الأرواح الذي بدأت بدعوته للقاء فلان وفلانة من الجن لحديث مهم، وعند اللقاء جلس مع الوسيط في غرفة وأخذ يردد أذكاره حتى أغفى الوسيط فغطاه بغطاء كما أمره أن يفعل، وإذا بصوت خافت يسلم عليه ويظهر حفاوته به ويقول له أنه مخلوق ليس من الملائكة ولا من الجن ولكنه خلق آخر . . . وأن الجن لا تصدر إلا عن أمره وأنه يتلقى الأوامر من الله بعد أربعة وسائط خامسهم جبريل، ثم وعده بوعود مغرية وتتابعت اللقاءات المليئة بالوعود الحسنة، والمستقبل المشرق، والنفع العظيم، وهكذا وأصبحت هذه الأصوات تدعي أنها من

---

(١) انظر: عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة، لفواز عبيد، ص ٤٢٩.

(٢) هو د. علي راضي، التفاصيل في كتاب الروحية الحديثة، لمحمد حسين، ص ١٦-١٨.

الملائكة مرة ومن الصحابة، أو من الأولياء أو من الجن مرات أخر. حتى قالوا مرة بأن الزائر أبو هريرة - ﷺ - وغيره من أهل العلم والفضل، وفي الأخير وعدوه بزيارة والده المتوفى، وطلبوا منه ألا يسأله عن شيء فجاء وأوصاه بالوسيط وأبدى له فرحه بصلته بهذه الأرواح وختم حديثه بالصلاة الإبراهيمية.

ثم تبين له بعد رحلة طويلة مع هؤلاء الشياطين أن الوسيط المزعوم تارك للصلاة، وأنه أمر قائم على الكذب والبهتان بعيد عن الدين والتقوى، ثم ختم كلامه بقوله: «فهذه الأرواح التي تدعي أنها أرواح رجال من الصحابة والأولياء والصالحين كلها شياطين، لا ينبغي لمؤمن عاقل أن ينخدع بها، وجميع الصور التي اعتادها مستحضرو الأرواح كذب وباطل... ومن عجيب الأمر أني قرأت بعد ذلك كتباً مؤلفة في هذا الموضوع، فإذا بالمجرمين العاقلين وصلوا إلى مثل ما وصلت إليه، وحكموا على تلك الأرواح أنها قرناء بني آدم من الجن، كما هداني الله تعالى إلى ذلك من قبل، والحمد لله»(١).

---

(١) الإيمان بالملائكة، لأحمد عزالدين البيانوني، ص ١٧٩-١٨٠.

* نشر موقع إسلام آن لاين قصة لأحد التائبين قال فيها: «ذات يوم قرأت الطلاسم كالعادة كي يحضر الجني وأطرح عليه أسئلة، وانتظرت فلم يأت بعد لحظات وجدت الفنجان قد تحرك، سألته من معي؟ فلان!!! وإذا به يجيب وعبر طريقة مع الأحرف..... الأبجدية التي على الطاولة، لا ولكني جني مسلم، كنت أراقب ما تفعله وأردت أن أحذرك مما تقوم به، هل تعلم أنك تقوم بتأليه وتعظيم أحد عفاريت الجن الكافر عبر قراءتك هذه الكلمات المليئة بالشرك، ألا تتقي الله؟ وأنت مسلم.... انصدمت كثيراً وانتابني خوف كبير لما قاله ذلك الجني الدخيل... وتبت إلى الله توبة نصوحاً... وها أنا اليوم أعمل على تحذير من التقي به...» أ. هـ.

ومما يتعجب له تأييد الشيخ طنطاوي جوهري لهذه الدعوى ولي أعناق النصوص لتأييد رأيه فاستدل بقوله تعالى في قصة موسى - عليه السلام - في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ قوله تعالى: ﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ﴾ سورة البقرة، الآيات: ٦٧-٧٣، على ثبوت علم تحضير الأرواح وقال: «لأن الله ذكر لنا في سورة البقرة هنا إنهم ضربوا القتيل فحيي وأخبر عمن قتله، وهو الذي كان وارثا له...». الجواهر في تفسير القرآن، للشيخ طنطاوي جوهري (١/ ٨٤). =

وأما بيان كذب هذه الدعوى والأدلة على أنها من أحوال الشياطين فكثيرة منها:

١- ادعاء علم الغيب ومعرفة أحوال أشخاص لم يرهم.

٢- ادعاء رؤية الأرواح ومخاطبتها ومعرفة أحوالها مع استحالة ذلك كما نص على ذلك الرب تعالى في قوله: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾[1] ، والمعنى « ﴿ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ أي من شأنه ، ومما استأثر بعلمه دونكم . . . ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ أي وما أطلعكم من علمه إلا على القليل فإنه لا يحيط أحد بشيء من علمه»[2] .

٣- الظلام الحالك الذي يصاحب هذه العمليات ووجود خباء وهي حجرة جانبية مفصولة عن غرفة التحضير بحجاب سميك - زيادة في الظلام - وهي تعد لجلوس الوسيط ، ومنه تخرج الأرواح المتجسدة .

٤- عدم السماح لأحد بلمس الأشباح .

٥- ادعاء ما يعرف بالوسيط واتصافه بصفات معينة يطالبون بها من الشفافية

= وقال أيضاً: «إن هذه الآية تتلى والمسلمون يؤمنون بها ، حتى ظهر علم تحضير الأرواح بأمريكا أولاً ، ثم بسائر أوروبا ثانياً ، وفائدة هذا العلم أن من صحت عنده أحوال الأرواح وظهورها أيقن بالآخرة وبالحياة بعد الموت إيقاناً تاماً . . .»أ. هـ!! المرجع السابق (١/ ٨٤) .
واستدل بقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾ سورة البقرة الآية: ٢٦٠ .
وهذا القول الذي فسر به الشيخ طنطاوي الآيات قول لم يسبقه إليه أحد من المفسرين لا في القديم ولا الحديث ، وقد وقع في شر مما فر منه ، حيث أراد إثبات بقاء الروح ، وعدم فنائها والرد على الماديين ومنكري اليوم الآخر ، فوقع في تأييد هذه الفكرة الخبيثة التي هي دعوة نصرانية تهدف إلى إبطال النبوات كما سيأتي .
لذا أقول: إن عقيدة الإسلام واضحة جلية بأدلتها العقلية والشرعية وليست بحاجة إلى تأييد بأدلة مشكوك فيها ، أو معلوم بطلانها ، فلا يرد على الباطل إلا الحق ، وإني أتساءل بناء على هذا القول وهل مدعي علم تحضير الأرواح اليوم في أوروبا تكون لهم كرامات نؤمن بها؟!!

(١) سورة الإسراء ، الآية: ٨٥ .

(٢) تفسير القرآن ، لابن كثير (٣/ ٦٢) .

ووجود مادة (الاكتوبلازم) – كما سبق – وهذه كلها أمور لا يعقلها العاقل، وقد تبين أن هؤلاء الوسطاء ما هم إلا دجالون منافقون يتعاملون مع الجن والشياطين ويتقربون إليهم بالشرك بالله.

٦- الكلام والعبارات التي تصدرها هذه الأرواح – بزعمهم – على لسان هؤلاء الوسطاء، وكل ذلك من التخرص والقول على الله بلا علم، ومنها ما هو بمساعدة الشياطين أو القرين وأنقل هذه العبارات التي ذكرها أحدهم، والتي تدل دلالة واضحة على أن هذه الدعوى دعوة شيطانية يقول فيها:

«يجب أن نتحد في هذه الحركة، في هذا الدين الجديد، يجب أن تسودنا المحبة، ويجب أن تكون لنا قدرة على الاحتمال والتفاهم.. رسالتي أن أواسي المحروم، وأساعد الإنسان على تحرره في نفسه من الله تعالى [(١)] [!!] الإنسان إله مكسو بعناصر الأرض وهو لن يدرك ما في مقدوره هو ما لم يحس بجزئه الملائكي الإلهي... الروحية ستكون أقدر من غيرها على تأسيس دين جديد وواسع للعالم كله» [(٢)].

٧- ظهور أصوات وحركات دون رؤية أحد، وهذا لا يستبعد إنها شياطين، فالله تعالى يقول: ﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ [(٣)].

٨- إن هذه دعوة تهدف إلى إبطال النبوة والرسالة، وادعاء الرسالة كما نقل عنهم قولهم: «نحن مرسلون من عند الله كما أرسل المرسلون قبلنا، غير أن تعاليمنا أرقى من تعاليمهم، فإلهنا هو إلههم، إلا أن إلهنا أظهر من إلههم وأقل في صفات بشرية.. وأكثر صفات إلهية.. لا تخضع لأي عقيدة مذهبية...» [(٤)].

---

(١) هي نفس دعوة الشيطان ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾.

(٢) مجلة الروح مقال بعنوان (حديث الروح الكبير هوايت هوك) نقلاً عن الروحية الحديثة د. محمد محمد حسين ص ٥٧.

(٣) عالم الجن والشياطين، د. عمر الأشقر ص١١٠.

(٤) المرجع السابق.

ويقول أحد زعمائهم [١] عن الأنبياء: «وسطاء في درجة عالية من درجات الوساطة والمعجزات التي جرت على أيديهم ليست إلا ظواهر روحية كالظواهر التي تحدث في حجرة تحضير الأرواح» [٢] .

٩- مخالفة هذه الدعوى للنصوص الصريحة والصحيحة بأن الأرواح بعد الموت تنتقل إلى عالم البرزخ ، وأنه لا سلطان لأحد عليها ، وأن الله يتوفاها سبحانه وهي بعد الموت إما معذبة وإما منعمة وثبت أن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في رياض الجنة ، تأكل من ثمارها وتشرب من أنهارها ، وتأوي إلى قناديل معلقة في سقف عرش الرحمن .

وفي حديث البراء بن عازب قال خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولم يلحد فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله وكأن على رؤوسنا الطير ، وفي يده عود ينكت في الأرض ، فرفع رأسه فقال استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاث ثم قال: إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا ، وإقبال إلى الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ، ثم يجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه ، فيقول أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان قال فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن ، وفي ذلك الحنوط ، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض ، قال فيصعدون بها ، فلا يمرون يعني بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذه الروح الطيب ، فيقولون فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون فيفتح لهم فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهي به

---

(١) وهو آدثر فندلاي في كتابه «على حافة العالم الأثيري» .

(٢) على حافة العالم الأثيري نقلاً من كتاب مجموع فتاوى الشيخ عبدالعزيز بن باز (٣/ ٣١٥) .

إلى السماء السابعة فيقول الله عز وجل اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض ، فإني منها خلقتهم ، وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى قال فتعاد روحه في جسده ، فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان لـه من ربك فيقول ربي الله ، فيقولان له ما دينك فيقول ديني الإسلام ، فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هو رسول الله ﷺ ، فيقولون لـه وما علمك فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت فينادي مناد في السماء أن صدق عبدي فافرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا لـه باباً إلى الجنة ، قال فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح لـه في قبره مد بصره ، قال ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد ، فيقول لـه من أنت فوجهك الوجه يجيء بالخير فيقول أنا عملك الصالح ، فيقول رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي . قال وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح ، فيجلسون منه مد البصر ، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول يا أيتها النفس الخبيثة أخرجي إلى سخط من الله وغضب قال فتفرق في جسده ، فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول ، فيأخذها ، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ويخرج منها كأنتن ريح جيفةٍ وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها ، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذا الروح الخبيث فيقولون فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهي به إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له ، ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾ فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى فتطرح روحه طرحاً ، ثم قرأ ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ﴾ فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول هاه هاه لا أدري فيقولان له ما دينك فيقول هاه هاه لا أدري فيقولان لـه ما هذا الرجل الذي بعث

فيكم فيقول هاه هاه لا أدري فينادي مناد من السماء أن كذب فافرشوا لـه من النار وافتحوا له باباً إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول أبشر بالذي يسوؤك هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول من أنت فوجهك الوجه يجيء بالشر فيقول أنا عملك الخبيث فيقول رب لا تقم الساعة)[١].

١٠- عجز أصحابها عن إقامة دليل صحيح على صدق دعواهم مع التقدم العلمي والتكنولوجي، فقد «وضعت مجلة (سينفيك أمريكان) جائزة مالية ضخمة لمن يقيم الحجة على صدق الظواهر الروحية، ولا تزال الجائزة قائمة لم يظفر بها أحد رغم انتشار الروحيين ونفوذهم وبراعتهم في أمريكا، وقد ضم إلى هذه الجائزة جائزة أخرى تبرع بها الساحر الأمريكي دنسجر للغرض نفسه ولم يظفر بها أحد أيضاً»[٢].

ويقول أحد منشئي تحضير الأرواح: «إن كل ما اطلعنا عليه من هذا القبيل، وكل ما امتحناه بأنفسنا لم نجد فيه ما يخرج عن التخييل والخداع والانخداع، أو ما لا يفسَّر بالاستهواء الذاتي أو ببعض النواميس الطبيعية المعروفة، أو ما لا يمكن ردُّه إلى غيره مما لا يتعذر تفسيره أو ما في صحته شبهة قويّة»[٣] ا.هـ.

١١- أن هذه الأرواح قد تختلف مع الوسطاء فتتخذلهم وينكشف أمرهم وهذا حصل لبعض مدعي تحضير الأرواح[٤].

---

(١) رواه أحمد في المسند برقم ١٨٥٥٧ (٤/ ٢٨٧)، وأبو داود، رقم: ٣٢١٢، والحاكم في المستدرك رقم: ١٠٧ ورقم: ١١٣ ، وابن أبي شيبة في مصنفه رقم: ١٢٠٥٩ (٣/ ٥٤)، وقال المنذري: «رواه أحمد بإسناد رواته محتج بهم في الصحيح»، الترغيب والترهيب (٤/ ١٩٦).

(٢) عالم الجن والشياطين د. عمر الأشقر ص١١١ .

(٣) هو: يعقوب صروف نقل قوله هذا د. فؤاد صروف في كتاب رسائل الأرواح ص١٠ .

(٤) نشرت جريدة القبس الكويتية في ملحقها بتاريخ ١٢/ ٦/ ٧٨ مقالاً عن العالم البريطاني الروحاني بيترغودوين الذي اشتهر صيته في معالجة المرضى، ومعرفة السارق، وتسخير الأرواح وكان يرى في أكثر من مكان وربما تجمع أشباح لـه في مكان واحد بنفس شكله وصورته. ومن المعلوم أن الشياطين لهم القدرة على التشكل بأشكال أشخاص وفجأة فقد كل ذلك وتبين أن السبب هو أنه =

١٢- إن الوسطاء قبل التحضير يلتزمون بقراءة تعاويذ معينة يخدعون بها العوام .

١٣- إن الصوت الذي يصدر يختلف تماماً مع صوت الوسيط مما يدل على أن هناك جناً تلبست به ، وربما تكلم بلغة لا يفهمها الحاضرون[١] .

ومن هنا نرتكز في إبطال هذه الدعوى على عدة ركائز ثابتة في عقيدة الإسلام ومنها: أولاً: إن من عقيدتنا في مسألة الروح أن الروح مشتركة مع البدن في الحياة الدنيا في السعي والعمل ، وبعد الموت . . لا يبقى إلا الجزاء ، فلا تكليف حينئذ فهي إما منعمة أو معذبة ، وثانياً: إن من المسلمات عندنا اتباع سنة نبينا محمد ﷺ والخلفاء الراشدين المهديين من بعده ، ومن المعلوم أنه لم ينقل لنا فعلهم لهذا وليس له أصل في كتاب ولا سنة .

- كذلك من عقيدة المسلم أن لكل إنسان شيطاناً قريناً ملازماً له إلى موته وقد دلَّ على ذلك القرآن والسنة ، ومن الآيات قوله تعالى: ﴿ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴾[٣] ، وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾[٤] .

وفي الحديث الصحيح: (ليس منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الشياطين قالوا وأنت يا رسول الله: قال نعم ولكن الله أعانني عليه فأسلم) .

= حاول استغلال ذلك لتحقيق مكاسب مادية وقد جاءته رسالة أكثر من مرة من الأرواح تحذره من استغلال ذلك في مكاسب مادية فلم يلتفت لها فسلب كل ذلك وأصبح شخصاً عادياً!! فتأمل ذلك !! انظر عالم الجن والشياطين د . عمر الأشقر ص١١٣ - ١١٦ .

(١) انظر فيما سبق: عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة فواز عبيد ص٤٢٥ وما بعدها ، الروحية الحديثة محمد محمد حسين ، عالم الجن والشياطين د . عمر الأشقر ، ص١٠٠ وما بعدها ، موقع إسلام أون لاين ، مجموع فتاوى ومقالات سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز (٣/ ٣٠٩ وما بعدها) ، الإيمان بالملائكة لأحمد عز الدين البيانوني ، الإيمان بالغيب ، بسام سلامة ص١١٩-١٢٧ .

(٢) سورة ق ، الآية: ٢٧ .

(٣) سورة ق ، الآية: ٢٣ .

(٤) سورة الزخرف ، الآية: ٣٦ .

- كما أن من عقيدة المسلم أن للجن قدرة على التشكل بأشكال مختلفة ، فقد تظهر بصورة إنس أو حيوان أو حيات .. كما سبق بيانه [١] . وهذا يرتبط بفهم هذه الدعوى ، لأن تدخل الشياطين والجن فيها واضح . ويدل عليه عجزهم عن تحضير روح النبي ﷺ ، حيث طالبهم أحد المفكرين لهذه الدعوى بتحضيرها فاعتذر مدعي تحضير الأرواح بقوله: «إن هذه روح عالية لا يمكن إحضارها» [٢] .

- إنها دعوة إلى دين جديد كما يقول أحد دعاتها [٣] البارزين .

«إن هذه المنظمة ستكون لكل البشرية ، وعن طريقها سوف يوضح لنا سكان العالم الروحي طريقة جديدة للحياة ، ويعطوننا فكرة جديدة عن الله ومشيئته إنهم سوف يأتوننا بالسلام والطمأنينة الروحية وبسعادة النفس والقلب ، سوف يحطمون الحواجز بين الشعوب والأفراد بين العقائد والأديان» [٤] .

ويقف وراءها اليهود والنصارى ، ولهذا تلمس من أقوالهم الدعوة إلى النصرانية ، وتفضيل المسيح عيسى عليه السلام على جميع الأنبياء [٥] .

- اعتراف بعض من دخل فيه وجربه بأنه كذب ودجل وخداع ، وأنه تلاعب تتلاعبه الشياطين بأولئك المحضرين زيادة في إضلالهم وخداعاً وتمويهاً - كما سبق - .

وأجمل القول بما قاله العلامة سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز - رحمه الله - عندما سئل عن تحضير الأرواح فقال: «لقد تأملت هذا الموضوع كثيراً ، فاتضح لي أنه علم باطل ، وأنه شعوذة شيطانية يراد منها إفساد العقائد والأخلاق والتلبيس على المسلمين والتوصل إلى دعوى علم الغيب في أشياء كثيرة .. ثم أضاف: « .. وما يدعيه هؤلاء

---

(١) انظر ص ٤٣-٤٥ .
(٢) انظر الإيمان بالغيب تأليف بسام سلامة ص١٢٦ ، مكتبة المنار ، الأردن .
(٣) وهو د . علي راضي .
(٤) نقلاً من الروحية الحديثة لمحمد محمد حسين ص٥٩ .
(٥) انظر عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة لفواز عبيد ص٤٤٦ .

الدجّالون من تحضير الأرواح، إنما هي أرواح شياطين يخدمها بعبادتها وتحقيق مطالبها وتخدمه بما يطلب منها كذباً وزوراً في انتحالها أسماء من يدعونه من الأموات..»[(١)] ا.هـ.

المسألة الثانية: الهامة : الهامة بتخفيف الميم، وقيل بالتشديد وهو قول شاذ والمراد بها: طير من طير الليل.

وقيل إنها البومة [(٢)]، وقيل: «إنها داء يصيب المريض وينتقل إلى غيره» [(٣)]، وللعرب فيها اعتقادات باطلة منها:

أولاً: التشاؤم بها، فإذا وقعت على دار أحدهم اعتقد أن هذا علامة موته ا.هـ. وعلامة نزول مصيبة به أو أهله، وثانياً: إنها روح ميت تأتي لتطالب بحق أو تأمر بأمر، إنها حشرة تخلق من روح الميت المقتول وأنها تطير وتصيح حتى يقتص منه.

- وقيل: إنها دودة تخرج من رأس المقتول الذي لم يؤخذ بثأره ولا تزال تدور حول قبره وتقول: اسقوني، اسقوني حتى يؤخذ بثأره وإلا بقيت، وقيل: إنها تدور سبعة أيام ثم تذهب، وقيل: إنها عظام الميت تتجمع بعد موته وتصير هامة وترجع إلى قبر الميت كل مائة سنة [(٤)] ولهذا أبطل الإسلام جميع هذه المعتقدات فنفاها كما في الصحيح عنه ﷺ: (**لا عدوى ولا صفر ولا هامة** ...) [(٥)] الحديث، وتظهر مكايد الشيطان في هذه المسألة في عدة أمور:

١- نشر عقيدة باطلة بين مشركي العرب وهي أن هذا الطائر أو هذه البومة روح

---

(١) فتاوى ومقالات سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز (٣/ ٣٠٩، ٣١٢).

(٢) انظر: فتح الباري لابن حجحر (١٠/ ٢٩٥ - ٢٩٦). عون المعبود لأبي الطيب محمد شمس الحق (١٠/ ٤١١) المكتبة السلفية، المدينة. فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص٣٦٢. القول المفيد للشيخ محمد بن صالح العثيمين (٢/ ٨١-٨٢).

(٣) القول المفيد لابن عثيمين (٢/ ٨١).

(٤) انظر فتح الباري (١٠/ ٢٩٦)، والملل والنحل للشهرستاني (٢/ ٢٣٧).

(٥) رواه البخاري في كتاب الطب، باب لا هامة رقم ٥٧٧٠ الفتح (١٠/ ٢٩٥).

الميت يؤدي إلى نشوب الخلافات والقتال بينهم لأخذ الثأر حتى إن هـذا الطـائر لا يـزال يصيح ويرفرف حتى يؤخذ بثأره ، وهذا مما يهـدف إليـه الـشيطان مـن إزهـاق الأرواح وسفك الدماء ، وقد يشكل بصورته وقد يؤزه حتى يقتص من القاتل .

٢- التشاؤم برؤية هذا الطائر ، والتشاؤم بمرئي أو مسموع أو معلـوم محـرم منـاف لكمال التوحيد ، وقد قال ﷺ : **«لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر»** [(١)] .

٣- تلبيسة على المشركين بأمر الروح لأنها من عالم الغيب ولا يمكـن إدراك كنههـا فكان لعدو الله مجال في التلبيس من خلالها لزيادة إضلال المشركين ، ولهذا اتخذ من أرواح الموتى مجالاً لبث مكايده وصدًا العباد عن الحق ، فهناك من يزعم أن أرواح المـوتى تعـود وقد ذكـر ذلـك شيخ الإسـلام – رحمـه الله – في معـرض حديثـه عـن أحـوال الكفـرة والمشركين والسحرة – فقال: «ومن هؤلاء من إذا مات لهم ميت يعتقدون أنه يجـيء بعـد الموت يكلمهم ويقضي ديونه ويرد ودائعه ويوصيهم بوصايا فإنهم تـأتيهم تلـك الـصورة التي كانت في الحياة ، وهو شيطان تمثل في صورته فيظنونه إياه»[(٢)] ا .هـ .

وقال – رحمه الله –: «ومن هؤلاء من يتصور لـه الشيطان ، ويقول لـه: أنا الخـضر وربما أخبره ببعض الأمور ، وأعانه على بعض مطالبه ، كما قد جرى ذلك لغير واحد من المسلمين واليهود والنصارى وكثير من الكفار . . يموت لهم الميـت فيـأتي الـشيطان بعـد موته على صورته . . ويفعل أشياء تتعلق بالميت ، ويدخل على زوجته ، ويذهب ، وربمـا يكونون قد أحرقوا ميتهم بالنار كما تصنع كفار الهند فيظنون أنه عاش بعد موته[(٣)] .

المسألة الثالثة: التناسخ : والنسخ مأخوذ من «نسخ الشيء ينسخه نسخاً وانتسخه واستنسخه: اكتتبه» ا .هـ[(٤)] . والنسخ يأتي بمعنى الإزالة ، وإبطال الشيء وإقامة غيره

(١) رواه أبو داود ، رقم ٣٨٩٤ ، أبو داود مع عون المعبود (١٠/ ٤١١) .
(٢) جامع الرسائل لابن تيمية ص١٩٤ – ١٩٥ .
(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١١/ ٢٨٨) .
(٤) لسان العرب (٣/ ٦١) ، وانظر الصحاح ص٢٧٣ ، العين (٤/ ٢٠١) .

مكانه . ويأتي بمعنى النقل والتحويل ، ومنه التناسخ [١] . و«التناسخ من العقائد الفاسدة التي يقصد بها انتقال الروح من بدن قد مات صاحبه إلى بدن آخر لمخلوق حي ، إنساناً كان أم حيواناً ، وذلك لمنح الروح الفرصة بعد الفرصة لكي تتطهر من أدرانها على أساس أن الحياة قصيرة ، ولابد من إعطاء الروح وقتاً كافياً لكي تتحرر من أخطائها . . .»[٢] .

وهي من العقائد القديمة التي نشأت في الهند والصين ، ثم تسربت إلى بعض فرق المسلمين الضالة [٣] ، وأول من قال به الصابئة فمنهم نشأ أصل القول [٤] ، قال ابن الجوزي – رحمه الله – : «وقد لبس إبليس على أقوام فقالوا بالتناسخ ، وأن أرواح أهل الخير إذا خرجت دخلت في أبدان خيرة فاستراحت ، وأرواح الشر تدخل في أبدان شريرة فيتحمل عليها المشاق وهذا المذهب ظهر في زمان فرعون وموسى» [٥] ا.هـ .

واشتهر عند الدروز [٦] والإسماعيلية والنصيرية والبوذية والدهرية والهندوس ،

---

(١) لسان العرب (٣/ ٦١) . مختار الصحاح ص٢٧٣ ، غريب الحديث للحربي (٣/ ١٠٤٤) .

(٢) الموسوعة الميسرة (٢/ ١٠٢٢) ، وانظر موسوعة القرن العشرين لمحمد فريد وجدي (١٠/ ١٧٢) ، ومنهم الموحدون الدروز ، تأليف جميل أبو ترابي ص٣٦ ، راجعه د. أسعد علي .

(٣) انظر موسوعة القرن العشرين لمحمد وجدي (١٠/ ١٨١) .

(٤) انظر الملل وا لنحل للشهرستاني (٢/ ٥٥) .

(٥) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص٩١ ، تحقيق محمد بن الحسن وسعد السعدني .

(٦) فرقة سرية من فرق الباطنية ، يظهرون الإسلام ويبطنون الكفرو الزندقة ينتسبون إلى أبو عبدالله محمد بن إسماعيل الدرزي الذي كان ظهوره أيام الحاكم بأمره المنصور بن عبدالعزيز أحد ملوك العبيديين في مصر ، وقد دعا الناس إلى عبادته وادعى أن الإله حل في علي بن أبي طالب ، ينكرون الأنبياء والرسل .

ومن معتقداتهم: القول بالتناسخ – كتمان معتقداتهم ومذهبهم ، عصمة أئمتهم ، يزعمون أن لنصوص الشريعة معاني باطنية ، قال شيخ الإسلام: «الدرزية والنصيرية كفار باتفاق المسلمين لا يحل أكل ذبائحهم ولا نكاح نسائهم ؛ بل ولا يقرون بالجزية ، فإنهم مرتدون عن دين الإسلام ليسوا مسلمين ، ولا يهود ولا نصارى لا يقرون بوجوب الصلوات الخمس ، ولا وجوب صوم رمضان ولا وجوب الحج . . .» ا.هـ . مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٦٢) . قال ابن عابدين في حاشيته ، وانظر فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، مجلة البحوث (٣٦/ ٨٥-٨٩) للعلامة =

منهم فرقة تسمى التناسخية «قالوا بتناسخ الأرواح في الأجساد والانتقال من شخص إلى شخص . وما يلقى الإنسان من الراحة ، والتعب والدعة ، والنصب فمرتب على ما أسلفه من قبل ، وهو في بدن آخر جزاء على ذلك . والإنسان أبداً في أحد أمرين: إما في فعل ، وإما في جزاء ، وما هو فيه: فإما مكافأة على عمل قدمه ، وإما عمل ينتظر المكافأة عليه . والجنة والنار في هذه الأبدان ، وأعلى عليين ، درجة النبوة ، وأسفل السافلين دركة الحية . . ومنهم من يقول: الدرجة الأعلى درجة الملائكة ، والأسفل دركة الشياطين»(١) .

وأما البوذية فلهم اعتقاد في التناسخ يخالف ما عليه الأكثرية فيرون أن الروح إن كانت شريرة تنتقل إلى جسد آخر تبدأ معاناة الحياة من جديد حتى تصل إلى الخلاص وهو ما يسمى عندهم (بالنرفا) (٢) .

يقول ابن حزم – رحمه الله – : «افترق القائلون بتناسخ الأرواح على فرقتين: فذهبت الفرقة الواحدة إلى أن الأرواح تنتقل بعد مفارقتها الأجساد إلى أجساد أخر ، وإن لم تكن من نوع الأجساد التي فارقت . . وهو قول القرامطة من الإسماعيلية وغالية الرافضة . . وذهبت الفرقة الثانية إلى أن منعت انتقال الأرواح إلى غير أنواع أجسادها التي فارقت ، وليس من هذه الفرقة أحد يقول بشيء من الشرائع ، وهم من الدهرية»(٣) ا.هـ .

وفي غلاة الرافضة يقول أبو الحسن الأشعري – رحمه الله – : «والفرقة الثانية منهم

= عبدالرحمن العمادي فيهم فتوى مطولة ، وذكر فيها أنهم ينتحلون عقائد النصيرية والإسماعيلية الذين يلقبون بالقرامطة والباطنية . . ونقل عن علماء المذاهب الأربعة أنه لا يحل إقرارهم في ديار الإسلام بجزية ولا غيرها ولا تحل مناكحتهم ولا ذبائحهم . .» حاشية ابن عابدين (٤/ ٢٤٤) ، انظر: الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ، الموسوعة الميسرة في الأديان (١/ ٣٩٧) وما بعدها .

(١) الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٢٥٣-٢٥٤) .

(٢) وكلمة غامضة معناها النجاة ، ويعني نجاة الروح التي ظلت على صلاحها أثناء دورتها التناسخية المتعاقبة ، إذ لم تعد في حاجة إلى تناسخ جديد وبذلك يحصل لها النجاة من الحولان وتتحد بالخالق الذي صدرت عنه وتفنى فيه» الموسوعة الميسرة (٢/ ١١٦٠-١١٦١) .

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (١/ ١٦٥-١٦٦) باختصار .

وهم أهل الغلو ينكرون القيامة والآخرة ويقولون: ليس قيامة ولا آخرة ، وإنما هي أرواح تتناسخ في الصور ، فمن كان محسناً جوزي بأن ينقل روحه إلى جسد لا يلحقه فيه ضرر ، ولا ألم ومن كان مسيئاً جوزي بأن ينقل روحه إلى أجساد يلحق الروح في كونه فيها الضرر والألم ، وليس شيء غير ذلك ، وإن الدنيا لا تزال أبداً هكذا»[١] ا.هـ .

وفرقة البيانية والهاشمية من الرافضة تدعي تناسخ روح الله في الأئمة ، وفرقة الجناحية منهم تدعي تناسخها في الأنبياء إلى أن وصلت إلى عامة الناس [٢] – تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً – .

التناسخ [٣] عند الدروز يشمل: المسخ [٤] ، والنسخ [٥] ، والفسخ [٦] ، والرسخ[٧] ، وهم يجعلونه محصوراً بين الآدميين ، أما النصيرية فيعممونه [٨] .

---

(١) مقالات الإسلاميين ص٤٦ . وانظر: مكائد يهودية عبر التاريخ لعبدالرحمن حنبكة الميداني ص١٥٤-١٥٥ .

(٢) انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٥١-١٥٣) . الفرق بين الفرق للبغدادي ص٢٣٦ .
وحتى الروافض في العصر الحاضر يقولون بالتناسخ نقل عنهم الشيخ إبراهيم بن سليمان الجبهان حيث يقول: «وتجد آخرين في إحدى الجهات يأتون بسخلة فيسمونها عائشة ثم يبدؤون بنتف شعرها وينهالون عليها ضرباً بالأحذية حتى تموت ، ثم يأتون بكلب فيسمونه عمر ثم ينهالون عليه ضرباً بالعصى ورجماً بالحجارة حتى يموت» ا.هـ ، تبديد الظلام وتنبيه النيام إلى خطر التشيع ص٢٧ .
قلت: ما أرى فعلهم هذا إلا نتيجة لاعتقادهم بحلول وتناسخ الأرواح بعد الموت فهم يعذبون السخلة ظناً منهم إن أرواح أمنا عائشة رضي الله عنها قد حلت فيها وكذلك يعذبون الكلب ظناً منهم إن روح عمر رضي الله عنه قد حلت فيها وإلا فما تفسير صنيعهم ذلك ؟!! نسأل الله العافية والسلامة .

(٣) يطلق عليه الدروز (التقمص) ، من هم الموحدون ، جميع أبو ترابي ص٣٦ ، انظر موقع الدرر السنية .

(٤) انتقال الروح من جسم آدمي إلى جسم مخلوق آخر قد يكون حيوانياً .

(٥) انتقال الروح من جسم آدمي إلى جسم آدمي آخر .

(٦) خروج الروح من جسم آدمي إلى جسد حشرة من حشرات الأرض وهوامها .

(٧) انتقال الروح من جسم آدمي إلى الشجرة والنبات والجماد ، انظر هذه التعاريف ، الفصل في الأهواء والملل لابن حزم (١/ ١٦٥-١٦٦) . موقع الدرر السنية ، من هم الموحدون ، ص٣٦ ، مرجع سابق .

(٨) انظر: طائفة النصيرية تاريخها وعقائدها ، د . سليمان الحلبي ، موقع الدرر السنية .

يقول أحد النصيرية: «وأنه ليلقاك الرجل في بدنه وأنت تظن أنه آدمي ، وإنما هو قرد أو خنزير أو كلب أو دب» (١) .

وقال آخر: «إن المؤمن يكون في الناسوتية والكافر في المسوخية ، وفي تراكيب شتى حتى يصنع كل واحد منهما إلى الآخر من الخير والشر مثلما كان يصنع إليه إن كان خيراً فخير ، وإن كان شراً فشر» (٢) .

ويقول عن سبب إيذاء الكلب للإنسان: «وإن الرجل حينما يمر بالكلب لا يعرفه ولا يكون قد رآه قبل ذلك اليوم ، أو ربما يكون الرجل متزوجاً امرأة هذا الكلب ، لأنه كان مركباً في الإنسانية ، وكان مجراه في بادئ الأمر مجرى الإنسان ؛ فأهلكه الله بعذاب ذبح أو قتل بما وصل إليه من شقاوته في حالة الدنيا ، والرجل يكون قد تزوج امرأته وسكن داره ولبس ثيابه يعرفه الكلب في مسوخيته ، فإذا نظر إليه نبح ووثب عليه أو عضه في وجهه» (٣) ا.هـ.

---

(١) الهفت الشريف المنسوب للإمام جعفر الصادق كذباً وزوراً ، تحقيق د. مصطفى غالب ، نقلاً من موقع الدرر السنة ، انظر في بيان كذب الرافضة فيما ينسبونه إليه كتاب (المناظرة) للإمام جعفر بن محمد الصادق ، تحقيق وتعليق علي بن عبدالعزيزآل شبل .

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق ، ومما يتعجب له قيام أحد دعاة هذا الاعتقاد المنحرف المعاصرين في تركيا وهو جودت بن شريف بن أحمد علي بإضلال الناس عن طريق موقع على الإنترنت وأوهم بأنه يمكن له أن يجد موتاهم وأيُّ شخصيته تقمصوها؟ وأين أسرهم الجديدة؟ وأنهم عادوا إلى الحياة مرة أخرى .. ويزعم بأنه تبين له بعد الدراسة والبحث أنهم يولدون ويبعثون من جديد للحياة في نفس مكان ولادتهم السابقة!! وقد يولدون في مكان مختلف ، ويؤكد أنه سيبحث عن الذين ولدوا في أماكن مختلفة ، وعندهم الدلائل والبراهين المؤكدة على انتمائهم السابق!! وذكر أنه كرّس سنوات طويلة للبحث والتقصي ، وأنه أصبح يتلقى رسائل يطلبون منه البحث عن موتاهم!! وقد ألّف كتاباً بعنوان «الذين يتذكرون حياتهم الأولى» ، فتأمل لهذا الضلال نسأل الله السلامة!!
وكذلك للفضائيات دور في نشر هذا الضلال .. ففي مجلة الجزيرة الصادرة عن صحيفة الجزيرة في عددها ٣٤ في ١٢ ربيع أول من عام ١٤٢٤ وجه سؤال لفضيلة الشيخ سلمان بن فهد العودة ونصه «شاهدت في إحدى القنوات الفضائية برنامجاً أحضروا فيه ثلاثة أشخاص يدّعون أنهم كانت =

ومن خلال هذا الضلال توصل معهم إبليس إلى إنكار اليوم الآخر بالكلية بما يشتمل عليه من جنة ونار وبعث وحشر كما سبق في المبحث السابق، والمتأمل في هذه الأقوال وما تحويه من التهافت والسخافة والضلال يعلم بطلانها وبعدها عن الحق مما لا يشك فيه عاقل.

يقول ابن حزم – رحمه الله – : «أما الفرقة المرتسمة باسم الإسلام فيكفي من الرد عليهم إجماع جميع أهل الإسلام على تكفيرهم، وعلى أن من قال بقولهم فإنه على غير الإسلام، وأن النبي ﷺ أتى بغير هذا، وبما المسلمون مجمعون عليه من أن الجزاء لا يقع إلا بعد فراق الأجساد للأرواح بالنكر أو التنعم قبل يوم القيامة ثم بالجنة أو النار...»[(١)].

وهذه العقيدة الباطلة قد أبطلها الله تعالى في آيات كثيرة منها: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾[(٢)].

وفيها تصوير لحال الكفرة، وهم ينادون ويجأرون إلى الله تعالى أن يخرجهم ويعيدهم إلى الحياة الدنيا ليعملوا صالحاً، وقد علم الله كذبهم بأنهم لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه، فلا يجيبهم على سؤالهم، فقد عاشوا أعماراً مديدة وجاءهم النذير ومع ذلك لم يتعظوا ولم يستجيبوا[(٣)].

ومنها قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ

= لهم حياة سابقة برهنوا على ذلك بأعمال قاموا بها. الذي لا يتمتع بشيء من الإيمان الإسلامي يختلط عليه أشياء كثيرة وأتوا بآيات من القرآن وأشياء كثيرة برهنوا أن الروح تنتقل من شخص إلى شخص كي تتطهر من ذنوبها كما يدّعون ...» ا.هـ فتأمل!!

(١) الفصل في الملل والنحل لابن حزم (١/ ١٦٦) وانظر فتاوى علماء البلد الحرام.

(٢) سورة فاطر، الآية: ٣٧.

(٣) تفسير ابن كثير (٥/ ٥٨٩). تفسير الرازي (٢٦/ ٢٩-٣٠)، زاد المسير (٦/ ٤٩٤).

﴿يُبْعَثُونَ ۝١٠٠﴾[(١)] .

فالكافر هنا يتمنى الرجعة إذا عاين الموت ، ليصلح ما أفسد في حياته وليبادر لعمل الصالحات ، ولكن هيهات قد حيل بينه وبين ذلك ، وفي الآية إقناط كلي للرجعة فلا رجعة إلى يوم البعث للقيام للحساب والجزاء (كلا) حرف ردع وزجر [(٢)] .

وفي هذا رد جازم وقطعي على دعاة التناسخ ورجوع الأموات بعد موتهم ، فقد جاءت الآيات بسؤالهم للرجعة عند الموت وفي الاحتضار ويوم القيامة ويوم هم في غمرات الجحيم .

والآيات التي فيها سؤال الكافر وتمنيه للرجعة كثيرة منها قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ .

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ .

ومما يبطل هذا المعتقد ما ثبت من أن المؤمن ينعم في قبره ، وأن الكافر يعذب حتى الملل الأخرى تؤمن به ، كما في حديث عائشة - رضي الله عنها - (أن يهودية دخلت عليها فذكرت عذاب القبر فقال لها: أعاذك الله من عذاب القبر ، فسألت عائشة رسول الله ﷺ عن عذاب القبر فقال: نعم ، عذاب القبر . قالت عائشة: رضي الله عنها: فما

---

(١) سورة المؤمنون ، الآية: ٩٩-١٠٠ .

(٢) تفسير القرآن ، لابن كثير (٥/ ٣٧-٣٨) ، تفسير الرازي (٢٣/ ١٢١-١٢٢) .

رأيت رسول الله ﷺ بَعْدُ صلى صلاة إلاّ تعوذ من عذاب القبر) [١] .

وعن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه – وإنه ليسمع قرع نعالهم – أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ لمحمد ﷺ ، فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار ، قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة فراهما جميعا) قال قتادة: وذكر لنا أنه يفسح له في قبره . ثم رجع إلى حديث أنس قال: (وأما المنافق والكافر . فيقال له: ما كنت تقول في الرجل ؟ فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيقال: لا دريت ولا تليت ويضرب بمطارق من حديد ضربة ، فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين)[٢] .

وقولهم هذا يتضمن إنكار عذاب القبر وإنكار البعث واليوم الآخر .

قال القرطبي – رحمه الله – : «وحدث في الإسلام أقوام ليس يمكنهم إنكار البعث خوفاً من المسلمين يتساءلون ويرون القيامة موت البدن ويرون الثواب والعقاب إلى خيالات تقع للأرواح بزعمهم فشر هؤلاء أضر من شر جميع الكفار لأن هؤلاء يلبسون على الحق ويغتر تلبيسهم الظاهر والمشرك المجاهر بشركه يحذره المسلم» [٣] ا.هـ .

ويرد على الدهرية وغيرهم من الملاحدة المكذبين للقرآن ، بأن هذا القول دعوى بلا برهان ، فليس لها دليل ، لا من العقل ولا من الحس ، وهو ضرب من التخييل والظنون ، وما كان كذلك فهو باطل [٤] .

قال ابن حجر – رحمه الله – : «وهو – أي التناسخ – مذهب رديء مبني على

---

(١) رواه البخاري ، رقم: ١٣٠٨ (١/ ٤٦٢-٤٦٣) .

(٢) رواه البخاري في كتاب الجنائز: باب ما جاء في عذاب القبر رقم: ١٣٧٤ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٦/ ١٧٢) .

(٤) انظر الفصل في الملل والأهواء لابن حزم (١/ ١٦٧) .

دعاوى بغير برهان»[١] .

كما إن الله تعالى خلق الأنواع والأجناس ، ورتب الأنواع تحت الأجناس ، وفَصَل كل نوع من النوع الآخر . . ، وهذه الفصول المذكورة لأنواع الحيوان إنما هي لأنفسها التي هي أرواحها ، فنفس الإنسان حية ناطقة ، ونفس الحيوان حية غير ناطقة . . فلا سبيل إلى أن يصير غير الناطق ناطقاً ، ولا الناطق غير ناطق ، ولو جاز هذا لبطلت المشاهدات ، وما أوجبه الحس وبديهة العقل والضرورة من انقسام الأشياء على حدودها[٢] .

(١) فتح الباري (٢/ ١٨٤) .

(٢) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة .

الفصل الرابع

أبرز مظاهر مكايد الشيطان عن الفرق والملل والنحل المخالفة

لقد كاد الشيطان الفرق و الملل والنحل المخالفة لمنهج الحق بأعظم ما كاد به عامة الناس، فأوقعهم في الشرك والكفر والإلحاد والبدع المكفرة والتكذيب بالكتب والرسل واليوم الآخر و القدر، وحقق ما هدف إليه من الإضلال والصدّ عن سبيل الله [١]، كما بين ذلك المولى تبارك وتعالى في قوله: ﴿ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾[٢] .

والمعنى لأجل غوايتك لي لأقعدنَّ على صراطك أصدهم عنه والصراط قيل إنه الإسلام، وقيل: أنه الحق، وقيل: طريق مكة، ثم لأكيدنَّ لهم من بين أيديهم قيل يشككهم في أمر الآخرة وقيل يشككهم في سبيل الحق.

ومن خلفهم يرغبهم في الدنيا وشهواتها، ويأتيهم من إيمانهم وهو الحق يصدهم عنه، وعن (شمائلهم) أي من قبل الباطل يردهم إليه، وقيل يرغب إليهم المعاصي، فهو في هذه الآية يتوعد ليتصرفن لهم في سبل الغواية والإضلال من جميع جهاتهم[٣] .

وقد حذر تعالى من اتباع السبل الضَّالة لأنها طرق الشيطان يدعو إليها،

---

(١) ولا يعرف هذا الكيد والضلال إلا من قرأ كتبهم، واطلع على عقائدهم وضلالهم. يقول العلامة إحسان إلهي ظهير – رحمه الله – وهو من تصدى للرد على الفرق الضّالة وفضحهم وشنع عليهم في كتبه – في الرد على البريلوية «وإنني صرفت فيه جهد المستطيع، وبذلت فيه طاقة الإمكان وعانيت نفسي على قراءة أكثر من ثلاث مائة رسالة وكتاب حول الموضوع – رسائل وكتب خلت من مسكة عقل وعلم، ولا يعرف هذا العذاب إلا من ابتلي به . .» ا.هـ، البريلوية عقائد وتاريخ ص١١ .

(٢) سورة الأعراف، الآيات: ١٤-١٧ .

(٣) انظر: جامع البيان لابن جرير الطبري (٥/ ١٣٣-١٣٨) وتفسير القرآن لابن كثير (٣/ ١٥٠-١٥١)، زاد المسير لابن الجوزي (٢/ ١٧٦-١٧٧) .

قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ ﴾(١) .

وقد جاء توضيحها في حديث ابن مسعود – ﷺ – قال: (خط رسول الله ﷺ خطا بيده، ثم قال: (هذا سبيل الله مستقيماً) وخطَّ عن يمينه وشماله، ثم قال: (هذه السبل ليس فيها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه ثم قرأ الآية) يقول القرطبي – رحمه الله – : «وهذه السبل تعم اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر الملل وأهل البدع والضلالات من أهل الأهواء والشذوذ في الفروع وغير ذلك من أهل التعمق في الجدل والخوض في الكلام» (٢) ا.هـ.

وفي هذا الفصل سأتناول – بإذن الله – أبرز مظاهر هذا الانحراف عند الفرق والملل والنِّحل ويتمثل فيما يلي (٣) :

أولاً: فيما يتعلق بالإيمان بالله تعالى ويشمل:

١- الإلحاد، وتعطيل الربوبية .

٢- الإشراك في الألوهية، وتحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله .

٣- عبادة الشيطان . ٤- اتخاذ صور أو رموز مادية أو حيوانية .

٥- الإلحاد في أسماء الله وصفاته .

ثانياً: فيما يتعلق بالإيمان بالملائكة والكتب ويشمل:

١- عبادة الملائكة . ٢- إنكارهم .

٣- تحريف النصوص السماوية، ووضع نصوص محرفة وإضفاء سمة القداسة عليها .

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧/ ١٣٨) .

(٣) لم أشمل جميع انحرافات الفرق والملل والنحل الضَّالة نظراً لكثرتها، واكتفيت بأبرزها، مع العلم أنني لم أتعرض للرد، لأن أغلب هذه الانحرافات قد سبق الحديث عنها في فصول البحث، ما لم يرد لأول مرة فإني أرد باختصار وأشير للمراجع .

أولاً: فيما يتعلق بالإيمان بالله تعالى ويشمل:

١- الإلحاد، وتعطيل الربوبية .

٢- الإشراك في الألوهية، وتحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله .

٣- عبادة الشيطان . ٤- اتخاذ صور أو رموز مادية أو حيوانية .

٥- الإلحاد في أسماء الله وصفاته .

ثانياً: فيما يتعلق بالإيمان بالملائكة والكتب ويشمل:

١- عبادة الملائكة . ٢- إنكارهم .

٣- تحريف النصوص السماوية، ووضع نصوص محرفة وإضفاء سمة القداسة عليها .

ثالثاً: فيما يتعلق بالإيمان بالرسل ويشمل:

١- تقديس الأنبياء وعبادتهم و الغلو فيهم . ٢- إنكار النبوة والرسالة .

٣- ادعاء النبوة . ٤- ادعاء العصمة للأئمة والمشايخ والأولياء .

رابعاً: التكذيب باليوم الآخر.

خامساً: التكذيب بالقدر.

أولاً: فيما يتعلق بالإيمان بالله تعالى : ويشمل:

١- الإلحاد وتعطيل الربوبية : لقد عطلت بعض الملل ربوبية الله تعالى . وأعظم الإلحاد إلحاد الشيوعية [(١)] الذين جعلوا شعارهم «إنكار وجود الله تعالى وكل المغيبات، والقول بأن المادة هي أساس كل شيء، وشعارهم: نؤمن بثلاثة: ماركس[(٢)] ولينين [(١)]

---

(١) مذهب اقتصادي، اجتماعي وضع له أساس اعتقادي فكري قائم على إنكار وجود رب خالق لهذا الكون . انظر: الموسوعة الميسرة، وسقطت الشيوعية تأليف زكي الشيخ حسين ص٤٠، الماركسية في الميزان د. محمد عليان ص١٥ .

(٢) يهودي ألماني عاش ما بين ١٨١٨-١٨٨٣، ينحدر من أبوين ينتميان إلى طائفة الربانيين =

وستالين [٢] ، ونكفر بثلاثة: الله ، الدين ، الملكية الخاصة . . .»[٣] .

فمن أقوال لينين: «إن الله هو تاريخياً وشعبياً قبل كل شيء مجموعة من الأفكار ولدها غباء الإنسان المكبل بالأغلال الإنسان المسحوق هذا الانسحاق الذي سببه محيطه الطبيعي والقمع الطبقي» [٤] ا.هـ!!

ومن أقوال ستالين: «نحن ملحدون . . ونحن نؤمن بأن فكرة الله خرافة ، ونحن نؤمن بأن الإيمان بالدين يعرقل تقدمنا ، ونحن لا نريد أن نجعل الدين يسيطر علينا لأننا لا نريد أن نكون سكارى» [٥] ا.هـ !!

ومن أقوال ماركس: «إن القوانين والقواعد الأخلاقية والدين ليست سوى أوهام»[٦] .

ويقول أيضاً: «انتقاد الديانة يخلص بنا إلى هذه النتيجة وهي أن الإنسان هو الإنسان الكائن الأسمي» [٧] ا.هـ .

ومن هذه المذاهب الملحدة: (الوجودية) وهي مذهب إلحادي قائم على الكفر بالله

= والحاخامات اليهود ، ولها عراقة في الديانة اليهودية ، واعتنقا النصرانية نفاقاً . لم يواصل دراسته الجامعية ، وكان صاحب مزاج خاص ، تأثر بأساتذته الكبار من اليهود . . عرف بإلحاده الشديد ورفعه لشعار: إن نقد الدين هو أساس كل نقد ، انظر: كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة ، عبدالرحمن حبنكة الميداني ص٤٣٩-٤٤٠ الشيوعية والإنسانية عباس محمود العقاد ، د . عبدالمنعم الحنفي ص ٤١١-٤١٢ ، عصر الإلحاد ، محمد تقي الأميني الندوي ص١٦٤ .

(١) مؤسس الحزب الشيوعي السوفيتي ، عاش ما بين ١٨٧٠-١٩٢٤م يعتبر المنظر الثالث للفلسفة المادية الجدلية بعد ماركس وانجلز . انظر: الموسوعة الفلسفية ، د . عبدالمنعم الحنفي ص٤٠٤-٤٠٥ .

(٢) اسمه الحقيقي جوزيف فيسيار فيتش سوجا تشنلي ، واتخذ اسم ستالين مع لينين الذي كان في المنفى ، وأصبح عضواً في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي ، انظر: موقف الإسلام من نظرية ماركس للتفسير المادي للتاريخ أحمد العوايشة ، ص٦٠٩ .

(٣) الموسوعة الميسرة ، ص٣١٠ .

(٤) النظرية الماركسية في ميزان الإسلام ، أمير عبدالعزيز .

(٥) اشتراكيتهم وإسلامنا بشير العوف ص٥٠ .

(٦) المرجع السابق ص٥٠ .

(٧) العمل والعمال بين الإسلام والنظم الوضعية المعاصرة د . سعد المرصفي ص٣٦ ، وانظر الرد على شبهاتهم في الشرك في القديم والحديث ، أبو بكر محمد زكريا (١/ ٦٩١ وما بعدها) .

ورسله وكتبه وجميع المغيبات ، وكل ما جاءت به الأديان ، يركز على الوجود الإنساني ، وبأن الإنسان يستطيع أن يضع ذاته وكيانه[١] .

من أقوالهم: «لا يصح أن نقول: الله موجود ؛ لأن الموجود هو الإنسان ، والذي يتغير هو الإنسان ، فله زمان ، أما الله ، فلا زمان له ، فهو غير موجود ، لأنه لا زمان له ، بل هو كائن» [٢] ، ومن أقوالهم: «أن تكون إنساناً: هذا معناه: أن تنزع إلى أن تكون إلهاً»[٣] .

ومن هذه المذاهب الملحدة (الحداثة) وهو مذهب فكري أدبي علماني بني على أفكار وعقائد غربية خالصة مثل الماركسية والوجودية . . وتهدف الحداثة إلى إلغاء مصادر الدين ، وما صدر عنها من عقيدة وشريعة وتحطيم كل القيم الدينية والأخلاقية والإنسانية ، بحجة أنها قديمة وموروثة ، لتبني الحياة على الإباحية والفوضى والغموض . .»[٤] .

ومن أقوال أدونيس [٥]: «إن من القصيدة أو المسرحية أو القصة التي يحتاج إليها الجمهور العربي ليست تلك التي تسليه أو تقدم له مادة استهلاكية ، وليست تلك التي تسايره في حياته الجادة ، وإنما هي التي تعارض هذه الحياة أي تصدمه ، وتخرجه من

---

(١) انظر الموسوعة الميسرة (٢/ ٨٨٨) ، ط . الرابعة المحققة .

(٢) الوجودية دراسة ونقد ، د . صالح الشريدة ، ص١٠٧ .

(٣) الشيطان والرحمن ، سارتر ص٢٦٧ ، ترجمة: عبدالمنعم الحفني .

(٤) الموسوعة الميسرة للأديان (٢/ ٨٦٧) الطبعة الرابعة المحققة ، والحداثة في ميزان الإسلام د . عوض القرني ، وللحداثة اليوم رموز معروفة في البلاد العربية ومنهم أدونيس علي أحمد سعيد ، ومنهم الشاعر العراقي الماركسي عبدالوهاب البياتي ، والشاعر المصري صلاح عبدالصبور ، ويوسف الخال وغيرهم ، انظر: الموسوعة الميسرة للأديان (٢/ ٨٦٨) . ، الحداثة في ميزان الإسلام ، د . عوض القرني .

(٥) اسمه علي أحمد سعيد سوري نصيري ، أكبر من روّج للحداثة في البلاد العربية هاجم التاريخ الإسلامي والدين والأخلاق في رسالته الجامعية لنيل الدرجة العالمية ، وكانت بعنوان الثابت والمتحول ، انظر الموسوعة الميسرة في الأديان (٢/ ٨٦٨) .

سبابته ، تفرغه من موروثه وتقذفه خارج نفسه ، إنها التي تجابه السياسة ومؤسساتها ، الدين ومؤسساته ، العائلة ومؤسساتها ، التراث ومؤسساته ، وبنية المجتمع القائم ، كلها بجميع مظاهرها ومؤسساتها ، وذلك من أجل تهديمها كلها! أي من أجل خلق الإنسان العربي الجديد[١] يلزمنا تحطيم الموروث الثابت ، فهنا يكمن العدو الأول للثورة والإنسان» .

ويقول أيضاً – أخزاه الله – : «ما نطمح إليه ونعمل له كثوريين عرب هو تأسيس عصر عربي جديد – نعرف أن تأسيس عصر جديد يفترض – بادئ ذي بدء – الانفصال كلية عن الماضي ، نعرف كذلك أن نقطة البداية في هذا الانفصال – التأسيس – هي النقد: نقد الموروث ، ونقد ما هو سائد وشائع . لا يقتصر دور النقد هنا على كشف أو تعرية ما يحول دون تأسيس العصر الجديد ، وإنما يتجاوزه إلى إزالته تماماً» .

«إن ماضينا عالم من الضياع في مختلف الأشكال الدينية والسياسية والثقافية والاقتصادية ، إن مملكة من الوهم والغيب تتطاول وتستمر ، هي مملكة لا تمنع الإنسان العربي من أن يجد نفسه وحسب ، وإنما تمنعه كذلك من أن يصنعها» [٢] .

ومن أقوال نزار قباني – أحد رموز الحداثة المعاصرة – : «من أين يأتي الشعر يا قرطاجة والله مات وعادت الأصنام» [٣] !!

ويقول – أيضاً – : «لأنني أحبك يحدث شيء غير . في تقاليد السماء تصبح الملائكة أحراراً في ممارسة الحب ويتزوج الله عشيقته» [٤] ا.هـ .

فتأمل إلى أي حد كادهم الشيطان حتى بلغت بهم الجراءة على الله إلى هذا الحد .

---

(١) فن الشعر أدونيس ص٧٦ نقلاً من الميسوعة الميسرة (٢/ ٨٧٢) .
(٢) منقول من مجلته المسماة (المواقف) العدد ٦ عام ١٩٦٩م نقلاً من كتاب الحداثة تعود ، د . حلمي محمد القاعود ص١٥ .
(٣) الأعمال الشعرية الكاملة نزار قباني (٣/ ٦٣٧) .
(٤) المرجع السابق (٢/ ٤٤٢) .

نعوذ بالله من حالهم .

وخذ مثالاً آخر لأحد المعاصرين [(١)] حيث يقول: «صار الله رماداً صمكا رعباً في كف الجلادين . . حقلا ينبت سبحات وعمائم بين الرب الأغنية الثروة والرب القادم من هوليود . . كان الله قديماً حباً ، كان سحابة كان نهاراً في الليل ، أغنية تغسل بالأمطار الخضراء تجاعيد الأرض» [(٢)] .

ويقول آخر [(٣)] : الله في مدينتي يبيعه اليهود ، الله في مدينتي مشرد طريد ، أراده الغزاة أن يكون لهم أجيرا شاعرا قواد يخدع في قيثارة المذهب العباد ، لكنه أصيب بالجنون

لأنه أراد أن يصون زنابق الحقول من جرادهم ، أراد أن يكون [(٤)] !!!

ومن الملل الضالة المنكرة والمعطلة للربوبية (البوذية) وهو تؤله البشر ترى أن خلاص الإنسان متوقف عليه هو لا على إله ، وإن الإنسان صانع مصيره [(٥)] .

ومن أقوال بوذا [(٦)] :«إن الذين يتكلمون عن الله ، لم يروه وجهاً لوجه ، فهم

(١) هو د . عبدالعزيز المقالح مدير جامعة صنعاء ، انظر ما كتبه عنه د . عوض القرني في الحداثة في ميزان الإسلام ص١٠٤ إلى ص١٠٧ .

(٢) نشرت في مجلة العربي ، وأشارت إليها المجلة العربية في عدد شعبان ١٤٠٥ ص٩ نقلاً من الحداثة في ميزان الإسلام ص١٠٥ .

(٣) هو عبدالوهاب البياتي شاعر عراقي ماركسي عاش في روسيا سنوات عدة ، انظر: الموسوعة الميسرة (٢/ ٨٦٧) ، الحداثة في ميزان الإسلام د . عوض القرني ص١٠٧ .

(٤) كلمات لا تموت لعبدالوهاب البياتي ص٥٢٦ ، نقلاً من الحداثة في ميزان الإسلام ص١١١ .

(٥) انظر موسوعة الأديان ، د . مهدي البصري ص٤٣ .

(٦) بوذا هو مؤسس الديانة البوذية ، اسمه سيناعار ، ولد في أواخر القرن الثامن قبل ميلاد المسيح في مدينة (كابيلا قاستوا) من مدن الهند الوسطى . . كان يميل إلى التكمل في الأخلاق والعادات ، يقال: إن و الده كان ملكاً فهجر بوذا ملكه واعتزل الناس طالبا للخلاص الذي يطلبه ليصل إلى مقام (النيرفانا) وترك الطعام والشراب ست سنوات لا يتغذى إلا على شيء زهيد جداً حتى ضعفت قواه الجسدية ، وبعد أن وصل إلى درجة البوذا – بزعمه – نائلاً العلم الأعلى عارفاً بالتكاليف الحيوية وسر الخلاص الأبدي ، بدأ في تأسيس الديانة البوذية وعمره ٣٦ سنة ، وتعتقد البوذية أنه ابن الله ، وأنه مخلص للبشرية من مآسيها ، وأنه يتحمل خطاياهم ، انظر: دائرة معارف القرن العشرين محمد وجدي (٢/ ٣٨٤-٣٩١) ، الموسوعة الميسرة ط . الرابعة (٢/ ٧٥٨-٧٦٣) .

كالعاشق الذي يذوب كمداً، وهو لا يعرف من هي حبيبته، أو كالذي يبني السلم وهو لا يدري أن يوجد القصر»[(١)] ا.هـ.

كما أن البوذية يؤلهون بوذا، وجعلوا منه الإله الأعظم، وله تمثال عظيم يعظمونه[(٢)].

ومن المعطلة في الربوبية[(٣)] أهل (وحدة الوجود) وهو مذهب فلسفي لا ديني يقول: أن الله والطبيعة حقيقة واحدة، وأن الله هو الوجود الحق، ويعتبرونه – تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيرا – صورة هذا العالم المخلوق، أما مجموع المظاهر المادية، فهي تعلن عن وجود الله دون أن يكون لها وجود قائم بذاته»[(٤)]، وأشهر من قال به ابن عربي الطائي.

يقول أحد غلاة الصوفية وأهل وحدة الوجود: «في حضرة الحق لا مكان لاثنتين مِنْ (أنا). أنت تقول (أنا)، وهو يقول (أنا): فإما أن تموت أمامه، وإما أن يموت أمامك، حتى لا تبقى الثنائيّة. أمّا أن يموت هو [سبحانه]، فأمر غير ممكن لا في الواقع ولا في التصوّر، كيف ذلك وهو الحي الذي لا يموت؟ . . والآن إذ الموت في حقه [تعالى] غير ممكن مُتْ أنت حتى يتجلى عليك، وتزول الثنائية»[(٥)].

والحلولية ومعناها «تجسد الخالق في المخلوق مجلولة في بعض بني الإنسان، وامتزاجه به امتزاجاً كاملاً في الطبيعة والمشيئة، بحيث تتلاشى الذات الإنسانية في الذات

---

(١) موسوعة الأديان د. مهدي البصري، ص٤٣.

(٢) المرجع السابق، وهو موجود في إقليم (باميان) في أفغانستان، وقد هدمته حركة طالبان عام ١٤٢١هـ مما أثار ضجة عالمية، بل وللأسف حتى من بعض المسلمين.

(٣) عده أبو بكر محمد زكريا صاحب كتاب الشرك في القديم والحديث من أنواع الشرك في الربوبية بتعطيل الصانع عما يجب على العبد من حقيقة التوحيد، وبيّن وجه ذلك. انظر (٢/ ٨٣٨-٨٣٩).

(٤) الموسوعة الميسرة في الأديان (٢/ ٧٨٣).

(٥) كتاب فيه ما فيه لشاعر الصوفية جلال الدين الرومي ص٥٨-٥٩.

الإلهية . .»[(١)] ، وأول من قال بها عند المسلمين الحلاج[(٢)] ، وهي مأخوذة من عقيدة النصارى وقولهم باتخاذ اللاهوت بالناسوت[(٣)] .

يقول جلال الدين الرومي الصوفي: «عندما كان النبي ﷺ مستغرقاً وتكلّم ، كان يقول: قال الله – من جهة الصورة كان لسانه هو الذي تكلّم ، لكنه لم يكن موجوداً ، والمتكلم على الحقيقة كان الحقّ ، وعندما كان قد رأى نفسه في البدء جاهلاً مثل هذا الكلام غير عارف ذلك الشخص الأول ، هذا تصرف الحق .

وهكذا كان المصطفى ﷺ يخبر عن أناس وأنبياء مضوا قبل وجوده بعدّة آلاف من السنين ، وماذا سيكون حتى آخر الدنيا ، وعن العرش والكرسيّ . . كان وجوده قديماً ، إذ إنّ من المقطوع به أنّ الحادث لا يتحدث عن مثل هذه الأشياء . كيف يخبر الحادث عن القديم؟ وهكذا غدا معلوماً أنه ليس هذا الذي كان يقول ؛ بل الحق هو الذي يقول . .»[(٤)] .

ويقول ابن عربي:

العبد حق والرب حق ... فليت شعري من المكلف
إن قلت عبداً فالعبد ميت ... أو قلت رب فما يُكلّف[(٥)]

---

(١) الموسوعة الميسرة (٢/ ١٠٤٩-١٠٥٠) .
(٢) هو الحسين بن منصور الحلاّج الصوفي ، بدأ بإظهار الزهد والتصوف ، وإظهار كراماته – على حد زعمه – على الناس فيخرج للناس فاكهة الشتاء في الصيف ، وفاكهة الصيف في الشتاء ويمد يده إلى الهواء فيعيدها مملوءة دراهم ، ويخبر الناس بما أكلوه في بيوتهم ، وما صنعوه ، فافتتن به خلق كثير . . وكان ينكر ما ينسب إليه من الكفر والحلول حتى حاكمه القضاة في زمن المقتدر بالله ، واعترف بما نسب إليه من القول بالحلول ، وأن جزءاً من الألوهية حل فيه فقتل سنة ٣٠٩هـ وقيل سنة ٣١١هـ بعد أن قطعت أطرافه وأحرقت جثته وألقيت رماداً في دجلة ، ونصب رأسه على جسر بغداد ، انظر في ترجمته: البداية والنهاية لابن كثير (١١/ ١٣٢) لسان الميزان لابن حجر (٢/ ٣١٤) ميزان الاعتدال للذهبي (١/ ٥٤٨) ، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٨/ ١١٢) .
(٣) انظر الموسوعة الميسرة (٢/ ١٠٤٩-١٠٥٠) .
(٤) كتاب فيه ما فيه ، ص٧٨ .
(٥) جامع الأصول في الأولياء ، الطرق الصوفية ، أحمد النقشبندي الخالدي ، ص٣٢٠ .

ومعنى هذه الأبيات كما يفسرها أحد الصوفية «وقوله: إن العبد حق . أي أن وجوده متحقق في الشيئين ، وذلك بعد العدم بوجوده سبحانه ، المتصف بوصف القدم . . قوله الرب حق ، أي ثابت الوجود بلا سبق ، فهو الله تعالى أصل جميع الكائنات ، وأصل أصول جميع الموجودات . . فإذا علمت هذا ، فاعلم أن الفرع يتبع الأصل الذي هو المقصود ، لأن أهل الشهود لا ينظرون إلى التابع المحدود ، فشهودهم دائماً واجب الوجوب [!!] ، فلا يرون مع الحق شيئاً سواه . فإن جميع المخلوقات بالنسبة لشهودهم معدومات لا يرونها بل مشهودة أصولها . فالقسمة ثلاثية: خالق ، وصفاته ، ومخلوقاته .

وصفاته هي الصفات القديمة الأزلية .

ومخلوقاته هم صفات صفاته الناشئة عن الصفات الذاتية [!!] . . . وظهر أن لا وجود لغير الحق إلا بالتبعية . .» (١) ا.هـ.

وقد لبس عليهم إبليس حتى ظنوا هذا (تجلي) وقرب من الله تعالى فقال أحدهم: «واعلم أنه كلما قرب السالك إلى الحضرة الإلهية ، كان نور بصيرته أشرف وألطف حتى صار له نور من التشابه بنوره تعالى . .» (٢) .

ثم يفسر معنى الاتحاد بقوله: «وأما الاتحاد الذي يدل عليه كلام بعض الواصلين إلى نور الأحدية الذاتية في بعض السكرات فلعلاقة القربية ونسبة الأحدية التي تحت تلك العلاقة عند الالتفات إلى ذاته لاستعلاء نور الأحدية عليه ، فينطلق لسانه بكلام حكم الأحدية [!!] ، وذلك الكلام ليس في الحقيقة منه بل هو كلام الحق تعالى بلسان عبده لكمال قربيته إليه كما تكلم بالشجر لموسى: إني أنا ربك . . .» (٣) .

ويشبه الحلول والاتحاد القول بالتنزل والتجلي عند الدروز ومعناها يفسرونها بقولهم يحصل ذلك عند المتحقق الحكيم يتخلص من تلك الآدمية ، فتفيض عليه الصفات

---

(١) جامع الأصول في الأولياء ، الطرق الصوفية ، أحمد النقشبندي ، ص٣٢٠-٣٢١ .

(٢) المرجع السابق ص٣٥٨ .

(٣) المرجع السابق ص٣٥٨ إلى ص٣٥٩ .

الربانية وتتجلى فيه الأنوار الإلهية . . وهذا لا يتم إلا عندما تموت هـذه الأنانيـة الفرديـة في الإنسان» [١] !!

ومـن المعطلـة في الربوبيـة الباطنيـة الـذين يؤلهـون الحـاكم بـأمر الله الفـاطمي [٢] ويعطلون الرب تعالى من أفعاله فأنكروا البعث واليوم الآخر الرسالة والشريعة .

ومن أقوال: أحد أكابر الدعاة عندهم [٣] : «يا معشر الموحدين ، إذا كنتم تتحققون أن مولاكم لا تخلو الدار منه ، وقـد عدمتـه أبـصاركم . . . وإذا فـسدت المعـدة ضـرت البصر ، فهكذا إذا كانت المادة واصلة إلى النفوس الصحيحة ، فينظـروا صـورة الناسـوت نظراً صحيحاً ، وإذا كانت المادة من فعـل الإبالـة ومـادة النطقـاء والأسـس وشـرائعهم ، فيفسد النظر ، وما ينظر إلا بشر . . ثم يقول: ألم تعلموا أن مولاكم يراكم مـن حيـث لا

---

(١) من هم الموحدون الدروز؟ تأليف جميل أبو ترابي ص١٧ .

(٢) وهذا نص العهد الذي وضعه حمزة بن علي الزوزني الذي يلتزم به كل من يـدخل في ملتـه ولا يـزال يعمل به الدروز إلى اليوم ونصه: «توكلت على مولانا الحاكم الأحد الفرد ، الصمد ، الذي تنزه عـن الأزواج والعدد – أقر فلان ابن فلان إقراراً أوجبه على نفسه وأشهد به علـى روحـه في صـحة مـن عقله وبدنه وجواز أمره طائعاً غير مكـره ، ولا مجـبر ، إنـه قـد تـبرأ مـن جميـع المـذاهب والمقـالات والأديان والاعتقادات على اختلافها وأنه لا يعرف غير طاعة الحاكم جل ذكره والطاعة هي العبادة ، وأنه لا يشرك في عبادته أحداً مضى ، أو ينتظر أو حضر ، وأنه سلم روحه جسمه ومالـه وولـده ومـا يملكه لمولانا الحاكم جل ذكره ورضي بأحكامه له ، أو عليه غير معترض ، ولا منكر لشيء من أفعاله ساءه ذلك أو سره ، ومتى رجع عن دين مولانا الحاكم جل ذكره الذي كتبه علـى نفسه وأشـهد بـه على روحه أو أشار به إلى غيره أو خالف شيئاً من أوامره كان بريئاً من البارئ المعبود ، وحرم الإفادة من جميع الحدود واستحق العقوبة من البار العلي جـل ذكـره ، ومـن أقـر بأنـه لـيس في الـسماء إلـه معبود ، ولا في الأرض إمام موجود إلا مولانا الحاكم جل ذكره كان من الموحدين الفائزين وكتب في شهر كذا وفي سنة كذا من سنين مولانا جل ذكره ومملوكه حمزة بن علي ابن أحمـد هـادي المـستجيبين المنتقم من المشركين والمرتدين بسيف مولانا جل ذكره وشدة سلطانه وحـده» ا.هــ . نـشرت ضـمن ملاحق كتاب الباطنيون والحركات الهدامة للشيخ إبراهيم الجبهان . وهي منقولة مـن كتـاب الحـاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية تأليف محمد عبدالله عنان ص٤٠٣ .

(٣) هو المقتني بهاء الدين من أشهر دعاتهم سنة ٤١١هـ انظر عقيـدة الـدروز محمـد الخطيـب ص١١٢-١١٣ .

ترونه .

معشر الإخوان ، احسنوا ظنكم بمولاكم ، يكشف لكم عن أبصاركم ما قد غطاها من سوء ظنكم» [(١)] ا.هـ.

ومن المعطلة الدهرية وهم «طائفة من الأقدمين جحدوا الصانع المدبِّر العالم القادر ، وزعموا أن العالم لم يزل موجوداً بنفسه ، كذلك بنفسه لا بصانع ، ولم يزل الحيوان من النطفة ، والنطفة من الحيوان ، كذلك كان وكذلك يكون أبداً» [(٢)] .

ومن المعطلة الصابئة الحرانيين فـ «كل من كتب في الملل والنحل وتاريخ الأديان قرر أن الحرانيين فرقة وثنية ، وأنهم كانوا يقولون: إن صانع هذا العالم ومصوره ومدبره ، ونافعه وضاره هي الكواكب السبعة . . .» [(٣)] .

ومن المعطلة والمشركة المجوس والثنوية [(٤)] والمانوية [(٥)] الذين يقولون بوجود إلهين خالقين خالق النور ، وخالق الظلمة ، وقالوا النور لا يفعل إلا الخير ، والآخر شيطان هو ظلمة لا يفعل إلا الشر .

ومع ذلك لا يثبتون أزليتهما بل يعتقدون أن النور أزلي ، وأما الظلمة فمحدثة ،

---

(١) رسالة الغيبة نقلاً من عقيدة الدروز ، د . محمد الخطيب ص٧٩-٨٠ .

(٢) المنقذ من الضلال للغزالي ص٦٣ ، وانظر تلبيس إبليس لابن الجوزي ، ص٥٥ .

(٣) الصابئون حرانيين ومندائيين د . رشدي عليان ص٥٧-٥٨ ، والفصل في الملل والنحل لابن حزم (١/ ٣٤-٣٥) . ، الملل والنحل للشهرستاني (٢/ ١١٢-١١٥) .

(٤) فرقة من فرق المجوس يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان ، يفترقون عن المجوس بقولهم بأزلية الظلمة بخلاف المجوس الذين يعتقدون حدوثها ، ويقولون باختلافهما في الجوهرو الطبع والفعل والحيز ، و المكان ، والأجناس ، والأبدان ، والأرواح ، انظر: الملل والنحل للشهرستاني (٢/ ٢٤٤) ، إغاثة اللهفان ٢/ ١٧٧ وما بعدها .

(٥) المانوية: أصحاب ماني بن فاتك الحكيم الذي ولد حوالي ٢١٥ من الميلاد ، يزعم أن العالم مصنوع مركب من أصلين قديمين أحدهما: نور والآخر ظلمة وأنهما أزليان لم يزالا ، ولن يزالا ، انظر: الملل والنحل للشهرستاني (٢/ ٢٤٤ وما بعدها) ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ص٨٨ .

وأن النور أحدث الظلمة، وأن النور خلق الظلمة [(١)] .

قال ابن تيمية – رحمه الله – : «وأصل قول المجوس يرجع إلى أن تكون الظلمة المضاهية للنور هي إبليس وقول الفلاسفة بالنفس. فأصل الشر عبادة النفس والشيطان وجعلهما شريكين للرب وأن يعد لا به ونفس الإنسان تفعل الشر بأمر الشيطان» ا .هـ.

ومن المعطلة النصارى الذين قالوا: إن الله ثالث ثلاثة، فعطلوه عن الربوبية الحقة، وأشركوا معه المخلوق في الربوبية [(٢)] قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [(٣)] .

ولهذا يقول ابن القيم – رحمه الله – بعد أن أطال في سرد عقائدهم وضلالهم – : «وبالجملة، فلا نعلم أمة من الأمم سبَّت ربها ومعبودها وإلهها بما سبت به هذه الأمة .. وكان بعض أئمة الإسلام إذا رأى صليباً أغمض عينيه عنه، وقال: لا أستطيع أن املأ عيني ممن سبَّ إلهه ومعبوده بأقبح السبِّ» [(٤)] ، وسيأتي تفصيل أقوالهم في المسيح .

٢- الإشراك في الألوهية: قد وقع الشرك في الملل والفرق والنحل المخالفة، وهو من أعظم ما كاد به إبليس الملل، ومن الأمثلة: شرك اليهود عندما سألوا موسى أن يجعل لهم إلهاً، وعندها عبدوا العجل، قال تعالى: ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَىٰ قَوْمٍ

---

(١) انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٢٣٣-٢٣٦)، تلبيس إبليس لابن الجوزي ص٩٤-٩٥، إغاثة اللهفان لابن القيم (٢/ ١٧٧) .

(٢) النصارى معطلة للربوبية؛ لأنهم يجتمعون مع غيرهم من الملل المعطلة على تنقص ربوبية الله تعالى، الواحد الفرد الصمد، ولأنه يمتنع في بداهة العقول إثبات خالقين متماثلين في الصفات والأفعال، فهم إما أن يثبتوا إلهاً واحداً خالقاً، قادراً، وإما أن ينكروه ويعطلوه – تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيرا – ويثبتوا إلههم الذي اخترعوه فيكونوا من ضمن معطلة الربوبية .

(٣) سورة المائدة، الآية: ١٧ .

(٤) إغاثة اللهفان لابن القيم (٢/ ٣٩٩)، ط . المكتب الإسلامي .

يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ ﴾(١) .

فعندما نجى الله بني إسرائيل، وأراهم نصره وهلاك عدوه وعدوهم مروا على قوم يعبدون أصناماً على صور البقر، فأثار رؤية هؤلاء المشركين في أنفسهم حب عبادة العجل – الذي عبدوه فيما بعد – فطلبوا من موسى عليه السلام أن يجعل لهم إلهاً كما لهؤلاء القوم آلهة، فنزعة الشرك والوثنية مازالت عالقة بقلوبهم والعياذ بالله (٢) ، ولهذا استغلوا فرصة غيابه وعبدوا العجل كما قص ذلك تعالى في كتابه في قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾(٣) .

ومن هنا لم ييأس منهم إبليس – لعنه الله – فبعد أن ذهب موسى لميقات ربه عاود الكرَّة، فسوَّل لهم السامري عبادة العجل، وأخذ الحلي التي استعادوها من نساء آل فرعون وأشعل فيها النار، ثم رمي فيها قبضة أخذها من الأثر من أثر فرس جبريل عليه السلام، عندما نزل على فرس أدهم، فلما هجم فرعون على البحر هاب الحصان أن يقتحم في البحر، فمثل لـه جبريل على فرس أنثى، فلما رآها الحصان تقحَّم خلفها. عن ابن عباس – رضي الله عنه – في قوله تعالى: ﴿ فقذفناه ﴾ : قال «يعني زينة القوم حين أمرنا السامري لما قبض قبضة من أثر جبرائيل عليه السلام، فألقى القبضة على حليهم فصار عجلاً جسداً لـه خوار ﴿ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ ﴾ الذي انطلق يطلبه (فنسي) يعني: نسي موسى، ضل عنه فلم يهتد له» (٤) .

قال ابن القيم – رحمه الله – : «لما جعله إلـه موسى استحضر سؤالاً من بني

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٣٨-١٣٩ .
(٢) انظر تفسير القرآن، لابن كثير(٣/ ٢١٥)، إغاثة اللهفان لابن القيم(٢/ ٤١٨).
(٣) سورة الأعراف، الآيتان: ١٤٨-١٤٩ .
(٤) رواه ابن جرير في تفسيره (٩/ ٢٠١).

إسرائيل يوردونه عليه، فيقولون لـه: إذا كان هذا إله موسى، فلأيّ شيء ذهب عنه لموعد إلهه؟ فأجاب عن هذا السؤال قبل إيراده عليه بقوله «فنسي» [(١)] .

وقد حذرهم هارون عليه السلام من هذا الفعل الشنيع، وهذا الشرك العظيم، ولكنهم لم يأبهوا لقوله، فاعتزلهم مع جماعة من بني إسرائيل لم تفتن حتى عاد موسى عليه السلام وعندما رأى ما هم عليه، ألقى بالألواح التي فيها كلام الله الذي كتبه لـه. واشتد غضبه عليه السلام وأخذ برأس هارون عليه السلام ولحيته يشدها، واعتذر إليه بأنه يخاف أن يقال: إنه فرق بين بني إسرائيل إن هو سار إلى موسى مع الطائفة التي لم تفتن[(٢)] ثم توجه إلى السامري ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ۝ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴾[(٣)] .

والمعنى: قال لموسى: بصرت بما تبصر به أنت وأصحابك أي صرت بما عملت بصيراً عالماً!! ويريد أنه رأى جبريل عليه السلام عندما جاء لهلاك فرعون فقبض أثراً من فرسه وألقي في روعه أنه ما يلقيها على شيء فيقول كن إلا كان كما يريد [(٤)] .

فأحرق موسى – عليه السلام – العجل، ثم ألقى رماده في البحر، ثم كانت توبة بني إسرائيل أن يقتل بعضهم بعضاً [(٥)] .

ومن خلال هذين الموقفين لبني إسرائيل يتبين مدى ما وصل إليه اليهود من الضلال والخذلان والعياذ بالله والذي يظهر من خلال عدة وجوه: **الأول**: طلبهم من موسى عليه السلام أن يجعل لهم إلها، فيطلبون من مخلوق أن يجعل لهم إلهاً مخلوقاً!! وأنى

---

(١) إغاثة اللهفان (٢٠/ ٤٢٠) وفي تفسير قوله تعالى (فنسي) أقوال أخرى ذكرها ابن جرير وابن القيم وابن كثير، والصواب هذا القول اختاره الطبري (٩/ ٢٠١) وابن القيم إغاثة اللهفان (٢/ ٤٢٠) ولم يذكر البخاري في تفسيره غيره، انظر صحيح البخاري كتاب التفسير.

(٢) انظر جامع البيان (٩/ ٢٠٣).

(٣) سورة طه، الآيتان: ٩٥-٩٦.

(٤) جامع البيان (٩/ ٢٠٤-٢٠٥) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٣٤-٥٣٥)، إغاثة اللهفان (٢/ ٤٢١-٤٢٢).

(٥) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/ ٥٣٥-٥٣٦).

لإله مخلوق مجعول أن يكون إلها!! ، **الثاني**: وجود موسى عليه السلام بين أظهرهم ، ومع ذلك جاهروا بالمعصية ، ولم يكن لوجوده بينهم رادع لمنعهم عن الشرك ، وذلك لخبث نفوسهم وفساد طويتهم واحتقارهم لأنبياء الله ورسله .

الثالث: أن طلبهم لموسى أن يجعل لهم إلـه جاء بعد نجاتهم من فرعون وقومه مباشرة ، مع رؤيتهم لهلاك عدوهم ، ونصرهم عليه مع طغيانه وشدة بطشه ، والأولى أن يزيد إيمانهم وصدقهم ويقينهم بالله تعالى ، **الرابع**: إنهم لم يكتفوا – لشدة غيهم وعنادهم – أن يجعلوا العجل إلهاً لهم بل نسبوه إلى موسى فجعلوه إلهاً لموسى أيضاً ، وجعلوا موسى عليه السلام مشركاً عابداً للعمل .

ونسبوه أيضاً للخطأ والنسيان ، وأنه نسي إلهه ، وذهب يطلبه في الطور .

الخامس: اختيارهم لعبادة العجل دون غيره من الحيوانات مع أنه من أشهر الحيوانات في الذلّ والبلادة ، وقيل: إن سبب ذلك أن السامري كان من عباد البقرة .

السادس: عبادتهم لـه مع أنهم شاهدوه قبل ذلك حيث كان ذهباً غير مسبوك ، ثم سبك بالنار وطرق ، وتصور على هيئة عجل . فأين لهذه العقول المتبلدة أن تعبد إلهاً سبكته وصنعته الأيدي ، وتترك عبادة رب الأرباب خالق كل شيء سبحانه . . وهذا من أعظم الضلال .

السابع: عكوفهم على هذا العجل وعبادتهم لـه ، وحبهم إياه حباً عظيماً حتى أشربت قلوبهم حبه ، **الثامن**: عظم الشرك الذي وقعوا فيه ، وهذا ظهر من غضب موسى عليه السلام حيث ألقى الألواح التي فيها كلام الله [(١)] ، وأخذ برأس أخيه هارون ولحيته ، مع أن الله تعالى قد أخبره وأعلمه بفتنة قومه قبل ذلك ، ولكن ليس الخبر كالمعاينة .

---

(١) قال ابن القيم: «لم يؤاخذ بذلك لأنه حمله على فعل ذلك غضبه لله» ا.هـ إغاثة اللهفان (٢/ ٤٢٤) .

التاسع: أمر الله بني إسرائيل في قصد القتيل [١] بعد ذلك ؛ فذهب بعض العلماء إلى أن الأمر بذبح البقرة تنبيه لهم لعدم عبادتها لأنها لا تنفع ولا تضر ، ولا تستطيع دفع الذبح والحرث والسقي عنها فكيف يصلح من هذا حاله أن يكون إلها [٢] !! كذلك وقع الشرك في الفرق بعد ظهور الإسلام .

ومن الأمثلة على وقوعه في الفرق الإسلامية الشرك عند الرافضة ، وأعظم ما وجد الشرك في العبادة عند فرق الرافضة ، بل هي مفتاح باب الشرك الذي انتشر بعد ذلك .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : « . . . الذي ابتدع دين الرافضة كان زنديقاً يهودياً أظهر الإسلام وأبطن الكفر ليحتال في إفساد دين المسلمين كما احتال «بولص» في إفساد دين النصارى . . ثم إنه لما تفرقت الأمة ، ابتدع ما ادعاه في الإمامة ، من النص والعصمة ، وأظهر التكلم في أبي بكر وعمر ، وصادف ذلك قلوباً فيها جهل وظلم ، وإن لم تكن كافرة ، فظهرت بدعة التشيع التي هي مفتاح باب الشرك ، ثم لما تمكنت الزنادقة أمروا ببناء المشاهد وتعطيل المساجد محتجين بأنه لا تصلى الجمعة والجماعة إلا خلف المعصوم» [٣] ا.هـ .

فتجد عندهم النزعة المجوسية في الغلو ، وعبادة الأئمة وإنزالهم درجة الألوهية ، وطلب الحوائج من الأحجار والأشجار ، وابتداع الأعياد المبتدعة قال أحد علمائهم – منكراً عليهم هذه البدع – « . . ولا تخلو مدينة أو جبل أو قرية في إيران من قبر أو شجرة أو عين ماء أو صخرة أو مغارة يقدسونها ويلجأون إليها في الحوائج ، كل ذلك كان على عهد المجوس بشهادة التاريخ ، وهي باقية إلى الآن ، ولم يبدل الإسلام منها إلا

---

(١) الذي ورد في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ۖ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [سورة البقرة ، الآية: ٧٢] والقصة مذكورة في الآيات من ٦٧-٧٣ .

(٢) انظر: إغاثة اللهفان (٢/ ٤١٨-٢٢٤) ، (٢/ ٤٣٦) .

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٧/ ١٦١-١٦٢) .

الاسم»[(١)] ا.هـ. ويعلق بقوله: «والعقيدة الفاسدة إنما تولّد عملاً فاسداً، إذ لا يرجى منها صلاح في العمل، حيث نسي المسلمون القرآن، ففسدت عقائدهم وعطلوا أحكام الدين فهلكوا وذلوا وضلوا وأضلوا، لذلك رأيت الزنا والخمور والفسق والفجور والدعارة والاستهتار قد بلغت أقصى حد مشين. ورأيت أسواقها كأسواق الأجانب لا تجري فيها المعاملات إلا على أشد ما يكون الفساد من مقامرة وربا وتغابن وتشاح وتشاجر لا ينشأ منها إلا الكساد .. ورأيت بقية الأحكام الإسلامية معطلة تقريباً في كل البلاد، فلا جماعة ولا جمعة في الصلاة، إلا أن في كل بلد إمام جمعة بغير مأموم، ولا بر ولا زكاة ولا صدقة، ولا أمر بمعروف، ولا نهي عن منكر، ولا دعوة إلى حق .. ولا إقامة حدود ولا تعزير ولا عقوبة على جريمة .. ولا حرمة لحد من حدود الله .. ولا إقامة لشعائر الإسلام إلا ما ابتدعه العوام، وسموه شعيرة دينية والدين بريء منها مثل البوقات والجولان بالأعلام، وضرب الأحجار بعضها ببعض .. وهذا لا يقل عن عبادات النصارى في كنسائهم بمزاميرهم وتصاويرهم، وعبادات اليهود في بيعهم ولا ربط له بالإسلام بأي وجه من الوجوه»[(٢)] ا.هـ.

وخذ مثالاً على شركهم استغاثتهم وتوسلهم بغير الله، يروون عن الصادق عليه السلام [(٣)] أنه قال: (من أراد منكم أن يستغيث إلى الله عز وجل فليصل ركعتين ثم يسجد ويقول: يا محمد يا رسول الله، يا علي يا أمير المؤمنين والمؤمنات، بكما استغيث إلى الله، يا محمد يا علي استغيث بكما، يا غوثاه بالله وبمحمد وعلي وفاطمة وتسمي كلاً من أئمتك ثم تقول: بكم أتوسل إلى الله تعالى، فإنهم يغيثونك لساعتك إن شاء الله تعالى»[(٤)]!!

---

(١) رسالة الإمام الخالصي إلى أحمد قوام السلطنة رئيس الحكومة الإيرانية ص٩٠ ، حققه هادي الخالصي.

(٢) المرجع السابق ص٩٢-٩٣.

(٣) من المعلوم كذبهم عليه وقد نبهت سابقاً لمخطوطه للرسالة نشرت باسم الوصية لهذا الإمام تنفي من نسب إليه من كذب وزور.

(٤) مفاتيح الجنان، عباس القمي ص٨٠٥، دار الرسول الأكرم، دار المحجة البيضاء.

وعندهم صلاة تسمى صلاة الاستغاثة بالبتول ، كيفيتها أنه إذا كان لك حاجة إلى الله تعالى وضاق صدرك منها فصل ركعتين فإذا سلّمت كبّر ثلاثا وسبّح تسبيح فاطمة سلام الله عليها ، ثم اسجد وقل مائة مرة: يا مولاتي يا فاطمة أغيثيني ، ثم ضع خدّك الأيمن على الأرض وقلها مائة مرة ثم ضع الخد الأيسر وقلها مائة مرة ، ثم عد إلى السجود وقلها مائة وعشر مرات واذكر حاجتك فإن الله يقضيها »[١] .

ومن هنا أقول: ما الفرق بين هذا الشرك وشرك الجاهلية الذين كانوا يستغيثون بالأصنام؟! وما الفرق بينهم وبين الغلاة (الباطنية) ؟! ولذا يقول السيد محب الدين الخطيب – رحمه الله – : «فبعد أن كان غلاتهم في العصور السالفة أقلية ،صاروا بعد ذلك إلى هذا اليوم كلهم غلاة بلا استثناء ، وقد اعترف بذلك أكبر علمائهم في الجرح والتعديل آية الله المامقاني في كل ترجمة كتبها للغلاة الأقدمين منهم ، فأعلن في كل موضع تناول به هذا البحث من كتابه الكبير ، بأن ما كان به الغلاة الأقدمون غلاة ، أصبح الآن عند جميع الشيعة الإمامية من ضروريات المذهب ، لا فرق بينهما إلا في الشخصيات التي يؤلهها كل منهم ويرفعها فوق منزلة النبي ﷺ . . .»[٢] .

ويقول شاه عبدالعزيز غلام حكيم الدهلوي – بعد أن ذكر وجه مشابهتهم لليهود والنصارى والصابئة والمشركين والمجوس – :«ومن استكشف عن عقائدهم الخبيثة ، وما انطووا عليه ، علم أن ليس لهم في الإسلام نصيب ، وتحقق كفرهم لديه ورأى منهم كل أمر عجيب ، واطلع على كل أمر غريب ، وتيقين أنهم قد أنكروا الحسّي ، وخالفوا البديهيّ الأوّلي . .» [٣] .

(١) المرجع السابق ص٨٠٤ .
* ولعمري لو رأت فاطمة رضي الله عنها فعلهم هذا لأنكرت عليهم وتبرأت منهم!! ثم أين الدليل على هذه الصلاة من الكتاب والسنة؟! فلا دليل عندهم سوى تقليد أئمة الضلال والعياذ بالله .
(٢) الخطوط العريضة للسيد محب الدين الخطيب ص٤٢ ط . التاسعة ١٣٨٠ .
(٣) مختصر النحلة الاثني عشرية ، شاه الدهلوي ص٣٠٠ تعليق السيد محمود شكري الألوسي ، ونقل الآلوسي قول ابن حزم عندما كان يناظر قسيس إسبانيا في صحة الإنجيل وأسفار التوراة ويفتخر بأن القرآن لا يتطرق أي شك إلىصحته وتواتر كل حرف من حروفه . . احتجوا عليه بأن الشيعة تعلن تحريف القرآن ، وأن فيه زيادة ونقصاناً ، فقال لهم ابن حزم «إن الروافض ليسوا من المسلمين» ا .هـ .

وكاد إبليس فرقاً من هذه الأمة فأوهم المرجئة [١] أن قولهم (اشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسوله الله) كافٍ في إنقاذهم من الكفر ولو لم يأتوا معه بأي عمل، وكذلك لا تضرهم معصية ما دام قد أقروا بالشهادتين.

قال ابن الجوزي – رحمه الله –: «فالمرجئة لما لم يمكنهم جحد الصانع لما فيه من نفور الناس ومخالفة العقل، أسقطوا فائدة الإثبات وهي الخشية والمراقبة وهدموا سياسة الشرع فهم شر طائفة على الإسلام» [٢] ا.هـ، وأما تحليل ما حرم الله فكثير – عند الفرق ومن أبرزه –:

١- المتعة عند الشيعة: وهو الزواج المؤقت بزمن معين، وقد اتخذ الشيعة منه وسيلة لإشباع غرائزهم الجنسية من النساء تحت ستار الدين، فقالوا بإباحتها، وأن النبي ﷺ أجازها، وتأولوا قوله تعالى: ﴿ فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ [٣]، ومعلوم أن ذلك منسوخ كما نص على ذلك العلماء [٤].

ومن الأحاديث التي يروونها في الترغيب في المتعة قولهم (من تمتع بامرأة مؤمنة، فكأنما زار الكعبة سبعين مرة) [٥]. ويروون عن الصادق – رحمه الله – أنه قال: «المتعة

(١) هم الذين يقولون الإيمان هو التصديق والمعرفة، وأنه لا يضرب مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وقالوا: إن الإيمان لا يقبل الزيادة والنقصان، وسموا مرجئة لأنهم كانوا يقولون بتأخير العمل على النية وقيل: إنهم كانوا يعطون الرجاء بقولهم السابق، وهم أصناف، فمنهم مرجئة القدرية، ومنهم المرجئة الجهمية الذين مالوا إلى آراء جهم ومرجئة الخوارج .. ومن فرقهم: اليونسية، والغسانية، والعبيدية، والثوبانية، انظر: مقالات الإسلاميين ص١٣٢، الفرق بين الفرق ص١٩، الملل والنحل (١/ ١١٤)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ص١٠٧-١٠٩.

(٢) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص١٠٣-١٠٤.

(٣) سورة النساء، الآية: ٢٤.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٢/ ١٠٧)، إغاثة اللهفان لابن القيم (١/ ١٧٣)، زاد المعاد (٣/ ٤٦٠)، إعلام الموقعين (٣/ ١٥٦)، (٤/ ١٠٤)، وفي الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ حرم زمن خيبر المتعة والحمر الأهلية، رواه البخاري في كتاب: النكاح، باب: نهي النبي ﷺ عن نكاح المتعة رقم: ٤٨٢٥ (٥/ ١٩٦٦)، ومسلم، رقم: ١٤٠٧ (٢/ ١٠٢٧).

(٥) شبكة السردات الإسلامية (وثيقة مصورة).

ديني ودين آبائي ، فمن عمل بها عمل بديننا ، ومن أنكرها أنكر ديننا ، واعتقد بغير ديننا)[١] . فهم قد اتخذوها ديناً يتقربون به إلى الله .

يقول الطوسي: «نكاح المتعة عندنا صحيح مباح في الشريعة» [٢] . وصورته عندهم أن يعقد الرجل على المرأة مدة معلومة ، بمهر معلوم [٣] ولو كان التمتع بها ولو الساعات معدودة ، ويجيزون التمتع بالصغيرة والرضيعة ، وإتيان المرأة في دبرها [٤] .

وأفتى بعض مشايخهم المعاصرين بجواز التمتع بالخادمات الكتابيات اللاتي يستقدمن بعقد الإجارة ، وأجازوا مجامعتهن في كل وقت [٥] !! وكذلك أجازوه مع اليهوديات والمجوسيات [٦] !!

ولهذا ذهب بعض المعاصرين إلى محاولة تقييدها بالضرورة والحاجة نظراً لما ترتب عليها من انتشار اللقطاء ، والإباحية ، والفجور والزنا المغلف بغطاء التمتع [٧] ، يقول أحد الشيعة المعاصرين: «إن زواج المتعة عند الشيعة مجرد أمر مباح ، بوسع أي إنسان أن يمارسه وأن يمتنع عن ممارسته على السواء . .

ثم إنه ما من شيعي على الإطلاق ، يرضى أن يزوج أخته أو بنته زواج المتعة المؤقت ، ما لم يكن مضطراً إليه ، كأن يتأخر كثيراً زواجها دائماً مثلاً ، أو أن تترمل وهي لا تزال شابة ، فيخشى على ابنته أو أخته الفتنة . . .» [٨] ا.هـ .

---

(١) المرجع السابق .
(٢) المبسوط للطوسي (٣/ ٢٢٤) .
(٣) انظر: الشيعة وأهل البيت لإحسان إلهي ظهير ص٢١٨-٢٢٠ .
(٤) انظر المرجع السابق ، ص٢٢٢ .
(٥) انظر الفتوى في شبكة السرداب الإسلامية .
(٦) انظر الشيعة وأهل البيت لإحسان إلهي ظهير ص٢٢٢ .
(٧) في مجلة (الشراع) الشيعية العدد (٦٨٤) السنة الرابعة ص٤: إشارة إلى أن رفسنجاني أشار إلى وجود ربع مليون لقيط في إيران وسببه زواج المتعة!!
(٨) مقال لإبراهيم محمد جواد نقلاً من موقع مكتبة العقائد الإمامية .

ومن أعظم ما كاد به الشيطان الفرق بعض المنتسبة للإسلام في أمور النكاح (إباحة نكاح المحارم)، كما هو موجود عند النصيرية الضّالة، فهم يبيحون نكاح الأمهات والأخوات والبنات [١] !!، وسيأتي نقل بعض أقوالهم في هذا الشأن.

٢- استباحة الخمر والمخدرات: ومما كاد به إبليس بعض الفرق المنحرفة استباحة الخمر والمخدرات، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ۝٩١ ﴾ [٢].

فالخمر أم الخبائث، والشيطان يهدف في إيقاع الناس في شربها ليوقع بينهم العداوة والبغضاء، ويفرق شملهم، ويسهل عليه سوقهم إلى ألوان المعاصي والذنوب، ولهذا سميت الخمر أم الخبائث.

روى البيهقي عن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - قال: «اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث، إنه كان رجل ممن خلال قبلكم يتعبد ويعتزل الناس، فعلقته امرأة غوية، فأرسلت إليها جاريتها فقالت: إنا ندعوك لشهادة، فدخل معها، فطفقت كلما دخل بابا أغلقته دونه، حتى أفضى إلى امرأة وضيئة عندها غلام وباطية [٣] خمر فقالت: إني والله ما دعوتك لشهادة، ولكن دعوتك لتقع عليَّ أو تقتل هذا الغلام أو تشرب هذا الخمر، فسقته كأساً فقال: زيدوني، فلم يرم حتى وقع عليها وقتل النفس، فاجتنبوا الخمر فإنها لا تجتمع هي والإيمان أبداً إلا أوشك أحدهما أن يخرج صاحبه» [٤].

---

(١) انظر دراسات في الفرق، د. صابر طعيمة، ص٤٥.

(٢) سورة المائدة، الآيتان: ٩٠-٩١.

(٣) الباطية: هي إناء يجعل فيه الخمر، انظر لسان العرب (٣/ ٤١٩).

(٤) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٨/ ٢٨٧-٢٨٨) وذكر ابن كثير في التفسير (٦٤٤-٦٤٥) وقال: رواه البيهقي، وهذا إسناد صحيح؛ وقد رواه أبو بكر بن أبي الدنيا في كتابه ذم المسكر .. مرفوعاً، والموقوف أصح، والله أعلم وله شاهد في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق سرقة حين يسرقها وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ..» البخاري رقم:٢٣٤٣، ومسلم رقم: ٥٧ (١/ ٧٦).

فنجد مثلاً النصيرية يعظمون الخمر، ويزعمون أنه من النور، ويقدسون بناء على ذلك شجرة العنب، فيحرمون اقتلاعها وقطعها [١]، وزعموا أن هذه المحرمات لم تثبت لاحتمال الزيادة والنقصان في القرآن [٢]، واليزيدية (عبدة الشيطان)، والقاديانية «يبيحون الخمر والأفيون والمخدرات والمسكرات» [٣]، وهذا الاستباح لشرب الخمر في الفرق المنتسبة للإسلام كان موجوداً في الملل الأخرى بعد انحرافها، فالنصارى مثلاً عندهم ما يسمى «بالعشاء الرباني».

«يزعمون بأن المسيح قد جمع الحواريين في الليلة التي سبقت صلبه وأنه قد وزع عليهم خمراً وخبزاً كسره بينهم ليلتهموه إذ إن الخمر يشير إلى دمه، والخبز يشير إلى جسده» [٤].

وقالوا «من أكل الخبز وشرب الخمر من الكنيسة في يوم الفصح فإن ذلك يستحيل فيه، وكأنه قد أدخل في جوفه لحم المسيح ودمه» [٥] !! ويستدلون بما ورد في إنجيل متى الإصحاح السادس والعشرين وفيه (وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال: خذوا وكلوا هذا هو جسدي، وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً: اشربوا منها كلكم؛ لأن هذا دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا) [٦].

٣- استباحة السماع الشيطاني (الغناء): صوت الشيطان: قال تعالى: ﴿وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [٧]، وصوت الشيطان هو الغناء، وقد سبق

(١) انظر دراسات في الفرق د. صابر طعيمة ص٤٤.
(٢) انظر بيان مذهب الباطنية وبطلانه لمحمد بن الحسن الديلمي ص٧٧.
(٣) الموسوعة الميسرة (١/٤١٨) ط. الرابعة.
(٤) المرجع السابق، ص٥٠٤، ط. الثانية.
(٥) الموسوعة الميسرة ص٥٠٤، ط. الثانية
(٦) إنجيل متّى، الإصحاح السادس والعشرين، فقرة (٢٦-٢٨).
(٧) سورة الإسراء، الآية: ٦٤.

بيان أدلة تحريمه .

ولقد كاد إبليس أقواماً من الفرق فحسن لهم الغناء وفتنهم بسماعه حتى اتخذوه ديناً يتقربون به إلى الله .

يقول أبو حامد الغزالي: «اعلم أن السماع هو أول الأمر ، ويثمر السماع حالة في القلب تسمى الوجد ، ويثمر الوجد تحريك الأطراف ، إما بحركة غير موزونة فتسمى الاضطراب ، وإما موزونة فتسمى التصفيق والرقص . .» [(١)] ا .هـ .

ويقول: «ولا يدل على تحريم السماع نص ولا قياس» [(٢)] ا .هـ!! راداً النصوص الصريحة في تحريم الغناء مع أنه أوردها في كتابه ، ثم يذكر أنواع السماع ومنها: «سماع من أحب الله وعشقه واشتاق إلى لقائه ، فلا ينظر إلى شيء إلا رآه فيه سبحانه ، ولا يقرع سمعه قارع ، إلا سمعه منه أو فيه ، فالسماع في حقه مهيج لشوقه ، ومؤكد لعشقه وحبه ومور زناد قلبه ، ومستخرج منه أحوالاً من المكاشفات والملاحظات لا يحيط الوصف بها يعرفها من ذاقها ، وتسمى تلك الأحوال بلسان الصوفية وجداً مأخوذ من الوجود والمصادفة أي صادف من نفسه أحوالا لم يكن يصادفها قبل السماع»[(٣)] ا .هـ .

وإنني أتساءل هل هذه الحال تأتيهم ويصادفونها وقت تلاوة القرآن كلام الله تعالى ، الذي لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله لم يستطيعوا ولو بآية واحدة؟! والإجابة بالنفي ، فلم يعلم ، مما يدل على أن هذه الأحوال تجدّ لهم بنفخ إبليس في صدورهم ، وقد روى في الحديث (ما رفع أحد عقيرته بغناء إلا بعث الله له شياطين على منكبيه يضربان بأعقابهما على صدره حتى يمسك) [(٤)] .

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالي (٢/ ٢٦٨) .

(٢) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة .

(٣) المرجع السابق (٢/ ٢٧٩) .

(٤) قال العراقي: «أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الملاهي ، والطبراني في الكبير وهو ضعيف» ، المغني عن حمل الأسفار في الأسفار (مطبوع في حاشية إحياء علوم الدين) (٢/ ٢٨٥) .

وقد أجاب أحد الصوفية عندما سئل: ما بال الإنسان يتحرك عند سماع الألحان ما لا يتحرك عند سماع القرآن ، فقال: لأن سماع القرآن صدمة لا يمكن لأحد أن يتحرك فيه لشدة غلبته عليه ، وسماع الألحان ترويح يتحرك فيه» [(١)] ا.هـ!!

بل قد جعلوا العبد في حال السماع يتحد بالله والعياذ بالله فقالوا: «السماع على ثلاثة أقسام: سماع بالطبع ، ويشترك فيه الخواص والعام بالجبلة البشرية في استلذاذ الصوت . . وسماع بالحال وصاحبه يتأمل ما يرد عليه من ذكر خطاب أو عتاب أو تصديق بوعد ، وسماع بحق وصاحبه يسمع بالله لله ، ولا يتصف بشيء من الأحوال البشرية بل بصفاء التوحيد» [(٢)] .

ولذا يقول ابن الجوزي – رحمه الله – بعد ذكره لما يصاحبهم من الأحوال وجملة ما كادهم به إبليس في هذا السماع – : «هذه الطائفة إذا سمعت الغناء تواجدت ، وصفقت وصاحت ومزقت الثياب ، وقد لبس عليهم إبليس في ذلك وبالغ» [(٣)] ا.هـ.

وقال – رحمه الله – : «هذا التواجد الذي يتضمن حركات المتواجدين وقوة صياحهم وتخبطهم فظاهره إنه متعمل ، والشيطان معين عليه» [(٤)] ا.هـ.

وتأمل هذا الوصف البليغ الذي وصفهم به الإمام ابن القيم – رحمه الله – حيث يقول: «ومن مكايد عدو الله ومصايده ، التي كاد بها من قل نصيبه من العلم والعقل والدين . . سماع المكاء ، والتصدية ، والغناء بالآلات المحرمة ، فهو قرآن الشيطان ، والحجاب الكثيف عن الرحمن ، فلو رأيتهم عند ذياك السماع ، وقد خشعت منهم الأصوات ، وهدأت منهم الحركات ، وعكفت قلوبهم بكليتها عليه . . فتمايلوا له ، ولا كتمايل النشوان ، وتكسروا في حركاتهم ورقصهم ، وقد خالط خماره النفوس ، ففعل فيها

---

(١) جامع الأصول في الأولياء (الطرق الصوفية) أحمد النقشبندي الخالدي ص٣٣٠ .
(٢) المرجع السابق ص٣٣٠ .
(٣) تلبيس إبليس ص٣٠٧ .
(٤) المرجع السابق ص٣١٥ ، وانظر مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة المقدسي ص١٥٥-١٥٧ .

أعظم ما يفعله حميا الكؤوس، فلغير الله، بل للشيطان، قلوب هناك تمزق، وأثواب تشقق، وأموال في غير طاعة الله تنفق، حتى إذا عمل السكر فيهم عمله، وبلغ الشيطان منهم أمنيته وأمله، واستفزهم بصوته وحيله، فطورا يجعلهم كالحمير حول المدار، وتارة كالدباب ترقص وسيط الديار، فيا رحمتا للسقوف والأرض من دك تلك الأقدام، ويا شماتة أعداء الإسلام بالذين يزعمون أنهم خواص الإسلام . . .»[(١)] ا.هـ.

ومن الأمثلة على تحريم ما أحل الله: الرهبانية وترك الزواج وهذا وجد عند النصارى، قال تعالى في وصفهم ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[(٢)] .

«والمراد من الرهبانية ترهبهم في الجبال فارين من الفتنة في الدين، مخلصين أنفسهم للعبادة ومتحملين كلفا زائدة على العبادات التي كانت واجبة عليهم من الخلوة واللباس الخشن، والاعتزال عن النساء والتعبد في الغيران والكهوف»[(٣)] .

وقال ابن جرير – رحمه الله –: «رفضوا النساء، واتخذوا الصوامع»[(٤)] .

وقيل في سبب اتخاذهم الصوامع والترهب: إنه جاء بعد عيسى عليه السلام ملوك ارتكبوا المحارم . . فلما لم يسمع البعض الإنكار لشدة بطش هؤلاء الملوك اعتزلوا الناس واتخذوا الصوامع وترهبوا.

فرعاها وقام بها جماعة قليلة منهم الأكثرية الباقية اتخذوا منها وسيلة لطلب الرياسة

---

(١) إغاثة اللهفان (١/ ١٧٣-١٧٤).
(٢) سورة الحديد، الآية: ٢٧ .
(٣) تفسير الرازي (٢٩/ ٢٤٦)، والجامع للقرطبي (١٧/ ٢٦٣)، فتح القدير (٥/ ١٧٨-١٨٠).
(٤) جامع البيان (١٣/ ٢٣٩).

وجمع المال [١] .

وقد سار على نهجهم بعض الفرق المنتسبة للإسلام، وأبرز من وجد ذلك عنده الصوفية يقول أبو حامد الغزالي «اعلم أن المريد في ابتداء أمره ينبغي ألا يشغل نفسه بالتزويج، فإن ذلك شغل شاغل يمنعه من السلوك ويستجرّه إلى الأنس بالزوجة، ومن أنس بغير الله شغل عن الله» [٢] !!

وهذا خلاف هدي المصطفى عليه الصلاة والسلام الذي قال للنفر الذين سألوا أزواج النبي ﷺ عن عمله في السر فأخبروهم .. فقال بعضهم لا آكل اللحم، وقال بعضهم لا أتزوج النساء، وقال بعضهم لا أنام الليل على فراش وقال بعضهم أصوم ولا أفطر فحمد الله ﷺ وأثنى عليه ثم قال: «ما بال أقوام قالوا كذا وكذا لكني أصلي وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»[٣] .

قال ابن الجوزي – رحمه الله – : «النكاح مع خوف العنت واجب ومن غير خوف العنت سنة مؤكدة عند جمهور الفقهاء، ومذهب أبي حنيفة وأحمد بن حنبل أنه حينئذ أفضل من جميع النوافل لأنه سبب وجود الولد ..» [٤] ا.هـ.

وقال – أيضاً – : «وقد لبس إبليس على كثير من الصوفية، فمنعهم من النكاح فقدماؤهم تركوا ذلك تشاغلا بالتعبد، ورأوا النكاح شاغلاً عن طاعة الله عز وجل، وهؤلاء وإن كانت بهم حاجة إلى النكاح أو بهم نوع تشوق إليه، فقد خاطروا بأبدانهم وأديانهم، وإن لم يكن بهم حاجة إليه فاتتهم الفضيلة ...» [٥] .

ومن الأمثلة أيضاً على تحريم بعض ما أحل الله تحريم بعض الأطعمة كتحريم

---

(١) انظر جامع البيان لابن جرير الطبري (١٣/ ٢٣٩)، انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي(١٧/ ٢٦٣).

(٢) إحياء علوم الدين (٣/ ١٠١).

(٣) رواه البخاري، رقم: ٤٧٧٦ (٥/ ١٩٤٩)، ومسلم، رقم: ١٤٠١ (٢/ ١٠٢٠).

(٤) تلبيس إبليس ص٣٥٧ .

(٥) المرجع السابق ص٣٥٩، وقد أطال في الرد عليهم .

اللحم عند بعض طوائف الهند، ووجد هذا عند بعض الفرق كتحريم أكل السمك و الغزال والديك، والخس، والملفوف، عند اليزيدية كما سيأتي - إن شاء الله - .

٣- اتخاذ صور أو رموز مادية أو حيوانية وتعظيمها: اتخذت كثير من الملل والنحل رموزاً يعظمونها ويقدسونها، ويصلون لها ومن أبرز هذه الرموز.

أ- الصليب عند النصارى: والصليب هو عبارة عن رمز يعبر عنه بخطين متقاطعين وله أشكال مختلفة لا تخرج عن هذا الوصف (١) وهو يعد شعاراً لهم، وحملهم له يعني أنهم من أتباع المسيح عليه السلام (٢) وهو مما ابتدعوه في دين المسيح، وليس له ذكر في الإنجيل البتة، بل في التوراة لعن من علقه وهم مع ذلك يتخذونه معبوداً، ويحلفون به(٣).

يقول ابن القيم - رحمه الله - : «ولو كان لهم أدنى عقل لكان الأولى بهم أن يحرقوا الصليب، حيث وجدوه، ويكسروه ويُضمِّخُوه بالنجاسة، فإنه قد صلب عليه إلههم ومعبودهم بزعمهم، وأهين عليه، وفُضِح، وخزي منا للعجب، بأي وجه - بعد هذا - يستحق الصليب التعظيم، لولا أن القوم أضل من الأنعام» (٤) .

ب- تعليق الصور في الكنائس وعبادتها: وفي حديث عائشة - رضي الله عنها - في الصحيح: أن أم حبيبة وأم سلمة: ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة، فيها تصاوير، فذكرتا للنبي ﷺ فقال: (إنَّ أولئك، إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات، بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك الصور، فأولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة) (٥) .

قال ابن القيم - رحمه الله - : «وتلاعب بهم في تصوير الصور في الكنائس

---

(١) انظر الموسوعة الميسرة (٢/ ٥٧٥).
(٢) انظر الملحق رقم (٧).
(٣) انظر إغاثة اللهفان لابن القيم (٢/ ٤٠٠-٤٠١) ط. المكتب الإسلامي.
(٤) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة، وانظر هداية الحيارى لابن القيم ص٥٦-٥٧ .
(٥) رواه البخاري، رقم: ٤١٧ (١/ ١٦٥)، ومسلم، رقم: ٥٢٨ .

وعبادتها ، فلا تجد كنيسة من كنائسهم تخلو من صورة مريم والمسيح ، وجرجس ، وبطرس ، وغيرهم من القديسيين عندهم ، والشهداء وأكثرهم يسجدون للصور ، ويدعونها من دون الله» [(١)] ا .هـ!!

وقال – رحمه الله – : « . . . اختاروا عبادة صور خطوها بأيديهم ، في الحيطان مزوقة بالأحمر والأصفر والأزرق لو دنت منها الكلاب لبالت عليها ، وأعطوها غاية الخضوع والذل والخشوع والبكاء وسألوها المغفرة والرحمة والرزق والنصر . . .»[(٢)]ا .هـ .

وقال ابن الجوزي – رحمه الله – : «كل محنة لبس بها إبليس على الناس فسببها الميل إلى الحس والإعراض عن مقتضى العقل ولما كان الحس يأنس بالمثل دعا إبليس لعنه الله خلقاً كثيراً إلى عبادة الصور ، وأبطل عند هؤلاء عمل العقل بالمرة ، فمنهم من حسن له أنها الآلهة وحدها ، ومنهم من وجد فيه قليلاً من فطنة فعلم أنه لا يوافقه على هذا فزين له أن عبادة هذه تقرب إلى الخالق . . .» [(٣)] ا .هـ .

وقد سارت الرافضة على طريقتهم في تعظيم صور الأئمة والسجود لها وتعليقها[(٤)] .

جـ- النـــار: ومنها النار ، وتعظمها طوائف من المجوس ولها مكانة متميزة عندهم فهي رمز عندهم للطهارة والحياة ، والحركة ، وهي تمثل النور الإلهي الذي يعم به الخير في الأرض .

وهي تمثل رمزاً لقدوم بعض أعيادهم كعيد النوروز الذي يحتفل به بإيقاد النيران[(٥)] .

---

(١) إغاثة اللهفان لابن القيم (٢/٤٠٨) .

(٢) هداية الحيارى لابن القيم ص٥٨-٥٩ .

(٣) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص٦٧ ، دار الكتاب العربي .

(٤) انظر مختصر التحفة الاثني عشرية شاه عبدالعزيز غلام حكيم الدهلوي ص٢٩٩ .

(٥) انظر زرادشت والديانة الزراد شتيه تأليف فارس عثمان ص١٢٣-١٢٤ ، ونقل ابن القيم في =

قال ابن القيم – رحمه الله – ومن عبادتهم لها: أن يحفروا لها أخدوداً مربعاً في الأرض، ويطوفون به، وهم أصناف مختلفة «فمنهم من يحرم إلقاء النفوس فيها، وإحراق الأبدان بها، وهم أكثر المجوس، وطائفة أخرى منهم: تبلغ بهم عبادتهم لها إلى أن يقربوا أنفسهم وأولادهم لها، وهؤلاء أكثر ملوك الهند وأتباعهم .. فيعمد الرجل الذي يريد أن يفعل ذلك بنفسه، أو بولده، أو حبيبه، فيجمله ويلبسه أحسن اللباس، وأفخر الحلي، ويركبه أعلى المراكب، وحوله المعازف والطبول والبوقات، فيزف إلى النار أعظم من زفافه ليلة عرسه، حتى إذا ما قابلها ووقف عليها: وهي تأجج طرح نفسه فيها، فضج الحاضرون ضجة واحدة بالدعاء له، وغبطته على ما فعل، فلا يلبث إلا يسيرا حتى يأتيهم الشيطان في صورته وشكله وهيأته، لا ينكرون منه شيئاً، فيأمرهم بأمره، ويوصيهم بما يوصيهم به، ويوصيهم بالتمسك بهذا الدين، ويخبرهم أنه صار إلى جنة ورياض وأنهار، وأنه لم يتألم بمس النار له، فلا يهولنهم ذلك. ولا يمنعهم عن أن يفعلوا مثله»[(١)] ا.هـ !!

د – **تعظيم التراب والأحجار عند الشيعة**: ويزعمون أنه شفاء من كل داء وأمان من كل خوف، ويأكلونها تبركاً.

ففي كتاب نور العين الباب الثالث والخمسون والمائتان: استحباب الإفطار على التّربة الحسينية، ويروى فيه حديث باطل عن علي رضي الله عنه عندما قيل له: إني أفطرت يوم الفطر على طين القبر وتمر؟ فقال له: جمعت بين بركة وسنة) [(٢)]، وفي الباب الذي يليه: استحباب تقبيل التربة الحسينية ووضعها على العين وإمرارها على سائر الجسد، ويروى حديث عن زيد أبي أسامة قال: كنت في جماعة من عصابتنا بحضرة

= سبب عبادتها عن ابن جرير وأنه لما قتل قابيل هابيل وهرب مع أبيه آدم عليه السلام، أتاه إبليس، فقال له: أن هابيل إنما قبل قربانه وأكلته النار، ولأنه كان يخدمها ويعبدها، فانصب أنت أيضاً ناراً تكون لك ولعقبك، فبنى بيت نار، فهو أول من نصب النار وعبدها»، إغاثة اللهفان (٢/ ١٧٠).

(١) إغاثة اللهفان لابن القيم (٢/ ١٧٠).

(٢) نور العين في المشي إلى زيارة قبر الحسين تأليف محمد حسن الاصطهباناتي ص٤١٦ .

سيدنا الصادق ، فأقبل علينا أبو عبدالله عليه السلام فقال: إن الله تعالى جعل تربة جدّي الحسين عليه السلام شفاء من كلِّ داء وأماناً من كل خوف ، فإذا تناولها أحدكم فليقبلها وليضعها على عينيه وليمرها على سائر جسده) (١) !! ، ونقل عن بعض مشايخه قوله «ويستحب الصيام في العشر من المحرّم فإذا كان يوم عاشوراء أمسك عن الطعام والشراب إلى بعد العصر [!!] ثم يتناول شيئاً يسيراً من التربة» (٢) ا.هـ ، ومنها ما يعرف (بالبراءة) وهي كرة مصنوعة من تراب تؤخذ من تربة الحسين عند الشيعة يحملها كل شيعي تبركاً بها ، وتعرف أيضاً عند اليزيدية عبدة الشيطان (٣) - كما سيأتي - :

هـ- **الطاووس** عند اليزيدية فهم يقدسون تمثال طاووس من النحاس على شكل ديك بحجم الكف المضمومة ، وهم يطوفون بهذا التمثال على القرى لجمع الأموال .

و- **البقرة** عند الهندوس حيث يعظمونها ويعبدونها ويحرمون ذبحها ويغتسلون ببولها والعياذ بالله (٤) .

٤- **تأليه الشيطان وعبادته** (*) : قال تعالى: ﴿ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (٦) .

ومع أن عبادته تشمل - كما سبق - جميع ما دعا إليه من الشرك والكفر ، إلا إنه وجدت طوائف جعلته إلهاً وعبدته صراحة ، وعبادة الشيطان قديمة ، فقد وجدت قبائل في الجاهلية يقال لهم بنو مليح من خزاعة تعبد الجن (٧) .

وبعد ظهور الإسلام ظهرت فرقة (اليزيدية) وهي فرقة ضالّة ، صنعهم الشيطان كما يريد ، فلم يترك مكيدة كاد بها الأمم إلا وكادهم بها حتى أصبحوا يأكلون الدم ،

(١) المرجع السابق نفس الصفحة .
(٢) المرجع السابق نفس الصفحة .
(٣) انظر الموسوعة الميسرة (١/ ٣٧٦) ط . الرابعة .
(٤) انظر المرجع السابق (١/ ٣٧٣) .
(*) أفردت الحديث هنا عن عبدة الشيطان مع دخوله ضمن الشرك في الألوهية ، وذلك لقوة صلة الموضوع بالبحث ولأهميته وظهوره في هذا العصر .
(٦) سورة يس ، الآية: ٦٠ .
(٧) انظر في ظلال القرآن سيد قطب (٢/ ٧٦٠) .

ولا يغتسلون ويهتفون باسمه ، ويستحلون دم من يتعوذ بالله منه!! بل لقد جمعت هذه الفرقة انحرافات الفرق والملل المنحرفة من اليهود والنصارى والمجوس والبوذية وغيرهم كما سيأتي فصدق عليهم إبليس ظنه .

كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴾[1] ، وقد كان بداية ظهورها بعد القرن السادس الهجري ولم يكن لها وجود يذكر قبل ذلك[2] .

وقيل: إنها ظهرت قبل ذلك ، وذلك بعد انهيار الدولة الأموية عام ١٣٢هـ عندما هرب الأمير إبراهيم بن حرب بن خالد بن يزيد إلى شمال العراق وجمع فلول الأمويين ودعا إلى أحقية يزيد[3] في الخلافة[4] .

---

(١) سورة سبأ ، الآية: ٢٠ .

(٢) انظر اليزيدية ومنشأ نحلتهم أحمد تيمور باشا ص٤٦ .

(٣) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي ولد عام ٢٥هـ ، تولى الخلافة بعد والده معاوية رضي الله عنه عام ٦٠هـ نشأ في دمشق ، ولما تولى الخلافة لم يبايعه عبدالله بن الزبير ، والحسين بن علي - رضي الله عنهما - فانصرف عبدالله بن الزبير إلى مكة ، والحسين بن علي إلى الكوفة بدعوة من أهلها الذين خذلوه بعد ذلك ، فقتل في الكوفة ، وخلع أهل المدينة طاعته سنة ٦٣هـ ، فأرسل إليهم مسلم بن عقبة المري (وهو قائد من الدهاة القساة . . شهد مع معاوية صفين) فاستباح المدينة وقتل ونهب ومات في هذه الموقعة عدد من الصحابة وخيار التابعين ، وقد دامت خلافته ثلاث سنين وتسعة أشهر توفي سنة ٦٤هـ . قال ابن تيمية - رحمه الله - : «فإن يزيد بن معاوية ولد في خلافة عثمان بن عفان - رضي الله عنه - ولم يدرك النبي ﷺ ؛ ولا كان من الصحابة باتفاق العلماء ؛ ولا كان من المشهورين بالدين والصلاح ، وكان من شبان المسلمين ؛ ولا كان كافراً ولا زنديقاً ، وتولى بعد أبيه على كراهة من بعض المسلمين ورضا من بعضهم ، وكان فيه شجاعة وكرم ، ولم يكن مظهراً للفواحش كما يحكى عنه خصومه ، وجرت في إمارته أمور عظيمة: أحدها: مقتل الحسين رضي الله عنه ؛ وهو لم يأمر بقتل الحسين ، ولا أظهر الفرح بقتله ؛ لكن أمر بمنع الحسين - رضي الله عنه - وبدفعه عن الأمر ، ولو كان بقتاله . . .
الثاني: فإن أهل المدينة نقضوا بيعته وأخرجوا نوابه وأهله ، فبعث إليهم جيشاً ؛ يقتلون وينهبون ، ويفتضون الفروج المحرمة . . . ولهذا كان الذي عليه معتقد أهل السنة وأئمة الأمة أنه لا يسب ولا يحب . .» ا.هـ ، مجموع الفتاوى (٣/ ٤١٠-٤١٢) وانظر تطهير الجنان واللسان لأحمد بن حجر الهيثمي ص٨٠ وما بعدها ، مطبوع مع الصواعق المحرقة ، وانظر في ترجمة يزيد: تاريخ الطبري حوادث سنة ٦٤ ، البداية والنهاية (٨/ ٢٢٢ وما بعدها) ، الأعلام للزركلي (٨/ ١٨٩) .

(٤) انظر: ذيل الملل والنحل للشهرستاني (٢/ ٣٤) ، إبليس للعقاد ص١٣٨ ، عبدة الشيطان ممدوح الزوبي ص٣٩-٤٠ ، الشباب بين التطرف والانحراف د . إسماعيل إبراهيم ص٢٤ .

ومما يجدر التنبيه عليه أن هناك فرقة تسمى الشيطانية [(١)] وهي غير اليزيدية ولا علاقة لها بعبدة الشيطان .

وفي سبب تسمية اليزيدية بهذا الاسم عدة أقوال:

منها: إنهم ينتسبون إلى رجل يدعى يزيد بن أنيسة الخارجي [(٢)] ، ولهذا كرههم المسلمون ، والشيعة وضيقوا عليهم حتى ألجؤوهم للفرار إلى جبل (سنجار) [(٣)] ، وأقبل عليهم الفرس لكون بدعتهم هذه تعظّم العجم حيث يزعم أن الله تعالى سيبعث رسولاً من العجم وينزل عليه كتاب قد كتب في السماء ، وينزل عليه جملة واحدة ، ويترك شريعة المصطفى ﷺ ، ويكون على قلة الصائبة المذكورة في القرآن ؛ وليست هي الصائبة الموجودة بحرّان وواسط . .» [(٤)] . وهذا بعيد «لأن الفرقة بادت وبادت آراؤها معها ، كما بادت الفرق الخارجية الأخرى» [(٥)] .

ومنها: إنه نسبة إلى (يزد) الفارسية فهم من أصول فارسية ، ودزور زرادشتيه ،

---

(١) هم أصحاب شيطان الطاق ، وهو أبو جعفر محمد بن علي بن النعمان بن أبي طريفة البجلي الكوفي الأصول ، ويعرف بشيطان طاق ويسميه الشيعة بمؤمن الطاق ، وهي فرقة من فرق الروافض ، ومن معتقداتهم: أن الله لا يعلم الأشياء إلا إذا قدرها وأرادها ، ويقولون «محال أن يعلمها لا لأنه ليس بعالم ولكن الشيء لا يكون شيئاً حتى يقدره ويشيئه بالتقدير والتقدير عندهم الإرادة» منهاج السنة لابن تيمية (٢/ ٢٣٧) ، وانظر الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٦٦-١٦٨) لسان الميزان (٥/ ٣٠٠-٣٠١) الأعلام للزركلي (٧/ ١٥٤) ، عباد الشيطان يوسف البنعلي ص٦٢ .

(٢) زعيم إحدى فرقة الإباضية التي يسمون باليزيدية ، نسبة إليه . . كان بالبصرة ، ثم انتقل إلى أرض فارس ، ودعا إلى مذهبه وأن الله سيرسل إليهم رسولاً من العجم . . فتبعه أناس وتسمت هذه الفرقة باسمه ، وزعم أن من شهد بنبوة محمد ﷺ من أهل الكتاب فهو مؤمن ، وإن لم يدخل في الإسلام ، فمن الإباضية من وقف فيه ، ومنهم من تبرأ منه ، وجُلّهم تبرأ منه ، انظر: المقالات لأبي الحسن الأشعري ١٠٣-١٠٤ ، واليزيدية أحمد تيمور ص١٢ ، واليزيدون د . محمد التونجي ص٧٠ .

(٣) يقع في شمال العراق ، (انظر اليزيدية أحمد تيمور ص١٢) .

(٤) اليزيدون ، د . محمد التونجي ص٧٠ .

(٥) المرجع السابق ص٧١ ، وانظر اليزيدية أحمد تيمور ص١٢ .

فلما جاء الإسلام اعتنقوه نفاقاً ،وتركوا بعد ذلك حاضرتهم وسكنوا (داسِن) (١) فأسمتهم العامة اليزديين ثم حولت إلى اليزيديين .

وقيل: إن أصلهم زردشتي مجوسي لكن ولدوا في مدينة شيخان ثم اعتنقوا الإسلام في زمان عدي بن مسافر (٢) ودمجوا عقائدهم بالعقيدة الإسلامية ، فالاسم نسبة إلى (يَـزْد) أو (إيزَد) ، ويؤكد ذلك التشابه بينهما في التناسخ وبعض الاعتقادات (٣) .

ومنها: إنهم ينتسبون إلى يزيد بن معاوية ، وسبب ذلك أن شيخهم عدي بن مسافر نقل عنه قوله في يزيد بن معاوية «وإنَّ يزيد بن معاوية – رضي الله عنه – إمام وابن إمام ،ولي الخلافة وجاهد في سبيل الله ونقل عنه العلم الشريف والحديث ، وإنه بريء مما طعن فيه الروافض من أجل قتل الحسين – ﷺ – وغير ذلك . منبوذ ومهجور الطاعن فيه» (٤) ا.هـ .

فنشأ من هذا القول اعتقاد اليزيدية في يزيد ، وتولوه تبعاً لرأي شيخهم ثم غلوا فيه بعد ذلك كما سيأتي (٥) ، فجعلوه ولياً ثم نبياً ، وأخيراً إلها مع الآلهة السبعة .

قال د . محمد التونجسي: «مع أن هذا الرأي مستبط من أخبار اليزيدية ومعتقداتهم ، فإنه ما زال يحتاج إلى براهين عديدة قاطعة ، فلم يذكر التاريخ أن يزيد بن معاوية أسس – خلال خلافته – طريقة أو ابتدع له أحد دينا» (٦) ا.هـ ، ويقول: «إن لفظة يزيد ليست بالضرورة تفرض الانتماء إلى يزيد بن معاوية . . .» (٧) ا.هـ .

---

(١) داسن: «اسم جبل عظيم في شمال الموصل من جانب دجلة الشرقي فيه خلق كثير من طوائف الأكراد يقال لهم الداسنية» معجم البدان (٢/ ٤٣٢) .

(٢) ستأتي ترجمته مفصلة .

(٣) اليزيدون ومنشا نحلتهم ، أحمد تيمور ص٧٠ ، واليزيدون د . محمد ألتونجي ص٦٨-٦٩ .

(٤) نقلاً من كتاب اليزيدون لأحمد تيمور ص٤٨ .

(٥) انظر: اليزيدية ، أحمد تيمور ص٤٨ ، اليزيدون د . محمد التونجي ص٧١-٧٣ ، ص٤٨ ، عباد الشيطان يوسف البنعلي ص٤٥ ، تطهير الجنان واللسان لأحمد بن حجر الهيثمي المكي ص٢-٣ .

(٦) اليزيدون ، د . محمد التونجي ص٧١ .

(٧) المرجع السابق ، ص٧٣ .

وقد وجدت ما يؤكد ذلك من أحد المعاصرين من اليزيدية، الذين تركوا عبادة الشيطان، واعتنقوا المذهب الرافضي - وبئست الهداية - وقد سأله أحد الرافضة: ما سر هذا الاسم، هل هناك علاقة بيزيد بن معاوية .. أم ماذا؟ وهل يعبد اليزيدون الشيطان كما يقال؟

فأجاب: لقد ذكر بعض من كتب عن ملتنا أن سبب التسمية هي نسبة إلى (يزد) المدينة الإيرانية، وبعضهم احتمل نسبتهم إلى يزيد بن معاوية .. ولكن الحقيقة ليست كذلك، فاليزيدون يعتقدون أن الشيطان كان نبياً بعثه الله إلى العالم كله، ولكن المسلمين لعنوه ولم يتبعوه وهكذا انحرف المسلمون، وظل اليزيدون وحدهم يتبعون هذا النبي الخرافي - الذي له عدة أسماء في عقائدهم منها (طاووس ملك) ومنها (يزيد) ومن هنا جاءت تسميتهم باليزيديين، ولكن لا ننسى أن تأسيس هذه الفرقة جاء كما أسلفت من شخص ينحدر من نسب يزيد بن معاوية [١] ...»[٢] ا.هـ.

فلم ينسب هذه الفرقة إلى يزيد بن معاوية، مع شدة بغض الرافضة له ولعنهم إياه .. غير إن مما لا يشك فيه حب اليزيديين ليزيد بن معاوية وتعظيمهم له، ولكن هذا لا يحتم أن تكون النسبة إليه.

كما أنه مما يؤكد نسبتهم للشيطان هو القول: إن كل من كتب في هذه الملة قد اتفقوا على أنها تعظم وتعبد الشيطان - بغض النظر عن سبب هذه العبادة وعن كيفيتها - فلا يستبعد أن تكون النسبة إليه مباشرة.

تأسيسها: يقال: إن مؤسس هذه الفرقة هو عدي بن مسافر بن إسماعيل بن موسى بن مروان الهكاري المتوفى سنة ٥٥٥هـ.

فيه تصوف، كان زاهداً قال فيه شيخ الإسلام ابن تيمية، «والشيخ عدي - قدس الله روحه - كان من أفاضل عباد الله الصالحين وأكابر المشايخ، المتبعين وله من

---

(١) أظنه يقصد الشيخ عدي بن مسافر.
(٢) نقلاً من موقع مكتبة العقائد الإمامية.

الأحوال الزكية والمناقب العلية ما يعرفه أهل المعرفة بذلك، وله في الأمة صيت مشهور، ولسان صدق مذكور، وعقيدته المحفوظة [١] عنه لم يخرج فيها من عقيدة من تقدمه من المشايخ الذين سلك سبيلهم كالشيخ الإمام الصالح أبي الفرج عبدالواحد ابن محمد بن علي الأنصاري الشيرازي ثم الدمشقي [٢] .. وهؤلاء المشايخ لم يخرجوا في الأصول الكبار عن أصول أهل السنة والجماعة ..» [٣] ا.هـ. ولقبره الآن زاوية تعرف بالزاوية العدوية، ثم تغير اسمها بالزاوية القادرية، وقبره اليوم كعبة لليزيدية إليه يحجون، ويأكلون من ترابه في وادي (لالش) [٤] .

أما موطنهم الأصلي فهو جبال (هكار) موطن الأكراد شمال العراق. غير إن القول: إنه مؤسس هذه الفرقة فيه نظر، حيث إن من قرأ عقيدته يجد أنها لا تخالف أصول أهل السنة و الجماعة، وكذلك من اطلع على آراء العلماء فيه ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية مع سعة علمه واطلاعه على أحوال الرجال، وظهوره بعده بزمن طويل.

ومنهم الشهرستاني – الذي عرف المذاهب والملل وكتب عنها – يقول فيه: «على أننا إذا رجعنا إلى الكتب التي خلّفها هذا الشيخ المتصوف، أو التعاليم الدينية التي نشرها تلامذته، وقابلناها بمعتقدات اليزيدية لم نجد بينهما علاقة» [٥] ا.هـ.

وابن خلكان المؤرخ يقول «الشيخ عدي بن مسافر بن إسماعيل بن موسى بن

---

(١) تسمى رسالة «اعتقاد أهل السنة والجماعة» نقلها كاملة د. محمد التونجي في كتابه اليزيدون ص٢٧ وما بعدها، وقد ذكر أنها حققت من محققين هما العدواني والنعمة.

(٢) أبو الفرج عبدالواحد بن محمد بن علي الشيرازي المقدسي ثم الدمشقي، من الحنابلة .. تفقه ببغداد ثم سكن بيت المقدس، واستقر في دمشق، ونشر المذهب الحنبلي: له مؤلفات منها: المنتخب، المبهج، التبصرة في أصول الدين، توفي بدمشق عام ٤٨٦هـ، انظر: الأعلام للزركلي (٤/ ١٧٧).

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/ ٣٧٧).

(٤) انظر في ترجمته: وفيات الأعيان لابن خلكان (١/ ٣١٦)، سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٣٤٢-٣٤٤) شذرات الذهب لابن العماد (٤/ ١٧٩)، اليزيدية أحمد تيمور ص١٤ وما بعدها.

(٥) انظر: ذيل الملل والنحل للشهرستاني (٢/ ٣٧).

مروان بن الحسن بن مروان . كذا أملى نسبه بعض ذوي قرابته الهكاري مسكناً العبد الصالح المشهور الذي تنسب إليه الطائفة العدوية»[(١)] ا .هـ .

فمن هنا يتضح – والله أعلم – أن من جاء بعده غلو فيه غلواً فاحشاً ووضعوا هذه البدع ونسبوها إلى أصل طريقتهم التي ابتدأها الشيخ عدي بن مسافر ؛ ويمكن على ذلك أن نقول: إن هذه الفرقة قد مرت بمراحل تطور تتمثل فيما يلي:

المرحلة الأولى: حركة أموية سياسية ، تدعو لحب يزيد بن معاوية ، وأحقيته في الخلافة ، **المرحلة الثانية:** حركة عدوية تميل للتصوف والزهد في زمن عدي بن مسافر الأموي ، **المرحلة الثالثة:** انحراف فكري عقدي في عهد مشايخ خلفوا الشيخ عدي وجاءوا من بعده ، وخروج كتبهم – التي خالفوا فيها تعاليم الإسلام – للناس ، **المرحلة الرابعة:** الخروج التام عن ربقة الإسلام وتحريم القراءة والكتابة [(٢)] على أتباعهم ، وإعلان عبادة الشيطان وتعظيمه [(٣)] – على ما سيأتي – وكان انتشارها في أمريكا وبالأخص في نيويورك على يد (أليستر كراولي) [(٤)] الأمريكي الجنسية الذي تزعم إحياء هذه العبادة

---

(١) وفيات الأعيان (١/ ٣١٦) .

(٢) في عهد رئيسهم إسماعيل جول أباح لهم التعليم ودخول المدارس بعد أن كان محرماً عليهم نسأل الله العافية ، انظر ذيل الملل والنحل للشهرستاني (٢/ ٣٧) .

(٣) انظر اليزيدية ومنشأ نحلتهم أحمد تيمور ص٤٧ ، عبدة الشيطان تاريخهم ومعتقداتهم ممدوح الزوبي ص٤٢ ، الشباب بين التطرف والانحراف د .إسماعيل إبراهيم ص٢٤ .

(٤) أمريكي ولد عام ١٨٧٥م من عائلة عادية متوسطة الحال بين أبوين مسيحيين ، وتخرج من جامعة كامبريدج في بريطانيا واهتم في البداية بالظواهر والعبادات الغريبة ، ودافع عن الإثارة والشهوات الجنسية في كتابه (الشيطان الأبيض) ، انضم إلى نظام العهد الذهبي وهي جماعة سرية كانت تضم الشعراء . . مثل ويليام باتس . . وأصبح فيما بعد المعلم العظيم لهذه الجماعة ، ثم أوجد نظاماً خاصاً به عام ١٩٠٠م سماه (النجم الفضي) وراح يسافر عبر العالم وانتشر عنه تعاطيه وترويجه للمخدرات ، مما جعل السلطات الإيطالية تطرده من البلاد ، فذهب إلى جزيرة سيلان حيث ارتبط مجدداً بالرجل الذي ربطته معه علاقة شاذة وقضى كراولي عمره مسافراً من بلد إلى آخر يبحث عن لذاته الجنسية مع النساء والرجال ، وفي آخر حياته أصبح كراولي يعتقد أنه مصاص الدماء ، وراح يحقن نفسه بالهيروين حتى وجد في النهاية ميتاً بين زجاجات الخمر ، وحقن المخدرات =

الشيطانية وإعادتها عام ١٩٠٠م ، ودعا إلى السحر ، والشعوذة وكل مظاهر الانحلال وشرب المخدرات [(١)] .

وقيل: إن وجودها كان قبل ذلك عام ١١١٨م عند (فرسان الهيكل) وهم «فرقة مسيحية عسكرية أنشأتها الكنيسة في القدس ، وذلك لحماية الحجاج المسيحيين إبان الحروب الصليبية» [(٢)] ، حيث كونوا ثروة هائلة قادتهم لارتكاب الموبقات والفواحش ، وممارسة السحر والشعوذة الذي انتهى بعبادة الشيطان [(٣)] .

ويقال: إن هناك طائفة قديمة ، كانت تعبد الشيطان في فرنسا على لويس الرابع عشر وبعده ووجدت مثل هذه الطائفة في برلين ، ولندن ووصل عددهم في عام ١٩٦٢م في لندن حوالي ٢٥ ألفاً [(٤)] .

ومهما يكن لهذه العبادة من بدايات ، فقد كان ظهورها بشكل منظم وصريح في عصر النهضة الأوروبية في القرن التاسع عشر على يد أليستر كراولي الذي يعد الأب الروحي لهم .

ومن أشهر المجموعات التي تنتمي لعبدة الشيطان في أمريكا اليوم ما يعرف (بكنيسة الشيطان) وهي من أخطر هذه المجموعات وتسمى (كنيسة الشيطان) ويقال: إن مؤسسها وزعيمها (انطوان لافيه) [(٥)] الذي ألف كتاب (إنجيل الشيطان) وكتاب الذئب وهي أول

= عام ١٩٤٧م» بتصرف واختصار من: عبدة الشيطان ص١٧-١٨ ، وقد أحرقت جثته حسب وصيته ، وأرسل الرماد إلى ولاية كاليفورنيا بأمريكا حسب وصيته ، أشهر كتبه (القانون) دعا فيه إلى تحطيم القيود الاجتماعية والدينية الأخلاقية ، انظر عباد الشيطان يوسف البنعلي ص٨٠ .

(١) انظر عبدة الشيطان لمدوح الزوبي ص١٢ .

(٢) عباد الشيطان يوسف البنعلي ص٧٧ .

(٣) انظر المرجع السابق ص٧٨ .

(٤) انظر دائرة معارف القرن العشرين (٢/ ٣٣٤) ، عبادة الشيطان لمدوح الزوبي ص١٠٥ - ١١٠ .

(٥) كاهن ، عاش حياة غير مستقرة ، ففي بداية عمره ترك بيته ليعيش في مدينة «أوكلاند» والتحق بسيرك ليعمل في أقفاص الحيوانات ، وترويض الأسود ، ثم انضم إلى إحدى مدن الملا ليمارس العرافة والسحر ، وأصبح ماهراً في التنويم المغناطيسي ، ثم درس علم الجريمة وعمل مصوراً لإدارة =

كنيسة رسمية (*) للشيطان في أمريكا، وتعد أكبر منظمة لعباد الشيطان في العالم، ويقدر عدد المنتمين لها بحوالي خمسين ألف عضو، معظمهم من أبناء العائلات الثرية ولها فروع في أمريكا وأوروبا وتنزانيا وجنوب أفريقيا وتنشر عقيدتها في أرجاء العالم(٢).

ولهم تمثال يمثل إبليس بهيئة منكرة، بلون ألسنة النار المندلعة في الليل وله قرون على طرفي رأسه وذنب طويل كأنه أفعى خلفه (٣).

وقد وضع (انطوان لافيه) تسعة من المبادئ التي تقوم عليها كنيسة الشيطان، وهي مبادئ شيطانية تخالف جميع الأديان وتتلخص في أن الشيطان يمثل:

- الانغماس في الذات والأهواء. - الحياة الواقعية لا الخيال.
- الطيبة لمن يستحقها. - الانتقام لا التسامح.
- الانطلاق في الخطايا والآثام من أجل الإشباع الجسدي والفكري ولهم فيها اجتماعات تعقد سراً وراء الأبواب وفي آخر الليل، ولهم صلوات وطقوس شيطانية، وأعياد غارقة في بحر الدماء أو الجنس (٤)، وذكر بعض الباحثين أن عبدة الشيطان أصبح عددهم ثلاثمائة ألف (٥)، وقيل مائتي ألف (٦).

= الشرطة في سان فرانسيسكو فرأى من الجرائم ما تقشعر منه الأبدان، فآثر الابتعاد عن الله تعالى، وأكب على تعلم السحر والشعوذة ثم أسس هذه الكنيسة !! انظر: عباد الشيطان يوسف البنعلي ص٨٥.

(*) ومما يتعجب له أنها اعتبرت كنيسة رسمية معترف بها عندهم، حيث عوملت كغيرها من الديانات الأخرى، فأعفيت من الضرائب ومرتادوها في ازدياد مستمر ولها مواقع على الإنترنت!! وهذا يدل على الفساد العقدي الذي يعيشه الغرب!!.

(٢) انظر عباد الشيطان يوسف البنعلي ص١٠٥-١١٠، دائرة معارف القرن العشرين محمد وحدي (٢/ ٣٣٣-٣٣٧).

(٣) انظر: دائرة معارف القرن العشرين (٢/ ٣٣٣-٣٣٤).

(٤) انظر: عباد الشيطان ص٨٦-٨٧، وقد نقلها من كتاب: The satanic Bilrle, p.26

(٥) انظر: موقع بيان الكتب.

(٦) انظر: الموسوعة الميسرة

والإحصاءات الأخيرة تؤكد أن عددهم وصل في العراق إلى ٧٥٠ ألف ، وأن مليوناً ونصف المليون منتشرون في عدد من الدول من بينها أرمينيا وألمانيا وسوريا وتركيا[(١)] .

وهذه نسبة تشكل خطراً كبيراً ؛ لأن زيادتهم تعني انتشارهم وتعني نذير خطر قادم لابد من التصدي له .

ومن الفرق التي تقدس الشيطان اليونسية ، وهي فرقة كانت تزعم أن إبليس عارف بالله [(٢)] .

وهناك جماعات عبدت الشيطان في البحرين وبلاد فارس في أيام الدولة الفاطمية حيث كان زعيمهم يقول: «أنا بالله وبالله أنا . . يخلق الخلق وأفنيهم أنا» [(٣)] .

وأيضاً الزنج وكانوا في البحرين ، ولهم طقوس غريبة ويرتكبون جميع الفواحش ، لهم أصل أيضاً في إيران على شكل جماعات صغيرة قبل وصول الإسلام إليها [(٤)] .

«وهناك جماعات من الشباب المثقف يرتدون ملابس غريبة سوداء اللون عليها رسومات غريبة . . مثل شعار الموت ، والجماجم المشوهة والصلبان المعقوفة ، يطلقون شعورهم حيث يتركونها طويلة ودون تمشيط أو تنظيف فيما يعمد أعضاء آخرون إلى حلاقتها تماماً .

يتجمعون أمام بعض الأماكن العامة الشهيرة مثل المطاعم والكازينوهات وأحياناً أمام المساجد والكنائس ، فيعمدون إلى استفزاز الناس عن طريق شتم الدين أو التعرض للفظ الجلالة مما يخلق شجارات مع الناس يخرجون فيها في الأغلب منتصرين ، لأنهم

---

(١) انظر موقع الجزيرة نت ، يوم الخميس ٢/ ٢/ ١٤٢٢هـ .
(٢) الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٤٠) .
(٣) عبدة الشيطان تاريخهم ومعتقداتهم ممدوح الزوبي ص٣٣ .
(٤) انظر المرجع السابق نفس الصفحة .

يهاجمون في مجموعات كبيرة» [١] .

«وترجع بدايات ظهور هذا التوجه المنحرف والفكر الشاذ في مصر عند بداية السبعينيات الميلادية من خلال (الروك) لاجتذاب الشباب . . في شهري أكتوبر ونوفمبر عام ١٩٩٣ نظمت أول حفلة لهم ، ووصفت بأنها كانت مرتعاً للجنس والمخدرات . .» [٢] .

وقد تم ملاحقتهم من قبل ضباط الأمن المصري ، وحضور بعض احتفالاتهم وتصويرها بكمرات سرية ، ثم تم بعد ذلك إلقاء القبض على جميع منظمي هذه العصابة في قصر البارون المهجور الذي بناه ألبان عام ١٩٠٥ في القاهرة حيث اتخذوا مقراً لممارسة الرقص والشذوذ دون مراقبة ، وكان المجتمع يظنون أن هذه الأصوات صدى للجن والعفاريت التي تسكن هذا القصر [٣] .

كذلك لهم انتشار واسع في إسرائيل ، فقد نشرت صحيفة يد يعوت احرنوت أكثر من مرة حوادث وتجاوزات قام بها عبدة الشيطان الإسرائيليون ، كان آخرها قصة نبشهم لقبر جندي إسرائيلي نشرت في عدد ٣ شباط ١٩٩٧ ، وتذكر إحصائيات الشرطة الإسرائيلية أن عدد أتباع الشيطان قد بلغ عدة عشرات من الألوف حيث تحتوي تل أبيب وحدها ٤٥٠٠ شخص . .» [٤] .

«وأثبتت التحقيقات التي قامت بها الشرطة الإسرائيلية أن عبدة الشيطان الإسرائيليين يتميزون بالشراسة فهم يقتلون الحيوانات ويشربون وينثرون دماءها خلال طقوس العبادة . . حتى المواليد الصغار والأجنة قتلوها وأكلوا قطعاً من أجسادها» [٥] .

---

(١) عبدة الشيطان تاريخهم ومعتقداتهم ممدوح الزوبي ص٧١ ، وانظر: مجلة البيان العدد ١١٣ في محرم ١٤١٨هـ ، والعدد ١١١ في ذي القعدة ١٤١٧هـ .

(٢) مجلة البيان العدد ١١٣ ، محرم ١٤١٨هـ .

(٣) انظر: عبدة الشيطان ، ممدوح الزوبي ص٧١-٨٠ .

(٤) عبدة الشيطان ، ممدوح الزوبي ص٩٣ ، وانظر مجلة البيان العدد ١١٣ في محرم ١٤١٨هـ .

(٥) المرجع السابق ص٩٥ .

ومما يجدر التنبيه إليه علاقة هذه العبادة بالموسيقى ، فيلاحظ تعلقهم الشديد بسماع الموسيقى الصاخبة (الهفي ميتال) [(١)] (الهاردروك)[(٢)] حيث تعتبر إحدى الروابط القوية التي تربط عباد الشيطان بعضهم ببعض .

ولهم شعراء متخصصون في اختيار الكلمات واستعمال القواعد والأساليب العلمية لتحريك الدوافع الإجرامية عند الشباب ، وهي ذات إيقاع سريع لتواكب العصر[(٣)] .

ومن الأمثلة قولهم: «أيها الشيطان .. خذ روحي .. ويا غضب الإله دنسها الخطيئة وباركها بالنار .. لابد أن أموت .. الانتحار .. الانتحار .. لابد أن أموت»[(٤)] .

وعندما سئل أحد قادة هذه الفرق الموسيقية وتدعى (Reicide) وتعني (قاتل الإله) عن أهدافه قال: «وضع موسيقى تدعو إلى الشر بقدر المستطاع كي نفوز بالدخول إلى جهنم من البوابات السبع ، وهذه إحدى الطرق للتعبير عن انتمائي لعباد الشيطان»[(٥)] .

ولهم علماء نفس وشعراء وملحنون يضعون الموسيقى والكلمات ويشجعون على سماعها ، ويتم إيصال الرسائل التي يريدونها والإيحاءات بطريقة خفية لا تستوعبها الحواس الخارجية ، وتدخل في عمق العقل الباطن وتهدف إلى إنكار الله تعالى وتمجيد الشيطان ، والدعوة إلى الجنس والفحش والقتل والانتحار [(٦)] .

---

(١) وتعني: المعدن الثقيل .

(٢) تعني الحجر القاسي أو الصلب .

(٣) عباد الشيطان يوسف البنعلي ص١١٧ .

(٤) المرجع السابق ، ص١١٧ – ١١٩ .

(٥) انظر: عباد الشيطان يوسف البنعلي ص١١٩ .

(٦) ويرى علماء النفس أن لهذه الموسيقى تأثيراً على جميع الجسم ، وأن إيحاءاتها تصل إلى اللاوعي عند المستمع ، وإن كانت بغير لغته وغير مفهومة وأنه يفك رموزها ويفهمها وأن لها تأثيراً على حاسة السمع والبصر والعمود الفقري ، والقلب فيصيبه الخفقان الزائد ، وتؤثر على عملية التنفس =

لهم كتب مقدسة ، ومن أبرزها كتاب (الجلوة) ، ومصحف (رش) أو المصحف الأسود ، فأما كتاب الجلوة: فيه خطاب الشيطان لليزيدية بأنه الموجود الذي يراهم ويدبر أحوالهم يقول: «أنا كنت وموجود الآن وأبقى إلى النهاية بتسلطي على الخلائق وتدبيري مصالح وأمور لكل الذين تحت حوزتي»(١) .

ومما جاء فيه: «ما يموت الذي هو حسبي كسائر بني آدم ، وما أسمح لأحد بأن يسكن بهذا العالم الأدنى أكثر من الزمن الذي هو محدود مني . وإذا شئت أرسلته تكراراً ثانياً وثالثاً إلى هذا العالم أو غيره بتناسخ الأرواح» (٢) .

وفيما يتعلق بمنع القراءة والكتابة جاء فيه: «أرشد بلا كتاب ، أهدي غيباً أحبائي

= وتسبب إفرازات هرمونية مكثفة مما يؤدي إلى انقباض في الحنجرة ، وأنها تؤثر على الأعصاب وتؤدي إلى عدم التركيز . . والانهيار النفسي ، وأن موسيقى (البلاك ميتال) وتعني (المعدن الأسود) تنشئ في نفس المستمع ميلاً نحو الانتحار وتشويه الذات وتدمير النفس والتحريض على التدمير والتخريب والهيجان ، ويصف أحد الأطباء النفسانيين هذه الحالة قائلاً: «إن موسيقى (الهارد روك) تلعب على الجسد ، وكأنه آلة موسيقية تماماً كما يحدث أثناء تناول المخدرات .

إن الأجهزة المستعملة والمكبرة للصوت تصيب آذان الشباب ، والتأثيرات الضوئية تؤثر سلباً على النظر» ا.هـ ، انظر: عباد الشيطان يوسف البنعلي ص١١٧-١٢٠ ، مجلة الأسرة العدد ٩٠ ص٣٧ ، مجلة الشراع العدد ٦٩١ ص٢٢ نقلاً من المرجع السابق ص١٤٤ .

وإنه لمن المؤسف ما نراه اليوم في كثير من بلاد المسلمين من التعلق الشديد بسماع الموسيقى والغناء ، وإعلانه في البيوت والأسواق والسيارات ، بل والأخطر من ذلك اندفاع بعض الشباب لترديد الموسيقى الغربية وسماع كلماتها . . فهل ينتبه شبابنا لهذا الخطر؟!! وما أجمل قول الشاعر في وصفها:

خفتا لموسيقى كأن لأهلها ثأراً على الأعصاب والأوداج
ليت الذي اخترع الضجيج أعارني صم الصخور ترفقاً بمزاجي

عباد الشيطان ص١٢٠ .

(١) نقلاً من كتاب عباد الشيطان يوسف البنعلي ص٥٣ ، وقد نشر كامل الكتاب ضمن كتابه مترجماً عن اللغة الكردية مع مصحف رش ونشرهما أيضاً د . محمد التونجي في كتابه اليزيدون ص٢٠٥ ، وذكر أنهما نشرا وطبعا مرات عديدة .

(٢) المرجع السابق ٥٤-٥٥ .

وخواصي ، تعليمي هو بلا كلوفة» .

وفيما يتعلق بالسرية وكتم الأسرار يقول: «الذين يحفظون أسراري ينالون مواعيدي . . يا أيها الذين تبعتم وصاياي أنكروا أقوال وكل تعاليم التي ليست من عندي ولا تذكروا اسمي وصفاتي لئلا تذنبون لأنكم لستم تدرون ما يفعلون الأجانب»(١) ا.هـ .

وفي الفصل الأخير يقول: «كرّموا شخصي وصورتي لأنهم يذكّروكم بي ، الأمر الذي أهملتموه من سنين . وشرائعي أطيعوا واصفوا لخدّامي بما يلقنوكم من علم الغيب الذي هو من عندي» (٢) .

أما مصحف رش أو المصحف الأسود ، فيتناول خلق السماوات والأرض وقصة بداية البشرية ، ومما جاء فيه: «أول يوم خلق الله فيه هو يوم الأحد ، وخلق ملكاً اسمه عزازيل وهو طاووس مَلَك ، رئيس الجميع» ، وفيه: «ثم نزل ملك طاووس إلى الأرض لأجل طائفتنا المخلوقة وأقام لنا ملوك ما عدا ملوك الآثوريين القدماء . .» ، وفي تحريم بعض الأطعمة يقول: «حرّمنا علينا الخس لأنه على اسم نبيتنا الخاسية واللوبياء والصبغ الأزرق ، وما نأكل السمك لأجل احترامنا ليونان النبي ، والغزال لأنه غنم أحد أنبياؤنا والشيخ وتلامذته ما يأكلون لحم الديك احتراماً لطاووس ملك . وطاووس مَلَك هو واحد من الآلهة السبعة المذكورة لأن صورته تمثال الديك ، والشيخ وتلامذته ما يأكلون القرع . وحرام علينا البول وقوفاً ولبس اللباس قعوداً . والاستخلاء من ادبخانة والغسل في الحمّام ، وما يجوز أن نلفظ كلمة شيطان لأنه اسم إلهنا . ولا كلّ اسم يشابه ذلك مثل

---

(١) المرجع السابق ص٥٥-٥٦ .

(٢) المرجع السابق ص٥٦ .

* ويلاحظ ركاكة الأسلوب ، وتشابهه وأخطاء نحوية مع عبارات النصارى المحرفة في أناجيلهم . . فواعجباً من قوم تشربت قلوبهم هذا الباطل !! ومن عقول استخف بها الشيطان وقادها كما يشاء !! اللهم اهدنا صراطك المستقيم . . آمين .

قيطان وشط وشر . ولا لفظة ملعون ، لعنة . نعل . وما أشبه ذلك»[١] .

لهم شعارات معروفة ومنها:

١- الصليب المقلوب [٢] .   ٢- النجمة السداسية .

٣- الجمجمة [٣] .   ٤- النجمة المساسية المشوهة .

٥- الهلال المنقوص .

٦- الأفعى المحيطة بالكرة الأرضية [٤] . ولهم رموز أخرى [٥] .

ومن عقائدهم وعباداتهم وطقوسهم ما يلي:

-يؤمنون بسبعة آلهة وجميعها خلقت من نور ، ويصفون الله تعالى بالنقائص ، ويعتقدون أنهم خلقوا من نطفة آدم دون أن تمتزج لجسم حواء خلافاً لسائر البشر ، يعتقدون بتناسخ الأرواح ، والحلول ، يحرمون ألواناً من الأطعمة والملابس بدون علة واضحة كالخس ولحم السمك والغزال والديك ، ويقدسون مريم عليها السلام والحلاج ، ويحجون إلى جبل الدروز ، ولهم كتاب مقدس يسمى «مصحف رش» أو «المصحف الأسود» وهو شامل لتعاليم هذه الطائفة ومعتقداتها ، وازدراء جميع الأديان السماوية ، وإنكار القرآن والشريعة ، وارتكاب الفواحش والشذوذ ، وقتل النساء بعد

---

(١) انظر المرجع السابق ص٥٨-٦٠ ، واليزيدون ص٢١٤ وما بعدها .

(٢) الصليب المقلوب: يعبر عن رفض أعضاء الجماعة لجميع الأديان السماوية والتقدير للأفكار النازية العدوانية ، انظر: عبدة الشيطان ص٦٧-٦٨ والشباب بين التطرف والانحراف ، ص١٥٢ .

(٣) الجمجمة: تعبير قديم لأعضاء الجماعة عن الموت أو القتل ، وفي العصر الحديث أصبح رمزاً لتعاطي المخدرات وخاصة الهيروين والكوكايين . انظر: المراجع السابق .

(٤) أفعى محيطة بالكرة الأرضية كلها بشكل بيضاوي يلتقي الرأس بالذيل في عملية الالتفاف مما يعني كمال خطتهم لحكم الأرض والسيطرة عليها . . وهي شعار لقوة الشيطان ، وهي مسروقة من الفراعنة ، انظر: المراجع السابقة .

(٥) انظر عباد الشيطان يوسف البنعلي ص١٥٠-١٥٤ ، وانظر: الملاحق آخر الكتاب ص ١٢٩٦ ملحق رقم (٥) ورقم (٦) .

اغتصابهن اغتصاباً جماعياً ، وقتل المواليد الصغار لأن الشيطان يفرح بهم ، وإن الشر يتحكم في العالم بلا نهاية .

-ولا يوجد شيء اسمه حكومة أو دولة ، فالكل ملك للشيطان الذي سيتحكم بالعالم بعد حرب عالمية ثالثة ، واصطياد القطط وذبحها وشرب دمائها وتقطيع أوصالها ، والحج إلى وادي لات [١] يقفون فيه يوم العاشر من ذي الحجة والصلاة يصلون ليلة منتصف شعبان وهي صلاة تعوضهم عن صلاة سنة كاملة - كما يعتقدون - وأما الزكاة فتجمع بواسطة تمثال الطاووس ، وتحريم القراءة والكتابة واعتمادهم على علم الصدر!! ، ولهم أعياد واحتفالات يعمرونها بالرقص وشرب الخمر كعيد رأس السنة الميلادية!! وعيد المربعانية وعيد القربان ، وعيد الجماعة .

-(طاووس ملك) رمز وثني لإبليس ، يعظمونه ، ويقدمون له القرابين من البشر ، ومن صغار الخراف والحمام ، ولهم تستر شديد على عقائدهم ،وهم بهذا يشابهون الرافضة في عقيدة «التقية»[٢] ، ولا يصلون بل يمارسون طقوساً خاصة يتوجهون فيها إلى مطلع الشمس عند الشروق وإلى مغربها عند الغروب ، ويقبلون الأرض ويعفرون وجوههم بالتراب ، ولا يتعوذون من الشيطان ، ويعتبرون هذا إهانة له ، ويستحلون دم من يفعله أمامهم ، كما إنهم يعتبرون لفظة الشيطان مسبة له - كما سبق في كتاب المصحف الأسود فيسمونه إبليس أو طاووس ملك .!!

-الغلو في الشيخ عدي بن مسافر وتأليهه وتفضيله على الرسول ﷺ وتفضيل زيارة قبره على زيارة الكعبة المشرفة ، وبغض علماء الدين وإهانتهم وإلقاء كتبهم في

---

(١) وادي لات: في منطقة شيخان بالعراق .

(٢) التقية عند الرافضة تعني التستر والكتمان على باطلهم ، وهي من أشهر عقائدهم ، ويروون فيها روايات تؤيد تمسكهم بها ومنها قولهم: «التقية ديني ودين آبائي ، ولا إيمان لمن لا تقية له» وينسبونه لأبي جعفر الإمام الخامس عندهم . الكافي في الأصول للكليني باب التقية (٢/ ٢١٩) وهي تعني الكذب المحض والنفاق البين كما هو معروف عن الرافضة ، انظر: الشيعة والسنة لإحسان إلهي ظهير ص١٢٧ ، بطلان عقائد الشيعة محمد عبدالستار التونسي ص٧٧-٧٨ ، ط . دار الاعتصام .

القاذورات والتغوط والتبول عليها، استحلال الزنا وتمكينهم الشيوخ من نسائهم ومحارمهم، تحريم أمور منهما – قص الشارب وقص الأظافر، البصاق على الأرض، دخول المسجد، الاغتسال من الجنابة، الاستنجاء من البول والغائط، الاغتسال في الحمام(١) .

وهذه العقائد قد ذُكر أكثرها في مصحف رش والجلوة، وقد تواترت عمن خالطهم وخبر أحوالهم(٢) .

مبررات عبادتهم للشيطان:

أولاً: أنه الموحد الأول لأنه أبى السجود لآدم عليه السلام، إذ لم ينس وصية الرب بعدم السجود لغيره، وأن الأمر بالسجود كان مجرد اختبار للملائكة وإبليس فنجح إبليس، وثانياً: أن عبادتهم له خوفاً منه لأنه قوي في زعمهم إذ تصدى للإله ورفض أمره، وأنه بطل في نظرهم، وثالثاً: أن نزوله إلى الأرض لم يكن طرداً له من الجنة وإنما لرعاية الطائفة اليزيدية في الأرض، ورابعاً: يقدسون ذكاءه، إذ تمكن من خديعة آدم وزوجه حواء بالأكل من الشجرة، مما كان سبباً في خروجهما من الجنة، وخامساً: يعتبرونه طاووس الملائكة، مما جرهم إلى تقديس تمثال من النحاس بشكل طاووس(٣) ،

---

(١) يلاحظ أنها مما يخالف الفطرة – والعياذ بالله – وتدل على القاذورات والنجاسات، وهذا شأن الشيطان في التعلق بمكان القذارة والنجاسة، أعاذنا الله منه .

(٢) وقد نصَّ على تواترها عنهم الكلاباذي في شرح التعرف لمذهب التصوف نقلها عنه أحمد تيمور في اليزيدية ومنشأ نحلتهم ص١٠-١١ ، وانظر في عقائدهم: ذيل الملل والنحل للشهرستاني (٢/ ٤٠) ، إبليس للعقاد ص١٣٨-١٣٩ ، الموسوعة الميسرة، عبدة الشيطان تاريخهم ومعتقداتهم ممدوح الزوبي ص٣٣، ص٤٤-٤٨ ، الشباب بين التطرف والانحراف د. إسماعيل إبراهيم ص٢٥ ، اليزيدية ومنشأ نحلتهم أحمد تيمور ص١٠-١١ ، عباد الشيطان يوسف البنعلي ص٦٠ – ٦١ ، اليزيدون د. محمد التونجي، ص١١٧ وما بعدها، دائرة معارف القرن العشرين (٢/ ٣٣٣-٣٣٧) .

(٣) انظر: عبدة الشيطان ممدوح الزوبي ص٤٣-٤٤ ، والشباب بين التطرف والانحراف د. إسماعيل إبراهيم ص٢٤ ، الملل والنحل للشهرستاني (٢/ ٣٦، وما بعدها) ، ومواقع عبدة الشيطان على شبكة الإنترنت، وهي أهم وسيلة لهم حيث وجد لهم على الشبكة سبعة وثلاثون ألفاً وأربع مائة وخمسة وتسعون موقعاً، انظر عبدة الشيطان ص٥٩ .

وسادساً: لهم حقوق ينادون بها ومنها:

أ- أن للإنسان الحق في أن يعيش على مزاجه، ويأكل ويلهو ويرتاح كما يريد.

ب- أن له الحق في أن يموت في الوقت الذي يريد (لهذا يكثر بينهم الانتحار).

جـ- أن يشرب ما يريد، ولذلك يأكلون الغائط ويشربون الدم والبول.

د- أن يسكن أينما يريد، ولهذا غالباً ما يسكنون الخرائب والأماكن المهجورة.

هـ- أن يتحرك، ويفكر كما يريد، ويتكلم بما يريد ويمارس الجنس كما يريد.

يقول كراولي: «خذ حاجتك من الجنس، كما تريد وأين ومتى ومع من تريد وواجب على من تشتهيه ذكراً أو أنثى أن يمنحك المتعة التي تبحث عنها بالشكل الطبيعي أو الشاذ» ا.هـ.

و- للإنسان الحق أن يقتل أولئك الذين يقفون عائقاً أمام تحقيق هذه الحقوق[1].

وعندما سئل أحد عبدة الشيطان (المعاصرين) عن علاقتهم بالشيطان. أجاب بقوله: «نعبده وتكاد تكون عبادتنا له مشابهة لعبادتكم أنتم لله.. فنحن نتضرع إلى إبليس ونتوسل إليه ونقدم له القرابين والصلوات خوفاً من أن يبطش بنا، فنحن نشكر الله كما ترى ونخشى الشيطان»[2]!!

ويزعمون أنهم يشكرون الله، أما العبادة فلا يصرفونها له خوفاً من الشيطان!! حيث يصرح أحدهم بقوله: عندما سئل هل تعبدون الله..؟! «نعم نعبده إلا أن عبادتنا له تختلف عن عبادتكم، سواء كنتم من المسلمين أو المسيحيين، أو حتى اليهود، فأنتم تصلون لله وتتضرعون.. أما نحن فنكتفي بشكره على ما صنع، على خلق الأرض.. على خلق الناس من العدم.. ولكننا لا نتضرع إليه ولا نطلب منه شيئاً»[3] ا.هـ!!

بالنسبة للطوائف التي ظهرت في الغرب فيعتقد أن سبب ظهورها هو الاضطهاد

---

(١) عبدة الشيطان ممدوح الزوبي ص١٦-١٧ (بتصرف واختصار).

(٢) جريدة الشرق الأوسط في لقاء أجراه د. نجم عبدالكريم عندما زار منطقة كردستان، نقلاً من موقع الرسالة، ولم يذكر رقم عدد الجريدة ولا تاريخها.

(٣) المرجع السابق.

والتعذيب ومحاكم التفتيش الذي كانت تمارسه الكنيسة [١] .

وقد ذكر بعض الباحثين أن سبب تعظيمهم للشيطان يعود إلى أن غلاة الصوفية في حال خلوتهم يشطحون بكلمات كفرية . . وقد نسب لهم كثير من ذلك وكان بعضهم يتعصب لإبليس ويدعي أنه سيد الموحدين ، لأنه أمر أن يسجد لغير الله فأبى .

واليزيدية فرقة منشأها من الصوفية ، ورجالها يترجم لهم مع رجال الصوفية ولهذا أخذت بعض الكلمات من بعض أئمتها . . فأدت بهم إلى تعظيم الشيطان وتقديسه[٢] .

لكن هذا القول بعيد ، لأنه لم يذكر ذلك أحد ممن كتب في هذه الديانة ومثل ذلك لا يمكن أن يخفى ، ولأن أصل اعتقادهم قائم على تعظيم الشيطان ، فلا يبعد أن يكون وسوس لهم وزين موالاته وحبه ، والخوف منه حتى ألهوه وسموه طاووساً ملكاً .

وبعد ما سبق ذكره من هذه الفرقة الشاذة توصلت إلى ما يلي:

١- لا شك أن أصحاب هذه الفرقة هم صنع إبليس ، وقد كادهم بكل ألوان حيله ومكره ، بل هم حزبه وأعوانه في نشر كل باطل وكل رذيلة ، ومما يلفت إليه النظر تحريم القراءة والكتابة واعتمادهم على علم الصدر ، وهذا من أعظم مكايده إذ ضمن عدم رجوعهم عنه حيث أحكم عليهم باب الجهل فلا يعرفون للحق سبيلاً .

٢- إن هذه الفرقة خليط من عقائد الصوفية والنصرانية والمجوسية والبوذية واللاوية واليهودية والوثنية ، فمثلاً: بالنصرانية في إقامة الأعياد والحفلات ، وقال بعض الباحثين: إنهم كانوا في البداية نصارى ثم دخلوا الإسلام . وتأثرت المجوسية: حيث يعتقدون بوجود الشيطان أو كما يسمونه «إله البشر» وترتكز في عبادته على اتقاء شره ، وتقدم له القرابين والطقوس وتقيم المعابد الضخمة المزينة والمرصَّعة بالأحجار الكريمة .

وأما البوذية فتعتقد بوجود الشيطان وأنه إله مختص بالرغائب الخمس وعدو

(١) انظر: عباد الشيطان يوسف البنعلي ص٧٧ .

(٢) انظر اليزيدية أحمد تيمورباشا ص٥٠-٥٢ .

الحقيقة ، واللاويّة تقدس الشياطين ومردة الجن ولكن لم تعبدها [١] ، والمجوسية والزردراشتية تعظم الشمس ، وهناك تشابه في بعض رموزهم .

٣- إن لها علاقات سرية بالماسونية والصهيونية العالمية ، ومما يؤيد ذلك محاربتها للأديان ، ودعوتها إلى التحلل من الأخلاق والقيم ، كما هي دعوة الماسونية كما أن لهم نفس الرموز التي تستخدمها الماسونية مثل النجمة ، والمثلث المتساوي الأضلاع ،و العين الثالثة ، والهلال .

كما أن مؤسس هذا الفكر في العصر الحديث أليستر كراولي قد اختير رئيساً للمحفل الماسوني في بريطانيا في العقد الثاني من القرن العشرين!! ، وفي عام ١٧٧٠م أقيم أول محفل في المرحلة الثانية للماسونية سمي المحفل النوراني نسبة إلى الشيطان مما يدل على تقديسهم له [٢] .

٤- إن لليهود في إسرائيل دور مهم في انتشارها حيث ظهرت في مصر بعد اتفاقية (كامب ديفيد) وانفتاح مصر على إسرائيل ، ومما يؤكد ذلك أن أكثر أشرطة واسطوانات عبدة الشيطان تحمل شعار أشهر الشركات الإسرائيلية [٣] .

٥- إن هناك منظمات سرية من عبدة الشيطان تفوق منظمات (المافيا) ومنتشرة في أنحاء العالم ، وتمارس القتل والاختطاف وضحاياها في كل عام بمئات الألوف!! ولهذا أخذ الغرب في التحذير من هذه الظواهر ، وتنادى المختصون لعلاج هذه الظاهرة «فأنشأوا قرية حديثة تدعى (قرية الحرية الأمريكية) وتقوم باستقبال المراهقين من الجنسين

---

(١) انظر: ذيل الملل والنحل للشهرستاني (٢/ ٣٦) (٢/ ٣٩-٤٠) ، دائرة المعارف للبستاني (١/ ٣٣٨) . إبليس عباس العقاد ص١٣٨ ، عبدة الشيطان ممدوح الزوبي ص ٢٥-٣٨ .

(٢) انظر: الموسوعة الميسرة ص٤٥٠ ، وعباد الشيطان يوسف البنعلي ص١٣٦ – ١٣٩ .

(٣) انظر عبدة الشيطان ممدوح الزوبي ص٢٠ ، ص٨٥ .

* ومما يؤكد ذلك اعترافات بعض المتهمين من عبدة الشيطان في مصر حيث قا لوا بأن جذور اعتناق الشباب المصري لهذه الأفكار من خلال مجموعة من الإسرائيليين عبر منفذ طابا عن طريق استدراجهم بالجنس والمخدرات والخمور ، نقلاً من موقع موسوعة الأديان .

ممن وقعوا في شباك عباد الشيطان ووضعهم تحت العلاج النفسي فترة من الزمن حتى يستطيعوا أن يمارسوا حياتهم الطبيعية مرة أخرى . . كما تحتوي هذه القرية على أربعين محطة إذاعية وتلفزيونية لبث النصائح والتحذيرات من عباد الشيطان وموسيقاهم إلى جميع الولايات الأمريكية ، وتدعو الآباء والأمهات لمراقبة أطفالهم ، والبحث في غرفهم عن الصور أو الرموز التي تدل على عباد الشيطان ، حتى يستطيعوا أن ينقذوهم قبل أن يجرفهم التيار» (١) .

ولقد أصبح قادة اليزيدية – وللأسف – ينادون بالاعتراف بهم كديانة . . ، يقول أنور معاوية الأموي أمير اليزيدية في العراق في بيان صادر عن رئاسة الملة اليزيدية في العالم – طالب فيه بعدة مطالب سياسية ومنها – « . .المطالبة بنظام ديمقراطي علماني [!!] حر تصان فيه حقوق جميع أبنائه على حد سواء . .

– الاعتراف بالديانة اليزيدية أسوة بباقي الديانات والمذاهب الأخرى ، وإدراجها بنداً في دستور العراق المقبل» (٢) .

---

(١) عباد الشيطان يوسف البنعلي ص١١٩-١٢٠ ، وقد نقلها من البرناج الوثائقي Dancing with the Devil ومعناه: الرقص مع الشيطان .

(٢) مجلة فرقونو على الإنترنت ، ومن هنا أقول: لا يستبعد أن يكونوا قوة في مساعدة الأمريكان على المسلمين ، كما ساعدوا الإنجليز في الحرب العالمية في العراق لطرد العثمانيين من العراق والجزيرة . انظر: اليزيديون د . محمد التونجي ص٥-٦ .
وإني لأعجب – بعد ما سبق – من ميل بعض الباحثين إلى تأييدهم والدفاع عنهم والتماس الأعذار لهم مع اطلاعهم على جلّ عقائدهم الباطلة ، ومن أمثال هؤلاء د . محمد التونجي حيث يقول في خاتمة كتابه اليزيدون ، والرأي عندنا أن هذه الطائفة ذات تأثر إسلامي وعربي ، فقد مرت بنا أسماء أبنائها الإسلامية [!!] ، وذكرنا أن معابدهم مزدانة بآيات من الذكر الحكيم . أما تهاونهم في أداء الصوم والصلاة فلهم مثيل في بعض الفرق الإسلامية المتطرفة . لكننا لا ننفي دخول بعض الأوهام إليهم عن طريق الترسبات العتيقة الدخيلة والوافدة . . أما مسألة عبادة الشيطان فهم أولاً يعبدون الله الواحد خالق الأكوان ،ويؤمنون بأنه إله الرحمة والغفران ، . . لكنهم يقدرون الملائكة السبعة ، ويعلمون أن الشيطان إله الشر [!!] . . الذي يعرف الخير ولا يفعله ، ومثله مثل الحاكم الجائر الفاتك الذي يضطر الشعب الآمن إلى ممالأته ومراعاته اتقاء شروره ، [!!] ولذلك هم مضطرون=

٥- **الإلحاد في أسماء الله وصفاته:** قد سبق فيما مضى الحديث عن معنى الإلحاد في أسماء الله وصفاته وعن مكايد الشيطان في هذا النوع من التوحيد .

وأذكر هنا أمثلة لمن ضلَّ في هذا التوحيد وألحد في أسماء الله وصفاته وأعظم هذه الفرق وأشدها خطراً الفلاسفة والباطنية والنصيرية والجهمية .

ومن أقوال الفلاسفة يقول سقراط: «النطق والعقل قاصران عن اكتناه وصفه

= إلى مداهنة الشيطان خوفاً من شروره وآثامه . .» ا .هـ . ثم أخذ يسرد أدعية يقولونها يبين أن فيها تعلقاً بالله وبقدرته . . فلماذا إذن قاتل رسول الله ﷺ المشركين وهم يعترفون بأن الله هو الخالق الرازق الذي ينزل المطر ويحيي الموتى ، وكان أحدهم يقول: أعبد إلهاً في السماء وستة في الأرض؟!! ومن هؤلاء الباحثين د . خلف الجراد في كتابه اليزيدية واليزيديون فعند حديثه عن أعيادهم ذكر أن منها ما يسمى بعيد الجماعية أو عيد الحج ، وفيه يحجون إلى قبر الشيخ عدي لمدة سبعة أيام ، وفي هذه الأيام لا يسمح لهم بمعاشرة النساء فيعلق عليها بقوله: (وهو ما يذكرنا بنص الآية القرآنية التي تقول: ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَـٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ﴾ الآية . ا .هـ ، ص١٨٢ ، ويعلق على أعياد رأس السنة عندما يجتمع اليزيدية على قبور الأولياء للتعبد والطواف مختلطين رجالاً ونساءً وهم يرقصون ويشربون الخمور ص١٨٢ بقوله: «وهم في جميع هذه الطوافات يتعاطون المشروبات الروحية ،ويذبحون الذبائح ويأكلون أفخر الطعام ، ويتبادلون أنواع المغازلات البريئة» ا .هـ!! ويقول – أيضاً – : «إن بعض الكتّاب يأتي بمجموعة من الأدلة والبراهين التي تثبت إسلام اليزيديين ، ومن ذلك – مثلاً – أن أسماءهم في معظمها إسلامية ، مثل علي ، حسن ، خضر ، عمر ، درويش ، وإن كان يلاحظ ندرة اسم محمد بينها» ا .هـ ص٨٧ ، ويختم كتابه بقوله: «هؤلاء هم اليزيديون ، المشهود لهم بطيب المعشر ، والتهذيب الرفيع ، والسلوك القويم ، وذلك انسجاماً مع مبادئهم الأولية القائمة على الأفكار الطيبة ، والكلام الطيب ، والعمل الطيب» ا .هـ ، ص١٨٣ .

ولا أعلم ما معنى التهذيب الرفيع ، والسلوك القويم ، والعمل الطيب؟! مع قوم يعبدون الشيطان . . ويشربون الخمر ، ويأتون بألوان الفواحش والمنكرات . . قوم لا يعرفون صلاة ولا صوماً ولا زكاة!!

ولقد تناول يوسف البنعلي في كتابه عباد الشيطان الرد على د . خلف الجراد وعبدالرازق الحسيني في كتابه اليزيديون في حاضرهم ومستقبلهم ، ولكن رده كان مجملاً . . من ص٤٧-٥١ فحبذا أن تفرد الهمم في إبطال هذه العقيدة ، ويتناولها العلماء وطلبة العلم الشرعي ، فقد لاحظت أن أكثر من كتب عنهم ليسوا من ذوي الاختصاص بالعلم الشرعي ، ولهذا وقعوا في مدحهم والتماس الأعذار لهم ، وهذا من الجهل بالعقيدة الإسلامية ونواقضها .

وتحققه، وتسميته وإدراكه لأن قدرته وجوده، وحكمته بلا نهاية، ولا يبلغ العقل أن يصفها، ولو وصفها لكانت متناهية، والإنسان المحدود المتناهي لا يدرك ولا يحيط باللا محدود اللامتناهي إلا ضمن المعقول والحس، وضمن الزمان والمكان، إدراكاً جزئياً لا كلياً» [١]، وعلى نهجه سار الفلاسفة الذين ظهروا في الإسلام.

والإسماعيلية الذين أخذوا من الفلاسفة فقالوا لا نقول موجوداً ولا لا موجود ولا عالماً ولا جاهلاً، ولا قادراً ولا عاجزاً، فعطلوا ذات الله عن الوجود ونفوا جميع الصفات [٢].

ومنهم الدروز ومن أقوالهم: «والله سبحانه وتعالى منزه عن التحديد والبشرية، لا تلحقه صفة ولا له صفة، ولا يمكن الوصول إليه، إلا بأسمائه وصفاته المجازية، إنه تعالى لا يدخل تحت اسم ولا صفة ولا لغة لأن الاسم المسمى والصفة لموصوف، واللغة تشير إلى معروف. فبظاهر ناسوته عرفنا بلا هوته، وإلا فما عرفناه ولا أدركناه، وصورة الناسوت التي تراها الأعين، لا تحس ولا تلمس، ولا جسم لها، ولا تخاطيط [!!] ولا تأكل ولا تشرب، ولا تنام ولا تتعب، ولا لها لحم ولا دم، هي صورة روحية كالمرآة، يرى الناظر فيها شبيه صورته بغير لمس ولا إدراك كيفية ...» [٣].

ومن الفرق المعاصرة فرقة الأحباش، وهي «طائفة ضالة تنسب إلى عبدالله الحبشي[٤] ظهرت حديثاً في لبنان مستغلة ما خلفته الحروب الأهلية اللبنانية من الجهل

---

(١) من هم الموحدون الدروز تأليف جميل أبو ترابي ص١٦.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٩٢-١٩٣)، وبيان مذهب الباطنية وبطلانه محمد بن الديلمي ص٧٢.

(٣) من هم الموحدود الدروز، جميل أبو ترابي ص١٦.

(٤) عبدالله الهرري الحبشي هو عبدالله بن محمد الشيبي العبدري نسبا الهرري موطناً نسبة إلى مدينة هرر بالحبشة التي ولد بها، ثم قدم بعد فتنة أحدثها هناك إلى لبنان عام ١٩٥٠ وعمل على بث الأحقاد والضغائن ونشر عقيدة الجهمية في الصفات والإرجاء والجبر والتصوف والرفض .. إلى غير ذلك من العقائد الباطلة، انظر: الموسوعة الميسرة (١/ ٤٢٧-٤٣٠)، وموقع التعريف بالأحباش، شبهات أهل الفتنة وأجوبة أهل السنة عبدالرحمن دمشقية، ص٣ وما بعدها.

والفقر والدعوة إلى إحياء مناهج أهل الكلام والصوفية والباطنية بهدف إفساد العقيدة وتفكيك وحدة المسلمين . .»(١) . حيث يؤولون صفات الله تعالى ، والقرآن عندهم ليس كلام الله حقيقة ، وينكرون علوا الله تعالى واستوائه على عرشه وغير ذلك من التحريف والتعطيل والإلحاد في أسماء الله وصفاته (٢) .

ومن أقوالهم في نفي العلو – والعياذ بالله – : «من قال لا إله إلا الله وهو يعتقد أن الله في السماء فإن هذه الشهادة لا تنفعه وهو كافر ، لأن الشهادة تنفع مع الاعتقاد الصحيح ، أما تلفظ بها بلسانه وعقيدته فاسدة فإنها لا تنفعه» (٣) !!

وفرقة المعتزلة وهم فرق كثيرة كلها متفقة على نفي الصفات .

قال البغدادي (٤) – رحمه الله – : «إن المعتزلة افترقت فيما بينها عشرين فرقة . . يجمعها كلها في بدعتها أمور: منها: نفيها كلها عن الله عز وجل صفاته الأزلية ، وقولها: إنه ليس لله عز وجل علم ، ولا قدرة ولا حياة ، ولا سمع ولا بصر ، ولا صفة أزلية وزادوا على هذا بقولهم: إن الله تعالى لم يكن له في الأزل اسم ولا صفة»(٥) ا .هـ .

وقالوا «لا يجوز أن يوصف البارئ تعالى بصفة يوصف بها خلقه ، لأن ذلك يقتضي تشبيها [و] . . لا يجوز أن يعلم الشيء قبل خلقه» (٦) .

---

(١) نقلاً من موقع التعريف بالأحباش .

(٢) انظر فتوى اللجنة الدائمة رقم: ١٩٦٠٦ وتاريخ ٢٤/ ٤/ ١٤١٨هـ برئاسة الشيخ ابن باز رحمه الله .

(٣) شريط بعنوان «مجالس الهدى» لنبيل شريف وهو من الأحباش نقلاً من موقع التعريف بالأحباش .

(٤) عبدالقاهر بن طاهر بن محمد بن عبدالله البغدادي التميمي ، أبو منصور ، ولد ونشأ في بغداد وتوفي في إسفرائيل سنة ٤٢٩هـ ، متكلم له تصانيف كثيرة منها: الفرق بين الفرق ، الملل والنحل وأصول الدين وغيرها ، انظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٥/ ١٣٦وما بعدها) والأعلام للزركلي (٤/ ٤٨) .

(٥) الفرق بين الفرق ص١١٤ .

(٦) الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٧٣) ، وانظر رد شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (١٣/ ١٤٧) ، ومنهاج السنة (٨/ ٥) ، (١/ ١٥٧) ، (١/ ٣٠٩) ، وشرح قصيدة ابن القيم لأحمد بن عيسى (١/ ٣٣-٣٥) .

ومن أقوالهم في نفي صفة الرؤية قول زعيم المعتزلة القاضي عبدالجبار [١] : «اختلف الناس في ذلك: فأما أهل العدل [٢] بأسرهم والزيدية والخوارج وأكثر المرجئة، فإنهم قالوا لا يجوز أن يرى الله تعالى بالبصر، ولا يدرك به على وجه، لا لحجاب ومانع ولكن ذلك يستحيل» [٣] ا.هـ.

قال ابن القيم – رحمه الله – : «والتعطيل شر من الشرك فإن المعطل جاحد للذات، أو لكمالها، وهو جحد لحقيقة الألوهية، فإن ذاتاً لا تسمع ولا تبصر ولا تغضب ولا ترضى، ولا تفعل شيئاً، وليست داخل العالم ولا خارجه، ولا متصلة بالعالم، ولا منفصلة، ولا فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال، هو والعدم سواء والشرك مقر بالله، لكن عبد معه غيره، فهو خير من المعطل للذات والصفات» [٤] ا.هـ.

وقال أيضاً – رحمه الله – : «فلما اعتقدوا التعطيل وانتفاء الصفات في نفس الأمر ورأوا أنه لابد للنصوص من معنى بقوا مترددين بين الإيمان باللفظ، وتفويض المعنى، وهذا الذي هو طريقة السلف عندهم، وبين صرف اللفظ عن حقيقته، وما وضع له إلى ما لم يوضع له ولا دل عليه بأنواع من المجازات، وبالتكلفات التي هي بالألغاز والأحاجي أشبه منها بالبيان والهدى، فصار هذا الباطل مركباً من فساد العقل والجهل بالسمع فلا عقل ولا سمع..» [٥] ا.هـ.

فلازم قولهم: إنه ليس فوق العرش إله يعبد، نتجه إليه بقولنا ونرفع إليه أكف الضراعة، ولا يصعد إليه عمل صالح، بل لازم قولهم إنكار الخالق [٦] .

---

(١) «عبدالجبار أحمد بن عبدالجبار الهمذاني الأسد آبادي، أبو الحسين: قاض أصولي كان شيخ المعتزلة في عصره .. ولي باري مات فيها سنة ٤١٥هـ. له تصانيف كثيرة منها: تنزيه القرآن عن المطاعن، وشرح الأصول الخمسة، والمغني وغيرها»، الأعلام للزركلي (٣/ ٢٧٣)، وانظر تاريخ بغداد (١١/ ١١٢).

(٢) يقصد (المعتزلة).

(٣) المغني في أبواب التوحيد والعدل (٤/ ١٣٩).

(٤) مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ٤٠٢-٤٠٣).

(٥) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية المعطلة لابن القيم (١/ ٩).

(٦) انظر المرجع السابق (١/ ٣٦-٣٧)، وانظر ما نقله الإمام أحمد عن الجهم بن صفوان إمام المعطلة في الرد على الجهمية والزنادقة ص١٠١ – ١٠٥ .

وقد نتج من هذا التعطيل للصفات فتن عظيمة منها فتنة القول (بخلق القرآن) بناء على نفي صفة الكلام لله تعالى .

وهي من المسائل العظيمة التي أفردت بها المصنفات ، وتصدى السلف لإبطالها ، وقد قال بها عدد من الفرق الضالة ومنهم الجهمية والمعتزلة والخوارج .

ولم تظهر هذه البدعة إلا بعد ظهور الجعد بن درهم ، ثم ظهور الجهم بن صفوان من بعد سنة ١٢٤هـ .

ومن أقوال المعتزلة كما يقول القاضي عبدالجبار: «وأما مذهبنا في ذلك فهو أن القرآن كلام الله ووحيه ، وهو مخلوق محدث ، أنزله الله على نبيه ليكون علماً ودالاً على نبوته . .» [(١)] ا.هـ .

وقالت الأشاعرة: «هو القول القائم بالنفس الذي تدل عليه العبارات وما يصطلح عليه من الإشارات» [(٢)] .

وهناك الواقفة ، وهم الذين يقولون لا نقول مخلوقاً ولا غير مخلوق وهم فرقتان:

الأولى: تقول لا نقول: إنه مخلوق ولا غير مخلوق وهم الشاكّة .

الثانية: تقول لا نقول هو مخلوق ولا غير مخلوق مع إيمانهم بأنه كلام الله ، تورعاً[(٣)] .

وجميع هذه الأقوال خالف أصحابها إجماع الأمة كما نصَّ على ذلك عدد منهم

---

(١) الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار ص٥٢٨ ، وانظر مقالات الإسلاميين للأشعري ص١٥٣ .

(٢) الإرشاد للجويني ص١٠٨ ، وانظر ص١٠٩ وما بعدها ، الإنصاف للباقلاني ص٥٨ ، شرح الفقه الأكبر بشرح ملا علي القاري ص١٥ .

(٣) انظر: الرد على الجهمية للدارمي ص١٠٢ ، السنة لعبدالله بن الإمام أحمد ص٤٣ ، الشريعة للآجري ص٨٧ ، شرح أصول الاعتقاد للالكائي (٢/ ٣٢٤) ، الفصل في الملل والنحل (٣/ ١١) .

سفيان بن عيينة، كما روى البخاري - رحمه الله - قال: «أدركت مشايخنا منذ سبعين سنة منهم عمرو بن دينار [(١)] يقولون: القرآن كلام الله، وليس بمخلوق» [(٢)].

وقال القاسم الأصبهاني [(٣)] - رحمه الله - : «أجمع المسلمون أن القرآن كلام الله، وإذا صح أنه كلام الله صح أنه صفته تعالى، وأنه عز وجل موصوف به، وهذه الصفة لازمة لذاته» [(٤)] ا.هـ.

ثانياً: فيما يتعلق بالإيمان بالملائكة والكتب، ويشمل:

١- عبادة الملائكة والقول: إنها عقول فعالة. وأشهر طائفة عرف عنهم ذلك الصابئة الحرانيون وقد سبق الكلام عنهم.

---

(١) عمرو بن دينار المكي أبو محمد الأثرم الجمحي مولاهم أحد الأعلام، كان مفتي أهل مكة، ولد بصنعاء عام ٤٦هـ وهو فارسي الأصل قال عنه ابن عيينة: ثقة وحديث أسمعه من عمرو أحب إلي من عشرين حديثاً من غيره» . توفي بمكة عام ١٢٦هـ انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر (٨/ ٢٦-٢٧) الأعلام للزركلي (٥/ ٧٧).

(٢) رواه البخاري في كتاب خلق أفعال العباد ص٧، والبيهقي في الأسماء و الصفات (١/ ٣٨١)، ورواه الدارمي في الرد على المريسي ص١١٦-١١٧ وزاد «الله الخالق وما سواه مخلوق والقرآن كلام الله منه خرج وإليه يعود» . ورواه الذهبي في العلو بلفظ الدارمي (مختصر العلو ص١٦٤) وقال: «وقد تواتر هذا عن ابن عيينة»ا.هـ.

(٣) هو شيخ الإسلام الحافظ الكبير إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي بن أحمد بن طاهر التيمي الطلحي الأصبهاني، يكنى أبا القاسم، ويلقب بشيخ الإسلام ولد سنة ٤٥٧هـ بأصبهان من بلاد خراسان، وتوفي بهمذان سنة ٥٢٦هـ، وله مؤلفات كثيرة في التفسير والحديث والعقائد ومن أبرزها: كتاب الحجة في بيان المحجة، والمعتمد في التفسير والأمالي في الحديث .. وغيرها. انظر: شذرات الذهب (٤/ ١٠٥-١٠٦)، البداية والنهاية لابن كثير (١٢/ ٢١٧).

(٤) الحجة في بيان المحجة للقاسم الأصبهاني (٢/ ١٩٣)، وانظر الفصل في الملل والنحل (٣/ ١١)، والفتاوى الكبرى (٥/ ١٤٤) ومختصر الصواعق (٢/ ٢٨٥-٢٨٦)، وانظر في الرد عليهم: مجموع الفتاوى (١٢/ ١١٧ وما بعدها)، (١٢/ ٢٤٦-٢٥٧)، (٦/ ١٤٤ وما بعدها، الرد على الجهمية للإمام أحمد بن حنبل ص١٣٠، الحيدة للإمام عبدالعزيز ص٧٤ وما بعدها، الإبانة لأبي الحسن الأشعري ص٨٦-٨٧، شرح العقيدة الطحاوية ص١٤٣-١٤٤، الرد على الجهمية للدارمي ص١٠٢، السنة لعبدالله بن أحمد ص٤٣، الشريعة للآجري ص٨٧.

٢- إنكارهم. وممن أنكرهم من الفرق و الطوائف الفلاسفة الذين ادعوا أنهم عقول فعالة . وقد سبق تفصيل ذلك .

والباطنية يزعمون أن الملائكة هم الأرواح الخفية الدقيقة البسيطة وليست بأجسام ، وأنكروا بهذا أن النبي ﷺ رأى جبريل قط لأنه شيء خفي دقيق من الروح اللطيف» (١) . وأنكروا نزوله على النبي ﷺ (٢) .

٣- تحريف النصوص ا لسماوية، ووضع نصوص محرفة وإضفاء سمة القداسة عليها. كما جاء في حديث عبدالله بن عمرو العاص رضي الله عنهما قال: (إن في البحر شياطين مسجونة أوثقها سليمان ، يوشك أن تخرج ، فتقرأ على الناس قرآنا) قال النووي – رحمه الله-: «معناه: تقرأ شيئاً ليس بقرآن وتقول إنه قرآن لتغربه عوامّ الناس فلا يغترون»(٣) ا .هـ .

ومن أمثلة ذلك تحريف التوراة (٤) والإنجيل (٥) عند النصارى وقد بيّن ذلك تعالى في قوله: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ (٦) .

---

(١) بيان مذهب الباطنية وبطلانه لمحمد بن الحسن الديلمي ، ص٧٣ .

(٢) انظر المرجع السابق ص٧٤ .

(٣) شرح مسلم للنووي (١/ ٨٠) .

(٤) التوراة لفظ عبراني بمعنى التعليم والشريعة ، وهي منزلة على نبي الله موسى الكليم عليه صلوات الله وسلامه ، وتطلق اليوم عند اليهود على مجموعة الأسفار الخمسة وهي سفر التكوين وسفر الخروج وسفر الأحبار وسفر العدد وسفر التثنية ، انظر: إظهار الحق لرحمت الله الهندي (١/ ٩٩) ، دائرة معارف القرن العشرين (٢/ ٧٠٢) .

(٥) الإنجيل اسم عبراني أو سرياني ، وقيل عربي ، أو معرب عن اليونانية بمعنى البشارة بالخير ، أو الخبر السار ، والإنجيل قبل أن يحرف هو كتاب الله أنزله إلى نبيه عيسى عليه الصلاة والسلام وأما اليوم بعد تحريف النصارى ، فأصبح يطلق على مجموعة من الأناجيل الأربعة وهي: متى ، مرقس ، لوقا ، يوحنّا .
انظر: لسان العرب (١١/ ٦٤٨) ، إظهار الحق لرحمت الله الهندي (١/ ١٠٣) .

(٦) سورة البقرة ، الآية: ٧٩ .

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ ﴾[١] .

وكتبهم تدل على هذا التحريف والتبديل ، وليس هذا مجال بسطها[٢] .

وممن حرف النصوص السماوية الرافضة ، فوضعوا زيادات مكذوبة على ألفاظ القرآن الكريم في مدح آل بيت النبوة ، وادعوا أن المصحف الذي بين أيدينا محرف ، ومن أبرز ما كتب في ذلك كتاب (فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب) للحسين بن محمد النوري الطبرسي [٣] .

بدأه بقوله: «هذا كتاب لطيف وسفر شريف [!!] عملته في إثبات تحريف القرآن وفضائح أهل الجور والعدوان وسميته فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب»[٤] ، ثم شرع في التفصيل في ذكر الأدلة على وقوع التغير والنقصان[٥] ، وقد جمع فيه ما يزيد على أ كثر من ألفي رواية تنص على التحريف بما فيها أقوال علماء الشيعة المصرحين بالتحريف [٦] .

---

(١) سورة البقرة ، الآية: ١٧٤ .

(٢) انظر: الفصل في الملل والنحل (٢/ ١٣ وما بعدها) ، الجواب الصحيح (٢/ ٩ وما بعدها) ، هداية الحيارى ، لابن القيم ص١٠٦ وما بعدها .

(٣) حسين بن محمد تقي النوري المازندراني الطبرسي: من أئمة الشيعة في قرية يالوا من قرى نور عام ١٢٥٤ وتوفي في الغريّ بالكوفة عام ١٣٢٠هـ . ادعى تحريف القرآن ، وألف كتاب (فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب) ، وله مؤلفات أخرى منها نفس الرحمن في فضائل سلمان ، مستدرك الوسائل ، كشف الأستار ، انظر: الأعلام للزركلي (٢/ ٢٥٧-٢٥٨) .

(٤) فصل الخطاب ص٦٩ ، وثيقة مصورة في شبكة الدفاع عن السنة .

(٥) المرجع السابق ص٢٩٠ .

(٦) انظر المرجع السابق .

* وقد زعم بعض الرافضة بتكذيب القول بتحريف القرآن ، وأن ما قيل كذب وزور عليهم ، وهذا كذب وباطل فهم يتسترون بالتقية ، كما هو معروف خوفاً على أنفسهم ، وخداعاً للمسلمين ، ومن هؤلاء محمد بن علي بابويه القمي المولود في القرن الرابع من الهجرة والسيد المرتضي الملقب =

ومن أقوالهم: «فالقرآن منه ناسخ، ومنه منسوخ، ومنهم محكم، ومنه متشابه ومنه عام، ومنه خاص، ومنه تقديم، ومنه تأخير .. ومنه على خلاف ما أنزل الله» [١] !!

ويقول الرافضي حسين بن الشيخ محمد البحراني [٢] في تفسير قوله تعالى: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ﴾[٣] «وهذا لا ينافي تطرق التغيير لما بين أيدينا من القرآن، وما هو بين الدفتين لأن ذلك الوصف باعتباره في نفسه ..» [٤] ا.هـ.

ومن الآيات التي حرفوها قولهم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [٥].

ومنها آية الكرسي إذ يزعمون أنها تقرأ: «الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم ..» [٦]، ومنها قولهم: «لكن الله يشهد بما أنزل إليك في علي أنزل بعلمه والملائكة يشهدون» [٧]، وقولهم: «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك

= بعلم الهدى المتوفى سنة ٤٣٦هـ. انظر: الشيعة والسنة لإحسان إلهي ظهير ص١٠٤، ومن المعاصرين عبدالحميد النجدي الذي يزعم في قناة المستقلة أن عنوان الطبرسي (فصل الخطاب في إثبات عدم تحريف كتاب رب الأرباب) ويقال له: إن غيرت العنوان فماذا تصنع بما في داخل الكتاب، مما هو صريح في القول بالتحريف!! كما أن مما يدل على كذبهم أنهم لا يكفرون من يقول بتحريف القرآن وقبر الطبرسي صاحب كتاب (فصل الخطاب ..) له ضريح يزار ويتبرك به، انظر: موقع شبكة الدفاع عن السنة، وشبكة السرداب الإسلامية.

(١) تفسير القمّي (١/ ٣١) تصحيح وتعليق طيب الموسوي الجزائري.

(٢) حسين بن محمد بن أحمد ابن عصفور الدرازي الشاخوري البحراني: من أئمة الرافضة من أهل البحرين، قتل في معركة بالبحرين عام ١٢١٦هـ، انظر: الأعلام للزركلي (٢/ ٢٥٧).

(٣) سورة فصلت، الآية: ٤٢.

(٤) الأنوار الوضية في العقائد الرضوية لحسين بن الشيخ محمد العصفور البحراني، ص٢٨.

(٥) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٦) مفاتيح الجنان عباس القمي ص٧٢، دار المحجة البيضاء، وثيقة مصورة من شبكة الدفاع عن السنة.

(٧) تفسير القمي (١/ ٣٦) وانظر تفسير الصافي ص٤٥.

في علي فإن لم تفعل فما بلغت رسالته» [١] ، وقولهم: «إن الذين كفروا وظلموا آل محمد حقهم لم يكن الله ليغفر لهم» [٢] ، وقولهم: «وسيعلم الذين ظلموا آل محمد حقهم أي منقلب ينقلبون» [٣] .

وقولهم: «ولو ترى الذين ظلموا آل محمد حقهم في غمرات الموت» [٤] .

وقد وضعوا لهم مصحفاً يسمى مصحف (فاطمة) ويزعمون أن «ما فيه آية من كتاب الله ، وإنه لإملاء رسول الله صلوات الله عليه وآله وخط علي عليه السلام» [٥] .

وفي أصول الكافي يروي الكليني عن علي رضي الله عنه أنه سئل عن بعض أصحابه فقيل له: «جعلت فداك إنا نسمع الآيات في القرآن ليس هي عندنا كما نسمعها ولا نحسن أن نقرأها كما بلغنا عنكم ، فهل نأثم؟ فقال: لا ، اقرؤوا كما تعلَّمتم فسيجيئكم من يُعَلِّمُكم» .

ويعلق الكليني بقوله: «يعني صاحب الأمر والزمان عليه السلام – وفي بعضها – سيخرج بقرآن جديد أي غير الذي في أيديكم» [٦] .

ويروون عن جعفر الصادق ، عندما سئل عن مصحف فاطمة – قوله: «مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد» [٧] .

ويقول صاحب كتاب الأنوار الوضية: «وجود التغيير من جهة النقصان أمر لا

(١) تفسير القمي (١/ ٣٦) .
(٢) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة .
(٣) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة .
(٤) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة .
وانظر: مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة د . ناصر بن عبدالله القفاري (١/ ١٨٠ وما بعدها) .
(٥) بحار الأنوار (٢٦/ ٤١) ، ومسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة د . ناصر القفاري (١/ ٢٤٧-٢٥١) .
(٦) أصول الكافي للكليني (٢/ ٢٩) .
(٧) الخطوط العريضة للسيد محب الدين الخطيب ص٤٥ .

سبيل لنفيه ورفضه من وجوه: منها: أن حدوث القرآن المتغايرة في الكتاب العزيز ليس من أمر الوحي المنزل ولا من الرسول المرسل ﷺ .

ومنها: أنه غير ما جمعه وكتبه الأمير عليه السلام وما كان في مصحف فاطمة . . .»[1] وفي الكافي كتاب أسماه «ذكر الصحيفة [2] والجفر[3] والجامعة [4]

---

(١) الأنوار الوضية في العقائد الرضوية تصنيف حسين بن الشيخ محمد العصفور البحراني ، ص٢٩ تحقيق أحمد بن خلف البحراني ، وثيقة مصورة بشبكة السرداب .
* أقول: فهل يعي دعاة التقريب ومن يزعم أننا نجتمع معهم في الأصول؟!! وأنقل لهم قول الهالك نعمة الله الجزائري المتوفى سنة ١١٢٠هـ في كتابه الأنوار النعمانية (٢/ ٣٧٨) وهويرد على الأشاعرة . . وفي آخر الرد ختمه بقوله: «وحاصله أنّا لم نجتمع معهم على إله ولا نبي ولا على إمام ، وذلك إنهم يقولون: إنَّ ربهم هو الذي كان محمد ﷺ نبيه وخليفته بعده أبو بكر ، ونحن لا نقول بهذا الرب ولا بذلك النبي ، بل نقول: إن الرب الذي خليفته نبيه أبو بكر ليس ربنا ولا ذلك النبي نبينا . . .» ا.هـ!!

(٢) الصحيفة تشتمل على أسماء الشيعة إلى يوم القيامةبزعمهم ، وهو زعم باطل فأي صحيفة تستغرق أسماء الشيعة على كثرتهم وانتشارهم في العراق وإيران والهند وباكستان وسوريا ولبنان ودول الخليج وعندهم عدة صحائف كما ذكر السيد حسين الموسوي وهو أحد علماء النجف الشيعة الذين تركوا هذا المذهب الخبيث وأعلنوا رفضهم التام له وألف كتاباً في فضحهم وكشف أسرارهم .
١- صحيفة الناموس وفيها أسماء الشيعة .
٢- صحيفة العبيطة وفيها أسماء ستين قبيلة من العرب .
٣- صحيفة ذؤابة السيف صحيفة صغيرة فيها الأحرف التي يفتح كل حرف منها ألف حرف .
صحيفة علي وفيها مكتوب: بسم الله الرحمن الرحيم إن أعتى الناس علي يوم القيامة من قتل غير قاتله ، ومن ضرب غير ضاربه ، ومن تولى غير مواليه فهو كافر بما أنزل الله تعالى على محمد ﷺ ، ومن أحدث حدثاً أو آوى محدثاً لم يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا ، انظر: مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة د. ناصر القفاري (١/ ٢٥٣) .

(٣) الجفر وهو نوعان الجفر الأبيض والجفر الأحمر ففي رواية عن أبي العلاء قال: سمعت أبا عبدالله يقول: إن عندي الجفر الأبيض قلت أي شيء فيه؟ قال: زبور داود ، وتوراة موسى ، وإنجيل عيسى ، وصحف إبراهيم عليه السلام والحلال والحرام ، وعندي الجفر الأحمر قال: قلت: وأي شيء في الجفر الأحمر؟ قال: السلاح ، وذلك إنما يفتح للدم يفتحه صاحب السيف للقتل . فقال له عبدالله بن أبي اليعفور: أصلحك الله ، أيعرف هذا بنو الحسن؟ فقال: إي والله كما يعرفون الليل أنه ليل والنهار أنه نهار ، ولكنهم يحملهم الحسد وطلب الدنيا على الجحود والإنكار ، ولو طلبوا الحق بالحق لكان خيراً لهم ، الكافي (٢/ ٦٢٨) ، وانظر مسألة التقريب بين السنة د. ناصر القفاري (١/ ٦٠) ، ومسألة الإمامة محسن عبدالناظر (ص٤٥٠-٤٥١) ، وأصول الكافي (١/ ٢٤) .

(٤) الجامعة: وهي على زعمهم صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله ﷺ وإملائه شاملة لجميع ما يحتاجه الناس من شئون الحلال والحرام حتى الأرش في الخدش ، انظر مسألة التقريب بين السنة والشيعة د. ناصر القفاري (١/ ٢٥٨) ، ومسألة الإمامة محسن عبدالناظر ص٤٥١-٤٥٢ .
هذا يدل دلالة واضحة على أن المذهب الشيعي يقدس كتباً ويزعمون أنها من عند الله كذباً وافتراءً مع زعمهم تحريف القرآن الكريم .

ومصحف فاطمة عليها السلام» ا.هـ.

ومن المعلوم قطعاً أن القرآن محفوظ بحفظ الله تعالى لـه لا تستطيع الرافضة ولا غيرهم تغيير شيء منه، يقول تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ۝ ﴾ (١)،قال ابن كثير – رحمه الله – : «قرر تعالى أنه هو الذي أنزل الذكر وهو القرآن وهو الحافظ له من التغيير والتبديل ...» (٢).

ويقول البغوي – رحمه الله – : « ... أي نحفظ القرآن من الشياطين أن يزيدوا فيه أو ينقصوا منه أو يبدلوا بغيره، قال تعالى: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ﴾(٣). والباطل هو إبليس لا يقدر أن يزيد فيه ما ليس منه ولا أن ينقص منه ما هو منه ...» (٤).

قال ابن حزم – رحمه الله – : «القول بين اللوحين تبديل كفر صحيح، وتكذيب لرسول الله ﷺ » (٥) ، وقال – رحمه الله – : «لا خلاف بين أحد من الفرق المنتمية إلى المسلمين من أهل السنة والمعتزلة والخوارج والمرجئة والزيدية في وجوب الأخذ بما في القرآن، وأنه هو المتلو عندنا نفسه، وإنْ خالف في ذلك قوم من غلاة الروافض هم كفار بذلك مشركون عند جميع أهل الإسلام ...» (٦) ا.هـ.

ومن الفرق التي وضعت كتباً تزعم أنها مقدسة اليزيدية (عبدة الشيطان) كما مرَّ ولهما كتاب (الجلوة) و(مصحف رش).

وضعوا فيها كلاماً في قدم الله تعالى وبقائه وقدرته ووعده ووعيده وأقوال في تناسخ الأرواح، وخلق السماوات والأرض والجبال والبحار والأشجار والملائكة وآدم

(١) سورة الحجر، الآية: ٩ .
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/ ١٥٤).
(٣) سورة فصلت، الآية: ٤٢ .
(٤) معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٤٤).
(٥) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (٥/ ٤٠).
(٦) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ص٩٢ .

وحواء، ونزول طاووس ملك (أي الشيطان) من السماء وإقامته في الأرض ملكاً لليزيدين.

ووضعوا فيها شرائع أحلوا فيها ما شاءوا من الحرام، وحرموا فيها ما شاءوا من الحلال.. وذكروا فيها زيارة قبر الشيخ عدي وما يفعلونه في عيد أول السنة من ذبح الذبائح وإطعام الفقراء وزيارة القبور [(١)] .

ومن الفرق أيضاً الدروز لهم مصحف يسمى (المنفرد بذاته) [(٢)] وقد حاولوا فيه محاكاة القرآن الكريم، مع اقتباس من الآيات ما يتناسب مع أهدافهم ومراميهم، وخاصة فيما يتعلق بآيات العذاب والنعيم حيث يجعلون النعيم لمن يعبد الحاكم بأمر الله، والعذاب لمن لم يعبده!! وهو متداول بينهم بشكل سري، ولا يعرف إلا بشكل محدود، ولهم معه رسائل مقدسة تصل إلى ١١١ رسالة مقسمة على أربعة مجلدات [(٣)] .

ثالثاً: فيما يتعلق بالإيمان بالرسل:

١- ادعاء النبوة: إن المتأمل لدعوات مدعي النبوة يجد أن دور إبليس فيها ظاهر، فمن خلال التتبع لحالهم وسيرهم يلاحظ أن أغلبهم من الكهان أو المشعوذين أو من يتعامل مع السحرة، وقد ظهر كثير من مدعي النبوة في جميع الأديان وقبل وبعد موت النبي ﷺ، وكان للشيطان دور في إبرازهم وإظهار الخوارق على أيديهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: «وهؤلاء تأتيهم أرواح تخاطبهم وتتمثل لهم، وهي جن وشياطين فيظنونها ملائكة، كالأرواح التي تخاطب من يعبد

---

(١) انظر اليزيدية ومنشأ نحلتهم لأحمد تيمور ص٨-٩ .
وقد ذكر المؤلف أن في خزانتهم نسختين رقم (٤١٨، ٥٠٥) في النمساء بالنص الكردي ونسخة باللغة الإنجليزية وقد عثر عليها أحد الفضلاء مخطوطين نشر نسخة أحدهما في إحدى المجلات الأمريكية مترجماً، انظر ص٦-٧ .

(٢) يقال: إن الذي وضعه «كمال جنبلاط الزعيم اللبناني المعروف الذي اغتيل قبل سنوات» عقيدة الدروز عرض ونقض د. محمد أحمد الخطيب ص١٧٠ .

(٣) انظر المرجع السابق ص١٧٠-١٧١، مذاهب الإسلاميين د. عبدالرحمن بدوي (٢/ ٥١٤).

الكواكب والأصنام، وكان أول من ظهر من هؤلاء في الإسلام: المختار بن أبي عبيد الذي أخبر به النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم في صحيحه عن النبي ﷺ أنه قال: «سيكون في ثقيف كذاب ومبير»[(١)].

.. فقيل لابن عمر وابن عباس: إن المختار يزعم أنه ينزل إليه! فقالا: صدق؛ قال الله تعالى: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾[(٢)]؛ وقال الآخر: وقيل له إن المختار يزعم أنه يوحى إليه، فقال: قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ ﴾[(٣)] »[(٤)] ا.هـ.

وروي أن سائلاً سأل مسيلمة: كيف يأتيك الذي يأتيك؟ فقال: في ظلماء جندس»[(٥)]، ومعلوم أن «الشياطين إنما سلطانهم في الظلمات، والمواضع المظلمة، وعلى أهل الظلمة»[(٦)]، وأول ظهور مدعي النبوة في الفرق من الشيعة على يد المختار بن أبي عبيد.

قال شيخ الإسلام – رحمه الله –: «أول من ظهر عنه دعوى النبوة من المنتسبين إلى الإسلام المختار بن أبي عبيد، وكان من الشيعة، فعلم أن أعظم الناس ردة هم في الشيعة أكثر منهم في سائر الطوائف»[(٧)] ا.هـ، ولعل من أسباب ذلك:

١- كثرة الجهل فيهم وفساد عقيدتهم.
٢- ادعاء العصمة والولاية للبشر.
٣- ادعاء علم الغيب للأئمة.

---

(١) رواه مسلم في كتاب الفضائل، رقم: ٢٥٤٥ (٤/ ١٩٧٢).
(٢) سورة الشعراء، الآيتان: ٢٢١-٢٢٢.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٢١، وقد سبق تخريجه.
(٤) مجموع الفتاوى ١١/ ٢٣٨-٢٣٩.
(٥) ذكرى ابن القيم رحمه الله في تفسير المعوذتين ص٥٠.
(٦) المرجع السابق، ص٤٩.
(٧) منهاج السنة لابن تيمية (٣/ ٤٥٩).

٤- فساد عقولهم واتباعهم لكل ناعق دون نظر ولا بصيرة (١) .

وقد ظهر من رؤوس الفرق من ادعى النبوة من أمثال:

أ - **الميرزا حسين على الميرزا مؤسس البهائية** (٢) . يلقب بالبهاء، وإليه تنسب البهائية ولد بمدينة شيراز سنة ١٨١٩م نشأ يتيماً في كفالة خاله علي الشيرازي، لم يكن لديه ميل للدراسة فتعلم قليلاً من مبادئ العربية وبعض النحو الفارسي، ثم اشتغل بالتجارة مع خاله فترة من الزمن ثم غادر إلى كربلاء وواظب على درس السيد كاظم الرشتي عميد الشيخية (٣) . وكان ماهراً في سبك الادعاءات العجيبة الغريبة ويجتمع في درسه عدد من الطلبة ذوي الفكر المنحرف . .

ثم اشتغل بترويض نفسه فكان يجلس الساعات الطويلة في الشمس المحرقة حتى اختلت عقليته، وأصيب باضطراب في المخ وتشنجات وآلام شديدة، وفي عام ١٨٤٤م بدأ دعوته جهاراً، وتبعه (١٨) شخصاً، وبعد انتشار دعوته افتتن الناس، ورفعوا أمره إلى الوالي وناظره العلماء وعندما سئل من تكون ؟

قال: «إني أنا الموعود، وأنا الذي دعوتموه منذ ألف سنة وتقومون عند سماع اسمه، وكنتم تشتاقون للقائه عند مجيئه، وتدعون الله بتعجيل ساعة ظهوره، الحق أقول لكم إن طاعتي واجبة على أهل الشرق والغرب» (٤) .

وقال أيضاً: «إن أقوى دليل على صحة دعوى رسول الله ﷺ هو كلام كما دلل على ذلك بقوله: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾ ولقد أتاني الله هذا البرهان، ففي ظرف يومين وليلتين أقرر أني أقدر أن أظهر آيات توازي في الحجم

---

(١) انظر: دراسات في الأهواء والفرق والبدع د . ناصر بن عبدالكريم العقل ص٢٤٦ .

(٢) انظر في ترجمته: عقيدة ختم النبوة، د . عثمان عبدالمنعم عيش ص١٢١ ، أدعياء النبوة عبر التاريخ ديب علي حسن ص١٦١ وما بعدها، البهائية محمد الحمد ص٥ وما بعدها دار القاسم .

(٣) كاظم بن قاسم الحسيني الموسوي الرشتي من أئمة الرافضة، من إيران سكن الحائر بكربلاء، توفي سنة ١٢٥٩هـ، انظر: الأعلام للزركلي (٥/ ٢١٥) .

(٤) أدعياء النبوة عبر التاريخ ديب علي حسن ص١٦٤ .

القرآن»[١] .

ب- غلام أحمد بن غلام القادياني: مؤسس القاديانية ، فارسي الأصل ، ويزعم أنه مغولي ، ولد عام ١٢٥٦هـ في قرية قاديان من الهند ، وتعلم علوم العربية والفارسية والطب ولم يفلح في دراسة العلوم الشرعية .

ظهر في بداية أمره مدافعاً عن الإسلام ، وقام بكتابة إعلانات ومقالات ضد الهندوس ، والنصارى ، فانخدع به المسلمون ، وظنوا أنه ولي لله ، وكان معروفاً باختلال مزاجه ، وكثرة أمراضه وإدمانه للمخدرات . ولما ظهرت كتبه وأباطيله ومكاشفاته ومدحه للاستعمار من الإنجليز ، عرفه الناس ونبذه العلماء وفضحوا أمره .

توفي بداء الكوليرا عام ١٩٠٨م الموافق ١٢٣٦هـ [٢] .

ادعى النبوة والرسالة ، وزعم أنه المسيح الموعود ، وأنه ينزل عليه الوحي ، وكان يعمل في حماية الحكومة الإنجليزية ، وكان يدعو لإبطال الجهاد ويصد المسلمين عن مقاومة الإنجليز .

والآن تعتقد القاديانية أن النبوة لم تختم بمحمد ﷺ ، وأن الرسالة باقية وأن غلام أحمد القادياني أفضل الأنبياء جميعاً ، وأن جبريل عليه السلام ينزل عليه ، وأن كتابه الذي يسمى (الكتاب المبين) أفضل من القرآن الكريم [٣] .

٢- تقديس الأنبياء وعبادتهم و الغلو فيهم : ومن أبرز هذه الملل النصرانية التي ادعت الألوهية في عيسى وأمه عليهما السلام ، كما نص عليه تعالى في قوله سبحانه: ﴿ وَإِذْ قَالَ

---

(١) المرجع السابق نفس الصفحة ، وانظر حقيقة البابية والبهائية د . محسن عبدالحميد ص١٦٧ وما بعدها .
* وقد صدرت الفتاوى من المجامع العلمية مثل مجمع الفقه الإسلامي بمكة ودار الإفتاء المصرية بخروج البهائية والبابية عن شريعة الإسلام ، واعتبارها حرباً عليه ، وبفكر أتباعهما كفراً بواحاً سافراً لا تأويل فيه» ، الموسوعة الميسرة (١/ ٤١٤) .

(٢) انظر في ترجمته: القاديانية لإحسان إلهي ظهير ص١٢٤ وما بعدها ، القاديانية محمد الحمد ص٩ ، عقيدة ختم النبوة د . عثمان عبدالمنعم عيش ص١٥٧ ، الموسوعة الميسرة (١/ ٤١٦) .

(٣) انظر عقيدة ختم النبوة د . عثمان عيش ص١٥٨-١٥٩ ، الموسوعة الميسرة (١/ ٤١٧-٤١٨) .

ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ ﴾ (١) .

وقال تعالى: ﴿ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٧﴾ ﴾ (٢) .

فمنهم من زعم إنه إله تام وإنسان تام، ولدتهما مريم عليها السلام!! والصلب والقتل وقع عليهما معاً . . وهذا قول الملكانية (٣) .

ومنهم من زعم ذلك، لكن نفى أن تكون مريم عليها السلام ولدت الإله وإنما هي ولدت الإنسان فقط، وأما الإله فولده الرب تعالى وتقدس، وهذه الولادة ليست ولادة حقيقية بشرية، بل هي علاقة اتحاد في الجوهر وهذا قول النسطورية (٤) .

ومنهم من يزعم أن المسيح هو الله – تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً – وهذا قول اليعقوبية (٥) .

---

(١) سورة المائدة، الآية: ١١٦ .
(٢) سورة المائدة، الآية: ١٧ .
(٣) أصحاب ملكا الذي ظهر بأرض الروم واستولى عليها، ومعظم الروم ملكانية قالوا: إن الكلمة اتحدت بجسم المسيح، وتدرعت بناسوته، ويعنون بالكلمة: أقنوم العلم . ويعنون بروح القدس: أقنوم الحياة»، الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٢٢٢-٢٢٣) .
(٤) نسبة إلى نسطور، وقد كان بطريرك القسطنطينية، وقولهم هذا يترتب عليه أن المسيح الذي خاطبهم، وشاهدوه وقتل لم يكن فيه عنصر إلهي . . فكاتبه بطريرك الإسكندرية وانطاكية للعدول عن قوله هذا، فلم يجب فانعقد مجمع أفسس سنة ٤٣١هـ، وقرر لعنه وطرده، وإثبات أن مريم عليها السلام ولدت الإنسان والإله . انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٢٢٤)،، الموسوعة الميسرة ص٥٠٢-٥٠٣ .
(٥) اتباع يعقوب البرادعي، وكان من أنشط الدعاة إلى هذا القول، حيث أعلنه بطريرك الإسكندرية في منتصف القرن الخامس الميلادي، نجاء يعقوب في القرن السادس فجمع له أتباعاً ونشره بعد أن تلاشى، انظر: الملل والنحل (١/ ٢٢٥-٢٢٦)، محاضرات في النصرانية محمد أبو زهرة ص١٩٤ .

وهناك من فرق النصارى من تقول بألوهية عيسى وأمه [١] عليهما السلام، كما ذكر ذلك تعالى في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ﴾ الآية [٢].

فهذه مجمل أقوالهم في عيسى عليه السلام، الذي جعلوه إلهاً مكوناً من ثلاثة أقانيم يسمونها الاب والابن والروح القدس، ويصفونهم هكذا: الآب: هو الأقنوم الأول، وهو والد الأقنوم الثاني، وهو مكون الكائنات.

الابن: هو الأقنوم الثاني، وهو ولد الأقنوم الأول ،وهو المخلّص من الخطية.

الروح القدس: وهو الأقنوم الثالث، ويصدر عن ركين التثليث الآخرين بصورة دائمة وأبدية، وهو معطي الحياة، ويقولون إن هذه الثلاثة أقانيم واحد» [٣] !!

ولم تخرج فرقة من فرقهم عن هذه الأقوال.

نقل القرطبي عن أبي المعالي الجويني قوله: «أطبقت النصارى على أن المسيح إله وأنه ابن إله» [٤]، ويقول المراغي – رحمه الله – في تفسير قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ [٥] الآية.

«وجميع فرق النصارى في هذا العصر تقول: إن الله هو المسيح ابن مريم وإن المسيح ابن مريم هو الله، ولكن النصارى القدماء لم يكونوا متفقين على هذه العقيدة إذ كان بعضهم يفسر الآب والابن وروح القدس بأنها الوجود والعلم والحياة» [٦] ا.هـ.

---

(١) انظر: المسيح عيسى عليه السلام بين الحقائق والأوهام د. محمد وصفي من ص٩٠-٩٣ مراجعة علي الجوهري، محاضرات في النصرانية للشيخ محمد أبو زهرة من ص١٢٠-١٢٩.
(٢) سورة المائدة، الآية: ١١٦.
(٣) المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام د. محمد وصفي ١٠٥.
(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨/ ١١٧).
(٥) سورة المائدة، الآية: ١٧.
(٦) تفسير المراغي (٦/ ٨١).

ثم يعقب عليها بقولـه – رحمه الله – : «ولاشك أن هذه العقيدة وثنية أخذت عـن قدماء المصريين والبراهمة والبوذيين وغيرهم من وثني الشرق والغرب» (١) ا .هـ .

ويقول الشيخ محمد عبده: «وجميع فـرق نـصارى هـذا العـصر تقـول: إن الله هـو المسيح ابن مريم ، وأن المسيح ابن مريم هـو الله» (٢) ، وتأمـل هـذا الـضلال ، يقـول د . بوست البروستانتي في تاريخ الكتاب المقدس ، «طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية الجوهر: الله الآب ، والله الابن والله الروح القدس ، فـإلى الآب ينتمـي الخلـق بواسـطة الابن ،وإلى الابن الفدى ، وإلى الروح المقدس التطهير ، غير أن هذه الثلاثة أقانيم تتقاسم جميع الأعمال على السواء»(٣)ا .هـ!!

ومن يتأمل هذا الكـلام يجـد أنـه يـشبه الألغـاز والأحـاجي . . فهـم مختلفـون في تفسيرها حتى القساوسة لا يمكنهم تفسيرها أو إعطاءها معاني حقيقة .

وقد اتبعت هذه الأمة طريق الأمم قبلها فنجد طائفة البريلوية تسير على ذلك .

فمن أقوالهم: «إن جميع العالم وكل الأمور في يد رسول الله ﷺ يتصرف فيـه وفيهـا كما يشاء ويعطي منه ومنها ما يشاء من يشاء» (٤) .

ويقول البريلوي: «إن رسول الله ﷺ هو المـبرئ مـن الـسقم والآلام ، والكاشـف عن الأمة كل خطب وهو المحيي ، وهو الدافع عن المعضلات ، والنافع للخلـق ، والرافـع للمراتب ، وهو الحافظ والناصر وهو دافع البلاء أيـضاً ، وهـو الـذي أبـرد علـى الخليـل النار ، وهو الذي يهب ويعطي ، وحكمه نافذ وأمره جارٍ في الكونين» (٥) .

---

(١) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة .

(٢) تفسير القرآن للشيخ محمد عبده (٦/ ٣٠٧) ، وانظر تفسير الخـازن (٢/ ٢٨) ، روح المعـاني للآلوسـي (٦/ ٩٨) إدارة الطباعة المنيرية تفسير الرازي (١١/ ١٩٥-١٩٦) .

(٣) تفسير القرآن للشيخ محمد عبده (٦/ ٣٠٧) .

(٤) جاء الحق لأحمد يار البريلوي ص١٩٥ نقلاً من البريلوية لإحسان إلهي ظهير ص٧٠ .

(٥) الاستمداد على أجيال الارتداد للبريلوي ص٣٢-٣٣ ، نقلاً من البريلوية ص٦٨ .

٣- إنكار النبوة: وأشهر من عرف بذلك في الملل والنحل البراهمة وهم ملة من ملل الهند ينتسبون إلى رجل منهم يقال له براهم وقد قرر لهم استحالة ذلك في العقول وقرر ذلك بعدة أمور باطلة منها:

إن حكمة الله تعالى اقتضت أن لا تعبدهم إلا بما تدل عليه عقولهم وقد دلت الدلائل في هذا الكون على أن له خالقاً وصانعاً مبدعاً من حقه علينا أن نشكره لنستوجب ثوابه، فلماذا نتبع بشراً مثلنا؟!

ومنها: إن الأنبياء يأتون بما تستقبحه العقول وتنكره، من التوجه إلى بيت مخصوص في العبادة والطواف!! والسعي ورمي الجمار وذبح الحيوان وغير ذلك [١].

وممن أنكر نبوة بعض الأنبياء اليهود، وهذه الملة قد عرفت بتكذيب الأنبياء وقتلهم، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَيَّدْنَـٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ﴾[٤].

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني (٢/ ٢٥٠-٢٥٢)، وتلبيس إبليس ص٨٢ وما بعدها.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٨٧ .
(٣) سورة البقرة، الآية: ٦١ .
(٤) سورة البقرة، الآية: ٩١ .

قال ابن القيم – رحمه الله – : «ومن تلاعبه بهم .. أنهم كانوا يقتلون الأنبياء الذين لا تنال الهداية إلا على أيديهم، ويتخذون أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، يُحرِّمون عليهم ويحلون لهم، فيأخذون بتحريمهم وتحليلهم، ولا يلتفتون هل ذلك التحريم والتحليل من عند الله تعالى أم لا» [(١)] ا.هـ.

وقد كذبوا عيسى – عليه السلام – واتهموه وأمه بالزنا والفاحشة، ثم راموا قتله ونفذوا هذا الأمر الشنيع، ولكن الله تعالى حفظ نبيه من كيدهم ورفعه إليه وألقى الشبهة على شخص آخر فقتلوه وصلبوه ظناً منهم أنه عيسى – عليه السلام – [(٢)].

وكذبوا برسالة نبينا محمد ﷺ وأنكروها مع وجود الدلائل على صدقة في كتبهم وعلى تطابق المبشرات، ومع ذلك عاندوا وحسدوا فباؤوا بغضب على غضب إلى يوم القيامة [(٣)] قال تعالى: ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ﴾ [(٤)]. وقال تعالى: ﴿ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ ﴾ [(٥)].

وهناك فرقة أخرى أنكرت النبوة والأنبياء وهم (الدروز) حيث يرون وجوب محاربتهم وخصوصاً أصحاب الشرائع الظاهرة كآدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد، ووجوب التبرؤ من شرائعهم، ويزعمون أن الناطق على ألسنتهم هما إبليس والشيطان [(٦)] !!

ويقذفون الأنبياء بأشبع الألفاظ وأقذرها [(٧)].

ومن أقوالهم الشنيعة «فهذه الدعامة – يقصدون شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً

---

(١) إغاثة اللهفان لابن القيم (٢/ ٤٣٨).

(٢) انظر المرجع السابق (٢/ ٤٣٩).

(٣) انظر المرجع السابق (٢/ ٤٣٩-٤٤٠).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٨٤.

(٥) سورة ص، الآية: ١٤.

(٦) لا أدري ما الفرق عندهم في إبليس والشيطان؟!.

(٧) انظر عقيدة الدّروز عرض ونقض تأليف د. محمد أحمد الخطيب ص١٥٩-١٦٠.

رسول الله – المقدم ذكرها هي تكليفية ناموسية ، لأن العبادة للمعدوم تكليف ، وما أحد قط نصح لـه عبادة معدوم ، ولا تصح رسولية لكافر مشرك منافق ابن مشرك ، ثم أقام دعامة الجهاد ، به قام إبليس لعنه الله وجعله فرضاً على المسلمين ، فالحاكم جل ذكره أبطله وحرمه .. ثم أقام دعامة الولاية لقولـه: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾[١] على زعمهم أن الله فوق السماء ، ومحمداً رسول الله ، كذبوا لعنهم الله فما في السماء ولا في الأرض إله إلا الحاكم جل ذكره) [٢] .

وهم أيضاً ينكرون أن يكون آدم عليه السلام أبو البشرية وينكرون أنه مخلوق من غير أب ولا أم ، وينكرون أن موسى عليه السلام كليم الله ؛ لأنه عندهم إنما كلم الشجر والجبل [٣] .

٤- ادعاء العصمة في الأئمة والأولياء: ممن غلا في الأئمة والأولياء والصالحين: الشيعة بجميع فرقها وطوائفها . حتى قال بعضهم بألوهية علي بن أبي طالب – ﷺ [٤] ، وأول من قال بذلك عبدالله بن سبأ اليهودي الضال حيث زعم أن عليا حي لم يتم ، ففيه جزء من الإلهية ولا يجوز أن يستولي عليه ، وهو الذي يجيء في السحاب والرعد صوته ، و البرق تبسمه ، وأنه سينزل إلى الأرض بعد ذلك فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً»[٥] .

ويقول ابن حزم – رحمه الله – عند حديثه عن الفرق الغالية: «والقسم الثاني من

---

(١) سورة التغابن ، الآية: ١٢ .

(٢) مخطوط في تقسيم جبل لبنان ، الجامعة الأمريكية ببيروت رقم ١٣ ، ويوجد شريط عنه في الجامعة الأردنية رقم ٣١ ، نقلاً عن المرجع السابق ص١٦١ .

(٣) انظر عقيدة الدروز ، د . محمد أحمد الخطيب ص١٦٢-١٦٣ .

(٤) سئل علي الحسيني الخامنئي الملقب بآية الله العظمى هذا السؤال: «هناك فرقة تسمى (علي اللهية) ويقولون: إن علياً عليه السلام ليس إلهاً ولكنه ليس بأقل من الإله فما هو حكم هؤلاء؟
فأجاب: إذا كانوا غير قائلين بشريك لله الواحد المنان المتعال ، فليس حكمهم كحكم المشرك» !!
أجوبة الاستفتاءات ، السؤال رقم: ٣٢٥ (وثيقة مصورة في شبكة السرداب الإسلامية) .

(٥) الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٧٤) .

فرق الغالية الذين يقولون بالإلهية لغير الله عز وجل فأولهم قوم من أصحاب عبدالله بن سبأ الحميري لعنه الله: أتوا إلى علي بن أبي طالب فقالوا مشافهة: أنت هو . فقال لهم: ومن هو؟ قالوا: أنت الله فاستعظم الأمر وأمر بنار فأُججت فأحرقهم بالنار ، فجعلوا يقولون وهم يرمون في النار: الآن صح عندنا انك الله لأنه لا يعذب بالنار إلا الله وفي ذلك يقول علي رضي الله عنه:

«لما رأيت الأمر أمراً منكراً . . أججت ناراً ودعوت قنبراً [(١)] . .» [(٢)] .ثم زعم أنه لم يقتل وإنما رفع كما رفع عيسى عليه السلام ، فقال لما بلغه قتل علي – رضي الله عنه – «لو أتيتمونا بدماغه في سبعين صرة ما صدّقنا موته ، ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً» [(٣)] .

وعلى هذا الاعتقاد سار الرافضة في الغلو في علي رضي الله عنه والأئمة من بعده ، فيروون عنه – رضي الله عنه – أنه قال: «أنا قسيم الله بين الجنة والنار . . ولقد أقرت لي جميع الملائكة والروح والرسل بمثل ما أقروا لمحمد ﷺ وعلى آله . . ولقد حملت مثل حمولته وهي حمولة الرب ، وإن رسول الله يدعى فيكسى وأدعى فأكسى . . . ولقد أعطيت خصالاً ما سبقني إليها أحد قبلي ، علمت المنايا والبلايا والأنساب وفصل الخطاب ، فلم يفتني ما سبقني ، ولم يعزب عني ما غاب عني ، أبشر بإذن الله وأؤدي عنه» [(٤)] . ومن افتراءاتهم قولهم عن أبي عبدالله: «إذا كان يوم القيامة وضع منبره يراه جميع الخلائق يقف عليه رجل يقوم ملك عن يمينه ، وملك عن يساره فينادي الذي عن يمينه يقول: يا معشر الخلائق هذا علي بن أبي طالب صاحب الجنة يدخل الجنة من شاء ،

---

(١) مولى لعلي بن أبي طالب – رضي الله عنه – .

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (٥/ ٤٦-٤٧) .

(٣) المرجع السابق (٥/ ٣٦) ، وانظر الفرق بين الفرق للبغدادي ص٢٢٦ .

(٤) علل الشرايع لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين أبو القمي (وثيقة مصورة من موقع شبكة السرداب الإسلامية) ، وقد نقلها الشيخ إحسان إلهي ظهير في الشيعة والسنة ص٥٦ ، ونسبها لكتاب الكافي كتاب الحجة (١/ ٢٨٥) ط . إيران .

وينادي الذي عن يساره يا معشر الخلائق هذا علي بن أبي طالب صاحب النار يدخلها من شاء»[١]!!

وهذا آخر من المعاصرين يزعم أن عليا – ﷺ – ليس كالبشر، حيث يقول: «وكل من درس حياة علي يؤمن إيماناً جازماً قاطعاً بأنه يختلف عن الناس في عقله وعاطفته وجميع صفاته .. أبداً لا يشبههم في شيء ولا يشبهونه في شيء إلا في الشكل ... وإذا لم يكن علي من هذا البشر فليس من الضروري أن يكون إلهاً أو نصف إله؛ بل هو طبيعة ثالثة فوق الخلق ودون الخالق ...!!» [٢] ا.هـ.

ويزعمون أن الأعمال لا تقبل إلا بمعرفة الأئمة، فيروي الكليني في الأصول من الكافي عن أبي عبدالله في قوله الله عز وجل: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾، قال: نحن والله الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلا بمعرفتنا)[٣].

وأن علياً – ﷺ – يحكم بين الملائكة فيروون حديثاً عن ابن مسعود – ﷺ – قال: أتيت فاطمة صلوات الله عليها، فقلت لها: أين بعلك؟ فقالت: خرج به جبرائيل عليه السلام إلى السماء، فقلت: في ماذا؟ فقالت: إن عزاً من الملائكة تشاجروا في شيء فسألوا حكماً من الآدميين فأوحى الله تعالى إليهم أن تخيروا، فاختاروا علي بن أبي طالب عليه السلام)[٤].

بل فضلوا الأئمة حتى على مقامات الملائكة والرسل، يقول الهالك الخميني في الحكومة الإسلامية: «مذهبنا أن لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب، ولا نبي مرسل، وبموجب ما لدينا من الروايات والأحاديث فإن الرسول الأعظم [ﷺ] والأئمة (ع) كانوا

(١) المرجع السابق ص١٩٦.

(٢) فلسفات إسلامية محمد جواد مغنية ص١٩٥، وانظر الفصل في الملل و الأهواء والنحل لابن حزم(٢/ ٢١٦).

(٣) الأصول من الكافي تأليف أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني (١/ ١٤٣-١٤٤).

(٤) الاختصاص تأليف الشيعي عبدالله بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي الملقب بالشيخ المفيد (ص٢١٣) صححه وعلق عليه علي أكبر العقاري.

قبل هذا العالم أنواراً فجعلهم الله بعرشه محدقين ، وجعل لهم من المنزلة والزلفى ما لا يعمله إلا الله . . وقد ورد عنهم (ع): أن لنا مع الله حالات لا يسعها ملك مقرب ولا نبي مرسل»[١] ا.هـ .

ويقول محمد جواد مغنيه [٢] : فتأمل هذا الضلال حيث رفعوا الأئمة إلى منزلة الأنبياء ، وجعلوا أقوالهم وأفعالهم وتقريراتهم حجة ودليلاً!!

والصوفية أيضاً عندهم غلو في الأولياء وبعض الأشخاص – وقد بسطت الكلام في مكايده لهم في مسائل الولاية والأولياء [٣] – .

ومن أمثلة هذا الغلو اعتقادهم أن طاعتهم مقدمة على طاعة الله تعالى وأن استقبالهم أفضل من استقبال القبلة!!

فنقل عن بعض أصحاب الطرق أنه كان في حالة من الاستغراق التام ، وعندما حانت الصلاة لم يجبهم ، ولم ينهض وبقي معه اثنان من المريدين يقول جلال الدين الرومي مؤسس الطريقة المولوية . أنه «كان واحد من أولئك المريدين المنشغلين بالصلاة يسمى (خواجكي) أظهر له بعين السر عياناً أن كل الأصحاب الذين كانوا في الصلاة مع الإمام كانت ظهورهم إلى القبلة . وأن ذينك المريدين اللّين كانا قد وافقا الشيخ كان وجهاهما إلى القبلة لأن الشيخ عندما غاب عن (نحن) و(أنا) وفنيت هوّيته وتلاشى واستهلك في نور الحق «موتوا قبل أن تموتوا» صار نور الحق ووجهه إلى الجدار لابد أن يكون قد جعل ظهره إلى القبلة ذاك لأن نور الحق هو روح القبلة» [٤] .

ويدّعون أنهم يعلمون ما تكنه الأنفس من الغيب .

ومن الأمثلة على ذلك: ذكر عن شيخ من شيوخ الصوفية إنه كان جالساً وسط

---

(١) الحكومة الإسلامية للخميني ص٥٢ .

(٢) فلسفات إسلاميةمحمد جواد مغنية ص١٦٤ .

(٣) انظر ص ٥٥٢ وما بعدها .

(٤) كتاب فيه ما فيه لشاعر الصوفية جلال الدين الرومي ص٤٢ .

مريديه ، فاشتهى أحد المريدين رأس خروفه مشوياً فجأة أشار الشيخ عليهم أن يحضروا رأساً مشوياً لهذا المريد ، فلما سئل عن سبب معرفته لما في نفس المريد أجاب:

«لأنني علي امتداد ثلاثين سنة نفيت عن نفسي ونفيتها عن آية شهوة ، فغدوت كالمرآة الصافية التي لا غبش فيها . ولذلك فإنه عندما خطر لي الرأس المشوي واشتهيته لنفسي وغدا رغبة لديّ عرفت أنّ ذلك بسبب فلان هذا ؛ لأن المرآة لا صورة فيها من ذاتها ؛ فإذا ظهرت فيها صورةٌ فإنها صورة الآخر» (١) !!

---

(١) المرجع السابق ، ص٧٩ .
* وأنقل هنا بعض ما يعتقدونه فيما يسمى عندهم (بالخلوة) وهي مما شرعه لهم شيوخهم وجعلوا لها خمسة وعشرين شرطاً منها:
الأول: النية مع الإخلاص لقطع مادة الرياء ، **والثاني**: أن يستأذن الشيخ في دخول الخلوة ، ولا يدخلها إلا بإذن الشيخ وحضوره!! ، **والثالث**: أن يدخلها كما يدخل المسجد . . مقدماً رجله اليمنى .
الرابع: أن تكون الخلوة مظلمة لا يدخلها نور الشمس ولا ضوء النهار . .!!
الخامس: ألا تستند إلى جدار الخلوة ، ولا تتكئ على شيء إذا كان مبنياً . . ثم يلازم خيال شيخه بين عينيه فإنه رفيقه في طريقته ، وهو معه بمعناه وروحانيته !! ، **السادس**: الصوم فإنه يصفي القالب من الرطوبة . . ، **السابع**: أن تعتقد في نفسك أنك تدخل الخلوة لكي يستريح الناس من شرك!!
الثامن: أن يكون السالك في خلوته مستيقظاً لأعدائه الأربعة: الشيطان والهوى والدنيا ونفسه ، فكلما يتجلى له في الاخلوة من الصور فيقول له أنا الله ، ويقول له: إن الشيء الفلاني هو الله ، فليقل: سبحان الله الذي ليس كمثله شيء ، آمنت بالله ، وليذكر جميع ما يراه ويخطر له لشيخه ، ويشغل بالذكر حتى يتجلى له مذكوره!!
التاسع: لا يتكلم مع أحد في الخلوة أو خارجها إلا مع شيخه!!
العاشر: ألا تكون الخلوة بعيدة عن حس الأصوات فإن القلب الرقيق يؤثر فيه الخواطر المذمومة .
الحادي عشر: إذا خرج إلى الصلاة أو الوضوء فليطرئ إلى الأرض غير ناظر إلى أحد!!
الثاني عشر: نفي الخواطر مطلقاً دون التمييز بين الخاطر الإلهي والملكي والشيطاني النفسي !! . . ولا يجوز للذاكر في مذهب أهل الذكر والخلوة . . أن يتفكر في معنى آية أو حديث أو غيرها !!
الثالث عشر: إذا شاهد شيئاً في الواقعة ، أو في النوم أو في اليقظة . . لا يستحسن ذلك ولا يستقبحه ، ولا يزيد عليه ولا ينقصه . . بل يعرض ذلك على شيخه ، فإن الكتمان خيانة ، والله لا يحب الخائنين .
الرابع عشر: وهو دوام تخيل صورة شيخه ، وهو الرابطة بينه وبين خالقه!! فيجعل قلبه مربوطاً به لأن ذلك يجره إلى مراقبة ربه!! ، **الخامس عشر**: أن يرى استمداد الحاصل له إنما هو من شيخه واستمداد شيخه من النبي ﷺ ، فهو نائبه عنه ، والنبي نائب عن ربه =

٥- عقيدة ختم الولاية وتفضيل خاتم الأولياء على خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ : يقول ابن عربي [(١)] : «وليس هذا العلم إلا لخاتم الرسل، وخاتم الأولياء حتى إن الرسل لا يرونه - متى رأوه - إلا من مشكاة خاتم الأولياء: فإن الرسالة والنبوة - أعني نبوة التشريع ورسالته - تنقطعان، والولاية لا تنقطع أبداً، فالمرسلون، من كونهم أولياء، لا يرون ما ذكرناه إلا من مشكاة خاتم الأولياء، فكيف من دونهم من الأولياء؟ وإن كان خاتم الأولياء تابعاً في الحكم لما جاء به خاتم الرسل من التشريع، فذلك لا يقدح في مقامه، ولا يناقض ما ذهبنا إليه، فإنه من وجه يكون أنزل، كما إنه من وجه يكون

= جامع الأصول في الأولياء .. الطرق الصوفية، أحمد النقشبندي الخالدي ص١٨٢-١٨٧ باختصار وتصرف يسير.

* تأمل ضلالهم في هذا الغلو في المشايخ، حيث عذبوا أنفسهم بهذه الخلوات المظلمة، ولا يدخلها إلا بإذن شيخه، ويظل جالساً بلا طعام ولا نوم ولا كلام، بل حتى حرموا الاتكاء ..!! وهذا من العجب ومما كاد بهم إبليس به وهم يظنون ذلك تقرباً إلى الله تعالى نعوذ بالله من البدع، وسلبوا عقول المريدين فلا يحق للمريد أن يتفكر في آية ولا حديث .. ولا يستحسن شيئاً ولا يستقبحه، وأن يجعل شيخه نصب عينيه وأن ينسب كل ما يحصل له من نور وهداية لهذا الشيخ!! نسأل الله السلامة، بل أوجبوا اتخاذ المريد شيخاً، يقول الشعراني: «وقد أجمع أهل الطريق على وجوب اتخاذ الإنسان له شيخاً يرشده إلى زوال تلك الصفات التي تمنعه من حضرت الله بقلبه لتصح صلاته من باب ما لا يتم الواجب إلا به ...» ا.هـ. المرجع السابق ص١٩٨ .

قال شيخ الإسلام - رحمه الله - : «ولما كان الانقطاع إلى المغارات والبوادي من البدع التي لم يشرعها الله ولا رسوله صارت الشياطين كثيراً ما تأوي إلى المغارات والجبال: مثل مغارة الدم التي بجبل قاسيون وجبل لبنان الذي بساحل الشام، وجبل الفتح بأسوان بمصر، وجبال بالروم وخراسان وجبال بالجزيرة ... وغير ذلك من الجبال التي يظن بعض الناس أن بها رجالاً من الصالحين من الإنس ويسمونها رجال الغيب وإنما هناك رجال من الجن ...»ا.هـ، مجموع الفتاوى (١١/ ٢٩٤) .

(١) أبو بكر محيي الدين محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائي الأندلسي ابن عربي، فيلسوف ومن أئمة القائلين بوحدة الوجود، أفتى كثير من العلماء بكفره فحبس، فسعى في خلاصة علي بن فتح البجائي، واستقر في دمشق حتى توفي فيها سنة ٦٣٨هـ، له مؤلفات كثيرة مليئة بالكفروالزندقة منها الفتوحات المكية، وفصوص الحكم ومفاتيح الغيب - وغيرها، انظر: شذرات الذهب لابن العماد (٥/ ١٩٠-٢٠٢) ، الإعلام للزركلي (٦/ ٢٨١-٢٨٢) مصرع التصوف ص١٥٠ وما بعدها.

أعلى»[١] ا.هـ.

وفي صفته يقول الحكيم الترمذي [٢] المستحق لذلك رجل يشبه أباه وهو أعجمي، هو نسق في خلقه، وهو ربعة من الرجال، ختم به دورة الملك وتختم به الولاية...»[٣].

ويقول - أيضاً -: «وكما إن الله ختم بمحمد ﷺ نبوة الشرائع كذلك ختم الله بالختم المحمدي للولاية ...» [٤]، ويقول - أيضاً: «هذا الولي يسير به الله تعالى على طريق محمد ﷺ بنبوته مختوماً بختم الله، فكما كان محمد ﷺ حجة على الأنبياء، فكذلك يصير هذا الولي حجة على الأولياء» [٥]، ويقول ابن عربي: «.. وأما حالة أنبياء الأولياء في هذه الأمة، فهو كل شخص أقامه الحق في تجل من تجلياته، وأقام له مظهر محمد ﷺ ومظهر جبريل عليه السلام، فأسمعه ذلك المظهر الروحاني خطاب الأحكام المشروعة لمظهر محمد ﷺ، حتى إذا فرغ من خطابه وفزّع عن قلب هذا الولي عقل صاحب هذا المشهد جميع ما تضمنه ذلك الخطاب من الأحكام المشروعة الظاهرة في هذه الأمة المحمدية، فيأخذها هذا الولي، كما أخذها المظهر المحمدي»[٦] ا.هـ.

وممن ادعى أنه خاتم الأولياء، أن التيجاني - يقول صاحب كتاب رماح حزب

---

(١) فصوص الحكم ص٦٢، وانظر ص٦٣ حيث يشبه نفسه بلبنة الذهب ويجعل النبي ﷺ لبنة فضة - أخزاه الله - وانظر أيضاً ص١٣٥ .

(٢) محمد بن علي بن الحسن بن بشر أبو عبدالله الحكيم الترمذي، صوفي، قال السلمي: نفوه من ترمذ وأخرجوه منها، وشهدوا عليه بالكفر، وذلك بسبب تصنيفه كتاب «ختم الولاية» وكتاب «علل الشريعة» توفي نحو عام ٣٢٠هـ، انظر ترجمته: حلية الأولياء (١٠/ ٢٣٣)، طبقات الشافعية (٢/ ٢٤٥-٢٤٦)، الأعلام للزركلي (٦/ ٢٧٢).

(٣) ختم الأولياء للحكيم الترمذي ص١٦١ .

(٤) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٥) المرجع السابق ص٤٢٢ .

(٦) الفتوحات المكية لابن عربي (١/ ١٥٠) دار صادر - بيروت.

الرحيم [١] -، «الفصل السادس والثلاثون في ذكر فضل شيخنا - رضي الله تعالى عنه - وأرضاه وعنا به وبيان أنه هو خاتم الأولياء وسيد العارفين وإمام الصديقين وممد الأقطاب والأغواث، وأنه هو القطب المكتوم والبرزخ المختوم الذي هو الواسطة بين الأنبياء والأولياء بحيث لا يتلقن واحد من الأولياء من كبر شأنه، ومن صغر فيضا من حضرة نبي إلا بواسطته . . .» [٢] ، وقولهم هذا باطل وبطلانه يظهر من عدة أوجه:

الأول: أن ذلك أفضى بعدد من الزنادقة إلى ادعاء ختم الولاية لنفسه، كابن عربي الذي يقول بعد ذكر رؤياه بمكة عندما رأى الكعبة مبنية بلبن فضة وذهب - معقباً عليه بقوله: «وقلت متأولاً: إني في الأتباع في صنفي، كرسول الله ﷺ في الأنبياء عليهم السلام، وعسى أن أكون ممن ختم الله الولاية بي، وما ذلك على الله بعزيز» [٣] ا.هـ. وغيره [٤] اعتقاداً منهم أن خاتم الأولياء أفضل الأولياء كما كان خاتم الأنبياء، أفضلهم وغفلوا عن أنه لو لم يدل الدليل على أفضليته ﷺ لم يكن أفضلهم.

الثاني: إن أفضل هذه الأمة بعد نبيها محمد ﷺ السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، وأفضلهم أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان ثم، علي ثم الستة الباقين من العشرة المبشرين بالجنة - رضي الله عنهم أجمعين - وزمنهم أفضل القرون كما في حديث عمران بن حصين - ﷺ - : «خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم. قال عمران - لا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثاً . .» الحديث [٥] .

الثالث: إن خاتم الأولياء هو آخر مؤمن تقي يتوفاه الله وليس بأفضل الأولياء ولا

---

(١) كان الأولى تسميته الكتاب رماح حزب إبليس الرجيم . . لما حوى هذا الكتاب من الشرك والضلال والغلو في أحمد التيجاني.

(٢) الرواح لعمر بن سعيد الفوتي (٢/ ٤-٥) مطبوع بهامش كتاب روح المعاني لعلي الفاسي.

(٣) الفتوحات المكية (٥/ ٦٨-٦٩)، وانظر الصلة بين التصوف والتشيع ص٤٧٣ .

(٤) كابن حمويه، ومن المتأخرين محمد عثمان الميرغني ت١٢٦٨هـ، وأحمد التيجاني ت١٢٣٠هـ، انظر: مجموع الفتاوى (١١/ ٤٤٤)، والفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة ص٢٦٠-٢٦٧ .

(٥) رواه البخاري، رقم ٣٤٥٠ ، ورقم ٢٥٠٨ ، ومسلم، رقم: ٢٠٣٥ .

مزية له على أحد [(١)] .

الرابع: «اتفقت طوائف السنة والشيعة على أن أفضل هذه الأمة بعد نبيها واحد من الخلفاء ، ولا يكون من بعد الصحابة أفضل من الصحابة وأفضل أولياء الله تعالى أعظمهم معرفة بما جاء به الرسول واتباعاً له» [(٢)] .

الخامس: إن تفضيلهم لهذا الولي الخاتم على خاتم الرسل ، باعتبار أنه يأخذ عن الله مباشرة ، وهذا قول باطل من عدة وجوه:

منها: أن ما يأخذونه بدون وساطة النبي ﷺ ، أمر لا يوثق به ، ولا يعتمد عليه بل لابد من عرضه على الكتاب والسنة ، فإن وافقها عمل به ، وإلا رمي به عرض الحائط .

ومنها: إن أفضل أولياء هذه الأمة من الملهمين الذين يجري الحق على لسانه عمر بن الخطاب ، فهو من المحدثين في هذه الأمة ، ومع ذلك فكل ما يرد عليه يعرض على الكتاب والسنة ، ولم يكن مع ذلك أفضل الأمة ، بل كان أبو بكر الصديق رضي الله عنهما أفضل منه [(٣)] .

ومنها: إنه لا يمكن لولي من الأولياء أن يساوي نبياً – فضلاً عن أن يكون أفضل منه – لما بينهما من الفروق الظاهرة للعيان ومنها:

١- ثبوت العصمة للنبي بخلاف الولي .

٢- وجوب الإيمان بما جاءت به الأنبياء بلا استثناء ، قال تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ [(٤)] .

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١١/ ٤٤٤) ، جامع الرسائل ص٢٠٥-٢٠٦ .
(٢) الفرقان ص٤٧ ، وانظر الصفدية ص٢٤٧-٢٤٨ لشيخ الإسلام ابن تيمية .
(٣) انظر: الصفدية ص٢٥٣-٢٥٤ ، مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية (١/ ٥٣) ، الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة ص٢٥٨ ، لعبد الرحمن عبدالخالق .
(٤) سورة البقرة ، الآية: ١٣٦ .

٣- أن من سب نبياً من الأنبياء أو كفر به، وبما جاء به قتل مرتداً بلا خلاف، وهذا بخلاف من سب ولياً فلا يكفر بذلك، ولا يجب قتله، بل من غلا فيهم، وفضلهم على الأنبياء أو ساواهم به كفر بذلك ويستتاب [١].

السادس: إن القول بختم الولاية يلزم منه انقطاع الأولياء، بعد ذلك الولي، ويصبح من بعده إن جاء بعده أحد - كلهم أعداء لله، وهذا لا يمكن الجزم به لبشر [٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: «ولقد كنت أقول: لو كان المخاطب لنا من يفضل إبراهيم، أو موسى، أو عيسى على محمد ﷺ: لكانت مصيبة عظيمة، لا يحتملها المسلمون فكيف بمن يفضل رجلاً من أمة محمد على محمد، وعلى جميع الأنبياء والرسل في أفضل العلوم؟! ويدعي أنهم يأخذون ذلك من مشكاته؟ وهذا العلم هو غاية الإلحاد والزندقة» [٣]، وكانت نتيجة هذا القول أمران:

الأول: القول بتقدم خاتم الأولياء، كما زعموا ذلك في حق النبي ﷺ كما سبق

---

(١) انظر الصفدية ص٢٥٥ - ٢٦٢.

(٢) إن مما يثير العجب والدهشة ما ذكره د. عبدالفتاح بركة صاحب كتاب «الحكيم الترمذي ونظريته في الولاية» بعد أن نقل أقوال الحكيم الترمذي ورأى مبلغ ما وصله فيها من ضلال، ثم يعقب على ذلك بقوله: «ولقد نجد أن الحكيم الترمذي يقف في مناقشته هذه على أرض صلبة، سواء على أساس من أصول مذهبه أو على أساس من النصوص القرآنية الكريمة والنبوية الشريفة، بحيث لا نكاد نجد ما يقابلها أو يردها، ولكن ما يؤيدها أو يتساوق معها وهذه الفكرة - على كل حال - فكرة تقف في وجه المغالاة التي تجعل من رؤوس أصحاب رسول الله ﷺ، ورضي عنهم، قمماً تعجز البشر أن يصلوا إليها أو إلى مستواها ...» ا.هـ ص٣٨٤ !! ولا أدري ماذا يريد بالأرض الصلبة التي وقف عليها الترمذي؟!، وما هي النصوص القرآنية التي تنص على أن للأولياء خاتماً هو أفضل الأولياء، بل يساوي الأنبياء في درجته؟!! وأصحاب رسول الله ﷺ لا يمكن أن يفضلهم أحد، وفي الحديث الصحيح عند البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحدٍ ذهباً، ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه) البخاري في فضائل الصحابة باب قول النبي ﷺ: (لوكنت متخذاً خليلاً) رقم: ٣٤٧٠(٣/ ١٣٤٣)، ومسلم في فضائل الصحابة باب: تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم، رقم: ٢٥٤٠.

(٣) مجموع الفتاوى (٢/ ٢٤٠).

واستدلالهم بحديث (كنت نبيا وآدم بين الماء والطين) فكذلك خاتم الأولياء كان ولياً وآدم بين الماء والطين، **والثاني:** تفضيل خاتم الأولياء على الأنبياء كما سبق من أقوال ابن عربي حيث جعل مصدر علوم الأنبياء من الأولياء [١] حيث يقول: «وليس هذا العلم إلا لخاتم الرسل، وخاتم الأولياء .. حتى إن الرسل لا يرونه - متى راواه - إلا من مشكاة خاتم الأولياء فإن الرسالة والنبوة - أعني نبوة التشريع ورسالته - تنقطعان والولاية لا تنقطع أبداً»[٢] ا.هـ.

٦- **سب الصحابة:** ومن مكايد الشيطان البارزة سب أولياء الله ومحاربتهم وفي مقدمة هؤلاء صحابة رسول الله ﷺ.

ومن أبرز من وجد عندهم الرافضة حيث ورثوه من زعيمهم عبدالله بن سبأ الذي كان أول من أظهر الطعن في أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين [٣].

مع شهادة نصوص القرآن الكريم والسنة على عدالتهم والرضا عنهم، قال تعالى: ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ [٤]. وكانوا إذ ذاك ألفاً وأربعمائة، وقال تعالى في المهاجرين والأنصار: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ [٥]، وقال تعالى: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ ﴾ [٦].

وفي ذلك دليل على عظمة قدرهم عند الله تعالى وكرامتهم ورفعة درجاتهم وفيهم العشرة المبشرون بالجنة، كما ثبت في الحديث: (عشرة من أصحابي في الجنة: أبو بكر،

---

(١) انظر محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع لعبدالرؤوف محمد عثمان ص١٩٠.
(٢) فصوص الحكم لابن عربي ص٦٢.
(٣) انظر الشيعة والسنة لإحسان إلهي ظهير ص٢٧.
(٤) سورة الفتح، الآية: ١٨.
(٥) سورة التوبة، الآية: ١٠٠.
(٦) سورة التوبة، الآية: ١١٧.

وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وعبدالرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح ..».

والرافضة – أخزاهم الله – يتقربون إلى الله بلعن أوليائه من الصحابة الكرام وأولهم أبو بكر وعمر، وصيغة لعنهما عندهم: «بسم الله الرحمن الرحيم اللهم ألعن صنمي قريش وجبتهما وطاغوتيهما وافكيهما وابنتيهما اللذين خالفا أمرك وانكرا وصيك وعصيا رسولك وقلبا دينك وحرفا كتابك»[1] .

وهم يتهمون أبو بكر الصديق رضي الله عنه باستحلال دماء المسلمين ومحاربة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ويحكمون بردته – والعياذ بالله – . يقول الخميني: «أولئك الصحابة الذين لم يكن يهمهم إلا الدنيا والحصول على الحكم دون الإسلام والقرآن، والذين اتخذوا القرآن ذريعة لتحقيق نواياهم الفاسدة قد سهل عليهم إخراج تلك الآيات من كتاب الله التي كانت تدل على خلافة علي رضي الله عنه بلا فصل وعلى إمامة الأئمة، وكذلك تحريف الكتاب السماوي وإقصاء القرآن عن أنظار أهل الدنيا على وجه دائم بحيث يبقى هذا العار في حق القرآن والمسلمين إلى يوم الدين»[2] !!

ويقول يتجه الله: «إننا هنا لا شأن لنا بالشيخين وما قاما به من مخالفات للقرآن، ومن تلاعب بأحكام الإله وحللاه وحرماه من عندهما، وما مارساه من ظلم ضد فاطمة ابنة النبي ﷺ وضد أولاده، ولكننا نشير إلى جهلهما بأحكام الإله والدين.

فقد قام أبو بكر بقطع اليد اليسرى لأحد اللصوص، وأحرق شخصاً آخر مع أن ذلك كان حراماً، ولم يطبق أحكام الله في خالد بن الوليد الذي قتل مالك بن نويرة وأخذ زوجته في تلك الليلة نفسها.

أما عمر فإن أعماله أكثر من أن تعد وتحصى فقد أمر برجم امرأة حامل وأخرى

---

(١) ذكرها د. عبدالله الغريب في كتابه الخميني بين التطرف والاعتدال ص٣٣ نقلاً من كتاب «مصدقه مالينجاب» لسيدهم علي تقي النقودي.

(٢) كشف الأسرار ص١٣١ .

مجنونة، وصححت إحدى النسوة من خلف الحجب خطأه، أما عثمان ومعاوية ويزيد فإن الجميع يعرفونهم جيداً . . ، وإن مثل هؤلاء الأفراد الجهال الحمقى والأفاقون والجائرون غير جديرين بأن يكونوا في موقع الإمامة وأن يكونوا ضمن أولي الأمر . .»(١) ا.هـ.

رابعاً: التكذيب باليوم الآخر: يقول الغزالي – رحمه الله – مبيناً عقيدتهم في المعاد «وأما المعاد فأنكروا ما ورد به الأنبياء، ولم يثبتوا الحشر والنشر للأجساد، ولا الجنة والنار، ولكن قالوا: معنى المعاد عود كل شيء إلى أصله . .» (٢) ا.هـ.

ويقول أحد المعاصرين من الإسماعيلية في نفي البعث:«إن القول بالبعث مهزأة . . وأن المؤمن الحقيقي هو من يؤول الوحي الإلهي على طريقتهم، وأما من يتبع الشرائع المنزلة وأحكامها على ظواهرها فليس هو إلا كافرٌ وحمارٌ» (٣) ا.هـ. !!

«والقيامة عندهم نوعان: قيامة صغرى، وقيامة كبرى، فالقيامة الصغرى هي عند ما تفارق النفس بعد الموت، والقيامة الكبرى هي ما تفارق كل النفوس الجزئية الموجودة في عالم الكون، وتعود النفس الكلية إلى مبدعها وخالقها فيبطل الوجود كله ما عدا الله

---

(١) كشف الأسرار للخميني ص١٢٦-١٢٧ .

* وقد نقل عنهم الكشي زعيمهم في الجرح والتعديل حيث يروي عن حمزة بن محمد الطيار، أنه قال: ذكرنا محمد بن أبي بكر عند أبي عبدالله فقال أبو عبدالله عليه السلام – رحمه الله وصلى عليه – قال محمد بن أبي بكر لأمير المؤمنين علي عليه السلام يوماً من الأيام: ابسط يدك أبايعك فقال أوما فعلت؟ قال: بلى فبسط يده، فقال: أشهد إنك إمام مفترض طاعتك، وإن أبي في النار فقال أبو عبدالله (ع) كان النجابة فيه من قبل أمه، أسماء بنت عميس رحمة الله عليها لا من قبل أبيه» ويروي عن هشام بن أبي عبدالله عليه السلام «كان مهيب عبد سوء يبكي على عمر» نقلاً من الشيعة والسنة ص٢٧ مما يدل على ما تكنه قلوبهم من حقد وبغض للصحابة الكرام!! .

(٢) فضائح الباطنية للغزالي ص٤٤-٤٥ .

(٣) من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام بندلي جوزي (١/ ١٠٦)، نقلاً من كتاب الشرك في القديم والحديث لأبي بكر محمد زكريا (١/ ٨٢١) .

سبحانه»[١] ، وقد كذب به بعض الفرق والملل والنحل الضّالة وأشهر من عرفه به:

١- **الدهرية** القائلون: إن هي إلا حياتنا الدنيا ، كما قال تعالى في بيان حالهم: ﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾[٢] .

والفلاسفة كذلك ينكرون اليوم الآخر ، وزعموا أن ما ذكر في الكتاب والسنة من وصف النعيم الأخروي والعذاب ، كذلك ما هي إلا خيالات لا حقيقة لها ، لأن الإنسان لا يدركه بحواسه الخمس فلا يمكن الإيمان به[٣] .

وعلى ذلك سارت بعض الفرق المنتسبة للإسلام ، ومنهم: **الباطنية من القرامطة**[٤] **الإسماعيلية والدروز والنصيرية:**

وهذا نص الرسالة التي كتبها القيرواني[٥] إلى سلميان القرمطي[٦] : «إني أوصيك بتشكيك الناس في القرآن والتوراة والزبور والإنجيل وبدعوتهم إلى إبطال الشرائع والمعاد

---

(١) المرجع السابق (١/ ٨٢٠) .

(٢) سورة الجاثية ، الآية: ٢٤ .

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٦٧) (٤/ ٢٨٤) ، تفسير ابن كثير (٤/ ٤٤٥) ط . دار الفكر ، شرح قصيدة ابن القيم لأحمد بن عيسى (١/ ٩٩) .

(٤) القرامطة: أتباع حمدان قرمط ، أحد أئمة الباطنية ، من أهل الكوفة ، يلقب بقرمط لقصر قامته وساقيه ، تبنى هذه الحركة التي ظاهرها التشيع وحقيقتها الإلحاد ، انتشرت في الكوفة والبصرة والأحساء والبحرين ، من عقائدهم: اعتقادهم بأن للشريعة ظاهراً وباطناً يخالف ظاهرها ، استباحة الزنا ونكاح المحارم ، إنكار اليوم الآخر ، فضائح الباطنية للغزالي ص١١-١٨ ، الموسوعة الميسرة (١/ ٣٧٨-٣٨٢ .

(٥) جعفر بن محمد بن حمزة ، داعية إسماعيلي من علمائهم له الرسالة الموقظة (مخطوطة) توفي سنة ٨٣٤هـ ، الأعلام للزركلي (٢/ ١٢٩) .

(٦) سليمان بن حسن القرمطي الزنديق . . استباح حرمة البلد الحرام فسار إلى مكة في سبعمائة فارس من أتباعه القرامطة سنة ٣١٧ ، فقتل مئات القتلى وردمهم في بئر زمزم ، واقتلع الحجر الأسود وصعد على الكعبة يصيح أنا بالله وبالله أنا يخلق الخلق وأفنيهم أنا ، فأقام فيها ستةأيام بلغ القتلى فيها نحو ثلاثين ألفاً ، وسرى الذراري هلك بالأحساء عام ٣٣٢هـ ، انظر: أعلام النبلاء (١٥/ ٣٢٠) ، البداية والنهاية (١١/ ١٧١) ، الأعلام للزركلي (٣/ ١٢٣) .

والملائكة والجن، ثم يستطرد قائلاً: وما العجب من شيء كالعجب من رجل يدعي العقل، ثم تكون له أخت أو بنت حسناء وليس له زوجة فيحرمها على نفسه وينكحها من أجنبي ولو عقل لعلم أنه أحق بها من الأجنبي، وما وجه ذلك إلا لأن صاحبهم حرم عليهم الطيبات وخوفهم بغائب لا يعقل وهو الإله الذي يزعمونه وأخبرهم بما لا يرونه من البعث والنشور والجنة والنار حتى استعبدهم وجعلهم له في حياته ولذريته بعد وفاته خولاً، فكان أمره معهم نقداً وأمرهم نسيئة»[1]، وقد سبق بيان قول الجهمية بأن النار تفنى، ومن الصوفية من يزعم أن أهل النار أسعد منهم في الدنيا لأنهم في النار متذكرين للحق، أما في الدنيا فكانوا من غفلة [2].

خامساً: التكذيب بالقدر: والتكذيب بالقدر منهج سارت عليه أكثر الفرق الضّالة حتى كثر الخوض في مسائله، وأفردت لذلك الكتب، وصنف السلف في الرد على القدرية مؤلفات كثيرة وافترق القدرية إلى طائفتين:

الأولى: نفاة القدر من الغلاة الذين أنكروا العلم، وكان ظهورهم في أواخر عهد الصحابة – رضوان الله تعالى عليهم – وأول من قال بنفي القدر معبد الجهني، وقد قتل صبراً في زمن الحجاج، وقالوا: إن الله لا يعلم الأشياء إلا بعد وقوعها وأن الأمر أنف وهؤلاء كفار بالإجماع [3].

الثانية: القدرية المجوسية نفاة المشيئة والخلق وهم جمهور المعتزلة ومن وافقهم من الخوارج والمرجئة والشيعة [4]، وهؤلاء انقسموا إلى فرقتين:

١ - القدرية: الذين نفوا خلق الله لأفعال العباد وقالوا إن العبد يخلق فعل نفسه وإن الله لا يضل أحداً، ولهذا قال ابن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (القدرية

---

(١) نشرت ضمن ملاحق كتاب الباطنيون والحركات الهدامة للشيخ إبراهيم بن سليمان الجبهان رقم (٢) ص٤٥، وانظر في الرد عليهم فضائح الباطنية للغزالي ص٩٢-٩٤.
(٢) انظر كتاب فيه ما فيه، للصوفي جلال الدين الرومي، ص٣٢٥.
(٣) انظر: السنة للخلال ص٥٢٩-٥٣٠، الإبانة ص٢٠٣، شرح أصول الاعتقاد (٤/ ٧٠٦ وما بعدها)، مجموع الفتاوى (٨/ ٤٩١-٤٩٧)، شفاء العليل ص٢٥-٦٣.
(٤) انظر: الفصل في الملل والنحل (٣/ ٨٢)، الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٣٠) (١/ ٤٥)، مجموع الفتاوى (٧/ ٢٦٤)، ميزان الاعتدال (٤/ ١٤١).

مجوس هذه الأمة ، إن مرضوا فلا تعودوهم ، وإن ماتوا فلا تشهدوهم) (١) .

و«مما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها ، مع إيمانهم بالقضاء والقدر وأن الله خالق كل شيء ، وأنه ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وأنه يضل من يشاء ويهدي من يشاء ، وأن العباد لهم مشيئة وقدرة يفعلون بمشيئتهم وقدرهم ما أقدرهم الله عليه ، مع ولهم: إن العباد لا يشاؤون إلا أن يشاء الله» (٢) .

ولكن القدرية خالفوا أهل السنة والجماعة وكادهم إبليس حتى أنكروه فقالوا: «إن الهدى على وجهين: هدى دليل وبيان ، فقد هدى الله بهذا الهدى كل مكلف بالغ ، الكافر والمؤمن (٣) وهدى هو الثواب والنجاة ، فلا يفعل الله هذا الهدى إلا بالمؤمنين المطيعين القائلين عن الله وعن رسوله ﷺ» (٤) .

قال ابن الجوزي – رحمه الله – : «وقال النظام إن الله عز وجل لا يقدر على شيء من الشر ، وإن إبليس يقدر على الخير والشر» (٥) ا .هـ .وفسروا إضلال الله للعبد بعدة معانٍ منها:

١- العقاب والهلاك عقوبة لكفرهم حيث قالوا: «إن قيل: أفتقولون إن الله أضل الكافرين؟ قيل له: نقول: إن الله أضلهم ، بأن عاقبهم وأهلكهم عقوبة لهم على كفرهم ولم يضلهم عن الحق ، ولا أضلهم بأن أفسدهم ، جل وعز عن ذلك» (٦) .

---

(١) رواه أبو داود ، رقم ٤٦٩١ ، رقم: ٤٦٩٢ وزادوهم (شيعة الدجال وحق على الله أن يلحقهم بالدجال) ، ورواه أحمد في مسنده ، وفي السنة رقم ٧٥٠ ص١٣٩ ، وراوه ابن أبي العاصم في السنة رقم: ٣٢٨ (١/ ١٤٤) ، وحسنه الألباني ، ومن طريق حذيفة رضي الله عنه رقم ٣٢٩ (١/ ١٤٤-١٤٥) وهو في صحيح الجامع رقم ٥١٦٣ (٢/ ٩١٧) .

(٢) مجموع الفتاوى (٨/ ٤٥٩) .

(٣) هذه المرتبة الثانية من مراتب الهداية ، ولا نخالفهم فيها ، انظر في أنواع الهداية ص

(٤) رسالة إنقاذ البشر من الجبر والقدر للشريف المرتضي (١١/ ٣٢٣) ضمن رسائل العدل والتوحيد وانظر المقالات ص٢٢٧ ، وص٢٥٩-٢٦١ .

(٥) تلبيس إبليس ص١٠٣ .

(٦) المرجع السابق (١/ ٣٢٥) .

٢- إنّ معنى أضل الله سماه ضالاً (١) .

٣- وفسروه أيضاً بترك التوفيق والسداد وهو ما يسمى عندهم الخذلان (٢) .

وقال بعض المعاصرين من القدرية: «لقد ثبت بالدليل القاطع أن الإنسان يعيش في هذه الحياة ضمن دائرتين اثنتين لا ثالث لهما ، أما الدائرة الأولى: فهي التي تنفذ فيها إرادة الله تبارك وتعالى ومشيئته الكونية ، وفيها جعل الله تعالى الإنسان يسير بحسبها وعلى مقتضاها سيراً مجبراً لا إرادة له فيها ولا اختيار . . وأما الدائرة الثانية: فهي التي تنفذ فيها إرادته ومشيئته الشرعية ، وفيها جعل الله تعالى الإنسان يسير فيها سيراً اختيارياً ، بحيث لا مكره له فيها ولا مجبر» (٣) ثم قال: «فالإنسان في أفعاله الاختيارية ضمن هذه الدائرة التي يسيطر عليها لا علاقة لأفعاله فيما يتعلق بالقضاء ولا دخل للقضاء بها ، وذلك لأن الأفعال الاختيارية لا تدخل تحت بحث القضاء أو القدر ، وإنما تدخل تحت بحث الأحكام الشرعية» (٤) .

الثانية: الجبرية : ولما رأت الجبرية شناعة قول القدرية وفظاعته فروا إلى شر منه فقالوا: «إنه لا فعل لأحد في الحقيقة إلا لله وحده ، وإنه هو الفاعل وإن الناس إنما تنسب إليهم أفعالهم على المجاز ، كما يقال: تحركت الشجرة ودار الفلك ، وزالت الشمس ، وإنما

---

(١) انظر رسالة الرد على المجبرة القدرية ليحيى بن الحسين الرسي ضمن رسائل العدل والتوحيد (٢/ ٨١-٨٢) وانظر (٢/ ٨٤-٨٥) .

(٢) انظر: المرجع السابق (٢/ ٨٢) ، المقالات ص٢٦٠ ، الكشاف للزمخشري (٢/ ٢٢) ، (٢/ ٣٧٢-٧٣٧) .

(٣) مسألة القضاء والقدر لعبدالحليم محمد قنبس ص١٣٩-١٤٠ راجعه خالد العك .

(٤) المرجع السابق ص١٤٥ .

* فتأمل هذا الضلال حيث جعل أفعال العباد كلها لا علاقة لها بالقضاء والقدر ، ومما يعجب له تسميته كتاب (مسألة القضاء والقدر ونشأتها لدى الفلاسفة والمتكلمين ، بحثها على مقتضى منهج السلف)!! فأي سلف يريد؟! هل يريد أسلافه من القدرية النفاة؟ أم يريد سلف الأمة وأئمتها؟! وحاشاهم عن هذا القول الباطل الذي يخرج أفعال العباد عن دائرة إرادة الله ومشيئته فيجري في ملكه ما لا يريد ، وقد سبق الرد على القدرية في مبحث سابق ، انظر ص

فعل ذلك بالشجرة والفلك والشمس الله سبحانه . .»[١] .

فعلى هذا فهداية المهتدي فعل الله ، لا دخل للعبد فيها إطلاقاً ، بل كما خلق له طولاً كان به طويلاً ، ولوناً ونحو ذلك[٢] ، فيسلبون العبد القدرة تماماً على الفعل ، وهؤلاء الجبرية الغلاة أصحاب جهم بن صفوان .

وأما الجبرية المتوسطة من الأشاعرة والماتريدية ونحوهم فقالوا: إن الله خلق أفعال العباد وقدرها ، وشاءها ، ثم أثبتوا للعبد قدرة غير مؤثرة في الفعل ، وهو ما يسمى عندهم كسبا وهم مختلفون في تعريفه اختلافاً كبيراً .

فمنهم من عرفه بأنه «ما يقع به المقدور في محل قدرته»[٣] ، وقيل الكسب: «ما وقع من الفاعل مقارناً لقدرة محدثه اختياراً»[٤] ، وهذا التعريف لا فرق بينه وبين سابقه .

وقيل هو: «ما خلفه الله تعالى في محل قدرة المكتسب على وفق إرادته في كسبه»[٥] .

ووجه المشابهة بين قولهم هذا وقول جهم: إنهم يقولون: «إن العبد ليس بفاعل حقيقة ، وإنما هو كاسب حقيقة ، ويثبتون مع الكسب قدرة لا تأثير لها في الكسب ، ولكن قرنت به من غير تأثير ، وزعموا أن كل ما في الوجود من القوى والطبائع والأسباب العلوية والسفلية كقدرة العبد لا تأثير لشيء منها ، فيما اقترنت به من الحوادث والأفعال والمسببات بل قرن الخالق هذا بهذا لا لسبب ولا لحكمة أصلاً»[٦] ، وهم بهذا لم يميزوا بين الفعل والمفعول ، ولا بين الخلق والمخلوق ،ومما يؤسف له أن يحكى هذا المذهب عن

---

(١) مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ص٢٧٩ .

(٢) انظر المرجع السابق نفس الصفحة ، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٨/ ٤٤٥) .

(٣) شرح الصاوي على جوهرة التوحيد ص١٠٤ ، وأصول الدين للبغدادي ص١٣٣-١٣٤ .

(٤) جلاء العينين في محاكمة الأحمدين للآلوسي ص٢٦٥ ، ط . عام ١٤٠١هـ/ ١٩٩١م طبعة المدني ، وانظر: الإنصاف للباقلاني ص٧١ ، كتاب التوحيد للماتريدي ص٢٥٦ وما بعدها .

(٥) جلاء العينين للآلوسي ص٢٦٦ ، وانظر فيما سبق: المقالات ص٢٧٩ ، الفرق بين الفرق للبغدادي ص١٩٩ ، الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٨٧) ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي .

(٦) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٨/ ٤٦٧-٤٦٨) .

أهل السنة والجماعة، وهم منه براء [١] ومذهب أهل السنة وسط بين القدرية والجبرية كما سبق في الرد عليهم [٢]، ومن المسائل التي كادهم بها:

١ - مسألة الرزق. ٢ - مسألة الأجل. ٣ - القول بالبداء.

١- الرزق: ومما كاد الشيطان به الفرق والملل في إنكار القدر مسألة الرزق والرزق في اللغة «ما ينتفع به والجمع الأرزاق» [٣]. ويطلق على العطاء، والنصيب، وعلى ما يصل إلى الجوف [٤].

وأما في اصطلاح الشرع، وما عليه أهل السنة والجماعة أن الرزق ينقسم إلى قسمين: الأول: عام وهو ما ينتفع به، وهو المراد من قوله تعالى: ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾[٥].

وفي الحديث: (إن روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل أجلها، وتستوعب رزقها .. الحديث) [٦].

---

(١) ومن هؤلاء الإمام السفاريني - رحمه الله - في لوامع الأنوار (١/ ١١)، حيث يقول عند حكايته مذاهب الناس في القدر: «وأما المتوسطة فهم أهل السنة والجماعة فلم يفرطوا تفريط القدرية النفاة، ولم يفرطوا إفراط الجبرية المحتجين بالقدر على معاصي الله، وهؤلاء على مذهبين مذهب الأشعري ومن وافقه من الخلف، ومذهب سلف الأمة وأئمة السنة ...». ثم فصّل في ذكر مذاهبهم وكان الأولى ألا يقرن مذهب الأشاعرة بمذهب أهل السنة الجماعة لأنه يخالف ما هم عليه، وانظر: كتاب بيان الهدى من الضلال في الرد على صاحب الأغلال للسويح (٢/ ٢٠٤).

(٢) ولقد أدى قولهم هذا ببعض الضّلال إلى القول بأن الشيطان مظلوم، وأنه لا ذنب له لأن الله تعالى كتب عليه القيام بهذه الأعمال!! ومن هؤلاء توفيق الحكيم في قصته المشهورة (الشهيد)، انظر: عباد الشيطان يوسف البنعلي ص٥٠ .

(٣) الصحاح للجوهري (٤/ ١٤٨١)، ولسان العرب (١٠/ ١١٥)، القاموس المحيط ص١١٤٤ .

(٤) انظر: الصحاح (٤/ ١٤٨١)، لسان العرب (١٠/ ١١٥)، بصائر ذوي التمييز(٢/ ٦٥).

(٥) سورة هود، الآية: ٦ .

(٦) رواه أبو نعيم في الحلية (١٠/ ١٦-٢٧)، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد وقال: «رواه الطبراني في الكبير وفيه عفير بن معدان وهو ضعيفه» ا.هـ، ورواه الحاكم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه (٢/ ٥) بأطول منه، ورواه ابن ماجة من حديث جابر بنحوه رقم: ٢١٤٤ (٢/ ٧٢٥).

وحديث أبي الدرداء قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (فرغ الله إلى كل عبد من خمس من أجله ورزقه وأثره وشقي أم سعيد) [١] .

وهذا يشمل كل ما ينتفع به ، سواء كان حلالاً أو حراماً ، ويشمل رزق الخلق كلهم بما فيهم البر والفاجر وغيرهما .

الثاني: خاص وهو ما يملك وهو الرزق الحلال ، وهو المراد في قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[٢] ، وفي قوله تعالى: ﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ ﴾[٣] ، وكلاهما يطلق عليه مسمى الرزق ، وكلاهما مكتوب في اللوح المحفوظ وداخل تحت مشيئة الله تعالى وخلقه ، فإذا أكل الحرام فهو رزق من حيث الانتفاع به ، مع تحريم الله تعالى لهذا الفعل ، والوعيد لفاعله ، وليس لأحد أن يحتج بالقدر فلا حجة فيه لأحد[٤] .

وكاد الشيطان بعض الفرق المخالفة فقالت المعتزلة «رزق كل عبد ما أحل له وأمره بأخذه ، فأما ما نهاه عن أكله وعذبه في قبضه ، فليس ذلك ، لعمرهم من رزقه»[٥] .

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٧/ ١٩٥) ، وهو في موارد الظمآن رقم ١٨١١ ص٤٤٨-٤٤٩ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير والأوسط وأحد إسنادي أحد رجاله ثقات (٧/ ١٩٥) .

(٢) سورة المائدة ، الآية: ٩٣ .

(٣) سورة المنافقون ، الآية: ١٠ .

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٨/ ٥٤١-٥٤٦) ، لوامع الأنوار مع هامشه للشيخ بابطين (١/ ٣٤٣-٣٤٤) ، التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية لعبدالعزيز الرشيد ٦١-٦٢ .

(٥) رسالة الرد والاحتجاج على الحسن بن محمد بن الحنفية ليحيى بن الحسين الرسي ، مطبوع ضمن رسائل العدل والتوحيد (٢/ ١٦٥) .

وقالوا: «الحرام لا يجوز أن يكون رزقاً . . لأن الله منعنا من إنفاقه واكتسابه» [(١)] ، والرد عليهم من عدة أوجه:

الأول: أن قولهم خلاف الأدلة الصحيحة من القرآن والسنة وما أجمعت عليه الأمة قبل ظهور المعتزلة ،وما أجمعت عليه كتب اللغة من تعريف الرزق بسائر ما ينتفع به على الإطلاق [(٢)] .

الثاني: أنه يلزم منه أن يكون الإنسان قادراً على أكل رزق غيره وهذا صريح قول المجوسية ، ويلزم منه ألا يأخذ الإنسان رزقه الذي كتبه الله له [(٣)] .

كما أنه من لازم قولهم إنه لو أن شخصاً تغذى طول عمره بالحرام لكان لازم قولهم: إن الله تعالى لم يرزقه شيئاً ، وهذا خلاف ما أجمعت عليه الأمة ، أن لا رازق إلا الله .

الثالث: ويقال لهم أيضاً من أطعم غيره طعاماً مغصوباً إلى أن مات ، فيلزم من قولكم أن هذا الإنسان رزقه غير الله ، وهذا إقرار بوجود رازقين الأول يرزق الحلال والثاني يرزق الحرام [(٤)] .

الرابع: أن الله تعالى قال: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[(٥)] . فدل على أن الله تعالى متفرد بالخلق ، والرزق ، والإماتة ، والإحياء ، فلو أخرجنا الرزق منها لكان في هذا تفريق بين المتماثلات بغير دليل ، فثبت أن الله

---

(١) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار ص٧٨٧ .

(٢) انظر لوامع الأنوار للسفاريني (١/ ٣٤٤) .

(٣) انظر حادي الأرواح ص٣٨٣ ، لوامع الأنوار للسفاريني (١/ ٣٤٤) .

(٤) الإبانة لأبي الحسن الأشعري ص١٨٥-١٨٦ ، التمهيد للباقلاني ٣٧٠-٣٧١ ، أصول الدين للبغدادي (١٤٤-١٤٥) المواقف للإيجي ص٣٢٠ ، الفقه الأكبر مع شرحه للملا علي القاري ص١١٤ ، لوامع الأنوار (١/ ٣٤٤) ، شرح النونية للشيخ أحمد بن عيسى (٢/ ٢٣٥) .

(٥) سورة الروم ، الآية: ٤٠ .

الخالق الرازق، المحيي المميت، ولا يجوز أن يقع في ملكه سبحانه ما لا يريد [١].

حتى المشركون كانوا يقرون بأن الله رازقهم، ولم يؤثر عنهم إنكار ذلك، مع كفرهم وعنادهم، فأصبحت المعتزلة شراً منهم من هذا الوجه.

وأما تخصيصهم الرزق بما يصح امتلاكه [٢] فهو قول باطل إذ يلزم منه أن طعام البهيمة، والطفل من ثدي أمه لا يسمى رزقاً لأنهما لا يملكانه، فلا يكون رزقاً لهما، وهذا خلاف قوله تعالى: ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ﴾ [٣]. كما أنه لا يلزم من رزق الحرام أن يباح تملكه [٤].

٢- الأجل: ومن مكايده للفرق في التكذيب بالقدر مسألة الأجل، والأجل في اللغة «مدة الشيء» [٥] سواء كان هذا الشيء موتاً، أو حلول دين، أو عدة طلاق .. أو نحوه [٦].

وأما في الاصطلاح فالمراد بالأجل المضاف زمان تبطل فيه الحياة قطعاً من غير

---

(١) انظر التمهيد للباقلاني ص٣٧٠-٣٧١.

(٢) انظر شرح الأصول الخمسة ص٧٨٤.

(٣) سورة هود، الآية: ٦.

(٤) الإبانة ص(١٨٦-١٨٧)، والاعتقاد للبيهقي ص٩٦، الفقه الأكبر مع شرحه للملا علي قاري ص١١٤.

* ومما يجدر التنبيه عليه ما ذكره الشيخ ملا علي القاري في شرحه للفقه الأكبر ص١١٤ حيث قال: «والشيخ أبو الحسن الرستغني، وأبو إسحاق الإسفرايني ما حققا الخلاف في هذه المسألة، وقالا الخلاف لفظي لا حقيقي، قيل وهو الصواب»ا.هـ والصواب إن هذا الخلاف ليس لفظياً، فهو يعود إلى فساد اعتقاد المعتزلة وقولهم بوجوب فعل الأصلح على الله، ومسألة التحسين، والتقبيح بناء على أصولهم المنهجية في تقديم العقل على النقل، فالخلاف بينهم وبين أهل السنة خلاف في أصول المنهج، مما كان سبب ضلالهم وبعدهم عن الحق، والعياذ بالله.

(٥) الصحاح للجوهري (٤/ ١٦٢).

(٦) انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (١/ ٢٦)، لسان العرب (١١/ ١١-١٣)، بصائر ذوي التمييز للفيروزبآدي (٢/ ١٠٨).

تقدم ولا تأخر» [١] .

فلكل إنسان أجل محدود لا يتقدمه ، ولا يتأخر عنه ، سواء مات حتف أنفه [٢] أو مات قتيلاً ، أو هدما ، أو هرماً ، أو غرقاً ، وهذه الأمور جعلها الله تعالى أسباباً للموت ، مع علم الرب تعالى بما كان ، وما يكون فهي مكتوبة في اللوح المحفوظ ، وشاء هذا الأجل ، وخلقه ، ومع ذلك من قتل مسلماً بغير حق عوقب لقتله ، ويجب القصاص منه ، إلا أن يعفو أولياء المقتول . ومن قتل كافراً محارباً فهو شهيد عند الله يناله الأجر والثواب .

قال تعالى: ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [٣] .

وفي الحديث عن أم حبيبة زوج النبي ﷺ قالت: (اللهم أمتعني بزوجي رسول الله ﷺ وبأبي أبي سفيان ، وبأخي معاوية قال فقال النبي ﷺ : لقد سألت الله لآجال مضروبة ، وأيام معدودة ، وأرزاق مقسومة ، لن يعجل شيئاً قبل حله ، أو يؤخر شيئاً عن حله ، ولو كنت سألت الله أن يعيذك من عذاب في النار ، أو عذاب القبر ، كان خيراً وأفضل) [٤] .

قال الإمام النووي: «وهذا الحديث صريح في أن الآجال والأرزاق مقدرة لا تتغير عما قدره الله تعالى وعلمه في الأزل فيستحيل زيادتها و نقصها حقيقة عن ذلك . . .»[٥] .

وما صح من زيادة الرزق والأجل بصلة الرحم لا يتنافى مع ما سبق كتابته في اللوح المحفوظ لأنه لا يتغير ، أما ما كتبه الله تعالى ، واطلع عليه الملائكة في الصحف التي

---

(١) لوامع الأنوار للسفاريني (١/ ٣٤٩) .
(٢) «أي على فراشه من غير قتل ولا غرق ولا حرق» القاموس المحيط للفيروزبآدي ص١٠٣٢ .
(٣) سورة يونس ، الآية: ٤٩ .
(٤) رواه مسلم ، رقم: ٢٦٦٣ (٤/ ٢٠٥٠-٢٠٥١) والإمام أحمد في مسنده (١/ ٣٩٠) .
(٥) صحيح مسلم بشرح النووي (١٦/ ٢١٣) .

بأيديهم فالرزق يزيد بالأسباب التي يطرقها العبد، وهي نوعان:

الأول: أسباب دينية كصلة الرحم كما في الحديث عن أنس بن مالك - ﷺ - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سره أن يبسط له في رزقه أو ينسأ له في أثره، فليصل رحمه» (١).

ومن الأسباب أيضاً الدعاء والبر وتقوى الله قال تعالى: "ومن يتق الله يجعل له مخرجاً . ويرزقه من حيث لا يحتسب" (٢)، واجتناب البغي، وظلم العباد، والربا، وأكل مال اليتيم.

الثاني: أسباب طبيعية، ومادية، كالسعي للرزق، وبذل الجهد، واختيار الأزمان المناسبة، وحسن اختيار المكاسب النافعة ونحو ذلك.

وهذه الأسباب والمسببات كلها بقدر الله تعالى، ومشيئته، فقد علم تعالى أن هذا العبد يصل رحمه فزاد رزقه، وعلم أن آخر يقطع رحمه فنقص في رزقه وهذا مما لا تعلمه الملائكة، فالزيادة والنقصان في صحفهم، دون ما سبق كتابته في اللوح المحفوظ (٣).

وكذلك الأجل نوعان:

١- مطلق، وهذا لا يعلمه إلا الله تعالى، هو لا يتغير، ولا يتبدل وهو ما أثبته الله تعالى في اللوح المحفوظ.

٢- مقيد: وهو ما اطلعت عليه الملائكة في صحفهم فإذا ول المرء رحمه أمر الله تعالى بزيادة أجله، وإذا قطعها أمر الله تعالى بنقص أجله (٤).

وقيل أن نقصان الأجل وزيادته، إنما هو ما يطرحه الله تعالى في العمر من البركة،

---

(١) رواه البخاري، رقم: ١٩٦١ ، رقم: ٥٦٣٩ ، ومسلم، رقم: ٢٥٥٧ (٤/ ١٩٨٢).

(٢) سورة الطلاق: آية ٢-٣.

(٣) مجموع الفتاوى (٨/ ٥٤٠-٥٤١)، والدرة البهية شرح تائيه شيخ الإسلام ص٧٠-٧٢.

(٤) انظر: شرح مسلم للنووي (١٦/ ٢١٣)، ومجموع الفتاوى (٨/ ٥١٧)، فتح الباري (١٠/ ٤٣٠).

بحيث يهيئ له أسباب التوفيق فيعمل العمل الكبير في الزمن القليل [١] .

وقيل: إن نقصان العمر بالمعاصي ، إنما هو في تأثيرها على القلب ، لأن الحياة الحقيقية حياة القلب ، فإذا أعطى الله تأثر قلبه بهذه المعصية ، فحرم من الحياة بقدر معصيته ، ولهذا سمى الله تعالى الكافر ميتاً [٢] قال تعالى: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾[٣] .

ولا تنافي بين هذه الأقوال بل يمكن الجمع بينها فيقال: إن الزيادة والنقصان في صحف الملائكة التي بأيديهم ، دون ما ثبت في أم الكتاب ، وهذا الشخص الذي فعل الأسباب الموصلة لرضا الله من صلة الرحم ، وتقوى الله ، وغير ذلك لاشك أن الله تعالى يجعل في رزقه وفي عمره البركة ، ويزيده من الإيمان ، وانشراح الصدر بقدر طاعته ، والله أعلم .

وخالف بعض المعتزلة في ذلك فقال القاضي عبدالجبار الهمذاني: «الخلاف في المقتول لو لم يقتل كيف كان يكون حاله في الحياة والموت؟ فعند شيخنا أبي الهذيل ، أنه كان يموت قطعاً لولاه ، وإلا يكون القاتل قاطعاً لأجله ، وذلك غير ممكن ، وعند البغدادية أنه كان يعيش قطعاً ، الذي عندنا أنه كان يجوز أن يحيا ويجوز أن يموت ، ولا يقطع على واحد من الأمرين فليس إلا التجويز» [٤] ا.هـ!!

وقال البغداديون: «إنه يعيش قطعاً ، لأن لو لم يعش لم يكن القاتل ظالماً له» [٥] .

ومعلوم إن هذا القول خلاف ما اجتمعت عليه أصول أهل السنة والجماعة والدليل على بطلانه من أوجه:

---

(١) انظر: الداء والدواء ص٧٧ ، وفتح الباري (١٠/ ٣٠) .

(٢) انظر: الداء والدواء ص٧٧ .

(٣) سورة الأنعام: الآية: ١٢٢ .

(٤) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار ص٧٨٢ .

(٥) المرجع السابق نفس الصفحة ، وانظر أصول الدين للبغدادي١٤٢-١٤٣ ، المواقف للأيجي ص٣٢٠ .

الأول: ما تظاهرت عليه النصوص القطعية، من القرآن والسنة على إثبات أن الأجل بقدر الله، وأنه لا يتقدم ولا يتأخر، كقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾[(١)].

وقوله: ﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[(٢)].

الثاني: أن لازم قولهم هذا أن يكون القاتل قادراً على قطع أجل المقتول، وهو قادر على تأخيره، فصار الأجل بيد الإنسان وهذا باطل[(٣)].

الثالث: «لو فرضنا أن الله علم أنه لا يقتل، أمكن أن يكون قدر موته في هذا الوقت، وأمكن أن يكون قدر حياته إلى وقت آخر، فالجزم بأحد هذين على التقدير الذي لا يكون جهلاً»[(٤)].

الرابع: ومن بطلان هذا القول، فساد القول: إنه يجب أن تكون المرأة التي لو عاش لتزوجها زوجة له، والقول: إن النار مثوى هذا المقتول لأنه لو عاش لكفر، أو العكس، فدل المنع من ذلك على بطلان قولهم لو لم يقتل لعاش[(٥)].

أما عن ظلم القاتل للمقتول، ولو مات بأجله لم يكن ظالماً، فهذا سببه عدم تفريقهم بين الإرادة والمشيئة، وبين المحبة والرضا، وهذا من أسباب ضلالهم كما سبق[(٦)].

فالقتل هنا بمشيئة الله تعالى، وهو لا يحبه ولا يرضاه بل نهى عنه، ولا يصح أن يقال: إنه بغير مشيئته تعالى، إذ لا يقع في ملكه إلا ما يريد فلا تعارض إذن والحمد لله.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣٤.

(٢) سورة المنافقون، الآية: ١١.

(٣) انظر: الإبانة لأبي الحسن الأشعري ص١٨٤-١٨٥.

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٨/ ٥١٧-٥١٨).

(٥) انظر الإبانة لأبي الحسن الأشعري ص١٨٤، التمهيد للباقلاني ٣٧٥-٣٧٦.

(٦) انظر ص ٧٦٦.

٤- **القول بالبداء على الله تعالى:** البداء في اللغـة بمعنى الظهور ومنه قول الله تعالى: ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (١) ، «أي ظهر لهم من عقوبات الله وسخطه وشدة عذابه ما لم يكن في حسابهم» (٢) وبمعنى فعل الشيء أول ، وبمعنى الخلق يقال بدأ الله الخلق بدءاً وأبدأهم بمعنى خلقهم (٣) .

وهذه العقيدة الباطلة تعني «أن الله تبدو لـه البداوات ، وأنه يريد أن يفعل الـشيء في وقت من الأوقات ثم لا يحدثـه لما يحـدث لـه مـن البـداء» (٤) ، وأول مـن قـال بـه الرافضة ، وهي أصل من أصول مذهبهم الخبيث .

يقول أبو الحسن الأشعري – رحمه الله – : «وافترقت الرافضة هل البارئ يجوز أن يبدو له إذا أراد شيئاً أم لا [؟] على ثلاث مقالات:

فالفرقة الأولى منهم يقولون: إن الله تبدو لـه البداوات وإنه يريد أن يفعـل الـشيء في وقت من الأوقات ثم لا يحدثه لما يحدث لـه من البداء وأنه إذا أمر بشريعة ثم نسخها ، فإنما ذلك لأنه بدا لـه فيها ، وأن ما علم أنه يكون ولم يُطلع عليه أحـد مـن خلقـه فجـائز عليه فيه ، وما أطلع عليه عباده فلا يجوز عليه البداء فيه .

والفرقة الثانية منهم يزعمون أنه جائز على الله البداء فيما علم أنه يكـون حتـى لا يكون وجوّزوا ذلك فيما أطلع عليه عباده وأنه لا يكون كما جوزوه فيمـا لم يطلـع عليـه عباده ، الفرقة الثالثة منهم يزعمون أنه لا يجوز على الله عز وجل البداء ويتفون ذلك عنه تعالى» (٥) .

والرافضة يجعلون للبداء بابا مستقلاً في كتبهم فمثلاً الكافي فيه بـاب يـسميه «بـاب البداء» ويروي فيه من الروايات المكذوبة ومنها قوله: «ما عُبدَ الله بشيء مثل البداء»(٦) .

---

(١) سورة الزمر: الآية: ٤٧ .
(٢) فتح القدير للشوكاني (٤/ ٤٦٨) .
(٣) انظر لسان العرب (١/ ٢٦-٢٩) .
(٤) حركة الغلو وأصولها الفارسية تأليف نظلة جبوري ص٣١ .
(٥) مقالات الإسلاميين للأشعري ص٣٩ .
(٦) صحيح الكافي باب البداء لمحمد الباقر ص١٧ ، ط .الدار الإسلامية ط ١٤٠١هـ .

ومنها رواية أخرى عن أبي عبدالله عليه السلام «ما عُظم الله بمثل البداء» [١] ومنها روايــة عن أبي عبدالله عليه السلام قال في هذه الآية: ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ﴾[٢] . قال: فقال: «وهل يمحي إلا ما كان ثابتاً وهل يثبت إلا ما لم يكن» [٣] .

وقد وجدت هذه العقيدة في المعاصرين مـن أمثـال الخمـيني حيـث ينـسب إلى الله تعالى السهو ، وأنه يبدو له أمر لم يكن في حسابه [٤] – تعالى الله عما يقول الظـالمون علـواً كبيراً – .

ومن أقواله في البداء: «لهذه اللفظـة معنـى واضـح ، . . وهـي تعـني في العربيـة – ظهور الشيء ، فالله سبحانه وتعالى يوجد – أحياناً – شيئاً ما من أشياء يعجز عن إدراكها فهم البشر ، ويظهره للعيان بشكل يجعل الإنسان يتصور بأن الله يريد أن يقوم بعمل ما في الوقت الذي لم يرد فيه أن يقوم بأي عمل ، بل ولم يكن ذلك في نيته» [٥] .

---

(١) المرجع السابق نفس الصفحة .
(٢) سورة الرعد ، الآية: ٣٩ .
(٣) صحيح الكافي ص١٧ .
(٤) انظر الخمينية وريثة الحركات الحاقدة للأعظمي ص٩٢ .
(٥) كشف الأسرار للخميني ص١٠١ .

« الباب الثالث »

طرق التحصين من الشيطان

وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول: تحقيق العبودية لله تعالى.

الفصل الثاني: الإخلاص والمتابعة.

الفصل الثالث: الاستعاذة والاستعانة بالله.

الفصل الرابع: الالتزام بالكتاب والسنة.

الفصل الخامس: طرق استقراء من الكتاب والسنة.

الفصل الأول

تحقيق العبودية لله

قال تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ (١) ، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ (٢) .

العبودية في اللغة تعني: «الخضوع والذل والتعبيد والتذليل ، يقال: طريق معبد والتعبيد أيضاً الاستعباد وهو اتخاذ الشخص عبداً» (٣) ، أما في الشرع فنوعان:

الأولى: العبودية العامة الشاملة لكل ما خلق الله في السموات والأرض ، ويشمل بني آدم إنسهم وجنهم ، كافرهم ومؤمنهم ، وهي عبودية القهر والخضوع والملك والتخير ، وهي وصف لازم لجميع الأحياء ، فالخلق كلهم عبيد ربوبية الله تعالى ، لقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَـٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْدًا ﴾ (٤) .

وقوله تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾(٥) ، والمراد بالاستسلام في هذه الآية على قول عامة السلف أنه «الخضوع والذل لا مجرد تصريف الرب لهم» (٦) .

---

(١) سورة الإسراء ، الآية: ٦٥ .

(٢) سورة الحجر ، الآية: ٤٢ .

(٣) مختار الصحاح (١/ ١٧٢) .

(٤) سورة مريم ، الآيات: ٨٨-٩٣ .

(٥) سورة آل عمران ، الآية: ٨٣ .

(٦) مجموع الفتاوى ، لابن تيمية (١٤/ ٣٠) ، وانظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٦٦) ، وانظر: مصائب الإنسان من مكايد الشيطان ، لابن مفلح ص ٥٩-٦٠ .

ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ (١)، وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ (٢)، وقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ (٣).

الثانية: عبودية خاصة، وتعني الطاعة والمحبة والاستعانة والانقياد... وجميع لوازم تحقيق الألوهية، وهذا النوع ليس وصفاً لازماً، بل قد يتخلف بسبب الجهل والهوى والغي، وهي تأتي بلفظ مطلق ومقيد، أما الأولى فتأتي مطلقة (٤)، ومن أمثلتها:

قوله تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ (٥)، وقوله تعالى: ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ ﴾ (٦)، وقوله تعالى: ﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ (٧)، وقوله تعالى: ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ﴾ (٨)، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ (٩)، الاستثناء في الآية استثناء منقطع (١٠)، والمراد بالسلطان في الآية: إنه لا يتسلط على قلوبهم.

وقيل: لا يلقيهم في ذنب لا توبة منه، وقيل: المراد الحجة فلا حجة له فيما يدعوهم إليه من الشرك (١١)، وعلى العموم فهؤلاء العباد محفوظون بحفظ الله تعالى

---

(١) سورة الرعد، الآية: ١٥.
(٢) سورة الحج، الآية: ١٨.
(٣) سورة النحل، الآية: ٤٩.
(٤) مدارج السالكين (١/ ١٠٥-١٠٦)، أعلام الموقعين (٢/ ١٧٦)، تفسير ابن كثير، (٣/ ٥١).
(٥) سورة الفرقان، الآية: ٦٣.
(٦) سورة الإنسان، الآية: ٦.
(٧) سورة الزخرف، الآية: ٦٨.
(٨) سورة الزمر، الآيتان: ١٧-١٨.
(٩) سورة الحجر، الآية: ٤٢.
(١٠) انظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي، وتفسير ابن كثير (٢/ ١٩٨)، (٢/ ٥٥٢).
(١١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (١٠/ ٢٨)، أضواء البيان، للشنقيطي، (٣/ ٣٢٥).

لهم، وحراسته وتأييده وإن نال الشيطان منهم شيئاً، فهو كما ينال اللص من الغافل سرعان ما ينفلت ويهرب.

قال مجاهد - رحمه الله - في تفسير هذه الآية: «قال عبادي الذين قضيت لهم بالجنة ليس لك عليهم أن يذنبوا ذنباً إلا أغفر لهم»[(١)] .

وأهل هذه العبودية هم أهل الإحسان وهو أعلى مراتب الدين، وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾[(٢)] ، أي: «يمشون بسكينة ووقار من غير تكبر ولا تماوت، وهي مشية رسول الله ﷺ»[(٣)] .

وهم الذين لهم الأمن المطلق المذكور في هذه الآية: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[(٤)]، وقوله تعالى: ﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾[(٥)]، وهذا النوع هو المراد في هذا الفصل، وهو ينقسم إلى قسمين:

الأولى: عبودية تامة، وهي عبودية الرسل - عليهم صلوات الله وسلامه - كما وصفهم تعالى في قوله: ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴾[(٦)]، وقوله تعالى في نوح عليه السلام: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾[(٧)]، وقوله في شأن نبينا محمد ﷺ : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾[(٨)]، وقوله تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور، (٥/ ٣١٣)، وقال: «أخرجه ابن أبي حاتم».
(٢) سورة الفرقان، الآية: ٦٣ .
(٣) زاد المعاد (١/ ١٦٨) .
(٤) سورة الأنعام، الآية: ٨٢ .
(٥) سورة الزخرف، الآية: ٦٨ .
(٦) سورة ص، الآية: ٤٥ .
(٧) سورة الإسراء، الآية: ٣ .
(٨) سورة البقرة، الآية: ٢٣ .

ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴾ [١] ، وهذه لا يشاركهم فيها غيرهم [٢] .

الثانية: عبودية ناقصة يتخللها النقص والمعصية والزلة ، وهي تشمل عموم المؤمنين على اختلاف في مراتبها [٣] ، فمنهم السابقون المقربون ، ومنهم أصحاب اليمين ، وهم الذين قاموا بـ«أداء الواجبات ، وترك المحرمات ، مع ارتكاب المباحات ، وبعض المكروهات ، وترك بعض المستحبات» [٤] .

«وأما مرتبة المقربين: فالقيام بالواجبات والمندوبات ، وترك المحرمات والمكروهات ، زاهدين فيما لا ينفعهم في معادهم ، متورعين عما يخافون ضرره ، وخاصتهم قد انقلبت المباحات في حقهم طاعات وقربات بالنية»[٥] ، ولهم درجات متفاوته لا يعلمها إلا الله .

والشيطان معهم في حال لا يقدر عليهم ، بل قد أضنونه وقهروه ، كما في الحديث عن أبي هريرة - ﷺ -: (إن المؤمن لينضي[٦] شيطانه كما ينضي أحدكم بعيره في السفر)[٧] ، ولتحقيق كمال العبودية لا بد من توفر ركنين عظيمين هما:

الأول: تمام المحبة لله تعالى ، فهي «قوت القلوب ، وغذاء الأرواح وقرة العيون ، وهي الحياة التي من حرمها فهو من جملة الأموات ، والنور الذي من فقده فهو في بحار

---

(١) سورة الإسراء ، الآية: ١ .
(٢) انظر: الوابل الصيب ، لابن القيم ، ص ٦ ، القول المفيد ، لابن عثيمين (١/ ٢٨-٢٩) .
(٣) انظر: الوابل الصيب ، ص ٦ .
(٤) مدارج السالكين (١/ ١٠٧) .
(٥) المرجع السابق (١/ ١٠٨) .
(٦) «لينضي: أي يهزله ، ويجعله نِضْوا . والنِضْو: الدابة التي أهتزلتها الأسفار وأذهبت لحمها» النهاية في غريب الحديث (٥/ ٧٢) .
(٧) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣٨٠) ، وابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان ، رقم: ٢٠ ، ص ٤١-٤٢ ، ورواه البيهقي في شعب الإيمان ، رقم: ٥٤٤٧ ، (١٠/ ٣٨٧-٣٨٨) ، عن عبدالله بن مسعود بلفظ: (إن الشيطان المؤمن يلقى الشيطان الكافر ، فيرى شيطان المؤمن شاحباً أغبر مهزولاً ، فيقل له شيطان الكافر: مالك؟ ويحك قد هلكت ، فيقول الشيطان ،: لا والله ما أصل على شيء ، إنه إذا طعم ذكر اسم الله ، وإذا شرب ذكر اسم الله ، وإذا نام ذكر اسم الله ، فيقول الآخر: لكني آكل من طعامه ، وأشرب من شرابه ، وأنام على فراشه ، فهذا شاحم وهذا مهزول) ، ورواه الطبراني موقوفاً عن ابن مسعود في الكبير ، رقم: ٨٧٨٢ ، (٩/ ١٥٦) .

الظلمات . . . وهي روح الإيمان والأعمال . . . التي متى خلت منها فهي كالجسد الذي لا روح فيه» (١) .

قال ابن القيم – رحمه الله – : «فلو بطلت مسالة المحبة لبطلت جميع مقامات الإيمان والإحسان ولتعطلت منازل السير إلى الله فإنها روح كل مقام ومنزلة وعمل . . .بل هي حقيقة الإخلاص ، بل هي نفس الإسلام . . فمن لا محبة له لا إسلام له البتة بل هي حقيقة شهادة أن لا إله إلا الله ، فإن (الإله) هو الذي يألهه العباد حباً وذلاً وخوفاً ورجاء وتعظيماً وطاعة له بمعنى مألوه ، وهو الذي تألهه القلوب ، أي تحبه وتذل له وأصل (التأله) التعبد . والتعبد آخر مراتب الحب . يقال: عبّده الحب وتيّمه: إذا ملكه وذلله لمحبوبه»(٢) أ. هـ

«وثمرتها إيثار ما يقتضي العقل السليم رجحانه ، وإن كان على خلاف هوى النفس كالمريض يعاف الدواء بطبعه فينفر منه ويميل إليه بمقتضى عقله فيهوى تناوله»(٣) .

الثاني: كمال الذل له سبحانه وتعالى والخضوع مهما خالف الأمر هواه ومراده كما قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾(٤) .

وهذا الذل والخضوع يتحققان بمشاهدة نعم الله تعالى وآلائه فيستوجب الشكر ، ثم مطالعة عيوب النفس ، وقلة العمل على ما فيه من النقص والسهو (٥) ، وللعبودية الحقة شرطان لا بد من توافرهما:

---

(١) مدراج السالكين ، لابن القيم (١/ ٦-٧) .
(٢) المرجع السابق (٣/ ٢٦) .
(٣) فتح الباري ، لابن حجر (١/ ٦٠) .
(٤) سورة النساء ، الآية: ٦٥ .
(٥) الوابل الصيب ، لابن القيم ، ص ١١ ، مدارج السالكين (١/ ١٠٥-١٠٦) و (٣/ ٣٠) .

الأول: المتابعة، أي موافقة الشرع، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ (١) .

الثاني: الإخلاص بأن يكون العمل خالصاً لا يراد به سوى وجه الله، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾(٢) ، قال الفضيل بن عياض – رحمه الله – : «العمل الحسن هو أخلصه وأصوبه، قالوا: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل، حتى يكون خالصاً صواباً، والخالص ما كان لله، والصواب ما كان على السنة» (٣) ، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴾ (٤) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية تعليقاً على قول الفضيل: «وهذا الذي ذكره الفضيل مما اتفق عليه أئمة المشايخ، كما قال أبو سليمان الداراني إنه لتمر بقلبي النكتة من نكت القوم فلا أقبلها إلا بشاهدين اثنين الكتاب والسنة» (٥) .

وأعمال العبادة ثلاثة أنواع:

- عبادات القلب، كالمحبة والإخلاص واليقين والتوكل والإنابة والخشية.
- عبادات الجوارح، كالصلاة والصيام والزكاة والحج . . .
- عبادات اللسان، كتلاوة القرآن والذكر، والاستغفار، والدعاء . . .

وهي تقوم على ثلاثة أصول عظيمة:

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.

(٢) سورة تبارك، الآية: ٢.

(٣) ذكره ابن القيم في مدارج السالكين (٢/ ٨٩) و (١/ ٨٣-٨٤)، وذكره ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١/ ٣٣٣)، (٧/ ٤٩٥)، (١٠/ ٣١٨)، وغير ذلك في مواضع متعددة من فتاويه.

(٤) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

(٥) مجموع الفتاوى (١١/ ٥٨٥).

الأول: المحبة : ولا بد من أن تكون خالصة ، متضمنة محبة ما يحب الله ، وتقديم ذلك على كل محبة ، ومحبة كل ما يحب الله ، وبغض ما يعاديه ، وهي عبودية الموالاة منه والمعاداة ، كما في الصحيح عن أنس بن مالك – ﷺ – عن النبي ﷺ قال: (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار) [1] .ومن أبرز علاماتها:

– الاتباع والاقتداء للرسول ﷺ : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [2] .

– الجهاد في سبيله ، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ﴾[3] ، وهو ذروة سنام العبودية وأعلاها واجلها [4] .

الثاني: الخوف [5] ، وضده الأمن من مكر الله ، وغايته أن يكون خوفه من الله تعالى أعظم خوف فلا يخاف سواه ، قال تعالى: ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [6] ، ولا يكون العبد مسلماً إلا به .

قال السعدي: «فإن كان الخوف والخشية خوف تأله وتعبد وتقرب بذلك الخوف إلى من يخافه ، وكان يدعو إلى طاعة باطنة ، وخوف سري يزجر عن معصية من يخافه كان تعلقه بالله من أعظم واجبات الإيمان ، وتعلقه بغير الله من الشرك الأكبر الذي لا يغفره

---

(١) رواه البخاري ، رقم: ١٦ ، (١/ ١٤) . ومسلم في كتاب الإيمان ، رقم: ٤٥ .
(٢) سورة آل عمران ، الآية: ٣١ .
(٣) سورة التوبة ، الآية: ٢٤ .
(٤) انظر: شفاء العليل ، لابن القيم ، ص ٢٢٢ .
(٥) الخوف أنواع وقد سبق تفصيلها وبيان أنواعها ، انظر ص
(٦) سورة آل عمران: الآية: ١٧٥ .

الله لأنه أشرك في هذه العبادة التي هي من أعظم واجبات القلب غير الله مع الله»[١] أ.هـ.

وينبغي ألا يصل به هذا الخوف إلى اليأس والقنوط من رحمة الله[٢]، قال ابن القيم – رحمه الله – سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – يقول: «حد الخوف ما حجزك عن معاصي الله، فما زاد على ذلك فهو غير محتاج إليه»[٣] أ.هـ.

الثالث: الرجاء وضده اليأس من روح الله والقنوط من رحمته. وهذه الثلاثة الأصول «هي قطب رحى العبودية، وعليها دارت رحى الأعمال»[٤].

ويدل عليها جميعاً، قوله تعالى:﴿ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾[٥].

والخوف والرجاء هما جناحان للعبد يسيران به في طريق الاستقامة، فإن انفرد بأحدهما دون الآخر هلك[٦].

فإذا حاز العبد هذه الأصول الثلاثة جعل الشيطان يفر من طريقه، ولا يسلك فجاً إلا سلك الشيطان فجاً غيره، يقول ﷺ: (والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك)[٧].

(وتصارع الشيطان مع عمر – رضي الله عنه – فصرعه)[٨]، وهذه الأحاديث تبين فضل

(١) القول السديد، ص ٩٨.
(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٧/ ٢٢٧)، تفسير ابن كثير (٤/ ٤٨).
(٣) مدارج السالكين (٢/ ٣٩٤).
(٤) مدارج السالكين (٣/ ١٣٣)، وشرح الطحاوية، ص ٥٨٨، والمدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، د/ إبراهيم البريكان، ص ١١٤-١٢١.
(٥) سورة الإسراء، الآية: ٥٧.
(٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٧/ ٢٢٧)، شرح الطحاوية، ص ٥٨٨، ط. المكتب الإسلامي.
(٧) رواه البخاري، رقم: ٣٢٩٤، (٦/ ٣٣٩)، ومسلم، (١٥/ ١٦٤) شرح النووي.
(٨) رواه ابن أبي الدنيا في مكايد الشيطان، رقم: ٦٣، ص ٨٥، وأبو نعيم في دلائل النبوة، ص ١٣١.

عمر ومكانته، وخوف الشيطان وفراره منه، لكنها لا تقتضي العصمة [١] .

ومن أعظم مقامات العبودية التوكل، وهو من الأسباب العظيمة في دفع مكايد الشيطان، قال تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾[٢]، وهو «من أجل مقامات العارفين... وكلما علا مقام العبد كانت حاجاته إلى التوكل أعظم وأشد، وأنه على قدر إيمان العبد يكون توكله»[٣]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾[٤] .

والتوكل هو صدق اعتماد القلب على الله في جلب المنفعة ودفع المضرة [٥]، والتوكل على الله نوعان:

الأول: توكل عليه في جلب حوائج العبد وحظوظه الدنيوية أو دفع مكروهاته ومصائبه الدنيوية، **الثاني**: توكل عليه في حصول ما يحبه هو ويرضاه من الإيمان واليقين والجهاد والدعوة إليه [٦] .، والمؤمن له مع التوكل حالتان:

الأولى: توكل اضطرار وإلجاء حين تنقطع الأسباب وينغلق الفرج وهذا لا يتخلف عنه الفرج والتيسير البتة، **الثاني**: توكل اختيار مع وجود الأسباب فهنا له مع الأسباب ثلاثة أحوال:

الأول: أن يكون السبب مشروعاً ومندوباً إليه فهنا يذم تاركه كمن يرجو حصول الولد دون أن ينكح، **الثاني**: أن يكون السبب محرماً، ففي هذه الحالة لا تحل مباشرته ولا تعافيه، ويبقى التوكل هو السبب، وهو من أقوى الأسباب على الإطلاق، **الثالث**: أن يكون السبب مباحاً فينظر في السبب حينئذ فإن كان يضعف التوكل أم لا .

---

(١) انظر: فتح الباري (٧/ ٤٧) .

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٦٥ .

(٣) بدائع الفوائد، لابن القيم، (٢/ ٤٦٥) .

(٤) سورة النحل، الآية: ٩٩ .

(٥) انظر: الفوائد، ص ١١٣، ومجموع فتاوى العقيدة، للشيخ محمد صالح العثيمين، (٦/ ٥٤-٥٥) .

(٦) الفوائد، ص ١١٢، والتحفة العراقية ص١٣، مطبوع ضمن الرسائل المنيرية، الجزء الثاني .

فإن أضعفه وكان سبباً في تفرق الهمّ وتشتته فيتعين تركه ، بل يكون من الأولى تركه ، أما إن لم يضعفه فمباشرته أولى .

وهذا كله عبودية لله تعالى لأن التوكل عبودية القلب ، ومباشرة الأسباب عبودية الجوارح ، والتوكل لا يكون إلا مع العبادة فلا يأتي منفرداً (١) .

ومن أعظم مقامات العبودية الصلاة والخشوع فيها والطمأنينة ، وفي الحديث عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ، ثم يعرج الذين باتوا فيكم ، فيسألهم وهو أعلم بهم ، كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون ، وأتيناهم وهم يصلون)(٢) .

قال ابن حجر – رحمه الله – : «ويستفاد منه أن الصلاة أعلى العبادات ، لأنه عنها وقع السؤال ، والجواب فيه الإشارة إلى عظم هاتين الصلاتين لكونهما تجتمع فيهما الطائفتان ، وفي غيرهما طائفة واحدة ، والإشارة إلى شرف الوقتين المذكورين . . . ويترتب عليه حكمة الأمر بالمحافظة عليهما والاهتمام بهما» أ . هـ (٣) .

وفي الحديث: (**من صلى الصبح فهو في ذمة الله فلا يطلبنكم الله من ذمته بشيء فيدركه فيكبه في نار جهنم**) (٤) ، «والذمة هنا الضامن ، وقيل: الأمان» (٥) ، فإذا سمع الشيطان الأذان أدبر فاراً وله ضراط حتى لا يسمع الأذان ، كما جاء في حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ : (إذا نودي بالصلاة أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع الأذان ، فإذا قضي الأذان أقبل ، فإذا ثوّب بها أدبر ، فإذا قضي التثويب أقبل حتى يخطر

---

(١) انظر: الفوائد ، لابن القيم ، ص ١٠-١٨ ، مجموع الفتاوى ، (٨/ ٥٢٧) ، وفتح القدير للشوكاني ، (٣/ ٢٤٢) ، التحفة العراقية ، (٢/ ١٣) ، الشرك في القديم والحديث ، (٢/ ١١٠٩) .

(٢) رواه البخاري ، رقم: ٥٣٠ ، (١/ ٢٠٣-٢٠٤) ، ومسلم ، رقم: ٦٣٢ ، ( ) .

(٣) فتح الباري ، (٢/ ٣٧) .

(٤) رواه مسلم ، رقم: ٦٥٧ ، (١/ ٤٥٤) ، والترمذي في سننه ، رقم: ٢٢٢ .

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم ، (٥/ ١٥٨) .

بين المرء ونفسه، يقول: أذكر كذا وكذا، ما لم يكن يذكر! حتى يظل الرجل إن يدري كم صلَّى، فإذا لم يدر أحدكم كم صلَّى - ثلاثاً أو أربعاً - فليسجد سجدتين وهو جالس)[1].

ومعنى قوله: (له ضراط) صوت الريح، وهو على حقيقته، حيث قد ثبت أنه يأكل ويشرب فلا يمتنع عليه خروج الريح وفعله هذا، إما أنه يفعله متعمداً كيلا يسمع صوت الأذان، وإما إنه يفعله ذلك استخفافاً بالأذان كفعل السفهاء، وقوله إذا ثوِّب: أي أقيمت الصلاة.

ومعنى الحديث إن هذا العدو يقبل عند إقبال العبد على صلاته يحول بينه وبين قلبه، بما يخطر له من أمور غائبة عن ذاكرته يذكره بها ويمنيه ويذكره بحاجاته حتى يشغله عن الخشوع والإخلاص فيها وليصرفه عنها ويقطعها عليه[2].

فإذا عجز عن القطع والانصراف عنها اختلس منها خلسة، كما صح ذلك عن المصطفى ﷺ عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: سألت رسول الله ﷺ عن الالتفات في الصلاة؟ فقال: (هو اختلاس، يختلسه الشيطان من صلاة العبد)[3].

والاختلاس «من خلست الشيء واختلسته إذا سلبته»[4].

ولهذا شرعت مراغمته إذا وسوس للعبد في صلاته، ومعنى المراغمة: من رغم أي جعل أنفه في الرغام وهو التراب والطين[5]، والمراغمة المغاضبة[6]، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (إن أحدكم إذا قام يصلي جاء الشيطان فلبس عليه حتى لا يدري كم صلَّى، فإذا وجد ذلك أحدكم فليسجد سجدتين وهو

---

(١) رواه البخاري، رقم: ١٢٣١، الفتح ومسلم بنحوه في كتاب المساجد، (٥/ ٥٧).
(٢) انظر: فتح الباري، (٣/ ١٣٤-١٣٥)، شرح مسلم للنووي، (٤/ ٩٢).
(٣) سبق تخريجه.
(٤) النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير (٢/ ٦١).
(٥) انظر: لسان العرب (١٢/ ٢٤٧).
(٦) مختار الصحاح (١/ ١٠٥)، وانظر: النهاية (٢/ ١٨٤).

جالس)[١] .

وهذه السجدتان ترغيم للشيطان ، كما في حديث أبي سعيد الخدري - ﷺ - قال رسول الله ﷺ : (**إذا شك أحدكم في صلاته فلم يدر كم صلّى ثلاثاً أم أربعاً، فليطرح الشك وليبن على ما استيقن، ثم يسجد سجدتين قبل أن يسلم، فإن كان صلّى خمساً شفعن له صلاته، وإن كان صلّى إتماماً لأربع كانتا ترغيماً للشيطان**)[٢] .

والمراغمة هي: «محاربة العدو لله وبالله» [٣] ، فكلما زادت الحرب من هذا العدو تعينت على أولياء الله لبس لامة الحرب ودفع هذا العدو بكل ما أوتي العبد من القوة ، وهذه المراغمة هي من أحب العبوديات إلى الله [٤] .

قال ابن القيم - رحمه الله - : «فمن تعبد لله بمراغمة عدوّه ، فقد أخذ من الصِّد يقية بسهم وافر ، وعلى قدر محبة العبد لربه ، وموالاته ومعاداته لعدوّه ، يكون نصيبه من هذه المراغمة ، ولأجل هذه المراغمة حمد التبختر بين الصَّفّين ، والخيلاء والتبختر عند صدقة السرِّ ، حيث لا يراه إلا الله ، لما في ذلك من إرغام العدوِّ ، وبذل محبوبه من نفسه وماله لله عزَّ وجلَّ ، وهذا باب من العبودية لا يعرفه إلا القليل من الناس ، ومن ذاق طعمه ولذته بكى على أيامه الأول» [٥] .

ومن مقامات العبودية الصدقة وأعظمها صدقة السر ، في الصحيح عن أبي هريرة - ﷺ - أن رسول الله ﷺ قال: (لا يتصدق أحد بتمرة من كسب طيب إلا أخذها الله بيمينه فيربيها كما يربي أحدكم فلوه [٦] أو قلوصه حتى تكون مثل الجبل أو أعظم)[٧] .

---

(١) رواه البخاري ، رقم: ١١٧٥ ، (٢/ ٤١٣) .
(٢) رواه مسلم ، في كتاب المساجد (٥/ ٦٠) ، والنسائي ، رقم: ٥٨٥ ، (١/ ٢٠٥) ، وفي السنن كتاب السهو ، رقم: ١٢٣٨ ، (٣/ ٢٧) ، وأبو داود ، رقم: ١٠٢٤ ، (١/ ٢٦٩) .
(٣) تهذيب مدارج السالكين (١/ ٢٢٥) .
(٤) المرجع السابق (١/ ٢٢٦) .
(٥) المرجع السابق ، الجزء والصفحة نفسها .
(٦) فلوة: «المهر الصغير ، وقيل: هو الفطيم من أولاد ذوات الحوافر» النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٣/ ٤٧٤) المصباح المنير (٢/ ٤٨١) ، لسان العرب (١٥/ ١٦٢) ، مختار الصحاح ص٢١٤ .
(٧) رواه مسلم في كتاب الزكاة ، رقم: ١٠١٤ ، (٢/ ٧٠٢) .

وعن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ : (الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماوات والأرض ، والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك ، كل الناس يغدو ، فبايع نفسه فمعتقها أو موبقها)[١] .

وهي من وسائل دفع الشيطان عن العبد ، كما في قوله ﷺ : (**يا معشر التجار إن الشيطان والإثم يحضران البيع فشوبوا بيعكم بالصَّدقة**) [٢] ، وفي الحديث إشارة إلى حضور الشيطان مجامع الناس في الأسواق ونصب رايته – كما سيأتي إن شاء الله – لإيقاع العباد في الإثم والغش والتزوير ، فحثهم النبي ﷺ على خلط البيع بالصدقة حتى يكون كفارة لما يحدث من اللغو والكذب ، وفي هذا إرغام للشيطان وقهر له[٣] .

ومن مقامات العبودية الصيام ، وفي الحديث: (إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم) ، قال شيخ الإسلام – رحمه الله – : «ولا ريب أن الدم يتولد من الطعام والشراب ، وإذا أكل أو شرب اتسعت مجاري الشياطين ، ولهذا قال: فضيقوا مجاريه بالجوع . . . [٤] وإذا ضاقت انبعثت القلوب إلى فعل الخيرات التي بها تفتح أبواب الجنة ، وإلى ترك المنكرات التي بها تفتح أبواب النار ، وصفدت الشياطين فضعفت قوتهم وعملهم . . . ولم يقل أنهم قتلوا ولا ماتوا ، بل قال: صفدت ، والمصفد من الشياطين قد يؤذي لكن هذا أقل وأضعف مما يكون في غير رمضان ، فهو بحسب كمال الصوم ونقصه ، فمن كان صومه كاملاً دفع الشيطان دفعاً لا يدفعه دفع الصوم الناقص» [٥] .

وفي الحديث عن أبي ذر – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (صوم شهر

---

(١) رواه مسلم في كتاب الطهارة ، رقم: ٢٢٣ ، (١/ ٢٠٣) ، والترمذي ، رقم: ٣٥١٧ ، (٥/ ٥٣٥) .

(٢) رواه الترمذي ، رقم: ١٢٢٥ ، (٣/ ٣٤١) ، وقال: هذا حديث صحيح .

(٣) انظر: عارضة الأحوذي ، لابن العربي ، (٥/ ٢١٠) ، وتحفة الأحوذي (٤/ ٣٣٤) .

(٤) قال الألباني في هذه الزيادة: «لا أصل لها في شيء من كتب السنة التي وقفت عليها ، وإنما هي في كتاب الإحياء للغزالي فقط» سلسلة الأحاديث الضعيفة (١/ ٧٩) .

(٥) مجموع الفتاوى (٢٥/ ٢٤٦) ، وانظر مدارج السالكين لابن القيم (١/ ٤٥٨-٤٥٩) .

الصبر وثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر، يذهب مغلة الصدر) ، قال: قلت: وما مغلة الصدر ، قال: (رجس الشيطان) (١) .

فغَلة الصدر: حقده أو غيظه أو نفاقه ، وهي من وساوس الشيطان وإغوائه ، والصيام يقمع الشيطان ويسد مجاريه (٢) .

❀ ❀ ❀

(١) رواه الإمام أحمد (٥/ ١٥٤) ، وأبو داود الطيالسي في مسنده ،حديث رقم: ٤٨٢ ، ٦٥ ، والنسائي في المجتبي برقم: ٢٤٠٨ بدون ذكر الزيادة فيآخره وابن حبان في صحيحه بمعناه وبأطول منه رقم: ٦٥٥٧ (١٤/ ٤٩٨) عن أعرابي من أصحاب رسول الله ﷺ ، والبيهقي في السنن الكبرى عن أبي هريرة رضي الله عنه بدون الزيادة في آخره رقم: ٨٢٢٠ (٤/ ٢٩٣) ، وعبدالرزاق في مصنفه عن الحارث رقم: ٧٨٧٢ (٤/ ٢٩٨) ، وأبو يعلى في مسنده عن علي رضي الله عنه رقم: ٤٤٢ (١/ ٣٤٦) .

(٢) انظر: فيض القدير ، للمناوي ، (٤/ ٢١١) .

الفصل الثاني

الإخــــلاص

الإخلاص حصن عظيم من الشيطان الرجيم، فأهله لا يصل إليهم ولا يظفر منهم بشيء، قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[3].

والإخلاص في اللغة له معانٍ عدة، وهو من خلص الشيء يخلص خلوصاً، أي صار خالصاً، وخلَص بالفتح بمعنى نجا وسلم، يقال: خلصت، وأخلص الشيء بمعنى اختار، وخلصت إلى فلان وصلته وبلغته والمخلصون الموحدون.

والمخلصون الذين أخلصهم الله عز وجل واختارهم فوحدوه، ولم يشركوا به شيئاً.

وخَلَصَ، أي نصح، يأتي بمعنى النجاة والسلامة، خلّصه تَخَلُّصاً، أي نجاه، وبمعنى الوصول، وبمعنى التميز، والخالص من الألوان: ما صفا ونصع.

فالإخلاص إذن تدور معانيه على الصفاء، والنقاء، والتميز عن الأخلاط والشوائب[4].

ومن هذه المعاني يظهر المعنى الشرعي، وأذكر جملة من أقوال العلماء في تعريفه.

---

(١) سورة الحجر، الآيتان: ٣٩-٤٠.

(٢) سورة الأعراف، الآيتان: ٢٠١-٢٠٢.

(٣) سورة ص، الآيتان: ٨٢-٨٣.

(٤) انظر: لسان العرب، (٧/ ٢٦)، (٢/ ٦١٥)، القاموس المحيط (١/ ٧٩٦)، مختار الصحاح (١/ ٧٧)، المغرب (١/ ٢٦٥)، الفائق في غريب الحديث (٢/ ١٩٢)، النهاية، لابن الأثير (٢/ ٦١-٦٢).

قال ابن القيم – رحمه الله – في تعريف الإخلاص هو «إفراد المعبود عن غيره»[(١)] ، وقال أيضاً: هو «توحيد مطلوبه» [(٢)] ، هو «الإخلاص تصفية العمل من كلِّ شوب» [(٣)] ، وقيل: «تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين» [(٤)] .

وقال العز بن عبدالسلام [(٥)] – رحمه الله – : «الإخلاص أن يفعل المكلف الطاعة خالصة لله وحده ، لا يريد بها تعظيماً من الناس ولا توقيراً ولا جلب نفع ديني ، ولا دفع ضرر دنيوي» [(٦)] .

وقيل: «الإخلاص استواء أعمال العبد في الظاهر والباطن ، والرياء أن يكون ظاهره خيراً من باطنه ، والصدق في الإخلاص أن يكون باطنه أعمر من ظاهره» [(٧)] .

وأُثر عن معاذ بن جبل قوله عندما سئل عن الإخلاص ، قال: «فطرة الله التي فطر الناس عليها» [(٨)] .

وقال شارح الطحاوية: «والإخلاص خلوص القلب من تأليه ما سوى الله تعالى وإرادته ومحبته فخلص لله فلم يتمكن منه الشيطان» أ . هـ [(٩)] .

والإخلاص من الأعمال القلبية التي هي من أصول الإيمان وقواعد الدين وهي

---

(١) مدارج السالكين (١/ ١١٠) .
(٢) المرجع السابق ، الجزء والصفحة نفسها .
(٣) تهذيب مدارج السالكين (١/ ٥١٦) .
(٤) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي (٢/ ١٤٦) .
(٥) عبدالعزيز بن عبدالسلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي ، يلقب بسلطان العلماء ، ولد ونشأ في دمشق سنة ٥٧٧هـ ، له مواقف مشهورة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وفي نصح الولاة ، كان إماماً مجتهداً ، يعد من علماء الشافعية ، توفي سنة ٦٦٠هـ ، له مؤلفات كثيرة منها: التفسير الكبير ، قواعد الأحكام ، انظر: طبقات السبكي (٥/ ٨٠) ، الأعلام (٤/ ٢١ .
(٦) قواعد الأحكام (١/ ١٤٦) .
(٧) تهذيب مدارج السالكين (١/ ٥١٥) .
(٨) رواه ابن جرير في التفسير (٢١/ ٤) .
(٩) شرح الطحاوية ، ص ٤٩٨ ، ط . المكتب الإسلامي .

«واجبة على جميع الخلق . . . باتفاق أئمة الدين» [١] ، وهو بمنزلة الروح للجسد الذي إذا فارقها ، فارقت الحياة [٢] .

والإخلاص هو حقيقة الدين ، ومضمون دعوة الرسل ، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾[٣] ، والمعنى «اعملوا لربكم مخلصين له الدين والطاعة لا تخلطوا ذلك بشرك ولا تجعلوا في شيء مما تعملون له شريكاً . . .» [٤] ، ومعنى ﴿ حُنَفَآء ﴾ «أي مائلين عن الأديان كلها إلى دين الإسلام»[٥] ، وأخذ بعض العلماء هذه الآية وجوب النية في العبادات[٦] .

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾[٧] ، قال ابن القيم – رحمه الله – : «فإسلام الوجه: إخلاص القصد والعمل لله والإحسان فيه ، متابعة رسول الله ﷺ وسنته» أ. هـ [٨] .

وهما شرطا قبول الأعمال ، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[٩] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الناس لهم في هذه الآية ثلاثة أقوال: طرفان ووسط ، فالخوارج والمعتزلة يقولون: لا يقبل الله إلا ممن اتقى الكبائر ، وعندهم صاحب الكبيرة لا يقبل منه حسنة بحال . . . والمرجئة يقولون: من اتقى الشرك . . . والسلف والأئمة يقولون: لا يتقبل إلا من اتقاه في ذلك العمل ففعله كما أمر به خالصاً لوجه الله تعالى» أ .هـ[١٠] .

---

(١) مجموع الفتاوى ، لابن تيمية (١٠/ ٥) .
(٢) بدائع الفوائد (٣/ ٢٢٤) ، وانظر: مجموع الفتاوى (١١/ ٣٨١) .
(٣) سورة البينة ، الآية: ٥ .
(٤) جامع البيان ، لابن جرير (٨/ ١٥٦) .
(٥) الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ١٤٤) .
(٦) المرجع السابق ، نفس الجزء والصفحة .
(٧) سورة النساء ، الآية: ١٢٥ .
(٨) تهذيب مدارج السالكين (١/ ٥١٣) .
(٩) سورة المائدة ، الآية: ٢٧ .
(١٠) منهاج السنة ، لابن تيمية (٦/ ٢١٦) ، وانظر: المنار المنيف ، ص ٣١ .

والإخلاص سبب لصلاح القلب، وإخراج دغله وغله، وتنقيته فلا يبقى فيه غل ولا يحمل الغل [١]، كما في حديث أنس بن مالك - ﷺ - قال: قال رسول الله ﷺ: (ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم جماعة المسلمين، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم) [٢]، وهو سبب الخير ورفعة الدرجات عند الله.

كما في حديث سعد بن أبي وقاص - ﷺ - وفيه (... إنك لن تخلَّف فتعمل عملاً تبتغي به وجه الله تعالى إلا ازددت به خيراً، ودرجة، ورفعة) [٣].

وهو سبب لطرد الشيطان والوقاية منه، قال تعالى: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝ ﴾ [٤]، وقد قرئت بكسر اللام ﴿ ٱلْمُخْلِصِينَ ﴾ وهم الذين اخلصوا لله في العبادة وأتوا بالتوحيد خالصاً، فسلمت عباداتهم من الرياء والسمعة، وكل ما يضاد الإخلاص، وقرئت بالفتح ﴿ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ وهم الذين استخلصهم الله، فهداهم واصطفاهم فحققوا كمال ولايته [٥].

وفي وصفهم يقول الحسن: «يؤتون الإخلاص ويخافون ألا يقبل منهم» [٦].

والإخلاص سبب لعظم الجزاء، ومضاعفة الأجر مع قلة العمل، ومن أمثلة هذا،

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١/ ١٨)، (١٦/ ٥٨)، (٣٥/ ٧)، تهذيب مدارج السالكين (١/ ٥١٤)، التمهيد، لابن عبدالبر (٢١/ ٢٧٧).

(٢) رواه أبو داود، رقم: ٣٦٦٠، (٢/ ٣٤٦)، والترمذي عن ابن مسعود، رقم: ٢٦٦٠، (٧/ ٣٠٧) واللفظ له، وابن ماجه في المقدمة، رقم: ٢٣٠، (١/ ٨٤)، وفي صحيح ابن حبان، رقم: ٦٨٠، (٢/ ٤٥٤-٤٥٥)، قال ابن عبدالبر في التمهيد: «هذا حديث ثابت»، (٢١/ ٢٧٥).

(٣) رواه البخاري، رقم: ٣٧٢١، (٣/ ١٤٣١)، ومسلم، رقم: ١٦٢٧، (٣/ ١٢٤٩-١٢٥٠).

(٤) سورة ص، الآيتان، ٨٢-٨٣.

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٠/ ٢٨)، (١٥/ ٧٦)، معالم التنزيل، للبغوي(٣/ ٥٠-٥١)، تفسير الرازي (٢٦/ ١٦٢)، تفسير القرآن، لابن كثير (٤/ ١٦٢).

(٦) ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٢/ ١٣٢).

حديث الرجل الذي أماط الأذى عن الطريق فكان سبباً لمغفرة ذنوبه ودخوله الجنة، كما في الصحيح عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: (**بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك فأخذه فشكر الله له فغفر له**) [١]، يقول شيخ الإسلام - معلقاً على هذا الحديث -: «... هذا الذي نحى غصن الشوك عن الطريق، فعله إذ ذاك بإيمان خالص، وإخلاص قائم بقلبه فغفر له بذلك، فإن الإيمان يتفاضل بتفاضل ما في القلوب من الإيمان والإخلاص» [٢].

والإخلاص مانع من الوقوع في السوء والفحشاء [٣]، قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾[٤]، ولا يقبل من الأعمال إلا ما توفر فيه الإخلاص ،وهي التي يتحقق بها المحو والتكفير عن السيئات[٥].

والإخلاص يحتاج العبد لتحقيقه مجاهدة ومحاسبة مستمرة للنفس، لأنه من أشق الأمور على النفوس وأعزها، لذا حرص العلماء الأفذاذ على مجاهدة النفس في تحصيله ودفع ما يعارضه، وقد أثر عن سفيان الثوري قوله: «ما عالجت شيئاً عليّ أشد من نيتي، إنها تتقلب علي» [٦].

قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[٧]، والآية عامة في كل من كانت له نية غير خالصة لله تعالى سواء كان معه أصل الإيمان أم لا [٨].

---

(١) رواه البخاري، رقم: ٢٣٤٠، (٢/ ٨٧٤)، ومسلم، رقم: ١٩١٤، (٣/ ١٥٢١) بأطول منه.
(٢) منهاج السنة، لابن تيمية (٦/ ٢٢١).
(٣) انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٨/ ٢٢٢)، تهذيب مدارج السالكين (١/ ٥١٦).
(٤) سورة يوسف، الآية: ٢٤.
(٥) انظر: منهاج السنة، لابن تيمية (٦/ ٢١٨)، وفتح الباري، لابن حجر (١/ ٢٦١).
(٦) المجموع، للنووي (١/ ٢٩).
(٧) سورة هود، الآية: ١٥.
(٨) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٩/ ١٥).

وفي الحديث عن أبي موسى الأشعري – ﷺ – أن رسول الله ﷺ سئل عن الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل ليذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ فقال: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله) [١] .

ومن علامات المخلص أنه لا يبالي بمدح الخلق ولا ذمهم فالأمر سواء، وهمه منصرف على إصلاح قلبه مع الله .

ومنها إخفاء العمل، فلا يحب المخلص أن يطلع الناس على مثاقيل الذر من عمله، وقد أثر عن الشافعي – رحمه الله – قوله: «وددت أن الخلق تعلموا هذا العلم على ألا ينسب إليَّ منه حرف» أ. هـ [٢] ، ومنها أن عملهم لله، وهدفهم رضاه، فغاية أعمالهم وأقوالهم نشر الدين ورفعته وسموه دون نظر إلى حظوظ أنفسهم، فمثلاً عند المحاورة همهم ظهور الحق لا غلبة الخصم .

ومن أقوال الشافعي – رحمه الله – في هذا الشأن: «ما ناظرت أحداً قط على الغلبة، وددت إذا ناظرت أحداً أن يظهر الحق على يديه» أ. هـ [٣] .

ومنها: اتهام أنفسهم في الإخلاص، فلا يرون في إخلاصهم إخلاصاً، ولهذا لا يطلبون عليه العوض، بل يرون عظم المنة والتقصير عن الشكر، فجمعوا إحساناً في مخافة مع سوء ظن بالنفس، وهذه مرتبة المُخلَّص [٤] ، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴾ [٥] .

روى الترمذي عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾، قالت عائشة أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون، قال: (لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون

---

(١) رواه البخاري، رقم: ٢٩٥٨، (٣/ ١١٣٧)، ومسلم، رقم: ١٩٠٤، (٣/ ١٥١٢) .
(٢) مقاصد المكلفين د/ عمر الأشقر ص ٤٧٣، الإخلاص، د/ عبدالعزيز بن عبداللطيف .
(٣) المرجع السابق، الصفحة نفسها .
(٤) انظر: تهذيب مدارج السالكين (١/ ٥١٦-٥١٩) .
(٥) سورة المؤمنون، الآية: ٦٠ .

ويتصدقون وهم يخافون ألا يقبل منهم، أولئك الذين يسارعون في الخيرات) [١] .

ومما ينافي الإخلاص الرياء وهو مصدر راءى يرائي مراءاة، ورياء، وهو أن يري الناس أنه يعمل عملاً على صفة، وهو يضمر في قلبه صفة أخرى [٢] ، وهو الشهوة الخفية، وهي محبة إطلاع الناس على العمل [٣] .

وقال القرطبي – رحمه الله – : «حقيقة الرياء طلب ما في الدنيا بالعبادة، وأصله طلب المنزلة في قلوب الناس» أ. هـ [٤] ، وعرفه ابن حجر بأنه: «إظهار الخير لقصد الشهرة مع إبطان غيره» [٥] ، وعرفه الصنعاني بقوله: «الرياء أن يفعل الطاعة، ويترك المعصية، مع ملاحظة غير الله، أو يخبر بها، أو يحب أن يطلع عليها لمقصد دنيوي، من مال أو نحوه» [٦] .

وجميع هذه التعاريف مترادفة يجمعها ميل القلب لغير الله في التوجه بالعبادة، والرياء يكون بالعلم وبالعبادة وبالصدقة وغيرهما .

كما جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة – ﷺ – قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**إن أول الناس يقضي يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمته فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال هو جريء فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى أُلقي في النار، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمته فعرفها، قال: فما فعلت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت ليقال عالم، وقرأت ليقال هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى أُلقي في النار،**

---

(١) الترمذي، رقم: ٣١٧٥، وابن ماجه، رقم: ٤١٩٨، وأحمد في المسند (٦/ ١٥٩)، (٦/ ٢٠٥)، والحاكم في المستدرك، رقم: ٣٤٨٦، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» أ. هـ.

(٢) انظر: لسان العرب، لابن منظور (١٤/ ٢٩٦)، الفائق في غريب الحديث (٤/ ١١).

(٣) لسان العرب (١٤/ ٤٤٥)، غريب الحديث لابن سلام (٤/ ١٧٠)، غريب الحديث لابن الجوزي (١/ ٥٧٠).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٢١٢).

(٥) فتح الباري، لابن حجر (١/ ١٢٦).

(٦) سبل السلام، للصنعاني (٤/ ١٨٤).

ورجل وسَّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كلّه فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما علمت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار) [(١)] .

وفي الحديث بيان تحريم الرياء والتغليظ في تحريمه وشدة عقوبته، فهؤلاء الثلاثة بذلوا دماءهم وأموالهم وأعمارهم في عبادات، لم تنفعهم مع شدتها على النفس، ولكنهم لم يطلبوا بها وجه الله، وإنما أرادوا المدح والشهرة فصارت عذاباً لهم والعياذ بالله[(٢)] .

ولهذا اشتد خوف النبي ﷺ على أمته من الرياء، ففي حديث أبي سعيد الخدري قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتذاكر الدجال، فقال: (ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟) فقلنا: بلى يا رسول الله، قال: (الشرك الخفي، أن يقوم الرجل يصلي فيزين صلاته، لما يرى من نظر رجل) [(٣)] .

وينبغي على العبد أن يستمر في العمل ويزيد فيه كلما أحس بخاطر الرياء ولا يلتفت إلى وساوس الشيطان ومكايده، لأن إبليس إن خفر منه بالجدال والوقوف سيستمر معه إلى ما هو أشد من ذلك، وهو إيقاعه في مراءاة الناس ومراقبتهم، لذلك على العبد أن يحدث عملاً صالحاً كلما وسوس له إبليس بالرياء ويضاعف العمل.

ويعلم أن مدح الناس وثناءهم لا يفيده شيئاً، كذلك مذمتهم فيراقب الله تعالى وحده بالعمل، ويجعل نصب عينيه لحظة الوقوف أمام الله، وأن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً صواباً [(٤)] .

ومن الرياء السمعة، وهو العمل لأجل سماع الناس، فالرياء يتعلق بحاسة

---

(١) مسلم في كتاب «الجهاد»، رقم: ١٩٠٥، (٣/ ١٥١٣)، والنسائي، رقم: ٣١٣٧، (٦/ ٢٣-٢٤).

(٢) انظر: شرح مسلم للنووي (١٣/ ٥١).

(٣) ابن ماجه، رقم: ٤٢٠٤، وأحمد في مسنده رقم: ١١٢٧٠ (٣/ ٣٠) بنحوه، والحاكم في المستدرك رقم: ٧٩٣٦ (٤/ ٣٦٥) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.

(٤) انظر: إحياء علوم الدين، ١٨٩٦، ووقاية الإنسان من الجان، ص ٢٢٦-٢٢٧.

البصر، والسمعة بحاسة السمع، وقيل: السمعة هو التحديث بالطاعات التي لم يرها الناس، والرياء فعلها أمامهم (١) .

وهناك فرق آخر وهو أن التسميع يكون بعد الفراغ من العمل، بخلاف الرياء الذي يكون مقارناً للعمل (٢) .

والرياء ينقسم باعتبار إبطال العبادة إلى قسمين:

الأول: أن يكون الدافع للعبادة، والمحرض عليها، فيكون في أصلها، فهذا لا ينفع صاحبه، بل عمله مردود عليه(*) ، وفي الحديث (أنا أغنى الشركاء عن الشرك من

---

(١) انظر: فتح الباري، لابن حجر (١١/ ٣٣٦)، قواعد الأحكام، للعز بن عبدالسلام (١/ ١٤٧).

(٢) انظر: قواعد الأحكام (١/ ١٤٦)، مقاصد المكلفين، د/ عمر الأشقر، ص ٤٣٧ .

(*) ولا يدخل في ذلك مسألة التشريك في العبادة، حيث فصل العلماء فيها ، فإن كان التشريك بعبادة أخرى كمن يصوم ليحصن فرجه ويغض طرفه، أو يصلي لأجل ترك الخوض بالباطل، فهذا لا خلاف في صحة عبادته، وفعله ذلك لا يؤثر على الإخلاص ولا يعد رياءً، وإن كان العمل الخالص لله تعالى الذي لا يشركه فيه شيء أفضل وأعلى.
أما إن كان التشريك بأمر مباح كمن يجاهد في سبيل الله ويريد الغنيمة تبعاً، أو يدخل في الصلاة ليترك خطاب من لا يريده، أو يصوم ليخفف من الطعام، فهذا محل خلاف بين العلماء منهم من أجازه، ومنهم من منعه.
قال ابن دقيق العيد تعليقاً على الحديث الذي رواه مسلم عن الزهري، قال: بلغني عن ابن عمر قال: (نفل رسول الله ﷺ سرية بعثها قبل نجد من إبل جاءوا بها نفلاً سوى نصيبهم من المغنم) - «وللحديث تعلق بمسائل الإخلاص في الأعمال، وهو موضع دقيق المأخذ ووجه تعلقه به أن التنفيل يقع للترغيب في زيادة العمل والمخاطرة في الجهاد، ولكن لم يضرهم ذلك قطعاً لكونه صدر لهم من النبي ﷺ، فيدل على أن بعض المقاصد الخارجة عن محض التعبد لا تقدح في الإخلاص، لكن ضبط قانونها وتمييزها مما تضر مداخلته مشكل جداً»ا. هـ، نقله ابن حجر في الفتح (٦/ ٢٩٦)، وانظر: فتح الباري (٩/ ١١٢)، سبل السلام، للصنعاني (٣/ ١١٠).
قال الشيخ عبدالله بن سليمان بن محمد بن عبدالوهاب في شرح كتاب التوحيد بعد ذكر الخلاف في هذه المسألة «هذا يدل على الفرق بين ما كانت نية الدنيا مخالطة له من أول مرة بحيث تكون هي الباعث له على العمل أو من جملة ما يبعث عليه كالذي يلتمس الأجر والذكر فهذا الأجر له. وبين ما كانت النية خالصة لله من أول مرة ثم عرض له أمر من الدنيا لا يبالي به سواء حصل له أو لم يحصل كالذي أجمع على الغزو سواء أعطى أو لم يعط فهذا لا يضره ونحوه التجارة في الحج كما قال تعالى: (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم) ..» ا.هـ، ص٤٦٩ .
جامع البيان لابن جرير (١٢/ ١٢) (١٢/ ١١)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/ ١٤).

عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه).

الثاني: يكون الدافع للعبادة، بل طارئاً عليها مع قيامها في الأصل على الإخلاص فهنا له حالتان.

الأولى: أن يجاهده ويدافعه فهذا لا يضره.

الثانية: أن يسترسل معه ويغلب عليه فهنا يكون لدفعه حالتان أيضاً:

الأولى: أن تكون العبادة متصلة بآخرها، أي بمعنى أن يكون أولها مبنياً على آخرها كالصلاة مثلاً. فهنا تبطل العبادة لغلبة الرياء عليها.

الثانية أن تكون منفصلة، أي أن أولها منفصل عن آخرها كالصدقة مثلاً، وصيام أيام متعددة.

فهنا يكون الأول صحيحاً مقبولاً، والآخر الذي خالطه الرياء مردوداً [(١)].

ومن مكايد الشيطان للعبد في شأن الرياء، إنه يخوفه من الرياء حتى يترك العمل مخافة الوقوع في الرياء، وهذا من مكايده الخفية، لذا يقول إبراهيم النخعي – رحمه الله – «إذا أتاك الشيطان وأنت في صلاة، فقال: إنك مراءٍ فزدها طولاً» أ. هـ [(٢)].

وقال الفضيل بن عياض – رحمه الله – : «ترك العمل لأجل الناس رياء والعمل لأجل الناس شرك» [(٣)]، قال النووي – رحمه الله – معلقاً على قول الفضيل: «ومعنى كلامه – رحمه الله – أن من عزم على عبادة وتركها مخافة أن يراه الناس فهو مراء، لأنه ترك العمل لأجل الناس، أما لو تركها ليصليها في الخلوة فهذا مستحب إلا أن تكون

---

(١) انظر: فتح الباري، لابن حجر (١/ ١٨)، وحاشية الطحاوي على مراقي الفلاح، ص ١٤٥، لأحمد بن إسماعيل الطحاوي الحنفي، شرح كتاب التوحيد للشيخ عبدالله بن سليمان، ص٤٦٨-٤٧٠، القول المفيد لشرح كتاب التوحيد، لابن عثيمين (١/ ١١٤-١١٦).

(٢) مختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة، ص ٢٥٠، نشر دار الكتاب العربي.

(٣) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٢٣/ ١٧٤).

فريضة أو زكاة واجبة أو يكون عالماً يقتدى به فالجهر بالعبادة في ذلك أفضل . . .»[١] .

وقال شيخ الإسلام – رحمه الله – : «ومن كان له ورد مشروع من صلاة الضحى أو قيام ليل أو غير ذلك ، فإنه يصليه حيث كان ، ولا ينبغي له أن يدع ورده المشروع لأجل كونه بين الناس إذا علم الله من قلبه أنه يفعله سراً لله مع اجتهاده في سلامته من الرياء ومفسدات الإخلاص . . .» ، إلى أن قال: «ومن نهي عن أمر مشروع بمجرد زعمه أن ذلك رياء فنهيه مردود عليه من وجوه:

أحدها: أن الأعمال المشروعة لا ينهى عنها خوفاً من الرياء بل يؤمر بها ، وبالإخلاص فيها .

الثانية: أن الإنكار إنما يقع على ما أنكرته الشريعة وقد قال رسول الله ﷺ : (إني لم أؤمر أن أنقب قلوب الناس ولا أشق بطونهم)[٢] .

الثالثة: إن تسويغ مثل هذا يفضي إلى أن أهل الشرك والفساد ينكرون على أهل الخير والدين إذا رأوا من يظهر أمراً مشروعاً قالوا: هذا مراءٍ ، فيترك أهل الصدق إظهار الأمور المشروعة حذراً من لمزهم فيتعطل الخير .

الرابعة: إن هذا من شعائر المنافقين ، وهو الطعن على من يظهر الأعمال المشروعة ، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[٣] . . .»[٤] .

ويقول المقدسي – رحمه الله – : «قد يبيت الرجل مع المتهجدين ، فيصلون أكثر الليل ، وعادته قيام ساعة ، فيوافقهم ، أو يصومون فيصوم ، ولولاهم ما انبعث هذا

---

(١) شرح الأربعين ، للنووي ، ص ١١ .

(٢) رواه البخاري ، رقم: ٤٠٩٤ ، (٤/ ١٥٨١) ، ومسلم ، رقم: ١٠٦٤ ، (٢/ ٧٤٢) .

(٣) سورة التوبة ، الآية: ٧٩ .

(٤) مجموع الفتاوى ، لابن تيمية (٢٣/ ١٧٤-١٧٦) باختصار .

النشاط ، فربما ظن ظان أن هذا رياء ، وليس كذلك على الإطلاق ، بل فيه تفصيل ، وهو أن كل مؤمن يرغب في عبادة الله تعالى ، ولكن تعوقه العوائق ، وتستهويه الغفلة ، فربما كانت مشاهدة الغير سبباً لزوال الغفلة واندفاع العوائق . . . وقد يعسر عليه الصوم في منزله لكثرة المطاعم ، بخلاف غيره ، ففي مثل هذه الأحوال يتندب الشيطان للصد عن الطاعة ، ويقول: إذا عملت غير عادتك كنت مرائياً ، فلا ينبغي أن يلتفت إليه ، وإنما ينبغي أن ينظر إلى قصده الباطن ، ولا يلتفت إلى وسواس الشيطان ، ويختبر أمره بأن يمثل القوم في مكان يراهم ولا يرونه ، فإن رأى نفسه تسخو بالتعبد فهو لله ، وإن لم تسخ كان سخاؤها عندهم رياء وقس على هذا» أ. هـ [(١)] .

وما ذكره المقدسي – رحمه الله – هنا يصلح أن تكون قاعدة يجعلها الإنسان بينه وبين نفسه ، فيختبر قلبه في كل عمل يقدم عليه ما الدافع إليه؟

ومتى لم يكن وجود العبادة كعدمها في كل ما يتعلق بالخلق لم يكن خالياً عن شوب خفي من الرياء [(٢)] .

وينبغي للإنسان ألا ييأس من حصول الإخلاص بل يجاهد آفات الرياء ودوافعه حتى يستقيم له قلبه ، وتصفو له نيته ، وهذا كان شأن السلف في مجاهدة القلب لحصول الإخلاص ، يقول سفيان الثوري – رحمه الله – مع غزارة علمه وجلالته ، ما عالجت شيئاً أشد عليّ من نيتي إنها تتقلب عليَّ .

ومما ينافي الإخلاص ، العجب وهو «عبارة عن تصور استحقاق الشخص رتبة لا يكون مستحقاً لها ، وتغير النفس بما خفي سببه وخرج عن العادة مثله» [(٣)] .

وهو قرين الرياء ، وفرق بينهما شيخ الإسلام ابن تيمية ، فقال: «الرياء من باب الإشراك بالخلق والعجب من باب الإشراك بالنفس»[(٤)] . ولكسر العجب على المرء أن

---

(١) مختصر منهاج القاصدين ، ص ٢٥٠ ، نشر: دار الكتاب العربي .
(٢) انظر: القول المفيد ، لابن عثيمين (١/ ١١٦) .
(٣) التعريفات ، للجرجاني ، ص ١٩٠ ، والتوقيف على مهمات التعاريف ، ص ٥٠٣ .
(٤) مجموع الفتاوى ، لابن تيمية (١٠/ ٢٧٧) .

ينظر لأربعة أمور:

الأول: توفيق الله تعالى لـه على القيام بهذا العمل ، وهذا يدعوه إلى الشكر .

الثاني: أن يقارن ذلك بنعم الله تعالى عليه ، مما يجعله مشتغلاً بها محتقراً لعمله .

الثالث: أن يخشى عدم القبول لهذا العمل ، فيزداد خوفه ووجله وبالتالي لن يرى هذا العمل ، والله تعالى إنما يتقبل من المتقين ، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [(١)] .

الرابع: أن يتذكر ذنوبه ومعاصيه ، فيخشى أن يؤخذ بها ، أو ترجح بكف الحسنات .

وإذا وقف على هذه الوقفات الأربع زال العجب من القلب بتوفيق الله [(٢)] .

ومما ينافي الإخلاص حب الجاه والشهوة ، والجاه يعني طلب المنزلة والقدر [(٣)] ، وهو الداء الدفين ، والشهرة الخفية التي «يعجز عن الوقوف على غوائلها كبار العلماء فضلاً عن عامة العباد ، وإنما يبتلى بها العلماء والعباد المشمرون عن ساق الجد لسلوك سبيل الآخرة ، فإنهم لما قهروا نفوسهم وفطموها عن الشهوات . . . فاستراحت إلى التظاهر بالعلم والعمل ، ووجدت مخلصاً من شدة المجاهدة في لذة القبول عند الخلق ، ونظرهم إليه بعين الوقار والتعظيم» [(٤)] .

والشهرة تعني ظهور الشيء ووضوحه ، وانتشاره بين الناس ، وهي من شهرت الأمر فاشْتَهر واشْتَهرْتُه . . وشهَّرته [(٥)] أيضاً تشهيراً وشهيراً وشهر سيفه من باب قطع أي سلَّه ومعناها الانتشار ،وقد كان الصحابة والسلف يذمونها ويفرون منها .

عن عامر بن سعد قال: كان سعد بن أبي وقاص - ﷺ - في إبله فجاءه ابنه عمر ، فلما رآه سعد قال: أعوذ بالله من شر هذا الراكب ، فنزل فقال لـه: أنزلت في إبلك

---

(١) سورة المائدة ، الآية: ٢٧ .

(٢) انظر: تنبيه الغافلين ، أبو الليث السمر قندي ، ص ٢٥٢ ، ط . دار الفكر .

(٣) لسان العرب (١٣/ ٤٨٧) ، القاموس المحيط ، ص ١٦٠٧) ، مختار الصحاح (١/ ١٧٣٦) .

(٤) مختصر منهاج القاصدين ، ص ٢٣٣ .

(٥) مختار الصحاح (١/ ١٤٧) ، المصباح المنير (١/ ٣٢٥) ، غريب ألفاظ التنبيه (١/ ٤٤) ، غريب الحديث للحربي (٢/ ٨٤٦) ، النهاية في غريب الحديث (٢/ ٥١٥) ، الفائق في غريب الحديث (٢/ ٢٧٠) .

وغنمك وتركت الناس يتنازعون الملك بينهم؟ فضرب سعد في صدره، فقال: اسكت، سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي).

فأما إذا جاءت الشهرة والمدح من غير طلبها ولا حرصاً عليها فلا يذم عليها [(١)]، كما في حديث مسلم عن أبي ذر قال: قيل لرسول الله ﷺ أرأيت الرجل يعمل من الخير ويحمده الناس عليه، قال: (تلك عاجل بشرى المؤمن) [(٢)].

قال النووي - رحمه الله -: «قال العلماء معناه هذه البشرى المعجلة له بالخير، وهي دليل على رضاء الله تعالى عنه ومحبته له فيحببه إلى الخلق... هذا كله إذا حمده الناس من غير تعرض منه لحمدهم وإلا فالتعرض مذموم»أ. هـ [(٣)].

قال ابن قدامة المقدسي - رحمه الله -: «أن يكون قصده إخفاء الطاعة والإخلاص لله، ولكن لما اطلع عليه الخلق علم أن الله تعالى أطلعهم وأظهر لهم الجميل من أحواله، فيسر بحسن صنع الله ونظره له ولطفه به، حيث كان يستر الطاعة والمعصية، فأظهر الله سبحانه عليه الطاعة، وستر عليه المعصية... فيكون فرحه بذلك، لا بحمد الناس وقيام المنزلة في قلوبهم» [(٤)].

وللمؤمن الصادق المخلص نوعان من البشائر:

الأولى: المدح والثناء من المؤمنين، وهناك بشرى ثانية وهي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له [(٥)]، كما في الصحيح عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**لم يبق من النبوة إلا المبشرات، قال: الرؤيا الصالحة**)[(٦)].

---

(١) انظر: مختصر منهاج القاصدين، ص ٢٣٥، مجموع الفتاوى (١٨/ ١٦٢).

(٢) رواه مسلم في كتاب «البر والصلة والآداب»، رقم: ٢٦٤٢، (٤/ ٢٠٣٤).

(٣) شرح مسلم، للنووي (١٦/ ١٨٩)، وقد بوب - رحمه الله - على الباب بقوله: «باب إذا أثني على الصالح فهي بشرى ولا تضره».

(٤) مختصر منهاج القاصدين، ص ٢٤٥.

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ٨).

(٦) رواه البخاري، رقم: ٦٥٨٩، ومسلم، رقم: ٤٧٩، (١/ ٣٤٨).

الفصل الثالث

الاستعاذة والاستعانة بالله

الاستعاذة : وقد جاء الأمر بالاستعاذة من الشيطان الرجيم في قوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾(١) .

وقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾(٣) .

وهي دأب الصالحين في كل ما يعرض لهم من أمور ينكروها ، ففي قصة مريم – عليها السلام – تقول أمها حين ولادتها كما في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾(٤) .

جاء مريم الملك وأنكرته قالت كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ ﴾(٥) .

وأمر بها النبي ﷺ في ثلاثة مواضع من كتاب الله والأمر له أمر لأمته، وقوله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٠ .

(٢) سورة النحل، الآيات: ٩٨-١٠٠ .

(٣) سورة فصلت، الآية: ٣٦ .

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٣٦ .

(٥) سورة مريم، الآية: ١٨ .

تَحْضُرُونِ ﴾[(١)]، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾[(٢)] .

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ۝ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾[(٣)] .

والاستعاذة في اللغة أصلها (عوذ) عاذ يعوذ عوذاً وعياذاً ومعاذاً، ومعناها اللجوء والاعتصام واللوذ[(٤)]، والعوذ من اللحم: أجود وأطيب اللحم، وهو ما عاذ بالعظم، أي لزمه وناقة عائذ، إذا عاذ بها ولدها، وهي التي تضع لسبع، لشدة تعلق ولدها بها، ويقال عاذت بولدها: إذا أقامت معه ولزمته لصغر لسنه، ومُعَوَّذ الفرس: موضع القلادة منه[(٥)]، والمعيذ بمعنى الجار والمجير، وبمعنى الساتر[(٦)] .

ومن المعنى اللغوي نستدل على معناها الشرعي، فحقيقة معناها: «الهروب من شيء تخافه إلى من يعصمك منه، ولهذا يسمى المستعاذ به: معاذاً، كما يسمى ملجأ ووزراً»[(٧)] .

فمعنى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أي استجير بجناب الله من الشيطان الرجيم أن يضرني في ديني أو دنياي أو يصدني عن فعل ما أمرت به، أو ارتكاب ما نهيت عنه، فالعائذ بغيره، مستجيراً به . . . معتمداً عليه، وهي استغاثة ولجوء واعتصام بالله من شر هذا العدو الباطني الذي لا يعصم من كيده إلا الله، ولا ينفع معه جميل ولا إحسان،

(١) سورة المؤمنون، الآيتان: ٩٧-٩٨ .
(٢) سورة الفلق، الآيات: ١-٥ .
(٣) سورة الناس، الآيات: ١-٦ .
(٤) انظر: لسان العرب(٣/ ٤٩٨)، مختار الصحاح (١/ ١٩٣)، النهاية في غريب الحديث (٤/ ٢٧٦) .
(٥) انظر: لسان العرب (٣/ ٥٠٠)، (١١/ ٢٤٢) .
(٦) انظر: لسان العرب (٤/ ١٥٥)، النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير (٤/ ٢٧٦) .
(٧) تفسير المعوذتين، لابن القيم، ص ١٦، وانظر: إغاثة اللهفان (١/ ٧٣-٧٤) .

بخلاف شيطان الإنس الذي تدفع إساءته بالإحسان إليه [١] .

يقول ابن كثير – رحمه الله – : «الاستعاذة هي الالتجاء إلى الله تعالى ، والالتصاق بجانبه من كل ذي شر ومعنى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، أي أستجير بجناب الله من الشيطان الرجيم . . . . إلخ»[٢] .

وهذه المعاني الظاهرة يستلزم لتحقيقها أن يقوم بالقلب معناها أبلغ قيام ، فيكف القلب منطرحاً بين يدي ربه ، مفتقراً إليه ، متذللاً له ، هارباً إليه وحده ، منقطعاً إليه ، قد قامت به كل معاني المحبة والخشية والإجلال والمهابة . . . فهنا تكون استعاذة اللسان متواطئة مع استعاذة القلب مكملة لها ، فأنى لشيطان مهما تمرد أن يصل لعبد تحققت فيه هذه المعاني [٣] .

وللاستعاذة بالله ثلاثة أصول وهي:

الأول: مستعيذ . **الثاني:** مستعاذ به . **الثالث:** مستعاذ منه [٤] .

فأما الأول: وهو المستعيذ ، فالمقصود به العبد الذليل الفقير الذي لا حول له ولا قوة ، ولا دفع لما حوله من الشرور إلا بإعانة الله تعالى له وتوفيقه .

وأما الثاني: وهو المستعاذ به ، وهو الله جل جلاله الخالق القادر العظيم ، فكل من استعاذ بغيره خذله ذلك المستعاذ ، وتخلى عنه ، فلا مغيث ولا معيذ حقيقة إلا هو سبحانه .

وفي سورة الناس يقول تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ ﴾[٥] ، والمتأمل لهذه الاستعاذة يلاحظ أن الله تعالى ذكر فيها ثلاثاً من صفاته

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ١٦ ، (٢/ ٢٧٩) ، مجموع الفتاوى (٧/ ٢٨٣) .

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ١٦) ، وانظر: الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي (١/ ٨٩) .

(٣) انظر: تفسير المعوذتين ، لابن القيم ١٧-١٨ .

(٤) انظر: المرجع السابق ، ص ١٥-١٦ .

(٥) سورة الناس ، الآيات: ١-٣ .

وهي كونه:

١ - ربًا . ٢ - ملكاً . ٣ - إلهاً .

فأما الاستعاذة الأولى فهي إضافة لربوبيته ، فهو خالق المخلوقات ، ومدبر شئونهم وجالب مصالحهم ، وله القدرة التامة عليهم ، وهو عليم بهم وبأحوالهم ، وكاشف لكرباتهم . وأما الاستعاذة الثانية فهي مضافة لملكه تعالى ، فهو الملك الحق ، الذي تصرف له الاستعاذة والاستغاثة ، ليس لأحد معه قدرة ولا سلطان ، وأما الاستعاذة الثالثة فهي مضافة للألوهية فهو الإله الحق المعبود ، فمن كان رباً ومالكاً كيف يعبد غيره؟ ، وكيف يستعاذ بغيره ممن لا حول لهم ولا قوة؟! وكيف يستغاث بمن هم في ملكه وتحت تصرفه وتدبيره .

فقدم الاستعاذة بالربوبية بعمومها وأخر الاستعاذة بالألوهية لخصوصها (١) .

وأما الثالث وهو المستعاذ منه ، وهو عموم الشرور ، وفي مقدمتها شر الشيطان وحزبه ، وفي سورة الفلق والناس أبلغ بيان وأوجزه لما ينبغي أن يستعاذ منه ويشمل:

١- **شر الجن والشياطين**، فما من عبد إلا وقد وكل به قرين من الجن يزيّن له المعاصي والفواحش ، ولا يألوه جهداً ، ولهذا كان رسول الله ﷺ يكثر من الاستعاذة من الشيطان ، ولشدة شره كان – عليه الصلاة والسلام – يستعيذ بالله من تسلط الشياطين عليه من جميع الجهات ، كما في الحديث عن ابن عمر يقول لم يكن رسول الله ﷺ يدع هؤلاء الدعوات حين يمسى وحين يصبح (اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة ، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي ، اللهم استر عوراتي

---

(١) انظر: تفسير المعوذتين ، ص ٩٣ ، ص ٩٥ ، تفسير ابن كثير (٧/ ٤٢٢) .

* وفي الاستعاذة بصفات الله ، وبكلمات الله التامات رد على الجهمية وسائر المعطلة الذين قالوا: أن صفات الله مخلوقة ، إذ لو كانت مخلوقة لم تجز الاستعاذة بها لأنه لا يستعاذ بمخلوق ، انظر: خلق أفعال العباد ، للبخاري ، ص ٩٦ ، التمهيد ، لابن عبدالبر (٢٤/ ١٨٦) ، تفسير المعوذتين ، لابن القيم ، ص ٢١-٢٢ ، شرح كتاب التوحيد ، لسليمان آل الشيخ ، ص ١٧٨ ،

وآمن روعاتي، اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي) [١] .

وكان ﷺ يستعيذ بقوله: (اللهم إني أعوذ بك من الشيطان من همزه ونفخه ونفثه) [٢] ، وهمزه: الموتة، ونفخه: الكبر، ونفثه: الشعر.

٢- **ومن شر شياطين الإنس**، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [٣] .

وثبت في حديث أبي ذر - رضي الله عنه - قال: «أتيت رسول الله ﷺ وهو في المسجد فجلست فقال: (يا أبا ذر هل صليت؟ قلت: لا، قال: قم فصل، قال: فقمت فصليت ثم جلست فقال: يا أبا ذر تعوذ بالله من شر شياطين الإنس والجن، قال: فقلت: يا رسول الله وللإنس شياطين؟ قال: نعم...)[٤]، وفي رواية: (قال نعم شر من شياطين الجن)[٥].

وقال بعض السلف: «شياطين الإنس أشد من شياطين الجن، شيطان الجن يوسوس ولا تراه، وهذا يعاينك معاينة» أ. هـ.

---

(١) رواه أبو داود، رقم: ٥٠٧٤، وابن ماجه، رقم: ٣٨٧١، والحاكم في المستدرك، رقم: ١٩٠٢، (١/ ٦٩٨)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» أ. هـ، ووافقه الذهبي، وابن حبان في صحيحه، رقم: ٩٦١، (٣/ ٢٤١)، والإمام أحمد في المسند، رقم: ٤٧٨٥، (٢/ ٢٥).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١١٢.

(٤) رواه أحمد في المسند، رقم: ٢١٥٨٦، (٥/ ١٧٨)، والنسائي، رقم: ٥٥٠٧، والطبراني في المعجم الكبير، رقم: ٧٨٧١، (٨/ ٢١٧)، والبيهقي في السنن الكبرى، رقم: ٧٩٤٤، (٤/ ٤٦١)، وذكره السيوطي في الدرر المنثور (٣/ ٣٤٢)، ونسبة للإمام أحمد وابن مردوية والبيهقي في الشعب. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١١٥)، «وفيه علي بن يزيد وفيه كلام»، وقال ابن كثير بعد ذكر طرقه: «فهذه طرق لهذا الحديث ومجموعها يفيد قوته وصحته والله أعلم» أ. هـ، (٢/ ١٦٧).

(٥) رواه ابن جرير في تفسيره (٨/ ٥).

وقد أنكر بعض العلماء أن يكون في الإنس شياطين، روي عن السدي وعكرمة – رحمهما الله – فقالوا: المراد بشياطين الإنس المذكورة في الآية السابقة، أي الشياطين التي تضل الإنس، والشياطين التي تضل الجن شياطين الجن يوحون إلى شياطين الإنس، وشياطين الإنس توحي إلى شياطين الجن، كل يخبر الآخر بما تفنن فيه من وسائل الإضلال والتزيين والإيذاء بالقول والفعل [(١)]، وهو قول بعيد عن مفهوم الآية، وليس عليه دليل، بل دل حديث أبي ذر على خلافه، قال ابن جرير – رحمه الله – : «وليس لهذا التأويل وجه مفهوم، لأن الله جعل إبليس وولده أعداء ابن آدم . . . وقد خصَّ الله في هذه الآية الأنبياء، أنه جعل لهم من الشياطين أعداء، فلو كان معنياً بذلك الشياطين الذين ذكرهم السدي الذين هم ولد إبليس، لم يكن لخصوص الأنبياء بالخبر عنهم وجه»[(٢)].

وقال ابن كثير – رحمه الله – : «فالصحيح ما تقدم من حديث أبي ذر إن للإنس شياطين منهم وشيطان كل شيء ما رده»أ. هـ[(٣)].

وفسر مجاهد – رحمه الله – شياطين الإنس، أي كفار الإنس، فقال: «كفار الجن شياطين يوحون إلى شياطين الإنس كفار الإنس»أ. هـ[(٤)]، وقال ابن جرير: «شياطين الإنس والجن مردتهم»[(٥)].

٣- ومن شر النفس ووساوسها، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ﴾[(٦)].

والوسواس يكون، فالنفس فيها شر عظيم، وقد أمر العبد بالاستعاذة من شرها،

(١) انظر: جامع البيان، لابن جرير (٨/ ٤).
(٢) المرجع السابق، الجزء والصفحة نفسها.
(٣) تفسير القرآن، لابن كثير (٢/ ١٦٧)، ط. دار الفكر.
(٤) رواه ابن جرير في تفسيره (٨/ ٤)، وانظر: تفسير ابن كثير (٢/ ١٦٧).
(٥) جامع البيان (٨/ ٣).
(٦) سورة ق، الآية: ١٦.

كما في الحديث: (. . . ونعوذ بالله من شرور أنفسنا . . .) الحديث، وفي الحديث عن أبي بكر الصديق - ﷺ - قال: يا رسول الله مرني بشيء أقوله إذا أصبحت، وإذا أمسيت، قال: (قل اللهم عالم الغيب والشهادة فاطر السموات والأرض رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسي ومن شر الشيطان وشركه، قال: قله إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعك) (١)، وفي الاستعاذة من شر النفس يحتمل أمران:

الأول: نستعيذ بالله أن يصدر منها شر .

الثاني: نستعيذ بالله أن يصيبنا شرها .

وشرك الشيطان: «ما يدعو إليه ويوسوس به من الإشراك بالله تعالى» (٢)، وقيل: المراد حبائله ومصائده (٣) .

وقد أمر الله العبد بتزكية نفسه وتطهيرها بترك السيئات وفعل المأمورات (٤)، قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝ ﴾(٥) .

والنفس الإنسانية مصدر للوسواس فالوسواس له ثلاثة مصادر:

١ - شياطين الجن . ٢ - شياطين الإنس . ٣ - نفس الإنسان .

والوسواس مبدأ كل شر وأصل كل شر (٦) .

٤- من شر السحرة والساحرات (٧)، وهم المقصودون في قوله تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ

---

(١) رواه الترمذي، رقم: ٣٣٨٩، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»أ. هـ، وأبو داود رقم: ٥٠٦٧، والحاكم في المستدرك، رقم: ١٨٩٢، (١/ ٦٩٤)، وصححه الألباني في الصحيحة، برقم: ٢٧٥٣ .

(٢) النهاية في غريب الحديث (٢/ ٤٦٧) .

(٣) المرجع السابق .

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ٦٢٥٩)، (١٦/ ١٩٨) .

(٥) سورة الشمس، الآيتان: ٩-١٠ .

(٦) انظر: مجموع الفتاوى (١٧/ ٥١٠)، (١٧/ ٥١٥-٥١٦) .

(٧) وردت لفظ (النفاثات) في سورة الفلق بصيغة التأنيث، قيل: لكونه الذين سحروا النبي ﷺ هن =

ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ ﴾(١) .

والسحر شره عظيم ، وخطره جسيم ، فمنه ما يمرض وما يقتل ، ومنه ما يخبل ، ومنه ما يفرق بين المرء وزوجه .

وهو من إعانة الشياطين ومن أعمالهم ، وهي تقارن السحرة وتعينهم على أعمالهم الخبيثة ، مقابل عبادتهم لهم ، ولهذا شرعت الاستعاذة من شرهم ومكرهم ، وقد سبق بيان خطورة السحر وسبل الوقاية منه .

٥- من شر الحاسد : «وقد دل القرآن والسنة على أن نفس حسد الحاسد يؤذي المحسود ، فنفس حسده شر متصل بالمحسود من نفسه وعينه ، وإن لم يؤذه بيده ولا لسانه . . . فإذا خطر ذكره وقلبه انبعثت نار الحسد من قلبه إليه ، وتوجهت إليه سهام الحسد من قلبه . فيتأذى المحسود بمجرد ذلك ، فإن لم يستعذ بالله ويتحصن به ، ويكون له أوراد من الأذكار والدعوات والتوجه إلى الله والإقبال عليه . . . وإلا ناله شر الحاسد ولابد» (٢) .

= بنات لبيد بن الأعصم اليهودي ، وهو قول ضعيف لأن الثابت أن الذي سحره لبيد وليس بناته ، وقيل: المراد بالنفاثات: أي الأرواح والأنفس الخبيثة ، فهي السبب في التأثير بالسحر وسلطانه إنما يكون من خلالها ورجحه ابن القيم ، انظر: تفسير المعوذتين ، لابن القيم ، ص ٥٣-٥٤ ، زاد المسير (٧/ ٢٧٥) .

(١) سورة الفلق ، الآية: ٤ .

(٢) تفسير المعوذتين ، ص ٦٥-٦٦ .

* وقال ابن القيم – رحمه الله –: «ويندفع شر الحاسد عن المحسود بعشرة أسباب: أحدها: التعوذ بالله من شره ، والتحصن به واللجوء إليه . الثاني: تقوى الله ، وحفظه عند أمره ونهيه ، فمن اتقى الله تولى الله حفظه ، ولم يكله إلى غيره . الثالث: الصبر على عدوه ، وألا يقاتله ولا يشكوه ، ولا يحدث نفسه بأذاه أصلاً . الرابع: التوكل على الله ، فمن يتوكل على الله فهو حسبه . الخامس: فراغ القلب من الاشتغال به ، والفكر فيه ، وأن يقصد أن يمحوه من باله كلما خطر له . السادس: الإقبال على الله ، والإخلاص له ، وجعل محبته ورضاه والإنابة إليه محل خواطر نفسه ، السابع: تجريد التوبة إلى الله من الذنوب التي سلطت عليه أعداءه . الثامن: الصدقة والإحسان ما أمكنه . التاسع: إطفاء نار الحاسد والباغي والمؤذي بالإحسان إليه . العاشر: وهو الجامع كذلك كله وعليه مدار هذه الأسباب وهو تجريد التوحيد» أ . هـ ، باختصار وتصرف من كتاب تفسير المعوذتين ، لابن القيم ، ص ٧٩-٨٩ .

وقد سبق الكلام عن الإصابة بالعين ، والحاسد يكون من الإنس ومن الجن .

قال ابن القيم – رحمه الله – : «الشيطان وحزبه يحسدون المؤمنين على ما آتاهم الله من فضله ، كما حسد إبليس أبانا آدم ، وهو عدو لذريته» أ. هـ [(١)] .

ومن حسد الشيطان وشره ، إنه يعين الحاسد بدون طلب ولا استدعاء من الحاسد ، لأنه محقق لأهدافه معين له [(٢)] .

٦- **والاستعاذة من عامة الشرور**، ويشمل ذلك شر سائر المخلوقات سواء من الجن أو الإنس أو الهوام أو السباع أو الدواب أو الريح أو الصواعق أو الهواء أو النار أو الليل أو الكواكب وسائر أنواع البلاء .

وهذا يشمله قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ ﴾[(٣)] .

عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: (أخذ النبي ﷺ بيدي ، فنظر إلى القمر ، فقال: يا عائشة ، استعيذي بالله من شر هذا ، فإن هذا هو الفاسق إذا وقب) [(٤)] .

«والسبب الذي لأجله أمر الله بالاستعاذة من شر الليل وشر القمر إذا وقب ، هو أن الليل إذا أقبل فهو محل سلطان الأرواح الشريرة الخبيثة ، وفيه تنتشر الشياطين» [(٥)] .

وعن عبدالله بن عمر قال: كان رسول الله ﷺ إذا سافر فأقبل عليه الليل ، قال: (يا أرض ربي وربك الله أعوذ بالله من شرك ، وشر ما خلق وشر ما فيك ومن شر ما يدب عليك ، وأعوذ بالله من أسد وأسود ،ومن الحية والعقرب ومن ساكن البلد ومن

---

(١) تفسير المعوذتين ، ص ٧٥ .

(٢) انظر: المرجع السابق ، ص ٧٤ .

(٣) سورة الفلق ، الآيتان: ١-٢ .

(٤) رواه أحمد في المسند ، رقم: ٢٦٠٤٢ ، (٦/ ٢٣٧) ، والترمذي ، رقم: ٣٣٦٣ ، وقال: «هذا حديث حسن صحيح» ، والحاكم في المستدرك ، برقم: ٣٩٨٩ (٢/ ٥٨٩) ، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ، ووافقه الذهبي .

(٥) تفسير المعوذتين ، ص ٤٩ .

والد وما ولد) [١] .

والأساود «جمع أسود . . . وهي أخبث الحيات ، ويقال لـه أسود سالخ لأنه يسلخ جلده كل عام» [٢] ، وقيل: «حية رقيقة رقشاء دقيقة العنق عريضة الرأس عريضة الرأس وربما كانت ذات قرنين» [٣] ، (ومن ساكن البلد ووالد وما ولد): «ساكن البلد يريد به والله أعلم الجن الذين يسكنون الأرض ، ووالد وما ولد: يحتمل أن يكون إبليس والشياطين» [٤] .

صيغ الاستعاذة : وردت الاستعاذة في القرآن والسنة بصيغ متقاربة [٥] ، ومنها:

-أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، ومنها أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إن الله هو السميع العليم ، قاله الثوري والأوزاعي ، أعوذ بكلمات الله التامات من كل شيطان وهامة ، ومعنى التامات أي الكاملات اللاتي لا يلحقها النقص[٦] ، أعوذ بوجه الله الذي ليس شيء أعظم منه ، وأعوذ بوجه الله العظيم وسلطانه القديم .

مواضع الاستعاذة:

١- عند الشعور بنزغات الشيطان ووساوسه، عموماً في كل وقت وعلى أي حال ، قال تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[٧] ، وقوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ

---

(١) رواه أبو داود ، رقم: ٢٦٠٣ ، والحاكم في المستدرك ، رقم: ٢٤٨٧ ، (٢/ ١١٠) ، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ، والبيهقي في السنن الكبرى ، رقم: ٧٨٦٢ ، وأحمد في مسنده ، رقم: ٢٢٧١ (٣/ ١٢٤) .

(٢) فتح الباري ، لابن حجر ، (٦/ ٣٤٨) ، ط . دار المعرفة ، بيروت .

(٣) المرجع السابق ، نفس الجزء والصحفة .

(٤) هامش سنن أبي داود (٢/ ٤٠) .

(٥) انظر: إغاثة اللهفان ، لابن القيم (١/ ٧٦-٧٧) ، زاد المعاد (٤/ ١٦٨-١٦٩) .

(٦) انظر: شرح كتاب التوحيد ، للشيخ سليمان آل الشيخ ، ص ١٧٨ .

(٧) سورة فصلت ، الآية: ٣٦ .

عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ ﴾[(١)] .

وفي الحديث: (يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته) .

٢- عند الدخول في الصلاة : وقد أمر ﷺ عثمان بن أبي العاص الثقفي حينما أتى إليه فقال: يا رسول الله ، إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبِّسها عليَّ ، فقال له رسول الله ﷺ : (ذاك شيطان يقال له خنزب ، فإذا أحسست فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثاً قال: ففعلت فأذهبه الله عني) .

ويرى بعض العلماء وجوب الاستعاذة بعد الاستفتاح في الصلاة ، وممن قال به عطاء - رحمه الله[(٢)] - واحتج بعدة أدلة منها:

- صيغة الأمر في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾[(٣)] ، فعل النبي ﷺ ومواظبته عليها ، ولأنها تدفع الشيطان وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

---

(١) سورة الأعراف ، الآية: ٢٠٠ .

• وفي الفرق بين هاتين الآيتين ذكر ابن القيم - رحمه الله - فائدة لطيفة ، فقال - رحمه الله - : «وتأمل سر القرآن كيف أكد الوصف بالسميع العليم بذكر صيغة «هو» الدال على تأكيد السنة واختصاصها ، وعرف الوصف بالألف واللام في سورة فصلت لاقتضاء المقام لهذا التأكيد ، وتركه في سورة الأعراف ، لاستغناء المقام عنه . فإن الأمر بالاستعاذة في سورة فصلت وقع بعد الأمر بأشق الأشياء على النفس ، وهو مقابلة إساءة المسيء بالإحسان عليه ، وهذا أمر لا يقدر عليه إلا الصابرون ، ولا يلقاه إلا ذو حظ عظيم ، والشيطان لا يدع العبد يفعل هذا ، بل يريه أن هذا ذل وعجز ، ويسلط عليه عدوه ، فيدعوه إلى الانتقام ويزينه له ، فإن عجز عنه دعاه إلى الإعراض عنه وألا يسيء إليه ولا يحسن ، فلا يؤثر الإحسان إلى المسيء إلا من خالقه وآثر الله وما عنده على حظه العاجل ، فكان المقام مقام تأكيد وتحريض . . . وأما في سورة الأعراف ، فإنه أمره أن يعرض عن الجاهلين ، وليس فيها الأمر بمقابلة إساءتهم بالإحسان ، بل بالإعراض ، وهذا سهل على النفوس ، غير مستعص عليها ، فليس حرص الشيطان وسعيه في دفع هذا كحرصه على دفع المقابلة بالإحسان»أ . هـ ، تفسير المعوذتين ، ص ١٢٣-١٢٤ ، وانظر: إغاثة اللهفان (١/ ٧٩) .

(٢) كما ذكره عبدالرزاق في مصنفه (٢/ ٨٣) .

(٣) سورة النحل ، الآية: ٩٨ .

- ولكنه الأحوط [١] ، والجمهور على الاستحباب [٢] وهو الراجح لأنه لا خلاف بين العلماء أنه إذا صلى ولم يأت بالاستعاذة قبل القراءة أن صلاته صحيحة [٣] .

ومن العلماء من استحبها في كل ركعة ، ورجحه النووي وقال به جماعة من السلف منهم ابن سيرين ، وعطاء ، والحسن وغيرهم [٤] ، وقال أبو حنيفة بالتعوذ في الركعة الأولى .

وكان ﷺ يستفتح الصلاة بالاستعاذة ، فقد ورد عنه أنه إذا افتتح القراءة في الصلاة كبر ، ثم يقول سبحانك اللهم وبحمدك ، وتبارك اسمك ، وتعالى جدك ، ولا إله غيرك ، ثم يقول:: لا إله إلا أنت ثلاثاً ، ثم يقول: الله أكبر كبيراً ثلاثاً ، أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه) ثم يقرأ .

٣- عند دخول المسجد: في الحديث عن عبدالله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ أنه كان إذا دخل المسجد قال: (**أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم**) ، قال: فإذا قال ذلك ، قال الشيطان: حفظ مني سائر اليوم [٥] .

٤- عند تلاوة القرآن: قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾ [٦] .

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ١٥) ، وقال: «احتج له الرازي» .
(٢) المجموع للنووي (٣/ ٢٧٢) ، تفسير القرآن ، لابن كثير (١/ ١٥) ، الجامع ، للقرطبي (١/ ٨٦) .
(٣) انظر: تفسير الرازي (٢٠/ ١١٧) .
(٤) انظر: المجموع للنووي (٣/ ٢٧٢) ، الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، (١/ ٨٦) .
(٥) رواه أبو داود ، رقم: ٤٦٦ ، صحيح الجامع ، رقم: ٤٧١٥ ، وصحيح الكلم الطيب ، ص ٥٠ .
(٦) سورة النحل ، الآية: ٩٨ .
* قال الإمام الشنقيطي – رحمه الله – : «وظاهر هذه الآية أن الاستعاذة من الشيطان الرجيم واجبة عند القراءة ، لأن صيغة أفعل للوجوب ، كما تقرر في الأصول ، وقال كثير من أهل العلم: أن الأمر في الآية للندب والاستحباب ، وحكى عليه الإجماع أبو جعفر بن جرير وغيره من الأئمة ، وظاهر الآية أيضاً: الأمر بالاستعاذة عند القراءة في الصلاة لعموم الآية والعلم عند الله تعالى» ، أضواء البيان (٣/ ٣٢٥) .

فلكون القرآن شفاء ونور وسكينة لقلوب المؤمنين يحاول الشيطان أن يصد العبد عن تلاوته بكثرة الوساوس التي تكون سبباً في الوقوف عن القراءة، أو الاسترسال مع عدم الخشوع والتدبر، ولهذا شرعت الاستعاذة بالله عند تلاوة القرآن.

وللاستعاذة قبل التلاوة فوائد وحكم عظيمة ذكرها ابن القيم – رحمه الله – منها: إن القرآن الكريم دواء وشفاء لكل ما يلقيه الشيطان في الصدور من وساوس وتشكيك وإرادات فاسدة، ولكي ينتفع العبد بالقرآن عليه أن يستعيذ بالله من عدوه، لئلا يحول بينه وبين الاستفادة[1].

ومنها: إن القرآن أصل لنبات مادة الخير في القلب، وهي المادة التي يسعى الشيطان لإفسادها في القلب، لذا أمر العبد بالاستعاذة منه لتبقى مادة الخير عامرة بالقرآن حتى يقوى عودها وتصبح شجرة ثابتة الأصول أصلها في القلب وفروعها في سائر الجوارح.

ومنها: إن تلاوة القرآن سبب لحضور الملائكة وقربها من العبد، لذا لزمت الاستعاذة لإبعاد الشيطان، لأنها منزلة لا تجتمع فيها الملائكة والشياطين.

ومنها: إن قارئ القرآن يناجي ربه، فأمر العبد بالاستعاذة لئلا يحول الشيطان بينه وبينها، ولطرده وإبعاده عن هذا المقام العظيم.

ومنها: إن الشيطان يحاول عندما يقرأ العبد أن يخلط عليه، ويشوش عليه تلاوته، وربما أنساه، أو أدخل في قراءته ما ليس منها، كما بين تعالى في قوله: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ ﴾[2].

ومعنى تمنى، أي تلا على ما ذكره السلف ورجحه المحققون، كما سبق، فإذا كان هذا مع أنبياء الله ورسله، فسائر الخلق من باب أولى، لذا شرعت الاستعاذة لصده ومنعه عن التشويش والاشغال.

---

(١) انظر: إغاثة اللهفان (١/ ٩٤).

(٢) سورة الحج، الآية: ٥٢.

ومنها: إن مقام العبد وهو يتلو كلام الله، مقام عظيم، ومنزلة رفيعة، يحسده عليها الشيطان، وكلما كان الفعل أنفع اشتد كيد الشيطان للعبد لصده عنه، لذا فهو يكيد القارئ بكل وسيلة، فشرعت الاستعاذة لإبطال كيده.

ومنها: أن الاستعاذة عنوان ومقدمة لكلام الله، فلا تتقدم إلا ويأتي بعدها تلاوة كلام الله، ولم تشرع بين يدي كلام أحد سواه تعالى [(١)].

ومنها: إن فيها تطييباً وطهارة للفم من اللغو والرفث.

ومنها: إن فيها استعانة بالله، واعتراف العبد بضعفه وعجزه عن مقاومة عدوه، فيلجأ إلى مولاه لينجيه منه [(٢)].

وهذه الفوائد لا يتحقق إلا بالاستعاذة بالله من الشيطان قبل التلاوة، خلافاً لمن قال: إن الاستعاذة تكون بعد التلاوة [(٣)].

عند الغضب: ومما تشرع عنده الاستعاذة الغضب، كما في التوجيه النبوي عندما استب رجلان عند النبي ﷺ حتى إن أحدهما ليمتزغ أنفه من شدة الغضب فقال النبي ﷺ: **(إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد)** فقالوا: ما هي يا رسول الله؟ قال: **(أعوذ بالله**

---

(١) إغاثة اللهفان، (١/ ٧٤-٧٦)، تفسير الرازي (٢٠/ ١١٦-١١٧)، ومقامع الشيطان في ضوء الكتاب والسنة، سليم الهلالي، ص ٣٥.

(٢) انظر: تفسير القرآن، لابن كثير (١/ ١٥).

(٣) وقد نسب هذا القول لبعض الصحابة والتابعين، ومنهم أبو هريرة ومالك وابن سيرين وإبراهيم النخعي وأدلتهم: أن الاستعاذة بعد القراءة تدفع الوساوس التي يلقيها الشيطان بعد التلاوة كالعجب، فيبقى ثواب التلاوة .ولظاهر الآية.. وقد استنكر هذا القول ابن كثير وابن العربي – رحمهما الله – واستبعدا نسبته إلى إبي هريرة ومالك وابن سيرين .
قال ابن العربي : «ومن أغرب ما وجدناه قول مالك في المجموعة، في تفسير هذه الآية: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾، قال: ذلك بعدة قراءة أم القرآن لمن قرأ في الصلاة، وهذا قول لم يرد به أثر، ولا يعضده نظر؛ ... ولو كان هذا كما قال بعض الناس أن الاستعاذة بعد القراءة لكان تخصيص ذلك بقراءة أم القرآن في الصلاة دعوى عريضة لا تشبه أصول مالك، ولا فهمه، والله أعلم بسرِّ هذه الراوية»، (٣/ ١٥٩)، وتفسير ابن كثير (١/ ٢٥)، إغاثة اللهفان، (١/ ٧٤)، تفسير الرازي (٢٠/ ١١٦).

من الشيطان الرجيم)[١] .

وفي تفسير قولـه تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ﴾[٢] .

يقول ابن كثير – رحمه الله – : «وإما يغضبنك من الشيطان غضب يصدك عن الإعراض عن الجاهل ويحملك على مجازاته فاستعذ بالله، يقول: فاستجر بالله من نزغه، إنه سميع عليم لجهل الجاهل عليك . . . عليم بما يذهب عنك نزغ الشيطان وغير ذلك من أمور خلقه»[٣] .

ومن هنا فالاستعاذة بالله عند الغضب فيها سر جميل عظيم لأنه لو تأمل الغاضب حاله عند الغضب لعلم أنه لو شاء الله ما تسلط عليه الخلق وما آذوه، فتسلطهم عليه بمشيئة الله، وبناء عليه فدفع أذاهم لا يستطيعه إلا الله تعالى، فاللجوء إليه عند الغضب هو محض العبودية[٤] .

كما إن الغضب سلاح الشيطان لإخراج المسلم عن طبعه وأفعاله المحمودة إلى أفعال مذمومة يريدها الشيطان؛ ولهذا جاءت الاستعاذة لإبطال هذا السلاح[٥] .

عند الجدل والمراء : قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ۝٣ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾[٦] ، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[٧] .

وعن أبي أمامة – ﷺ – قال: قال رسول الله ﷺ : (ما ضل قوم إلا أوتوا

---

(١) سبق تخريجه .
(٢) سور الأعراف، الآية: ٢٠٠ .
(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٧٩)، ط . دار الفكر .
(٤) انظر: فتح الباري (١٠/ ٥٢١)، دار المعرفة، بيروت .
(٥) انظر: المواجهة، لحسن قطامش، ص ١٥٠ .
(٦) سورة الحج، الآيتان: ٣-٤ .
(٧) سورة غافر، الآية: ٥٦ .

الجدل)[١] ، والجدل من المراء وهي المخاصمة بالباطل ، وإظهار الغلبة أما إن كان لإظهار الحق فليس بمذموم [٢] لقوله تعالى: ﴿ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [٣] .

ومن الجدل المذموم: الجدل بغير علم ، والجدل في رد الحق بعد ظهوره ، والجدل في آيات الله ، ومعارضة الأمر بالقدر [٤] .

- **عند دخول الخلاء** : عن أنس - ﷺ - قال: كان النبي ﷺ إذا دخل الخلاء ، قال: **(اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث)** [٥] متفق عليه . وعن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله ﷺ : **(إن هذه الحشوش محتضرة، فإذا أتى أحدكم الخلاء فليقل: أعوذ بالله من الخبث والخبائث)** . وعن أبي هريرة - ﷺ - قال: قال رسول الله ﷺ : **(... من أتى الغائط فليستتر، فإن لم يجد إلا أن يجمع كثيباً من رمل فليستدبره، فإن الشيطان يلعب بمقاعد بني آدم، من فعل فقد أحسن ومن لا فلا حرج)** [٦] .

والمعنى «أن الشياطين تحضر تلك الأمكنة ، وترصدها بالأذى والفساد ، لأنها مواضع يهجر فيها ذكر الله ، وتكشف فيها العورات . . فأمر - عليه الصلاة والسلام - بالتستر ما أمكن وألا يكون قعود الإنسان في براح من الأرض تقع عليه أبصار الناظرين ، فيتعرض لانتهاك الستر ، أو تهب ريح ، فيصيبه نشر البول عليه والخلاء فيلوث بدنه أو

---

(١) رواه الترمذي ، رقم: ٣٢٥٣ وابن ماجه ، رقم: ٤٨ وأحمد في المسند (٥/ ٢٥٢ ، ٢٥٦) ، وابن جرير في تفسيره (٢٥/ ٥٣) ، والطبراني في المعجم الكبير ، رقم: ٨٠٦٧ ، (٨/ ٢٧٧) ، والحاكم في المستدرك ، رقم: (٢/ ٤٤٧-٤٤٨) ، وقال: «صحيح الإسناد» ووافقه الذهبي ، ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب «الصمت» ، رقم: ١٣٥ ، ص ١٠٣ ، تحقيق: أبو إسحاق الأثري .

(٢) الجامع للقرطبي (٩/ ٢٧) ، (٧/ ٣٨) ، جامع البيان لابن جرير (١٥/ ٢٦٦) ، الدر المنثور للسيوطي (١/ ٥٧٣) ، شرح كتاب التوحيد للشيخ عبدالله بن سليمان ص٤٢ .

(٣) سورة النحل ، الآية: ١٢٥ .

(٤) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/ ٣١٠) ، (٨٢٤٤) .

(٥) رواه البخاري ، رقم:١٤٢ (١/ ٦٦) ، مسلم ، رقم: ٣٧٥ ، (١/ ٢٨٣) .

(٦) سبق تخريجه .

ثيابه وكل ذلك من لعب الشيطان به وقصده إياه بالأذى والفساد»[١].

- **عند الفزع من النوم**: ومما تشرع عنده الاستعاذة الفزع من النوم، وقد ورد ذلك في حديث عمرو بن شعيب [٢] عن أبيه عن جده؛ أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم من الفزع: (أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وشر عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون فإنها لن تضره) [٣]، ومعنى وأن يحضرون: أي «تصيبوني بسوء» [٤].

قال الترمذي: «وكان عبدالله بن عمرو يعلمها من بلغ من ولده ومن لم يبلغ منهم كتبها في صك ثم علقها في عنقه» [٥] أ. هـ الصك: الكتاب.

---

(١) حاشية سنن أبي داود (١/ ٥٦).

(٢) عمرو بن شعيب بن محمد بن عبدالله بن عمرو بن العاص أبو إبراهيم، وقيل: أبو عبدالله، سمع أباه وسعيد بن المسيب وروى عنهما، وروى عن محمد بن أرشد وعطاء بن أبي رباح، قال الدارقطني: «سمعت أبا بكر النقاش يقول: عمرو بن شعيب ليس من التابعين، وقد روى عنه عشرون من التابعين»، وقال: أبو داود: سمعت أحمد بن حنبل يقول: «أهل الحديث إذا شاءوا واحتجوا بعمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وإذا شاءوا تركوه»، وحسن حديث الذهبي، ووثقه العجلي والنسائي، انظر في ترجمته: تقريب التهذيب، رقم: ٥٠٥٠، ص ٤٢٣، ميزان الاعتدال (٣/ ٢٦٣)، لسان الميزان، لابن حجر (٧/ ٣٣٠)، سير أعلام النبلاء (٥/ ١٦٥)، تدريب الراوي (٢/ ٢٥٧-٢٥٨).

(٣) رواه الترمذي، رقم: ٣٥١٩، وقال: «هذا حديث حسن غريب»، وأبو داود، رقم: ٣٨٩٣، (٤/ ١١)، ومالك في الموطأ، رقم: ١٧٠٥، ومسند أحمد، رقم: ٦٦٩٦، (٢/ ١٨١)، والمعجم الكبير للطبراني، رقم: ٣٨٣٨، والحاكم في المستدرك، رقم: ٢٠١٠ (١/ ٧٣٣)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد...». وسقطت هذه الرواية من التلخيص للذهبي.

(٤) التمهيد (٢٤/ ١١٠).

(٥) مسألة تعليق القرآن أو الأحاديث أو الأدعية والأذكار الواردة في الرقبة أو اليد، فيها خلاف بين العلماء، فمنهم من جوز ذلك لعموم قوله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾ الأسراء، الآية: ٨٢، ومنهم من منعه، روى ذلك عن ابن مسعود - رضي الله عنه - وغيره من السلف لأن الاستشفاء بالقرآن ورد بصفة معينة، وهي القراءة على المريض فلا يتجاوزها، ولأن ذلك قد يؤدي إلى إهانة الذكر ودخول الخلاء به أو تلويثه بالنجاسة الملازمة للصبيان، كما أن تعليق قد يفضي على ترك تلاوة مع مشروعيتها أو يشعر بالاستغناء عن التلاوة، انظر: أقوال العلماء في هذه المسألة، مصنف ابن أبي شيبة، (٧/ ٣٧٤)، المستدرك للحاكم، (٤/ ٢١٦)، تيسير العزيز الحميد، ١٦٨، فتح المجيد، ص ١٣٢، فتاوي ابن باز (١/ ٢٠).

عند الوحشة : عن الوليد بن الوليد (١) أنه قال: يا رسول الله إني أجد وحشة قال: (إذا أخذت مضجعك فقل: أعوذ بكلمات الله التامات ، من غضبه وعقابه ، وشر عباده ، ومن همزات الشياطين ، وأن يحضرون ، فإنه لا يضرك وبالحري أن لا يقربك) (٢) .

عند نزول المنزل : عن خولة بنت حكيم (٣) – رضي الله عنها – قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من نزل منزلاً ثم قال أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك) (٤) .

عند نباح الكلاب ونهيق الحمير : عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال: **(إذا سمعتم نهاق الحمير، فتعوذوا بالله من الشيطان فإنها رأت شيطاناً، وإذا سمعتم صياح الديكة، فسلوا الله من فضله، فإنها رأت ملكاً)** (٥) .

وعن جابر – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ : **(إذا سمعتم نباح الكلاب ونهيق الحمير بالليل فتعوَّذوا بالله منهن فإنهن يرين ما لا ترون)** (٦) .

والحكمة في الأمر بالاستعاذة لحضور الشيطان ، فيستعاذ بالله تعالى هنا دفعاً لمن يخشى من شره ووسوسته وكيده لبني آدم ، وقيل: خوفاً من نزول الغضب عند رؤية أهل

---

(١) الوليد بن الوليد بن المغيرة بن عبدالله المخزومي القرشي أخو خالد بن الوليد ، حضر بدر مشركاً ثم أسره المسلمون فلما افتداه أخواه هشام وخالد أسلم وقال كرهت أن يظنوا بين أني جزعت من الأسر حبسه أخواله بعد إسلامه فكان رسول الله ﷺ يدعو له في القنوت كما ثبت في الصحيح اختلف في موته وقيل مات في عمرة القضية قبل أن يدخل المدينة ، انظر الإصابة (٦/ ٣٢٣-٣٢٤) .

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند رقم: ١٦٦٢٣ (٤/ ٥٧) ، وابن السني رقم: ٧٠٥ ، ص ٢٠١ .

(٣) خولة بنت حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص بن مرة بن هلال السُّلميَّة امرأة عثمان بن مظعون ، تكنى بأم شريك صحابية ، فاضلة ، صالحة روت عن النبي ﷺ ، يقال إنها وهبت نفسها للنبي ﷺ بعد وفاة ابن مظعون انظر: الإصابة (٨/ ٦٩-٧٠) ، تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٤٣) .

(٤) رواه مسلم في كتاب «الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار» ، رقم:٢٧٠٨ (٤/ ٢٠٨٠) .

(٥) رواه البخاري ، رقم: ٣٣٠٢٧ ، (٣/ ١٠٢٠) ، ومسلم ، رقم: ٢٧٢٩ ، (٤/ ٢٠٩٢) .

(٦) رواه أبو داود ، رقم: ٥١٠٣ ، وأحمد في المسند (٣/ ٣٠٦) ، والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٨٣) ، وصححه وسكت عليه الذهبي . قال الألباني: صحيح بطرقه ، تخريج الكلم الطيب ١٦٤ .

المعاصي [١] .

عند الحلم : عن عبدالله بن قتادة عن أبيه قال: قال النبي ﷺ : (**الرؤيا الصالحة من الله والحلم من الشيطان، فإذا حلم أحدكم حلماً يخافه فليبصق عن يساره وليتعوذ بالله من شرها فإنها لا تضره**) [٢] . وجاء في صفة الاستعاذة عند الرؤيا المكروهة أن يقول: (**أعوذ بما عاذت به ملائكة الله ورسله من شر رؤياي هذه أن يصيبني منها ما أكره في ديني ودنياي**) [٣] .

تعويذ الأولاد : كان رسول الله ﷺ يعوذ الحسن والحسين فيقول: (أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة ، ثم يقول: هكذا كان أبي إبراهيم ﷺ يعوذ إسماعيل وإسحاق) [٤] .

– **عند المرض والحمى** : عن عثمان بن أبي العاص الثقفي أنه قال: قدمت على النبي ﷺ وبي وجع قد كاد يبطلني فقال لي النبي ﷺ : (اجعل يدك اليمنى عليه وقل بسم الله أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر سبع مرات فقلت ذلك فشفاني الله) [٥] ، وفي رواية: قال عثمان «ففعلت فأذهب الله ما كان بي فلم أزل آمر به أهلي وغيرهم»[٦] ا.هـ .

وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم من الأوجاع كلها ومن الحمى أن

---

(١) انظر: فتح الباري ، (٦/ ٣٥٣) ، شرح صحيح مسلم ، (١٧/ ٤٧) .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) ذكره ابن حجر في فتح الباري ، وقال: «أخرجه سعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبدالرزاق بأسانيد صحيحة» ، (١٢/ ٣٧١) ، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ومحب الدين الخطيب .

(٤) متفق عليه .قال أبو بكر بن الأنباري: «الهامة واحد الهوام ، ويقال: هي كل نسمة تهم بسوء ، واللامة الملمة ، وإنما قال: لا ليوافق لفظ هامة» .

(٥) رواه ابن ماجة في سننه ، رقم: ٣٥٢٢ ، والحاكم في المستدرك رقم: ١٢٧١ (١/ ٤٩٤) ، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذا اللفظ! إنما أخرجه مسلم من حديث الجريري عن يزيد بن عبدالله بن الشخير عن عثمان بن أبي العاص بغير هذا اللفظ» .

(٦) رواه الترمذي ، ٢٠٨٠ (٤/ ٤٠٨) ، وقال: هذا حديث حسن صحيح ، وأبو داود ، ٣٨٩١ .

يقولوا (بسم الله الكبير، أعوذ بالله العظيم من شر عرق نعار ومن شر حر النار) [١] .

– **من غلبة الدين** : فالديون إذا لزمت العبد أدت إلى إصابته بالهموم والأحزان التي سببها الشيطان ليقعده عن العمل، فأمره ﷺ أن يستعيذ بالله تعالى ليقوى، ويدفع شر الشيطان، فيكتسب ويقضي دينه [٢] .

كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: دخل رسول الله ﷺ ذات يوم المسجد فإذا هو برجل من الأنصار يقال له أبو أمامة فقال: (يا أبا أمامة ما لي أراك جالساً في المسجد في غير وقت صلاة، قال: هموم لزمتني وديون يا رسول الله فقال: (أفلا أعلمك كلاماً إذا قلته أذهب الله همك وقضى عنك دينك) قلت: بلى يا رسول الله، قال: (قل إذا أصبحت وإذا أمسيت اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال) قال فقلت ذلك فأذهب الله تعالى همي وغمي وقضى ديني [٣] .

الاستعانة بالله : الاستعاذة لا تكون إلا مع الاستعانة بالله تعالى، والاستعاذة من «عاذ به يعوذ عوذاً وعياذاً ومعاذاً به ولجأ إليه واعتصم» [٤] .

وتعني في الشرع: طلب العون من الله تعالى وحده، وهذا يتضمن كمال الذل لله تعالى، وتفويض الأمر له جل وعلا، والاعتقاد بأنه سيكفي عبده ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾[٥]، وهي تعني التقرب إلى الله والتوكل عليه [٦] ، قال تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ

---

(١) رواه الترمذي، رقم: ٢٠٧٥ ، وقال: «هذا حديث غريب» . وابن ماجة رقم: ٣٥٢٦ ، وا لحاكم في المستدرك رقم: ٨٢٧٤ .

(٢) حماية الإنسان من وساوس الجن والشيطان، للأستاذ إبراهيم بن محمد الضبيعي ص٣٩ .

(٣) رواه أبو داود، الاستعاذة رقم: ١٥٥٥ (١/ ٤٨٤-٤٨٥)، والمزي في تهذيب الكمال (٢٣/ ١٠٦) .

(٤) لسان العرب، لابن منظور (٣/ ٤٩٨) .

(٥) انظر: مدارج السالكين (١/ ٨١) .

(٦) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ٥٤٩)، (١٦/ ٥٥) .

وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾[١] .

فكل عبودية لله يحتاج فيها العبد لإعانتين ، إعانة قبلها ، وذلك بالقبول والالتزام لها ، وإعانة عليها بفعلها خالصة لوجه الله تعالى ، ولهذا قدم الله تعالى العبادة على الاستعانة [٢] .

والاستعانة بالله تعالى بأمور: الأول: الاستعانة بذاته سبحانه ، وذلك بدعائه والتذلل له جلَّ وعلا ، قال ﷺ : (وإذا استعنت فاستعن بالله . . .) . كما في حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يوماً فقال: (يا غلام إني أعلمك كلمات ، احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فأسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف) [٣] . **الثاني:** الاستعانة بأسمائه وصفاته تعالى ، وهي من ذاته لا تنفك عنه ، فالاستعانة بها ، استعانة بالله تعالى . **الثالث:** الاستعانة بالأعمال والأحوال المحبوبة ، إلى الله تعالى كالصبر والصلاة[٤] .

كما قال تعالى: ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾[٥] .

وأما الاستعانة بالأموات والأحياء على أمر لا يقدرون عليه كالاستعانة بهم في إحياء الموتى أو شفاء المرضى أو نحو ذلك ، فهذا من الشرك الأكبر [٦] – والعياذ بالله –

---

(١) سورة الفاتحة ، الآية: ٥ .

(٢) انظر: مدارج السالكين (١/ ٧٦) .

(٣) رواه الترمذي في كتاب ، رقم: ٢٥١٨ ، وقال: «هذا حديث حسن صحيح» . وأحمد في المسند ، رقم:٣٦٦٩ ، (١/ ٢٩٣) ، وهو في صحيح الجامع ، رقم: ٧٩٥٩ .

(٤) انظر: مجموع فتاوى العقيدة ، للشيخ محمد بن صالح العثيمين (٦/ ٥٩) .

(٥) سورة البقرة ، الآية: ٤٥ .

(٦) انظر: مجموع الفتاوى (٢٧/ ١٢٥-١٢٦) ، لا يدخل في الاستعانة المحرمة الاستعانة بالمخلوق فيما يقدر عليه من الأمور المستطاعة ، لأن ذلك جائز وهو من التعاون على البر والتقوى .

وقد سبق تفصيل ذلك .

روي عن بعض السلف أنه قال لتلميذه: «ما تصنع بالشياطين إذا سوّل لك الخطايا؟ قال: أجاهده ، قال: فإن عاد؟ قال: أجاهده ، قال: فإن عاد ، قال: أجاهده ، قال: هذا يطول أرأيت إن مررت بغنم فنبحك كلبها ، أو منعك من العبور ما تصنع؟ قال: أكابده وأرده جهدي ، قال: هذا يطول عليك ، ولكن استعن بصاحب الغنم يكفه عنك»[1] . ولهذا لا بد من الاستعانة بالله تعالى والدعاء والتضرع إليه سبحانه أن يكفينا شر هذا العدو ، ويعصمنا من نزغاته إنه سميع مجيب .

---

(١) تلبيس إبليس ، لابن الجوزي ، ص ٤٨ .

الفصل الرابع

الالتزام بالكتاب والسنة

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٠٨﴾ ﴾ (١) ، والسلم هو الإسلام ، وقيل: طاعة الله ، وفسره مقاتل بأنه العمل بجميع الأعمال ووجوه البر (٢) ، ومن خرج عن الالتزام بشرعية الإسلام ، فهو ضال مضل ، وإن جرت الخوارق على يديه ، وادعى المكاشفات .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : «فكل من خرج عن الكتاب والسنة ، وكان له حال من مكاشفة أو تأثير ؛ فإنه صاحب حال نفساني أو شيطاني ، وإن لم يكن له حال بل هو يتشبه بأصحاب الأحوال ؛ فهو صاحب حال بهتاني ، وعامة أصحاب الأحوال الشيطانية يجمعون بين الحال الشيطاني والحال البهتاني ، كما قال تعالى: ﴿ هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ ﴾(٣) . . .» أ. هـ (٤).

فمن أراد الحماية والخلاص من الشيطان الرجيم فعليه باتباع شريعة الله قولاً وعملاً واعتقاداً ، وهو معنى الالتزام بالكتاب والسنة ، فهما الصراط المستقيم ، وهما النجاة لمن أرادها ، كما في حديث أبي هريرة – ﷺ – قال: قال رسول الله ﷺ : (تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعده كتاب الله وسنتي . . .) (٥) .

---

(١) سورة البقرة ، الآية: ٢٠٨ .

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٣/ ٢٢) .

(٣) سورة الشعراء ، الآيتان: ٢٢١-٢٢٢ .

(٤) فتح المنان في جمع كلام شيخ الإسلام ابن تيمية عن الجان (١/ ٣١٩) .

(٥) رواه الحاكم في المستدرك ، رقم: ٣١٩ ، (١/ ١٧٢) ، وله شاهد عند مسلم ، رقم: ١٢١٨ ، (٢/ ٨٨٦) ، وابن ماجه في كتاب «الحج» باب: (حجة رسول الله ﷺ) ، رقم: ٣٠٧٤ ،

ولهذا يحاول الشيطان أن يصد العبد عنهما بكل طريق، كما بين نبينا المصطفى – عليه الصلاة والسلام – إذا جلس ذات مرة مع أصحابه وخط خطاً بيده ثم قال: (هذا سبيل الله مستقيماً، وخط عن يمينه وشماله، ثم قال: هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه، ثم قرأ: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾[1])[2].

وسأتناول في هذا الفصل – إن شاء الله – عدة مباحث هي:

أولاً: لزوم الجماعة. ثانياً: الأذكار. ثالثاً: قراءة القرآن.

رابعاً: غض البصر. خامساً: كثرة الطاعات.

سادساً: التوبة والاستغفار. سابعاً: حفظ الجوارح.

ثامناً: تحصين الأهل والأولاد.

وأستعين بالله تعالى في شرحها وتوضيحها.

(٢/ ١٠٢٢).

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

(٢) سبق تخريجه.

المبحث الأول

لزوم الجماعة

عن ابن عمر قال خطبنا عمر بالجابية (١) ، فقال: (يا أيها الناس إني قمت فيكم كمقام رسول الله ﷺ فينا ، فقال: أوصيكم بأصحابي ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يفشو الكذب حتى يحلف الرجل ولا يستحلف ، ويشهد الشاهد ولا يستشهد ، ألا لا يخلونَّ رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان ، عليكم بالجماعة ، وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد ، من أراد بحبوحة (٢) الجنة ، فيلزم الجماعة ، من سرته حسنته وساءته سيئته فذلك المؤمن) (٣) .

فلزوم الجماعة حصن من الشيطان ، والشيطان له حزب وجماعة يحارب بها أهل الإيمان ، فلهذا لا بد من اجتماع وقوة في مواجهة حزبه وجيشه حتى في السفر ، نهى ﷺ عن الانفراد ، فقال: (الراكب شيطان والراكبان شيطانان والثلاثة ركب) (٤) .

قال الخطابي: «معناه – والله أعلم – أن التفرد والذهاب وحده في الأرض من فعل الشيطان ، أو هو شيء يحمله عليه الشيطان ويدعوه إليه ، فقيل: على هذا إن فاعله

---

(١) الجابية: قرية بدمشق . . . والمراد هنا القرية ، والجابية في اللغة: «الحوض الذي يجبي فيه الماء للإبل أي يجمع «مختار الصحاح للرازي ص٣٩» ، وانظر: معجم البلدان(١/ ١٥٢) ، لسان العرب(١٣/ ٥٤٨) .

(٢) بحبوحة الجنة: «وسطها» انظر: لسان العرب (٢/ ٤٠٧ ، ٤١٩) ، مختار الصحاح ص١٧ ، النهاية في غريب الحديث (١/ ٩٨) ، غريب الحديث لابن الجوزي (١/ ٥٦) ، غريب الحديث لابن سلام (٢/ ٢٠٥) الفائق في غريب الحديث (١/ ٨١) ، انظر: الترغيب والترهيب (١/ ٣٠٣) .

(٣) رواه الترمذي ، رقم: ٢١٦٥ ، وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه»وأحمد في المسند ، رقم: ١١٤ ، (١/ ٢٦) ، وابن حبان في صحيحه ، رقم: ٤٥٧٦ ، (١٠/ ٤٣٦) ، والحاكم في المستدرك ، رقم: ٣٨٨ ، (١/ ١٩٨) ، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين» ، وأبي يعلى في مسنده ، رقم: ١٤٣ ، (١/ ١٣١) ، والبيهقي في السنن الكبرى ، رقم: ٩٢١٩ ، (٥/ ٣٨٧) .

(٤) رواه أبو داود ، رقم: ٢٦٠٧ ، (٣/ ٣٦) ، والترمذي ، رقم: ١٧٢٥ ، (٣/ ١١) ، وحسنه ، والنسائي في السنن الكبرى ، كتاب «السير ، رقم: ٨٨٤٩ ، (٥/ ٢٦٦) ، وأحمد في المسند (٢/ ١٨٦) .

شيطان»(١) .

وقيل: «هذا الزجر زجر أدب لما يخشى على الواحد من الوحشة والوحدة وليس بحرام، فلا يتناول ما إذا وقعت الحاجة لذلك. . .» (٢) ، وقيل: خوفاً من وقوع الموت مع الشخص فلا يجد من يغسله ويكفنه (٣) .

وفي الصحيح عن ابن عمر - ﷺ - عن النبي ﷺ قال: (**لو يعلم الناس ما في الوحدة ما أعلم ما سار راكب بليل وحده**) (٤) ، قوله: (ما أعلم): أي الذي أعلمه من الآفات التي تحصل من ذلك (٥) ، وقد أجاز العلماء السفر منفرداً للضرورة والمصلحة، كإرسال الجاسوس. . . ونحو ذلك لما ثبت في الصحيح أن الزبير - ﷺ - انتدب وحده ليأتي النبي ﷺ بخبر بني قريظة، وكذلك انتدب غيره من الصحابة في بعض مغازيه كحذيفة ونعيم بن مسعود وغيرهما.

وحمله آخرون على أن المنع في حالة الخوف والجواز في حالة الأمن (٦) ، وللجماعة في النصوص الشرعية معنيان:

الأول: الاجتماع على الحق الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، ومتابعة ما أجمع عليه أهل الإجماع من أهل العلم، وأهل الحل والعقد من كل عصر، وعدم مخالفته لأن الإجماع حجة (٧) .

ويدل على هذا المعنى قوله ﷺ في حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) معالم السنن، للخطابي (٢/ ٢٢٥)، انظر: نيل الأوطار، للشوكاني (٨/ ٦٠) .
(٢) نيل الأوطار (٨/ ٦٠)، وقد نقله عن الطبراني .
(٣) انظر: المرجع السابق، الجزء والصفحة نفسها .
(٤) رواه البخاري في كتاب «السفر»، باب: (السير وحده)، رقم: ٢٨٣٥، (٣/ ١٠٩٢) .
(٥) فتح الباري، لابن حجر (٦/ ١٣٨)، وانظر: زاد المعاد، لابن القيم (٢/ ٤٤٩) .
(٦) انظر: فتح الباري، لابن حجر (٦/ ١٣٨)، نيل الأوطار، للشوكاني (٨/ ٦٠) .
(٧) انظر: فتح الباري (١٣/ ٢٩٥)، تلبيس إبليس ص١٣، فيض القدير للمناوي (٢/ ٣٥٠)، الفتح الرباني (٥/ ١٧٥)، شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن عبدالله، ص٣٣١ .

(افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة وتفرقت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقة) (١) ، وفي رواية زاد (كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة) (٢) .

ولا يلزم أن تكون هذه الجماعة كثرة ، بل ربما كانوا قلة .

يقول ابن مسعود - رضي الله عنه - : «الجماعة ما وافق الحق ولو كنت وحدك»(٣) ، قال نعيم بن حماد: «يعني إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة حينئذ»(٤) .

والخروج عن هذه الجماعة يعني الابتداع في الدين وعدم الالتزام بمنهج أهل السنة والجماعة من السلف الصالح ومن جاء بعدهم .

الثانية: الاجتماع على إمام واحد وعدم الخروج عليه ويدل عليه قوله ﷺ في حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر قال: نعم ، قلت وهل بعد ذلك الشر من خير قال: نعم وفيه دخن قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر ، قلت: فهل بعد ذلك من شر؟ قال: نعم دعاة إلى أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها ، قلت: يا رسول الله صفهم لنا ، فقال: هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا ، قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك ، قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم ، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ، قال: فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك

---

(١) رواه أبو داود ، رقم: ٤٥٩٦ ، وابن ماجة ، رقم: ٣٩٩١ بنحوه . وابن حبان في صحيحه رقم: ٦٢٤٧ (١٤/ ١٤٠) ، والحاكم في المستدرك رقم: ١٠ (١/ ٤٧) ورقم: ٤٤١ (١/ ٢١٧) .

(٢) رواه الحاكم في المستدرك رقم: ٤٤٣ (١/ ٢١٨) ، وابن ماجة في السنن رقم: ٣٩٩٢ (٢/ ١٣٢٢) ، وعبدالرازق في مصنفه رقم: ١٨٦٧٥ (١٠/ ١٥٦) وأحمد في مسنده رقم: ١٢٢٢٩ (٣/ ١٢٠) .

(٣) ذكره المزي في تهذيب الكمال عن عمرو بن ميمون (٢٢/ ٢٦٤) ، وقال ابن حجر في الفتح «رواه الحاكم في علوم الحديث بسند صحيح عنه (١٣/ ٢٩٣)» ا.هـ.

(٤) تهذيب الكمال (١٢/ ٢٦٥) .

الموت وأنت على ذلك) [(١)] .

ومقتضى الأمر بلزوم الجماعة بالمعنى الأول يستلزم أموراً منها: محبتهم وموالاتهم، ومنها: عدم الخروج عن طريقتهم واعتقادهم ونهجهم.

وهم الطائفة المنصورة الذين ذكرهم ﷺ في حديث المغيرة بن شُعبة، قال: (لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون) [(٢)] ، وفي لفظ عند مسلم: (لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس) [(٣)] .

وقيل: إنهم أصحاب الحديث، وهو قول الإمام أحمد وابن كثير وكثير من علماء السلف [(٤)] .

وقد اختلف في مقامهم، فقيل: بالشام، مما ورد ذلك في صحيح البخاري ورجحه ابن كثير [(٥)] ، وقيل: هم أهل المغرب كما في الصحيح أيضاً [(٦)] ، وقيل: بيت المقدس[(٧)] .

قال النووي - رحمه الله - : «يجوز أن تكون الطائفة جماعة متعددة من أنواع المؤمنين ما بين شجاع وبصير بالحرب وفقيه ومحدث ومفسر وقائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وزاهد وعابد، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين في بلد واحد بل يجوز اجتماعهم في قطر واحد وافتراقهم في أقطار الأرض، ويجوز أن يجتمعوا في البلد

---

(١) رواه البخاري في كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام رقم: ٣٤١١(٣/ ١٣١٩-١٣٢٠).

(٢) رواه البخاري، باب: (قول النبي ﷺ لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق وهم أهل العلم)، رقم: ٦٨٨١، (٦/ ٢٦٦٧)، ومسلم في كتاب «الإيمان»، رقم: ١٥٦، (١/ ١٣٧)، بأطول منه.

(٣) رواه مسلم في كتاب «الإمارة»، رقم: ١٠٣٧، (٣/ ١٥٢٤).

(٤) البداية والنهاية (٦/ ٢٥٦)، فتح الباري (١/ ١٤٠)، و(١٣/ ٢٩٥).

(٥) البداية والنهاية (٦/ ٢٥٦)، وقال - رحمه الله - : «وهذا أيضاً من دلائل النبوة، فإن أهل الحديث بالشام أكثر من سائر أقاليم الإسلام ولا سيما بمدينة دمشق حماها الله . . .».

(٦) انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٤٤٥)، (١٢/ ٥٠٧)، (٢٨/ ٥٥٢).

(٧) انظر: فتح الباري (١٣/ ٧٧).

الواحد، وأن يكونوا في بعض منه دون بعض، ويجوز إخلاء الأرض كلها من بعضهم أو أولاً فأولاً إلى ألا يبقى إلا فرقة واحدة ببلد واحد، فإذا انقرضوا جاء أمر الله» أ.هـ[1].

ومن لزوم هذه الجماعة ألا يضره كيد من خالفهم ولا من خذلهم، بل يشعر المسلم بالعزة والشرف للانتماء إليهم والسير في ركبهم[2]

ولهذا قال – عليه الصلاة والسلام –: (لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم).

لأن الإيمان سيعود غريباً كما بدأ، فيقل من يعرفه، ويصبح المستمسك بالحق غريباً، لكن الإسلام لا يكون ذليلاً، كما كان في بدايته بل هناك طائفة منصورة أعزاء ظاهرين، وهذه من البشائر المحمدية، خصوصاً لنا في هذا الزمان بأن الحق لا يزول بالكلية[3]، قال تعالى: ﴿ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾[4].

قال شيخ الإسلام: «أعظم ما تكون غربته إذا ارتد الداخلون فيه عنه»[5]، فإذا ارتدت طائفة جاء الله بطائفة أخرى مؤمنة تحب الله ويحبها تجاهد عنه[6].

ولهذا يبعث الله على رأس كل مائة سنة من يجدد الدين، كما في الحديث عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة

---

(١) نقله ابن حجر ملخصاً، فتح الباري (١٣/ ٢٩٥).

(٢) ومن هذا التخذيل ما نسمعه ونشاهده من التنقيص والحط من مقام أهل العلم من السلف الصالح، ومن سار على طريقهم ووصفهم بالغلو والتعنت، كما يحصل الآن من بعض ضعاف الإيمان في الطعن في شيخ الإسلام ابن تيمية والإمام محمد بن عبدالوهاب – رحمهما الله تعالى –.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١٨/ ٢٩٦)، زاد المعاد (٣/ ٥٠٦-٥٠٧).

(٤) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

(٥) مجموع الفتاوى (١٨/ ٢٩٦-٢٩٧).

(٦) انظر: المرجع السابقة، (١٨/ ٣٠٠-٣٠١).

سنة من يجدد لها دينها)[١] .

ومن هؤلاء عمر بن عبدالعزيز الذي ظهر في رأس المائة الأولى، جدد الله به الدين بعد أن أصبح غريباً حتى كان بين الناس من لا يعلم بتحريم الخمر .

وكذلك الشافعي ظهر في رأس المائة الثانية، وابن سريج على رأس المائة الثالثة .

وهكذا، ولا يلزم أن يكون واحداً، لصعوبة الاتصاف بجميع الصفات المستلزمة للتجديد في شخص واحد من إقامة العدل، والجهاد، وغير ذلك، ولهذا حمل الإمام أحمد الحديث على عمر بن عبدالعزيز لاتصافه بجميع صفات الخير وتقدمه فيها[٢] .

قال ابن حجر - رحمه الله - : «وأما من جاء بعده، فالشافعي وإن كان متصفاً بالصفات الجميلة، إلا أنه لم يكن القائم بأمر الجهاد والحكم بالعدل، فعلى هذا كل من كان متصفاً بشيء من ذلك عند رأس المائة هو المراد سواء تعدد أم لا» أ. هـ[٣] .

قال شيخ الإسلام - معلقاً على هذا الحديث - : «وهذا الحديث يفيد المسلم أنه لا يغتم بقلة من يعرف حقيقة الإسلام، ولا يضيق صدره بذلك، ولا يكون في شك من دين الإسلام، كما كان الأمر حين بدأ، وكذلك إذا تغرب يحتاج صاحبه من الأدلة والبراهين إلى نظير ما احتاج إليه في أول الأمر . . .»أ.هـ[٤] .

وأما الأحاديث الصحيحة التي يدل معناها على فساد الدين في آخر الزمان، ومنها حديث أنس - ﷺ- قال: قال رسول الله ﷺ : (لا تقوم الساعة على أحد يقول الله الله)[٥]، وحديث عبدالله - ﷺ - عن النبي ﷺ قال: (لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس)[٦] .

فيحمل على أن ذلك بعد خروج الدجال ويأجوج ومأجوج عند قرب الساعة،

---

(١) رواه أبو داود، رقم: ٤٢٩١، (٢/ ٥١٢)، والحاكم في المستدرك، رقم: ٨٥٩٢، (٤/ ٥٦٧-٥٦٨).
(٢) مجموع الفتاوى (١٨/ ٢٩٧)، وتهذيب الكمال (٢٤/ ٣٦٥)، وسير أعلام النبلاء، (١٧/ ١٩٥).
(٣) فتح الباري (١٣/ ٢٩٥)، ط. دار المعرفة.
(٤) مجموع الفتاوى (١٨/ ٢٩٧-٢٩٨).
(٥) رواه مسلم، في كتاب: «الإيمان»، رقم: ١٤٨، (١/ ١٣١).
(٦) رواه مسلم في كتاب: «الفتن وأشراط الساعة»، رقم: ٢٩٤٩، (٤/ ٢٢٦٨).

وذلك حين يرسل الله الريح التي تقبض أرواح المؤمنين ، فيبقى الشرار ، ليس منهم مؤمن وعليهم تقوم الساعة ، وقد روي هذا الجمع بين الحديثين عن عبدالله بن عمرو بن العاص[(١)] ، كما في الحديث عن أبي هريرة - ﷺ - قال: قال رسول الله ﷺ : (إن الله يبعث ريحاً من اليمن ألين من الحرير فلا تدع أحداً في قلبه مثقال حبة ، وفي رواية «ذرة» من إيمان إلا قبضته) [(٢)] .

ومن لزوم الجماعة المحافظة على الصلاة مع جماعة المسلمين ، كما في الحديث عن أبي الدرداء - ﷺ - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان، فعليك بالجماعة، فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية)** [(٣)] .

ومعنى استحوذ عليهم الشيطان: «أي استولى عليهم وحولهم إليه» [(٤)] .

القاصية: «أي الشاة المنفردة عن القطيع البعيدة منه ، قيل: المراد إن الشيطان يتسلط على من يخرج من عقيدة أهل السنة والجماعة . . .» [(٥)] .

قال تعالى: ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾[(٦)] .

وقد سبق التفصيل في معنى الاستحواذ .

---

(١) صحيح مسلم (٣/ ١٥٢٤) ، ومجموع الفتاوى (١٨/ ٢٩٦) ، فتح الباري ، (١٣/ ١٩ ، (١٣/ ٧٧) ، (١٣/ ٨٥) ، (١٣/ ٢٨٦) ، وشرح كتاب التوحيد ، للشيخ سليمان بن عبدالوهاب ، ص ٣٣١ .

(٢) رواه مسلم في كتاب: «الإيمان» ، رقم: ١١٧ ، (١/ ١٠٩) .

(٣) رواه أبو داود ، رقم: ٥٤٧ ، والنسائي ، رقم: ٨٤٧ ، والحاكم في المستدرك ، رقم: ٧٦٥ ، وقال: «هذا حديث صدوق رواته شاهد لما تقدم متفق على الاحتجاج برواته إلا السائب بن حبيش ، وقد عرف من مذهب زائده إنه لا يحدث إلا عن الثقات» ، وذكره السيوطي في تفسيره ، وقال: «أخرجه أبو داود والنسائي والحاكم وصححه» وابن مردويه (٨/ ٨٦) .

(٤) شرح السيوطي لسنن النسائي ، بحاشية السنن (٢/ ١٠٦) ، والفتح الرباني (٥/ ١٧٥) .

(٥) حاشية الإمام السندي مطبوع بحاشية سنن النسائي (٢/ ١٠٦) ، وانظر: الفتح الرباني ، لأحمد البنا (٣/ ٣) (٥/ ١٧٥) ، وعون المعبود (٢/ ٢٥١) .

(٦) سورة المجادلة ، الآية: ١٩ .

وأما مقتضى لزوم الجماعة بالمعنى الثاني فيستلزم أموراً منها: طاعة ولي الأمير فيما يأمر به، ما لم يأمر بمعصية – كما سيأتي [١] – .

ومنها: الوقوف مع الجماعة ونصرتها ضد من يعتدي عليها أو يخرج عليها، ولهذا أمر الله تعالى بقتال الباغي.

قال تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾[٢].

عن ابن عباس قال: «فإن الله سبحانه أمر النبي ﷺ والمؤمنين إذا اقتتلت طائفتان من المؤمنين أن يدعوهم إلى حكم الله وينصف بعضهم من بعض، فإن أجابوا حكم فيهم بكتاب الله حتى ينصف المظلوم من الظالم، فمن أبى منهم أن يجيب فهو باغ، فحق على إمام المؤمنين أن يجاهدهم ويقاتلهم حتى يفيئوا إلى أمر الله ويقروا بحكم الله»[٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : «لم يأذن ابتداء في قتال بين المؤمنين، بل إذا اقتتلوا فأصلحوا بينهما، والاقتتال هو فتنة، وقد تكون إحداهما أقرب إلى الحق، فأمر سبحانه في ذلك بالإصلاح، وكذلك فعل النبي ﷺ لما اقتتل بنو عمرو بن عوف، فخرج ليصلح بينهم، وقال لبلال: إن حضرت الصلاة فقدم أبا بكر . . . فإذا أصلح بينهم بالقسط فلم تقبل إحداهما بالقسط بل بغت، فإنها تقاتل لأن قتالها هنا يدفع به القتال الذي هو أعظم منه . . .»[٤].

وأمر النبي ﷺ بقتل الخارج عن الجماعة المفرق لأمر الأمة، كما في حديث عرفجة بن شريح[٥] – رضي الله عنه – قال: قال رأيت رسول الله ﷺ على المنبر يخطب، فقال:

---

(١) انظر ص
(٢) سورة الحجرات، الآية: ٩ .
(٣) رواه ابن جرير في تفسيره (٢٦/ ١٢٧)، ط . دار الفكر، وانظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٢١٢)، الدر المنثور، للسيوطي (١/ ٤٩٦)، شرح الطحاوية لابن أبي العز، ص٥٧٩، فتح الباري (٥/ ٢٩٩) .
(٤) الاستقامة، لابن تيمية (١/ ٣٣)، بتصرف يسير، وانظر: مجموع الفتاوى (٣/ ٢٨٤)، (١٧/ ٣١١) .
(٥) عرفجة بن شريح، وقيل: ابن صريح، بالصاد المهملة، أو المعجمة، وقيل: ابن شريك، وقيل: ابن شراحيل، نزل الكوفة، صحابي سمع من رسول الله ﷺ، انظر الإصابة (٤/ ٢٣٥) .

(إنه سيكون هناتٌ وهناتُ، فمن رأيتموه فارق الجماعة أو يريد أن يفرق أمر أمة محمد ﷺ فاقتلوه، فإن يد الله على الجماعة، فإن الشيطان مع مَنْ فَارَقَ الجماعة يركض) (١) .

ومن هنا فيجب على المسلمين التزام جماعة المسلمين والالتفاف حول أئمة المسلمين وعلمائها الربانيين ، لكثرة الفتن في هذا الزمان ، وكثرة الشبهات والتباس الحق بالباطل ، لا سيما وقد أصبح المعروف منكراً والمنكر معروف ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وذلك لدفع الشيطان وحزبه فلا ينفذ بشره إلى جماعة المسلمين .

---

(١) رواه النسائي ، رقم: ٤٠٢٠ ، (٧/ ٩٢) ، وهو في صحيح الجامع الصغير ، رقم: ٢٣٨٩ ، (٢/ ٢٩٧) .

المبحث الثاني

الأذكـــــــــار

ومن وسائل التحصين من الشيطان الرجيم ملازمة الذكر، وهو من خير الأعمال وأزكاها كما في الحديث:

(ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: ذكر الله) [١] .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة، فمرَّ على جبل يقال له: جمدان، فقال: **(سيروا، هذا جمدان، سبق المفرِّدون، قيل: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: الذاكرون الله كثيراً والذاكرات)** [٢] .

وفي حديث الحارث الأشعري – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: **(. . . وآمركم بذكر الله كثيراً، ومثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعاً في أثره حتى أتى حصناً حصيناً أحرز نفسه منه، وكذلك العبد لا ينجو من الشيطان إلا بذكر الله)** [٣] .

وفي الأثر عن ابن عباس – رضي الله عنه – قال: **(الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وَسْوَسَ، فإذا ذكر الله تعالى خنس)**[٤] .

---

(١) رواه الترمذي، رقم: ٣٣٧٤)، (٩/ ٩٥)، وابن ماجه، رقم: ٣٧٩٠، (٢/ ١٢٤٥)، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٩٦)، وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم: ٢٦٢٩، (١/ ٥١٣).

(٢) رواه مسلم في كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار رقم: ٢٦٧٦ (٤/ ٢٠٦٢).

(٣) جزء من حديث رواه ابن خزيمة في صحيحه، رقم: ١٨٩٥، (٣/ ١٩٥)، واللفظ له، والحاكم في المستدرك، برقم: ١٥٣٤، (١/ ٥٨٢)، وقال: «هذا حديث على شرط الشيخين ولم يخرجاه» أ.هـ، وأحمد في مسند، رقم: ١٧٢٠٩، (٤/ ١٣٠)، (٤/ ٢٠٢)، مؤسسة قرطبة، والطيالسي في مسنده، رقم: ١١٦١، (١/ ١٥٩)، دار المعرفة، بيروت، والطبراني في المعجم الكبير، رقم: ٣٤٢٧(٣/ ٢٨٦).

(٤) سبق تخريجه مرفوعاً، وهذا الأثر رواه ابن جرير الطبراي في تفسيره (٣/ ٢٨)، وذكره ابن الأثير في جامع الأصول، برقم: ٨٩٧، (٢/ ٥٢٤)، ولم يعلق عليه الألباني في المشكاة .

«فلو لم يكن في الذكر إلا هذه الخصلة الواحدة، لكان حقيقا بالعبد ألا يفتر لسانه عن ذكر الله تعالى، وألا يزال لهجاً بذكره، فإنه لا يحرز نفسه من عدوه إلا بالذكر، ولا يدخل عليه العدو إلا من باب الغفلة، فهو يرصده، فإذا غفل وثب عليه وافترسه، وإذا ذكر الله تعالى انخنس وتصاغر وانقمع» أ. هـ[1].

ولهذا يحاول الشيطان أن يصده عن الذكر ويشغله، كما في الحديث عن عبدالله بن عمرو، عن النبي ﷺ قال: **(خصلتان أو خلتان لا يحافظ عليهما عبد مسلم إلا دخل الجنة، هما يسير، ومن يعمل بهما قليل يسبح في دبر كل صلاة عشراً ويحمد عشراً ويكبر عشراً، فذلك خمسون ومائة باللسان وألف وخمسمائة في الميزان، ويكبر أربعاً وثلاثين إذا أخذ مضجعه ويحمد ثلاثاً وثلاثين ويسبح ثلاثاً وثلاثين، فذلك مائه باللسان وألف في الميزان، فلقد رأيت رسول الله ﷺ يعقدها بيده، قالوا يا رسول الله كيف هما يسير ومن يعمل بهما قليل، قال: يأتي أحدكم يعني الشيطان في منامه فينومه قبل أن يقوله ويأتيه في صلاته فيذكره حاجة قبل أن يقوله)**[2].

ومن وسائل طرد الشيطان بالذكر:

١- المداومة على التسمية: يعنى: قول بسم الله الرحمن الرحيم، وقد يزاد في بعض المواضع، الرحمن الرحيم، وقول بسم الله يتضمن اسم الله العظيم، ومعناه: «ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين»[3]، وقال الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله -: «الله علم على ربنا تبارك وتعالى معناه الإله أي المعبود»[4].

---

(١) الوابل الصيب، ص٥٦، وذكر فيه أكثر من مائة فائدة.

(٢) رواه أبو داود، رقم: ٥٠٦٥، (٢/ ٧٣٦-٧٣٧)، رواه الترمذي، رقم: ٣٤١٠، (٩/ ١١٥)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح» أ. هـ، وابن حبان في صحيحه، رقم: ٢٠١٨، (٥/ ٣٦١)، وعبدالرازق في مصنفه، رقم: ٣١٨٩، (٢/ ٢٣٣-٢٣٤)، وأحمد في المسند، رقم: ٦٤٩٨، (٢/ ١٦٠).

(٣) روي هذا القول عن ابن عباس - رضي الله عنه - رواه ابن جرير في تفسيره (١/ ٥٤).

(٤) مؤلفات محمد بن عبدالوهاب (٤/ ١١).

وقيل معناه: «واجب الوجود الذي لم يزل ولا يزال» (١) .

ولهذا الاسم العظيم خواصٌ ليست لغيره من الأسماء ومنها:

١- دلالته على جميع الأسماء والصفات بسائر الدلالات .

٢- إضافة سائر الأسماء الحسنى إليه ، كقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ﴾(٢) ، وقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ (٣) .

٣- الابتداء به في جميع الأمور وتعليق حل الذبائح بذكره عليها .

٤- أن من قال (لا إله إلا الله) عصم دمه ، وماله ، وحسابه على الله تعالى .

٥- اختصاصه بالقسم .

٦- افتتاح الصلاة به .

٧- إنه خاص بالله تعالى ، فلا يتسمى به غيره ، فلذلك لا يثنى ولا يجمع (٤) ، ولهذا عده بعض العلماء اسم الله الأعظم ، فعن جابر بن زيد (٥) في قوله تعالى: ﴿ بسم الله ﴾ ، قال: «اسم الله الأعظم هو الله ، ألا ترى أنه في جميع القرآن يبدأ به قبل كل اسم»(٦) ، ورجح ذلك ابن

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي (١/ ١٠٢) .
(٢) سورة الحشر ، الآية: ٢٤ .
(٣) سورة الأعراف ، الآية: ١٨٠ .
(٤) انظر: التوحيد ، لابن منده (٢/ ٢١ وما بعدها) ، مدارج السالكين (١/ ٣٢ ، (١/ ٣٥) وما بعدها .
(٥) جابر بن زيد الأزدي اليحمدي أبو الشعثاء الجوفي البصري روى عن ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وغيرهم ، عالم من العلماء وفقيه قال عنه ابن عباس ﷺ: «لو أن أهل البصرة نزلوا عند قول جابر بن زيد لأوسعهم علماً من كتاب الله» ا.هـ. ولما مات قال قتادة: اليوم مات أعلم أهل العراق ، وكان الحسن يستخلفه في الفتيا إذا غزا ، مات سنة ٩٣هـ ، وقيل ١٠٣هـ ، انظر: تهذيب التهذيب (٢/ ٣٤) .
(٦) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ١١) ، تحقيق: د/ أحمد بن عبدالله العماري الزهراني ، نشر: دار مكتبة الدار وطيبة وابن القيم ، وذكره السيوطي ، في الدرر المنثور (١/ ٢٣) ، وعزاه إلى ابن أبي شيبة ، والبخاري في تاريخه ، وابن الضريس في فضائله ، وقال محقق تفسير ابن أبي حاتم: «في سنده أبو هلال الراسبي وهو محمد بن سليم الراسبي متكلم فيه»أ. هـ ، قال عنه ابن حجر في التقريب: «صدوق فيه لين» ، رقم: ٥٩٢٣ ، ص ٤٨١ .

كثير[(١)]، وابن العربي[(٢)] – رحمهما الله تعالى – .

وهي أول ما أمر النبي ﷺ بقوله، كما في قوله تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ ﴾[(٣)]، قال ابن عباس – رضي الله عنه – : «أول ما نزل جبريل على محمد ﷺ قال له جبريل قال: بسم الله يا محمد، يقول: اقرأ بذكر ربك، وقم واقعد بذكره»[(٤)].

وهناك مواضع عدة تتأكد التسمية فيها لطرد الشيطان ومنها:

الأكل: عن عمرو بن أبي سلمة – رضي الله عنه – قال: كنت في حجر رسول الله ﷺ، وكانت يدي تطيش في الصحفة[(٥)]، فقال لي: (**يا غلام! سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك**)[(٦)]، فمازالت تلك طعمتي بعد، وقوله تطيش: «أي تتحرك وتمتد إلى نواحي الصحفة ولا تقصر على موضع واحد»[(٧)].

وعن حذيفة – رضي الله عنه – قال: كنا إذا حضرنا مع رسول الله ﷺ طعاماً، لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله ﷺ فيضع يده، وإنا حضرنا معه مرة طعاماً فجاءت جارية كأنها تدفع، فذهبت لتضع يدها في الطعام، فأخذ رسول الله ﷺ بيدها، ثم جاء أعرابي كأنما يدفع، فأخذ بيده، فقال رسول الله ﷺ: (**إن الشيطان يستحل الطعام ألا يذكر اسم الله عليه، وإنه جاء بهذه الجارية ليستحل بها فأخذت بيدها، فجاء بهذا الأعرابي ليستحل به فأخذ بيده، والذي**

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٣٥).

(٢) انظر: عارضة الأحوذي (١٣/ ٣٤)، وانظر: ما ذكره ابن حجر حول الخلاف في تحديد اسم الله الأعظم في فتح الباري (١١/ ٢٢٧-٢٢٨).

(٣) سورة العلق، الآية: ١.

(٤) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ١١)، وابن جرير في تفسيره (١/ ٥٠-٥١)، ونقله ابن كثير في تفسيره (١/ ٢٩) وقال: «هذا الأثر غريب، وإنما ذكرناه ليعرف، فإن في إسناده) ضعفاً وانقطاعاً.

(٥) الصحفة: دون القصعة، وهي ما تسع ما يشبع خمسه فالقصعة تشبع عشرة»، شرح النووي (١٣/ ١٩٣).

(٦) رواه البخاري، رقم: ٥٠٦١، (٥/ ٢٠٥٦)، ومسلم، رقم: ٢٠٢٢، (٣/ ١٥٩٩).

(٧) شرح صحيح مسلم، للنووي (١٣/ ١٩٣)، وانظر: فتح الباري (٩/ ٥٢٢).

نفسي بيده إن يده في يدي مع يدها) [١] .

يؤخذ من هذا الحديث الحرص على تذكير الصغير وتعليم الجاهل لئلا يجد الشيطان من خلالهما مدخلاً إلى أكل الطعام وغير ذلك من مداخله التي يحرص عليها .

وقال النووي – رحمه الله – في معنى قوله ﷺ : (إن الشيطان يستحل الطعام ألا يذكر اسم الله تعالى عليه): «معنى يستحل يتمكن من أكله ومعناه أنه يتمكن من أكل الطعام إذا شرع فيه إنسان بغير ذكر الله تعالى، وأما إذا لم يشرع فيه أحد فلا يتمكن، وإن كان جماعة فذكر اسم الله بعضهم دون بعض لم يتمكن منه» [٢] .أ. هـ.

وأكل الشيطان للطعام يحمل على الحقيقة، لثبوته شرعاً وعدم استحالته عقلاً، وعلى ذلك اتفق العلماء من السلف والخلف [٣] ، وأن الحديث يجري على ظاهره، كما تجري أحاديث البول والضراط وغير ذلك مما ثبت فعله للشيطان.

ويؤخذ من الحديث استحباب التسمية في أول الأكل، وإن نسي فليقل بسم الله في أوله وآخره لما ثبت في حديث.

ويؤخذ استحباب الجهر بها ليسمعه غيره فيقتدي به، واستحباب التسمية لكل واحد من الآكلين، وإن سمي واحداً منهم حصل أصل السنة، ولا يتمكن الشيطان من الأكل [٤] .

ورجحه النووي وقال: «نص عليه الشافعي – ﷺ – ويستدل له بأن النبي ﷺ أخبر أن الشيطان إنما يتمكن من الطعام إذا لم يذكر اسم الله تعالى عليه، ولأن المقصود يحصل بواحدة ويؤيده أيضاً ما سيأتي في حديث الذكر عند دخول البيت»أ.هـ[٥] .

---

(١) رواه مسلم، في كتاب «الأشربة»، رقم: ٢٠١٧، (٣/ ١٥٩٧).
(٢) مسلم بشرح النووي (١٣/ ١٨٩-١٩٠).
(٣) انظر: المرجع السابق (١٣/ ١٩٠).
(٤) انظر المرجع السابق نفس الجزء والصفحة.
(٥) المرجع السابق (١٣/ ١٨٩)، وسيأتي حديث الذكر عند دخول البيت.

عند الخروج من البيت : عن أنس – ﷺ – قال: قال رسول الله ﷺ : (**من قال «يعني إذا خرج من بيته» بسم الله توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، يقال له: كفيت ووقيت، وهديت، وتنحى عنه الشيطان**) [(١)] .

وفي رواية: فيقول له شيطان آخر: (**كيف لك برجل قد هدي وكفي ووقي؟**)[(٢)] .

وعن أم سلمة – رضي الله عنها – أن رسول الله ﷺ كان إذا خرج من بيت قال: (بسم الله ، رب أعوذ بك أن أزل أو أضل أو أظلم أو أُظلم أو أجهل أو يجهل علي)[(٣)] .

عند دخول البيت : عن جابر – ﷺ – قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إذا دخل الرجل بيته ، فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه ، قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء ، وإذا دخل فلم يذكر الله تعالى عند دخوله ، قال الشيطان: أدركتم المبيت ، وإذا لم يذكر الله تعالى عند طعامه ، قال: أدركتم المبيت والعشاء) [(٤)] .

وفي الذكر الذي يقال عند دخول المنزل ، ما روى أبو مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ : (إذا ولج الرجل بيته فليقل: اللهم إني أسألك خير المولج وخير المخرج ، بسم الله ولجنا ، وبسم الله خرجنا ، وعلى ربنا توكلنا ثم يسلم على أهله)[(٥)] .

عند عثور الدابة : في الحديث عن أبي المليح عن رجل قال: كنت رديف النبي ﷺ فعثرت دابته ، فقلت: تعس الشيطان ، فقال: (لا تقل تعس الشيطان ، فإنك إذا قلت ذلك تعاظم حتى يكون مثل البيت ، ويقول: بقوتي ، ولكن قل: بسم الله ، فإنك إذا قلت

---

(١) رواه الترمذي ، رقم:٣٤٢٦ ، و قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه» . وابن حبان في صحيحه ، رقم: ٨٢٢ (٣/ ١٠٤) ، وصححه الألباني ، صحيح الكلم الطيب ص٤٤ .

(٢) رواه أبو داود ، رقم: ٥٠٩٥ ، (٢/ ٧٤٦-٧٤٧) .

(٣) رواه الحاكم في المستدرك ، ١٩٠٧ (١/ ٧٠٠) وصححه ، والبيهقي في السنن الكبرى ، رقم: ٧٩٢٣ .

(٤) سبق تخريجه .

(٥) رواه أبو داود ، رقم: ٥٠٦٦ ، والطبراني في المعجم الكبير ، رقم: ٣٤٥٢ ، (٣/ ٢٩٦) ، وصححه الألباني: تخريج الكلم الطيب (٤٣) .

ذلك تصاغر حتى يكون مثل الذباب)[١] .

وفي الحديث عن ابن مسعود – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال: (إذا ركب الرجل الدابة فلم يذكر الله ردفه الشيطان، فقال له: تغن، فإن لم يحسن قال له تمن)[٢] .

عند دخول الخلاء : عن علي – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال: (ستر ما بين أعين الجن وعورات بني آدم، إذا دخل الكنيف أن يقول: بسم الله)[٣] .

قال النووي – رحمه الله – وهذا الأدب متفق على استحبابه ويستوي فيه الصحراء والبنيان»[٤] ا.هـ.

عند الجماع : عن ابن عباس – رضي الله عنهما – عن النبي ﷺ قال: (لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: بسم اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا، فقضي بينهما ولد لم يضره)[٥] ، وقد سبق شرحه.

في أذكار الصباح والمساء : فعن عثمان بن عفان – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: (ما

---

(١) رواه أبو داود، رقم: ٤٩٨٢، (٤/ ٢٩٦)، وأحمد في المسند، والنسائي في عمل اليوم والليلة، رقم: ١٠٣٨٨، (٦/ ١٤٢)، والحاكم في المستدرك، رقم: (٤/ ٢٩٢)، وصححه، وابن السني في عمل اليوم والليلة، رقم: ٥١٠، ص ١٩٠، وقال ابن كثير في تفسيره (٤/ ٩٢): «إسناد جيد قوي والله أعلم»، وصححه الألباني في الجامع الصغير، رقم: ٧٤٠١، (٢/ ١٢٣٤).

(٢) رواه الطبراني في الكبير، رقم: ٨٧٨١، (٩/ ١٥٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٣١): «رجاله رجال الصحيح» أ. هـ.

(٣) رواه الترمذي، رقم: ٦٠٦ (٢/ ٥٠٣) وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإسناده ليس بذاك القوي وقد روي عن أنس عن النبي ﷺ أشياء في هذا وأكثر الروايات تذكر في آخره قصة ابان بن عثمان وأنه أصابه الفالج، فجعل الرجل الذي سمع منه الحديث ينظر إليه، فقال له: «ما لك تنظر إليّ؟ فوالله ما كذبت على عثمان ولا كذب عثمان على النبي ﷺ ولكن اليوم الذي أصابني فيه ما أصابني غضبت فنسيت أن أقولها»، وابن ماجه في كتاب «الطهارة وسننها»، باب: (ما يقول الرجل إذا دخل الخلاء)، رقم: ٢٩٧، (١/ ١٠٩)، وصححه الألباني، انظر إرواء الغليل (١/ ٨٨).

(٤) المجموع (٢/ ٩٣).

(٥) سبق تخريجه.

من عبد يقول في صباح كل يوم ، ومساء كل ليلة ، بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء ، وهو السميع العليم ، ثلاث مرات لم يضره شيء) [١] .

٢- **كلمة التوحيد** : قال ابن القيم - رحمه الله - : «اعلم أن أشعة لا إله إلا الله تبدد من جنبات الذنوب وغيومها بقدر قوة ذلك الشعاع وضعفه فلها نور ، وتفاوت أهلها في ذلك القوة قوة وضعفاً لا يحصيه إلا الله ، فمن الناس من نور هذه الكلمة في قلبه كالشمس ومنهم من نورها في قلبه كالكوكب الدري ومنهم من نورها في قلبه كالمشعل العظيم» [٢] ا .هـ .

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، في يوم مائه مرة ، كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك) [٣] .

وعن أبي ذر - ﷺ - أن رسول الله ﷺ قال: (من قال في دبر صلاة الصبح وهو ثان رجليه قبل أن يتكلم: لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك ، وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير عشر مرات محي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات ، وكان يومه ذلك في حرز من كل مكروه ، وحرس من الشيطان ولم ينبغ لذنب أن يدركه في ذلك اليوم إلا الشرك بالله تعالى) [٤] .

---

(١) رواه أبو داود ، رقم: ٣٨٦٩ ، وابن ماجة (٢/ ١٢٧٣) ، والترمذي ، رقم: ٣٣٨٨ .

(٢) مدارج السالكين (١/ ٣٢٩) .

(٣) رواه البخاري ، رقم: ٣١١٩ ، (٣/ ١١٩٨) ، ومسلم ، رقم: ٢٦٩١ ، (٤/ ٢٠٧١) .

(٤) وواه الترمذي ، رقم ، رقم: ٣٤٧٤ ، وقال: «هذا حديث حسن غريب صحيح» ، ورواه النسائي في السنن الكبرى ، رقم: ٩٩٥٥ ، ورواه الطبراني في المعجم الكبير ، رقم ٤٠١٥ ، (٤/ ١٦٤) ، ورواه من طريق آخر ، رقم: ٤٠٩٢ ، (٤/ ١٨٦) ، قال عنها الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٠٤): «رجاله ثقات»ا . هـ .

وعن أم سلمة – رضي الله عنها – أن فاطمة جاءت إلى النبي ﷺ تشتكي إليه الخدمة، فقالت: يا رسول الله، والله لقد مجلت[١] يدي من الرحى، أطحن مرة وأعجن مرة، فقال لها رسول الله ﷺ: (إن يرزقك الله شيئاً يأتك، وسأدلك على خير من ذلك إذا لزمت مضجعك فسبحي الله ثلاثاً وثلاثين وكبري ثلاثاً وثلاثين واحمدي أربعاً وثلاثين؛ فذلك مائة فهو خير لك من الخادم، وإذا صليت صلاة الصبح فقولي لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت بيده، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير؛ عشر مرات بعد صلاة الصبح، وعشر مرات بعد صلاة المغرب؛ فإن كل واحدة منهن تكتب عشر حسنات، وتحط عشر سيئات، وكل واحدة منهن كعتق رقبة من ولد إسماعيل، ولا يحل لذنب كسب ذلك اليوم أن يدركه؛ إلا أن يكون الشرك، لا إله إلا الله وحده لا شريك له وهو حرسك ما بين أن تقوليه غدوة إلى أن تقوليه عشية من كل شيطان ومن كل سوء)[٢].

٣- الذكر عند التشكيك في العقائد: وقد سبق في الاستعاذة ذكر حديث أبي هريرة – ﷺ – قال: قال رسول الله ﷺ: **(يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته)**[٣]. وفي رواية: **(لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال: هذا خلق الله، فمن خلق الله؟ فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل: آمنت بالله ورسله)**[٤].

٤- المحافظة على أذكار النوم والاستيقاظ والفزع منه: عن حذيفة – ﷺ – قال: كان

(١) مجلت يدي: «أي ثخن جلدها وتعجر وظهر فيها ما يشبه البثر، من العمل بالأشياء الصلبة الخشنة»، النهاية في غريب الحديث، (٤/ ٣٠٠).

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (٦/ ٢٩٨)، وقد درست إسناده، د/ إلهام الجابري في رسالتها: «الأحاديث الواردة في الشيطان»، ص ١١٥٨-١١٦٠، وقالت: «إسناده حسن لوجود راويين صدوقين هما عبدالحميد بن بهرام وشهر بن حوشب»، وحديث مجيء فاطمة إلى رسول الله وطلبها للخادم ثابت في الصحيحين في البخاري، رقم: ٣٥٠٢، ومسلم، رقم: ٢٧٢٧.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) رواه البخاري، (٤/ ١٤٩)، الفتح.

رسول الله ﷺ إذا أراد أن ينام قال: (**باسمك اللهم أموت وأحيا)ن وإذا استيقظ من منامه قال: (الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور)** (١) .

وعن البراء بن عازب قال: قال لي رسول الله ﷺ : (إذا أتيت مضجعك ، فتوضأ وضوءك للصلاة ، ثم اضطجع على شقك الأيمن وقل: اللهم أسلمت نفسي إليك ، ووجهت وجهي إليك ، وفوضت أمري إليك ، وألجأت ظهري إليك ، لا ملجأ ولا منجي منك إلا إليك ، آمنت بكتابك الذي أنزلت ، ونبيك الذي أرسلت ، فإن مت من ليلتك مت على الفطرة ، واجعلهن آخر ما تقول) (٢) ، وفي الحديث الندب بالوضوء قبل النوم والمبيت على طهارة حسية ومعنوية والاستعداد للموت بطهارة القلب ، وتفويض الأمر لله (٣) .

وعن جابر عن النبي ﷺ قال: (**إذا دخل الرجل بيته أو أوى إلى فراشه ابتدره ملك وشيطان فيقول الملك افتح بخير، ويقول الشيطان: افتح بشر؛ فإذا ذكر الله طرد الملك الشيطان وظل يكلؤه، فإذا انتبه من منامه ابتدره ملك وشيطان، فيقول الملك: افتح بخير، ويقول الشيطان: افتح بشر؛ فإن هو قال: الحمد لله الذي رد إلي نفسي بعد موتها ولم يمتها في منامها الحمد لله الذي يمسك السماوات أن تقع على الأرض إلا بإذنه إلى آخر الآية** (٤) ، **فإن هو خرَّ من فراشه فمات كان شهيداً، وإن هو قام يصلي صلى في فضائل)** (٥) .

وليذكر الله عند قيامه من النوم ليحل عقد الشيطان التي عقدها عليه عند منامه ،

---

(١) رواه البخاري ، رقم: ٥٩٥٣ ، (٥/ ٢٣٢٦) ، ومسلم ، رقم: ٢٧١١ ، (٤/ ٢٠٨٢) .
(٢) رواه البخاري ، رقم: ٥٩٥٣ ، (٥/ ٢٣٢٦) ، ومسلم ، رقم: ٢٧١٠ ، (٤/ ٢٠٨٢) .
(٣) انظر: فتح الباري ، لابن حجر (١١/ ١١٠) ، ط . دار المعرفة .
(٤) وهي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ ، سورة الحج ، الآية: ٦٥ .
(٥) رواه النسائي ، رقم: ١٦٨٩ ، (٦/ ٢١٣) ، وابن السني في عمل اليوم والليلة ، رقم: ١٢ ، ص ١٥ ، وأبو يعلى في مسنده ، رقم: ١٧٩١ ، (٣/ ٣٢٦) ، والبخاري في الأدب المفرد ، رقم: ١٢١٤ ، والحاكم في المستدرك ، رقم: ، (١/ ٥٤٨) ، وقال: «صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي .

كما في حديث أبي هريرة - ﷺ - أن رسول الله ﷺ قال: (يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام، ثلاث عقد يضرب على كل عقدة مكانه، عليك ليل طويل فارقد، فإذا استيقظ وذكر الله تعالى انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقدة كلها، فأصبح نشيطاً طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان)[١].

وأمر ﷺ بنفض الفراش قبل النوم لما في حديث أبي هريرة - ﷺ - أن رسول ﷺ قال: (**إذا قام أحدكم عن فراشه ثم رجع إليه فلينفضه بصفة إزاره ثلاث مرات، فإنه لا يدري ما خلفه عليه بعده، وإذا اضطجع فليقل: باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه فإن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين، فإذا استيقظ فليقل: الحمد لله الذي عافاني في جسدي، وردَّ عليَّ روحي، وأذن لي بذكره**)[٢]، والحكمة من النفض بالثوب دون اليد لئلا يكون في فراشه ما يكره فيصيب يده، وقوله لا يدري ما خلفه عليه بعده: أي من تراب أو قذاة أو هوام[٣].

وعن بريدة قال: شكا خالد بن الوليد إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! ما أنام الليل من الأرض، فقال النبي ﷺ: (إذا أويت إلى فراشك فقل: **اللهم رب السموات السبع وما أظلت، ورب الأرضين وما أقلت، ورب الشياطين، وما أضلت كن لي جاراً من شر خلقك كهم جميعاً، أن يفرط عليَّ أحد منهم، وأن يبغي عليَّ. عز جارك، وجلَّ ثناؤك ولا إله غيرك، ولا إله إلا أنت**)[٤].

وعند الفزع يقول: كما في حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم من الفزع كلمات: (**أعوذ بكلمات الله التامات، من غضبه وشر عباده، ومن**

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه البخاري، رقم: ٥٩٦١، (٥/ ٢٣٢٩)، ومسلم، رقم: ٢٧١٤.

(٣) انظر: فتح الباري (١١/ ١٢٦).

(٤) رواه الترمذي، رقم: ٣٥٢٣، (٩/ ١٨٣)، والطبراني في المعجم الكبير، رقم: ٣٨٣٩، (٤/ ١١٥)، بنحوه، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٢٦): «رواه الطبراني في الأوسط ... ورجاله رجال الصحيح إلا أن عبدالرحمن بن سابط لم يسمع من خلد بن الوليد ورواه في الكبير بسند ضعيف بنحوه» أ. هـ.

همزات الشياطين وأن يحضرون)[١] ، ومعنى همزات الشياطين ، أي نزغاتهم ووساوسهم وفيه الاستعاذة منهم ومن حضورهم للإغواء والإضلال والإيذاء [٢] .

وعن خالد بن الوليد أنه شكا إلى رسول الله ﷺ فقال: إني أجد فزعاً بالليل ، فقال: (ألا أعلمك كلمات علمنيهن جبريل عليه السلام وزعم أن عفريتاً يكيدني، قال: أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء وما يعرج فيها، ومن شر ما ذرأ في الأرض وما يخرج منها، ومن شر فتن الليل وفتن النهار، ومن شر طوارق الليل والنهار إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن) [٣] .

٥- **الأذان والإقامة** : ومن الذكر الذي يطرد به الشيطان الأذان والإقامة ، كما في حديث أبي هريرة – ﷺ – قال: قال النبي ﷺ : (إذا نودي بالصلاة ، أدبر الشيطان وله ضراط ، فإذا قضي أقبل ، فإذا ثُوِّب بها أدبر ، فإذا قضي أقبل حتى يخطر بين الإنسان وقلبه ، فيقول: أذكر كذا وكذا ، حتى لا يدري أثلاثاً صلى أم أربعاً ، فإذا لم يدر ثلاثاً صلى أو أربعاً ، سجد سجدتي السهو) [٤] . وليس الأذان مختصاً بوقته ، بل يشرع لطرد الشيطان في جميع الأوقات التي يعرض للعبد فيها [٥] .

ودليله حديث أبي هريرة – ﷺ – فيما رواه عنه سهيل قال: أرسلني أبي إلى بني حارثة ، قال: ومعي غلام لنا أو صاحب لنا ، فناداه منادٍ من حائط باسمه ، قال: وأشرف الذي معي على الحائط ، فلم ير شيئاً ، فذكرت ذلك لأبي ، فقال: لو شعرت أنك تلقى

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) مصائب الإنسان ، لابن مفلح ، ص ٢٢-٢٣ ، عون المعبود ، لأبي الطيب ، (١٠/ ٣٨٦) .

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير ، رقم: ٣٨٣٨ ، (٤/ ١١٤-١١٥٩ ، وعبدالرزاق في مصنفه ، رقم: ١٩٨٣١ ، (١١/ ٣٥) ، والبيهقي في شعب الإيمان ، رقم: ٤٣٨٧ ، (٩/ ١٢٩) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٢٧): «وفيه المسيب بن واضح وقد وثقه غير واحد وضعفه جماعة ، وكذلك الحسن بن علي المعمري وبقية رجاله رجال الصحيح» أ . هـ .

(٤) رواه البخاري ، رقم: ٥٨٣ ، رقم: ٣١١٠ ، ومسلم ، رقم ٣٨٩ .

(٥) انظر: مقامع الشيطان ، سليم الهلالي ، ص ٥٩ .

هذا ، لم أرسلك ، ولكن إذا سمعت صوتاً فناد بالصلاة ، فإني سمعت أبا هريرة يحدث عن رسول الله ﷺ أنه قال: (إن الشيطان إذا نودي بالصلاة ولىَّ وله حصاص) [١] .

وحصاص: «بحاء مهملة مضمومة وصادين مهملتين أي ضراط ، وقيل: الحصاص: شدة العدو» [٢] ، «وأدبار الشيطان عند الأذان لعظم أمر الأذان لما اشتمل عليه من قواعد التوحيد وإظهار شعائر الإسلام وإعلانه ، وقيل: ليأسه من وسوسة الإنسان عند الإعلان بالتوحيد» [٣] .

٦- ملازمة الذكر عند دخول المسجد وعند الخروج منه : فعن فاطمة بنت النبي ﷺ أن النبي ﷺ قال: (**إذا دخلت المسجد فصل على النبي ﷺ وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك**) [٤] . وفي رواية أخرى في مسلم: (**فليسلم وليصل ويقول إذا خرج اللهم إني أسألك من فضلك**)[٥] ، وفي أخرى: (**اللهم احفظني من الشيطان**) [٦] .

والشيطان يحاول أن يصد العبد عن الذكر حتى وهو في أشرف البقاع عند الله ، ففي الحديث عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ : (إن أحدكم إذا كان في المسجد جاء الشيطان فأبس [٧] به كما يَبَسُّ الرجل بدابته ، فإذا سكن زنقه[٨] ، أو

(١) رواه مسلم في كتاب: «الصلاة» ، رقم: ٣٨٩ ، (١/ ٢٩١) .
(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (٤/ ٩٢) .
(٣) المرجع السابق ، الجزء والصفحة نفسها .
(٤) رواه مسلم في كتاب: «الصلاة» ، رقم: ٧١٣ ، (١/ ٤٩٤) .
(٥) رواه مسلم في كتاب: «الصلاة» ، رقم: ٧١٣ ، (١/ ٤٩٤) .
(٦) رواه النسائي في السنن الكبرى ، رقم: ٩٩١٩ ، (٦/ ٢٧) ، وابن أبي شيبه في مصنفه ، رقم: ٣٤١٥ ، (١/ ٢٩٨) ، والنسائي في عمل اليوم والليلة ، رقم: ٩٠ ، ص ١٧٨ ، وأبو نعيم في الحلية ، (٨/ ١٣٩) .
(٧) فأبس: «يقال بسست الناقة وأبسستها إذا سقتها وزجرته ، وقلت لها بِسْ بِسْ بكر الباء وفتحها» النهاية في غريب الحديث (١/ ١٢٧) .
(٨) زنقه المزنوق: المربوط بالزناق ، وهو حلقه توضع تحت حنك الدابة ، ثم يجعل فيها خيط يشد برأسها تمنع جماحها ، وقال: المزنوق أصله من الزنقة وهو ميل في جدار أو سكة أو عرقوب واد» النهاية في غريب الحديث (٢/ ٣١٥٩ .

ألجمه) ، قال أبو هريرة: «فأنتم ترون ذلك ، أما المزنوق فتراه مائلاً كذا لا يذكر الله ، وأما الملجوم ففاتح فاه لا يذكر الله عز وجل» [(١)] .

ومعنى الحديث: «إن الشيطان يحتال على العبد كما يفعل الراعي مع ناقته حين يريدها أن تنقاد له ليحلبها ، فلا يزال يوسوس للعبد ويسكنه حتى ينقاد له فلا يذكر الله تعالى» [(٢)] .

٧- الذكر عند استفتاح الصلاة عن أبي سعيد الخدري - ﷺ - قال: **(كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل كبر، ثم يقول: سبحانك الله وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك، ثم يقول: لا إله إلا الله ثلاثاً، ثم يقول: الله أكبر كبيرا ثلاثاً، أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه ثم يقرأ)** [(٣)] .

٨- السلام : فالسلام سبب لحصول البركة ، وهي مطردة للشياطين ، ففي الحديث عن أنس بن مالك أنه صلى قال له: **(إذا دخلت على أهلك فسلم يكن بركة عليك وعلى أهلك)**[(٤)] .

وروى عن إبراهيم النخعي - رحمه الله - قال: **«إذا دخلت المسجد فقل السلام على رسول الله، وإذا دخلت على أهلك فسلم عليهم، وإذا دخلت بيتاً ليس فيه أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين»**[(٥)] .

٩- المداومة على أذكار الصباح والمساء : عن أبي بكر - ﷺ - قال: يا رسول الله مرني بكلمات أقولهن إذا أصبحت وإذا أمسيت ، قال: (قل اللهم فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، رب كل شيء ومليكه ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أعوذ

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند رقم (٢/ ٣٣٠) ،وابن كثير في تفسيره (٤/ ٥٧٦) وقال«تفرد به أحمد» أ.هـ.
(٢) انظر: الفتح الرباني ، أحمد البنا (٢/ ٧٧) .
(٣) سبق تخريجه .
(٤) رواه الترمذي ، رقم: ٢٦٩٨ ، وقال: «هذا حديث حسن غريب» وابن جرير في تفسيره(٨/ ١٧٣) .
(٥) رواه ابن جرير الطبراي في تفسيره (١٨/ ١٧٤) ، ذكره ابن كثير في تفسيره عن مجاهد (٣/ ٣٠٦) ، وروي أيضاً عن قتادة وزاد «فإنه كان يؤمر بذلك وحدثنا أن الملائكة ترد عليه» .

بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه ، وأن أقترف على نفسي سوءاً أو أجره على مسلم قله إذا أصبحت ، وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعك) [١] .

وعن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال: لم يكن النبي ﷺ يدع هؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح: (اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة ، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي ، وأهلي ومالي ، اللهم استر عوراتي ، وآمن روعاتي ، اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي ، وعن يميني ، وعن شمالي ، ومن فوقي ، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي) [٢] .

والأمر بالذكر والأحاديث الواردة فيه كثيرة ، قد أفردت لها المصنفات فلكل شأن من شئون العبد ذكر يختص به [٣] ، وإنما اقتصرت على ما سبق لاختصاصه بالموضوع .

ومن أعظم الذكر قراءة القرآن ، كما سيأتي في المبحث القادم .



---

(١) سبق تخريجه .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) الوابل الصيب لابن القيم ، والكلم الطيب لابن تيمية ، والأذكار للنووي ، والأذكار لابن السنى ، وعمل اليوم والليلة للدينوري ، وعمل اليوم والليلة للنسائي ، وتحفة الذاكرين للشوكاني ، وانظر: الكتب والأبواب التي أفردت في كتب الصحاح والسنن .

المبحث الثالث

قراءة القرآن الكريم

القرآن الكريم كلام الله، وهو الحصن الحصين، والسراج المنير، وهو كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل، ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته، حتى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢﴾ [1].

«ومن قال به صدق، ومن علم به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم» [2].

وهو من أعظم ما يدفع به شر الشيطان وحزبه، وقد ورد بيان ذلك على لسان المصطفى ﷺ، وفي الأثر عن أبي هريرة - ﷺ - قال: (إن البيت ليتسع على أهله وتحضره الملائكة وتهجره الشياطين ويكثر خيره، أن يقرأ فيه القرآن، وإن البيت ليضيق على أهله وتهجره الملائكة وتحضره الشياطين ويقل خيره؛ ألا يقرأ فيه القرآن)[3].

ومن وسائل دفع الشيطان بالقرآن الكريم الجهر به، كما في حديث أبي قتادة أن النبي ﷺ خرج ليلة فإذا هو بأبي بكر يصلي، يخفض صوته، قال: ومر بعمر بن الخطاب وهو يصلي رافعٌ صوته، فلما اجتمعا عند النبي ﷺ، قال النبي ﷺ: (يا أبا بكر، مررت

---

(١) سورة الجن، الآيتان: ١-٢.

(٢) جزء من حديث رواه الترمذي، رقم: ٢٩٠٨، (٨/ ١١٢-١١٣)، وقال: «هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإسناده مجهول وفي الحارث مقال»أ. هـ.

(٣) رواه الدارمي في السنن، رقم: ٣٣٠٩، (٢/ ٥٢٢)، وابن المبارك في الزهد، حديث رقم: ٧٩ ص ٢٧٣ بنحوه، وقال المحقق: «أخرجه محمد بن نصر في قيام الليل من حديث أنس مرفوعاً».

بك وأنت تصلي ، تخفض من صوتك) ، قال: أسمعت من ناجيت يا رسول الله .وقال لعمر: (مررت بك وأنت تصلي رافعاً صوتك) . فقال: يا رسول الله ، أوقظ الوَسْنان [١] ، وأطرد الشيطان . فقال النبي ﷺ : (يا أبا بكر ، ارفع من صوتك شيئاً ، ويا عمر ، اخفض من صوتك شيئاً) [٢] .

وقد جاءت النصوص بتخصيص بعض سور وآيات القرآن الكريم بمزيد مزية في دفع الشيطان والتحصن منه ، ومنها:

١- **سورة الفاتحة** : وهي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيه ﷺ ، كما في البخاري عن أبي سعيد بن المعلى [٣] - رضي الله عنه - قال: كنت أصلي فدعاني النبي ﷺ فلم أجبه . فقلت: يا رسول الله كنت أصلي ، قال: (ألم يقل الله: ﴿ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ ﴾ [٤] ثم قال: ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد ، فأخذ بيدي ، فلما أردنا الخروج ، قلت: يا رسول الله إنك قلت: لأعلمنك أعظم سورة في القرآن ، قال: الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته)[٥] .

وفي الرقية ، بها ثبت حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن رهطاً من أصحاب رسول الله ﷺ انطلقوا في سفرة سافروها حتى نزلوا بحي من أحياء العرب فاستضافوهم ، فأبوا أن يضيفوهم فلدغ سيد ذلك الحي فسعوا له بكل شيء لا ينفعه

---

(١) الوسنان: أي النائم الذي لم يستغرق ، والوسن بداية النوم ، انظر: النهاية في غريب الحديث ، (١٨٦/٥) .

(٢) رواه الترمذي ، رقم: ٤٤٧ (٢/ ٩٩-١٠٠) ، وقال: «هذا حديث غريب» ، وأبو داود ، رقم: ١٣٢٩ (١/ ٤٢٣) ، وابن خزيمة في صحيحه ، رقم: ١١٦١ ، (٢/ ١٨٩ ، والحاكم في المستدرك .

(٣) أبو سعيد بن المعلى الأنصاري المدني ، له صحبة يقال: اسمه رافع بن أوس بن المعلى ، ويقال: الحارث بن أوس توفي سنة ٧٣ ، وهو ابن أربع وستين ، تهذيب الكمال (٣٣/ ٣٤٨) .

(٤) سورة الأنفال ، الآية: ٢٤ .

(٥) رواه البخاري ، رقم: ٤٤٢٦ ، (٤/ ١٧٣٨) .

شيء ، فقال بعضهم لو أتيتم هؤلاء الرهط الذي قد نزلوا بكم لعله أن يكون عند بعضهم شيء فأتوهم ، فقالوا: يا أيها الرهط إن سيدنا لدغ فسعينا له بكل شيء لا ينفعه شيء ، فهل عند أحد منكم شيء ، فقال بعضهم: نعم ، والله إني لراقٍ ولكن والله لقد استضفناكم فلم تضيفونا ، فما أنا براقٍ لكم حتى تجعلوا لنا جعلاً ، فصالحوهم على قطيع من الغنم ، فانطلق فجعل يتفل ويقرأ الحمد لله رب العالمين حتى لكأنما نشط من عقال ، فأنطلق يمشي ما به قَلَبَة ، قال: فأوفوهم جعلهم الذي صالحوهم عليه ، فقال بعضهم: أقسموا ، فقال: الذي رقي لا تفعلوا حتى نأتي رسول الله ﷺ فنذكر له الذي كان فننظر ما يأمرنا فقدموا على رسول الله ﷺ فذكروا له ، فقال: وما يدريك أنها رقية أصبتم أقسموا واضربوا لي معكم بسهم) [(١)] .

ب – **علاج للجنون** : فعن خارجة عن عمه قال: اقبلنا من عند النبي ﷺ فأتينا على حي من العرب ، فقالوا: عندكم دواء ، فإن عندنا معتوها في القيود ، فجاؤوا بالمعتوه في القيود ، فقرأت عليه فاتحة الكتاب ثلاثة أيام غدوة وغشيه أجمع بريقي ثم أتفل ، فكأنما نشط من عقال ، فأعطوني جعلاً ، فقلت: لا ، فقالوا: سل النبي ﷺ فسألته ، فقال: (كل فلعمري من أكل برقية باطل ، لقد أكلت برقية حق) [(٢)] .

جـ – **وهي علاج لجميع الأمراض والأوجاع العضوية** : يقول ابن القيم – رحمه الله – : «مكثت بمكة تعتريني أدواء ، ولا أجد طبيباً ولا دواء ، فكنت أعالج نفسي بالفاتحة ، فأرى لها تأثيراً عجيباً ، فكنت أصف ذلك لمن يشتكي ألماً ، وكان كثيراً منهم يبرأ سريعاً»[(٣)] .

٢– **سورة البقرة** : (لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ

---

(١) رواه البخاري ، رقم: ٥٤١٧ ، (٥/ ٢١٦٩-٢١٧٠) ، ومسلم ، رقم: ٢٢٠١ ، (٤/ ١٧٢٨) .
(٢) سبق تخريجه .
(٣) الجواب الكافي ، لابن القيم ، ص ٨ ، والحصن الواقي ، عبدالله السرحان ، ص ٥-٧ .

فيه سورة البقرة)[١] .

وعن أبي أمامة الباهلي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، أقرأوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما اقرأوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة[٢])[٣] .

ومعنى لا تستطيعها البطلة: «أي لا يمكنهم حفظها، وقيل: لا تستطيع النفوذ في قارئها» [٤] .

وفيها آية الكرسي، وثبت فيها حديث أبي هريرة - ﷺ - قال: قال رسول الله ﷺ : (إن لكل شيء سناماً وسنام القرآن سورة البقرة فيها آية سيدة أي القرآن، لا تقرأ في بيت وفيه شيطان إلا خرج منه: آية الكرسي) [٥] .

وفي حديث أبي هريرة - ﷺ - في الصدقة قال: وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام، فأخذته وقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال: دعني فإني محتاج وعليَّ عيال ولي حاجة شديدة.

قال: فخليت عنه فأصبحت، فقال النبي ﷺ : (يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟) ،قال: قلت يا رسول الله، شكا حاجة شديدة وعيالاً فرحمته وخليت سبيله، قال: (أما إنه قد كذبك وسيعود)، فعرفت أنه سيعود، لقول رسول الله ﷺ أنه سيعود فرصدته، فجاء يحثو من الطعام، فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ ،قال:

---

(١) رواه مسلم، في كتاب: «صلاة المسافرين وقصرها»، رقم: ٧٨٠، (١/ ٥٣٩).
(٢) البطلة: السحرة كما فسرحها معاوية بن سلام أحد رواة الحديث.
(٣) رواه مسلم في كتاب: «صلاة المسافين وقصرها»، رقم: ٨٠٤، (١/ ٥٥٣).
(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١/ ٣٥)، ط. دار الفكر.
(٥) رواه الحميدي في مسنده، رقم:٩٩٤، (٢/ ٤٣٧)، والحاكم في المستدرك، رقم: ٢٠٥٩، (١/ ٧٤٨)، وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

دعني محتاج وعلي عيال ، لا أعود ، فرحمته وخليت سبيله ، فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ : (يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟) ، قلت: يا رسول الله ، شكا حاجة وعيالاً فرحمته وخليت سبيله ، قال: أما إنه قد كذبك وسيعود ، فرصدته الثالثة: فجاء يحثو من الطعام ، فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ ، وهذا آخر ثلاث مرات ، إنك تزعم إنك لا تعود ثم تعود ، فقال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها ، قلت: وما هي؟ قال: إذا أويت إلى فرشك فاقرأ آية الكرسي: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ حتى تختم الآية ، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح ، فخليت سبيله فأصبحت ، فقال لي رسول الله ﷺ : (ما فعل أسيرك البارحة؟) ، قلت: يا رسول الله زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها ، فخليت سبيله ، قال: (وما هي؟) ، قال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ ، وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح ، وكانوا أحرص شيء على الخير ، فقال النبي ﷺ : (أما إنه صدقك وهو كذوب تعلم من تخاطب من ثلاث ليالٍ يا أبا هريرة؟) ، قلت: لا ، قال: (ذاك شيطان) .

وهي في أعظم الآيات التي ينتصر بها على الشيطان وحزبه .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : « . . . فقد جرب المجربون الذين لا يحصون كثرة أن لها من التأثير في دفع الشياطين وإبطال أحوالهم ما لا ينضبط من كثرته وقوته ، فإن لها تأثيراً عظيماً في دفع الشيطان عن نفس الإنسان وعن المصروع وعمن تعينه الشياطين ، مثل أهل الظلم والغضب ، وأهل الشهوة والطرب ، وأرباب السماع المكاء والتصدية ، إذا قرئت عليهم بصدق دفعت الشياطين ، وبطلت الأمور التي يخليها الشيطان ، ويبطل ما عند إخوان الشياطين من مكاشفة شيطانية وتصرف شيطاني ، إذ كانت توحي إلى أوليائهم بأمور يظنها الجهال من كرامات أولياء الله المتقين ، وإنما هي من تلبيات الشياطين على أوليائهم المغضوب عليهم والضالين» أ . هـ [(١)] .

---

(١) مجموع الفتاوى (١٩/ ٥٥-٥٦) .

وفيها: الآيتان الأخيرتان وفيه فضلها، ورد حديث ابن مسعود - ﷺ - قال: قال رسول الله ﷺ: (الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأهما في ليلة كفتاه)[١].

وعن النعمان بن بشير قال: قال النبي ﷺ: **(إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي عام أنزل منه آيتين فختم بهما سورة البقرة، ولا يقرآن في دار ثلاث ليال فيقربها شيطان)**[٢]. وفي الحديث إشارة لطيفة حيث عبر بالقرب في قوله ﷺ: (فيقربها) ولم يقل فيدخلها، وفي ذلك تعبير عن نفي الدخول من باب أولى، كما أنه إشار إلى الليل لكونه محل سكون العباد ونومهم، لكونه وقتاً لانتشار الشياطين [٣].

٣- سورة الإخلاص والمعوذتين: وفي الصحيحين عن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ (كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة، جمع كفيَّه، ثم نفث فيهما وقرأ فيهما ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ﴾ و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝ ﴾ و﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝ ﴾، ثم مسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه، وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات)[٤].

وهاتان السورتان من أعظم ما يتعوذ به، وبينهما تناسب وتوافق، كما أشار إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، حيث إن منبع الوسواس شيطان الإنس أو نفس الإنسان، وسورة الناس فيها الاستعاذة من الشر الصادر من العبد، وأما سورة الفلق ففيها استعاذة من الشر الصادر من الخلق عموماً، فكانت الاستعاذة بهما أكمل استعاذة.

وعن عبدالله بن خبيب [٥] - ﷺ - قال: خرجنا في ليلة مطر وظلمة شديدة نطلب

---

(١) رواه البخاري، رقم: ٣٧٨٦، ومسلم، رقم: ٨٠٧ (١/ ٥٥٥).
(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده (٤/ ٢٧٤)، والدارمي، (٢/ ٤٤٩)، والترمذي، رقم: ٣٠٤٤، (٤/ ٢٣٥)، والحاكم في المستدرك، رقم: ٣٠٣١، (٢/ ٢٨٦)، وابن حبان في صحيحه، رقم:٧٧٩ (٢/ ٧٨-٧٩).
(٣) انظر: فيض القدير، للمناوي (٢/ ٣٤٨).
(٤) سبق تخريجه.
(٥) عبدالله خبيب بالمعجمة مصغراً، الجهني حليف الأنصار . . . له صحبة، روى عن النبي ﷺ وروى عنه ولده معاذ، انظر: الإصابة (٤/ ٧٣).

رسول الله ﷺ ليصلي لنا فأدركناه، فقال: (أصليتم؟)، قال: فلم أقل شيئاً، فقال: (قل)، قال: فلم أقل شيئاً، ثم قال: (قل)، فلم أقل شيئاً، ثم قال: (قل)، فقلت: يا رسول الله ما أقول؟ قال: (قل هو الله أحد، والمعوذتين حتى تمسي وحين تصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء) [(١)].

٤- **آيات أخرى من القرآن**: عن أبي بن كعب قال: كنت عند النبي ﷺ فجاء أعرابي، فقال: يا نبي الله إن لي أخاً وبه وجع، قال: (وما وجعه؟)، قال: به لَمَمٌ [(٢)]، قال: فأتني به فوضعه بين يديه فعوذه النبي ﷺ بفاتحة الكتاب وأربع آيات من أول سورة البقرة وهاتان الآيتان: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾[(٣)]، وآية الكرسي، وثلاث آيات من آخر سورة البقرة، وآية من آل عمران: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾[(٤)]، وآية من الأعراف: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾[(٥)]، وآخر سورة المؤمنون: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ﴾[(٦)]، وآية من سورة الجن: ﴿ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ ﴾[(٧)]، وعشر آيات من أول الصافات وثلاث آيات من آخر سورة الحشر، وقل هو الله أحد والمعوذتين، فقام الرجل كأنه لم يشتك قط) [(٨)].

وورد في فضل آخر سورة المؤمنون عندما مرَّ ابن مسعود على رجل مصاب فقرأ

---

(١) رواه أبو داود، رقم: ٥٠٨٢، (٤/ ٣٢٤)، والترمذي (رقم ٧)، رقم: ٣٥٧٥ (٥/ ٥٦٧)، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب»، والنسائي في السنن، كتاب: «الاستعاذة»، باب: (رقم١)، رقم: ٥٤٢٨، (٨/ ٢٥٠).

(٢) لـمّ: أي لمم وهو «طرف من الجنون يلم بالإنسان»، النهاية في غريب الحديث (٤/ ٢٧٢).

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٦٣.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٨.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.

(٦) سورة المؤمنون، الآية: ١١٦.

(٧) سورة الجن، الآية: ١٣.

(٨) رواه ابن ماجه، رقم:٣٥٤٩، (٢/ ١١٧٥، وأحمد في مسنده (٥/ ١٢٨)، والحاكم في المستدرك رقم: ٨٢٦٩ (٤/ ٤٥٨)، وقال: «قد احتج الشيخان رضي الله عنهما برواة هذا الحديث كلهم عن آخرهم غير أبي جناب الكلبي والحديث محفوظ صحيح ولم يخرجاه»، ولم يوافقه الذهبي.

في أذنه: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾ ، حتى ختم السورة فبرأ، فقال رسول الله ﷺ : (بماذا قرأ في أذنه؟ فأخبره فقال رسول الله ﷺ : والذي نفسي بيده لو أن رجلاً موقناً قرأها على جبل لزال) [١] .

وقد كان شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – يقرأ بها في أذن المصروع فيفيق[٢] .

❁ ❁ ❁

(١) رواه أبو يعلى في مسنده، رقم: ٥٠٤٥ ، (٨/ ٤٥٨) ، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٧) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ١١٥): «رواه أبو يعلى وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف وحديثه حسن»أ. هـ، ويشهد له الحديث السابق.

(٢) انظر ما نقله ابن القيم رحمه الله عن شيخ الإسلام في زاد المعاد (٤/ ٦٨) .

المبحث الرابع

غضّ البصر

ومن وسائل التحصين ضد الشيطان غضّ البصر ، حيث إن النظر من سهام إبليس التي يرمي بها فلا تخطئ ، وهو منفذ القلب ، وباب كل شر إذا أطلق في الحرام .

قال القرطبي: «البصر هو الباب الأكبر إلى القلب ، وأعمر طرق الحواس إليه ، بسبب ذلك كثر السقوط من جهته ، ووجب التحذير منه وغضه عن جميع المحرمات» أ.هـ[1] .

وفي الحديث عن حذيفة – ﷺ – قال: قال رسول الله ﷺ : (النظرة سهم من سهام إبليس مسموم من تركها مخافتي أبدلته إيماناً يجد حلاوته في قلبه)[2] .

«فإن السهم شأنه أن يسري في القلب ، يعمل فيه عمل السُّم الذي يسقاه المسموم ، فإن بادر استفراغه وإلا قتل ولا بد»[3] ، لذا حذر الإسلام من إطلاق النظر في الحرام ، كما في حديث علي بن أبي طالب – ﷺ – : (**لا تتبع النظرة النظرة، فإنما لك الأولى وليست لك الآخرة**)[4] .

قال ابن كثير: «ذهب كثير من العلماء إلى أنه لا يجوز للمرأة النظر إلى الرجال الأجانب بشهوة ، ولا بغير شهوة أصلاً ، واحتج كثير منهم بما رواه أبو داود والترمذي

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي (١٢/ ٢٢٣) .

(٢) الطبراني الكبير ، رقم: ١٠٣٦٢ ، (١٠/ ١٧٣) ، والحاكم في المستدرك ، رقم: ٧٨٧٥ ، (٤/ ٣٤٩) ، وقال: صحيح الإسناد ، ولم يوافقه الذهبي ، وابن الشهاب في مسنده ، رقم: ٢٩٢ ، (١/ ١٩٥) .

(٣) روضة المحبين ، لابن القيم ، ص ٩٥ .

(٤) رواه الحاكم في المستدرك ، رقم: ٢٧٨٨ ، (٢/ ٢١٢) ، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه»أ. هـ ، وقال الذهبي في التلخيص «على شرط مسلم»ا .هـ ، وأبو داود ، رقم: ٢١٤٨ ، (٢/ ٢٤٦) ، والترمذي ، رقم: ٢٧٧٦ ، (٥/ ١٠١) ، والدارمي في السنن ، رقم: ٢٧٠٩ ، (٢/ ٣٨٦) .

عن أم سلمة أنها كانت عند رسول الله ﷺ وميمونة قالت: بينما نحن عنده أقبل ابن أم مكتوم، فدخل عليه وذلك بعد ما أمرنا بالحجاب، فقال: ﷺ: (احتجبا منه)، فقلت: **يا رسول الله اليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا؟ فقال رسول الله ﷺ: (أفعمياوان أنتما ألستما تبصرانه)**[١] . . .» أ.هـ[٢]، ورجحه النووي[٣].

وجعل النظر زنى العين، كما في الحديث عن أبي هريرة - ﷺ - قال: (كتب على **ابن آدم نصيبه من الزنا، فهو مدرك ذلك لا محالة، العينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطى، والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه)**[٤]، وقد شرع الإسلام شرائع وقائية لمنع فتنة البصر ومنها:

١- الاستئذان لئلا يقع البصر على ما حرم الله النظر إليه، عن سهل بن سعد - رضي الله عنه - قال: اطلع رجل من حُجْر في حُجَر النبي ﷺ ومع النبي ﷺ مدرى يحك به رأسه فقال: (**لو أعلم أنك تنظر لطعنت به في عينك، وإنما جعل الاستئذان من أجل البصر**)[٥].

٢- تحريم الدخول على النساء، حتى المحارم بدون استئذان خشية أن يرى عورتهن، عن عطاء بن يسار أن رسول الله ﷺ سأله رجل فقال يا رسول الله استأذن على أمي قال: نعم قال الرجل إني معها في البيت فقال رسول الله ﷺ استأذن عليها فقال الرجل إني خادمها فقال له رسول الله ﷺ استأذن عليها أتحب أن تراها عريانة قال:

---

(١) رواه الترمذي، رقم: ٢٧٧٨، (٥/ ١٠٢)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، وأبو داود في السنن، رقم: ٤١١١، (٤/ ٦٣)، وابن حبان في صحيحه رقم: ٥٥٧٦ (١٢/ ٣٨٩) والبيهقي في السنن الكبرى رقم: ١٣٣٠٣ (٧/ ٩١)، وحسنه النووي، انظر: شرح مسلم (٦/ ١٨٤)، قال ابن حجر: «أخرجه أصحاب السنن من رواية الزهري عن نبهان مولى أم سلمة عنها وإسناده قوي وأكثر ما علل به انفراد الزهري بالرواية عن نبهان وليست بعلة قادحة فإن من يعرفه الزهري ويصفه، بأنه مكاتب أم سلمة ولم يجرحه أحد لا ترد روايته»، فتح الباري (٩/ ٣٣٧)، وانظر (١/ ٥٥٠).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٨٣)، دار الفكر.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (٦/ ١٨٤).

(٤) رواه مسلم في كتاب: «القدر»، رقم: ٢٦٥٧، (٤/ ٢٠٤٧).

(٥) رواه البخاري، رقم: ٥٨٨٧، (٥/ ٢٣٠٤)، ومسلم، رقم: ٢١٥٦، (٣/ ١٦٩٨).

لا ، قال: فاستأذن عليها[١] .

٣- حرم الخلوة بالأجنبية ، وفي الحديث: (لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان) [٢] .

٤- شرع الحجاب على المرأة ، قال تعالى: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ ﴾ .

حيث جعله حصناً حصيناً للمرأة تدفع به عن نفسها النظرات المسعورة ، وتزهق به أرواح ذئاب البشر ، الذين لا هم لهم إلا تتبع النساء والنظر إليهن ، ليهنؤوا بلقمة سائغة في مستنقع الرذيلة ، بعد أن دعوا إلى تعرية الأجساد ، تمزيق الحجاب واختلاط الرجال بالنساء ، هناك تضيع الفضيلة ، وتطمس الحقيقة الإيمانية ، وتختلط الأنساب ، وتهدر الحقوق ، ومن هنا فإن: غض البصر يورث ثلاث فوائد جليلة القدر:

الأولى: حلاوة الإيمان ولذته التي هي أحلى وأطيب مما تركه لله ، فإن من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه .

الثانية: إن غض البصر يورث نور القلب والفراسة ، قال تعالى عن قوم لوط: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾[٣] ، فالتعلق بالصدر يوجب فساد العقل وعمي البصيرة وسكر القلب ، والله تعالى يجزي العبد على عمله بما هو من جنس عمله فغض بصره عما حرم يعوضه الله عليه من جنسه بما هو خير منه ، فيطلق بصيرته ويفتح عليه باب العلم والمعرفة .

---

(١) مالك في الموطأ رقم: ١٧٢٩ (٢/ ٩٦٣) مرسلاً ، والبيهقي في السنن الكبرى رقم: ١٣٣٣٦ (٧/ ٩٧) ، وابن جرير في تفسيره (١٨/ ١١٢) ، وابن أبي شيبة في مصنفه رقم: ١٧٦٠٠ (٤/ ٤٢) ، قال ابن عبدالبر: «وهو مرسل صحيح مجتمع على صحة معناه ولا يجوز عند أهل العلم أن يرى الرجل أمه ولا ابنته ولا أخته ولا ذات محرم منه عريانة لأن المرأة عورة فيما عدا وجهها وكفيها»ا .هـ التمهيد (١٦/ ٢٢٩) .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) سورة الحجر ، الآية: ٧٢ .

الثالثة: قوة القلب وثباته وشجاعته، فيجعل الله لـه سـلطان النـصرة مـع سـلطان الحجة، وفي الأثر: «الذي يخالف هواه يفرق الشيطان مـن ظلـه، ولهـذا يوجـد في المتتبـع لهواه من الذل والمهانة ما جعله الله لمن عصاه» (١).

❁ ❁ ❁

(١) مجموع الفتاوى، باختصار وتصرف يسير (٢١/ ٢٥٢-٢٥٩).

المبحث الخامس

كثرة الطاعات

لا شك أن العبد كلما أكثر من الطاعات والقربات كانت سبباً لقوة الإيمان الذي هو سبب في طرد الشياطين، بل وفرارهم من هذا العبد، قال تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾[(١)] .

وجاء في مسلم عن أبي هريرة – ﷺ – أن رسول الله ﷺ قال: (**إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول: يا ويله أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار**) [(٢)] ، وفي الحديث عن أبي هريرة – ﷺ – عن النبي ﷺ: (إن المؤمن ليضني شياطينه كما ينضي أحدكم بعيره في السفر) .

«لأنه كلما اعترضه صب عليه سياط الذكر، والتوجه والاستغفار والطاعة، فشيطانه معه في عذاب شديد، ليس بمنزلة شيطان الفاجر الذي هو معه في راحة ودعة، ولهذا يكون قوياً عاتياً» [(٣)] .

وكثرة الطاعات سبب لإغاظة إبليس؛ لأنها سبب لتكفير السيئات، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ قال: (الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان كفارة لما بينهن ما اجتنبت الكبائر) [(٤)] .

والكبائر تكفرها وتمحوها التوبة النصوح، كما سيأتي في المبحث القادم .

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٤٢ .

(٢) رواه مسلم في كتاب: «الإيمان»، رقم: ٨١، (١/ ٨٧) .

(٣) تفسير المعوذتين، لابن القيم، ص ١٠٥ .

(٤) رواه مسلم في كتاب: «الطهارة»، رقم: ٢٣٣، (١/ ٢٠٩) .

المبحث السادس

التوبـة والاستغفـــار

ومن وسائل التحصين من الشيطان الرجيم التوبة والاستغفار.

«فالتوبة هي حقيقة دين الإسلام، والدين كله داخل في مسمى «التوبة»، وبهذا استحق التائب أن يكون حبيب الله»(١).

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾(٢)؛ ولهذا يحاول الشيطان أن يصده عنها بكل وسيلة، وفي الحديث في صحيح الجامع أن الشيطان قال لرب العزة والجلال: (وعزتك وجلالك ما أزال أغوي عبادك مادامت أرواحهم في أجسادهم فقال الرب وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني)(٣)، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾(٤).

فأشد ما يكون حنقاً وغيظاً إذا رأى رحمات الله ومغفرته تنزل على العباد، كما في الحديث: (ما رؤي الشيطان يوماً هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه في يوم عرفة، وما ذاك إلا لما رأى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام إلا ما أرى يوم بدر، قيل وما رأي يوم بدر يا رسول الله، قال: أما أنه قد رأى جبريل يزع الملائكة)(٥).

---

(١) مدارج السالكين، لابن القيم (١/ ٣٠٦)، وانظر: طريق الهجرتين، ص ٣٥٥.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٢٢٢.

(٣) رواه أحمد في المسند (٣/ ٢٩)، والبغوي في شرح السنة (١/ ١٤٦).

(٤) سورة ص، الآيتان: ٨٢-٨٣.

(٥) رواه مالك في الموطأ، رقم: ٩٤٤، (١/ ٤٢٢)، والفاكهي في أخبار مكة، رقم: ٢٧٦٢، (٥/ ٢٦)، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٢٩)، وقال: «رواه مالك والبيهقي من طريقه وغيرهما وهو مرسل»، وله شاهد عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ يوم عرفة: (أيها الناس إن الله عز وجل تطول عليكم في هذا اليوم فغفر لكم إلا التبعات فيما بينكم ووهب مسيئكم لمحسنكم وأعطى لمحسنكم ما سأل فادفعوا باسم الله، فلما كان بجمع قال: إن الله عز وجل قد =

ومعنى التوبة: «العزم على فعل المأمور والتزامه» (١) .

وقال الإمام الطبراي – رحمه الله – : «الأوبة مما يكرهه الله إلى ما يرضاه من طاعته» (٢) .

وقال ابن القيم – رحمه الله – : «الرجوع مما يكرهه الله ظاهراً وباطناً إلى ما يحبه ظاهراً وباطناً» (٣) .

وهي ما تعرف بالتوبة النصوح ، ومعنى النصوح ، قيل: «الصادقة التي يشعر العبد

= غفر لصالحيكم وشفع صالحيكم في طالحيكم تنزل الرحمة فتعمهم ثم تفرق المغفرة في الأرض فتقع على كل تائب ممن حفظ لسانه ويده ، وإبليس وجنوده على جبال عرفات ينظرون ما يصنع الله بهم فإذا نزلت الرحمة دعا إبليس وجنوده بالويل والثبور) ، رواه عبدالرزاق في مصنفه ، رقم: ٨٨٣١ ، (٥/ ١٧) ، ورواه ابن جرير في تفسيره عن ابن عمر (٢/ ٢٩٥) ، دار الفكر ، وأبو نعيم في الحلية (٨/ ١٩٩) .

قال المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٢٩): «رواه الطبراني في الكبير ورواته محتج بهم في الصحيح إلا أن فيهم رجلاً لم يسم» أ. هـ ، وله شاهد آخر ذكره السيوطي في الدر المنثور (١/ ٥٥٣) ، وقال: «أخرج ابن ماجه والحكيم الترمذي في نوادر الأوصول وعبدالله بن أحمد في زوائد المسند والطبراني والبيهقي في سننه عن العباس بن مرداس السلمي أ ، رسول الله ﷺ (دعا عشية عرفة لأمته بالمغفرة والرحمة فأكثر الدعاء فأوحى الله إليه أني قد فعلت إلا ظلم بعضهم بعضاً ؛ وأما ذنوبهم فيما بيني وبينهم فقد غفرتها فقال: يا رب إنك قادر على أن تثيب هذا المظلوم خيراً من مظلمته وتغفر لهذا الظالم فلم يجبه تلك العشية ، فلما كان غداة المزدلفة أعاد الدعاء فأجابه الله أني قد غفرت لهم ، فتبسم رسول الله ﷺ فسأله أصحابه ، قال: تبسمت من عدو الله إبليس أنه لما علم أن الله قد استجاب لي في أمتي أهوى يدعو بالويل والثبور ويحثو التراب على رأسه) ، رواه البيهقي في السنن الكبرى ، رقم: ٩٢٦٤ ، (٥/ ١١٨) ، ورواه أبو يعلى في مسنده ، رقم: ١٥٧٨ ، (٣/ ١٤٩) ، والإمام أحمد في المسند ، رقم: ١٦٢٥٢ ، (٤/ ١٤) .

وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٣٠) ، وقال: «رواه البيهقي من حديث ابن كنانة بن العباس بن مرداس السلمي ولم يسمه عن أبيه عن جده عباس ، ثم قال وهذا الحديث له شواهد كثيرة ، وقد ذكرناها في كتاب «البعث» فإن صح بشواهده ففيه الحجة ، وإن لم يصح فقد قال الله تعالى: ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ ، النساء: ٤٨ ، وظلم بعضهم بعضاً دون الشرك» أ. هـ ، وانظر: ما قاله ابن عبدالبر في التمهيد (١/ ١٢٢ ، والمزي في تهذيب الكمال (١٤/ ٢٥١) .

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٠٥) ، وانظر: طريق الهجرتين ، ص ٣٥٥ .

(٢) جامع البيان (١/ ٢٨٦) ، ط . دار الفكر .

(٣) مدارج السالكين (١/ ٣٠٦) .

فيها بالندم على الذنب وحب الرجوع إلى الطاعة»[١] .

وقيل: «تامة الشروط»[٢] ، والمعنى: «تخليصها من كل غش ونقص وفساد، وإيقاعها على أكمل الوجوه»[٣] ، ولها شروط:

الأول: الإقلاع عن الذنب في الحال .

الثاني: عزم القلب على عدم العودة .

الثالث: الندم على الماضي .

الرابع: الإخلاص بأن يكون تركه للذنب خالصاً لوجه الله تعالى، لا يريد به شيئاً من الدنيا، قال تعالى: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[٤] .

الخامس: أن تكون التوبة في وقتها المحدد سواء العام أو الخاص، فالعام أن يكون قبل طلوع الشمس من مغربها، كما سيأتي، والخاص أن يكون قبل الغرغرة وبلوغ الروح الحلقوم[٥] ، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[٦] .

وإن كان الذنب يتعلق بمال أو جناية فيضاف إليه شرط سادس وهو: التحلل من المجني عليه[٧] .

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٢٨/ ١٦٨)، وتفسير جامع البيان، للطبري (٢٨/ ١٦٧)، ومدارج السالكين (١/ ٣٠٩) .
(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٥/ ٩١) .
(٣) مدارج السالكين، لابن القيم (١/ ٣٠٩) .
(٤) سورة النور، الآية: ٣١ .
(٥) الشرطان الرابع والخامس استفدتهما من توجيهات المشرف – وفقه الله – .
(٦) سورة النساء، الآيتان: ١٧-١٨ .
(٧) انظر: المرجع السابق (١/ ٢٨٦-٢٩١)، تفسير القرطبي (٥/ ٩١)، (٤/ ٢١١) .

(من كان له عند أخيه مظلمة من ماله أو عرضه شيء فليتحلله منه اليوم قبل ألا يكون دينار ولا درهم إن كان لــه عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن لــه حسنات أخذ من سيئات صـــاحبه فحمل عليه)[١] .

وإن كانت بعرض كقذف وغيبة وبهتان ، فقال بعض العلماء: لا تتم إلا بـالإعلام والتحلل ، لأن الجناية فيها حقين ، حق لله ، وحق للآدمي ، فلا بد من أداء حق الآدمي .

وقيل: لا يشترط الإعـلام ويكفـي التوبـة فيمـا بـين العبـد وربـه ويـذكر المغتـاب والمقذوف . . . بخير في مواطن ذكره بسوء ، ويكثر من الاستغفار لـه ، لما يـؤدي الإخبـار من المفاسد المترتبة عليه من الغل والميل للانتقام وغير ذلك .

وهذا قول للإمام أحمد واختار شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم – رحمهم الله –[٢] .

والتوبة واجبة على جميع الخلق باتفاق الأمـة علـى الفـور ، ولا يجـوز تأخيرهـا أو التسويف بها ، وهي لا تسقط حداً ، بل هي بين العبد وربه[٣] . **وهي نوعان:**

١- التوبة عن ترك الحسنات المأمور بها ، وهذا قسم لا يتنبه له .

٢- التوبة من فعل السيئات المنهي عنها[٤] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : «فالتوبـة المـشروعة هـي الرجـوع إلى الله ، وإلى فعل ما أمر به وترك ما نهى عنه ، وليست التوبة من فعل السيئات فقـط ، كمـا يظن كثير من الجهال لا يتصورون التوبة إلا عما يفعله العبـد مـن القبـائح ، كـالفواحش والمظالم ، بل التوبة من ترك الحسنات المأمور بها أهـم من التوبة من فعـل الـسيئات المنهـي

---

(١) رواه البخاري ، رقم: ٢٣١٧ ، (٢/ ٨٦٥) .

(٢) انظر: مدارج السالكين (١/ ٢٨٩-٢٩١) ، مختصر منهاج القاصدين .

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ٣١٠) ، الجامع لأحكام القـرآن ، للقـرطبي (٥/ ٩٠-٩١) ، الفوائـد ، ص ١٦ ، مدارج السالكين (١/ ٢٧٢) .

(٤) انظر: رسالة التوبة ، لابن تيمية ، ص ٢٢٧ .

عنها ، فأكثر الخلق يتركون كثيراً مما أمرهم الله به من أقوال القلوب وأعمالها ، وأقوال البدن وأعماله . . .» أ . هـ [١] .

وهي عامة لكل ذنب أذنبه العبد ، وليس لذنب دون ذنب ، وهذا ما عليه أهل السنة .

وقبولها من الله بمشيئته تعالى ، وليس واجباً عليه «لأن الخلق لا يوجبون على الله شيئاً أو يحرمون عليه شيئاً ، بل هم أعجز من ذلك ، وأقل من ذلك ، وكل نعمة منه فضل وكل نقمة منه عدل» [٢] .

والعبد بعد التوبة أفضل منه قبل الذنب الذي أوجب له التوبة ، وتصبح بعد نقضها بالعودة إلى الذنب ، وهو في الحالة الثانية أكمل من الأولى .

قال القرطبي – رحمه الله – : «والعود إلى الذنب وإن كان أقبح من ابتدائه لأنه أضاف إلى الذنب نقض التوبة ، فالعودة على التوبة أحسن من ابتدائها ؛ لأنه أضاف إليها ملازمة الإلحاح بباب الكريم ، وأنه لا غافر للذنوب سواه» [٣] .

وفي سيد الاستغفار يقول ﷺ : (اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك عليَّ وأبوء لك بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، قال: ومن قالها في النهار موقناً بها فمات من يومه قبل أن يمسي ، فهو من أهل الجنة ، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة) [٤] .

وفي الحديث اعتراف بالنعمة ، واعتراف بوقوع الذنب ، فالمؤمن ما بين عبادة واستعانة ، عبادة اتباعاً للأمر ، واستعانة إيماناً بالقدر [٥] .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٢٨ .
(٢) مجموع الفتاوى (٨/ ٧٣) .
(٣) الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢١٣) .
(٤) رواه البخاري ، رقم: ٥٩٤٧ ، (٥/ ٢٣٢٣) .
(٥) انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ٧٣) .

وهناك توبة مستحبة، وهي التوبة من ترك المستحبات من المأمورات وفعل المنهيات(١)، وهل تصح التوبة من الذنب مع الإصرار على غيره؟!

الذي عليه المحققون من أهل العلم إن كل ذنب له توبة تخصه، وأنها تصح التوبة من الذنب مع وجود غيره، وهذا متفق مع أصول أهل السنة، بأن الشخص الواحد تجتمع فيه ولاية لله وعداوة من وجهين مختلفين، ويكون فيه إيمان ونفاق، وقد ثبت دخول أهل الكبائر النار يعذبون بقدر ذنوبهم ثم يخرجون منها ويدخلون الجنة(٢)، والتوبة مقبولة مادام العبد حياً ولا تنقطع إلا بوقوع أمرين:

الأول: نزول الموت: قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾(٣).

قيل: في معنى قريب، أي: «على قرب عهد من الذنب من غير إصرار»(٤)، والذي عليه جمهور المفسرين: أنها التوبة قبل المعاينة أي نزول الموت(٥).

وفي الحديث عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: (**عن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**)(٦).

الثاني: طلوع الشمس من مغربها: عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: (إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى

---

(١) انظر: رسالة التوبة، لابن تيمية، ص ٢٢٧.
(٢) انظر: مدارج السالكين (١/ ٢٧٣-٢٨٢).
(٣) سورة النساء، الآيتان: ١٧-١٨.
(٤) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٥/ ٩٣).
(٥) انظر: مدارج السالكين (١/ ٢٨٤).
(٦) رواه الترمذي، رقم:٣٥٣٧، (٥/ ٥٤٧)، وقال: «هذا حديث حسن غريب»، وابن حبان في صحيحه، رقم: ٦٢٨، (٢/ ٣٩٥)، والحاكم في المستدرك، رقم: ٧٦٥٩، (٤/ ٢٨٦)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وابن ماجه، رقم: ٤٢٥٣، (٢/ ١٤٢٠).

تطلع الشمس من مغربها) (١) ، وفي الصحيح عن أبي هريرة - ﷺ - قال: قال رسول الله ﷺ: (ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً، إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض) (٢) .

وهناك مانع ثالث، وهو باختيار العبد وهو الإصرار على مواقعة الذنب، وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٣) ، «والإصرار عقد القلب على ارتكاب الذنب متى ظفر به، فهذا الذي يمنع مغفرته» (٤) .

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾ (٥) ، والطائف هو: الهمّ بالذنب، وقيل: إصابة الذنب، وقيل: اللمة من الشيطان، وقيل: الوسوسة والخطرة الشيطانية (٦) .

يقول ابن الجوزي - رحمه الله -: «واعلم أن مثل إبليس مع التقي والمخلط كرجل جالس بين يديه طعام ولحم فمر به كلب، فقال له: اخسأ فذهب، فمر بآخر بين يديه طعام ولحم، فكلما أخسأه طرده، لم يبرح فالأول مثل المتقي يمر به الشيطان فيكفيه في طرده الذكر، والثاني مثل المخلط لا يفارقه الشيطان لمكان تخليطه» (٧) .

واستحب بعض العلماء: صلاة ركعتين للتوبة (٨) ، وقد ورد حديث في صلاة التوبة، عن أبي بكر الصديق - ﷺ - عن النبي ﷺ أنه قال: (ما من عبد يذنب ذنباً ثم

---

(١) رواه مسلم في كتاب: «التوبة»، رقم: ٢٧٥٩، (٤/ ٢١١٣).
(٢) رواه مسلم في كتاب: «الإيمان»، رقم: ١٥٨، (١/ ١٣٨).
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٣٥ .
(٤) مدارج السالكين (١/ ٢٨٣).
(٥) سورة الأعراف، الآية: ٢٠١ .
(٦) زاد المسير، لابن الجوزي (٣/ ٣٠٩-٣١٠)، تفسير ابن كثير (٧/ ٣٤٩-٣٥٠).
(٧) تلبيس إبليس، ص ٤٨، وانظر: في ظلال القرآن (٣/ ١٤٢٠).
(٨) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٥/ ٣٨٠).

يتوضأ ويصلي ركعتين ويستغفر الله إلا غفر له، ثم تلا هذه الآية: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ (١) .

واستحب بعض العلماء أيضاً الصدقة بما يقدر عليه من المال عند التوبة (٢) ،

وللتوبة فضائل كثيرة ومزايا عظيمة منها:

* إنها سبب لحصول الندم والانكسار والقرب من الله تعالى، ودوام التضرع والدعاء، مما يكون سبباً في دخول الجنة، وهذا معنى قول بعض السلف أن العبد ليعمل بالذنب يدخله به الجنة، ويعمل الحسنة يدخل بها النار (٣) .

* إنها لنجاته من بغي وتسلط أعدائه من الجن والإنس وشياطينهم.

قال ابن القيم: «فليس للعبد إذا بغي عليه وأوذي وتسلط عليه خصومه شيء أنفع له من التوبة النصوح، وعلامة سعادته أن يعكس فكره ونظره على نفسه وذنوبه وعيوبه، فيشغل بها وبإصلاحها، وبالتوبة منها... والله يتولى نصرته وحفظه والدفع عنه»(٤) .

* إنها سبب انشراح الصدر، وحصول حلاوة الإيمان، وأنوار الهداية (٥) ، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ (٦) .

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه، رقم: ٦٢٣، (٢/ ٣٨٩-٣٩٠)، وذكرها ابن خزيمة في صحيحه (٣/ ٢١٦)، وأبو داود، رقم: ١٥٢١، (٢/ ٨٦)، والطيالسي في مسنده، رقم: ١، ص ٢، والطبراني في الأوسط، رقم: ٥٨٤، (١/ ١٨٥)، وقال الجرجاني في الكامل في ضعفاء الرجال: «قال الشيخ [أظنه يقصد ابن حبان]، وهذا الحديث طريقه حسن، وأرجو أن يكون صحيحاً»ا. هـ، (١/ ٤٣٠).

(٢) انظر: زاد المعاد (٣/ ٥٨٦)، ودليله حديث كعب بن مالك في قصة الثلاثة الذين خلفوا وفيه قول كعب(يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي).

(٣) انظر: الوابل الصيب، لابن القيم، ص ١٣.

(٤) بدائع الفوائد، لابن القيم (٢/ ٤٦٧)، وانظر: الجواب الكافي، ص ٦٠.

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (١١/ ٣٩٠).

(٦) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.

* إنها سبب لإحباط جميع السيئات والمعاصي، صغيرها وكبيرها [١].

وأما الاستغفار، فهو مأخوذ من الغفر وهو الستر والتغطية [٢]، وهو «طلب المغفرة من الله، وهو محو الذنب، وإزالة أثره، ووقاية شره» [٣]، وفي الصحيح عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: **(والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون ويستغفرون فيغفر لهم)** [٤].

والفرق بينه وبين التوبة أن الاستغفار أعم، فكل من الاستغفار والتوبة يتضمن أحدهما الآخر، ويدخل في مسماه عند الإطلاق، ولكن الاستغفار أعم، فليس كل مستغفر تائباً، وكل تائب مستغفر [٥].

كما أن الاستغفار طلب إزالة الضرر ودفع الشر، وأما التوبة فطلب جلب المنفعة، وحصول ما يحب [٦]، والاستغفار قد يكون باللسان فقط والقلب مصر على الذنب، بخلاف التوبة لا بد فيها من تواطؤ القلب واللسان [٧]، ويستحب أن يكون خاتمة كل عمل صالح الاستغفار كالصلاة والحج وقيام الليل والوضوء.

وقد شرع ذلك في الوضوء أن يقال بعد الفراغ منه «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين».

ولهذا السبب فهم عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - أن أجل النبي ﷺ قرب بعد نزول سورة النصر، لأن فيها إعلاماً بأن النبي ﷺ قد بلغ الرسالة، ونصح الأمة،

---

(١) انظر: الاستقامة، لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ٤٦٣).
(٢) انظر لسان العرب لابن منظور (٥/ ٢٥).
(٣) مدارج السالكين (١/ ٣٠٧).
(٤) رواه مسلم، في كتاب: «الذكر والدعاء والتوبة»، رقم: ٢٧٤٩، (٤/ ٢١٠٦).
(٥) انظر: مدارج السالكين (١/ ٣٠٧-٣٠٨).
(٦) انظر: المرجع السابق (١/ ٣٠٩).
(٧) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٥/ ٣٨٠)، مجموع الفتاوى (١٠/ ٦٥٥)، (٧/ ٤٨٨).

وأدى ما عليه، فجعل خاتمة الكمال الاستغفار [١].

ومن فضائل الاستغفار:

-الاستغفار سبب لتفريج الهم، فمن لزمه جعل الله له من كل هم فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً [٢]، وسبب لنزول الخيرات والمتاع الحسن في الدنيا، قال تعالى: ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ﴾[٣]، وسبب لدفع العذاب عن الأمة، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[٤]. «فأخبر تعالى أنه لا يعذب من استغفر، لأن الاستغفار سبب لمحو الذنوب التي هي سبب نزول العذاب، وهي سبب لحصول السيئات»[٥].

---

(١) انظر: مدارج السالكين، لابن القيم (١/ ١٧٦).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ١٦٣).

(٣) سورة هود، الآية: ٣.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٣٣.

(٥) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٨/ ١٦٣).

المبحث السابع

حفظ الجوارح

ومن وسائل التحصين ضد الشيطان الرجيم حفظ الجوارح؛ لأن كثرة الخطايا والسيئات سبب لتمكن الشيطان وسيطرته على العبد، قال تعالى: ﴿ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾[١].

والجوارح هي «جمع جارحة وهي الأعضاء التي يكتسب بها الإنسان»[٢]، ومنها اليدين والرجلين والسمع والبصر واللسان، وسميت جوارح «لأنهن .. يَجْرحْن الخير والشر أي يكسبنه»[٣] وأعظمها وأهمها وأشدها خطراً اللسان، «فهو يفتح للعبد أبواباً من الشر كلها مداخل للشيطان، فإمساك فضول الكلام يسد عنه تلك الأبواب كلها، وكم من حرب جرتها كلمة واحدة»[٤].

ولذا جاءت الأحاديث الكثيرة مؤكدة على الحث على حفظ اللسان من اللغو والحرام وفحش القول، بل التنزه عن الخوض فيما لا يعني وجعل ذلك من كمال الإيمان.

قال ابن القيم – رحمه الله –: «وأكثر المعاصي إنما يولدها فضول الكلام والنظر، وهما أوسع مداخل الشيطان، فإن جارحيتهما لا يملان ولا يسأمان بخلاف شهوة البطن، فإنه إذا امتلأ لم يبق فيه إرادة للطعام، وأما العين واللسان فلو تركا لم يفترا من النظر والكلام، فجنايتهما متسعة الأطراف، كثيرة الشعب، عظيمة الآفات» أ.هـ[٥].

وآفاته كثيرة وأعظمها القول على الله بلا علم، وتحريم الحلال وتحليل الحرام، إلى

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٦٢.
(٢) المطلع على أبواب المقنع (١/ ١١٨)، وانظر لسان العرب (٢/ ٤٢٣)، المصباح المنير (١/ ٩٥).
(٣) لسان العرب (٢/ ٤٢٣).
(٤) التفسير القيم، ص ٦٢٧.
(٥) المرجع السابق، نفس الصفحة.

غير ذلك من آفاته من الغيبة والنميمة والمراء والجدال، والقذف والسب واللعن وسب الأموات والسخرية والاستهزاء والكذب والخصومة والتقعر وشهادة الزور [١].

قال تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ﴾ [٢].

وفي الحديث عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: قال رسول الله ﷺ: (إن أبغض الرجال عند الله الألد الخصم) [٣]، ومعناه: «شديد الخصومة، مأخوذ من لديدي الوادي، وهما جانباه، لأنه كلما احتج عليه بحجة أخذ في جانب آخر، وأما الخصم فهو الحاذق بالخصومة والمذموم هو الخصومة بالباطل» [٤].

وفي حفظه عن السباب والشتم عن عياض بن حمار قال: قلت يا رسول الله، رجل من قومي يشتمني وهو دوني عليَّ بأس أن أنتصر منه؟ قال: (المستابان شيطانان يتهاذيان ويتكاذبان) [٥]، وفي الحديث عن أبي هريرة – ﷺ – قال: قال رسول الله ﷺ: (إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب) [٦].

ومن حفظ اللسان، حفظه من رمي المؤمن بالكفر، عن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إذا قال الرجل لأخيه يا كافر، فقد باء بها أحدهما إن كان كما قال وإلا رجعت عليه) [٧].

ومن حفظ اللسان عن إفشاء السر.

---

(١) مدارج السالكين (١/ ١١٤-١١٥)، ووقاية الإنسان من الجن والشيطان، وحيد بالي، ص ٣٠٠ وما بعدها.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٥٣.

(٣) رواه البخاري، رقم: ٢٣٢٥، (٢/ ٨٦٧)، ومسلم، رقم: ٢٦٦٨، (٤/ ٢٠٥٤).

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي (١٦/ ٢١٩)، وانظر: فتح الباري(٥/ ١٠٦)، (٨/ ١٨٨)، وسبل السلام، للصنعاني (٤/ ١٩٦)، مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١٤/ ٤٤٥).

(٥) رواه الإمام أحمد في المسند (٤/ ١٦٢)، وابن حبان في صحيحه، رقم: ٥٦٩٧، (٧/ ٤٩٢).

(٦) رواه البخاري، باب:(حفظ اللسان)، رقم: ٦١١٢، (٥/ ٢٣٧٧).

(٧) رواه البخاري، رقم: ٥٧٥٢، (٥/ ٢٢٦٣)، ومسلم في كتاب: «الإيمان»، رقم: ٦٠، (١/ ٧٩).

ومن ذلك الحديث ما يكون بين الرجل وامرأته، فعن أبي سعيد الخدري - ﷺ - أن رسول الله ﷺ قال: (**إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى المرأة وتفضي إليه ثم ينشر سرها**)[١].

ومن حفظ اللسان صونه عن الكلام الباطل والشعر[٢]، قال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾[٣].

وعن أبي سعيد الخدري - ﷺ - قال: بينا نحن نسير مع رسول الله ﷺ بالعرج[٤] إذ عرض شاعر ينشد، فقال رسول الله ﷺ: (خذوا الشيطان أو امسكوا الشيطان؛ لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً خير له من أن يمتلئ شعراً)[٥].

قال النووي - رحمه الله -: «المراد أن يكون الشعر غالباً عليه مستولياً عليه بحيث يشغله عن القرآن وغيره من العلوم وذكر الله تعالى، وهذا مذموم من أي شعر كان، فأما إذا كان القرآن والحديث وغيرهما من العلوم الشرعية هو الغالب عليه فلا يضر حفظ اليسير من الشعر مع هذا، لأن جوفه ليس ممتلئاً شعراً»[٦].

ومن حفظ اللسان صونه عن النجوى، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ

---

(١) رواه مسلم في كتاب: «النكاح»، رقم: ١٤٣٧، (٤/ ١٠٦٠).

(٢) لا يدخل في ذلك من كان شعره لخدمة ونصرة الإسلام، أو لم يشتمل على كذب وإثم وباطل، قال شيخ الإسلام: «فظاهر القرآن ليس فيه أن الشعراء تتنزل عليهم الشياطين، إلا إذا كان أحدهم كذاباً أثيماً، فالكذاب في قوله وخبره، والأثيم في فعله وأمره» أ. هـ، مجموع الفتاوى (٢/ ٥١)، ودليله الاستثناء في آخر الآية: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ سورة الشعراء: ٢٢٧.

(٣) سورة الشعراء، الآيات: ٢٢١-٢٢٦.

(٤) العَرْجُ: قرية في الطائف في أول تهامة تبعد عن المدينة ثمانية وسبعون ميلاً، معجم البلدان ٤/ ١١١.

(٥) روه مسلم، رقم: ٢٢٥٩، (٤/ ١٧٦٩)، والبخاري، رقم: ٥٨٠٢، (٥/ ٢٢٧٩).

(٦) صحيح مسلم بشرح النووي (١٥/ ١٤-١٥)، وفتح الباري (١٠/ ٥٥٠، ٥٣٨).

ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾[١] ، وقد سبق الكلام فيها .

ومن حفظ الجوارح حفظ البصر ، وقد سبق الحديث عنه ، ومن حفظ الجوارح حفظ البطن ، وحفظ البطن يشمل حفظه من أكل الربا وأكل مال اليتيم والرشوة ، وأكل كل ما حرم الشرع بيعه كثمن الكلب وكسب البغي والخمر والمخدرات وترك الشبهات ، وعدم التوسع في المباحات من كثرة المطاعم والمشارب ، جاء في الحديث عن أبي هريرة – ﷺ – قال: قال رسول الله ﷺ : **(اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات)** [٢] .

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ۝ ﴾[٣] .

وفي الحديث (لن يزال العبد في فسحة من دينه ما لم يشرب الخمر ، فإذا شربها خرق الله عنه ستره ، وكان الشيطان وليَّه وسمعه وبصره ورجله يسوقه إلى كل شر ، ويصرفه عن كل خير) [٤] .

ومعنى الحديث أنه «إذا شربها صار عقله مع الشيطان كالأسير في يد كافر يستعمله في رعاية الخنازير وحمل الصليب وغير ذلك ، فإذا أدمن شربها صار الشيطان من جنده ومن أعوانه وأتباعه» [٥] .

والله طيب ولا يقبل إلا طيباً ، كما في حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – قال:

---

(١) سورة المجادلة ، الآية: ١٠ .

(٢) رواه البخاري ، رقم: ٢٦١٥ ، (٣/ ١٠١٧) ، ومسلم في كتاب: «الإيمان» ، رقم: ٨٩ ، (١/ ٩٢) .

(٣) سورة المائدة ، الآيتان: ٩٠-٩١ .

(٤) رواه الطبراني في الكبير ، رقم: ٢١ (١٩/ ١٤-١٥) ، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع ، رقم: ٤٧٨٢ .

(٥) فيض القدير ، للمناوي (٥/ ٣٠٢) .

(إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴾[١] ، وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ ﴾[٢] ، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك)[٣] .

ومن حفظ الجوارح حفظ الفرج، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ۝٧ ﴾[٤] .

وفي الحديث عن سهل بن سعد – ﷺ – قال: قال رسول ﷺ : **(من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن لـه الجنة)**[٥] .

وحفظ الفرج يشمل: حفظه عن اللواط، والزنا، والسحاق، ونكاح اليد، وإتيان المرأة في دبرها، وإتيان الحائض، وإتيان البهيمة، قال ﷺ كما في حديث أبي هريرة – ﷺ – قال: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن)[٦] .

ومن حفظ الجوارح حفظ اليد ويشمل: حفظها عما يلي: قتل المسلم، وقتل النفس، والإشارة على المسلم بالسلاح ولبس الذهب، ومصافحة النساء، واللعب بالنرد والبلوت والعزف على الآلات المؤسيقية، وضرب المسلم وكتابة البدع المخالفة للسنة

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٥١ .
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٧٢ .
(٣) رواه مسلم في كتاب: «الزكاة»، رقم: ١٠١٥ ، (٢/٧٠٣) .
(٤) سورة المؤمنون، الآيات: ٥-٧ .
(٥) رواه البخاري، رقم: ٦١٠٩ ، (٥/٢٣٧٦) .
(٦) سبق تخريجه .

وغير ذلك [١] .

وفي الحديث الصحيح عن عبدالله بن عمرو – رضي الله عنهما – عن النبي ﷺ قال: (**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**) [٢] .

وعن أبي هريرة – ﷺ – أن رسول الله ﷺ قال: (**لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح، فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزغ في يده، فيقع في حفرة من النار**) ، وعن أبي موسى الأشعري – ﷺ – أن رسول الله ﷺ قال: (**من لعب بالنردشير**[٣] **فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه**) [٤] .

ومن هذا الحديث وغيره ذهب أكثر العلماء إلى تحريم اللعب بالنرد وقاسوه على القمار والشطرنج [٥] ، ومعنى صبغ يده في لحم خنزير ودمه أي «في حال أكله منهما وهو تشبيه لتحريمه بتحريم أكلهما» [٦] .

ومن حفظ الجوارح ، حفظ السمع عن سماع ما يغضب الله ، واستماع الكفر والبدعة ، واستماع الأسرار ، وسماع أصوات النساء عند خشية وقوع الفتنة [٧] .

ومن آكد ما ينبغي صون السمع عنه ، سماع الغناء وآلات اللهو المحرمة ، في أعظم ما يقوي الأحوال الشيطانية .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : «ومن أعظم ما يقوي الأحوال الشيطانية سماع الغناء والملاهي ، وهو سماع المشركين ، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ

---

(١) مدارج السالكين (١/ ١٢٠-١٢١) ، وقاية الإنسان من الجن والشيطان ، ص ٣٥٩-٣٦٢ .
(٢) رواه البخاري ، رقم: ١٠ ، (١/ ١٣) واللفظ له ، ومسلم ، رقم: ٤٠ ، (١/ ٦٥) .
(٣) النردشير: هو النرد: «وهي قطع ملونة تكون من خشب البقس ومن عظم الفيل» ، التمهيد ، لابن عبدالبر (١٣/ ١٧٥) .
(٤) رواه مسلم في كتاب: «الشعر» ، رقم: ٢٢٦٠ ، (٤/ ١٧٧٠) .
(٥) شرح مسلم للنووي (١٥/ ١٦) ، الكافي في فقه ابن حنبل ، لابن قدامة المقدسي (٤/ ٥٢٤) .
(٦) شرح مسلم للنووي (١٥/ ١٦) .
(٧) انظر: مدارج السالكين (١/ ١١٧) .

صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ﴾ [(١)] ، قال ابن عباس وابن عمر – رضي الله عنهم – وغيرهما من السلف (التصدية): التصفيق باليد ، (والمكاء): مثل الصفير ، فكان المشركون يتخذون هذا عبادة ، وأما النبي ﷺ وأصحابه فعبادتهم ما أمر الله به من الصلاة والقراءة والذكر ونحو ذلك . . . ولم يجتمع النبي ﷺ وأصحابه على استماع غناء قط لا بكف ولا بدف» أ. هـ [(٢)] .



(١) سورة الأنفال ، الآية: ٣٥ .

(٢) مجموع الفتاوى (١١/ ٢٩٥) .

المبحث الثامن

تحصين الأهل والأولاد

ومن وسائل التحصين من الشيطان الرجيم ، تحصين الأهل والأولاد ، ولذلك عدة وسائل شرعية منها:

١- الاستعاذة بالله، وذلك بتعويذ الأطفال بالله ، كما كان يفعل الرسول ﷺ مع الحسن والحسين ، كما في البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: كان رسول الله ﷺ يعوذ الحسن والحسين: (أعيذكما بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة ، ويقول: إن أباكما يعوذ بها إسماعيل وإسحاق) .

٢- ذكر الله عند دخول المنزل، كما سبق.

٣- التسليم على الأهل والأولاد

عن أبي أمامة الباهلي - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: **(ثلاثة كلهم ضامن على الله عز وجل: رجل خرج غازياً في سبيل الله عز وجل فهو ضامن على الله عز وجل حتى يتوفاه فيدخله الجنة، أو يرده بما نال من أجر وغنيمة، ورجل راح إلى المسجد فهو ضامن على الله حتى يتوفاه فيدخله الجنة أو يرده بما نال من أجر وغنيمة، ورجل دخل بيته بسلام فهو ضامن على الله سبحانه وتعالى)** (١) .

ومعنى ضامن: «أي صاحب ضمان ، والضمان الرعاية للشيء ، فمعناه أنه في رعاية الله»أ . هـ (٢) .

وقد سبق حديث أنس - رضي الله عنه - قال: قال لي رسول الله ﷺ : **(يا بني إذا دخلت على أهلك فسلم، يكن بركة عليك وعلى أهل بيتك)** (٣) .

---

(١) رواه أبو داود ، رقم: ٢٤٩٤ ، (٣/ ٧) ، والحاكم في المستدرك ، رقم: ٢٤٠٠ ، (٢/ ٨٣) ، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»أ . هـ ، والبيهقي في السنن الكبرى ، رقم:١٨٣١٩ ، (٩/ ١٦٦) ، وحسنه النووي في الأذكار ، ص ٢ .

(٢) الأذكار ، للنووي ، ص ٢ .

(٣) سبق تخريجه .

٤- كثرة تلاوة القرآن الكريم في البيت كما سبق.

٥- تطهير المنازل من الغناء والموسيقى والكلاب والأجراس والصلبان والتصاوير والتماثيل، لأنها جميعاً وسائل إبليس، وقد ورد النهي عنها، قال تعالى: ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ ﴾ (١) .

قال مجاهد وغيره: صوت الشيطان الغناء، وقد سبق الكلام فيه.

وعن أبي هريرة - ﷺ - أن رسول الله ﷺ قال: **(لا تصحب الملائكة رفقة فيها كلب ولا جرس)** (٢) .

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: **(لم يكن النبي ﷺ يترك في بيته شيئاً فيه تصاليب إلا نقضه)** (٣) .

وعن أبي هريرة - ﷺ - قال: قال رسول الله ﷺ : **(لا تدخل الملائكة بيتاً فيه تماثيل أو تصاوير)** (٤) .

قال النووي - رحمه الله - : «قال أصحابنا (٥) وغيرهم من العلماء تصوير صورة الحيوان حرام شديد التحريم وهو من الكبائر» (٦) .

وقال أيضاً: «ولا فرق في هذا كله بين ماله ظل وما لا ظل له... وبمعناه قال جماهير العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وهو مذهب الثوري ومالك وأبي حنيفة وغيرهم» أ. هـ (٧) .

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٦٤ .
(٢) رواه مسلم، رقم: ٢١١٢، (٣/ ١٦٧٢) .
(٣) رواه البخاري، رقم: ٥٦٠٨، (٥/ ٢٢٢٠) .
(٤) رواه البخاري، رقم: ٥٦٠٥، (٤/ ١٤٧٠)، ورواه، رقم: ٢١١٢، (٣/ ١٦٧٢)، واللفظ له .
(٥) يعني الشافعية .
(٦) صحيح مسلم بشرح النووي (١٤/ ٨١) .
(٧) المرجع السابق (١٤/ ٩٤)، وانظر: التمهيد، لابن عبدالبر (١/ ٣٠٢) .

وسبب امتناع الملائكة من دخول بيت فيه صورة ؛ «لكونها معصية فاحشة وفيها مضاهاة لخلق الله تعالى ، وبعضها في صورة ما يعبد من دون الله تعالى» (١) .

وأما امتناعها عن دخول بيت فيه كلب:

١- بسبب النجاسة العينية الملازمة لها ، ولكثرة أكله لها ولنتن رائحته .

٢- ولأن بعضها من الشياطين .

٣- وللنهي في اتخاذها فيعاقب من يقتنيها بحرمانه من دخول الملائكة وحصول البركة والخير الذي عدمها يؤدي إلى وجود الشياطين (٢) .

٦- الإكثار من النوافل في البيت، وفي الحديث: (إذا قضى أحدكم الصلاة في مسجده فليجعل لبيته نصيباً من صلاته ، فإن الله جاعل في بيته من صلاته خيراً) (٣) .

ولا شك أن الشياطين تفر من البيت العامر بذكر الله والصلاة .

قال النووي – رحمه الله – : «وإنما حث على النافلة في البيت لكونه أخفى وأبعد

---

(١) المرجع السابق (١٤/ ٨٤) .

(٢) انظر: المرجع السابق ، نفس الجزء والصفحة ، وانظر: فتح الباري (١٠/ ٣٨١) .

* ويرد على ذلك اشكال وهو: هل تكتب الملائكة أعمال من عنده كلب أو صورة ، وتدخل لقبض روحه ، واجيب عن هذا:

«إن الحديث محمول على أنهم لا يدخلون بيتاً فيه شيء من ذلك ، دخول إكرام لصاحبه ودعاء له وتبريك عليه ، ولا يمنع ذلك من دخولهم لكتابة الأعمال وقبض الأرواح ، ومثل هذا غير مستنكر ، فإن فساد صاحب المنزل لا يمنع من دخول صلحاء الناس منزله مؤاخين له أو مترددين إليه ، ولا يمنعهم من أن يدخلوه منكرين عليه ومغيرين ، أو مطالبين له بحق لزمه . . . .» ، الحبائك للسيوطي ، ص ٢١٥ .

فالمراد الملائكة السياحين الذين ينزلون بالرحمة والبركة ، لا الملائكة الذين يكتبون الأعمال والذين يقبضون الأرواح ، انظر: المرجع السابق ، ص ٢١٤ ، وفتح الباري (١٠/ ٤٠٥) ، ومعالم السنن (١/ ٦٥) ، وشرح مسلم للنووي (١٤/ ٨٤) .

وقيل: «لا يدخلون ويبلغهم الله تعالى عمل العبد» ، انظر: المنهاج في شعب الإيمان (١/ ٣٠٢ وما بعدها) ، للحليمي ، تحقيق: حلمي محمد فودة .

(٣) رواه مسلم .

عن الرياء، وأصون عن المحبطات وللتبرك بذلك، وتنزل فيه الرحمة والملائكة، وينفر منه الشيطان»[١].

٧- **تذكير الأطفال والجهال بالتسمية عند الطعام،** حتى لا يتخذ منهم الشيطان وسيلة لاستحلال الطعام، كما في حديث الجارية التي جاءت تدفع وقد سبق[٢].

٨- **الدعاء عند الجماع،** بقوله: (اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا)[٣].

٩- **منعهم من الخروج إذا أقبل الليل،** لانتشار الشياطين، كما في الحديث: (إذا كان جنح الليل فكفوا صبيانكم فإن الشياطين تنتشر حينئذ، فإذا ذهب ساعة من الليل فخلوهم)[٤].

١٠- **تعليمهم الأذكار، وحثهم على المداومة عليها،** ومنها أذكار النوم، وآية الكرسي، والمعوذتين، كما كان فعل الأنبياء والسلف - رحمهم الله - فقد كان إبراهيم - عليه السلام - يعوذ إسماعيل وإسحاق، والنبي ﷺ كان يعوذ الحسن والحسين، وفي هذا تعليم لهم، وكان عبدالله بن عمرو بن العاص يعلم من عقل من أبنائه أن يقول عند النوم: (أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون)[٥].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (٦/ ٦٨).

* جاء في حديث ضعيف (إن الشيطان لا يخبل أحداً في دار فيها فرس عتيق) وقد رواه الطبراني في المعجم الكبير رقم: ٥٠٦ والحارث في مسنده رقم: ٦٠٥٢ (٢/ ٦٧٦) وأحمد في الآحاد والمثاني رقم: ٢٦٩٦ (٥/ ١٥٨)، ط. الأولى ١٤١١-١٩٩١م، دار الراية، الرياض، وقال ابن كثير في تفسيره (٢/ ٣٢٣) ط. دار الفكر، «هذا حديث منكر لا يصح إسناده ولا متنه» ا.هـ، قال القرطبي - رحمه الله -: «وإنما سمي عتيقاً لأنه تخلص من الهجانة .. وروي أن الجن لا تقرب داراً فيها فرس وأنها تنفر من صهيل الخيل ..» ا.هـ، الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٣٨).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) سبق تخريجه.

الفصل الخامس

طرق أخرى استقراء من الكتاب والسنة في التحصن من الشيطان

أولاً: ما استقريته من الكتاب العزيز :

١- التوكل .

٢- إخفاء النعم على الحاسد .

٣- حسن الخلق والكلمة الطيبة والابتسامة ولين الجانب .

٤- الجهاد بأنواعه .

٥- الحلم والعفو وسلامة الصدر والصبر على الأذى وكظم الغيظ .

٦- اجتناب الخمر والمخدرات .

٧- اجتناب اللعب بالميسر وما شابهه .

٨- تطهير القلب من الأمراض القلبية .

أولاً: ما استقريته من الكتاب في التحصن من الشيطان :

١- التوكل على الله : قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾[(١)] .

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾[(٢)] ، «فأمرهم بأن يتوكلوا عليه، فهو الذي يدفع عنهم كيد الشيطان ويعصمهم من إغوائه»[(٣)] .

«وإنما يتوكلون عليه لطمأنينتهم إلى كفايته ، وأنه سبحانه حسب من توكل عليه يهديه وينصره ويرزقه بفضله وجوده»[(٤)] .

---

(١) سورة النحل ، الآيات: ٩٨-١٠٠ .

(٢) سورة الإسراء ، الآية: ٦٥ .

(٣) فتح القدير ، للشوكاني (٣/ ٢٤٢) .

(٤) النبوات ، لابن تيمية .

ومن هنا فلن يكون للشيطان سلطان عليه ،ولا لإغوائه أيضاً ، يقول تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾[١] .

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾[٢] ، والمتوكل يحبه الله ، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[٣] .

والتوكل من أعمال القلوب العظيمة ، ومن أعظم الواجبات ، وحقيقته اعتماد القلب على الله وحده ، وهو طريق العبادة ووسيلتها ، فلا عبادة بدون توكل واستعانة ، وإذا وصل العبد إلى تحقيق معنى التوكل فقد وصل إلى مقام خواص الأولياء من العلماء الربانيين ومن سار على نهجهم ، وكلما زاد إيمانه ويقينه وعبادته ، ازدادت حاجته إلى التوكل[٤] .

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[٥] ، وقال تعالى في قصة موسى – عليه السلام – : ﴿ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾[٦] ، وقال تعالى: ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ﴾[٧] .

وفي الصحيح في السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب عن عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ قال: (يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب ، قالوا:

---

(١) سورة آل عمران ، الآية: ١٧٣ .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية: ٤٨ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية: ١٥٩ .

(٤) انظر: التحفة العراقية ، ص ١٣ وما بعده ، ضمن الرسائل المنيرية ، الجزء الثاني ، ومجموع الفتاوى (١٦/٧) ، مدارج السالكين (٢/ ١١٢ وما بعدها) .

(٥) سورة التغابن ، الآية: ١٣ .

(٦) سورة يونس ، الآية: ٨٤ .

(٧) سورة إبراهيم ، الآية: ١٢ .

من هم يا رسول الله؟ قال: هم الذين لا يسترقون، ولا يتطيَّرون، ولا يكتوُون وعلى ربهم يتوكلون)[١].

«فإن النبي ﷺ جعل الوصف الذي يستحق به هؤلاء دخول الجنة بغير حساب، هو تحقيق التوحيد وتجريده فلا يسألون غيرهم أن يرقيهم ولا يتطيَّرون وعلى ربهم يتوكلون»[٢].

وأساس التوكل أمران هما: الصبر واليقين، وهما يوجبان الإمامة في الدين[٣]، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[٤].

٢- **إخفاء النعم على الحاسد**: كما بين ذلك المولى تبارك وتعالى في قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ ﴾[٥].

«قال يعقوب لابنه يوسف - عليهما السلام - يا بني لا تقصص رؤياك هذه على إخوتك فيحسدوك فيكيدوا لك كيداً، يقول: فيبغوك الغوائل، ويناصبوك العداوة

---

(١) رواه البخاري، رقم: ٥٣٧٨، (٥/ ٢١٥٧)، ومسلم، رقم: ٢١٨، (١/ ١٩٨)، واللفظ له.
(٢) حادي الأرواح، لابن القيم، ص ٨٩، وانظر: فتح الباري (١١/ ٤٩)، (١/ ٢١١).
(٣) انظر: العقود الدرية، لابن القيم (١/ ١٦٠).
(٤) سورة السجدة، الآية: ٢٤.
* يزعم الصوفية أن التوكل ألا يخالط القلب خوف من غير الله، ولا يسعى في طلب زرق لأن الله قد ضمنه، ويرون أن ذلك قادح في التوكل، وهذا خلاف ما عليه أهل السنة والجماعة من العمل بالأسباب مع الثقة بوعد الله والإيمان بقضائه وقدره، وأنه خالق الأسباب والمسببات والتوكل عمل القلب والأسباب عمل الجوارح.
انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٣/ ١٨)، (٤/ ١٨٩-١٩٠)، شرح الطحاوية، ص ٣٠١ وما بعدها، شرح النووي لصحيح مسلم (٢/ ٢١١)، فتح الباري (١١/ ٤٠٩)، شرح قصيدة ابن القيم، أحمد بن عيسى (٢/ ٢٢٣)، مجموع الفتاوى (٨/ ٤٢٩ وما بعدها)، (٨/ ٥٢١)، (٨/ ٥٢٩)، (١٠/ ٢٥٧)، شرح كتاب التوحيد، لسليمان بن عبدالوهاب، ص ٨٦-٨٧، ص ٣٧٤-٣٧٧.
(٥) سورة يوسف، الآية: ٥.

ويطيعوا فيك الشيطان إن الشيطان للإنسان عدو مبين» (١) .

«وكان تعبير الرؤيا فيها خضوع إخوته لـه وتعظيمهم إياه تعظيماً زائداً بحيث يخرون له ساجدين إجلالاً واحتراماً وإكراماً» (٢) .

قال ابن كثير – رحمه الله – : «ومن هذا يؤخذ الأمر بكتمان النعمة حتى توجد وتظهر ، كما ورد في حديث (استعينوا على قضاء الحوائج بكتمانها ، فإن كل ذي نعمة محسود) (٣) » أ . هـ (٤) .

ومن هذا قوله تعالى مخبراً عن يعقوب عليه السلام: ﴿ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾(٥) .

قال ابن جرير – رحمه الله – : «قال يعقوب لبنيه لما أرادوا الخروج من عنده إلى مصر ليمتادوا الطعام يا بني لا تدخلوا مصر من طريق واحد وادخلوا من أبواب متفرقة .. لأنهم كانوا رجالاً لهم جمال وهيبة فخاف عليهم العين .. فأمرهم أن يفترقوا في الدخول إليها» (٦) ا .هـ . وقد سبق بيان أن العين حق وأن الشيطان يحضرها (٧) .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي (١٢/ ١٥٢) ، وانظر: تفسير ابن جرير (١٢/ ٥٣) .

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٧٠) ، وانظر: تفسير الجلالين (١/ ٣٠٣) ، الدر المنثور (٤/ ٥٠١) .

(٣) رواه الطبراني في المعجم الصغير ، رقم: ١١٨٦ ، (٢/ ٢٩٢) ، عن معاذ بن جبل – ﷺ – ، والكبير ، رقم: ١٨٣ ، (٢٠/ ٩٤) ، وفي الأوسط ، (٣/ ٥٥) ، وقال: «لا يروى هذاالحديث عن معاذ إلا بهذا الإسناد ، تفرد به سعيد»أ . هـ ، والشهاب في مسنده ، رقم: ٧٠٧ بنحوه ، وأبو نعيم في الحلية (٥/ ٢١٥) ، وقال: «غريب من حديث خالد تفرد به عنه ثور» أ . هـ .

(٤) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٧٠) ، وانظر: فتح الباري (٤/ ٢٦٨) ، دار المعرفة ، والبداية والنهاية (١/ ١٩٩) ، مجموع الفتاوى ، لابن تيمية (١٥/ ١٧) .

(٥) سورة يوسف ، الآية: ٦٧ .

(٦) جامع البيان (١٣/ ١٣) وقد روى ذلك عن ابن عباس ومجاهد ومحمد بن كعب وقتادة والسدي والضحاك وغيرهم ، انظر: المرجع السابق (١٣/ ١٣-١٤) ، والدر المنثور للسيوطي (٤/ ٥٥٧) ط . دار الفكر ، البداية والنهاية لابن كثير (١/ ٢١٢) .

(٧) انظر ص ١٧٩ – ١٨٨ .

٣- حسن الخلق والكلمة الطيبة ولين الجانب : قال تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾(١) .

قال ابن كثير – رحمه الله – : «يأمر تبارك وتعالى عبده ورسوله ﷺ أن يأمر عباد الله المؤمنين أن يقولوا في مخاطباتهم ومحاوراتهم الكلام الأحسن والكلمة الطيبة ، فإنهم إن لم يفعلوا ذلك ، نزغ الشيطان بينهم ، وأخرج الكلام إلى الفعال ، ووقع الشر والمخاصمة والمقاتلة ، فإنه عدو لآدم وذريته . . . وعداوته ظاهرة بينة» أ . هـ(٢) .

وحسن الخلق يعني «الإحسان إلى الناس ، وكف الأذى عنهم ، واحتمال أذاهم»(٣) .

وقيل: «بذل الندى ، وكف الأذى ، وطلاقة الوجه»(٤) .

وصف حسن الخلق هو «بسط الوجه ، وبذل المعروف ، وكف الأذى» أ . هـ(٥) .

وقد فسره النبي ﷺ بالبر ، فقال: (البر حسن الخلق والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطَّلع عليه الناس)(٦) .

والبر: «يكون بمعنى الصلة ، وبمعنى اللطف والمبرة وحسن الصحبة والعشرة ، وبمعنى الطاعة ، وهذه الأمور هي مجامع حسن الخلق» أ . هـ(٧) ، وحسن الخلق قسمان:

الأول: حسن الخلق مع الله ، ويعنى الرضا بما قسم الله للعبد بشكر نعمته والصبر

---

(١) سورة الإسراء ، الآية: ٥٣ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير (٤/ ٣١٨-٣١٩) .

(٣) مدارج السالكين ، لابن القيم (٢/ ٣٤٠) ، وانظر: (٢/ ٣٠٧) .

(٤) مجموع الفتاوى ، لابن تيمية (٧/ ٩) ، ونسبه للحسن البصري ، وانظر: شرح صحيح مسلم للنووي (١٥/ ٧٨) .

(٥) رواه الترمذي ، رقم:٢٠٠٦ ، (٦/ ٢١٤) .

(٦) رواه مسلم ، رقم: ٢٥٥٣ ، (٤/ ١٩٨٠) ، عن النواس بن سمعان الأنصاري .

(٧) شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/ ١١١) .

على بلائه، وترك الاعتراض على حكمه سواء بالقلب أو اللسان.

الثاني: حسن الخلق مع الناس، ويشمل أمرين:

١- بذل المعروف وسائر وجوه الإحسان بالقول والفعل.

٢- كف الأذى قولاً وفعلاً، مع تحمل الأذى [١].

وله خمسة أركان لا يقوم إلا بها:

١- العلم: ويشمل العلم بفضائل الأخلاق ورذائلها، وحسن الخلق وما يترتب عليه من عظيم الجزاء.

٢- الصبر: وذلك لتحمل الأذى والمصابرة عليه بكظم الغيظ، وكف الأذى ومقابلة الإساءة بالإحسان، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[٣].

ولهذا قال بعض العلماء: «بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين» أ. هـ[٤]، وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾[٥].

«فأمرهم بالصبر وهو حال الصابر في نفسه والمصابرة، وهي حاله في الصبر مع خصمه والمرابطة، وهي الثبات واللزوم والإقامة على الصبر والمصابرة، فقد يصبر العبد ولا يصابر وقد يصابر ولا يرابط وقد يصبر ويصابر ويرابط من غير تعبد بالتقوى، فأخبر

---

(١) انظر: مدارج السالكين، لابن القيم (٢/ ٣٠٨)، (٢/ ٢٢٠)، حاشية ابن القيم على سنن أبي داود (١٣/ ٩١).

(٢) سورة فصلت، الآية: ٣٥.

(٣) سورة السجدة، الآية: ٢٤.

(٤) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٦٤).

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٢٠٠.

سبحانه أن ملاك ذلك كله التقوى وأن الفلاح موقوف عليها»[(١)] .

٣- العفة: وهي تدعوه لاجتناب كل قبيح من القول والفعل والتخلق بخلق الحياء ، الذي يدعوه لفعل كل جميل وترك كل قبيح .

٤- الشجاعة: والمراد شجاعة النفس وقوتها ، فتحمل العبد على العزة والبذل وكبح جماح النفس الأمارة بالسوء ، قال ﷺ : (ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب)[(٢)] .

٥- العدل: والعدل يحمله على التوسط والاعتدال في جميع أموره ، والعدل جماع ما سبق من الأخلاق ، فلا إفراط ولا تفريط ، فمثلاً الحلم خلق متوسط بين الغضب وبين الذل والمهانة ، والجود خلق متوسط بين البخل والشح ، وبين التبذير والإسراف[(٣)] .

وحسن الخلق من أخلاق الإسلام العظيمة ، التي دعا إليها الإسلام ورغب فيها ، ووعد صاحبها بعظيم الجزاء .

وهي من أسباب بعثته ﷺ ، كما في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ : **(إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)**[(٤)] .

وهو من أسباب دخول الجنة ، وقيل: أعلى الدرجات فيها ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة ، قال: (تقوى الله وحسن الخلق) ، وسئل عن أكثر ما سئل ، فقال: (الفم والفرج)[(٥)] .

---

(١) عدة الصابرين ، لابن القيم ، ص ١٣ .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) انظر: مدارج السالكين (٢/ ٣٠٨-٣١١) ،حاشية ابن القيم (١٣/ ٩١) .

(٤) رواه البيهقي في السنن الكبرى ، رقم: ٢٠٥٧١ ، (١٠/ ١٩١) ، والحاكم في المستدرك ، رقم: ٤٢٢١ ، ومسند الشهاب ، رقم: ١١٦٥ ، (٢/ ١٩٢) ، ومالك في الموطأ ، رقم: ١٦٠٦ ، وأحمد في المسند ، رقم: ٨٩٣٩ ، وقال ابن كثير: «تفرد به أحمد»أ . هـ ، البداية والنهاية (٦/ ٣٥) .

(٥) رواه الترمذي ، رقم: ٢٠٠٥ ، (٦/ ٢١٤) وصححه ، وابن حبان في صحيحه ، رقم: ٤٧٦ ، (٢/ ٢٢٤) ، والحاكم في المستدرك ، رقم: ٧٩١٩ ، (٤/ ٣٦٠) ، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»أ . هـ .

وعن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ : **(أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه)** (١) .

ولا ريب أن حسن الخلق مشتمل على هذه الثلاثة، فاستحق صاحبه أن يدرك هذه المنزلة (٢) .

وهو يدل على كمال الإيمان (إن من أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وألطفهم بأهله) (٣) .

إنه سبب في القرب من النبي ﷺ يوم القيامة، فعن جابر أن رسول الله ﷺ قال: (إن من أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون، قالوا: يا رسول الله قد علمنا الثرثارين والمتشدقين، فما المتفيهقون، قال: المتكبرون) (٤) .

والثرثار: «هو كثير الكلام بغير فائدة دينية، والمتشدق: المتكلم بملء فيه تفاصحاً وتعاظماً وتطاولاً وإظهاراً لفضله على غيره، وأصله من الفهق وهو الامتلاء» (٥) .

إن صاحبه ينال درجة الصائم القائم، فعن أبي هريرة - ﷺ - قال: قال رسول

---

(١) رواه أبو دواد، رقم: ٤٨٠٠، (٤/ ٢٥٢)، والبيهقي في السنن الكبرى، رقم: ٢٠٩٦٥، (١٠/ ٢٤٩)، والطبراني في المعجم الصغير، رقم: ٨٠٥، (٢/ ٧٤) عن معاذ بن جبل، والكبير، رقم: ٧٤٨٨، (٨/ ٩٨)، والأوسط، رقم: ٤٦٩٣، (٥/ ٦٨)، ورواه الترمذي، رقم: ١٩٩٣، (٤/ ٣٥٨، وقال: «حديث حسن»أ. هـ.

(٢) انظر: مدارج السالكين (٢/ ٣٠٧)، الاستقامة، لابن تيمية (١/ ٤٤٢)، مجموع الفتاوى (٧/ ٩).

(٣) رواه الترمذي في كتاب: «الإيمان»، باب: (في استكمال الإيمان وزيادته ونقصانه)، رقم: ٢٦١٢، (٥/ ٩)، ط. دار إحياء التراث، وقال: «هذا حديث صحيح» أ. هـ.

(٤) رواه الترمذي، رقم: ٢٠١٨، (٤/ ٣٧٠)، والإمام أحمد في مسنده، رقم:٧٠٣٥، (٢/ ٢١٧)، عن عمرو بن العاص، وابن حبان في صحيحه، رقم: ٤٨٥، (٢/ ٢٣٥)، عن عمرو بن العاص، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب» أ. هـ.

(٥) مدارج السالكين (٢/ ٣٠٧).

الله ﷺ: (إن الله يبلغ العبد بحسن خلقه درجة الصوم والصلاة) (١).

وجماع القول: إن حسن الخلق هو الدين «فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين» (٢).

وحسن الخلق كان صفة النبي ﷺ مع المؤمنين، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٣).

قال أنس بن مالك: (خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، فما قال لي قط أف، ولا قال لشيء فعلته لم فعلته، ولا لشيء لم أفعله ألا فعلت كذا) (٤).

وهو صفة المؤمنين مع بعضهم بعضاً، ومع أعدائهم، يقول تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾ (٥).

وأما مع الكافرين، فأمرهم تعالى بأن يغلظوا لهم، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ (٦)، وقوله تعالى: ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ (٧).

ومن هنا ينبغي للمؤمن أن يكون رحيماً ليناً مع إخوانه المسلمين، فهو أشد ما يكون على الشيطان، وأما أهل الشرك وأهل البدع فيعرض عنهم ولا يبدأهم بالسلام، ولا يقابلهم ببشاشة الوجه وطلاقته.

---

(١) رواه أبو دواد، رقم: ٤٧٩٨، (٤/ ٢٥٢)، وابن حبان في صحيحه، رقم: ٤٨٠، (٢/ ٢٢٨-٢٢٩).
(٢) مدارج السالكين (٢/ ٣٠٧).
(٣) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.
(٤) رواه مسلم في كتاب: «الفضائل»، رقم: ٢٣٠٩، (٤/ ١٨٠٤).
(٥) سورة الفتح، الآية: ٢٩.
(٦) سورة التوبة، الآية: ٧٣.
(٧) سورة التوبة، الآية: ١٢٣.

قال ابن القيم – رحمه الله – : «ومن أنواع مكايده ومكره (أي الشيطان) أن يدعو العبد بحسن خلقه وطلاقته وبشره إلى أنواع من الآثام والفجور ، فيلقاه من لا يخلصه من شره إلا تجهمه والتعبيس في وجهه والإعراض عنه ، فيحسن له العدو أن يلقاه ببشره وطلاقة وجهه وحسن كلامه ، فيتعلق به ، فيروم التخلص منه فيعجز ، فلا يزال العدو يسعى بينهما حتى يصيب حاجته ،فيدخل على العبد بكيده من باب حسن الخلق وطلاقة الوجه ، ومن ههنا وصى أطباء القلوب بالإعراض عن أهل البدع ، وألا يسلم عليهم ولا يريهم طلاقة الوجه ولا يلقاهم إلا بالعبوس والإعراض ، وكذلك أوصوا عند لقاء من يخاف الفتنة بلقائه من النساء والمردان» أ. هـ [١] .

٤- **الجهاد** : قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[٢] .

ومفهوم المخالفة في الآية إن من لم يجاهد فلا هداية له ، فالجهاد يوجب الهداية إلى سبيل الحق والصراط المستقيم [٣] .

والمراد بالجهاد في الآية ، الجهاد العام في الدين من طلب رضا الله ، ومجاهدة النفس والهوى والأعداء [٤] .

قال ابن القيم – رحمه الله – : «علق سبحانه الهداية بالجهاد فأكمل الناس هداية أعظمهم جهاداً ، وأفرض الجهاد جهاد النفس وجهاد الهوى ، وجهاد الشيطان ، وجهاد الدنيا ، فمن جاهد هذه الأربعة في الله هداه الله سبل رضاه الموصلة إلى جنته» [٥] ا .هـ .

والمراد بقوله ﴿ سُبُلَنَا ﴾: أي طريق الجنة ، وقيل: التوفيق للدين الحق ، وقيل:

---

(١) إغاثة اللهفان (١/ ١٢٠) .

(٢) سورة العنكبوت ، الآية: ٦٩ .

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٢٨/ ٣٤) .

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي (١٣/ ٣٦٤) ، مجموع الفتاوى (١١/ ٣٩٠) ، مكائد الشيطان ، سلمان الدحدوح ، ص ١٨٣ .

(٥) الفوائد ، ص١٠٩ ، وانظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣/ ٣٦٤-٣٦٥) .

تخلص نياتهم وصدقاتهم وجميع أعمالهم [١]، والجهاد يشمل أنواعاً عدة منها:

أ- **الجهاد بالنفس** : وهو أعلى مراتب الجهاد، حيث يجود العبد بروحه رخيصة في سبيل إعلاء لكلمة الله، ولهذا أعد الله لهم من الكرامات والنعيم ما لا يخطر ببال، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتَۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾[٢] ، وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾ ﴾[٣] .

وفي الحديث عن أنس - ﷺ - أن النبي ﷺ قال: (ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا، وإن له ما على الأرض من شيء إلا الشهيد، فإنه يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة) [٤] .

ب- **الجهاد بالمال** : وقد قدمه الله تعالى على الجهاد بالنفس في مواضع من كتابه، فقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ﴾[٦] ، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴾[٧] .

---

(١) انظر: المرجع السابق (١٣/ ٣٦٥) .

(٢) سورة آل عمران، الآيتان: ١٦٩-١٧٠ .

(٣) سورة النساء، الآية: ٧٤ .

(٤) رواه البخاري، رقم: ٢٦٦٢، (٣/ ١٠٣٧)، ومسلم في كتاب: «الإمارة»، رقم: ١٨٧٧، (٣/ ١٤٩٨) .

(٥) سورة الحجرات، الآية: ١٥ .

(٦) سورة النساء، الآية: ٩٥ .

(٧) سورة الصف، الآيتان: ١٠-١١ .

وفي الحديث عن أبي سعيد الخدري قال: قيل يا رسول الله: أي الناس أفضل، فقال رسول الله: **(مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله، قالوا: ثم من، قال: مؤمن في شعب من الشعاب يتقي الله ويدع الناس من شره)** [(١)] .

جـ- **الجهاد باللسان والقلم والتعليم**: وهذا النوع من الجهاد لا يمكن أن يستغنى عنه خصوصاً في هذا الزمن الذي تكالبت فيه قوى الشر ووسائله على دين الإسلام للنيل من مبادئه، وتشويه صورته، واتهامه بالتخلف والرجعية والطعن في خاتم الأنبياء فعن أنس عن النبي ﷺ قال: (جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم)[(٢)] .

ومن الجهاد هجاء الكافرين بالألسن، قال تعالى: ﴿ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[(٣)] . وقد كان رسول الله ﷺ يثني على حسان بن ثابت، ويقول: (قد آن لكم أن ترسلوا هذا الضارب بذنبه).

وكان حسان يقول: (والذي بعثك بالحق لأفرينهم بلساني فري الأديم)، فلما انتهى - ﷺ - من هجاء المشركين، قال - ﷺ -:(هجاهم حسان فشفى واستشفى)[(٤)] .

ومن الجهاد، جهاد النفس وهو أربعة مراتب:

---

(١) رواه البخاري، رقم: ٢٦٣٤، (٣/١٠٢٦)، ومسلم، رقم: ١٨٨٨ .

(*) لقد تخصصت اليوم إذاعات، ومحطات للبث ، ومواقع للنيل من المسلمين ووصفهم بأبشع العبارات وأقذرها، وسب النبي ﷺ، ومن هنا فلا بد أن يكون هناك خطاب موجه من المسلمين ينافس هذه الإذاعات والمحطات، ويجب التركيز على أمرين:
الأول:إبراز محاسن الدين الإسلامي ومبادئه، وإبراز أخلاق وصفات نبينا محمد ﷺ . **الثاني**: الرد على شبهات أهل الكفر والإلحاد، وليكن هذا الخطاب خطاباً يظهر فيه الاستعلاء والقوة والحجة، لا خطاب ضعف واستكانة، ليشعر المسلم وغير المسلم بعزة هذا الدين وارتفاعه وسموه على جميع الأديان، ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ سورة المنافقون، الآية: ٨ .

(٢) رواه أبو داود، رقم: ٢١٨٦، والنسائي في ، رقم: ٢٩٠٠، والحاكم في المستدرك، رقم: ٢٤٢٧، (٢/٩١) وصححه، وابن حبان في صحيحه، رقم: ٤٧٠٨، (١١/٦).

(٣) سورة الحشر، الآية: ١٣ .

(٤) رواه مسلم في كتاب: «الفضائل»، رقم: ٢٤٩٠، (٤/١٩٣٦).

الأولى: مجاهدة النفس على تعلم الدين الحق، وبذل الجهد في ذلك لأنه لا سعادة ولا نجاح لها إلا بهذا الهدى، والثانية: مجاهدة النفس على العلم بما علم. الثالثة: مجاهدة النفس على الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة وتعليم الجاهل، وإرشاد المسترشد. الرابعة: الصبر على ما يناله في هذا الطريق من أذى الخلق وظلمهم ونيلهم منه[1].

قال تعالى: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣ ﴾[2].

كذلك من الجهاد جهاد الشيطان، قال ابن القيم – رحمه الله –: «وأما جهاد الشيطان فمرتبتان أحدهما جهاده على دفع ما يلقي إلا العبد من الشبهات والشكوك القادحة في الإيمان.

الثانية جهاده على دفع ما يلقي إليه من الإرادات الفاسدة والشهوات، فالجهاد الأول يكون بعده اليقين، والثاني يكون بعده الصبر» أ. هـ[3].

وعموماً فالجهاد بأنواعه ذروة سنام الإسلام، لأن هذه الذروة لا تنال إلى بتحقيق جميع معاني الإيمان والإسلام، ومن أعظمها:

١- المحبة قال تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾[4].

٢- الإخلاص، فأعلى مراتبه تسليم النفس والمال لله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا ﴾[5].

---

(١) انظر: زاد المعاد، لابن القيم (٣/ ١٠).

(٢) سورة العصر، الآيات: ١-٣.

(٣) زاد المعاد (٣/ ١٠).

(٤) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

(٥) سورة التوبة، الآية: ١١١.

٣- التوكل والصبر، كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[٢].

الزهد في متاع الدنيا[٣].

قال ابن القيم: «ولهذا كان الجهاد موجباً للهداية التي هي محيطة بأبواب العلم، كما دل عليه قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾[٤]» أ.هـ[٥].

ولهذا قال الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله – وغيره من السلف: «إذا اختلف الناس في شيء فانظروا ماذا عليه أهل الثغر، فإن الحق معهم، لأن الله يقول: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾[٦]» أ. هـ[٧].

٥- الحلم والعفو وسلامة الصدر والصبر على الأذى وكظم الغيظ: قال تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾[٨]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ

---

(١) سورة النحل، الآيتان: ٤١-٤٢.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٢٨.
(٣) انظر: العقود الدرية، لابن القيم (١/ ١٥٨-١٦٠).
(٤) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.
(٥) العقود الدرية، (١/ ١٦٠).
(٦) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.
(٧) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٤٤٢)، ذكره المقدسي في الفروع (٦/ ١٨٤)، ، وابن القيم في مدارج السالكين (١/ ٥١١) ونسبه للأوزاعي وابن المبارك.
(٨) سورة الأعراف، الآيات: ١٩٩-٢٠١.

﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝٣٥ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٣٦ ﴾[1] .

وقال تعالى: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾[2] ، وقوله تعالى في وصف المؤمنين: ﴿ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٥٤ ﴾[3] ، وقال تعالى: ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٣٤ ﴾[4] .

عن الحسن قال: (مر رسول الله ﷺ بقوم فيهم رجل يرفع حجراً يقال له حجر الأشد قال: أفلا أخبركم بما هو أشد منه رجل سبه رجل فحلم عنه فغلب نفسه وغلب شيطانه وشيطان صاحبه)[5] .

وتحقق محبته تعالى لهم: «لأن درجة الحلم والصبر على الأذى، والعفو عن الظلم، أفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة، يبلغ الرجل بها ما لا يبلغه بالصيام والقيام»[6] .

ولدفع أذى الخلق ونيل الدرجات العالية، وإرغام الشيطان، والوصول إلى هذه المرتبة من الحلم والصبر وسلامة الصدر على العبد أن ينظر إلى عدة أمور:

الأول: القدر وأن ما شاء الله كان ولم يشأ لم يكن، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن لصيبه، **الثاني**: التحلي بالصبر، وليتأمل ما أعده الله للصابرين من حسن العاقبة وموفور الجزاء، ولن ينال ذلك إلا بالصبر، «وعلم إن لم يصبر اختياراً على

---

(١) سورة فصلت، الآيات: ٣٤-٣٦.
(٢) سورة المؤمنين، الآية: ٩٦.
(٣) سورة القصص، الآية: ٥٤.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٣٤.
(٥) رواه هناد في الزهد رقم: ١٣٠٥ (٢/ ٦٠٩) تحقيق: عبدالرحمن عبدالجبار الفريوائي، وذكره ابن حجر في فتح الباري (١٠/ ٥١٩) وقال: «رواه البزار بسند حسن» ا.هـ.
(٦) الصارم المسلول (٢/ ٤٣٥).

هذا ، وهو محمود صبر اضطراراً على أكبر منه وهو مذموم»[(١)] .

الثالث: عاقبة العفو والصفح والحلم ، وفي الحديث عن أبي هريرة - ﷺ - عن رسول الله ﷺ قال: (ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله)[(٢)] ، والعز هنا يشمل عزاً ومحبة في قلوب الخلق في الدنيا وعزاً في الآخرة[(٣)] .

الرابع: أن يرضى بما أصابه ، وهذا فوق ما قبله ، وهذا منزلة عظيمة لا ينالها إلا أصحاب الهمم العالية ، ولا سيما إن كان ما نالها كان بسبب القيام بحق الله تعالى .

الخامس: مقابلة الإساءة بالإحسان ، فكلما أساء إليه الخلق أحسن إليهم ، وليستشعر العبد إنه بهذا الإحسان يرد إليهم شيئاً من إحسانهم إليه بإهدائهم إياه حسناتهم وأجورهم!!

وهذا مما يجعل الأمر يهون على العبد ، فيعلم أنه بكافئهم على ما أهدوه إليه من عظيم الأجر وما تحملوا عنه من عظيم الوزر!!

السادس: سلامة الصدر ، فلا يشغل قلبه بما لا يعنيه ، وليعلم أنه كلما اشتغل العبد بشيء من هذه الأمور فاته ما هو أهم وأنفع له من الإقبال على الله ورجاء ثوابه .

قال ابن القيم: «وهذا مشهد شريف جداً لمن عرفه وذاق حلاوته»[(٤)] !!

السابع: حصول الأمن ، فالعفو والحلم يقتلع العداوة ويقضي عليها بخلاف الانتقام الذي يزيدها ويشعلها فتنزرع العداوات وتزداد الضغائن ، فلا يأمن العبد عندها من مباغتة عدوه .

الثامن: دفع ثمن البيعة ، فالمؤمن قد عقد الصفقة مع الله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٣١٩) ، وانظر: إغاثة اللهفان (١/ ٩٨) .

(٢) رواه مسلم في كتاب: «البر والصلة والآداب» ، رقم: ٢٥٨٨ ، (٤/ ٢٠٠١) .

(٣) انظر: حاشية صحيح مسلم ، محمد فؤاد عبدالباقي .

(٤) مدارج السالكين (٢/ ٣٢٠) .

﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾[(١)] . فإن كان ناله من الأذى في سبيل الله ، فلا يحق لـه أن يطلب لذلك عوضاً غير السلعة التي وعده الله تعالى بها وهي الجنة .

قال تعالى في ذكر وصية لقمان – عليه السلام – لابنه: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾[(٢)] .

ولما عزم الصديق على أن يأخذ من المرتدين ديات المسلمين وأموالهم التي أُتلفت في حرب الردة ، قال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –: (تلك دماء وأموال ذهبت في الله وأجورها على الله ، ولا دية لشهيد)[(٣)] .

وكان بمشهد من الصحابة ولم يعرف له مخالفاً فكان هذا إجماعاً .

التاسع: عظيم المنة في هذه النعمة وذلك يظهر من وجوه:

١- لكونه جعل مظلوماً يرجو من الله النصر ، ولم يكن ظالماً ينتظر من الله البطش والعقوبة .

٢- التكفير من خطاياه وذنوبه فما يصيب العبد من شيء حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه .

٣- أن يحمد الله أنها لم تكن في دينه ، وينظر إلى ما هو أعظم منها .

٤- أن يدخر جزاءها عند الله تعالى في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ، في يوم هو في أمس الحاجة إلى حسنة ينجيه الله بها يوم القيامة .

العاشر: أن يتأسَّى بمن سبقه من الأنبياء والرسل والأولياء الذين هم من أفضل

---

(١) سورة التوبة ، الآية: ١١١ .

(٢) سورة لقمان ، الآية: ١٧ .

(٣) ذكره ابن القيم في مدارج السالكين (٢/ ٣٢١) ، وهذا الأثر روى بعضاً منه البخاري في صحيحه ، عن ، رقم: ٦٧٩٥ ، (٦/ ٢٦٣٩) ، والبيهقي في السنن الكبرى ، رقم: ١٧٤١٠ ، (٨/ ٣٣٥) ، وابن أبي شيبة في مصنفه ، رقم: ٣٢٧٣١ ، (٦/ ٤٣٨) .

الخلق، ومع ذلك كانوا أشد الناس بلاءً، فليتأس بهم، ليهون عليه ما ناله مما لا يساوي شيئاً مع مما وقع عليه من أذى الخلق.

الحادي عشر: أن يشتغل بالله تعالى، والتعلق به وتوحيده ومحبته والإخلاص له، والتقرب منه، والشوق إليه [١].

قال ابن القيم – رحمه الله –: «وهو أجل المشاهد وأرفعها، فإذا امتلأ قلبه بمحبة الله، والإخلاص له ومعاملته، وإيثار مرضاته، والتقرب إليه، وقرة العين به، والأنس به... واتخذه ولياً دون من سواه، بحيث فوض إليه أموره كلها، ورضي به وبأقضيته... فإنه لا يبقى في قلبه متسع لشهود أذى الناس له ألبتة، فضلاً عن أن يشتغل قلبه وفكره وسره بطلب الانتقام والمقابلة»أ. هـ [٢].

الثاني عشر: ترويض النفس ومجاهدتها في تغيير ما فيها من سوء الخلق، وكان من دعاء النبي ﷺ: (واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها ولا يصرف عني سيئها إلا أنت) [٣]، وبالتخلق والتكلف يصبح هذا الخلق سجية للعبد [٤]، وفي حديث أشج عبدالقيس – رضي الله عنه – عندما قال له الرسول ﷺ: (إن فيك لخصلتين يحبهما الله ورسوله الحلم والأناة، فقال: أخلقين تخلقت بهما أم جبلني الله عليهما؟ فقال: بل جبلك الله عليهما، فقال: الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله ورسوله) [٥].

قال ابن القيم – رحمه الله –: «يتكلف الحلم والوقار والسكينة والثبات حتى تصير له أخلاقاً بمنزلة الطبائع، قالوا: وقد جعل الله سبحانه في الإنسان قوة القبول

---

(١) انظر فيما سبق مدارج السالكين لابن القيم (٣١٨-٣٢٤).

(٢) المرجع السابق (٢/ ٣٢٣-٣٢٤).

(٣) رواه مسلم في صحيحه، في كتاب: «الصلاة»، رقم: ٧٧١، (١/ ٥٣٤).

(٤) انظر: المرجع السابق (٢/ ٣١٥)، سبل السلام، للصنعاني (٤/ ١٥١-١٥٢).

(٥) رواه مسلم، رقم: ١٨، (١/ ٤٨)، بدون الزيادة، والزيادة رواها أبو داود، رقم: ٥٢٢٥، (٤/ ٣٥٧)، وأبو يعلى في مسنده، رقم: ٦٨٤٨، (١٢/ ٢٤٢).

والتعلم، فنقل الطبائع عن مقتضياتها غير مستحيل، غير أن هذا الانتقال قد يكون ضعيفاً فيعود العبد إلى طبعه بأدنى باعث، وقد يكون قوياً ولكن لم ينقل الطبع فقد يعود إلى طبعه إذا قوي الباعث واشتد وقد يستحكم الانتقال بحيث يستحدث صاحبه طبعاً ثانياً، فهذا لا يكاد يعود طبعه الذي انتقل عنه» أ. هـ [١].

٨- **تطهير القلب من الأمراض القلبية**: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ [٢].

فوصفهم الله تعالى بالتقوى، وحقيقة التقوى لا تقوم إلا بالقلب، ولا تقوم التقوى فيه إلا بعد عمارته بالإيمان والإخلاص والذكر، وتطهيره من كل مرض قلبي، ومن كل شهوة وشبهة، قال – عليه الصلاة والسلام – في الحديث الصحيح: (التقوى ههنا) [٣] ويشير على صدره، فالتقوى لا تحصل بالأعمال الظاهرة.

قال سفيان: «لا يصيب رجل حقيقة التقوى حتى يجعل بينه وبين الحرام حاجزاً من الحلال، وحتى يدع الإثم وما تشابه منه» أ. هـ [٤].

فإذا تمكنت التقوى من القلب، وأصبح قلباً سليماً من الأمراض، خلص من الشيطان، فلا يصبح له عليه سلطان، ولا يكون له عليه إلا خطرات ليس لها قرار، كما وصفها الله تعالى بقوله: ﴿إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ﴾.

قال ابن سعدي – رحمه الله –: «ولما كان العبد، لا بد أن يغفل وينال منه الشيطان، الذي لا يزال مرابطاً، ينتظر غرته وغفلته، ذكر تعالى علامة المتقين من الغاوين، وأن المتقي إذا أحس بذنب، ومسه طائف من الشيطان... تذكر من أي باب

---

(١) عدة الصابرين، لابن القيم، ص ١٣.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٠١.

(٣) جزء من حديث رواه مسلم في كتاب: « »، رقم: ٢٥٦٤، (٤/ ١٩٨٦).

(٤) رواه أبو نعيم في الحلية (٧/ ٢٨٨).

أتى ، ومن أي مدخل دخل الشيطان عليه ، فأبصر واستغفر الله تعالى» أ. هـ[(١)] .

قال ابن الجوزي – رحمه الله – : «وأعلم أن القلب كالحصن ، وعلى ذلك الحصن سور ، وللسور أبواب ، وفيه ثلم ، وساكنه العقل ، والملائكة تتردد إلى ذلك الحصن ، وإلى جانبه ربض فيه الهوى والشياطين تختلف إلى ذلك الربض من غير مانع ، والحرب قائمة بين أهل الحصن وأهل الربض ، والشياطين لا تزال تدور حول الحصن تطلب غفلة الحارس والعبور من بعض الثلم ، فينبغي للحارس أن يعرف جميع أبواب الحصن الذي قد وكل بحفظه وجميع الثلم ، وألا يفتر عن الحراسة لحظة ، فإن العدو ما يفتر»أ.هـ[(٢)] .

ثانياً: ما استقريته من السنة في التحصن من الشيطان :

١ – ترك التشبه بالشيطان ومخالفته .

٢ – الوضوء .

٣ – الصلاة .

٤ – الإنفاق في سبيل الله .

٥ – الصيام .

٦ – الرضا والتسليم بقضاء الله وقدره ، والبعد عن الجزع والنياحة .

٧ – العدل .

٨ – النكاح ، والترابط الأسري .

٩ – قرار المرأة في بيتها .

١٠ – البعد عن الغضب .

١١ – التأني وترك العجلة .

١٢ – تصحيح النية في كل عمل يخرج إليه المرء .

١٣ – كفالة اليتيم .

١٤ – البعد عن الفتن .

١٥ – طلب العلم ، وملازمة مجالس الذكر ومجالسة الصالحين .

١٦ – التواضع وشكر النعم .

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ، لابن سعدي (٣/ ١٣٥-١٣٦) .

(٢) تلبيس إبليس ، لابن الجوزي ، ص ٥٠ .

١٧ - البعد عن غشيان الأسواق لغير حاجة .

١٨ - الاستعلاء على الشيطان واحتقاره .

١٩ - قلة الخروج ليلاً .

٢٠ - الدعاء .

٢١ - كشف مخططات الشيطان ومداخله بعدة وسائل منها:

- تجنب مواضعه وأماكن جلوسه:
- النهي عن الصلاة عند طلوع الشمس وغروبها .
- الخشوع في الصلاة .
- النظافة ومس الطيب .
- رد التثاؤب .
- تقليل الطعام والشراب .
- التسمية عند الدخول إلى البيت وعند الطعام والشراب ، وأكل اللقمة عند سقوطها .
- البعد عن مواطن الشبهات ، الريبة وسوء الظن .
- تسوية الصفوف .
- إطلاق الشعر في الصلاة وعدم عقصه .

٢٢ - تحصين الجماعة المسلمة من الشيطان ، بعدة وسائل منها:

- قتل الشياطين .
- قتل أعوان الشياطين من الطواغيت ومنهم السحرة والكهان .
- الرقية الشرعية .
- هدم أماكن الشرك .
- قتل جنود الشيطان من الحيوان .
- بيان سبيل المجرمين .
- إصلاح حال الأمة الإسلامية .

واستعين بالله تعالى في بيانها وتوضيحها .

ثانياً: ما استقريته من السنة :

١- ترك التشبه بالشيطان ومخالفته : ومن وسائل التحصين من الشيطان، ترك التشبه به ومخالفته ما استطاع العبد، لأن التشبه بالشيطان سبب لملازمته للشخص المتشبه به، ومخالفته تؤدي إلى نفوره منه والبعد عنه، كما قال ﷺ : (قيلوا فإن الشياطين لا تقيل)[١] .

والقيلولة هي: «نوم نصف النهار، وقيل: الاستراحة نصف النهار إذا اشتد الحر وإن لم يكن معها نوم»[٢] ، والقائلة: «الظهيرة وهي الهاجرة»[٣] ، ومن التشبه به:

أ- الأكل والشرب بالشمال: عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: (**لا يأكلن أحدكم بشماله، ولا يشربن بها، فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بها**)[٤] .

ب- الأكل بإصبعين: ودليله حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: (**دخل رسول الله ﷺ حائطاً لبعض الأنصار، فجعل يتناول الرطب، فيأكل وهو يمشي وأنا معه، فالتفت إلي، فقال: يا ابن عباس لا تأكل بإصبعين، فإنها أكلة الشيطان، وكل بثلاث أصابع**)[٥] .

والأكل بثلاث هي صفة أكله ﷺ، قال القرطبي - رحمه الله - : «وكونه ﷺ كان يأكل بثلاث أصابع: أدب حسن، وسنة جميلة، لأنها تشعر بعدم الشره في الطعام، وبالاقتصار على ما يحتاج إليه من غير زيادة عليه...»أ هـ[٦] .

جـ- الشرب بنفس واحد: عن ابن شهاب الزهري أن رسول الله ﷺ (كان إذا شرب تنفس ثلاثة أنفاس، ونهى عن العبِّ نفساً واحداً، ويقول: ذلك شرب

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الأوسط، رقم: ٢٧٢٥، (١/ ٣)، وحسنه الألباني، انظر: الصحيحة، رقم: ١٦٤٧، (٤/ ٢٠٢)، وصحيح الجامع، رقم: ٤٤٣١، (٢/ ٨١٥).
(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٧/ ١٦٣)، النهاية في غريب الحديث، (٤/ ١٣٣).
(٣) المطلع على أبواب المقنع (١/ ٣٥٤)، وانظر: المصباح المنير (٢/ ٥٢١)، لسان العرب (١١/ ٥٧٨).
(٤) سبق تخريجه.
(٥) رواه الطبراني في المعجم الكبير، رقم: ١١٢٥١، (١١/ ١٠٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٢٥): «وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن وبقية رجاله رجال الصحيح»أ. هـ.
(٦) المفهم، للقرطبي (٥/ ٢٩٨).

الشيطان)[١].

د – ترك القيلولة – كما سبق – .

هـ – الجلوس بين الشمس والظل: ففي الحديث (نهى رسول الله ﷺ أن يجلس بين الضح والظل، وقال: مجلس الشيطان) [٢].

قال ابن كثير: «وقد ذكروا في هذا معاني: من أحسنها أنه لما كان الجلوس في مثل هذا الموضع فيه تشويه بالخلقة، فيما يرى كان يحبه الشيطان، لأن خلقته في نفسه مشوهة، وهذا مستقر في الأذهان، ولهذا قال تعالى: ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ ﴾[٣] فإن النفوس مغروز فيها قبح الشياطين وحسن خلق الملائكة...»اهـ[٤].

و– الإسراف والتبذير: قال تعالى: ﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ ﴾[٥].

قال ابن مسعود: التبذير: الإنفاق في غير حق[٦]، وقال مجاهد: لو أنفق إنسان ماله كله في الحق لم يكن مبذراً، ولو أنفق مداً في غير حق كان مبذراً[٧]، وقد وصف الله المبذرين بأنهم إخوان الشياطين وما ذلك إلا لأن الشياطين تحب إضاعة المال، وإنفاقه في غير وجهه.

ومن الإسراف، الإكثار من الأثاث والفراش الذي لا لزوم له، يقول ﷺ في

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان، رقم: ٥٦١٠، (١٠/ ٥٥٦-٥٥٧)، وهو مرسل، وله شاهد آخر عن عكرمة، قال: (لا تشربوا نفساً واحد فإنه شراب الشيطان)، ومثله لا يقال من قبل الرأي، رقم: ٥٦١٣، (١٠/ ٥٥٨)، وقال مختار الندوي (المحقق): إسناده صحيح، ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه، رقم: ٢٤١٦٧، (٥/ ١٠٦).

(٢) أحمد في المسند، رقم ١٥٤٥٩، (٣/ ٤١٣) وقال المنذري سنده جيد الترغيب والترهيب، (٥/ ٢٦٠).

(٣) سورة الصافات، الآية: ٦٥.

(٤) البداية والنهارية، لابن كثير (١/ ٥٦-٥٧).

(٥) سورة الإسراء، الآيتان: ٢٦-٢٧.

(٦) رواه ابن جرير في تفسيره (١٥/ ٧٣)، ط. دار الفكر.

(٧) المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة.

حديث جابر بن عبدالله: (فراش للرجل، وفراش لامرأته، وفراش للضيف، والرابع للشيطان) [١] .

قال النووي – رحمه الله – : «قال العلماء معناه أن ما زاد على الحاجة، فاتخاذه إنما هو للمباهاة والاختيال والالتهاء بزينة الدنيا، وما كان بهذه الصفة، فهو مذموم، وكل مذموم يضاف إلى الشيطان، لأنه يرتضيه ويوسوس به ويحسنه، ويساعد عليه، وقيل: إنه على ظاهره، وأنه إذا كان لغير حاجة كان للشيطان عليه مبيت ومقيل، كما أنه يحصل له المبيت بالبيت الذي لا يذكر الله تعالى صاحبه عند دخوله عشا»أ. هـ [٢] .

ز- **الإقعاء عند الجلوس في الصلاة**: كما ورد عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: (كان رسول الله ﷺ يستفتح الصلاة بالتكبير والقراءة بـ ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ وكان إذا ركع لم يشخص رأسه ولم يصوِّبه، ولكن بين ذلك، وكان إذا رفع رأسه من الركوع لم يسجد حتى يستوي قائماً، وكان إذا رفع رأسه من السجدة لم يسجد حتى يستوي جالساً، وكان يقول: في كل ركعتين التحية، وكان يفرش رجله اليسرى، وينصب رجله اليمنى، وكان ينهى عن عقبة الشيطان، وينهى أن يفترش الرجل ذراعيه افتراش السبُع، كان يختم الصلاة بالتسليم) [٣] .

والإقعاء هو: «أن يلصق إليته بالأرض وينصب ساقيه ويضع يديه على الأرض، كما يفرش الكلب وغيره من السباع» [٤] .

المشي بنعل واحدة: فهي مشية الشيطان، عن أبي هريرة – ﷺ – عن رسول الله ﷺ قال: (لا يمشي أحدكم في نعل واحدة؛ فإن الشيطان يمشي في نعل واحدة) [٥] .

---

(١) رواه مسلم في كتاب: «اللباس والزينة»، رقم: ٢٠٨٤، (٣/ ١٦٥١).
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٤/ ٥٩)، وانظر المواجهة لحسن قطامش ص١٥٦ .
(٣) رواه مسلم، رقم: ٤٩٨، (١/ ٣٥٧)، والإمام أحمد في مسنده (٦/ ٣١).
(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (٤/ ٢١٤).
(٥) رواه البخاري، رقم: ٥٥١٨، (٥/ ٢٢٠٠)، ومسلم في كتاب: «اللباس والزينة»، رقم: ٢٠٩٧.

الأخذ والعطاء بالشمال: كما في الحديث عن أبي هريرة - ﷺ - أن النبي ﷺ قال: (ليأكل أحدكم بيمينه، وليشرب بيمينه، وليأخذ بيمينه، وليعط بيمينه، فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله، ويعطي بشماله، ويأخذ بشماله) [1] .

التكبر والاستعلاء: وهي من أبرز صفات إبليس - أعاذنا الله منه - قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[2] .

٢- الوضوء : «إن من أسلحة المؤمن في حربه مع الشيطان ذكر الله على كل حال، وإذا كان العبد ذاكر الله وهو في حالة طهور دائم، فإن ذلك من عمل الإيمان»[3] .

فالطهور من الإيمان كما في الحديث: (الطهور شطر الإيمان) [4] .

وقد ثبت في الحديث الصحيح أن الوضوء يكون سبب لفك العقد التي يضربها الشيطان على العبد في حال نومه كما في قوله ﷺ : (يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب على كل عقدة مكانها عليك ليل طويل فارقد فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة فإن صلى انحلت عقده كلها فأصبح نشيطاً طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان) [5] .

وعن أبي روح الكلاعي [6] عن رجل من أصحاب النبي ﷺ، عن رسول الله ﷺ

---

(١) رواه ابن ماجه رقم: ٣٢٦٦، (٢/ ١٠٨٧)، والطبراني في المعجم الأوسط، رقم: ٦٧٧٥، (٧/ ٣٥-٣٦)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٩٣): «رواه ابن ماجه بإسناد صحيح»أ. هـ.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٣٤.

(٣) عالم الجن والشياطين، لأبي أسامة محيي الدين، ص ١٤٧.

(٤) رواه مسلم في كتاب الطهارة رقم: ٢٢٣ (١/ ٢٠٣).

(٥) سبق تخريجه.

(٦) شبيب بن نعيم، قال عنه ابن حجر في التقريب: «ثقة، من الثالثة، أخطأ من عده من الصحابة»، رقم: ٢٧٤٤، ص ٢٦٤.

أنه صلى الفجر صلاة فقرأ فيها الروم فأوهم ، قال: (إنما لبَّس علينا الشيطان القراءة من أجل أقوام يأتون الصلاة بغير وضوء ، فإذا أتيتم الصلاة فأحسنوا الوضوء) (١) .

ومعنى الحديث: أن الشيطان خلط ولبس على رسول الله ﷺ القراءة بسبب وجود أقوام يصلون بدون أن يحسنوا الوضوء ، فعاد شؤمهم على المصلين حيث وجد إبليس مدخلاً بواسطتهم (٢) .

وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن رسول الله ﷺ قال: (طهروا هذه الأجساد طهركم الله ، فإنه ليس من عبد يبيت طاهراً ، إلا بات معه في شعاره ملك ، لا ينقلب ساعة من الليل إلا قال: اللهم اغفر لعبدك فإنه بات طاهراً) (٣) .

ومن المعلوم أنه متى بات معه ملك ، يمكن أن يجتمع مع الملك شيطان .

كما أن الوضوء من وسائل إطفاء الغضب والغضب من الشيطان كما في الحديث (إن الغضب من الشيطان ، وإن الشيطان خلق من النار ، وإنما تطفأ النار بالماء ، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ) (٤) .

٣- **الصلاة** : ومن وسائل التحصين ضد الشيطان ، المحافظة على الصلاة فهي عمود الإسلام ، وأساسه ولا حظ في الإسلام لمن تركها .

وهي من أعظم مقامات العبودية كما سبق .

لهذا يحاول الشيطان أن يصد العبد عنها ، ويشغله بالوساوس عن إقامتها ، والخشوع فيها كما سبق بيان ذلك في مواطن متعددة .

وأعظم ما يغيظ إبليس في هذا المقام:

---

(١) رواه الإمام أحمد (٣/ ٤٧١) ، والنسائي ، رقم: ٩٤٧ ، (٢/ ١٥٦) من غير ذكر الشيطان .

(٢) فيض القدير (٣/ ١٠-١١) .

(٣) رواه الطبراني في المعجم الأوسط ، رقم: ٥٠٨٧ (٥/ ٢٠٤) ، وقال المنذري: "إسناده جيد ، الترغيب والترهيب (١/ ٢٣١) .

(٤) سبق تخريجه .

أ- **الأذان** : وفي الحديث عن أبي هريرة - ﷺ - قال: قال النبي ﷺ : (إذا نودي بالصلاة ، أدبر الشيطان وله ضراط ، فإذا قضي أقبل ، فإذا ثوب بها أدبر ، فإذا قضي أقبل حتى يخطر بين الإنسان وقلبه ، فيقول: اذكر كذا وكذا ، حتى لا يدري أثلاثاً صلى أم أربعاً ، فإذا لم يدر ثلاثاً صلى أو أربعاً ، سجد سجدتي السهو) (١) .

ب- **المحافظة على الفرائض والخشوع فيها**: وهو يحاول سرقة أي شيء من الصلاة ، كما في الحديث عندما سئل رسول الله ﷺ عن النظر في الصلاة ، قال: (ذاك اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد) (٢) .

لذا على العبد الإقبال على الصلاة ، بخشوع وحضور قلب حتى ييأس الشيطان منه ، وعليه أن يستعيذ بالله كلما حال الشيطان بينه وبين صلاته ، كما سبق بيان ذلك .

جـ- **قيام الليل**: عن عبدالله بن مسعود - ﷺ - قال: ذكر عند رسول الله ﷺ رجل نام ليلة حتى أصبح ، قال: (ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه ، أو في أذنه) (٣) .

وقد سبق بيان معنى الحديث ، وهو على عمومه يدل على استخفاف الشيطان بالنائم على إلى يصبح واستهزاؤه به .

وفي الأثر عن ابن مسعود - ﷺ - : (حسب الرجل من الخيبة والشر أن ينام حتى يصبح وقد بال الشيطان في أذنه) (٤) ، وهو يعقد على رأس النائم ثلاث عقد ، يضرب على مكان كل عقدة عليك ليل طويله فارقد (٥) . . . كما سبق ، وقد ترجم له البخاري في صحيحه ، باب: عقد الشيطان على قافية الرأس إذا لم يصل بالليل (٦) .

---

(١) سبق تخريجه .
(٢) سبق تخريجه .
(٣) سبق تخريجه .
(٤) ذكره ابن جحر في الفتح (٣/ ٢٩) ، وقال: «صحيح الإسناد» أ. هـ .
(٥) سبق تخريجه .
(٦) كتاب: «الصلاة»ن (١/ ٣٨٣) .

وعن ابن عمر – ﷺ – : (ما أصبح رجل على غير وتر إلا أصبح على رأسه جرير قدر سبعين ذراعاً) (١) .

والجرير الحبل – كما سبق – وهو حقيقة ، ويعني أن الشيطان قد خطم هذا العبد كما يخطم الرجل بعيره ، وتكمن منه ، فأصبح يقوده كيفما شاء (٢) .

د – سجود التلاوة: عن أبي هريرة – ﷺ – قال رسول الله ﷺ : **(إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد، اعتزل الشيطان يبكي، يقولك يا ويله، أمر ابن آدم بالسجود فسجد، فله الجنة، وأمرت بالسجود فأبيت، فلي النار)** (٣) ، ففي سجود التلاوة تحزين للشيطان وإذا حزن خفَّ شرُّه بالإضافة إلى اعتزاله في ناحية يبكي .

هـ – الإشارة بالسبابة في التشهد: فعن نافع قال: كان عبدالله بن عمر إذا جلس في الصلاةن وضع يديه على ركبتيه ، وأشار بإصبعه ، وأتبعها بصره ، ثم قال: قال رسول الله ﷺ : (لهي أشد على الشيطان من الحديد) (٤) يعني السبابة .

قال النووي – رحمه الله – : «وينوي بالإشارة التوحيد والإخلاص»(٥) ا .هـ .

٤- الإنفاق في سبيل الله : يقول تعالى: ﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ ﴾(٦) . فمن كان له مال ولم يؤد زكاته ، ولم يعط حق الله تعالى فيه ، سأل الله تعالى الرجعة عند نزول الموت له كما روى عن ابن عباس – ﷺ – وغيره(٧) .

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **(ما من يوم يصبح**

---

(١) قال الحافظ ابن حجر: «سنده جيد» ، فتح الباري (٣/ ٢٥) ، ط . دار المعرفة .
(٢) انظر: وقاية الإنسان من الجن والشيطان ، تأليف: وحيد عبدالسلام بالي ، ص ٣٧٧-٣٧٨ .
(٣) رواه مسلم في كتاب: «الإيمان» ، رقم: ٨١ ، (١/ ٨٧) .
(٤) رواه الإمام أحمد في المسند ، رقم: ٦٠٠٠ ، (٢/ ١١٩) ، ط . مؤسسة قرطبة .
(٥) شرح مسلم للنووي (٥/ ٨٢) .
(٦) سورة المنافقون ، الآية: ١٠ .
(٧) انظر تفسير الطبري (٢٨/ ١١٨) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٨/ ١٠٣) .

العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول: اللهم أعط منفقاً خلفا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفا)(١) .

وفي الآية والحديث دعوة للإنفاق وبذل المال في سبيل الله ، وترك الشح والبخل الذي هو من عمل الشيطان وتخويفه (٢) .

قال تعالى: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ ﴾(٣) ، فكلما أنفق العبد في سبيل الله إما بالصدقة أو الزكاة الواجبة ، ذكره الشيطان الفقر وخوفه منه فإذا خالفه وأنفق يئس منه (٤) .

ولهذا جاء في الحديث: «**إن للشيطان للمة بابن آدم وللملك لمة فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله ومن وجد الأخرى فليتعوذ من الشيطان ثم قرأ الشيطان:** ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ﴾ (٥) .

٥- الصيام : ومما يتحصن به العبد ضد الشيطان ، الصيام ، وقد سبق في حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – قوله ﷺ : (**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**) ، وذلك لكبح جماع الشهوة ، في حالة عدم القدرة على النكاح(*) ، ومن المعلوم أن باب الشهوة من أقوى الأبواب التي يدخل بها الشيطان على العبد ، فجعل الصيام وسيلة لسد هذا المدخل وتضييقه ، وقد سبق بيان ذلك (٦) .

وقد ثبت أن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ، ولا شك أن الصوم يقلل

---

(١) رواه البخاري ، رقم: ١٣٧٤ ، (٢/ ٥٢٢) ، ومسلم ، رقم: ١٠١٠ ، (٢/ ٧٠٠) .

(٢) انظر: مكايد الشيطان لعباد الرحمن ، لسلمان الدحدوح ، ص ١٨٨ .

(٣) سورة البقرة ، الآية: ٢٦٨ .

(٤) انظر: تفسير الطبري (٣/ ٨٧) ، تفسير ابن كثير (١/ ٣٢٢) ط . دار الفكر .

(٥) سبق تخريجه .

(*) فما أحوج الشباب في هذا الزمن لكثرة الصيام ، نظراً لما شاع من فتن النساء وعدم القدرة على النكاح ، لغلاء المهور وكثرة تكاليف الزواج ومتطلباته !!

(٦) انظر ص ٧٩٥ .

جريان الدم وكثرته، وذلك بعد تناول الطعام والشراب، وهذا يؤدي على التضييق عليه، وهذا يلاحظ في إقبال العباد على الطاعة والإنابة في شهر رمضان، ما لا يوجد نظيره في سائر الشهور [١].

ففي شهر رمضان تحبس الشياطين فلا تخلص إلى ما كانت تستطيعه سائر العام كما في الحديث عن أبي هريرة - ﷺ - قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب السماء وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين) [٢].

٦- **الرضاء بقضاء الله وقدره والبعد عن الجذع والنياحة**: ومن وسائل التحصين من الشيطان التسليم للقضاء والقدر، قال ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله عز وجل ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا لكان كذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان).

وفي الحديث الصحيح عن العباس بن عبدالمطلب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً) [٣].

وفي الحديث نهي عن الاعتراض على قضاء الله وقدره، وإن ذلك وسيلة لعمل الشيطان لما يترتب على الاعتراض من الحزن والندم والتسخط والشعور بأنه كان يمكن رد المقدور، وكل ذلك ينافي الرضا والتسليم لمشيئة الله تعالى وقدره، وأن ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، فإذا سلم العبد لله تعالى خلص توحيده وإيمانه وأقبل على الله تعالى بانشراح صدر وطمأنينة قلب، وما ذاك إلا لما يورثه الرضا من اليقين والاعتماد على الله تعالى [٤].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٢٥/ ٢٤٥-٢٤٦).
(٢) رواه البخاري، رقم: ١٨٠٠ (٢/ ٦٧٢)، ومسلم، رقم: ١٠٧٩ (٧/ ١٨٧) شرح النووي.
(٣) رواه مسلم، رقم: ٣٤ (١/ ٦٢).
(٤) انظر: أعلام الموقعين، لابن القيم (٣/ ١٥٧).

قال ابن القيم – رحمه الله – : «وهي سهلة بالدعوى باللسان، وهي من أصعب الأمور عند الحقيقة والامتحان، ولا سيما إذا جاء ما يخالف هوى النفس ومرادها»أ.هـ[(١)]، والتسليم والرضا يشمل:

- الرضا بالله رباً وإلهاً ومعبوداً، والتسليم والانقياد لجميع أوامره والانكفاف عن جميع نواهيه.

- الرضى بما يقدر على العبد، وكل ما يفعله، وهذا يعني إفراده بالاستعانة والاعتماد والتوكل، ومن هذا الرضا بقضاء الله وقدره فيما ينزل على العبد من المصائب، وعدم النياحة على الميت، لأن ذلك من الشيطان وهو يدعو إليه ويدل عليه حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – في قصة وفاة زينب بنت رسول الله ﷺ عندما ماتت فقال رسول الله ﷺ : (الحقي بسلفنا الصالح الخير عثمان بن مظعون فبكت النساء فجعل عمر يضربهن بسوطه فأخذ عمر رسول الله ﷺ بيده وقال: مهلاً يا عمر ثم قال: ابكين وإياكن ونعيق الشيطان ثم قال: إنه مهما كان من العين والقلب فمن الله عز وجل ومن الرحمة وما كان من اليد واللسان فمن الشيطان)[(٢)].

وفي الحديث الآخرة: (ما كان من العين والقلب فمن الله، وما كان من اليد واللسان فمن الشيطان).

- الرضا بنبيه محمد ﷺ نبياً ورسولاً، وهذا يعني الانقياد لكل ما جاء به المصطفى، والتحاكم إليه، واتباع سنته، وتقديم محبته ﷺ على النفس والمال

---

(١) مدارج السالكين، لابن القيم (٢/ ١٧٢).

(٢) أحمد في مسنده رقم: ٢١٢٧ (١/ ٢٣٧)، والبيهقي في السنن الكبرى رقم: ٦٩٥٢ (٤/ ٧٠) بنحوه وذكر أنها في وفاة رقية – رضي الله عنها –، والطيالسي في مسنده رقم: ٢٦٩٤ (١/ ٣٥١) بنحوه وذكر أنها في وفاة رقية رضي الله عنها، قال الشوكاني في نيل الأوطار (٤/ ١٤٩) «حديث ابن عباس فيه علي بن زيد وفيه كلام وهو ثقة وقد أشار إلى الحديث الحافظ في التلخيص وسكت عنه».

والولد .

- الرضا بدين الإسلام واعتقاده ، وتقديمه على سائر الأديان (١) .

٧- **العدل** : (إن الله تعالى مع القاضي ما لم يجر ، فإذا جار وكله إلى نفسه)(٢) .

وفي رواية (. . . **فإذا جاء تخلى عنه ولزمه الشيطان**) (٣) .

وعن حذيفة بن اليمان - ﷺ - قال: قلت يا رسول الله إنا كنا بشر فجاء الله بخير فنحن فيه ، فهل من وراء هذا الخير شر؟ قال: (نعم) ، قلت: هل وراء ذلك الشر خير؟ قال: (نعم) ، قلت: فهل وراء ذلك الخير شر؟ قال: (نعم) ، قلت: كيف؟ قال: (يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي ، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشيطان في جثمان إنس) ، قال قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: (تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع) (٤) وفي الحديث الأمر بطاعة الأمراء في غير معصية الله ، مهما بلغ منهم الجور(٥) .

ومعنى الحديث: إن هؤلاء الأئمة الذين يأتون في آخر الزمان لا يهتدون بسنته ولا سيرة النبي ﷺ ، ووصف هؤلاء الرجال بأن قلوبهم مظلمة قاسية قد استولى عليها الشيطان بالأهواء الفاسدة ، وأنواع الضلال والظلام ، فهم من حزبه وأعوانه ، وهؤلاء

---

(١) انظر: مدارج السالكين (٢/ ١٧٢) .

(٢) رواه ابن ماجه ، رقم: ٢٣١٢ ، (٢/ ٧٧٥) ، وصححه الألباني ، انظر: صحيح ابن ماجه ، رقم: ١٨٧٠ .

(٣) رواه الترمذي رقم: ١٣٣٠ ، وقال: هذا حديث حسن غريب ، والبيهقي ، رقم: ٢٠٢٣٨ (١٠/ ١٣٤) .

(٤) رواه مسلم في كتاب: «الإمارة» ، رقم: ١٨٤٧ ، (٣/ ١٤٧٦) .

(٥) والطاعة هنا مقيدة: ما لم يأمروا بمعصية الله ، ويجب الصبر عليهم وكراهة ما هم عليه من المعاصي ولا يجوز الخروج عليهم إلا عند وجود أمرين: **الأول**: عدم إقامة الصلاة .
الثاني: أن يرى منهم كفر بواح ، وهو الواضح الذي تدل عليه النصوص دلالة صريحة ولا يحتمل التأويل ، انظر: فتح الباري ، لابن حجر ، (٨/٣١) ، نيل الأوطار ، للشوكاني (٧/ ٣٥٨) وما بعدها .

هم شياطين الإنس (١) .

٨- **النكاح والترابط الأسري** : ومن وسائل التحصين ضد الشيطان النكاح، وهو من أقوى وسائل دفع كيده، فهو وسيلة لحفظ البصر وحفظ الفرج، اللذين هما أكبر وسائل الشيطان لإيقاع البشر في الشر والرذيلة ، عن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ : (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء) (٢) .

وفي الحديث عن جابر - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: (**إن المرأة تقبل في صورة شيطان، وتدبر في صورة شيطان، فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته، فليأت أهله فإن ذلك يرد ما في نفسه**) ، وفي رواية لمسلم ، (**أن رسول الله ﷺ رأى امرأة فأتى زينب وهي تمعن - تدلك - نية لها - أي جلد يدبغ فقضى حاجته ثم خرج إلى أصحابه فقال . . .**) (٣) ، وفي هذا رد لفتنة الشيطان ووسوسته بالفتنة بالمرأة، ومعلوم أنه لا طريق إلى ذلك إلا بالنكاح .

ولهذا يحاول الشيطان إفساد الحياة الزوجية وتنغيصها، والتفريق بين الزوجين ما استطاع إلى ذلك، كما في حديث جابر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ : (**إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يعبث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم، فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، قال: فيدنيه منه، ويقول نعم أنت**) (٤) .

وفي الأثر عن أبي أمامة قال: (إن الشيطان يأتي إلى فراش أحدكم بعدما يفرشه أهله ويهيئونه فيلغي عليه العود والحجر أو الشيء ليغضبه على أهله، فإذا وجد ذلك فار بغضب على أهله، قال: لأنه من عمل الشيطان) (٥) .

---

(١) انظر: شرح النووي لصحيح مسلم (١٢/ ٢٣٧)، ومرقاة المفاتيح في شرح مشكاة المصابيح، للعلامة على بن سلطان محمد القاري (٥/ ١٣٧) .
(٢) رواه البخاري، رقم: ١٨٠٦، (٢/ ٦٧٣)، ومسلم، رقم: ١٤٠٠، (٢/ ١٠١٨٩ .
(٣) سبق تخريجه .
(٤) سبق تخريجه .
(٥) رواه البخاري، رقم: ١١٩١، ص ٤٠٧، تخريج: محمد فؤاد عبدالباقي .

ومن هنا ينبغي على الزوجين التغاضي عن الزلات والقيام بالحقوق والواجبات حتى لا يجد الشيطان مدخلاً للتفريق بينهما .

كذلك ينبغي الترابط الأسري بين جميع الأرحام والقرابات ، لأن الفرقة والخلاف من عمل الشيطان لإفساد ذات البين التي تحلق الدين ، كما في الحديث عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: (إياكم وسوء ذات البين فإنها الحالقة) [(١)] .

قال الترمذي - رحمه الله - : «ومعنى قوله (سوء ذات البين) ، إنما يعني العداوة والبغضاء ، وقوله (الحالقة) ، يقول: إنها تحلق الدين» أ.هـ[(٢)] .

يقول تعالى في قصة يوسف - عليه السلام - : ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَبَتِ هَـٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَـٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَـٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾[(٣)] .

وعلى العبد أن يتذكر ما أعد الله للعافين عند الناس ، ويعلم بحقارة الدنيا وحقيقتها فيدخر للحياة الباقية .

قال تعالى: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَـٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَـٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾[(٤)] .

٩- قرار المرأة في بيتها : (أقرب ما تكون المرأة من ربها وهي في بيتها ، فإذا خرجت استشرف الشيطان)[(٥)] . وفي رواية عن عبدالله بن مسعود ، عن النبي ﷺ قال: (المرأة عورة

---

(١) رواه الترمذي ، رقم: ٢٥١٠ ، ٠٧/١٩٨) ، وقال : هذا حديث صحيح غريب أبو داود قال رسول الله ﷺ : **(ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصدقة، قالوا: بلى، قال: إصلاح ذات البين وفساد ذات البين هي الحالقة)** ، رقم: ٤٩١٩ (٢١/ ٢٠٠) ، وأحمد في المسند ، رقم: ٢٧٥٤٨ ، (٦/ ٤٤٤) .

(٢) سنن الترمذي (٤/ ٦٦٣) ، وشرح النووي لمسلم (٢/ ٣٦) ، (٧/ ١٣٣) ، (٨/ ٢٨) .

(٣) سورة يوسف ، الآية: ١٠٠ .

(٤) سورة الكهف ، الآية: ٤٥ .

(٥) سبق تخريجه .

فإذا خرجت استشرفها الشيطان) ،وفي رواية:**(وأنها لا تكون إلى وجه الله أقرب منها في قعر بيتها)**(١) .

وفي رواية أخرى عن ابن مسعود – ﷺ – : **(إنما النساء عورة، وإن المرأة لتخرج من بيتها، وما بها من بأس فيستشرف لها الشيطان، فيقول: إنك لا تمرن بأحد إلا أعجبته، وإن المرأة لتلبس ثيابها، فيقال: أين تريدين؟ فتقول: أعود مريضاً، أو أشهد جنازة، أو أصلي في مسجد، وما عبدت امرأة ربها مثل أن تعبده في بيتها)** (٢) .

وقال سعيد بن المسيب – رحمه الله – : (ما أيس الشيطان من شيء إلا أتاه من قبل النساء ، وقال: ما أخوف شيء عندي من النساء) (٣) .

وفي الحديث: **(المرأة تقبل في صورة شيطان وتدبر في صورة شيطان)**(٤) ، قال مجاهد – رحمه الله –: «إذا أقبلت المرأة جلس الشيطان على رأسها فزينها لمن ينظر ، وإذا أدبرت جلس على عجزها فزينها لمن ينظر» أ.هـ(٥) ، ومن هنا تتضح الفتنة العظيمة لخروج النساء وتبرجهن ، ولذا من الأسلم للمرأة ولغيرها القرار في بيتها وعدم الخروج إلا لحاجة ، ليسلم لها دينها ، وتسلم من إيقاع من يراها من الرجال في الفتنة بها إرغاماً للشيطان وسداً لمداخله (٦) .

١٠- البعد عن الغضب : جاء في الصحيح عن عبدالرحمن بن أبي بكر – رضي الله عنهما – (جاء أبو بكر بضيف له أو بأضياف له ، فأمسى عند النبي ﷺ ، فلما جاء

---

(١) رواه الترمذي ، رقم: ، (٣/ ٤٧٦) ، وقال: «هذا حديث حسن غريب» ، والطبراني في الكبير (٣/ ٦٤) ، وصححه الألباني ، انظر: سنن الترمذي ، رقم: ٩٣٦ .

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير ، رقم: ٨٩١٤ ، (٩/ ١٨٥) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٣٥٩: «رجاله ثقات»أ. هـ ، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ١٣٧) .

(٣) سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٣٧) .

(٤) سبق تخريجه .

(٥) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي (١٢/ ٢٢٧) .

(٦) يلاحظ أن دعاة الرذيلة وأعوان الشيطان كثيراً ما يحرصون على إخراج المرأة من بيتها وتصويره بأن سجن ، وحثها على التحرر منه والإنخراط في شتى أنواع العمل ومجالاته ، فيجب الحذر من هذه الدعاوى وعدم الانخداع بمعسولها ، والإعراض عن كل ناعق وشيطان يدعو إليها!!

قالت أمي: احتبست عن ضيفك أو أضيافك الليلة، قال: ما عشيتهم، فقالت: عرضنا عليه أو عليهم فأبوا أو فأبى، فغضب أبو بكر فسب وجدع وحلف لا يطعمه فاختبأت، أنا فقال: يا غنثر [(١)] فحلفت المرأة لا نطعمه حتى يطعمه، فحلف الضيف أو الأضياف ألا يطعمه أو يطعموه حتى يطعمه، فقال أبو بكر: كأن هذه من الشيطان فدعا بالطعام فأكل وأكلوا فجعلوا لا يرفعون لقمة إلا ربا من أسفلها أكثر منها، فقال: يا أخت بني فراس ما هذا، فقالت: وقرة عيني إنها الآن لأكثر قبل أن نأكل فأكلوا وبعث بها إلى النبي ﷺ فذكر أنه أكل منها) [(٢)] . وفي رواية: (فأكل منها أبو بكر، وقال: إنما كان ذلك من الشيطان يعني يمينه، ثم أكل منها لقمة، ثم حملها إلى النبي ﷺ فأصبحت عنده، وكان بيننا وبين قوم عقد فمضى الأجل ففرقنا اثني عشر رجلاً من كل رجل منهم أناس الله أعلم كم مع كل رجل فأكلوا منها أجمعون) [(٣)] .

قال النووي: «فيه أن من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فعل ذلك، وكفر عن يمينه، كما جاءت به الأحاديث الصحيحة، وفيه حمل المضيف المشقة على نفسه إكراماً لضيفانه وإذا تعارض حنثه نفسه لأن حقهم عليه آكد»أ.هـ[(٤)]، وقال أيضاً: «فقمع الشيطان وإرغامه ومخالفته في مراده باليمين، وهو إيقاع الوحشة بينه وبين أضيافه، فأخزاه أبو بكر بالحنث الذي هو خير»أ. هـ[(٥)]، وفي الحديث كرامة لأبي بكر – رضي الله عنه[(٦)] .

وقد سبق بيان أن الغضب من إيذاء الشيطان للعبد ليوقعه فيما حرم الله، أو ينسيه

---

(١) غنثر:«القطيل الوخم، وقيل:الجاهل من الغثارة»، النهاية في غريب الحديث (٣/ ٣٨٩)، وانظر: (١/ ٢٤٧)، غريب الحديث، لابن الجوزي (٢/ ١٦٩)، الفائق (٣/ ٣٣) .

(٢) رواه البخاري، رقم: ٧٩٠، (٥/ ١١٧٤)، ومسلم، رقم: ٢٠٥٧، (٣/ ١٦٢٧) .

(٣) رواه البخاري، رقم: ٥٧٧، (١/ ٢١٦) .

(٤) شرح صحيح مسلم، (١٤/ ١٩)، وانظر: فتح الباري لابن حجر (٦/ ٥٩٧) .

(٥) المرجع السابق (١٤/ ٢٢) .

(٦) انظر: المرجع السابق (١٤/ ١٩)، فتح الباري (٦/ ٥٩٨) .

ذكر الله .

١١- **التأني واجتناب العجلة** : جاء في الحديث عن أنس - ﷺ - : **(التأني من الرحمن والعجلة من الشيطان، ومن شيء أكثر معاذير من الله وما من شيء أحب إلى الله من الحمد)** (١) .

وفي حديث أشج عبدالقيس ، قال ﷺ : **(إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله الحلم والأناة)** (٢) .

ومن التأني المشروع: التأني في الحكم على الآخرين ، والتثبت عند سماع أي إشاعة ضد شخص أو جماعة (٣) ، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ۝٦ ﴾(٤) .

- ومنه التأني والصبر في الدعوة إلى الله تعالى ، وعدم استعجال النتائج وبذل الجهد لإصلاح الخلق مع الدعاء والتضرع إلى الله ، والتأني أيضاً في إنكار المنكر ، فقد يكون للشخص تأويل لا يعلمه المنكر ، كما في قصة الخضر - عليه السلام - مع نبي الله موسى الكليم - صلوات الله وسلامه عليه - (٥) .

- التأني في الذهاب إلى المسجد عند إقامة الصلاة ، وعدم العجلة والتسرع ، بل يمشي وعليه السكينة والوقار ، مع غض الطرف وخفض الصوت (٦) ، التأني وعدم

---

(١) رواه أبو يعلى في مسنده ، رقم: ٤٢٥٦ (٧/ ٢٤٧-٢٤٨) ، والبيهقي في السنن الكبرى ، رقم: ٢٠٠٥٧ ، (١٠/ ١٠٤) ، والبيهقي في شعب الإيمان ، رقم: ٤٠٥٨ ، (٨/ ٣٢١) ، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٢٨٤): «رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح»أ . هـ ، ورواه الترمذي في كتاب: «البر والصلة» ، باب: (ما جاء في التأني والعجلة) ، رقم: ٢٠١٢ ، (٤/ ٣٦٧) ، عن سعد بن سهل الساعدي بنحوه مختصراً ، وقال: «هذا حديث غريب»أ .هـ .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) انظر: جامع البيان ، لابن جرير (٥/ ٢٢٥) ، ط . دار الفكر ، الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي (١٦/ ٣١١) ، الدر المنثور ، للسيوطي (٧/ ٥٥٧) ، ط . دار الفكر .

(٤) سورة الحجرات ، الآية: ٦ .

(٥) انظر: زاد المعاد ، لابن القيم (٣/ ٦٢٧) ، فتح الباري ، لابن حجر (١/ ٢٢٢) .

(٦) شرح النووي على مسلم (٥/ ١٠٠) ، كشاف القناع ، للبهوتي (١/ ٣٢٤) .

العجلة عند اتخاذ أي قرار يتعلق بحياة العبد ودينه من زواج وطلاق ونحو ذلك [١] .

- التأني في المشي وعند زيارة الإخوان [٢] ، والتأني في السحور عند الصيام ما لم يخش طلوع الفجر [٣] .

- تأني القاضي في الحكم في القضية ، ومشاورة أهل الفقه والعلم[٤] .

- التأني للقادم على أهله ، وعدم طروقهم ليلاً ، لكي يتهيئوا لاستقباله وكراهة أن يجد عندهم ما يكره ، ومنعاً للشكوك والوساوس والتجسس على الأهل [٥] .

١٢- تصحيح النية في كل عمل يخرج إليه المرء : جاء في الحديث (ما من خارج يخرج - يعني من بيته - إلا بيده رايتان ، راية بيد ملك وراية بيد شيطان ، فإن خرج لما يحب الله عز وجل أتبعه الملك برايته ، فلم يزل تحت رايته حتى يرجع إلى بيته ، وإن خرج إلى ما يسخط الله اتبعه الشيطان برايته ، فلم يزل تحت راية الشيطان حتى يرجع إلى بيته) [٦] .

ويؤخذ من الحديث أن الشيطان يراقب العبد من أول خروجه من بيته ، ويركز على هدفه الذي خرج من أجله ، فإن كان في طاعة انصرف عنه ، وتبعه الملك ، وإن كان في معصية ، فالشيطان حامل لرايته معين له على هذه النية .

١٣- كفالة اليتيم : عن أبي موسى - ﷺ - عن النبي ﷺ قال: (**ما قعد يتيم مع قوم على قصعتهم، فيقرب قصعتهم شيطان**) [٧] .

---

(١) انظر: فتح الباري ، لابن حجر (٨/ ٥٢١) ، د . دار المعرفة ، سبل السلام (٢/ ٣٣) .
(٢) المرجع السابق (١٠/ ٥٨٤) .
(٣) انظر: الأم للشافعي (٢/ ٩٦) ، ط . الثانية ، ١٣٩٣هـ ، دار المعرفة ، بيروت .
(٤) انظر: المبسوط للسرخسي (١٦/ ٨٤) ، ط . عام ١٤٠٦هـ ، دار المعرفة ، بيروت .
(٥) انظر: سبل السلام ، للصنعاني (٣/ ١٤٠) .
(٦) رواه الإمام أحمد في مسنده ، رقم: ٨٢٦٩ ، (١٦/ ١٢٥-١٢٦) ، تحقيق: الشيخ العلامة أحمد شاكر ، وقال - رحمه الله - : «إسناده صحيح»أ . هـ .
(٧) رواه الطبراني في المعجم الأوسط ، رقم: ٧١٦٥٠ ، (٧/ ١٦٤) ، والحارث في مسنده ، رقم: ٩٠٧ ، (٢/ ٨٥٣) ، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٢٣٦): «حديث غريب ، رواه الطبراني في الأوسط ، والأصبهاني في كلاهما من رواية الحسن بن واصل ، وكان شيخنا الحافظ أبو الحسن - رحمه الله يقول: هو حديث حسن»أ . هـ .

واليتيم هو الفرد، وهو من فقد أباه من البشر قبل البلوغ، وفي البهائم من فقد أمه[١]، «وكل شيء مفرد يعز نظيره فهو يتيم يقال: درة يتيمة»[٢].

وقد حث الإسلام على حسن رعاية اليتيم، ورحمته والشفقة عليه، في الحديث عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: **(كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجنة)**، فقال بأصبيعه السبابة والوسطى[٣].

وفي تحريم ظلمه وأكل ماله يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ۝١٠﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾[٥].

١٤- البعد عن الفتن: عن ابن عمر - رضي الله عنه - أنه سمع رسول الله ﷺ وهو مستقبل المشرق يقول: **(ألا إن الفتنة ههنا، ألا إن الفتنة ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان)**، وفي رواية البخاري **(فأشار نحو مسكن عائشة فقال: هنا الفتنة ثلاثاً من حيث يطلع قرن الشيطان)**[٦]، أي نحو المشرق كما جاء مفسراً في بعض الروايات[٧].

قال ابن عبدالبر - رحمه الله -: «في هذا الحديث علم من أعلام نبوة رسول الله ﷺ لإخباره بالغيب عما يكون بعده، والفتنة ههنا بمعنى الفتن لأن الواحدة ههنا تقوم مقام الجميع الذكر، وأخبر ﷺ عن إقبال الفتن من ناحية المشرق، وكذلك أكثر الفتن من المشرق انبعثت وبها كانت نحو الجمل وصفين، وقتل الحسين وغير ذلك مما يطول ذكره، مما كان بعد ذلك من الفتن بالعراق وخراسان إلى اليوم، وقد كانت الفتن في كل ناحية

---

(١) لسان العرب (٢١/ ٦٤٥)، التعريفات للجرجاني ص ٣٣١، النهاية في غريب الحديث (٥/ ٢٩١).
(٢) مختار الصحاح (١/ ٣٠٩)، وانظر: المصباح المنير (٢/ ٦٧٩).
(٣) رواه البخاري، رقم: ٥٦٥٩، (٥/ ٢٢٣٧)، ومسلم، رقم: ٢٩٨٣، (٤/ ٢٢٨٧).
(٤) سورة النساء، الآية: ١٠.
(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٥٢.
(٦) رواه البخاري، رقم: ٢٩٣٧، (٣/ ١١٣٠)، ومسلم، رقم: ٢٩٠٥، (٤/ ٢٢٢٨).
(٧) كما رواه مسلم، رقم: ٢٩٠٥، (٤/ ٢٢٢٩).

من نواحي الإسلام ولكنها بالمشرق أكثر أبداً»أ هـ [١] !!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : «لما انتشرت الدولة العباسية ، وكان في أنصارها من أهل المشرق والأعاجم طوائف من الذين نعتهم النبي ، حيث قال: الفتنة ههنا ، ظهر حينئذ كثير من البدع وعربت أيضاً إذ ذاك طائفة من كتب الأعاجم من المجوس الفرس والصابئين الروم والمشركين الهند . . .» أ. هـ [٢] .

١٥- طلب العلم : عن ابن عباس – ﷺ – قال: قال رسول الله ﷺ : (ففيه أشد على الشيطان من ألف عابد) [٣] .

وقال ابن الجوزي – رحمه الله – : «واعلم أن الباب الأعظم الذي يدخل منه إبليس على الناس ، هو الجهل ، فهو يدخل على الجهال بأمان ، وأما العالم فلا يدخل عليه إلا مسارقة ، وقد لبس إبليس على كثير من المتعبدين بقلة علمهم ، لأن جمهورهم يشتغل بالعبادة ولم يحكم العلم» [٤] .

وقال أيضاً: «وأقوى القيد الذي يوثق به الأسرى: الجهل ، وأوسطه في القوة: الهوى ، وأضعفه الغفلة ، ومادام درع الإيمان على المؤمن فإن نبل العدو لا يقع في مقتل»أ .هـ [٥] .

وقال ابن القيم – رحمه الله – : «فإنه لا ينجو من عدوه إلا من عرفه ، وعرف طريقه التي يأتيه منها وجيشه الذي يستعين به عليه ، وعرف مداخله ومخارجه وكيفية محاربته ، وبأي شيء يحاربه ، وبماذا يداوي جراحه وبأي شيء يستمد القوة لقتاله ودفعه ،

---

(١) التمهيد ، لابن عبدالبر (١٧/ ١٢) .

(٢) مجموع الفتاوى ، لابن تيمية (٤/ ٢٠) .

(٣) رواه ابن ماجه ، رقم: ٢٢٢ ، (١/ ٨) ، وابن حبان في المجروجين (١/ ٢٩٦) ، والبيهقي في شعب الإيمان ، رقم: ١٥٨٦ ، (٤/ ٣٤٤) ، وحكم عليه الألباني بالوضع وقال في تخريج مشكاة المصابيح: «وآفته روح بن جناح وهو ضعيف جداً منهم الوضيع . . .» ، رقم: ٢١٧ (١/ ٧٥) ، وضعيف الجامع ، رقم: ٣٩٨٧ ص ٥٨١ .

(٤) تلبيس إبليس لابن الجوزي (٢/ ٧٦٤) تحقيق د . أحمد الزيد ، دار الوطن .

(٥) المرجع السابق .

وهذا كله لا يحصل إلا بالعلم ، فالجاهل في غفلة وعمى عن هذا الأمر العظيم والخطب الجسيم» (١) .

والشيطان يحاول أن يحول بين العبد وبين أن يتعلم فربما أوهمه طلب العلم في الكبر مذمة «فرضي بالجهل أن يكون موسوماً به ، وآثره على العلم أن يكون مبتدئاً به ، وهذا من خدع الجهل وغرور الكسل ، لأن العلم إذا كان فضيلة فرغبة ذوي الأسنان فيه أولى ، والابتداء بالفضيلة فضيلة ، ولئن يكون شيخاً متعلماً أولى من أن يكون شيخاً جاهلاً» (٢) .

وربما أوهمه أن تعلم العلم لا بد له من العمل ، فإن لم يعمل به طالبه كان حجة عليه ، فالأسلم تركه .

فإن عصاه وتعلم ربما أدخل عليه العجب بعلمه ، وإن لم يزل جاهلاً فيوقعه في العجب والغرور والفتوى بلا علم (٣) .

ومن وسائل التحصين ضد الشيطان لزوم حلق الذكر ، فهي أبغض الأماكن إليه ، ولذا يحاول أن يصرف العبد عنها ، ويشغله بأي أمر من الدنيا كي لا يلازمها ، قال ابن مسعود: (إن الشيطان أطاف بأهل مجلس الذكر ليفتنهم فلم يستطع أن يفرق بينهم ، فأتى على حلقة يذكرون الدنيا فأغرى بينهم حتى اقتتلوا ، فقام أهل الذكر فحجزوا بينهم فتفرقوا) (٤) .

كذلك من وسائل التحصين ضد الشيطان ملازمة الصحبة الصالحة عموماً .

عن أبي هريرة – ﷺ – قال: قال رسول الله ﷺ : (**الرجل على دين خليله فلينظر**

---

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم (١/ ١١٢) .

(٢) أدب الدنيا والدين ، ص ٢٦ .

(٣) انظر: تلبيس إبليس ، ص ١٥٧ وما بعدها ، ووقاية الإنسان من الجان ، وحيد بالي ، ص ١٩٢ .

(٤) رواه الإمام أحمد في الزهد ، ص ١٩٦ ، وابن الجوزي في تلبيس إبليس ، ص ٣٥ ، وقد درست إسناده د .إلهام الجابري في رسالتها الدكتوراه «الأحاديث الواردة في الشيطان ومكائده والوقاية منه» ، وقالت: «إسناده ضعيف لسماع حماد بن سلمة من عطاء بن السائب قبل وبعد الاختلاط» ، ص ١٧٦٨ .

أحدكم من يخالل) [١] ، وفي الصحيح عنه - ﷺ - : (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله الإمام العادل ، وشاب نشأ في عبادة ربه ، ورجل قلبه معلق في المساجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال ، فقال إني أخاف الله ورجل تصدق أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه)[٢] .

ومن فوائد مجالسة الصالحين التي تكون سبباً لطرد الشياطين: إن فيها إعانة على ذكر الله الذي هو من أسباب الاعتصام بالله وطرد الشياطين ، وكذلك تذكر الآخرة والاستعداد لها ، وثالثاً ، تبعد عن الشهوات والملذات [٣] .

١٦- التواضع وشكر النعم : عن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن للشيطان مصالي[٤] وفخوخا [٥] ، وإن من مصاليه البطر بأنعم الله ، والفخر بعطاء الله ، والكبرياء على عباد الله ، واتباع الهوى في غير ذات الله) [٦] .

ومن المعلوم أن الكبر من كبائر الذنوب ، وهو أبرز الصفات الشيطانية ، لذا على العبد اجتنابه والتخلص منه والاستعاذة بالله منه .

قال تعالى في بيان وصية لقمان لابنه: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ ﴾[٧] .

---

(١) رواه الترمذي (رقم ٤٥ «لم يسمه») ، رقم: ٢٣٨٧ ، (٤/ ٨٩) ، وقال: «هذا حديث حسن غريب» ، وأبو داود ، رقم: ٤٨٣٣ ، (٤/ ٢٥٩) ، وأحمد في المسند ، رقم: ٨٣٩٨ ، (٢/ ٣٣٤) .

(٢) رواه البخاري ، رقم: ٦٢٩ ، (١/ ٢٣٤) ، ومسلم ، رقم: ١٠٣١ ، (٢/ ٧١٥) .

(٣) انظر: عالم الجن والشياطين ، لأبي أسامة محيي الدين ، ص ١٤٢ .

(٤) مصالي: جمع مصلاة ، والمراد الشرك التي يصطاد بها ، انظر: فيض القدير (٢/ ٤٩٩) .

(٥) فخوخا: جمع فخ ، وهي آلة يصطاد بها ، انظر: المرجع السابق ، نفس الجزء والصفحة .

(٦) رواه ابن عساكر في تاريخه (٢٦/ ١٢٤) ، والمزي في تهذيب الكمال (٣٠/ ٨٨) ، وقد رواه موقوفاً على النعمان بن بشير البخاري في: «الأدب المفرد» ، رقم: ٥٥٣ ، ص ١٩٤ ، والبخاري في التاريخ (٨/ ٣١٢) ، وضعفه الألباني ، انظر: السلسلة الضعيفة ، رقم: ٢٤٦٣ ، (٥/ ٤٨٣) .

(٧) سورة لقمان ، الآية: ١٨ .

والمعنى «لا تعرض بوجهك عن الناس إذا كلمتهم أو كلموك احتقاراً لهم، واستكباراً عليهم، ولكن ألن جانبك، وأبسط وجهك إليهم» (١) .

١٧- البعد عن غشيان الأسواق لغير حاجة : لأنها مجالس الشيطان وهي مركز نصب رايته، وفي الحديث: (لا تكونن إن استطعت أول من يدخل السوق ولا آخر من يخرج، فإنها معركة الشيطان وبها ينصب رايته) (٢) .

وفي الحديث تشبيه لما يفعل الشيطان بأهل الأسواق من نيله منهم وإيقاعهم في الباطل والغش واليمين الغموس والبيوع المحرمة بالمعركة القائمة في سبيل الجهاد، حيث إنه ينصب رايته ويحشد حشوده من حزبه وأعوانه وذريته (٣) .

للانتصار في هذه المعركة ولذا يشرع محاربته في السوق ومن وسائل حربه:

أ- الذكر في الأسواق، وفي الحديث عن عمر بن الخطاب - ﷺ - أن رسول الله ﷺ قال: (من دخل السوق فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة) (٤) ، لذا كان الذكر فيها مضاعفاً لكون الشيطان ينصب فيها رايته (٥) .

وكان من عادة السلف إحياء ذكر الله في الأسواق كما أثر عن ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهم أنهما كانا يخرجان إلى السوق في أيام العشر يكبران ويكبر الناس

(١) تفسير ابن كثير (٥/ ٣٨٥) .
(٢) رواه مسلم في كتاب: فضائل الصحابة، رقم: ٢٤٥١، (٤/ ١٩٠٦) .
(٣) انظر:شرح مسلم للنووي (١٦/ ٧) ،النهاية في غريب الحديث،لابن الأثير (٣/ ٢٢٢) .
(٤) رواه الترمذي، رقم: ٣٤٢٨، وقال: «هذا حديث غريب»، والدرامي في سننه، رقم: ٦٩٢، (٢/ ٣٧٩)، والحاكم في المستدرك، رقم: ١٩٧٤ (١/ ٧٢٢)، عن ابن عمر بزيادة (وبنى له بيتاً في الجنة)، وقال: «هذا إسناده صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، ولم يوافقه الذهبي .
(٥) انظر: مصائب الإنسان من مكايد الشيطان، لابن مفلح، ص ١٠٣ .

بتكبيرهما [١] .

ب- الصدق في البيع والتحذير من الحلف الكاذب لإنفاق السلعة ، كما في الحديث عن أبي ذر - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: (**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، قال: فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرات، قال أبو ذر خابوا وخسروا من هم يا رسول الله، قال: المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب**)[٢] .

جـ- الصدقة ، ففي الحديث: (يا معشر التجار إن الشيطان والإثم يحضران البيع فشوبوا بيعكم بالصدقة) [٣] .

د- الاستعاذة بالله من شر السوق ومن شر ما فيها ، وفي الحديث كان رسول الله ﷺ (إذا دخل السوق قال: بسم الله اللهم إني أسألك خير هذه السوق ، وخير ما فيها ، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها ، اللهم إني أعوذ بك أن أصيب فيها يميناً فاجرة أو صفقة خاسرة) [٤] .

١٨- الاستعلاء والاحتقار : ومن وسائل التحصين ضد إبليس الاستعلاء عليه واحتقاره ، لأن كيده ضعيف ، فلا ينبغي أن يؤبه له لئلا يؤدي ذلك إلى تعاظمه وتكبره وطغيانه [٥] .

وفي الحديث: (**لا تقل تعس الشيطان، فإنه يعظم حتى يصير مثل البيت، ويقول: بقوتي صرعته، ولكن بسم الله، فإنك إذا فعلت ذلك تصاغر**) [٦] ، ويقول تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ

---

(١) ذكره البخاري معلقاً في مقدمة باب: (فضل العمل في أيام التشريق) ، (١/ ٣٢٩) .
وقال الصنعاني في سبل السلام (٢/ ٧٢): «وذكره البغوي والبيهقي كذلك»أ. هـ ، معلقاً .
(٢) رواه مسلم في كتاب: «الإيمان» ، رقم: ١٠٥ ، (١/ ١٠٢) .
(٣) سبق تخريجه .
(٤) الحاكم في المستدرك ، رقم: ١٩٧٧ (١/ ٧٢٣) ، وسكت عليه ، وقال الذهبي: «أبو عمرو لا يعرف ، والمدائني متروك»أ. هـ .
(٥) انظر: المواجهة ، لحسن أحمد قطامش ، ص ١٥٨-١٥٩ .
(٦) سبق تخريجه .

﴿ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾ [(١)] ، عن الحسن قال: «كان الرجل منهم إذا نزل الوادي فبات به ، قال: أعوذ بعزيز هذا الوادي من شر سفهاء قومه»[(٢)] .

قال الله تعالى: ﴿ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ أي: «زاد الجن على الإنس جراءة وتطاولاً لما رأوا من ذعرهم وخوفهم مع إنهم لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً» [(٣)] .

ومن الاستخفاف به عدم التحدث بما يحدث للمرء في منامه من تلاعب الشيطان به كما في الحديث: (لا يحدثن أحدكم بتلعب الشيطان به في منامه) [(٤)] ، وعن جابر – ﷺ – عن رسول الله ﷺ أنه قال لأعرابي جاء فقال: إني حلمت أن رأسي قطع فأنا أتبعه . فزجره النبي ﷺ وقال: (**لا تخبر بتلعب الشيطان بك في المنام**)[(٥)] .

١٩- قلة الخروج ليلاً : عن جابر – ﷺ – قال رسول الله ﷺ : (إذا سمعتم نباح الكلاب ونهيق الحمير بالليل فتعوذوا بالله ، فإنهن يرين ما لا ترون ، وأقلوا الخروج إذا هدأت الرِّجْل [(٦)] فإن الله عز وجل يبث في ليله من خلقه ما شاء واجيفوا [(٧)] الأبواب واذكروا اسم الله عليها ، فإن الشيطان لا يفتح باباً أجيف وذكر اسم الله عليه وأوكئوا الأسقية ، وغطوا الجرار [(٨)] واكفئوا الآنية) [(٩)] .

ووجه ذلك لكون الليل عرضة لتعرض الشياطين للعبد ، لأن الظلمة وقت لتفرق

---

(١) سورة الجن ، الآية: ٦ .
(٢) رواه ابن جرير في تفسيره (٢٩/ ١٠٨) .
(٣) المرجع السابق (٢٩/ ١٠٨-١٠٩) .
(٤) سبق تخريجه .
(٥) سبق تخريجه .
(٦) هدأت الرجل: أي سكنت وهدأت والمراد: بعد انقطاع الأرجل عن المشي في الطرقات ليلاً ، انظر: النهاية في غريب الحديث ، لابن الأثير (٥/ ٢٤٩) ، عون المعبود ، لأبي الطيب (١٤/ ٨) .
(٧) اجيفوا: أي ردوها وأغلقوها ، النهاية في غريب الحديث (١/ ٣١٧) .
(٨) جمع جرة وهو إناء من الفخار ، النهاية في غريب الحديث (١/ ٢٦٠) ،والفتح الرباني (٤/ ٢٦٠) .
(٩) سبق تخريجه .

الجن والشياطين وانتشارها في الأرض، قوله في الحديث: (فإن الله عز وجل يبث في ليله من خلته ما شاء) من الإنس والجن والشياطين والهوام [(١)] .

٢٠- الدعـــاء : فالدعاء من أقوى الأسلحة، لدفع شر الشيطان وجنوده، حتى نبي الأمة ﷺ استعاذ بالله تعالى منه، ودعا الله أن يعصمه من الشيطان الرجيم .

ومن الأحاديث الواردة عنه ﷺ في هذا الشأن، قوله ﷺ : (اللهم عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه، أعوذ بك من شر نفسي ومن شر الشيطان وشركه وأن أقترف على نفسي سوءاً أو أجره إلى مسلم)[(٢)] .

وكان من دعائه ﷺ : (اللهم إني أعوذ بك من الهدم، وأعوذ بك من التردي، وأعوذ بك من الغم والغرق والحرق والهرم، وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت، وأعوذ بك من أموت في سبيلك مدبراً، وأعوذ بك أن أموت لديغاً) [(٣)] .

وعن أبي الأزهر الأنماري [(٤)] - ﷺ - أن رسول الله ﷺ كان إذا أخذ مضجعه من الليل، قال: (بسم الله وضعت جنبي، اللهم اغفر لي ذنبي واخسأ شيطاني، وفك رهاني، واجعلني في الندي الأعلى) [(٥)] .

وهو منهج أنبياء الله جميعاً في مواجهة الطواغيت من أولياء الشيطان وحزبه .

قال تعالى مخبراً عن نوح - عليه السلام -: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى

---

(١) انظر: الفتح الرباني، أحمد البنا (١٤/ ٢٥٩-٢٦٠)، عون المعبود (١٤/ ٧-٨) .
(٢) سبق تخريجه .
(٣) سبق تخريجه .
(٤) أبو الأزهر الأنماري، ويقال: أبو زهير، صحابي، قال عنه ابن أبي حاتم «لا يسمى وهو صحابي روى عن النبي ﷺ ثلاثة أحاديث»أ . هـ، انظر: الإصابة (٧/ ١١) .
(٥) رواه أبو داود، رقم: ٥٠٥٤، والطبراني في الكبير، رقم: ٧٥٩، (٢٢/ ٢٩٨)، والحاكم في المستدرك، رقم: ٥٤٩، (١/ ٥٤٨) بنحوه، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي .

ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾(١)، وقال تعالى عن لوط - عليه السلام - : ﴿ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ ﴾(٢) .

٢١- كشف مخططات الشيطان وسد منافذه ومداخله : في القرآن الكريم بيان كافٍ وشافٍ في كيفية إضلال الشيطان لأبينا آدم - عليه السلام - وذلك لأخذ الحيطة والحذر من هذا العدو المتربص، الذي زين لنبي الله المعصية، ووعده بالخلود والأماني الكاذبة، حتى أخرجه وزوجه من الجنة، كذلك السنة بين المصطفى - عليه الصلاة والسلام - كثير من مخططاته ومصائده، وكيف يشكك العبد في خالقه، ويوسوس له في صلاته ووضوئه، مما سبق تفصيله وبيانه .

لذا كان لزاماً على أهل العلم بيان هذه المخططات وتوضيحها وكشفها للناس بكل ما أتيح من هذا الزمان من وسائل الدعوة، حتى ينكشف عوار هذه المخططات ومن يختفي وراءها من جند إبليس (٣) ، كذلك من وسائل التحصين ضد هذا العدو سد منافذه ومداخله التي ينفذ بها إلى العبد وتجنب مواضعه وأماكن جلوسه .

والأصل في ذلك ما رواه أبو هريرة - ﷺ - قال: عرسنا (٤) مع رسول الله ﷺ فلم نستيقظ حتى طلعت الشمس، فقال النبي ﷺ : (ليأخذ كل رجل برأس راحلته فإن هذا منزل حضرنا فيه الشيطان)، قال: ففعلنا ثم دعا بالماء، فتوضأ ثم سجد سجدتين(٥) .

---

(١) سورة الشعراء، الآيات: ١١٧-١٢٠ .

(٢) سورة الشعراء، الآيات: ١٦٨-١٧٣ .

(٣) عالم الجن والشياطين، عمر الأشقر ص ١٤٤-١٤٥، ومكائد الشيطان لعباد الرحمن الدحدوح، ص ١٧٩-١٨٠، وقاية الإنسان ، وحيد بالي، المواجهة، لحسن أحمد قطامش، ص ١٨٢ .

(٤) التعريس: نزول المسافر آخر الليل للنوم والاستراحة، النهاية في غريب الحديث (٣/ ٢٠٦) .

(٥) رواه مسلم في كتاب: «المساجد»، رقم: ٦٨٠، (١/ ٤٧١) .

وقوله: (هذا منزل حضرنا فيه الشيطان): «فيه دليل على استحباب اجتناب مواضع الشيطان» [١] ، وهي كثيرة ، منها:

رد التثاؤب: عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: (**إذا تثاءب أحدكم فليمسك بيده على فيه، فإن الشيطان يدخل**) [٢] .

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ : (**إن الله يحب العطاس، ويكره التثاؤب فإذا عطس فحمد الله، فحق على كل مسلم سمعه أن يشمته، وأما التثاؤب فإنما هو من الشيطان فليرده ما استطاع، فإذا قال ها ضحك منه الشيطان**)[٣] .

النهي عن الصلاة عند الشروق والغروب: ومن سد مداخل الشيطان البعد عن الصلاة وقت الشروق والغروب ، لما في الحديث عن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله ﷺ : (**إذا طلع حاجب الشمس فدعوا الصلاة حتى تبرز، وإذا غاب حاجب الشمس فدعوا الصلاة حتى تغيب ولا تحينوا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها فإنها تطلع بين قرني شيطان أو الشيطان . . .**) [٤] .

والمعنى أن الشيطان تقارنها حين تطلع وتغرب ، فتكون صلاة من يصلى للشمس أو الكواكب للشيطان ، وليس كما يعتقدونه ، فنهى النبي ﷺ المؤمن عن الصلاة في هذين الوقتين سداً لهذه الذريعة [٥] .

تقليل الطعام والشراب: قال ابن القيم – رحمه الله – : «وأما فضول الطعام فهو داعٍ إلى أنواع كثيرة من الشر ، فإنه يحرك الجوارح إلى المعاصي ويثقلها عن العبادة ، وحسبك بهذين شراً فكم من معصية جلبها الشبع وفضول الطعام، وكم من طاعة حال

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي (٥/ ١٨٣) .
(٢) سبق تخريجه .
(٣) رواه البخاري ، رقم: ٥٨٦٩ ، (٥/ ٢٢٩٧) ، ومسلم ، رقم: ٢٩٩٤ ، (٤/ ٢٢٩٣) .
(٤) رواه البخاري ، رقم: ٣٠٩٩ ، (٣/ ١١٩٣) ، ومسلم ، رقم:٦١٢ ، (١/ ٤٢٧) .
(٥) انظر: فتح المنان (١/ ٢٩٣-٢٩٥) .

دونها... ولو لم يكن في الامتلاء من الطعام إلا أنه يدعو إلى الغفلة عن ذكر الله عز وجل، وإذا غفل القلب عن الذكر ساعة واحدة جثم عليه الشيطان ووعده ومناه وشهاه وهام به في كل واد»أ. هـ [١] .

وكثرة الطعام والشراب تعتبر من مفسدات القلب وسمومه، ولذا قال – عليه الصلاة والسلام – في الحديث: (ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه) [٢] .

وجعل النبي ﷺ قلة الطعام علامة للمؤمن كما في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **(يأكل المسلم في معي واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء)** [٣] .

وفي الحديث الحث على قلة الطعام، لأن الشدة وكثرة الطعام من سمات الكافرين في العموم [٤] كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ ﴾[٥] .

التسمية عند الدخول إلى البيت، والتضييق عليه بمنعه الطعام والشراب: كما في الحديث – السابق – عن جابر أنه سمع النبي ﷺ يقول: (**إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه، قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله عند طعامه، قال: أدركتم المبيت والعشاء**) [٦] .

ومن منعه الطعام والشراب التسمية عند الطعام كما سبق وأكل اللقمة الساقطة وعدم تركها للشيطان، كما في الحديث عن أنس أن رسول الله ﷺ كان إذا أكل طعاماً

---

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٣٩٧)، وانظر: إحياء علوم الدين، للغزالي (٣/ ٣٦).

(٢) رواه الترمذي، رقم: ٢٣٨٠، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، وابن حبان في صحيحه، رقم: ٦٧٤، (٢/ ٤٤٩)، والحاكم في المستدرك، رقم: ٧١٣٩، (٤/ ١٣٥).

(٣) رواه البخاري، رقم: ٥٠٨١ (٥/ ٢٠٦٢)، ومسلم، رقم: ٢٠٦٠ (٣/ ١٦٣١) عن ابن عمر.

(٤) انظر فتح الباري (٩/ ٥٣٩)، وقيل إن لفظ الحديث من العموم التي أريد بها الخصوص، انظر فتح الباري (٩/ ٥٣٧)، التمهيد لابن عبدالبر (١٨/ ٥٥).

(٥) سورة محمد، الآية: ١٢ .

(٦) سبق تخريجه.

لعِق أصابعه الثلاث قال: وقال: (إذا سقطت لقمة أحدكم فليمط عنها الأذى، وليأكلها ولا يدعها للشيطان، وأمرنا أن نسلت القصعة، قال: فإنكم لا تدرون في أي طعامكم البركة) (١) .

البعد عن مواطن الشبهات والريبة وسوء الظن وإظهار البراء منهما: كما في حديث صفية – رضي الله عنها – أنها جاءت إلى رسول الله ﷺ في اعتكافه في المسجد في العشر الأواخر من رمضان، فتحدثت عنده ساعة، ثم قامت تنقلب، فقام النبي ﷺ يقلبها، حتى إذا بلغت باب المسجد عند باب أم سلمة مر رجلان من الأنصار، فسلما على رسول الله، فقال لهما النبي ﷺ : (على رسلكما إنما هي صفية بنت حيي، فقالا: سبحان الله يا رسول الله، وكبر عليهما، فقال لهما النبي ﷺ إن الشيطان يبلغ من الإنسان مبلغ الدم، وإني خشيت أن يلقي في أنفسكم شيئاً) (٢) .

قال الخطابي – رحمه الله – : «في هذا الحديث من العلم استحباب أن يحذر الإنسان من كل أمر من المكروه مما تجري به الظنون، ويخطر بالقلوب، وأن يطلب السلامة من الناس بإظهار البراءة من الريب» (٣) .

تسوية الصفوف: عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: (**راصوا صفوفكم وقاربوا بينها وحاذوا بالأعناق فوالذي نفس محمد بيده إني لأرى الشياطين تدخل من خلل الصف كأنها الحذف**(٤))(٥) .

المنع من عقص الشعر إطلاق الشعر في الصلاة وعدم كفه: لأن محل مغرز الضفيرة في القانية مجلس للشيطان، ودليله فعل رافع مولى النبي ﷺ عندما مر بالحسن بن علي –

---

(١) رواه مسلم في كتاب: «الأشربة»، (١٣/ ٢٠٧)، وأبو داود، رقم: ٣٨٤٥، والترمذي حديث رقم: ١٨٦٣.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) نقله ابن الجوزي في تلبيس إبليس، ص ٤٦.

(٤) الحذف: «الغنم الصغار الحجازية، واحدتها حَذَفَة بالتحريك، وقيل: هي صغار جرد وليس لها آذان ولا أذناب يجاء بها من اليمن»، النهاية في غريب الحديث (١/ ٣٥٦).

(٥) أبو داد، ٦٦٧، و أحمد في المسند (٣/ ٢٦٠)، والنسائي في السنن، ٨١٥ (٢/ ٩٢).

رضي الله عنهما – وهو يصلي قائماً وقد غرز ضَفْرته في قفاه، فحلها أبو رافع، فالتفت إليه مغضباً، فقال أبو رافع: أقبل على صلاتك ولا تغضب، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ذلك كفل (١) الشيطان) (٢)، والمقصود بعقص الشعر ليه وإدخال أطرافه في أصوله، والشعر المعقوص المضفور(٣).

وفي حديث ابن عباس – ﷺ – : (الذي يصلي ورأسه معقوص كالذي يصلي وهو مكتوف) (٤).

والمعنى: «إذا كان شعره منشوراً سقط على الأرض عند السجود فيعطى صاحبه ثواب السجود له، وإذا كان معقوصاً في معنى ما لم يسجد، وشبهه بالمكتوف وهو المشدود اليدين لأنهما لا يقعان على الأرض في السجود» (٥).

الحذر من الجزع والتسخط والنياحة على الميت: وهو باب عظيم من الأبواب التي يدخل بها الشيطان للنفوس والقلوب، وإلى البيوت أيضاً، عن أم سلمة – رضي الله عنها – قالت: لما مات أبو سلمة، قلت: غريب وفي أرض غربة لأبكينه بكاء يتحدث عنه، فكنت قد تهيأت للبكاء عليه؛ إذ أقبلت امرأة من الصعيد تريد أن تسعدني فاستقبلها رسول الله ﷺ وقال: (أتريدين أن تدخلي الشيطان بيتاً أخرجه الله منه مرتين، فكففت عن البكاء عليه فلم أبك) (٦)، ومعنى تسعدني: أي تساعدني في البكاء

---

(١) كفل الشيطان: المراد مقعده، كما في رواية أبي داود قوله: (يعني مقعد الشيطان، يعني مغرز ضفره).

(٢) رواه الترمذي، رقم: ٣٨٤، (٢/ ٥٢)، وقال: «حديث أبي رافع حديث حسن، والعمل على هذا عند أهل العلم، كرهوا أن يصلي الرجل وهو معقوص شعره»أ. هـ.

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير (٣/ ٣٧٥).

(٤) رواه عبدالرزاق في مصنفه، رقم: ٢٩٩١ (٢/ ١٨٣)، وأبو داود، رقم: ٦٤٦، والترمذي، رقم: ٣٨٢، وقال: «هذا حديث حسن»، والحاكم في المستدرك، رقم: ٩٦٣ (١/ ٣٩٣) وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ١٠٩).

(٥) النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير (٣/ ٢٧٥-٢٧٦).

(٦) رواه مسلم في كتاب: «الجنائز، باب: (البكاء على الميت)، رقم: ، (٦/ ٢٢٤).

والنوح[١] .

وقد ورد الوعيد الشديد للنائحة إذا لم تتب كما الحديث عن أبي مالك الأشعري أن النبي ﷺ قال: (أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن الفخر في الأحساب والطعن في الأنساب والاستقاء بالنجوم والنياحة ، وقال: النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب)[٢] .

ولما بعث رسول الله ﷺ معاذاً إلى اليمن ، خرج ومعه النبي ﷺ يوصيه ومعاذ راكب ، والرسول ﷺ يمشي تحت راحلته فلما فرغ ، قال: (يا معاذ إنك عسى ألا تلقاني بعد عامي هذا ، ولعلك أن تمر بمسجدي وقبرى ، فبكى معاذ بن جبل جشعاً[٣] لفراق رسول الله ﷺ فقال النبي ﷺ : لا تبك يا معاذ للبكاء أو إن البكاء من الشيطان)[٤] .

النظافة ومس الطيب: ومن وسائل طرد الشيطان النظافة ، واستعمال الرائحة الطيبة ، لأن الشياطين تحب القاذورات والنجاسات ، ومواطنها الحمامات وأحب شيء إليها الروائح الكريهة[٥] !!

وفي الحديث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : (إن الشيطان حساس لحاس فاحذروه على أنفسكم من بات وفي يده ريح فأصابه شيء فلا يلومن إلا نفسه)[٦] .

وكان من هدي النبي ﷺ إنه كان يحب الطيب وأمر من عرض عليه الريحان ألا

(١) شرح النووي (٦/ ٢٤٤) .

(٢) رواه مسلم ، رقم: ٩٣٥ (٢/ ٦٤٤) ، ورواه البخاري ، رقم: ٣٦٣٧ مختصراً (٣/ ١٣٩٨) .

(٣) جشعاً: «الجشع: الجزع لفراق الإلف» ، النهاية في غريب الحديث ، لابن الأثير (١/ ٢٣٧) .

(٤) رواه الإمام أحمد (٥/ ٢٣٥) ، عن عاصم بن حميد السكوني ، والبزار في مسنده ، رقم: ٢٦٤٧ ، (٧/ ٩١) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٦): «رواه البراز ورجاله ثقات .

(٥) انظر: الطب النبوي ، لابن القيم ، ص ٢١٦ .

(٦) رواه الحاكم في المستدرك ، رقم: ٧١٢٧ ، (٤/ ١٣٢) ، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه الألفاظ» ، ولم يوافقه الذهبي ، قال: «بل موضوع فيه يعقوب تركه أحمد والناس» ، والترمذي ، رقم: ١٨٦٠ ، (٦/ ١٣٧) وقال: «هذا حديث غريب» .

يرده كما في الصحيح: (من عرض عليه ريحان فلا يرده فإن طيب الريح خفيف المحمل)(١).

وأمر بالاغتسال في كل سبع، ففي الحديث عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: (**على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام يغسل رأسه وجسده**) (٢)، وفي رواية: (**وإن كان له طيب مسه**) (٣)، ولذا تسكن الشياطين الحشوش لما فيها من النتن، وعدم ذكر الله(٤).

٢٤- تحصين الجماعة المسلمة من الشيطان (٥): إن ما سبق من وسائل وطرق التحصين تتعلق بالتحصين الفردي، ونظراً لخطورة هذا العدو، وتربصه بالعبد، وحرصه على تفكيك وحدة المجتمع المسلم، ولكونه مع حزب وجماعة يكيدون لجماعة المسلمين، وهو يدعوهم لذلك، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦ ﴾ (٦).

وقوله تعالى: ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝١٩ ﴾ (٧).

إذن فلا بد من مواجهة جماعية، يتحد فيها المجتمع المسلم صفاً واحداً لرد كيده ومكره، بوسائل مشروعة ومستقاة من الكتاب والسنة ومنها:

قتل الشياطين: وهذا القتل على حقيقته، وقد أمر النبي ﷺ به وأقره، ومن الأدلة عليه ما رواه النسائي وغيره عن أبي الطفيل قال: (لما فتح رسول الله ﷺ مكة بعث خالد

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، في كتاب: «الألفاظ من الأدب»، رقم: ٢٢٥٣، (٤/ ١٧٦٦).
(٢) رواه مسلم في صحيحه، في كتاب: «المساجد»، رقم: ٨٤٩، (٢/ ٥٨٢).
(٣) رواه ابن حبان في صحيحه، رقم: ١٢٣٢ (٤/ ٣٣)، والطبراني، رقم: ١٥٣٦، (٢/ ٢٧٨).
(٤) من إضافة فضيلة المشرف - حفظه الله - إشارة إلى حديث «إن هذه الحشوش محتضرة».
(٥) استفدت في مباحث هذا المطلب وعناوينه من كتاب: «المواجهة»، لحسن قطامش، ص ١٨٧، ورسالة «الأحاديث الواردة في الشيطان ومكائده، ص ٩٤٩.
(٦) سورة فاطر، الآية: ٦.
(٧) سورة المجادلة، الآية: ١٩.

بن الوليد إلى نخلة ، وكانت بها العزى فأتاها خالد ، وكانت على ثلاث سمرات [١] فقطع السمرات وهدم البيت الذي كان عليها ثم أتى النبي ﷺ فأخبره فقال: ارجع فإنك لم تصنع شيئاً فرجع خالد ، فلما أبصرت به السدنة وهم حجبتها أمعنوا في الجبل ، وهم يقولون: يا عزى فأتاها خالد فإذا هي امرأة عريانة ناشرة شعرها ، تحثو التراب على رأسها ، فعممها بالسيف حتى قتلها ثم رجع إلى النبي ﷺ فأخبره فقال: تلك العزى)[٢] ، وهي شيطانه كانت تدخل في الصنم وتخاطبهم منه [٣] .

أمره المقداد بن النعمان بقتل الشيطان الذي في منزله ، كما في حديث أبي سعيد الخدري عندما أعطى رسول الله ﷺ قتادة بن النعمان [٤] العرجون [٥] وقال: (**خذ هذا فسيضيء أمامك عشراً وخلفك عشراً، فإذا دخلت البيت وتراءيت سواداً في زاوية البيت فاضربه قبل أن يتكلم فإنه شيطان، قال: ففعل**) [٦] .

ومن ذلك أمره ﷺ بقتل حيات البيوت بعد إنذارها ثلاثاً ، حيث قال في حديث أبي سعيد الخدري الطويل – وقد سبق – : (إن بالمدينة جناً قد أسلموا فإذا رأيتم منهم شيئاً فآذنوه ثلاثة أيام فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فإنما هو شيطان) [٧] .

وأمر بدفع من يمر بين يدي المصلى وشبهه بالشيطان ، فعن أبي صالح السمان [٨]

---

(١) السَّمُرة: من شجر الطلح ، انظر لسان العرب (٤/ ٣٧٩) .
(٢) رواه النسائي ، رقم: ١١٥٤٧ ، (٦/ ٤٧٤) ، والبيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٧٧) ، وأبو يعلى في مسنده ، رقم: ٩٠٢ ، (٢/ ١٩٦) ، وذكرها ابن هشام وابن كثير وغيرهم .
(٣) انظر: السيرة ، لابن هشام (٢/ ٢٣٦) ، البداية والنهاية ، لابن كثير (٤/ ٣١٤) .
(٤) قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر بن سواد بن ظفر الأوسي الأنصاري ، شهد بدراً وما بعدها ، وهو الذي رد عليه النبي ﷺ عينه عندما سقطت في غزوة بدر ، توفي في خلافة عمر ، سنه ٢٢هـ ، انظر تهذيب التهذيب (٨/ ٣٢٠-٣٢١) .
(٥) العراجين: جمع عرجون وهو العود الأصفر الذي فيه شحايخ عذق النخلة ، الفتح الرباني(٢٢/ ٦٧) .
(٦) رواه الإمام أحمد (٣/ ٦٥) ، وابن خزيمة ، رقم: ١٦٦٠ ، (٣/ ٨١) ، والطبراني في الكبير ، رقم:٩ (١٩/ ٥-٧) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٤١):«رجاله موثقون»أ . هـ .
(٧) سبق تخريجه .
(٨) ذكوان السمان الزيات المدني أبو صالح ، كان مولى لأم المؤمنين جويرية ، روى عن أبي هريرة وعائشة اتفق العلماء على توثيقه ، روى عنه ابنه سهيل والأعمش ، مات سنة ١٠١هـ ، انظر: تهذيب التهذيب (٣/ ١٨٩) ، التقريب ، ص ٢٠٣ ، سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٦) .

قال: رأيت أبا سعيد الخدري في يوم جمعة يصلي إلى شيء يستره من الناس، فأراد شاب من بني أبي معيط أن يجتاز بين يديه فدفع أبو سعيد في صدره، فنظر الشاب، فلم يجد مساغاً إلا بين يديه فعاد ليجتاز فدفعه أبو سعيد أشد من الأولى، فنال من أبي سعيد، ثم دخل على مروان فشكا إليه ما لقي من أبي سعيد، ودخل أبو سعيد خلفه على مروان فقال: مالك ولابن أخيك يا أبا سعيد ، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (إذا صلى أحدكم إلى شيء يستره من الناس فأراد أحد أن يجتاز بين يديه فليدفعه فإن أبى فليقاتله فإنما هو شيطان) [1] ، وليس المراد هنا القتال بالسلاح لأن ذلك مخالف لما هو مطلوب من الإقبال على الصلاة، والخشوع فيها! ولما علم من حرمة دم المسلم، وهذا ما أجمع عليه العلماء، وإنما يدفعه بشدة وبغلظة، والمراد بقوله ﷺ شيطان، يحتمل أن المراد فعله حيث شوش على المصلي، ويحتمل أن الذي دفعه لفعل ذلك الشيطان[2] ، كما في رواية ابن عمر وفيها: (فإن حقه قرين) [3] .

قتل أعوان الشياطين من الطواغيت ومنهم السحرة والكهان: والطاغوت هو «كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع» [4]، وقد سبق تفصيل ذلك .

ومن الطواغيت السحرة والكهان، كما روي ذلك عن ابن عباس وجابر وقتادة ومكحول ومجاهد وابن سيرين وغيرهم [5] .

وفي الأمر بقتلهم روى الإمام أحمد في مسنده عن بجالة بن عبدالله [6] أنه قال:

---

(١) رواه البخاري، رقم: ٥٠٩ ، (١/ ٥٨١)، ومسلم، رقم: ، (٤/ ٢٢٣) .
(٢) انظر: المفهم، للقرطبي (٢/ ١٠٥) .
(٣) رواه مسلم في كتاب: «الصلاة»، رقم: ٤٠٢ ، (٢/ ١٠٥) المفهم .
(٤) أعلام الموقعين (١/ ٥٣)، وتفسير الطبري (٣/ ١٩)، شرح النووي لمسلم (٣/ ١٨) .
(٥) انظر: جامع البيان (٥/ ١٣٠)، (٣/ ١٩)، تفسير البغوي (٣/ ٢٣٤)، تفسير الرازي (١٠/ ١٢٨)، المحرر الوجيز، لابن عطية (٢/ ٢٨٣)، الدر المنثور، للسيوطي (١/ ٥٨٤)، (٢/ ٢٢)، (٢/ ٣٠٨)، فتح القدير للشوكاني (١/ ٢٧٦)، شرح كتاب التوحيد، لعبد الله بن سليمان ،ص٣٣٧ ،ص٣٣ .
(٦) بجالة بن عبدة التميمي العنبري البصري، روى عن كتاب عمر بن الخطاب وعن عبدالرحمن بن عوف وعمران بن حصين وابن عباس، وعنه عمرو بن دينار وقتادة وقشير بن عمر وثقه أبو زرعة ومجاهد بن موسى، كان كاتباً لجزء بن معاوية، انظر: تهذي التهذيب (١/ ٣٦٥-٣٦٦) .

(كتب عمر بن الخطاب – ﷺ – أن اقتلوا كل ساحر وساحرة، فقتلنا ثلاث سواحر)(١).

وروي عن جندب موقوفاً ومرفوعاً: (إن حد الساحر ضربة بالسيف) (٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : «وأكثر العلماء على أن الساحر يقتل وقد ثبت عن الصحابة – رضوان الله عليهم – فعله...»(٣).

وقال أيضاً: «قال بعض أهل العلم يقتل لأجل الكفر، وقال بعضهم لأجل الفساد في الأرض، لكن جمهور هؤلاء يرون قتله حداً»أ. هـ (٤).

الرقية الشرعية: إن الرقية الشرعية وسيلة لطرد الشياطين من الأبدان التي تلبست بها، وهي من نصرة المظلوم، ومن حق المسلم على أخيه، وقد فعله رسول الله ﷺ والأنبياء من قبله والصالحون.

قال شيخ الإسلام – رحمه الله – : «هذا من أفضل الأعمال وهو من أعمال الأنبياء والصالحين، فإنه ما زال الأنبياء والصالحون يدفعون الشياطين عن بني آدم بما أمر الله به ورسوله، كما كان المسيح يفعل ذلك، وكما كان نبينا ﷺ يفعل ذلك...»(٥).

ومن أدلة فعله ﷺ ما رواه جابر – ﷺ –: إن امرأة جاءت إلى النبي ﷺ معها صبي لها به لمم، فقال النبي ﷺ : (اخرج عدو الله، أنا رسول الله، قال: فبرئ، فأهدت إليه كبشين وشيئاً من أقط، وشيئاً من سمن، قال: فقال رسول الله ﷺ خذ الأقط والسمن

---

(١) رواه أحمد في المسند (١/ ١٩٠-١٩١)، في صحيح أبي داود في كتاب: «الإمارة»، باب: (أخذ الجزية من المجوس)، رقم: ٣٠٤٣، (٣/ ١٦٥).

(٢) رواه الترمذي، رقم: ١٤٦٠، والحاكم في المستدرك، رقم: ٨٠٧٣ (٤/ ٤٠١)، ووافقه الذهبي، وقال الألباني : «الصحيح أنه عن جندب موقوف»، انظر: ضعيف سنن الترمذي، رقم: ٢٤٤ (١٦٨).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٣٤٦).

(٤) المرجع السابق (٢٩/ ٣٨٤).

(٥) مجموع الفتاوى (١٩/ ٥٦-٥٧).

وخذ أحد الكبشين ورد عليها الآخر) (١) .

وفعله الصحابة – رضي الله عنهم – فعن خارجة بن الصلت عن عمه قال: أقبلنا من عند النبي ﷺ فأتينا على حي من العرب، فقالوا: أنبئنا أنكم جئتم من عند هذا الرجل بخير، فهل عندكم دواء أو رقية فإن عندنا معتوهاً في القيود؟ قال فقلنا: نعم، قال: فجاؤوا بالمعتوه في القيود، قال: فقرأت بفاتحة الكتاب ثلاثة أيام غدوة وعشية أجمع بزاقي ثم أتفل، قال: فكأنما نشط من عقال، قال: فأعطوني جعلاً، فقلت: لا حتى أسأل النبي ﷺ فسألته، فقال: (كل لعمري من أكل برقية باطل لقد أكلت برقية حق) (٢) .

وكذلك فعله السلف الصالح، فقد روي عن الإمام أحمد – رحمه الله – وكانت الجن تخافه وتطيعه، وشيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – (٣) .

وعلى من قام بذلك أن يلتمس الطريقة المشروعة فيحرص أولاً على توفر أمرين هامين في كل من المعالج والمعالج وهما:

١- قوة الإيمان، وصدق اللجوء إلى الله تعالى خالق كل شيء.

٢- الاستعاذة والاستعانة بالله تعالى بصدق وإخلاص يتواطأ فيه عمل القلب مع قول اللسان (٤) .

قال ابن القيم – رحمه الله – : «وأكثر تسلط الأرواح الخبيثة على أهله تكون من جهة قلة دينهم وخراب قلوبهم وألسنتهم من حقائق الذكر والتعاويذ والتحصنات النبوية والإيمانية، فتلقى الروح الخبيثة الرجل أعزل لا سلاح معه وربما عرياناً فيؤثر

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه الإمام أحمد (٥/ ٢١١)، رقم: ٣٩٠١، (٤/ ١٣)، والنسائي، رقم: ٧٥٣٤، (٤/ ٣٦٥)، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٥٩-٥٦٠)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي، وصححه الألباني، صحيح الجامع الصغير، رقم: ٤٣٧٠.

(٣) انظر: ما نقله ابن القيم عن شيخه ابن تيمية في هذا الشأن في الطب النبوي، ص٦٨-٦٩.

(٤) انظر: زاد المعاد، لابن القيم (٤/ ٦٧-٦٨).

فيه»أ. هـ [(١)] .

وعليه أن يستعمل مع ذلك الدعاء للمصاب ، كما عليه أن يأمر الجن وينهاهم عن الإضرار بهذا المصاب ، وله زجرهم ولعنهم ، كما في قوله ﷺ للعفريت الذي تسلط عليه: (أعوذ بالله منك) ، وقوله:(ألعنك بلعنة الله ثلاثاً) [(٢)] ، ونحو ذلك من الكلام [(٣)] .

كما يجب عليه أن يستخدم الرقية الشرعية ، كما نصت على ذلك الأحاديث عن عائشة – رضي الله عنها – أن رسول الله ﷺ دخل عليها ، وامرأة تعالجها أو ترقيها ، فقال: (عالجيها بكتاب الله) [(٤)] .

قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله تعالى – : «أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط:

---

(١) المرجع السابق (٤/ ٦٩) .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١٩/ ٥٠-٥٣) .

* كثر في الآونة الآخيرة من يقوم بعلاج الناس بالرقية ، والبعض منهم يقع في اجتهادات غير شرعية ، ولا دليل عليها ومنها: القراءة على ماء به زعفران ثم غمس الأوراق الصغيرة فيه وتجفيفها ، ثم بيعها على الناس حيث يأمر المريض أن يغمسها في الماء ثم يشرب ماءها!!

وقد أفتت هيئة كبار العلماء في الفتوى رقم ١٣٩ تاريخ ٨/ ١/ ١٤١٨هـ ، بعدم جواز ذلك ، وأنه من الاحتيال على أكل الناس بالباطل ، وليس من الرقية التي نص بعض أهل العلم على جوازها ؛ وهي كتابة الآيات في ورقة ، أو في شيء طاهر كتابة واضحة ، ثم غسل تلك الكتابة وشرب غسيلهاأ.هـ .

ومنها: قراءة القرآن أثناء الرقية بمكبر صوت أو عبر الهاتف مع بعد المسافة ، والقراءة على جمع كبير في آن واحد ، حيث أفتت اللجنة في الفتوى السابقة إلى أن الرقية لا بد أن تكون على المريض مباشرة ولا تكون بواسطة مكبر الصوت أو الهاتف ، لأن هذا يخالف ما فعله رسول الله ﷺ وأصحابه – رضي الله عنهم – وأتباعهم ، كذلك القراءة على المريض بواسطة جهاز التسجيل لا تغني عن الرقية ، لأن الرقية تحتاج إلى اعتقاد ونية حال أدائها ، ومباشرة للنفث على المريض والجهاز لا يتأتي منه ذلك ، انظر: الفتوى الصادرة من هيئة كبار العلماء والمطبوعة في نشرة من دار الوطن ، وللاستزادة انظر فتاوى العلماء في علاج السحر والمس والعين والجان ، إعداد وترتيب: نبيل محمد محمود .

(٤) رواه ابن حبان في موارد الظمآن ، رقم: ١٤١٩ .

١- أن تكون بكلام الله تعالى، أو بأسمائه وصفاته.

٢- أن تكون باللسان العربي، أو بما يعرف معناه من غيره.

٣- أن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها، بل بذات الله تعالى»[١].

وأعظم ما يرقى به كتاب الله تعالى فهو شفاء، كما وصفه الله تعالى بقوله: ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَآءٌ ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴾[٣].

قال ابن القيم - رحمه الله -: «فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية، وأدواء الدنيا والآخرة، وما كل أحد يؤهل ولا يوافق للاستشفاء به، وإذا أحسن العليل التداوي به، ووضعه على دائه بصدق وإيمان، وقبول تام، واعتقاد جازم، واستيفاء شروطه، لم يقاومه الداء أبداً، وكيف تقاوم الأدواء كلام رب الأرض والسماء الذي لو نزل على الجبال لصدعها، أو على الأرض لقطعها» أ. هـ[٤].

ومن الآيات التي يرقى بها: سورة الفاتحة، وأربع آيات من سورة البقرة، وآية: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾، وآية الكرسي، وثلاث آيات من أواخر سورة البقرة، وآية من آل عمران: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾، وآية من سورة الأعراف: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾، وآخر سورة المؤمنين: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ﴾، وآية من سورة الجن: ﴿ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا ﴾، وعشر آيات من أول الصافات، وثلاث آيات من آخر سورة الحشر، وسورة الإخلاص، والمعوذتين.

تقرأ في أذن المريض المصاب، كما في حديث ابن مسعود أو ينفث عليه كما ورد في حديث خارجة - ﷺ - السابق.

---

(١) فتح الباري (١٠/ ١٩٥).

(٢) سورة فصلت، الآية: ٤٤.

(٣) سورة يونس، الآية: ٥٧.

(٤) زاد المعاد، لابن القيم (٤/ ٣٥٢).

ويستعمل الضرب عند الحاجة إليه ، لأنه لا يقع على المصاب وإنما على الجن المتلبس به .

ودليله حديث أم أبان بنت وازع [١] عن أبيها ، أن جدها الزارع انطلق إلى رسول الله ﷺ ، فانطلق معه بابن له مجنون أو ابن أخت له قال جدي: (فلما قدمنا على رسول الله ﷺ المدينة ، قلت: يا رسول الله إن معي ابن لي أو ابن أخت لي مجنون أتيتك به تدعو الله عز وجل له فقال: ائتني به ، فانطلقت به إليه وهو في الركاب ، فأطلقت عنه وألقيت عنه ثياب السفر وألبسته ثوبين حسنين ، وأخذت بيده حتى انتهيت به على رسول الله ﷺ ، فقال: ادنه مني اجْعَل ظَهْرَهُ مما يليني ، قال: فأخذ بمجامع ثوبه من أعلاه وأسفله ، فجعل يضرب ظهره حتى رأيت بياض إبطيه وهو يقول: اخرج عدو الله اخرج عدو الله ، فأقبل ينظر نظر الصحيح ليس بنظره الأول ، ثم أقعده رسول الله ﷺ بين يديه ، فدعا له بماء ، فمسح وجهه ودعا له ، فلم يكن في الوفد أحد بعد دعوة النبي ﷺ يفضل عليه)[٢] .

وحديث عثمان بن أبي العاص - رضي الله عنه - قال: لما استعملني رسول الله ﷺ على الطائف جعل يعرض لي شيء في صلاة حتى ما أدرى ما أصلي فلما رأيت ذلك رحلت إلى رسول الله ﷺ فقال: (ابن أبي العاص؟ قلت: نعم يا رسول الله . قال: ما جاء بك؟ قلت: يا رسول الله عرض لي شيء في صلواتي حتى ما أرى ما أصلي . قال: أدنه ، فدنوت منه فجلست على صدور قدمي ، قال: فضرب بيده وتفل في فمي ، وقال: اخرج يا عدو الله ، ففعل ذلك ثلاث مرات ، ثم قال: الحق بعملك ، قال عثمان فلعمري ما

---

(١) ام أبان بنت الوازع بن الزارع ، روت عن أبيها وجدها ، وأبوها هو الوازع بن زارع العبدي صحابي ، وجدها زارع بن عامر العبدي أبو الوازع وفد مع الأشج على رسول الله ﷺ ، وقبل يدي النبي ﷺ ورجليه قال عنها ابن حجر: مقبولة عند المتابعة ، انظر: ميزان الاعتدال (٤/ ٦١١) ، الإصابة (٣/ ٦٢٧) ، (١/ ٥٤١) ، تقريب التهذيب ، رقم: ٨٧٠٠ ، ص ٧٥٥ .

(٢) رواه الطبراني في الكبير ، رقم: ٥٣١٤ ، (٥/ ٢٧٥-٢٧٦) ، ويشهد لمشروعية الضرب حديث عثمان بن أبي العاص التالي .

أحسبه خالطني بعد) (١) .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : «قد يحتاج في إبراء المصروع، ودفع الجن عنه إلى الضرب، فيضرب ضرباً كثيراً جداً، والضرب إنما يقع على الجني، ولا يحس به المصروع، ويخبر أنه لم يحس بشيء من ذلك، ولا يؤثر في بدنه، ويكون قد ضرب بعصا قوية على رجليه، بحيث لو كان على الإنسي لقتله، وإنما هو على الجني، والجني يصيح ويصرخ ويحدث الحاضرين بأمور متعددة، كما قد فعلنا نحن هذا وجربناه مرات كثيرة يطول وصفها يحضره خلق كثيرون»أ. هـ (٢) .

هدم أماكن الشرك: في الحديث الصحيح عن أبي الهياج الأسدي (٣) قال: قال لي علي ابن أبي طالب – رضي الله عنه –: (ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ألا تدع تمثالا إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته) (٤) ، وجمع في الحديث بين هموم التماثيل وتسوية القبور لأن كليهما وسيلة للشرك بها(٥) .

وقد سبق ذكر حديث بعث النبي ﷺ لخالد بن الوليد لهدم العزى، وهدم ذي الخلصة بدوس (٦) ومنه يستدل على أن الشياطين تتخذ من هذه الأماكن مسكناً تأوي إليه وتفسد الخلق من خلاله حيث أنها تخاطب عابديها وترد عليهم وربما خرجت متمثلة فيه صورة يستغيثون به – كما سبق بيان ذلك – (٧) .

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) مجموع الفتاوى (١٩/ ٦٠).

(٣) حيان بن حصين أبو الهياج الأسدي الكوفي، تابعي، روى عن علي وعمار، وعنه أبناه ومنصور وأبو وائل والشعبي، وثقه ابن حبان والعجلي، كان كاتب لعمار – رضي الله عنه – ، انظر: تهذيب التهذيب (٣/ ٥٩)، تقريب التهذيب، ص ١٨٤ .

(٤) رواه مسلم في كتاب الجنائز، رقم: ٩٦٩، (٢/ ٦٦٦).

(٥) انظر شرح العمدة لابن تيمية (٤/ ٤٤٩).

(٦) كما روى البخاري عن ابن جرير، رقم: ٢٨٥٧ (٣/ ١١٠٠).

(٧) انظر ص ٣٦٨.

قال ابن القيم – رحمه الله – : «لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت، بعد القدرة على هدمها وإبطالها يوماً واحداً، فإنها من شعائر الكفر والشرك، وهي أعظم المنكرات، فلا يجوز الإقرار عليها مع القدرة ألبتة...» (١).

قتل جنود الشيطان من الحيوان: وإبليس – كما سبق – له جند من الحيوانات، وقد جاء الأمر النبوي بقتلها، ومنها الفواسق، كما روى البخاري في صحيحه عن عائشة – رضي الله عنها – أن النبي ﷺ قال: (خمس من الدواب كلهن فاسق يقتلن في الحرم، الغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور) (٢).

وفي الفأرة عن جابر بن عبدالله – ﷺ – عن النبي ﷺ قال: (خمروا الآنية وأوكوا الأسقية، وأجيفوا الأبواب، واكفوا صبيانكم عند المساء، فإن للجن انتشاراً وخطفة، واطفئوا المصابيح عند الرقاد، فإن الفويسقة ربما اجترت الفتيلة فأحرقت أهل البيت)(٣).

ومنها الحيات: وهي من الدواب المقربة للشيطان بدليل إحاطتها بعرشه، كما في حديث ابن صائد عندما سأله رسول الله ﷺ (ما ترى؟ قال: أرى عرشاً على الماء أو على البحر حوله حيات، قال رسول الله ﷺ: ذاك عرش إبليس) (٤).

«والذي ينظر أو يشاهد الآثار الفرعونية يجد أن الحيات كانت آلهة تعبد من دون الله» (٥).

وقد جاء الأمر بقتلها، كما في الصحيح عن ابن عمر أنه سمع النبي ﷺ يخطب على المنبر يقول: (اقتلوا الحيات، واقتلوا ذا الطفيتين والأبتر فإنهما يطمسان البصر

---

(١) زاد المعاد، لابن القيم (٣/ ٥٠٦).
(٢) رواه البخاري، رقم: ١٧٣٢، (٢/ ٦٥٠)، ومسلم، رقم: ١١٩٨، (٢/ ٨٥٧).
(٣) سبق تخريجه.
(٤) رواه البخاري، رقم: ٢٨٩٠، ورواه مسلم، رقم: ٢٩٢٥ (٤/ ٢٢٤١).
(٥) المواجهة، حسن قطامش، ص ٢٠٠.

ويستسقطان الحبل) (١) .

وفي الحديث الآخر: (إن بالمدينة نفراً من الجن قد أسلموا، فمن رأى شيئاً من هذه العوامر فليؤذنه ثلاثاً، فإن بدا لـه بعد فليقتله فإنه شيطان)(٢) . وتوعد من تركها لخوف ضرر يناله بقتلها، كما في الحديث عن عبدالله بن عباس – رضي الله عنهما = قال: قال رسول الله ﷺ : (من ترك الحيات مخافة طلبهن فليس منا؛ ما سالمناهن منذ حاربناهن)(٣) .

أي ليس من المقتدين بسنتنا الآخذين بطريقتنا (٤) .

ومنها الكلاب، كما جاء في حديث جابر – ﷺ – قال: أمرنا رسول الله ﷺ بقتل الكلاب، حتى إن المرأة تقدم من البادية بكلبها فتقتله، ثم نهى رسول الله ﷺ وقال: (عليكم بالأسود البهيم – أي الذي لا بياض فيه – ذي النقطتين – أي الذي فوق عينيه نقطتان بيضاوان – فإنه شيطان) (٥) .

بيان سبيل المجرمين: قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝ ﴾ (٦)، أي: «لتظهر طريق المجرمين المخالفين للرسل» (٧) .

وقال تعالى محذراً من اتباع هذه السبل: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾(٨)، ولا سبيل إلى معرفتها ما لم توضح وتبين، فقد يظن ظان أن البدعة سنة وأن السنة بدعة؛ لهذا شرع بيان مناهج الباطل وفضحها، قال تعالى: ﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) رواه أبو داود في كتاب: «الأدب»، باب: (في قتل الحيات)، رقم: ٥٢٥٠، (٢/ ٧٨٥).

(٤) عون المعبود، لأبي الطيب (١٣/ ١٦٣).

(٥) رواه مسلم في كتاب: «القسامة والمزارعة»، رقم: ١٥٧٢، (٣/ ١٢٠٠).

(٦) سورة الأنعام، الآية: ٥٥.

(٧) تفسير ابن كثير (٣/ ١٣٧)، ط. دار الفكر.

(٨) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

مَن ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾(١) .

وليس هناك عدو أخطر من الشيطان وجنده ، وأعوانه من المنافقين والمشركين ، لذا لزاماً على كل مسلم فضح مخططاتهم ، وأنظمتهم ومناهجهم كل بحسب قدرته ، وما أوتي من وسائل الخطاب .

إصلاح حال الأمة الإسلامية: فنعلم كما سبق أن إبليس يركز على السلطة ويسعى لإفساده لضمان إفساد ما تحتها سواء كانت السلطة سلطة عامة كسلطة الدولة أو خاصة في الأسرة . . . ولذا لا بد في محاربته من إصلاح أحوال الأمة الإسلامية ، ونبدأ بالأسس العامة ، وأولها : الحكم بما أنزل الله في جميع القضايا دينية كانت أم اجتماعية أم سياسية ، أو أي أمر من شئون العباد ، قال تعالى: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾(٢) ، وقال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾(٣) .

وقال تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾(٤) ، وقال تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾(٥) .

وإذا لم تحقق الحاكمية المطلقة لله تعالى ، فلا بد أن يقوم مكانها سلطان الطواغيت الذين يحكمون بغير ما أنزل الله ، ومن هنا يقوم سلطان الشيطان وحزبه وأنصاره .

الثاني: تحقيق العدل ، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾(٦) .

الثالث: الجهاد ، فالجهاد ذروة سنام الإسلام ، ولن تقوم قائمة لهذا الدين إلا

---

(١) سورة المائدة ، الآية: ١٦ .
(٢) سورة المائدة ، الآية: ٤٩ .
(٣) سورة النساء ، الآية: ٦٥ .
(٤) سورة المائدة ، الآية: ٤٤ .
(٥) سورة المائدة ، الآية: ٤٥ .
(٦) سورة الحديد ، الآية: ٢٥ .

بالعودة للجهاد ونصر الإسلام ودحر أعدائه، قال تعالى: ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴿٢١﴾ ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗ ﴾(٢).

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: قال تعالى: ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾(٣).

إن هلاك الأمم مرتبط بترك هذه الشعيرة العظيمة من شعائر الإسلام، وكلما أضاعت الأمة هذا الركن نتج عن ذلك انتشار المنكرات والفواحش وتمكن الشياطين وتسلطها على المجتمع المسلم، فتعلوا الرذيلة ويصبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً(٤).

ولكن ليكن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر برفق وحكمة وبالموعظة الحسنة والكلمة الطيبة، بدون تعنيف ولا شدة حتى لا يكون الآمر معيناً للشيطان على أخيه، كما أرشد المصطفى ﷺ في حديث أبي هريرة - ﷺ - قال: أتي النبي ﷺ برجل قد شرب، قال: اضربوه، قال أبو هريرة: فمنا الضارب بيده والضارب بنعله والضارب

---

(١) سورة المجادلة، الآية: ٢١.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٣.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٤) يقول الإمام النووي: «واعلم أن هذا الباب - أعني باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - قد ضيع أكثره من أزمان متطاولة ولم يبق منه في هذه الأزمان إلا رسوم قليلة جداً، وهو باب عظيم به قوام الأمر وملاكه، وإذا كثر الخبث عم العقاب الصالح والطالح، وإذا لم يأخذوا على يد الظالم أو شك أن يعمهم الله تعالى بعقابه: ﴿ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [سورة النور، الآية: ٦٣]، فينبغي لطالب الآخرة والساعي في تحصيل رضا الله عز وجل أن يعتني بها الباب، فإن نفعه عظيم ولا سيما وقد ذهب معظمه ويخلص نيته ولا يهابن من ينكر عليه لارتفاع مرتبته، فإن الله تعالى قال: ﴿ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٠١]...» أ. هـ، شرح النووي على صحيح مسلم (٢/ ٢٤).
أقول: كيف لو رأى - رحمه الله - هذه الأزمان وما فشا فيها من ضياع الحرمات وانتهاك محارم الله، وما نشاهده اليوم من غلبة المنكرات، ورفع المنافقين لعقيرتهم وتطاولهم على الإسلام، وإعلانهم الحرب عليه في وسائل الإعلام، مما هو نتيجة لضعف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا حول ولا قوة إلا بالله!!

بثوبه، فلما انصرف، قال بعض القوم: أخزاك الله، قال: لا تقولوا هكذا لا تعينوا عليه الشيطان) (١) .

وفي لفظ للبخاري: (لا تكونوا عون الشيطان على أخيكم)، وفي زيادة: (ولكن قولوا رحمك الله) (٢) .

نبذ الفرقة والاختلاف واجتماع المسلمين تحت راية واحدة: عن ثعلبة الخشني - ﷺ - قال: كان الناس إذا نزلوا منزلاً تفرقوا في الشعاب والأودية، فقال لهم رسول الله ﷺ: (إن تفرقكم في هذه الشعاب والأودية إنما ذلكم من الشيطان)، فلم ينزلوا بعد ذلك منزلاً إلا انضم بعضهم إلى بعض حتى يقال: لو بسط عليهم ثوب لعمهم (٣) .

فإذا عد الرسول ﷺ مجرد تفرقهم في الشعاب والأودية مع اتفاق قلوبهم من الشيطان، فما ظنك بتفرق القلوب وتنافرها، وتنوع المذاهب والمسالك. وفي الحديث عن أبي الدرداء - ﷺ - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ما من ثلاثة نفر في قرية ولابد ولا تقام فيهم الصلاة إلا استحوذ عليهم الشيطان فعليك بالجماعة فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية) (٤) فالواجب سلامة القلب على المسلمين، ونبذ الفرقة، حتى مع وجود شيء من الخلاف في وجهات النظر، فهذه لا تكون سبباً للمعاداة والمشاحنة ونيل كل طرف من الآخر كما نرى اليوم.

وفي الحديث (... من أراد منكم بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد) (٥) الحديث.

---

(١) رواه البخاري، رقم: ٦٧٧٧، (١٢/ ٦٦) الفتح.

(٢) رواه البخاري، رقم: ٦٧٨١، (١٢/ ٧٥) الفتح.

(٣) الحاكم في المستدرك (٢/ ١١٥)، وقال: «حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي».

(٤) سبق تخريجه.

(٥) سبق تخريجه.

الخاتمة

وبعد أن منَّ الله العظيم الكريم عليّ بإتمام هذا البحث أحمده وأشكره وأثني عليه، بما هو أهله تعالى وتقدس، فله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه، ولعظيم سلطانه، وله الحمد على نعمه الظاهرة والباطنة، وله الحمد على نعمة الإسلام والإيمان والقرآن ونعمة الأهل والمال والمعافاة، وله الحمد على كل نعمة أنعم بها علينا في سر وعلانية أو خاصة أو عامة له الحمد حتى يرضى وله الحمد بعد الرضا وله الحمد إذا رضي.

وأصلى وأسلم على الرحمة المهداة، والسراج المنير نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وآل بيته وأزواجه الطاهرات العفيفات ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وأسال الله تعالى بأسمائه وصفاته أن يجعله خالصاً لوجهه.

ثم أبين أهم النتائج التي توصلت إليها بعد سنوات من البحث والتقصي عن هذا العدو المحارب، الذي أعلن حربه السافرة لجميع المؤمنين، كما بين تعالى في قوله: ﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾[١].

ولم تخل ملة من الملل إلا وحذرت أتباعها من الشيطان الرجيم[٢]، وهو عدو

---

(١) سورة الحجر، الآيات: ٣٤-٤٠.

(٢) فمثلاً في الديانات المجوسية تعتقد إلهين خالق النور، وخالق الظلمة، الذي يزعمون أنه خلق سائر الشرور، وفي الديانة النصرانية تجعل من إبليس شخصاً مسيطراً على الأرواح الشريرة، التي تحاول بدروها أن تهيمن وتضبط كل نشاط بشري، ففي انجيل بطرس ٥: ٨ (فأصبحوا واسهروا لأن إبليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتمساً من يبتلعه هو)، وفي إنجيل متى (١/ ١١) الإصحاح الرابع: (وأخذه إبليس إلى جبل عال جداً، فأراه جميع ممالك الدنيا ومجدها وقال له: أعطيك هذا كله إن سجدت لي وعبدتني، فأجابه يسوع: ابتعد عني، يا شيطان، لأن الكتاب يقول: للرب إلهك تسجد، وإياه وحده تعبد).

ملازم لكل إنسان، فالقرين موكل بالعبد وهو كافر يأمره بكل فحشاء وسوء وهذا مما يزيد خطورة هذا العدو، الذي جند حياته لإضلال بني البشر، فهو ابتلاء للمسلم يحتاج فيها إلى صبر ومصابرة كي يخرج نقياً صافياً، ﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا ﴾[(١)] .

وقد توصلت من خلال هذا البحث إلى النتائج التالية:

أولاً: أن الله تعالى فطر العباد على فطرة التوحيد الخالص، والإقرار بوجود الله تعالى وألوهيته، فجاءت الشياطين فاجتالتهم وانحرفت بهم إلى الشرك والكفر.

ثانياً: إن للشيطان في مسائل الاعتقاد مكائد وأساليب كثيرة وتظهر من خلال:

أ- الإيمان بوجود الشياطين والجن، وأن الشيطان من الجن على الصحيح، وأنه مخلوق من نار، والجن لهم قدرة على التشكل في صورة الإنس والحيات والبهائم، وأن الله يسلطهم على من يشاء ويعصم من كيدهم من يشاء.

ب- تعرض الشيطان للكيد بأنبياء الله ورسوله، فلم يكتف بكيده لسائر الناس، بل تعرض لصفوة الخلق وأكملهم، وإن كانوا معصومين فيما يبلغون عن الله تعالى، فقد نال منهم ما استطاع من الوسوسة والتنقيص من مكانتهم والصد عنهم، أو الإيذاء البدني لهم بالسحر أو المرض، أو محاولة القتل والاغتيال والتحريق، أو الإيذاء النفسي بالنسيان أو الفتور.

جـ- وهو يسعى جاهداً لإيقاع الناس في الكفر والشرك من خلال التشكيك في وجود الخالق عز وجل، ومن خلال تزيين الإشراك بالله تعالى وتعظيم الصالحين والغلو فيهم، والقول على الله بلا علم، وتحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله، وإقامة النصب والتماثيل وتحريف الأديان، والسحر وتقليد الأمم السابقة، وإيقاعهم في البدع والأهواء.

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٣٧ .

وجعل الحاكمية لغير الله وإيقاع العباد في شرك الطاعة والاتباع، ولذا قال تعالى: ﴿ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾[١]، والتكذيب بالقدر والشرع، والإلحاد في أسماء الله وصفاته بتعطيلها وإنكارها وتشبيه الله تعالى بخلقه.

ثالثاً: أنه يسعى بأنواع من الإيذاء النفسي والبدني الحسي ليؤذي البشر عموماً؛ ومن أنواع الإيذاء: الغضب، والوسوسة، التخذيل، النجوى، وسوء الظن وإثارة الشكوك والحلم، والحزن والنسيان. ومنها: الصرع السحر، القتل، الطاعون، نخس المولود، إحراق المنازل، تخبط الإنسان عند الموت، الاستحاضة، أكل الطعام، والإصابة بالعين، إيذاء النائم، التلاعب بمقاعد بني آدم عند قضاء الحاجة، إفساد المعاملات، خطف الصبيان، التفريق بين الزوجين.... إلخ.

رابعاً: أن له أساليب ماكرة في إفساد الاعتقاد وله في تنفيذها خطوات متتابعة بروية وحذر، يبدؤها بالنسيان ثم الاستدراج ثم التسويف والوسوسة، ثم الأز والحيرة، ثم يختمها بالتبرؤ والشماتة، ومن أنواع أساليبه:

التزيين للباطل، ونسيان الحق، الفتنة، إلقاء الشبهات، الصد، ظن السوء، التسويل، الاستحواذ والاستهواء والتخويف، القنوط من رحمة الله، الأمن من مكر الله، الاستفزاز، السحر.

خامساً: أن له أساليب كثيرة فيما يتعلق بمسائل النبوات، فالنبوة هي طريق الإيمان بالله تعالى ومعرفته، لذا يحاول الشيطان أن يقطع ذلك الطريق أو يشكك فيه، أو يفسد الاعتقاد الصحيح فيه وذلك من خلال: التكذيب والصد عنهم ورميهم بالجنون والسحر ونفي المعجزات والكرامات، أو من خلال الغلو فيهم والزعم بأنهم آلهة وإضفاء خصائص الألوهية عليهم ودعائهم وسؤالهم من دون الله وطلبهم الشفاعة، والغلو في

---

(١) يس، الآية: ٦٠.

قبورهم وجعلها أوثاناً تعبد من دون الله!!

سادساً: أن للشيطان مكايد عظيمة فيما يتعلق بالولاية والأولياء، ومن أعظمها الفتنة بالصالحين والغلو فيهم وتقديسهم، والفتنة بمن يزعم أنهم أولياء من أصحاب الأحوال الشيطانية، مما أدى إلى تسويتهم بالأنبياء، بل وأعظم، حيث استغاث بهم الجهلة وعظموا قبورهم، وعبدوهم من دون الله.

سابعاً: أن للشيطان مكايد تتعلق بمسائل الغيبيات، والشيطان أشد ما يكون حرصاً على إلقاء المكائد المتعلقة بهذه المسائل، نظراً لأنها من الأمور الغيبية التي لا نعلم حقيقتها، ولكن نؤمن بها كما جاءت بها النصوص، لذا سعى إبليس لإنكار حقيقة الملائكة والزعم بأنها القوى الخيرة في الإنسان الذي تحثه وتدفعه لعمل الخير، بعكس قوى الشر الرديئة التي هي الشياطين، وزعم آخرون بأنها العقول الفعالة، وهذا يؤدي إلى جعلها أعراضاً قائمة بالنفس، وهذا يحقق هدف إبليس في إنكار الكتاب والرسل، كما سعى في جانب الغلو إلى عبادتهم وتقديسهم، قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[1].

إن من مكايده في إنكار الغيبيات إنكار البعث واليوم الآخر بما فيه من أهوال وحشر وجنة ونار، بشبهات كثيرة منها إثبات التناسخ، واستحال إعادة الأجزاء بعد أن أصبحت تراباً، ونفي معاد الأبدان أو العكس وغيرها من الشبهات.

ثامناً: للشيطان مكايد لا تخفى فيما يتعلق بالأرواح ومن أهم المسائل في هذا مسألة تحضير الأرواح، والهامة، والتناسخ، وتوصلت من خلال البحث إلى أن كل ذلك من مكايده ولا علاقة لها بأرواح الموتى.

تاسعاً: ظهر لي من خلال البحث أبرز مظاهر مكايده للفرق والملل والنحل

---

(١) سورة سبأ، الآيتان: ٤٠-٤١.

المخالفة التي من أعظمها إنكار الخالق جل وعلا ، وتعطيل ذاته وصفاته ، وعبادة من سواه وعبادة الملائكة ، وتحريف النصوص السماوية ، ووضع نصوص محرفة ، وإضفاء سمعة القداسة عليها ، وإنكار النبوة والرسالة ، أو الغلو فيها ، وادعاء النبوة من بعض الفرق الضالة ، وادعاء العصمة والولاية للأئمة والمشايخ ، وسب الصحابة الكرام – رضوان الله عليهم – والتكذيب باليوم الآخر وبالقدر ، وعلى العموم فكل مكيدة أوقع فيها عوام الخلق فقد أوقع فيها رؤوس الفرق والملل والنحل المنحرفة سواء بسواء .

ثم توصلت أخيراً إلى إنه مع ما سبق من كيد وخطر هذا العدو فإنه ضعيف أمام الحق ونوره ، فلا يصمد أمام الموحدين والمخلصين وعباد الله الصالحين ، وإن من وفقه الله تعالى للمحافظة على ذكره والتحصن بما ورد من الآيات والأدعية ، فلا سبيل للشيطان عليه ، وفصلت في كيفية التحصن منه بما ثبت في النصوص وما استقريته منها .

وأختم بذكر جملة من التوصيات ومنها:

- ضرورة المواجهة الجماعية للشيطان وحزبه ، ونبذ الفرقة والخلاف والاتحاد صفاً واحداً في مواجهة أهل الباطل ، والدجل ، والمشركين والمنافقين .
- إصلاح الواقع الحالي للأمة الإسلامية ، وإقامة شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
- أهيب بالعلماء وطلاب العلم ببذل الجهد ورفع الهمة في كشف وفضح ما عليه القبوريون ، والرد على أقوالهم ، وإنقاذ العالم الإسلامي من أوحال الشرك والكفر ، ولا يكفي ما كتب وألف من كتب ورسائل علمية ، وذلك لخطورة الأمر وانتشاره [1] ، وكون الشيطان قد اتخذ من هذه الأضرحة وسيلة لفتنة العباد بها وإيقاعهم في الكفر من خلالها .

---

(١) انظر: كتاب الشرك في القديم والحديث ، لأبي بكر محمد زكريا ، وكتاب: «دمعة على التوحيد» من إصدارات المنتدى الإسلامي وغيرهما .

- كما أهيب بطلبة العلم جمع ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الشأن وإخراجه في سفر مستقل يسهل تناوله محققاً ومرتباً، وترجمته إلى سائر اللغات.
- التنبه لخطر عبدة الشيطان، وذلك لظهور هذه الفرقة ونشاطها وكونها تدعم من قبل بعض المنظمات الأجنبية، وهي من أسباب الانحراف الخطير لشباب الأمة [١].

وأتمنى أن يتصدر للرد عليهم علماء أجلاء وطلبة علم، ويفرد لها رسائل عليا، إذ من خلال بحثي تبين لي أن أكثر ممن كتب عنهم ليسوا من ذوي الاختصاص الشرعي، ولذا مال بعضهم إلى التماس الأعذار لهم والاكتفاء بالسرد التاريخي، وقد نبهت على ذلك في ثنايا البحث.

«والذي نريده هنا، هو إثارة التعبئة الشعورية والنفسية لدى المسلم حتى يستشعر عظم المعركة وخطرها على نفسه وأهله وولده وماله ومجتمعه، بل والأمة كلها، فهي جبهات لا بد أن نكون عليها وقوفاً حراساً متيقظين، ندافع عن دين الله من هجمات شياطين الإنس والجن» [٢].

الاهتمام بطلب العلم الشرعي، وتأصيل القضايا الشرعية، وفق الكتاب والسنة، فهما – بإذن الله – المخرج من كل معضلة ومن كل فتنة مضلة.

هذا وأسأل الله القدير أن ينفع بهذا البحث، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وقد بذلت فيه ما استطعت من جهد، فإن كان صواباً فمن الله فله الحمد وله الشكر

---

(١) ذكرت مجلة «كل الأسرة» حادثة انتحار أحد المراهقين الذي يبلغ من العمر (١٦) بعد أن وجد مضرجاً بدمائه بعد إطلاق الرصاص على رأسه، وقد وجدت ملصقات أجنبية في غرفته تمثل صوراً لأعضاء فرقتين أجنبيتين لموسقيى (الروك) وتحمل رسوماً لجماجم، وهذا يشير إلى أن الفتى ينتمي لمجموعة شيطانية دعته للانتحار!! انظر: العدد ٩٠، ص ٣٧، نقله يوسف البنعلي في كتاب عباد الشيطان، ص ١٤٤.

(٢) المواجهة، حسن قطامش، ص ١٣٠.

على توفيقه وامتنانه ، وإن كان خطأ فمني ومن الشيطان .

وفي الختام أحمد الله وأشكره أولاً وآخراً ، فله جل وعلا حمداً وشكراً كما يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه .

كما أشكر فضيلة شيخي وأستاذي د . سليمان بن صالح الغصن المشرف على الرسالة الذي أفادني بعلمه وتوجيهاته بكل دقة وإخلاص في جميع مراحل إعداد الرسالة .

والشكر موصول لفضيلة الشيخ د . فرج الله عبدالباري أبو عطا الله ، الذي أشرف عليّ في بداية البحث لمدة عام انقطعت بانتهاء مدة إعارته في المملكة .

كما أشكرُ أعضاءَ هيئةِ التدريسِ في قسمِ العقيدةِ وأخصُ بالذكرِ فضيلةَ الشيخِ د . عبدالعزيز بن عبداللطيف ، وفضيلة الشيخ د . محمد العلي على ما قدما لي من مساعدةٍ وتوجيهٍ في أثناء وضع خطةِ البحثِ .

وأشكر فضيلة الشيخِ د . عبود بن علي بن درع القحطاني عضوِ هيئةِ التدريسِ في جامعةِ الملكِ خالد بأبها ، والذي أشار علي بأصلِ الموضوعِ .

كذلك لا يفوتني أن أشكرَ صاحبَ الجهودِ المشكورةِ والأيادي البيضاءِ زوجي الفاضل وجميع أفرادِ أسرتي وإخوتي وأخواتي وأخصُ بالشكر أخي المباركَ الأستاذَ: عبدالهادي بن محمد القحطاني ، وخالي الفاضلَ المهندسَ: عبدالرحمن بن محمد آل صالح .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

فهرس المصادر والمراجع [1]

اسم الكتاب واسم المؤلف وتاريخ الطبع.

١- الإبانة عن أصول الديانة للشيخ أبي الحسن بن إسماعيل الأشعري ، ط . مطابع الجامعة الإسلامية ، ط . الثانية ١٤٠٥هـ ، تقديم حماد الأنصاري .

٢- إبليس ، عباس محمود العقاد ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت .

٣- أبو منصور الماتريدي حياته وآراؤه العقدية ، تأليف/ بالقاسم الغالي دار التركي للنشر ١٩٨٩م .

٤- إثبات نبوة النبي ﷺ ، تأليف: أبي الحسن بن الحسين الحسني الزيدي ، تحقيق: خليل أحمد إبراهيم ، ط . الأولى ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م ، نشر دار الكتاب العربي .

٥- الآحاد والمثاني ، أحمد بن عمرو بن الضحاك أبو بكر الشيباني ، ط . الأولى ١٤١١هـ/ ١٩٩١م ، دار الراية ، الرياض ، تحقيق د . باسم فيصل أحمد الجوابرة .

٦- الأحاديث المختارة للمقدسي ، ط . الأولى ١٤١٠هـ ، نشر مكتبة النهضة ، مكة المكرمة ، تحقيق: عبدالملك بن دهيش .

٧- الأحاديث الواردة في الشيطان ومكائده والوقاية منه جمعاً وتخريجاً ودراسة ، د . إلهام بنت بدر بن عوض الجابري ، رسالة دكتوراه مقدمة لكلية أصول الدين – قسم السنة وعلومها مكتوبة بالآلة الكاتبة .

٨- أحكام التداوي والحالات الميؤوس منها وقضية موت الرحمة ، تأليف محمد علي البار دار المنارة ١٤١٥هـ .

٩- أحكام القرآن لأبي بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي ، ط . عام ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، راجعه وخرج أحاديثه محمد عبدالقادر عطا .

١٠- الإحكام في فصول الأحكام لابن حزم أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الظاهري تقديم/ إحسان عباس دار الآفاق الجديدة ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م .

١١- إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي ، دار المعرفة ، بيروت .

١٢- أخبار مكة ، الفاكهي ، تحقيق: د . عبدالملك بن دهيش ، ط . الثانية ١٤١٤هـ ، دار خضر ، بيروت .

(١) عند وجود طبعتين للكتاب أشير للطبعة المعتمدة في البحث بعلامة (*) .

١٣- الإخلاص والشرك الأصغر، عبدالعزيز بن العبداللطيف، ط. الأولى ١٤١٤هـ، دار الوطن، الرياض.

١٤- الأدب المفرد، للإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، ط. الثالثة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، دار البشائر الإسلامية، تخريج محمد فؤاد عبدالباقي.

١٥- أدعياء النبوة عبر التاريخ، تأليف ديب علي حسن، ط. الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، نشر دار الحكمة.

١٦- الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، للإمام الحافظ محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، المكتبة الثقافية، بيروت.

١٧- آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره، د. عمر بن إبراهيم رضوان، دراسة ونقد، ط. الأولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، دار طيبة - الرياض.

١٨- الأربعون في أصول الدين للرازي، ط. الأولى ١٣٥٣هـ.

١٩- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، لإمام الحرمين أبي المعالي عبدالملك الجويني، ط. الأولى، مؤسسة الكتب الثقافية ١٤٠٥هـ، تحقيق: أسعد تميم.

٢٠- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول/ تأليف محمد بن علي بن محمد الشوكاني دار الكتب العلمية ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

٢١- إرواء الغليل في تخريج منار السبيل، للعلامة محمد ناصر الدين الألباني، ط. الثانية ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، إشراف محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي.

٢٢- الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية، للشيخ عبدالعزيز السلمان طبعة المؤلف عام ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

٢٣- أسباب البدع ومضارها، للشيخ محمد شلتوت ط. عام ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، نشر مكتبة السنة.

٢٤- أسباب هلاك الأمم وسنة الله في القوم المجرمين والمنحرفين للشيخ عبدالله التليدي دار البشائر الإسلامية ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٢٥- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، للشيخ د. محمد بن أبي شهبة، نشر مكتبة السنة، القاهرة ط. الرابعة ١٤٠٨هـ.

٢٦- الأسطورة التي هوت (علاقة الجان بالإنسان) تأليف حسان عبدالمنان، رقم التصنيف ٢٤٣، ع ح ع، مكتبة برهومة، عمان، الأردن ط. الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٢٧- الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، د. علي عبدالواحد وافي، نهضة مصر

للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة .
٢٨- الإسلام في مواجهة أعدائه ، توفيق علي هبه ، دار اللواء للنشر والتوزيع ، ط . الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
٢٩- الأسماء والصفات ، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ، ط . الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر .
٣٠- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ، دار الكتب العلمية بيروت .
٣١- أصول الاعتقاد في سورة يونس عليه السلام ، تأليف: قذلة بنت محمد القحطاني ، ط . الأولى ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م ، دار طويق للنشر والتوزيع ، الرياض .
٣٢- أصول الدين للبغدادي ، ط . الثانية ، دار الكتب العلمية ، توزيع دار الإخاء .
٣٣- الأصول من الكافي ، تأليف أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي ، ط . الرابعة ١٤٠١هـ ، دار صعب ، دار التعارف ، بيروت ، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري .
٣٤- الأصول والفروع لابن حزم الأندلسي ، ط . الأولى ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، لبنان .
٣٥- الأضحوية في أمر المعاد ، لابن سينا ، ط . الأولى ١٣٦٨هـ ، دار الفكر العربي ، تحقيق سليمان دنيا .
٣٦- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، للشيخ محمد الأمين الشنقيطي ، نشر مكتبة ابن تيمية ، ط . ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م .
٣٧- إظهار الحق ، تأليف رحمت الله الهندي ، ط . الأولى ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م ، طبعة ونشرة إدارات البحوث العلمية والدعوة والإفتاء ، تحقيق: محمد أحمد محمد مكاوي .
٣٨- إعجاز القرآن لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني ، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر ، ط . الأولى ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م ، طبع ونشر مؤسسة الكتب الثقافية .
٣٩- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، مصطفى الرافعي ، ط . الثالثة ، نشر دار الكتاب العربي .
٤٠- إعلام الموقعين عن رب العالمين ، تأليف شمي الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر المعروف بابن القيم الجوزية ، دار الجيل ، بيروت - لبنان ، راجعه وعلق عليه وقدم له طه عبدالرؤوف سعد .
٤١- أعلام النبوة ، تأليف: علي بن محمد الماوردي ، نشر مكتبة الكليات الأزهرية ، راجعه

وقدم له: طه عبدالرؤوف سعد .
٤٢- الأعلام ، للزركلي ، دار العلم للملايين ط . التاسعة ١٩٩٠م .
٤٣- الأعمال الشعرية الكاملة ، نزار قباني .
٤٤- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان - تأليف محمد بن أبي بكر الشهير بابن القيم الجوزية ، تحقيق وتصحيح وتعليق محمد عفيفي ، المكتب الإسلامي ، ط . الثانية ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .
٤٥- أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات ، تأليف الإمام زين الدين مرعي بن يوسف الكرمي ، ط . الأولى ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط .
٤٦- آكام المرجان في أحكام الجان ، للشيخ الإمام العلامة بدر الدين أبي عبدالله محمد بن عبدالله الشبلي ، ضبطه وصححه أحمد عبدالسلام ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط . الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
٤٧- الإمامة عند الجعفرية ، تأليف علي أحمد السالوس ، مكتبة ابن تيمية ، الكويت .
٤٨- الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع للحافظ جلال الدين السيوطي ، تحقيق مصطفى عاشور مكتبة القرآن للطبع والنشر (بولاق) القاهرة .
٤٩- الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع للحافظ جلال الدين السيوطي ، تحقيق: مشهور حسن سلمان ، نشر دار ابن القيم ط . الأولى١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م .
٥٠- أمية الرسول محمد ﷺ ، د . قحطان عبدالرحمن الدوري دار البشير ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م .
٥١- الإنسان الكامل ، عبدالكريم الجيلي ، ط . الثالثة ، مصطفى الحلبي ، مصر .
٥٢- الإنسان روح لا جسد ، رؤوف عبيد ، ط . الثالثة ، مطبعة نهضة مصر .
٥٣- الإنسان والشيطان ، د . فاروق الدسوقي ، ط . المكتب الإسلامي ، بيروت ، مكتبة فرقة الخاني ، الرياض .
٥٤- الإنصاف فيما قيل في المولد الغلو والإجحاف ، للشيخ أبي بكر الجزائري ضمن رسائل حكم الاحتفال بالمولد .
٥٥- الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ، للقاضي أبي بكر الطيب الباقلاني البصري ، ط . الأولى ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م ، عالم الكتب ، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر .
٥٦- الأنوار الساطعات لآيات الجامعات ، للشيخ عبدالعزيز السلمان ، ط . الرابعة ،

١٤١١هـ .
٥٧- الأنوار النعمانية ، تأليف نعمة الله الجزائري ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت – لبنان .
٥٨- الأنوار الوضيَّة في العقائد الرضوية ، تأليف حسين بن الشيخ محمد العصفور البحراني ، تحقيق: أبو أحمد بن خلف البحراني .
٥٩- أنيس الفقهاء ، تأليف قاسم بن عبدالله بن أمير علي القونوي ، ط . الأولى ١٤٠٦هـ ، نشر دار الوفاء ، جدة ، تحقيق د . أحمد بن عبدالرزاق الكبير .
٦٠- أوضح الإشارة في الرد على من أجاز الممنوع من الزيارة ، تأليف الشيخ: أحمد بن يحيى النجمي ، ط . الأولى ١٤٠٥هـ ، طبعة ونشرة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء ، الرياض .
٦١- الأولياء ، للحافظ ابن أبي الدنيا . تحقيق وتعليق مجدي السيد إبراهيم مكتبة الساعي ١٩٨٧م .
٦٢- الآيات البينات في تحريم دعاء الأموات ، علي بابكر ط . الأولى ١٤١٨هـ .
٦٣- الإيمان بالغيب ، بسام سلامة ، ط . الأولى ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ، مكتبة المنار ، الأردن .
٦٤- الإيمان بالملائكة للشيخ محمد بن سليمان الدرويش ، رسالة ماجستير مقدمة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٠٢ - ١٤٠٣هـ ، مكتوبة بالآلة الكاتبة .
٦٥- الإيمان بالملائكة وأثره في حياة الأمة للشيخ صالح الفوزان .
٦٦- الإيمان بالملائكة –عليهم الصلاة والسلام- أحمد عزالدين البيانوني دار السلام ١٤٠٥-١٩٨٥م .
٦٧- الإيمان بعوالم الآخرة ومواقفها ، تأليف عبدالله سراج الدين ط . الثانية ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .
٦٨- الإيمان لابن تيمية ، طبعة عام ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، تخريج العلامة ناصر الدين الألباني .
٦٩- الإيمان وإيقاظ القوى الخفية ، أ.د. توفيق يوسف الواعي ، دار البحوث العلمية ، الكويت .
٧٠- ابن حبان في الثقات ، نشر دار الفكر ط . الأولى ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م .
٧١- اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية ، للإمام شمس الدين أبي عبدالله محمد بن بكر بن القيم ، تحقيق: فواز زمرلي ، ط . الأولى ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م ، نشر دار الكتاب العربي .

٧٢- الاحتفال بالمولد بين الاتباع والابتداع للشيخ محمد بن سعد بن شقير، ضمن رسائل حكم الاحتفال بالمولد.

٧٣- الاختصاص، تأليف الشيعي عبدالله بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي الملقب بالشيخ المفيد، صححه وعلق عليه علي أكبر العقاري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان.

٧٤- الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية لابن قتيبة، ضمن عقائد السلف.

٧٥- الاستقامة، لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، ط. الأولى ١٤٠٣هـ، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود، تحقيق د. محمد رشاد سالم.

٧٦- اشتراكيتهم وإسلامنا، تأليف بشير العوف، ط عام ١٩٦٦م، مؤسسة الإنتاج الطباعي، بيروت.

٧٧- الاعتبار ببقاء الجنة والنار، تأليف: أبي الحسن تقي الدين السبكي، ط. عام ١٣٤٩هـ، مكتبة القدس - دمشق.

٧٨- الاعتصام للشاطبي، دار المعرفة بيروت.

٧٩- الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، ط. السلام العالمية.

٨٠- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي، ط. عام ١٣٩٨هـ، نشر مكتبة الكليات الأزهرية.

٨١- اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق محمد حامد الفقي، نشر دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٨٢- الانتصار للخياط، تقديم ومراجعة محمد حجازي، نشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مطبعة مدني.

٨٣- الانتصاف لأحمد منير الإسكندراني، مطبوع في حاشية الكشاف.

٨٤- الباطنيون والحركات الهدامة للشيخ/ إبراهيم الجبهان، ط. الأولى ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، دار القلم - الكويت.

٨٥- الباعث على إنكار البدع والحوادث، للإمام أبي شامة الشافعي، تحقيق: مشهور حسن سليمان ط. الأولى ١٤١٠١هـ/ ١٩٩٠م، دار الراية، الرياض.

٨٦- بحار الأنوار، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان.

٨٧- بدائع الفوائد، لابن القيم، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، توزيع دار النفائس.

٨٨- البداية والنهاية* لأبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، ط. الأولى ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، نشر دار الريان للتراث، القاهرة، تحقيق: د. أحمد أبو ملحم وآخرون.
٨٩- البداية والنهاية، لابن كثير، دار الكتب العلمية.
٩٠- البدع والمحدثات وما لا أصل له، جمع وإعداد حمود بن عبدالله المطر، ط. الثانية ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، دار ابن خزيمة، الرياض.
٩١- البدع والنهي عنها، لابن وضاح القرطبي، ط. الأولى ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، دار الصميعي.
٩٢- برهان الشرع في إثبات المس والصرع، كتبه علي بن حسن بن علي بن عبدالحميد الحلبي الأثري، المكتبة المكية، دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
٩٣- البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي، دار المعرفة، بيروت، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.
٩٤- البريلوية عقائد وتاريخ، ط. السادسة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، نشر إدارة ترجمان السنة، لاهور - باكستان.
٩٥- بصائر ذوي التميز في لطائف الكتاب العزيز، تأيف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ط. المكتبة العلمية، بيروت، تحقيق: محمد علي النجار.
٩٦- البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي علي بن محمد العباس، دار صادر، بيروت، تحقيق: وداد القاضي.
٩٧- بطلان عقائد الشيعة، عبدالستار التونسي، طبعة دار الاعتصام.
٩٨- البعث عند الفلاسفة، للشيخ د. عبدالكريم بن محمد الحميدي، رسالة دكتوراه، مقدمة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، مكتوبة على الآلة.
٩٩- بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، نشر مكتبة العلوم والحكم، ط. الأولى ١٤٠٨هـ، تحقيق د. موسى سليمان الدويش.
١٠٠- بلغة الأمل إلى الشفاء العاجل بالطب الروحاني، تأليف مرتضى العاملي.
١٠١- البهائية، محمد الحمد، نشر دار القاسم.
١٠٢- بيان الهدى من الضلال في الرد على صاحب الأغلال، السويح.
١٠٣- بيان تلبيس الجهمية أو نقض تأسس الجهمية، تأليف أبي العباس شيخ الإسلام أحمد بن

تيمية ، تصحيح وتكميل وتعليق محمد بن عبدالرحمن بن قاسم ، مؤسسة قرطبة .
١٠٤- البيان عن الفرق بين المعجزات وا لكرامات والحيل والكهانة والسحر للباقلاني ، تحقيق: رتشرد يوسف اليسوعي (بدون رقم وتاريخ الطبعة ودار النشر) .
١٠٥-بيان مذهب الباطنية لمحمد بن الحسن الديلمي ، ط . الثانية ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م ، نشر إدارة ترجمان السنة ، لاهور ، باكستان .
١٠٦- بينية أولي الأبصار .
١٠٧- تأسيس التقديس ، لابن بابطين .
١٠٨- تأويل مشكل القرآن ، لابن قتيبه ، نشر دار التراث ، ط . الثانية ، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م ، شرح أحمد صقر .
١٠٩- تاج العروس من جوهر القاموس ، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م .
١١٠- نجد المسمى روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات بني الإسلام تأليف حسين بن غنام تحقيق ناصر الدين الأد مطبعة المدني ١٣٨١هـ- ١٩٦١م .
١١١- تاريخ الأمم والملوك لأبي جعفر الطبري ، ط . الأولى ١٤٠٧هـ ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت .
١١٢- التاريخ الكبير للبخاري ، ط . دار الفكر ، تحقيق: السيد هاشم الندوي .
١١٣- تاريخ بغداد ، للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، ط . دار الكتب العلمية .
١١٤- تبديد الظلام وتنبيه النيام إلى خطر التشيع ، للشيخ إبراهيم سليمان الجبهان ، ط . الثالثة ، ١٤١٠هـ .
١١٥- تبديد الظلام وتنبيه النيام ، لإبراهيم سليمان الجبهان ، (دون ت .ن) .
١١٦- التبرك ، أنواعه ، أحكامه ، د . ناصر بن عبدالرحمن الجديع ، ط . الثانية ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م ، نشر دار الرشد ، الرياض .
١١٧- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين ، تأليف: الإمام أبي المظفر الاسفراييني ، ط . الثانية ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م ، دار الكتب العلمية ، تعليق وتخريج: محمد زاهد الكوثري .
١١٨- التبيان في آداب حملة القرآن ، للنووي ، ط . الأولى ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ، دار الوكالة العامة للتوزيع ، دمشق .

١١٩- التبيان في أقسام القرآن، للعلامة شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، طبعة دار الطباعة المحمدية بالأزهر، نشر مكتبة الرياض الحديثة، سنة ١٣٨٨هـ.
١٢٠- تحفة الأحوذي في شرح سنن الترمذي، للإمام الحافظ أبي العلي محمد بن عبدالرحمن المباركفوري، ط. الثانية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، نشر المكتبة السلفية، تصحيح: عبدالوهاب عبداللطيف.
١٢١- التحفة العراقية، لابن تيمية، مطبوع ضمن الرسائل المنيرية.
١٢٢- تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد لإبراهيم بن محمد البيجوري دار الكتب العلمية ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.
١٢٣- التخويف من النار والتعريف بحال البوار، للحافظ أبي الفرج عبدالرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، ط. الأولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٣م، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
١٢٤- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، للحافظ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي.
١٢٥- التدمرية، لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، ط. الأولى، ١٤٠٥هـ، تحقيق: محمد عودة السعوي.
١٢٦- تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، دار السلام، بيروت، حلب.
١٢٧- الترغيب والترهيب، للمنذري، عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري، ط. الأولى، ١٤١٧هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق: إبراهيم شمس الدين.
١٢٨- التصديق بالنظر إلى الله تعالى في الآخرة، تأليف: الحافظ أبي بكر محمد بن الحسين الآجري، ط. الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، مؤسسة الرسالة، تحقيق: سمير الزهيري.
١٢٩- التصوف المنشأ والمصادر، تأليف: إحسان إلهي ظهير، ط. الأولى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، نشر إدارة ترجمان السنة.
١٣٠- تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد، تأليف: محمد بن إسماعيل الأمير اليمني الصنعاني، ط. الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، نشر مكتبة الزهراء، تحقيق: د. السيد محمد سيد.
١٣١- تطهير الجنان واللسان، لأحمد بن حجر الهيثمي (مطبوع مع الصواعق المحرقة).
١٣٢- التعريفات، تأليف: علي بن محمد الشريف الجرجاني، ط. عام ١٩٨٥م، مكتبة

لبنان ، بيروت .
١٣٣- تفسير أبي السعود ، المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، تأليف: أبي السعود محمد بن محمد العمادي ، ط . الثانية ، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م ، دار إحياء التراث العربي .
١٣٤- تفسير ابن أبي حاتم ، تحقيق: د . أحمد بن عبدالله العماري الزهراني ، ط . الأولى ، ١٤٠٨هـ ، نشر دار مكتبة الدار وطيبة وابن القيم .
١٣٥- تفسير الأحلام ، لابن سيرين ، نشر المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان .
١٣٦- تفسير البحر المحيط ، تأليف محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ، ط . الثانية ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ، دار الفكر للطباعة والنشر .
١٣٧- تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل ، مؤسسة شعبان ، بيروت .
١٣٨- تفسير البيضاوي ، ط . الثانية ، ١٣٨٨هـ/ ١٩٨٨م ، ط . مصطفى الحلبي .
١٣٩- تفسير التحرير والتنوير ، تأليف محمد بن الطاهر بن عاشور الدار التونسية ١٩٨٤م .
١٤٠- تفسير الثعالبي المسمى جواهر الحسان في تفسير القرآن ، منشورات مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، لبنان .
١٤١- تفسير الجلالين ، ط . الأولى ، دار الحديث ، القاهرة .
١٤٢- تفسير الخازن ، طبعة البابي الحلبي .
١٤٣- تفسير الصافي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، لبنان .
١٤٤- تفسير العباس القمّي ، تصحيح وتعليق: طيب الموسوي الجزائري ، دار السرور ، بيروت ، لبنان .
١٤٥- تفسير الفخر الرازي ، ط . الثالثة ١٤٠٥ / ١٩٨٥م ، دار الفكر .
١٤٦- تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل ، ط . عام ١٩٥٧م ، دار إحياء التراث .
١٤٧- تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، د . دار الفكر ، بيروت .
١٤٨- تفسير القرآن العظيم* ابن كثير ، دار الأندلس ، بيروت .
١٤٩- تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، طبعة دار السلام ، الرياض .
١٥٠- تفسير المراغي لأحمد مصطفى المراغي ، ط . الثالثة ، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م ، دار الفكر .
١٥١- تفسير المعوذتين ، لابن القيم الجوزية ، تحقيق مصطفى بن العدوي ، نشر مكتبة الصديق ، ط . الأولى ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م .
١٥٢- تفسير المنار ، تأليف محمد رشيد رضا ،ط . الثانية ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

١٥٣- التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، د . محمد سيد طنطاوي ، ط . عام ١٩٩٨م ، نشر دار نهضة ، مصر .
١٥٤- تفسير جزء عم ، لمحمد عبده ، دار الهلال ، بيروت .
١٥٥- تفسير سورة الجن ، د .محمد البهي ، ط . الأولى ١٣٩٦ ، نشر مكتبة وهبة ، طبع دار الغريب .
١٥٦- تفسير غريب القرآن ، لابن قتيبة ، تحقيق: السيد أحمد صقر ، ط . عام ١٣٩٨هـ/ ١٩٨٧م ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
١٥٧- تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين ، لأبي الحسين القاسم بن محمد الراغب الأصفهاني ، ط . الأولى ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، تقديم وتحقيق: د . عبدالمجيد النجار .
١٥٨- تقريب التهذيب ، للإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر ، ط .الثالثة ١٤٠٠هـ/ ١٩٩١م ، ط . دار القلم .
١٥٩- تلبس الجن بالإنس ، د . بدر عبدالرزاق الماص ، نشر مكتبة الفلاح ، الكويت ، ط . الأولى ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م .
١٦٠- تلبيس إبليس * للحافظ جمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي البغدادي ت٥٩٧ ، تحقيق د . السيد الجميلي ، نشر: دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط . السادسة ١٤١٣هـ-١٩٩٣م .
١٦١- تلبيس إبليس للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي دراسة وتحقيق د . أحمد بن عثمان الزيد .ط .الأولى ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م ، دار الوطن ، الرياض .
١٦٢- تلخيص الاستغاثة ، لأحمد بن عبدالحليم بن تيمية ، ط . عام ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م ، دار أطلس للنشر .
١٦٣- تلخيص الحموية ضمن رسائل في العقيدة ، لابن عثيمين ، دار طيبة .
١٦٤- التلخيص ، للحافظ الذهبي ، مطبوع بحاشية المستدرك .
١٦٥- التمهيد ، لابن عبدالبر ، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن عبدالبر النمري ، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المغرب ، ١٣٨٧هـ ، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد البكري .
١٦٦- تنبيه الغافلين ، لأبي الليث السمرقندي ، طبعة دار الفكر .
١٦٧- التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية ، تأليف: العلامة عبدالعزيز ابن ناصر الرشيد ،

ط . الثانية ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م ، مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض .
١٦٨- التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية ، للشيخ عبدالعزيز بن ناصر الرشيد ، ط . الثانية ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م ، مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض .
١٦٩- التنويم المغناطيسي بين الحقيقة والخرافة مجدي محمد الشهاوي ، مكتبة القرآن ، القاهرة .
١٧٠- تهافت العلمانية ، لعماد الدين خليل ، ط . عام ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ، مؤسسة الرسالة ، نشر الشركة المتحدة للتوزيع .
١٧١- تهذيب الأسماء واللغات ، للإمام العلامة أبي زكريا محي الدين بن شرف النووي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
١٧٢- تهذيب التهذيب ، للإمام شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، ط . الأولى ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م ، طبعة دار الفكر .
١٧٣- تهذيب الكمال ، للمزي ، ط . الأولى ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، تحقيق: د . بشار معروف .
١٧٤- تهذيب مدارج السالكين ، لابن القيم ، هذبه عبدالمنعم صالح العزي ، ط . الخامسة ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .
١٧٥- التوحيد الأعظم ، تأليف: أحمد علوان ، ط . الأولى ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م ، دار الفكر ، بيروت ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ، تحقيق: عبدالعزيز سلطان طاهر المنصوب .
١٧٦- التوحيد وإثبات صفات الله عز وجل ، للإمام أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة ، ط . الثانية ، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م ، نشر مكتبة الرشد ، الرياض ، تحقيق ودراسة: د . عبدالعزيز الشهوان .
١٧٧- التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجل وصفاته على الاتفاق والتفرد ، تأليف: أبي عبدالله محمد بن إسحاق بن محمد ابن منده ، تحقيق: د . علي محمد الفقيهي .
١٧٨- التوحيد ، لأبي منصور الماتريدي ، نشر الجامعة المصرية ، تحقيق: فتح الله خلف .
١٧٩- التوسل والوسيلة لشيخ الإسلام ابن تيمية ط . الأولى ١٤٠٩هـ ، مكتبة لينة ، مصر تحقيق ، د . ربيع بن هادي .
١٨٠- التوصل إلى حقيقة التوسل المشروع والممنوع تأليف محمد نسيب الرفاعي ط . عام ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م .

١٨١- توضيح الكافية الشافية ، للعلامة عبدالرحمن بن سعدي ، ط . عام ١٣٦٨هـ ، المطبعة السلفية ، القاهرة .

١٨٢- التوقيف على مهمات التعاريف ، لمحمد عبدالرؤوف المناوي ، ط . الأولى ، ١٤١٠هـ ، نشر دار الفكر ، دمشق ، بيروت ، تحقيق: د . محمد رضوان الداية .

١٨٣- تيسير العزيز الحميد ، للشيخ سليمان بن عبدالله بن عبدالوهاب المكتب الإسلامي ١٤٠٠هـ .

١٨٤- تيسير الكريم الرحمن * للعلامة عبد الرحمن السعدي ، تحقيق: محمد زهري النجار ، ط . الأولى ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م ، عالم الكتب .

١٨٥- تيسير الكريم الرحمن لابن السعدي ط . الأولى ١٤١٦هـ ، مؤسسة الرسالة .

١٨٦- الثقات ، لابن حبان ، ط . الأ ،لى ، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م ، نشر دار الفكر ، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد .

١٨٧- الثورة الإيرانية في ميزان الإسلام ، محمد منظور النعماني ، ط . دار عمار ، عمان .

١٨٨- جامع الأصول في الأولياء (الطرق الصوفية) ، تأليف: أحمد النقشبندي الخالدي ، تحقيق: أديب نصر الله ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧م ، مؤسسة الانتشار ، بيروت ، لبنان .

١٨٩- جامع الأصول من أحاديث الرسول ﷺ للإمام أبي السعادات مبارك بن محمد ابن الأثير الجزري .

١٩٠- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، طبعة ١٤٠٥هـ/ ١٩٧٤م ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

١٩١- جامع الرسائل ، لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ، ط . الأولى ، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م ، تحقيق: د . محمد رشاد سالم .

١٩٢- جامع العلوم والحكم * لابن رجب ، ط . الأولى ، ١٤٠٨هـ ، مؤسسة الكتب الثقافية .

١٩٣- جامع العلوم والحكم ، لابن رجب ، ط . الثانية ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م ، مؤسسة الرسالة ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس .

١٩٤- جامع الفرق والمذاهب الإسلامية ، تأليف: أمير مهنا وعلي خريس ، ط . الأولى ، ١٩٩٢م ، نشر المركز الثقافي العربي ، بيروت .

١٩٥- الجامع الفريد ، يحتوي كتب ووسائل لأئمة الدعوة التوحيد محمد بن عبدالوهاب وأحمد بن تيمية وابن القيم الجوزية مؤسسة مكة للطباعة والنشر ١٣٨٧هـ .

١٩٦- جامع كرامات الأولياء، تأليف: يوسف بن إسماعيل النبهاني، ط. عام ١٤٠٩هـ، دار الفكر، تحقيق إبراهيم عطوة.
١٩٧- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الطبعة الثالثة، صورة عن الطبعة الثانية، المحققة والمصححة بدار الكتب المصرية.
١٩٨- الجامع لشعب الإيمان، تأليف: الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، ط. الأولى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، نشر الدار السلفية، بومباي، تحقيق: د. عبدالعلي حامد.
١٩٩- جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، للسيد نعمان خير الدين الآلوسي، ط. عام ١٤٠١هـ/ ١٩٩١م، طبعة المدني، قدم له على السيد صبح المدني.
٢٠٠- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لشيخ الإسلام ابن تيمية، مطبعة المدني، تقديم وإشراف علي السيد المدني.
٢٠١- الجواب الفسيح لما لفقه عبدالمسيح، تأليف، الإمام الآلوسي، ط. الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، دار الجيل، بيروت، تحقيق: أحمد حجازي.
٢٠٢- الجواب الكافي، للإمام ابن قيم الجوزية، ط. الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، دار ابن خزيمة، تحقيق عامر علي ياسين.
٢٠٣- جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض أبي العباس التجاني، تأليف: علي حرازم العربي براده، دار الجيل، بيروت، ط. عام ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
٢٠٤- الجواهر في تفسير القرآن، للشيخ طنطاوي جوهري مطبعة البابي الحلبي ١٣٥٠هـ.
٢٠٥- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، للإمام أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، نشر دار مدني، تقديم: علي السيد صبح مدني.
٢٠٦- حاشية ابن القيم على سنن أبي داود، ط. الثانية، ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٠٧- حاشية ابن عابدين، ط. الثانية، سنة ١٣٨٦هـ، دار الفكر، بيروت.
٢٠٨- حاشية الإمام السندي، مطبوع بحاشية سنن النسائي.
٢٠٩- حاشية الروض المربع في شرح زاد المستقنع، للشيخ عبدالرحمن بن قاسم.
٢١٠- حاشية الطحاوي على مراقي الفلاح، لأحمد بن إسماعيل الطحاوي الحنفي، ط. الثالثة، ١٣١٨هـ، مصر، مكتبة البابي الحلبي.
٢١١- الحبائك في أخبار الملائك، للحافظ جلال الدين السيوطي، طبعة مكتبة القرآن، تحقيق: مصطفى عاشور.

٢١٢- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة إملاء الإمام الحافظ أبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل التميمي الأصبهاني، ط. الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، نشر دار الراية، تحقيق ودراسة: محمد ربيع المدخلي.

٢١٣- حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار ﷺ، لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي الشهير بابن الديبع الشيباني، طبع في قطر على نفقة أمير دولة قطر، تحقيق: عبدالله الأنصاري.

٢١٤- الحداثة تعود، د. حلمي محمد القاعود دار الأعتصام.

٢١٥- الحداثة في ميزان الإسلام، د. عوض القرني، ط. الأولى، ١٤٢٣هـ، دار الأندلس الخضراء، جدة.

٢١٦- حراسة الفضيلة، للشيخ بكر بن عبدالله أبو زيد، ط. الأولى، ١٤٢١هـ، طبعة الحرس الوطني.

٢١٧- الحركات الباطنية في العالم الإسلامي عقائدها وحكم الإسلام فيها تأليف محمد أحمد الخطيب مكتبة الأقصى ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٢١٨- الحصن الواقي، للشيخ عبدالله السدحان، ط. الثانية، ١٤١٨هـ، دار الشقراء.

٢١٩- حركة الغلو وأصولها الفارسية، تأليف: نضلة جبوري، ط. مكتبة ابن تيمية ط. الأولى ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٢٢٠- الحق الواضح المبين، للعلامة عبدالرحمن بن سعدي، مكتبة المعارف.

٢٢١- حقيقة البابية والبهائية، د. محسن عبدالحميد، ط. الثالثة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، المكتب الإسلامي.

٢٢٢- حقيقة الجن في الكتب والسنة/ ناجي الطنطاوي مكتبة المنارة ١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م.

٢٢٣- حقيقة تلبس الجن بالإنس وكيفية إخراجهم، تأليف: إبراهيم الضبيعي، ط. الأولى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٢٢٤- حكم الاحتفال بالمولد النبوي، للعلامة عبدالعزيز بن باز، ضمن رسائل الاحتفال بالمولد النبوي.

٢٢٥- الحكومة الإسلامية، للخميني، وثائق مصورة من موقع شبكة السرادب الإسلامية.

٢٢٦- الحكيم الترمذي ونظريته في الولادة، د. عبدالفتاح عبدالله بركة، طبع مجمع البحوث الإسلامية، نشر المكتبة العصرية، صيد، بيروت.

٢٢٧- حلية الأولياء، لأبي نعيم، ط. الرابعة، ١٤٠٥هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.

٢٢٨- حماية الإنسان من وساوس الجن والشيطان، تأليف: الأستاذ إبراهيم محمد الضبيعي.
٢٢٩- الحموية، لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، ط. السلفية.
٢٣٠- حوادث خارقة للطبيعة، إعداد: سمير عبدالكريم، ط. الأولى، ١٩٩١م، دار قتيبة.
٢٣١- الحوادث والبدع، لأبي بكر الطرطوشي، تحقيق: عبدالمجيد تركي، ط. الأولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، دار الغرب الإسلامي.
٢٣٢- الحيدة للإمام عبدالعزيز بن يحي بن مسلم الكناني، ط. الأولى، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، الأردن، تصحيح: الشيخ إسماعيل الأنصاري.
٢٣٣- ختم الولاية، تأليف: أبي عبدالله محمد بن علي بن الحسن الحكيم الترمذي، ط. المطبعة الكاثوليكية، بيروت، تحقيق: عثمان إسماعيل يحيى.
٢٣٤- الخصائص الكبرى، للإمام أبي الفضل جلال الدين السيوطي، ط. الأولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٢٣٥- خصائص النبي ﷺ بين الغلو والجفا، عرض ونقد على ضوء الكتاب والسنة، تأليف: الصادق بن محمد بن إبراهيم، ط. الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، نشر مكتبة الرشد، الرياض.
٢٣٦- الخطوط العريضة للسيد محب الدين الحقيق، ط. التاسعة، ١٣٨٠هـ.
٢٣٧- خلق أفعال العباد، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: د. عميرة، دار المعارف، الرياض.
٢٣٨- الخميني بين التطرف والاعتدال، د. عبدالله الغريب، ط. الأولى ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
٢٣٩- الخمينية وريثة الحركات الحاقدة والأفكار الفاسدة، وليد الأعظمي، ط. الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، دار عمار.
٢٤٠- دائرة المعارف، القرن العشرين، تأليف: محمد فريد وجدي، ط. الثالثة، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
٢٤١- دارسات في الفرق، د. صابر طعيمة، ط. الثالثة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م، مكتبة المعارف، الرياض.
٢٤٢- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للإمام جلال الدين السيوطي، ط. الأولى، ١٤٠٣هـ، دار الفكر.
٢٤٣- الدر النضيد، في إخلاص كلمة التوحيد، محمد بن علي الشوكاني، ضمن الرسائل

السلفية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان..

٢٤٤- درء تعارض العقل والنقل، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، توزيع مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

٢٤٥- دراسات في الأهواء والفرق والبدع، للدكتور ناصر عبدالكريم العقل، ط. الأولى ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، نشر مكتب الدراسات والإعلان، الرياض.

٢٤٦- دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، تأليف: موريس بوكاي، ط. الرابعة، ١٩٧٧م، دار المعارف.

٢٤٧- الدرة البهية شرح العقيدة التائية في حل المشكلة القدرية، للشيخ عبدالرحمن السعدي، ط. عام ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م، مكتبة المعارف، الرياض.

٢٤٨- الدرر السنية في الأجوبة النجدية، مجموع رسائل ومسائل علماء نجد الأعلام، جمع عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي القحطاني النجدي، ط. الثانية، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، دار العربية، بيروت.

٢٤٩- دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، تأليف: محمد الأمين الشنقيطي، مطبعة المدني، القاهرة.

٢٥٠- دقائق التفسير، لأحمد بن عبدالحليم بن تيمية، ط. الثانية، ١٤٠٤هـ، نشر مؤسسة علوم القرآن، دمشق، تحقيق: د. محمد السيد الحليند.

٢٥١- دلائل التوحيد، لجمال الدين القاسمي، ط. الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، تعليق: خالد العك، نشر دار النفائس.

٢٥٢- دلائل النبوة للحافظ أبي نعيم الأصبهاني، ط. الثانية، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م، دار النفائس، بيروت، تحقيق: محمد واس قلعة وعبدالبر عباس.

٢٥٣- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، لأبي بكر أحمد الحسين البيهقي، ط. الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، دار الكتب العلمية، دار البيان، للتراث، القاهرة، تحقيق: د. عبدالمعطي قلعجي.

٢٥٤- دلائل النبوة، للإمام أبي بكر جعفر بن محمد بن الحسن الفريابي، ط. الأولى ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، دار حراء، مكة، تحقيق: عامر حسن صبري.

٢٥٥- الديباج، للسيوطي، نشر دار ابن عفان، الخبر، السعودية، عام ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م، تحقيق: أبو إسحاق الحويني الأثري.

٢٥٦- الدين الخالص، للسيد محمد صديق حسن، مكتبة التراث، القاهرة، تحقيق: محمد

زهري النجار .
٢٥٧- الدين ، د . محمد دارز ، نشر دار العلم ، ط . الثالثة ، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م .
٢٥٨- ديوان البرعي ، لعبدالرحيم البرعي مع شرحه (لم يذكر اسم شارحه) ، مكتبة القاهرة .
٢٥٩- ديوان البوصيري ، محمد سيد ، مطبعة مصطفى الحلبي ، مصر ، ١٣٧٤هـ ، تحقيق: محمد سيد الكيلاني .
٢٦٠- ذم الكلام ، لعبدالله بن محمد بن علي الهروي ، ط . الأولى ، ١٩٩٤م ، دار الفكر ، تحقيق: د . مسيح دغيم .
٢٦١- ذم الموسوسين والتحذير من الوسوسة ، للإمام موفق الدين ابن قدامة والإمام ابن قيم الجوزية . دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
٢٦٢- رؤية إسلامية للاستشراق ، تأليف: د . أحمد غراب ، ط . الثانية ، ١٤١١هـ ، المنتدى الإسلامي .
٢٦٣- الرؤية ، للإمام الحافظ أبي الحسين علي بن عمر الدارقطني ، ط . الأولى ، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م ، مكتبة المنار ، قدم له وحققه وخرجه: إبراهيم محمد العلي وأحمد فخره الرفاعي .
٢٦٤- الرجاء ، تأليف: أسعد الصاغري ، ط . الأولى ، ١٤١٣هـ ، دار القبلة للثقافة .
٢٦٥- رحلتي إلى عالم الجن والعلاج الروحاني ، د . نادية رضوان ، ط . دار الشروق .
٢٦٦- رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد ، ط . الأولى عام ١٣٥٨هـ ، دار الكتب العلمية ، تعليق وتصحيح: محمد حامد الفقي .
٢٦٧- الرد القوي على الرفاعي لفضيلة الشيخ حمود بن عبدالله التويجري ، ضمن رسائل حكم الاحتفال بالمولد النبوي .
٢٦٨- الرد على البكري ، المسمى تلخيص الاستغاثة تأليف تقي الدين أحمد بن تيمية الدار العلمية للطباعة والنشر ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م .
٢٦٩- الرد على الجهمية والزنادقة ، للإمام أحمد بن حنبل ، ط . الثانية ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م ، نشر وتوزيع دار اللواء ، تحقيق وتعليق: د . عبدالرحمن عميرة .
٢٧٠- الرد على الجهمية ، للإمام الحافظ ابن منده ، ط . الأولى ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م ، تحقيق: علي فقيهي .
٢٧١- الرد على الجهمية ، للإمام الدارمي ، ضمن عقائد السلف .
٢٧٢- رد مفتريات على الإسلام ، د . عبدالجليل شلبي ، ط . الأولى ، ١٩٨٢م ، نشر دار

القلم، الكويت .
٢٧٣- رسائل الأرواح، د . فؤاد صروف، نشر دار العرب .
٢٧٤- رسائل العدل والتوحيد، دراسة وتحقيق: د . محمد عمارة، ط . دار الشروق .
٢٧٥- الرسائل المنيرية، ط . عام ١٣٦٤هـ، توزيع مكتبة طيبة، الرياض .
٢٧٦- رسائل في حكم الاحتفال بالمولد النبوي، لمجموعة من العلماء، ط . الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، دار العاصمة، الرياض .
٢٧٧- رسالة إنقاذ البشر من الجبر والقدر، للشريف المرتضي ضمن رسائل العدل والتوحيد .
٢٧٨- رسالة التوبة، ابن تيمية، ضمن جامع الرسائل .
٢٧٩- رسالة الخالصي إلى أحمد قوام السلطنة، رئيس الحكومة الإيرانية، حققه: هادي الخالصي، ط . العربية، الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م .
٢٨٠- رسالة الداعي إلى السنة الزاجر عن البدعة، للشيخ عبدالصمد حبيب الغاني، نشر دار العربية، بيروت، لبنان .
٢٨١- رسالة الرد على المجبرة القدرية، ليحيى بن حسين الرسِّي، ضمن رسائل العدل والتوحيد .
٢٨٢- رسالة الرد والاحتجاج على الحسن بن محمد بن الحنفية، تأليف: يحيى بن حسين الرسي، مطبوع ضمن رسائل العدل والتوحيد .
٢٨٣- الرسالة الشافية في وجوه الإعجاز، تأليف: عبدالقاهر الجرجاني، مطبوع من كتاب دلائل الإعجاز للمؤلف، تعليق: محمود محمد شاكر، ط . عام ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، مطبعة المدني .
٢٨٤- رسالة الشرك ومظاهره، تأليف: مبارك بن محمد المبلي، ط . الأولى، ١٤٠٩هـ، مكتبة الإيمان للطبع والنشر والتوزيع .
٢٨٥- رسالة الصوفية والفقراء لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن تيمية .
٢٨٦- الرسالة القشيرية للإمام القاسم عبدالكريم القشيري، مطبعة حسان، نشر دار الكتب الحديثة، تحقيق: د . عبد الحليم محمود ومحمود الشريف .
٢٨٧- رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار، تأليف: الإمام محمد ابن إسماعيل الصنعاني، ط . الأولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م، المكتب الإسلامي، تحقيق: العلامة محمد ناصر الدين الألباني .

٢٨٨- رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم ، تأليف: عمر بن سعيد الفوتي ، مطبوع بهامش جواهر المعاني وبلوغ الأماني .
٢٨٩- الرواح لعمر بن سعيد الفوتي ، مطبوع بهامش كتاب روح المعاني لعلي الفاسي .
٢٩٠- روح البيان ، للألوسي الغدادي ، ط . الرابعة ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م ، دار إحياء التراث العربي .
٢٩١- روح المعاني للألوسي ، إدارة الطباعة المنيرية .
٢٩٢- الروحية الحديثة ، تأليف: محمد محمد حسين مؤسسة الرسالة ١٤٠٤هـ- ١٩٤٨م .
٢٩٣- روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، للعلامة شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، ط . الثانية ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، راجعه وحققه أصوله وعلق عليه: د . السيد الجميلي .
٢٩٤- زاد المسير في علم التفسير للإمام أبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن علي محمد الجوزي ، ط . الرابعة ، ١٤٠٧هـ ، المكتب الإسلامي .
٢٩٥- زاد المعاد في هدي خير العباد ، لابن القيم ، تحقيق: شعيب وعبدالقادر الأرناؤط ، ط . ١٤ ، عام ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م ، نشر مؤسسة الرسالة ، مكتبة المنار .
٢٩٦- زاد المهاجر (المسمى الرسالة التبوكية) لابن القيم الجوزية ، مكتبة المدني ، جدة ، تحقيق: د . محمد جميل غازي .
٢٩٧- زبدة التفسير من فتح القدير ، لمحمد بن سليمان الأشقر ، ط . الثالثة ، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م ، نشر دار الهجرة ، الدمام .
٢٩٨- زرادشت والديانة الزرادشتية ، تأليف: فارس عثمان ، ط . الأولى ، ٢٠٠٢م/ ٢٠٠٣م ، دار المحبة ، دمشق ، دار آية بيروت .
٢٩٩- الزهد والرقائق للإمام شيخ الإسلام عبدالله بن المبارك المرزوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي .
٣٠٠- الزواجر لابن عباس الهيثمي ، ط . عام ١٤٠٧هـ/ ١٩٩٧م ، دار المعرفة ، بيروت .
٣٠١- سؤال عمن يقول إن صفات الله مخلوقة ، لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن تيمية .
٣٠٢- سبل السلام للإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني ، تحقيق: محمد الخولي ، ط . الرابعة ، سنة ١٣٧٩هـ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
٣٠٣- السحر بين الحقيقة والخيال ، د . أحمد الحمد ، ط . الأولى ، ١٤٠٨هـ ، مكتبة التراث

بمكة .
٣٠٤- السحر والسحرة من منظار القرآن والسنة ، د . إبراهيم كمال أدهم ، ط . الأولى ، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م ، دار الندوة الإسلامية ، بيروت ، لنبان .
٣٠٥- السحر ، د . إبراهيم أدهم ، ط . الأولى ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م ، دار البشائر لإسلامية للطباعة والنشر .
٣٠٦- السرطان ، د . مالكوم شوارتز ، ترجمة: عماد أبو سعد ، نشر مؤسسة الرسالة .
٣٠٧- سلسلة الأحاديث الصحيحة للعلامة ناصر الدين الألباني ، ط . المكتب الإسلامي .
٣٠٨- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، لناصر الدين الألباني ، ط . الرابعة ، ١٤٠٨هـ ، مكتبة المعارف ، الرياض .
٣٠٩- السنة لأبي عاصم ، تحقيق وتخريج العلامة ناصر الدين الألباني ، ط . الأولى ، ١٤٠٠هـ ، نشر المكتب الإسلامي ، بيروت .
٣١٠- السنة للإمام عبدالله بن الإمام أحمد بن حنبل ، ط . الأولى ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م ، د . دار الكتب العلمية ، بيروت ، تحقيق: محمد السعيد بسيوني .
٣١١- السنة للخلال ، تحقيق: د . عطية الزهراني ، ط . الأولى ، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م ، دار الراية .
٣١٢- سنن أبي داود * للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، طبع ونشر دار الجنان ، بيروت ، مؤسسة الكتب الثقافية ، دراسة وفهرسة كمال الحوت .
٣١٣- سنن أبي داود للحافظ أبو داود سليمان السجستاني ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م ، دار الفكر ، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد .
٣١٤- سنن ابن ماجه ، للحافظ أبي عبدالله بن يزيد القزويني ، ط . المكتبة العلمية ، بيروت ، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي .
٣١٥- سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي ، طبع ونشر المكتبة الإسلامية ، استانبول ، تركيا ، تعليق: عزت عبيد الدعاس .
سنن الترمذي ، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
٣١٦- سنن الدارقطني ، علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م ، تحقيق: السيد عبدالله هاشم يماني المدني .
٣١٧- سنن الدارمي للإمام الحافظ عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي ، ط . ١٤٠٧هـ/

١٩٨٧م ، ط . دار الكتاب العربي ، بيروت ، تحقيق: فؤاد زمرلي وخالد السبع .
٣١٨- السنن الكبرى للنسائي ، تحقيق: عبدالغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن ، ط . الأولى ، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
٣١٩- السنن الكبرى ، البيهقي ، نشر مكتبة الباز ، مكة المكرمة ، ١٤١٤هـ ، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا .
٣٢٠- سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية السندي ، ط . الثالثة ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م ، مكتبة المطبوعات الإسلامية ، ترقيم وتصحيح: عبدالفتاح أبو غدة .
٣٢١- السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات ، لمحمد بن أحمد الشقري الحوامدي ، مكتبة ابن تيمية .
٣٢٢- السنن والمبتدعات لمحمد بن أحمد بن عبدالسلام الشقيري الحوامدي ، نشر مكتبة ابن تيمية .
٣٢٣- سير أعلام النبلاء ، للإمام شمس الدين حمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، ط . التاسعة ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م ، مؤسسة الرسالة .
٣٢٤- السيرة الحلبية ، لعلي بن برهان الدين الحلبي ، ط . عام ١٤٠٠هـ ، دار المعرفة .
٣٢٥- السيرة النبوية ، لابن هشام ، ط . الأولى ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م ، نشر مكتبة المنار ، الأردن ، الزرقاء ، تحقيق: همام سعيد ومحمد بن عبدالله أبو صعيليك .
٣٢٦- سيماء الأولياء وكراماتهم ، علي الأصفهاني .
٣٢٧- الشباب بين التطرف والانحراف ، د . إسماعيل إبراهيم .
٣٢٨- شبهات أهل الفتنة وأجوبة أهل السنة ، عبدالرحمن دمشقية دار الجاري ١٩٩٩م .
٣٢٩- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، للمؤرخ أبي الفلاح عبدالحي ابن العماد الحنبلي ، ط . دار الكتب العلمية ، بيروت .
٣٣٠- شرح أصول اعتقاد أهل السنة ، تحقيق: د . أحمد سعد حمدان ، نشر دار طيبة ، الرياض .
٣٣١- شرح الأربعين ، للإمام يحيى بن شرف الدين النووي ، ط . الثالثة ، ١٣٩٣٦هـ/ ١٩٧٣م ، تحقيق: عبدالله إبراهيم الأنصاري ، مكتبة جدة .
٣٣٢- شرح الأصول الخمسة ، للقاضي عبدالجبار ، تعليق: أحمد الحسيني ابن أبي هاشم ، تحقيق: د . عبدالكريم عثمان ، نشر مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط . الثانية ، ١٤٠٣هـ/

١٩٨٣م .
٣٣٣- شرح الزرقاني ، لمحمد عبدالباقي الزرقاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط . الأولى ، ١٤١١هـ .
٣٣٤- شرح السنة ، للإمام الحسين البغوي ، ط . الثانية ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، تحقيق: شعيب الأرناوؤط ومحمد زهير الشاويش .
٣٣٥- شرح الصاوي على جوهرة التوحيدة تأليف أحمد بن محمد المالكي- دار الإخاء ١٩٨٠م .
٣٣٦- شرح العقيدة الأصفهانية * لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني ، ط . الأولى ، ١٤١٥هـ ، مكتبة الرشد ، الرياض ، تحقيق: إبراهيم سعيداني .
٣٣٧- شرح العقيدة الأصفهانية ، لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ، ط . عام ١٣٥٨هـ ، دار الاعتصام ، القاهرة ، نشر دار الكتب الإسلامية ، تقديم حسين مخلوف .
٣٣٨- شرح العقيدة الطحاوية * للقاضي علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي الدمشقي ، ط . الأولى ، ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م ، نشر مكتبة البيان ، توزيع مكتبة المؤيد ، تحقيق: بشير محمد عيون .
٣٣٩- شرح العقيدة الطحاوية ، لأبي العز الحنفي ، ط . المكتب الإسلامي .
٣٤٠- شرح العمدة في الفقه ، لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ، ط . الأولى ، ١٤١٣هـ ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، تحقيق: د . سعود صالح العطيشان .
٣٤١- شرح العمدة لابن تيمية ، ط . الأولى ، ١٤١٣هـ ، تحقيق: د . سعود العطيشان ، مكتبة العبيكان .
٣٤٢- شرح المقاصد ، تأليف: مسعود بن عمر سعد الدين التفتازاني ، تحقيق: عبدالرحمن عميرة ، نشر مكتبة الكليات الأزهرية ، الأزهر .
٣٤٣- شرح حديث (ما ذئبان جائعان) لابن رجب الحنبلي ، ط . الأولى ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م ، مكتبة طبرية ، الرياض ، أعده وضبطه وعلق عليه: أبو محمد أشرف عبدالمقصود .
٣٤٤- شرح صحيح مسلم ، للإمام محيى الدين أبو زكريا النووي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
٣٤٥- شرح قصيدة ابن القيم ، للشيخ أحمد بن عيسى ، ط . المكتب الإسلامي .

٣٤٦- شرح كتاب التوحيد، للشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، مطبعة الرياض الحديثة.
٣٤٧- شرح معاني الآثار، للمحدث المفسر أبي جعفر بن محمد الطحاوي، ط. الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م، مؤسسة الرسالة، تحقيق: شعيب الأرناوؤط.
٣٤٨- شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد الرافضي، ط. عام ١٣٨١هـ، عيسى الحلبي، مصر.
٣٤٩- الشرك في القديم والحديث، أبو بكر محمد الزكريا، نشر وطبع مكتبة الرشد، عام ١٤٢١هـ.
٣٥٠- الشريعة الإسلامية للقوانين الجاهلية، لعمر بن سليمان الأشقر، ط. الأولى، ١٤٠٤هـ، طبعة دار الدعوة، الكويت.
٣٥١- الشريعة، للإمام أبي بكر محمد بن الحسين الآجري، ط. دار الكتب العلمية، تحقيق: محمد حامد فقي.
٣٥٢- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، مطبعة عيسى الحلبي، تحقيق: علي محمد البجاوي.
٣٥٣- شفاء الصدور في الرد على الجواب المشكور، ط. الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، مكتبة لينة، أصدرته دار الإفتاء.
٣٥٤- شفاء العليل، للإمام ابن القيم الجوزية، نشر دار الفكر، بيروت.
٣٥٥- شمائل الرسول ﷺ، للحافظ ابن كثير، ط. الثانية، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م، دار القبلة للثقافة الإسلامية ومؤسسة علوم القرآن، تحقيق: د. مصطفى عبدالواحد.
٣٥٦- شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق، للنبهاني، طبعة إيشيق، اصطنبول، تركيا، رقم الطبعة وتاريخها لا يوجد.
٣٥٧- الشيطان في ظلال القرآن، لسيد قطب، جمعه ورتبه عكاشة عبدالمنان الطيبي، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة.
٣٥٨- الشيطان والرحمن، تأليف: سارتر، ترجمة: عبدالمنعم الحنفي، دار مكتبة الحياة، بيروت، ومكتبة مدلوي.
٣٥٩- الشيعة وأهل البيت، لإحسان إلهي ظهير.
٣٦٠- الشيعة والسنة، لإحسان إلهي ظهير.
٣٦١- الشيوعية والإنسانية، عباس محمد عقاد، ط. دار الكتاب العربي، بيروت.

٣٦٢- الصابئون الحرانيون ومندائيون ، د . رشدي عليان ، ط . دار السلام .
٣٦٣- الصارم البتار في التصدي للسحرة الأشرار ، لوحيد عبدالسلام بالي ، مكتبة الصحابة ، ط . الثالثة ١٤٢١هـ .
٣٦٤- الصارم المسلول على شاتم الرسول ، تأليف: شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، حققه وعلق عليه: محمد محيي الدين عبدالحميد .
٣٦٥- الصارم المنكي في الرد على السبكي ، لابن عبدالهادي ، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء ، تصحيح ومقابلة: إسماعيل الأنصاري .
٣٦٦- الصحاح ، تأليف: إسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار ، دار العلم للملايين ، ط . الثالثة ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .
٣٦٧- صحيح ابن حبان ، ط . الثانية ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م ، بيروت ، نشر مؤسسة الرسالة ، تحقيق: شعيب الأرناؤط .
٣٦٨- صحيح ابن خزيمة ، للإمام أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة ، ط . الأولى ، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م ، المكتب الإسلامي ، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي .
٣٦٩- صحيح البخاري ، للإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري ، ضبط وترقيم وشرح وتخريج: د .مصطفى ديب البغا ، ط . الرابعة ، ١٤١٠هـ ، نشر وتوزيع دار ابن كثير .
٣٧٠- صحيح الترغيب والترهيب ، للحافظ المنذري ، اختيار وتحقيق العلامة محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، ط . الأولى ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .
٣٧١- صحيح الجامع الصغير وزيادته * للعلامة محمد ناصر الدين الألباني ، ط . الثانية ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م ، المكتب الإسلامي .
٣٧٢- صحيح الكافي ، محمد الباقر ، طبعة الدار الإسلامية ، ط ١٤٠١هـ .
٣٧٣- الصحيح المسند من أسباب النزول للشيخ مقبل الوادعي ، ط . عام ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م ، مكتبة المعارف ، الرياض .
٣٧٤- صحيح سنن أبي داود ، ط . الأولى ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م ، مكتب التربية العربي ، نشر المكتب الإسلامي .
٣٧٥- صحيح سنن ابن ماجه ، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، ط . الثالثة ، ٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م ، إشراف زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ، نشر مكتب التربية .

٣٧٦- صحيح سنن النسائي للشيخ العلامة محمد ناصر الدين الألباني ، ط . الأولى ١٤٠٩هـ ، طبعة المكتب الإسلامي ، نشر مكتبة التربية العربي لدول الخليج .
٣٧٧- صحيح مسلم ، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ، طبع ونشر المكتبة الإسلامية ، استانبول ، تركيا .
٣٧٨- صفات الله ، تأليف: صالح المسند ، ط . الثانية ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م ، مطبعة المدني .
٣٧٩- صفة الصفوة ، للإمام أبي الفرج ابن الجوزي ، دار الوعي ، حلب ، حققه وعلق عليه: محمد فاخوري .
٣٨٠- الصفدية ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق: رشاد سالم ، ط . الثانية ١٤٠٦هـ .
٣٨١- الصلة بين التصوف والتشيع ، تأليف: كامل مصطفى الشيبي ، ط . الثانية ، دار المعارف ، مصر .
٣٨٢- الصمت ، لابن أبي الدنيا ، تحقيق: أبو إسحاق الأثري ، ط . الثانية ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
٣٨٣- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ، لابن قيم الجوزية ، ط . الأولى ، ١٤٠٨هـ ، دار العاصمة ، تحقيق: د . علي بن محمد الدخيل الله .
٣٨٤- الصواعق المرسلة على الشبه الداحضة الشامية ، للشيخ سليمان بن سحمان .
٣٨٥- الصوفية معتقداً ومسلكاً ، تأليف: د . صابر طعيمة ، ط . الثانية ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م ، عالم الكتب للنشر والتوزيع .
٣٨٦- ضعيف الجامع الصحيح ، ط . الثالثة ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م ، طبعة المكتب الإسلامي .
٣٨٧- ضعيف سنن أبي داود ، لناصر الدين الألباني ، إشراف: زهير الشاويش ، نشر عام ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م .
٣٨٨- طائفة النصيرية تاريخها وعقائدها ، د . سليمان الحلبي .
٣٨٩- الطب المصري القديم ، د . حسن كمال ، نشر مكتبة مدبولي تاريخ النشر ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م .
٣٩٠- الطب النبوي ، تأليف محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي (ابن قيم الجوزية) نشر: مؤسس الرسالة – بيروت – لبنان .
٣٩١- طبقات الشافعية الكبرى ، للسبكي ، ط . الثانية ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م ، نشر هجر ، تحقيق: د . عبدالفتاح الحلو ، ود . محمود الطناجي .
٣٩٢- الطبقات الصغرى ، لعبدالوهاب بن أحمد الشعراني ، ط . الأولى ، ١٣٩٠هـ ، المطبعة

التوقيفية ، مصر ، تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا .
٣٩٣- الطبقات الكبرى ، لأبي يعلى .
٣٩٤- الطرق الحسان في علاج أمراض الجان ، إعداد: أبي المنذر خليل بن إبراهيم أمين ، ط . الأولى ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م ، دار ابن الأثير ، الرياض .
الطرق الحسان في علاج أمراض الجان ، تأليف: خليل بن إبراهيم أمين ، ط . ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م ، مكتبة الصحابة ، جدة .
٣٩٥- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ، للإمام ابن القيم الجوزية ، دار المدني ، جدة ، تقديم وتحقيق: د . محمد جميل غازي .
٣٩٦- طريق الهجرتين وباب السعادتين ، لابن القيم الجوزية ، ط . الأولى ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م ، نشر دار ابن القيم ، الدمام ، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر .
٣٩٧- عارضة الأحوذي ، أبو بكر بن العربي ، ط . عام ١٤١٦هـ/ ١٩٩٤م ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .
٣٩٨- عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة ، عبدالكريم نوفان فواز عبيدان ، دار ابن تيمية للنشر والتوزيع ، ط . الأولى ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .
٣٩٩- عالم الجن والشياطين من القرآن وسنن خاتم المرسلين ، إعداد: أبو أسامة محيي الدين ، نشر مكتبة الخدمات الحديثة ، جدة ، ط . الأولى ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م .
٤٠٠- عالم الجن والشياطين ، د . عمر سليمان الأشقر ، دار الكتب العلمية ، ط . الخامسة ، ١٤٠٦هـ ، الكويت .
٤٠١- عالم الجن والملائكة ، د . عمر الأشقر ، دار الكتب العلمية ، الكويت .
٤٠٢- عباد الشيطان أخطر الفرق المعاصرة ، يوسف البنعلي . ط . الثانية ١٩٩٧م .
٤٠٣- عبدالله بن سبأ وأثره في إحداث الفتنة في صدر الإسلام ، للشيخ سليمان العودة ، دار طيبة .
٤٠٤- عبدة الشيطان ، تأليف: ممدوح الزوبي ، ط . الأولى ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م ، المكتبة الثقافية ، بيروت .
٤٠٥- العبودية لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية ، ط . الأولى ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م ، دار الكتب العلمية .
٤٠٦- عجائب وغرائب الجان من القرآن والسنة ، للعلامة بدر الدين الشبلي ، شرح وتحقيق: سعيد اللحام ، دار الفكر اللبناني .

٤٠٧- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين للعلامة ابن قيم الجوزية .
٤٠٨- العرش وما روي فيه ، لابن أبي شيبة ، ط . الأولى ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م ، مكتبة المعلا ، الكويت ، تحقيق: محمد بن حمد الحمود .
٤٠٩- عصر الإلحاد ، محمد تقي الأحيني الندوي ، ١٤٠٤هـ ، دار الصحوة للنشر والتوزيع .
٤١٠- العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، محمد بن أحمد بن عبدالهادي بن قدامة المقدسي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، تحقيق: محمد حامد الفقي .
٤١١- العقيدة الإسلامية وأسسها ، تأليف: عبدالرحمن حبنكة الميداني ، ط . الخامسة ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م ، دار القلم ، دمشق .
٤١٢- العقيدة الأصفهانية ، لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية ، نشر مكتبة الرشد .
٤١٣- عقيدة البعث في الإسلام ، للتهامي نقرة ، ط . عام ١٣٩٥هـ ، الشركة التونسية .
٤١٤- عقيدة الدروز عرض ونقض ، د . محمد أحمد الخطيب ، ط . الثالثة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م ، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع .
٤١٥- عقيدة السلف وأصحاب الحديث ، للإمام أبي عثمان إسماعيل الصابوني ، مطبوع ضمن الرسائل المنيرية .
٤١٦- عقيدة المسلمين والرد على الملحدين ، للشيخ صالح البليهي ، ط . الثالثة ، ١٤٠٤هـ ، المطبعة الأهلية للأوفست .
٤١٧- العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية ، لإمام الحرمين أبي المعالي عبدالملك بن عبدالله الجويني ، نشر وطبع مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، تقديم وتحقيق وتعليق د . أحمد حجازي السقا .
٤١٨- عقيدة ختم النبوة ، د . عثمان عبدالمنعم عيش ، ط . الأولى ، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م ، نشر مكتبة الأزهر .
٤١٩- العقيدة والشريعة في الإسلام ، تأليف: أجناس جولد تسيهر ، ترجمة وتعليق: محمد يوسف وعبدالعزيز عبدالحق وعلي حسن عبدالقادر ، طبعة مصورة عن مطبعة دار الكتاب المصري ، عام ١٩٤٦م ، دار الرائد العربي ، بيروت .
٤٢٠- العلاج الرباني للسحر والمس الشيطاني ، تأليف: مجدي محمد الشهاوي ، ط . الثالثة ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م ، نشر عالم الكتب ، بيروت .
٤٢١- العلاج القرآني والطبي من الصرع الجني والعضوي ، تأليف: أحمد الديب ، ود . نبيل سليم ، نشر مكتبة الصحابة ، جدة .

٤٢٢- علاقة الجان بالإنسان لحسان عبدالمنان، نشر مكتبة برهومة، ط. الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٤٢٣- علل الشرائع، لأبي جعفر محمد علي بن الحسين بن بابوية القمي، قدم له: محمد صادق بحر العلوم، تاريخ النشر: ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م.

٤٢٤- علم أصول البدع، تأليف: علي بن حسن بن علي بن عبدالحميد الأثري، ط. الأولى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، دار الراية، الرياض.

٤٢٥- علماء في مواجهة الحكام، تأليف مجدي محمد الشهاوي، مكتبة الأصدقاء، القاهرة، دار المسافر، جدة.

٤٢٦- العلمانية، للشيخ د. سفر الحوالي، ط. الأولى، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٤٢٧- عمل اليوم والليلة، النسائي، ط. الثانية، ١٤٠٦هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، تحقيق: د. فاروق حمادة.

عمل اليوم والليلة، لأبي بكر بن السني، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا.

٤٢٨- العمل والعمال بين الإسلام والنظم الوضعية المعاصرة، د. سعد المرصفي، ط. الأولى، ١٤٠٠هـ، دار البحوث العلمية.

٤٢٩- عون المعبود في شرح سنن أبي داود، تأليف: محمد شمس الحق أبو الطيب، ط. الثانية، ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، نشر المكتبة السلفية، المدينة.

٤٣٠- العين، لأبي عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، دار النشر: دار ومكتبة الهلال، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي.

٤٣١- العين، لأبي عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، دار ومكتبة الهلال، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي.

٤٣٢- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، تأليف: الحافظ أبي الفتح محمد بن محمد بن سيد الناس، تحقيق: محمد العيد ومحيى الدين مستو، ط. ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، طبع ونشر دار ابن كثير، بيروت.

٤٣٣- غاية المرام في علم الكلام، لعلي بن أبي علي الآمدي، ط. عام ١٣٩١هـ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، تحقيق: حسن عبداللطيف.

٤٣٤- غريب الحديث، إبراهيم بن إسحاق الحربي، ط. الأولى، ١٤٠٥هـ، جامعة أم القرى، تحقيق: د. سليمان العايد.

٤٣٥- غريب الحديث، لابن الجوزي أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد، ط. الأولى ١٩٨٥م، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق: د. عبدالمعطي قلعجي.

٤٣٦- غريب الحديث، لابن عبيد القاسم سلام الهروي، ط. الأولى، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، تحقيق: د. محمد عبدالمعيد خان.

٤٣٧- غريب الحديث، لابن قتيبة عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ط. الأولى، ١٣٩٧هـ، نشر مطبعة العاني، بغداد، تحقيق: د. عبدالله الجبوري.

٤٣٨- غريب الحديث، للإمام أبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٢هـ، تحقيق: عبدالكريم إبراهيم العزباوي.

٤٣٩- الفائق في غريب الحديث، جار الله أبو القاسم محمود الزمخشري، دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد الدكن، تحقيق: الحسن النعماني.

٤٤٠- الفتاوى الحديثية، لابن حجر الهيثمي، وبهامشه الدرر المنتشرة في الأحاديث المنتشرة للسيوطي، ط. عام ١٣٠٧هـ، المطبعة الميمية، مصر.

٤٤١- الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط. الأولى ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م، دار المعرفة، بيروت.

٤٤٢- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، ط. الأولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ط. رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض.

٤٤٣- فتاوى علماء البلد الحرام، إعداد: خالد بن عبدالرحمن الجريسي، ط. الأولى ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، مؤسسة الجريسي.

٤٤٤- فتح الباري شرح صحيح البخاري * للإمام الحافظ أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، ط. الأولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٤٤٥- فتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام الحافظ أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، ط. الأولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٤٦- فتح الباري، لابن حجر، ط. عام ١٣٧٩هـ، بيروت، دار المعرفة، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ومحب الدين الخطيب.

٤٤٧- فتح الحق المبين في علاج الصرع والسحر والعين، د. عبدالله الطيار، والشيخ سامي المبارك، ط. الثانية، ١٤١٥هـ، دار الوطن، الرياض.

٤٤٨- الفتح الرباني ترتيب مسند الإمام أحمد مع شرحه بلوغ الأماني، للشيخ أحمد بن عبدالرحمن البنا، دار الشهاب، القاهرة.

٤٤٩- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تأليف محمد بن علي الشوكاني، طبعة دار المعرفة، بيروت.
٤٥٠- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، للشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، تاريخ النشر ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٧م.
٤٥١- فتح المنان في جمع كلام شيخ الإسلام ابن تيمية عن الجان، تأليف أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، نشر مكتبة التوحيد، المنامة، البحرين، ط. الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
٤٥٢- فتح المنان في جمع كلام شيخ الإسلام ابن تيمية عن الجان، لأبي عبيدة مشهود بن حسن آل سلمان، مكتبة التوحيد، ط. الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
٤٥٣- الفتنة وموقف المسلم منها، إعداد: عبدالحميد السحيباني، ط. الأولى ١٤١٧هـ، دار القاسم للنشر والتوزيع.
٤٥٤- الفتوحات المكية لابن عربي، ط. عام ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، طبعة ثانية مصورة عن الطبعة الأولى، الهيئة المصرية العامة للكتاب بالاشتراك مع المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، تحقيق: د. عثمان يحيى، مراجعة: د. إبراهيم مدكور.
٤٥٥- الفتوحات المكية، لابن عربي، دار صادر، بيروت.
٤٥٦- الفردوس المأثور، الخطاب لأبي الشجاع شيرويه الهمزاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى ١٩٧٦م، تحقيق: السيعد بسيوني زغلول.
٤٥٧- الفَرق بين الفِرق وبيان الفرقة الناجية منهم، للأستاذ عبدالقاهر بن طاهر البغدادي، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، ط. عام ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م، ط. دار الجيل، دار الآفاق، بيروت.
٤٥٨- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية.
٤٥٩- الفروع لمحمد بن مفلح المقدسي، ط. الأولى، عام ١٤١٨هـ، دار الكتب العلمية، تحقيق: أبو الزهراء حازم القاضي.
٤٦٠- فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب، وثيقة مصورة من موقع شبكة السرادب الإسلامية.
٤٦١- الفصل في الملل الأهواء والنحل، تأليف أبي محمد بن علي بن أحمد ابن حزم الظاهري، دار الجيل، تحقيق د. محمد إبراهيم نصر، د. عبدالرحمن عميرة.

٤٦٢- الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم الظاهري، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة.
٤٦٣- فصوص الحكم لابن عربي، تعليق أبو العلاء عفيفي، ط. الثانية ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، نشر دار الكتاب العربي.
٤٦٤- فضائح الباطنية، أبو حامد الغزالي، ط. الأولى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، دار البشير، عمان، الأردن.
٤٦٥- فضائل الصحابة لأبي عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق: وصي الله بن محمد عباس، ط. الأولى ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
٤٦٦- الفقه الأكبر مع شرحه لملا علي القارئ، ط. الأولى، عام ١٣٢٣هـ، مكتبة ومطبعة الحلبي، تصحيح: محمد بدر الدين أبو فراس الحلبي.
٤٦٧- الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، د. عبدالرحمن بن عبدالخالق، ط. الثالثة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، مكتبة ابن تيمية.
٤٦٨- فلسفات إسلامية، محمد جواد معنية، مكتبة الهلال، دار الجواد.
٤٦٩- الفوائد لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن قيم الجوزية، ط. الثانية، عام ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، مكتبة المؤيد، الطائف، مكتبة دار البيان، دمشق.
٤٧٠- في ظلال القرآن، لسيد قطب، ط. الثانية عشر، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، دار الشروق.
٤٧١- فيض القدير شرح الجامع الصغير، للشيخ عبدالرؤوف المناوي، دار الحديث، القاهرة.
٤٧٢- القاديانية، إحسان إلهي ظهير، نشر إدارة ترجمان السنة، باكستان، لاهور.
٤٧٣- القاديانية، محمد الحمد، نشر دار القاسم.
٤٧٤- القاموس المحيط لمجد الدين محمد يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، ط. الثانية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
٤٧٥-القرآن والشيطان، فارس محمد ثابت، ٢٤٣ ث ف ق، دار الفكر العربي.
٤٧٦- قرع السياط في قمع أهل اللواط، لأحمد بن محمد السفاريني، ط. الأولى، ١٤١٢هـ، دار الطحاوي، الرياض.
٤٧٧- القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة، للشيخ د. عبدالرحمن المحمود (رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلام، قسم العقيدة، المذاهب المعاصرة).

٤٧٨- قطر الولي على حديث الولي، للعلامة: علي الشوكاني، تحقيق: د. إبراهيم هلال، مطبعة حسان، نشر دار الكتب.
٤٧٩- قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر، محمد صديق، حسن خان.
٤٨٠- قلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي وأتباعه الأكابر، لمحمد بن أبي الهدى أفندي الرفاعي الصيادي، ط. الأولى ١٤٠٠هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
٤٨١- قواعد الأحكام في مصالح الأنام، للعز بن عبدالسلام، ط. عام ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م، مكتبة الكليات الأزهرية.
٤٨٢- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، لفضيلة الشيخ محمد ابن صالح بن عثيمين، ط١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
٤٨٣- القول السديد في مقاصد التوحيد، ط. الثالثة ١٣٩٠هـ، مؤسسة النور، الرياض.
٤٨٤- القول الفصل النفيس في الرد على المفتري داود جرجيس، للشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ. تقديم ومراجعة: إسماعيل بن سعد بن عتيق ط. عام ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
٤٨٥- القول الفصل بين الذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون، للشيخ مصطفى صبري، ط. عام ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، دار السلام.
٤٨٦- القول الفصل في حكم الاحتفال بمولد خير الرسل، للشيخ إسماعيل الأنصاري، مطبوع ضمن رسائل حكم الاحتفال بالمولد.
٤٨٧- القول المفيد على كتاب التوحيد، شرح فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين.
٤٨٨- القوى الخفية، الجن الشيطاني والجن الرحماني، شيخ الإسلام ابن تيمية، مكتبة التراث الإسلامي، مصر، ط. الأولى، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م، جمع وإعداد: عكاشة بن عبدالمنان الطيب.
٤٨٩- القيامة الكبرى، د. عمر سليمان الأشقر، ط. الثانية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، مكتبة الفلاح، الكويت. القدرات الخفية، تأليف: مارك أوديف، ترجمة: هيثم سرية، ط. الأولى، ١٩٩١م، نشر دار دمشق.
٤٩٠- الكافي في الأصول للكليني، ط. إيران.
٤٩١- الكافي في فقه ابن حنبل، لعبدالله بن قدامة المقدسي، تحقيق: زهير الشاويش، ط. الخامسة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، نشر المكتب الإسلامي، بيروت.
٤٩٢- الكامل في ضعفاء الرجال، الجرجاني، ط. الثالثة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م، تحقيق: يحيى

غزاوي ، دار الفكر ، بيروت .
٤٩٣- الكامل في ضعفاء الرجال ، ط . الثالثة ، ١٤٠٩هـ ، تحقيق: يحيى غزاوي ، ط . دار الفكر ، بيروت .
٤٩٤- كتاب الزيارة لابن تيمية ، ط . عام ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م ، دار مكتبة الحياة ، مراجعة وتعليق: سيف الدين الكاتب .
٤٩٥- الكتاب المقدس ، تصدرها دار الكتاب المقدس في العالم العربي ، ١٩٨٣م .
٤٩٦- كتاب فيه ما فيه ، للشاعر الصوفي جلال الدين الرومي ، ط . الأولى ، ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٢م ، ط . دار الفكر ، دمشق ، ترجمه عن الفارسية: عيسى على العاكوب .
٤٩٧- كرامات أولياء الله ، للإمام الحافظ أبي القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائي ، ط . عام ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م ، نشر طيبة ، الرياض ، تحقيق: د . أحمد سعد حمدان .
٤٩٨- كشاف القناع ، لمنصور البهوتي ، ط . عام ١٤٠٢هـ ، دار الفكر ، بيروت ، تحقيق: هلال مصيلحي هلال .
٤٩٩- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، تأليف محمود بن عمر الزمخشري ط . الثالثة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م ، دار الكتاب العربي ، ترتيب مصطفى حسين أحمد .
٥٠٠- كشف الأستار لإبطال ادعاء فناء النار المنسوب لشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم الجوزية ، تأليف: د . علي بن علي جابر الحربي اليماني ، ط . الأولى ، ١٤١٠هـ ، دار طيبة ، الرياض .
٥٠١- كشف الأسرار الخميني ، ط . الثالثة ، ١٩٨٠ ، دار عمار للنشر والتوزيع ، عمان ، ترجمة د . محمد البنداري تقديم: د . محمد أحمد الخطيب .
٥٠٢- كشف الخفاء ومزيل الإلباس فيما اشتهر من الأحاديث ، للمفسر الشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني ، ط . الخامسة ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، تصحيح: أحمد القلاش .
٥٠٣- الكشف عن حقيقة الصوفية تأليف محمود عبدالرؤوف القاسم ط . الثانية عام ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م .
٥٠٤- الكلم الطيب ، تأليف شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني ، ط . الأولى ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م ، تحقيق العلامة ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف ، الرياض .

٥٠٥- كنز العمال لعلاء هندي، المطبعة العربية، حلب، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، مؤسسة الرسالة.
٥٠٦- الكواشف الجلية عن معاني الواسطية، للشيخ عبدالعزيز بن محمد السلمان، ط. السابعة عشر، ١٤١٠هـ.
٥٠٧- كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة، تأليف عبدالرحمن حبنكة الميداني طار القلم ط. الثانية عام ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م..
٥٠٨- الكواكب الدرية لشرح الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية، تأليف: محمد بن عبدالعزيز بن مانع، مطبعة المدني، نشر المؤسسة السعودية بمصر، القاهرة.
٥٠٩- كيف أخدم الإسلام؟ لعبد الملك القاسم، دار القاسم.
٥١٠- كيف نداوي السحر المس الحسد، لأبي الفداء محمد عزت محمد عارف، ط. الثانية ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، مكتبة المأمون، جدة.
٥١١- كيفية إخراج الجان من جسم الإنسان، سعيد جاد وعلي بدوي، نشر الروضة، القاهرة.
٥١٢- اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة لجلال الدين عبدالرحمن السيوطي. ط. عام ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م.
٥١٣- لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن منظور، دار صادر، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية.
٥١٤- لسان الميزان، للإمام الحافظ شهاب الدين أي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط. الأولى، نشر دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مكتبة دار زمزم، الرياض.
٥١٥- لقط المرجان في أحكام الجان، للحافظ جلال الدين السيوطي، تحقيق: مصطفى عاشور، نشر مكتبة القرآن، القاهرة.
٥١٦- لمع الأدلة في قواعد أهل السنة والجماعة، لعبدالملك الجويني، ط. الثانية، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، عالم الكتب، د. فوقية حسين محمود.
٥١٧- لمعة الاعتقاد لموفق الدين أبي محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي مع شرحها، للشيخ صالح بن محمد العثيمين، تحقيق أشرف عبدالمقصود، ط. الثانية ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
٥١٨- لوامع الأنوار الهية وسواطع الأسرار الأثرية، لشرح الدرة المضية في عقد الفرق

المرضية ، تأليف العالم الشيخ محمد بن أحمد السفاريني الأثري الحنبلي ، ط . الثانية ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م ، منشورات مؤسسة الخافقين ، دمشق .

٥١٩- مؤلفات محمد بن عبدالوهاب ، تصنيف وإعداد عبدالعزيز بن زيد الرومي ، راجع أصوله وصححه د . محمد بلتاجي ، د . سيد حجاب ، مطبعة المركز الإسلامي للطباعة والنشر .

٥٢٠- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، أبو الحسن علي الحسني الندوي . ط . العاشرة . عام ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م .

٥٢١- الماركسية في الميزان ، د . محمد عليان ، نشر المكتبة العامة بأبها .

٥٢٢- مباحث في إعجاز القرآن ، تأليف مصطفى مسلم ، ط . الأولى ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م ، دار المنار ، جدة .

٥٢٣- مباحث في إعجاز القرآن ، تأليف: مصطفى مسلم ، ط . الأولى ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م ، نشر دار المنار ، جدة .

٥٢٤- مباحث في علوم القرآن ، للشيخ مناع خليل القطان ، ط . الخامسة ، ١٤٠١هـ ، دار الطباعة ، نشر مكتبة وهبة .

٥٢٥- المبدع ، لإبراهيم بن مفلح الحنبلي ، ط . عام ١٤٠٠هـ ، المكتب الإسلامي .

٥٢٦- المبسوط في فقه الإمامية . تأليف أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي ، صححه وعلق عليه محمد الباقر البهبودي -المكتبة المرتضوية لإحياء تراث الجعفرية ١٩١٩م .

٥٢٧- المجروحين ، لابن حبان ، دار الوعي ، حلب .

٥٢٨- مجمع الزوائد للهيثمي ، ط . عام ١٤٠٧هـ ، دار الريان للتراث ، ودار الكتاب العربي ، القاهرة ، بيروت .

٥٢٩- مجمع الزوائد ، نشر دار الريان ، ودار الكتاب العربي ، القاهرة ، بيروت .

٥٣٠- مجموع التوحيد ، لابن تيمية ، ومحمد بن عبدالوهاب ونخبة من العلماء .

٥٣١- المجموع الثمين ، من فتاوي فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين جمع وترتيب: فهد ناصر السليمان . ط . الأولى . ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م .

٥٣٢- مجموع الفتاوى ، لابن تيمية ، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد القاسم ، طبع ونشر مكتبة ابن تيمية .

٥٣٣- المجموع المفيد في نقض القبورية ، د . محمد الخميس ، ط . الأولى ، ١٤١٨هـ/

١٩٩٨م ، دار أطلس .
٥٣٤- مجموع فتاوى ومقالات سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز – رحمه الله – ط . الرابعة .
٥٣٥- مجموع فتاوى ومقالات سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز * – رحمه الله – ط . الثانية ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م .
٥٣٦- المجموع شرح المهذب لأبي زكريا محي الدين بن شرف النووي . تحقيق: محمد نجيب المطيعي . ط . عام ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م .
٥٣٧- مجموعة الرسائل المنيرية ، إدارة الطباعة المنيرية ، ط .عام ١٣٤٦هـ/ ، في علم الكلام للإيجي ، لعضد الدين القاضي عبدالرحمن بن أحمد الإيجي ، مطبعة عالم الكتب ، بيروت .
٥٣٨- مجموعة الرسائل والمسائل للإمام تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ، ط . الأولى ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، تعليق وتصحيح: جماعة من العلماء بإشراف محمد رشيد رضا .
٥٣٩- المجموعة النادرة لأبناء الآخرة ، لبهاء الدين محمد مهدي الصيادي الرفاعي الحسيني الشهير بالرواس ، نشر مكتبة النجاح ، طرابلس ، ليبيا ، تحقيق: عبدالحكيم بن سليم عبدالباسط .
٥٤٠- محاسن التأويل ، محمد جمال الدين القاسمي ، تحقيق وتخريج: فؤاد عبدالباقي ، دار الفكر ، بيروت .
٥٤١- محاضرات في النصرانية ، للشيخ: محمد أبو زهرة . طبع ونشر الرئاسة العامة للبحوث العلمية والدعوة والإفتاء عام ١٤٠٤هـ .
٥٤٢- محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع ، تأليف: عبدالرؤوف محمد عثمان ، ط . رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء ، الرياض .
٥٤٣- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، للقاضي أبي محمد بن عطية الأندلسي ، تحقيق المجلس العلمي بفاس ، ط . عام ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة .
٥٤٤- المحلى ، لابن حزم الظاهري ، نشر مكتبة الخانجي ، القاهرة .
٥٤٥- محمد المثل الأعلى ، تأليف: أحمد جاد المولى ، ط . الأولى ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م ، مكتبة دار المحبة ، تحقيق: عبدالرحيم مارديني .
٥٤٦- محمد رسول الله ، لسليمان إبراهيم .

٥٤٧- مختار الصحاح ، تأليف محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٨٨م .

٥٤٨- مختصر إغاثة اللهفان ، لابن القيم ، اختصره الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبابطين ، ط . الثانية ، ١٤٠٩هـ .

٥٤٩- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ، تأليف الإمام محمد بن أبي بكر المعروف ، بابن قيم الجوزية ، ط . عام ١٣٤٩هـ ، دار الفكر ، اختصار محمد الموصلي .

٥٥٠- مختصر الصواعق المرسلة ، لابن القيم ، اختصار الموصلي ، طبعة دار الفكر .

٥٥١- مختصر العلو ، تأليف الحافظ شمس الدين الذهبي ، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني ، ط . الثانية ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، دمشق .

٥٥٢- المختصر المفيد في شرح جوهرة التوحيد . تأليف نوح علي سلمان القضاة دار الرازي ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م .

٥٥٣- مختصر النحلة الإثني عشرية ، شاه الدهلوي ، تعليق: السيد محمود شكري الألوسي ، ط . ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م ، استانبول ، تركيا .

٥٥٤- مختصر معارج القبول ، للشيخ حافظ حكمي اختصار سعد محمد القحطاني ، ط . الثانية ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م ، دار إشبيليا .

٥٥٥- مختصر منهاج القاصدين ، لابن قدامة المقدسي ، تحقيق: علي حسن علي عبدالحميد ، ط . الأولى ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م ، دار الفيحار ، دار عمار .

مختصر منهاج القاصدين ، لابن قدامة المقدسي ، دار الكتاب العربي ، تحقيق: عبدالرزاق المهدي .

٥٥٦- مداخل الشيطان على الصالحين ، د . عبدالله الخاطر ، ط . الثالثة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م ، طبعة المنتدى الإسلامي ، تقديم جمال سلطان .

٥٥٧- مدارج السالكين ، لابن القيم ، تحقيق: محمد فقي ، نشر دار الكتاب العربي ، ط . الثانية ، عام ١٣٩٢هـ .

٥٥٨- المدخل لابن الحاج أبو عبدالله محمد بن محمد بن محمد العبدري المالكي ، مكتبة دار التراث ، القاهرة .

٥٥٩- المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية ، د . إبراهيم البريكان ، ط . عام ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م ، دار السنة .

٥٦٠- مذاهب الإسلاميين ، د . عبدالرحمن بدوي . الطبعة الثانية . دار العلم للملايين نشر

عام ١٣٩٩-١٣٩١هـ/ ١٩٧٩م .
٥٦١- المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها ، د . عبدالرحمن عميرة .
٥٦٢- مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات ، لأحمد بن عبدالرحمن القاضي ، ط . الأولى ، ١٤١٦هـ ، دار العاصمة .
٥٦٣- مرقات المفاتيح في شرح مشكاة المصابيح ، للعلامة علي بن سلطان محمد القاري ، طبعة محمد عبدالعزيز السورتي وأولاده .
٥٦٤- مسألة الإمامة ، محسن عبدالناظر ، الدار العربية للكتاب .
٥٦٥- مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة ، د . ناصر بن عبدالله القفاري ، ط . الثانية ، ١٤١٣هـ ، دار طيبة ، الرياض .
٥٦٦- مسألة القضاء والقدر ، لعبدالحليم محمد قمبس ، راجعه: خالد العك ، ط . عام ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م ، بيروت ، لبنان .
٥٦٧- مسائل الجاهلية ، لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب ، شرح وتحقيق: د . يوسف السعيد .
٥٦٨- مسائل الجاهلية ، للإمام محمد بن عبدالوهاب ، ط . عام ١٣٩٦هـ ، الجامعة الإسلامية ، المدنية المنورة ، تحقيق: شكري الآلوسي .
٥٦٩- مسائل عبدالله بن الإمام أحمد بن حنبل الشيباني . ط . الأولى ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .
٥٧٠- المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل ، جمع وتحقيق: عبدالإله بن سليمان الأحمدي ، ط . الأولى ، ١٤١٢هـ ، دار طيبة ، الرياض .
٥٧١- المستدرك على الصحيحين ، للإمام الحافظ أ[ي عبدالله بن محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري ، ط . الأولى ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م ، دار الكتب العلمية ، دراسة وتحقيق مصطفى عبدالقادر عطا .
٥٧٢- مسند أبي داود الطيالسي ، للحافظ سليمان بن داود بن الجارود الشهير بأبي داود الطيالسي ، دار المعرفة بيروت ، لبنان .
٥٧٣- مسند ابن شهاب ، ط . الثانية ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، تحقيق: حمد بن عبدا لمجيد السلفي .
٥٧٤- مسند الإمام أحمد * بن حنبل فهرسة الشيخ ناصر الدين الألباني ، ط . الخامسة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م ، ط . المكتب الإسلامي .
٥٧٥- مسند الإمام أحمد ، طبعة مؤسسة قرطبة ، مصر .

٥٧٦- مسند الجعد، ط. الأولى، عام ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، مؤسسة نادر، بيروت، تحقيق: عامر أحمد.
٥٧٧- مسند الحارث ابن أبي أمامة، تحقيق: د. حسين الباكري، ط. الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢١م، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، المدينة المنورة.
٥٧٨- مسند عبد بن حميد. للحافظ أبي محمد عبد بن حميد، حققه وضبط نصوصه وخرجه: السيد البدري السامراني، محمود محمد خليل الصعيدي، نشر عالم الكتب ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
٥٧٩- المسند، لأبي يعلى، تحقيق: حسين سليم أسد، ط. الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، نشر دار المأمون، دمشق.
٥٨٠- المسيح عيسى – عليه السلام – بين الحقائق والأوهام، د. محمد وصفي، مراجعة علي الجوهري، دار الفضيلة، القاهرة.
٥٨١- مشكاة المصابيح، للعلامة محمد بن عبدالله بن الخطيب التبريزي، ط. الثالثة، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، تحقيق: ناصر الدين الألباني، ط. المكتب الإسلامي.
٥٨٢- مشكل الحديث وبيانه، لابن فورك، ط. الأول ١٤٠٢هـ، دار الوعي، حلب، تحقيق وتعليق: د. عبدالمعطي أمين قلعجي.
٥٨٣- مصائب الإنسان من مكايد الشيطان، تأليف تقي الدين أبي إسحاق إبراهيم بن أبي عبدالله محمد ابن مفلح. صححه. عبدالله الصديق. تاريخ النشر ١٣٩٠هـ.
٥٨٤- المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت.
٥٨٥- مصرع التصوف أو تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي/ لبرهان الدين البقاعي، تحقيق وتعليق عبدالرحمن الوكيل. ط. عام ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
٥٨٦- مصنف أبي شيبة، ط. الأولى، عام ١٤٠٩هـ، نشر مكتبة الرشد، تحقيق: كمال الحوت.
٥٨٧- مصنف عبدالرزاق، ط. الثانية ١٤٠٣هـ، نشر المكتب الإسلامي، بيروت.
٥٨٨- المطلع على أبواب المقنع، تأليف محمد بن أبي الفتح البعلي الحنبلي، ط. عام ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، تحقيق محمد بشير، المكتب الإسلامي، بيروت.
٥٨٩- معارج القبول، للشيخ حافظ الحكمي، دار ابن القيم، الدمام، ضبط عمر بن محمود أبو عمر.
٥٩٠- معالم التنزيل، للإمام أبو محمد الحسن بن مسعود البغوي. تحقيق: خالد عبدالرحمن

العك- مروان سوار . دار المعرفة ، بيروت . ط . ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .
٥٩١- المعجزة الكبرى ، لمحمد أبي زهرة . تاريخ النشر ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م .
٥٩٢- معجم ألفاظ العقيدة ، عامر بن عبدالله فالح ، مكتبة المعارف ، الرياض .
٥٩٣- معجم الأدباء . تأليف: ياقوت بن عبدالله الحموي . راجعه: وزارة المعارف العمومية المصرية . سلسلة الموسوعات العربية . القاهرة: دار المأمون مكتبة عيسى البابي الحلبي . ط . عام ١٣٥٧هـ .
٥٩٤- معجم البلدان ، تأليف: ياقوت بن عبدالله الحموي أبو عبدالله ، دار الفكر ، بيروت .
٥٩٥- المعجم الكبير ، الطبراني ، نشر مكتبة العلوم والحكم ، الموصل ، ط . الثانية ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٧٣م .
٥٩٦- معجم المؤلفين ، عمر رضا كحاله ، مكتبة المثنى ببغداد ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
٥٩٧- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ، رتبه ونظمه لفيف من المستشرقين ، مكتبة بريل ، لندن ، سنة ١٩٣٦م .
٥٩٨- معجم مقاييس اللغة ، لأحمد بن فارس بن زكريا . تحقيق عبدالسلام محمد هارون . ط . الأولى . ١٣٧١هـ/ ١٩٥١م .
٥٩٩- المغرب في ترتيب المعرب ، تأليف أبي الفتح ناصر الدين بن عبدالسيد بن علي بن المطرز ، ط . الأولى ، ١٩٧٩م ، مكتبة أسامة ابن زيد ، حلب ، تحقيق: محمود فاخوري وعبدالحميد مختار .
٦٠٠- المغني عن حمل الأسفار في الأسفار ، لأبي الفضل عبدالرحمن بن الحسين العراقي ، مطبوع في حاشية (إحياء علوم الدين) .
٦٠١- المغني لابن قدامة ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .
٦٠٢- المغني للقاضي عبدالجبار الهمذاني ، تحقيق: د . محمد المصطفى ، د . أبو الوفاء الغنيمي ، ط . المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر .
٦٠٣- مفاتيح الجنان ، عباس القمي ، دار الرسول الأكرم ، دار المحجة البيضاء .
٦٠٤- المفاخر العلية في المآثر الشاذلية ، لأحمد بن عباد الشافعي ، ط . عام ١٣٨١م ، الحلبي ، مصر .
٦٠٥- مفاهيم يجب أن تصحح ، لمحمد علوي المالكي ، ط . الأولى عام ١٤٠٥هـ ، دار الإنسان ، القاهرة .

٦٠٦- مفتاح دار السعادة، لابن القيم، دار الفكر.
٦٠٧- مفتريات على الإسلام، أحمد محمد جمال، دار الفكر، بيروت.
٦٠٨- مفردات القرآن للراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد كيلاني، دار المعرفة. بيروت، لبنان.
٦٠٩- المفهم، للحافظ القرطبي، ط. الثانية، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، دار ابن كثير.
٦١٠- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشهورة على الألسنة. تأليف شمس الدين أبي الخير محمد عبدالرحمن السخاوي. صححه وعلق عليه عبدالله محمد الصديق الغماري. ط. الأولى ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
٦١١- مقاصد المكلفين، د. عمر الأشقر. دار النفائس، الأردن. ط. الثانية١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
٦١٢- مقالات الإسلاميين، لأبي الحسن الأشعري، نشر دار إحياء التراث، بيروت، ط. الثالثة، هلوت رينز.
٦١٣- مقالات، محمد جواد مغنية، دار ومكتبة الهلال، دار الجواد.
٦١٤- مقامع الشيطان في ضوء الكتاب والسنة، تأليف: سليم الهلالي، ط. الثالثة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، دار ابن الجوزي، الدمام.
٦١٥- مقدمة في الباراسايكولوجي، د. ريكان إبراهيم، ط. الأولى، ٢٠٠١م، دار الكندي.
٦١٦- مقومات التصور الإسلامي، سيد قطب. ط. الأولى ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
٦١٧- مكايد الشيطان لعباد الرحمن، تأليف: سليمان الدحدوح، دار البشائر الإسلامية.
٦١٨- مكايد الشيطان، تأليف: طه عبدالله العفيفي، دار الاعتصام.
٦١٩- مكايد الشيطان، للحافظ ابن أبي الدنيا، مكتبة القرآن، تحقيق مجدي السيد إبراهيم.
٦٢٠- مكايد يهودية عبر التاريخ، عبدالرحمن حبنكة الميداني، ط. دار القلم، دمشق.
٦٢١- الملل والنحل، للبغدادي، تحقيق: البير نصري، دار الشروق، بيروت.
٦٢٢- الملل والنحل، للشهرستاني، تحقيق: محمد سيد الكيلاني، دار المعرفة، بيروت.
٦٢٣- من هم الموحدون الدروز؟، تأليف: جميل أبو ترابي، دار علاء الدين. سوريا.
٦٢٤- منار السبيل، ابن ضويان، ط. الثانية، ١٤٠٥هـ، مكتبة المعارف، الرياض.
٦٢٥- المنار المنيف في الصحيح والضعيف، ابن القيم الجوزية، ط. الثانية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة.
٦٢٦- المناظرة، للإمام جعفر بن محمد الصادق، تحقيق وتعليق: علي بن عبدالعزيز آل شبل.

٦٢٧- مناهج الجدل في القرآن الكريم ، د . زاهر الألمعي ، مطابع الفرزدق .
٦٢٨- مناهل العرفان في علوم القرآن الكريم ، للشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني ، طبعة دار إحياء الكتب العربية .
٦٢٩- المنقذ من الضلال ، لأبي حامد الغزالي ، ط . الثانية ، عام ١٣٩٤هـ ، دار الكتب الحديثة ، مصر .
٦٣٠- منهاج السنة ، لابن تيمية ، تقي الدين أحمد بن عبدالحليم ، ط . الأولى ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦ ، تحقيق: د . محمد رشاد سالم .
٦٣١- المنهاج في شعب الإيمان ، الحليمي ، تحقيق: حلمي محمد فودة ، ط . الأولى ، عام ١٣٩٩هـ ، دار الفكر .
٦٣٢- المنهاج في شعب الإيمان ، للحليمي ، ط . الأولى ، ١٣٩٩هـ ، دار الفكر ، تحقيق: حلمي محمد فودة .
٦٣٣- منهج الإسلام في تزكية النفوس ، د . أنس أحمد كرزون ، نشر دار النور المكتبات ، جدة ، دار ابن حزم ، بيروت .
٦٣٤- منهج الإمام الشوكاني في العقيدة ، للدكتور عبدالله نومسوك ، مكتبة دار القلم ، ط . الثانية ١٤١٤هـ .
٦٣٥- منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد ، لعثمان بن حسن ، ط . عام ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م ، مكتبة الرشد ، الرياض .
٦٣٦- المواجهة ، تأليف حسن أحمد قطامش ، ط . الأولى ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ا لرياض .
٦٣٧- موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان ، للحافظ نور الدين علي بين أبي بكر الهيثمي ط . دار الكتب العلمية ، ت حقيق ونشر محمد عبدالرزاق حمزة .
٦٣٨- الموافقات في أصول الأحكام ، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشهير بالشاطبي . تعليق: محمد الخضر حسين- محمد حسنين مخلوف .ط .عام١٣٤٠هـ/ ١٩٢١م .
٦٣٩- موسوعة الأديان ، د . مهدي البصري ، ط . الأولى ، ٢٠٠١م ، نشر دار أسامة ، الأردن ، عمان .
٦٤٠- موسوعة الظواهر الخارقة ، د . أحمد توفيق حجازي ، ط . الأولى ، ٢٠٠١م ، دار أسامة للنشر ، الأردن ، عمان .
٦٤١- الموسوعة العربية الميسرة ، نشر أعمال الموسوعة ، الرياض ، ط . الأولى .

٦٤٢- الموسوعة الفلسفية ، د عبدالمنعم الحنفي ، ط . الأولى ، دار ابن زيدون .
٦٤٣- موسوعة القرن العشرين ، محمد فريد وجدي .
٦٤٤- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، ط . الرابعة ، ١٤٢٠هـ ، إشراف وتخطيط ومراجعة: د . مانع بن حماد الجهني ، نشر الندوة العالمية ، الرياض .
٦٤٥- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب . الندوة العالمية .ط . الثانية عام ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م .
٦٤٦- موضوعات ، لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي الجوزي ، ضبط وتقديم وتحقيق عبدالرحمن محمد عثمان –المكتبة السلفية ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م .
٦٤٧- الموطأ ، للإمام مالك ، ط . الحادية عشر ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م ، إعداد: أحمد راتب عرموش .
٦٤٨- موقف ابن تيمية من الأشاعرة ، للشيخ د . عبدالرحمن بن صالح بن صالح المحمود ، ط . الأولى ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م ، مكتبة الرشد ، الرياض .
٦٤٩- موقف الإسلام من نظرية ماركس للتفسير المادي للتاريخ ، تأليف: أحمد العوايشة ، ط . الأولى ١٤٠٢هـ ، طبعة دار مكة .
٦٥٠- ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، تأليف أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، دار الفكر ، تحقيق: علي محمد البجاوي .
٦٥١- مسند ابن الجعد علي بن الجعد بن عبيد أبو الحسن الجوهري البغدادي ، ط . الأولى ، ١٤١٠هـ ، ١٩٩٠م ، نشر مؤسسة نادر ، بيروت ، تحقيق: عامر أحمد حيدر .
٦٥٢- مسند الحميدي عبدالله بن الزبير أبو بكر الحميدي ، دار الكتب العلمية ، مكتبة المتنبي ، بيروت ، القاهرة ، تحقيق: حبيب الأعظمي .
٦٥٣- المعجم الأوسط ، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، نشر دار الحرمين ، القاهرة ، ١٤١٥هـ ، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد وعبدالمحسن بن إبراهيم الحسيني .
٦٥٤- المعجم الصغير ، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني ، ط . الأولى ، ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م ، نشر المكتب الإسلامي ، دار عمار ، بيروت ، عمان ، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير .
٦٥٥- المعجم الكبير ، للطبراني ، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم ، ط . الثانية ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م ، نشر مكتبة العلوم والحكم ، الموصل ، تحقيق: حموي بن عبدالحميد السلفي .

٦٥٦- مع الفارابي والمدن الفاضلة، تأليف: فاروق سعد، دار الشروق ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
٦٥٧- النبوات، لشيخ الإسلام ابن تيمية الحراني، ط. ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، دار الكتاب العربي، بيروت، دراسة وتحقيق محمد عبدالرحمن عوض.
٦٥٨- النبوة بين المثبتين والمنكرين، د. جمال الدين حسين عفيفي.
٦٥٩- النسائي في عمل اليوم والليلة، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. الثانية، ١٤٠٦هـ، تحقيق: د. فاروق حمادة.
٦٦٠- نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها، تأليف: عرفان عبدالحميد فتاح، ط. عام ١٣٩٤هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.
٦٦١- نصب المجانيق لنسف الغرانيق، للعلامة ناصر الدين الألباني، ط. المكتب الإسلامي، دمشق، ١٣٧٢هـ.
٦٦٢- النصيحة في صفات الرب، لأحمد الواسطي، ط. المكتب الإسلامي.
٦٦٣- النظام الفريد بتحقيق جوهرة التوحيد، لمحمد محيى الدين عبدالحميد، حاشية على إتحاف المريد بجوهرة التوحيد لعبدالسلام اللقاني.
٦٦٤- النظرية الماركسية في ميزان الإسلام، تأليف: أمير عبدالعزيز، ط. الأولى، ١٤٠١هـ، مكتبة الأقصي، عمان.
٦٦٥- نظم المتناثر من الحديث المتواتر، لأبي الفيض جعفر الحسن الإدريسي، الشهير بالكتاني، ط. الأولى، ١٤٠٣هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
٦٦٦- النفحات الأقدسية في شرح الصلوات الأحمدية، لمحمد بهاء الدين البيطار، ط. دار الجيل، بيروت.
٦٦٧- نفحات الرضا والقبول في فضائل المدينة، للحضراوي، دار غريب، القاهرة، تحقيق: د. محمد رينهم عزب.
٦٦٨- النهاية في الفتن والملاحم، للحافظ ابن كثير، ط. الثانية، عام ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، دار الكتب العلمية، تصحيح وضبط: أحمد عبدالشافي.
٦٦٩- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ط. دار الفكر، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمط الطناجي.
٦٧٠- نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول، تأليف أبي عبدالله محمد الحكيم الترمذي. نسخة مصورة عن طبعة الاستانة ١٢٩٤هـ.
٦٧١- نور العين في المشي إلى زيارة قبر الحسين، تأليف: محمد حسن الأصبهاني، دار الميزان،

بيروت ، لبنان .
٦٧٢- النور المحمدي بن هدي الكتاب المبين وغلو الغالين ، عداب محمود الحمش ، ط . الأولى ، ١٤٠٧هـ ، دار الأماني ، ودار حسان ، الرياض .
٦٧٣- نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار للشيخ الإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، نشر دار الحديث ، القاهرة .
٦٧٤- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، للإمام ابن القيم الجوزية ، دار المطبعة السلفية ، نشر دار الريان ، تقديم وتحقيق وتعليق: د . أحمد السقا .
٦٧٥- الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية لكبار أئمة نجد ، جمع وترتيب سليمان ابن اسحاق . وقف على طبعها وعلق عيها محمد رشيد رضا . طبع على نفقة الملك عبدالعزيز . ط . الثانية ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٤م .
٦٧٦- هذه هي الصوفية ، تأليف: عبدالرحمن الوكيل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
٦٧٧- الهوى وأثره في الخلاف ، للشيخ د . عبدالله الغنيمان ، ط . الأولى ، ١٤١٢هـ ، دار الوطن .
٦٧٨- الوابل الصيب الكلم الطيب ، لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن قيم الجوزية . حققه وخرج أحاديثه عبدالقادر الأرناؤوط . ط . الثانية ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م .
٦٧٩- الواسطية لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية . مع شرح محمد خليل هراس ، راجعه عبدالرازق عفيفي ط . الثانية .
٦٨٠- الوجودية دراسة ونقد على ضوء الإسلام ، د . صالح الشريدة (رسالة دكتوراه مقدمة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة) .
٦٨١- وحي الله ، حسن ضياء الدين عتر ، ط . الثانية ، دار الفنون ، جدة .
٦٨٢- الوحي المحمدي ، د . عبدالجليل شلبي ، طبعة عام ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٥م ، مطابع الشروق ، القاهرة .
٦٨٣- الوحي في الإسلام وإبطال الشبهات ، عبدالله عبدالحي أبو بكر (رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة أم القرى مكتوبة على الآلة الكاتبة) .
٦٨٤- وسقطت الشيوعية ، تأليف: زكي الشيخ حسين ، طبعة المكتب الإسلامي .
٦٨٥- الوسوسة وطرق العلاج على ضوء الكتاب والسنة ، لسليمان عبدالرحمن الغيامة .
٦٨٦- الوفاء بأحوال المصطفى ، تأليف: أبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي ، ط . الأولى ، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م ، مطبعة السعادة ، نشر دار الكتب الحديثة ، تحقيق: مصطفى

عبدالواحد .
٦٨٧- وفيات الأعيان ، لابن خلكان ، تحقيق: إحسان عباس ، دار صادر .
٦٨٨- وقاية الإنسان من الجن والشيطان ، تأليف: وحيد عبدالسلام بالي .
٦٨٩- وقفات حوار مع الشيخ محمد متولي الشعراوي ، تأليف: نبيل حمدي .
٦٩٠- ولاية الله والطريق إليها ، دارسة وتحقيق لكتاب قطر الولي على حديث الولي ، للإمام الشوكاني ، تأليف: إبراهيم إبراهيم هلال ، طبعة المدني .
٦٩١- اليزيدية ومنشأ نحلتهم ، أحمد تيمور باشا ، مكتبة الثقافة الدينية ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م .
٦٩٢- اليزيديون ، واقعهم ، تاريخهم ، معتقداتهم ، إعداد محمد التونجي ، المكتبة الحديثة الثقافية ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م .
٦٩٣- يقظة أولي الاعتبار مما ورد في ذكر النار وأصحاب النار ، تأليف: صديق حسن خان ، تحقيق: أحمد حجازي السقا ، نشر دار التراث الإسلامي ، الأزهر .
٦٩٤- اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام ، تأليف: د . فرج الله عبدالباري أبو عطا الله ، ط . الأولى ، ١٤١١هـ ، ١٩٩١م ، طبع ونشر دار الوفاء للطباعة ، المنصورة ، مصر .

المواقع على الشبكة العالمية (الإنترنت)

٦٩٥- شبكة السرداب الإسلامية .
٦٩٦- موقع إسلام آون لاين .
٦٩٧- موقع التعريف بالأحباش .
٦٩٨- موقع الدرر السنية .
٦٩٩- موقع الرسالة .
٧٠٠- موقع بيان الكتب .
٧٠١- موقع جزيرة نت .
٧٠٢- موقع حميد المبارك الشيعي .
٧٠٣- موقع شبكة الدفاع عن السنة .
٧٠٤- موقع لها آون لاين .
٧٠٥- موقع مجلة فرقونو .
٧٠٦- موقع مريم نور .
٧٠٧- موقع مكتبة العقائد الإمامية .

٧٠٨- مواقع سماحة الشيخ ابن باز - رحمه الله- .

برامج الحاسب الإلكتروني.

٧٠٩- جامع التفاسير ، شركة العريس .

٧١٠- مكتبة البيت المسلم الشاملة (السيرة النبوية) ، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م ، مركز البحوث .

٧١١- مكتبة العقائد والملل ، الإصدار الأول ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م ، مركز البحوث .

٧١٢- مكتبة المعاجم والغريب والمصطلحات ، مركز التراث ، الإصدار الأول ، ١٤٢٠ ، ١٩٩٩م .

٧١٣- مكتبة شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم ، مركز البحوث .

٧١٤- موسوعة البيان الإلكترونية ، مكتب مجلة البيان ، الرياض .

٧١٥- موسوعة طالب العلم الشرعي ، المستوى المتقدم ، ٨٠٠ مجلداً ، مركز التراث ، الإصدارة ٢٠٥ ، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م .

الدوريات

٧١٦- مجلة الأسرة العدد ٩٧ في ربيع الآخر ١٤٢٢هـ .

٧١٧- مجلة البيان العدد ١١١ في ذي القعدة ١٤١٧هـ .

٧١٨- مجلة البيان العدد ١١٣ في محرم ١٤١٨هـ .

٧١٩- مجلة الجزيرة العدد ٣٤ تاريخ ١٢/ ربيع أول ١٤٢٤هـ .

٧٢٠- مجلة الدعوة العدد ١٧٤٠ في ٢٩ محرم ١٤٢١هـ .

٧٢١- مجلة الدعوة العدد ١٧٨٥ في ٤ محرم ١٤٢٢هـ .

٧٢٢- مجلة الشراع الشيعية العدد ٦٨٤ السنة الرابعة .

❁ ❁ ❁

فهرس الموضوعات

تقديم فضيلة الدكتور علي العلياني .... أ

المقدمة ٣

أهمية الموضوع ٤

تمهيد ١٤

أسباب الانحراف عن الفطرة ٢٢

الباب الأول: مكايد الشيطان وأساليب في إفساد الاعتقاد ٣٣

الفصل الأول: مكايد الشيطان في إفساد الاعتقاد ٣٤

– تعريف الشيطان ٣٤

– علاقة الشيطان بالجن ٣٥

– صفة الشياطين ٣٦

المبحث الأول: تعرضه لأنبياء الله من خلال نصوص الوحيين ٤١

١. تعرضه لأنبياء الله فيما يتعلق بالتبليغ ٤١

– قصة الغرانيق وما ورد فيها ٤٥

– أقوال العلماء فيتأويل قصة الغرانيق ٤٥

٢. تعرضه لأنبياء الله بالنصب والعذب ٤٨

٣. تعرضه لأنبياء الله بالقتل والتحريف ٤٩

٤. تعرضه لأنبياء الله بالسحر ٥٢

٥. تعرضه لأنبياء الله بالوسوسة ٥٧

٦. تعرضه لأنبياء الله بالنسيان ٦١

٧. تعرضه لأنبياء الله بالحسد والتنقيص من مكانتهم ٦٤

٨. تعرضهم لأنبياء الله بإشغالهم في عبادتهم ٦٥

المبحث الثاني: مكايده في إيقاع البشر في الكفر والشكر ٦٩

أولاً: التشكيك ٧٠

ثانياً: الغلو في المخلوقين ودعاؤهم من دون الله ٧٢

ثالثاً: التعلق بالآثار ٧٥

رابعاً: التصوير ونصب الأنصاب وإقامة التماثيل ٧٧

خامساً: التحليل والتحريم والقول على الله بغير علم ٨٠
سادساً: تحريف الأديان السماوية ٨٥
سابعاً: السحر والكهانة ٨٦
ثامناً: التقليد الأعمى ٨٧
تاسعاً: اتباع الهوى والشهوات ٨٨
المبحث الثالث: مكايده في إيقاع البشر في البدع والأهواء ٩١
المبحث الرابع: الإيذاء النفسي ١٠١
المبحث الخامس: الإيذاء البدني ١١٦
أولاً: الصرع ١١٦
ثانياً: السحر ١٢٨
ثالثاً: القتل والمقاتلة ١٣٤
رابعاً: مرض الطاعون ١٣٧
خامساً: الإصابة بالأمراض العضوية ١٤٢
سادساً: خطف الصبيان ١٤٤
سابعاً: التفريق بين الزوجين ١٤٥
ثامناً: نخس المولود عند ولادته ١٤٦
تاسعاً: حضور الشيطان عند جماع الرجل أهله ١٥٠
العاشر: إحراق المنازل بالنار ١٥١
الحادي عشر: تخبط الإنسان عند الموت ١٥٣
الثاني عشر: الاستحاضة ١٥٤
الثالث عشر: أكل طعام الآدميين والشرب معهم والسكن في مساكنهم ١٥٥
الرابع عشر: العين ١٥٧
الخامس عشر: إفساد المعاملات ١٦٦
السادس عشر: التثاؤب والنعاس في الصلاة وعند الذكر ١٦٦
السابع عشر: العقد على رأس النائم والمبيت على خيشومه والبول في أذنيه والاحتلام ١٦٨
الثامن عشر: التلاعب بمقاعد بني آدم ١٧٢
الفصل الثاني: أساليب الشيطان في إفساد الاعتقاد ١٧٣
المبحث الأول: خطوات الشيطان ١٧٤

أولاً: النسيان ١٧٦
ثانياً: الاستدراج ١٨٠
ثالثاً: التسويف ١٨١
رابعاً: الوسوسة ١٨٢
خامساً: الأزّ ١٩٠
سادساً: الحيرة ١٩٣
سابعاً: التبرؤ والشماتة ١٩٥
المبحث الثاني: تزيين الباطل ونسيان الحق ١٩٩
أولاً: تزيين الشرك ١٩٩
ثانياً: تزيين الحرام وتسميته بأسماء محببه للنفوس ٢٠٠
ثالثاً: تزيين المعاصي ٢٠٤
رابعاً: تزيين اتباع الهوى ٢٠٦
خامساً: تزيين حرب المسلمين وعمل الطفآة ٢٠٨
سادساً: تزيين أعمال الطغاة ٢٠٩
سابعاً: تزيين النفاق وتزيين المذاهب الهدامة ٢٠٩
المبحث الثالث: الفتنة ٢١١
من مظاهر الفتن التي يوقع فيها العباد ٢١١
فتنة الكفر والشرك وفتنة الحكم بغير ما أنزل الله ٢١٢
فتنة النساء ٢١٣
الفتنة بالأمرد ٢١٧
فتنة الأموال والأولاد ٢٢٢
فتنة التعلق بالبدع والمعاصي ٢٣٠
الفتنة بالدخول على الملوك والسلاطين ٢٣١
الفتنة بالمسيح الدجال ٢٣٤
المبحث الرابع: إلقاء الشبهات ٢٣٦
المبحث الخامس: الصدّ ٢٤٢
المبحث السادس: ظن السوء ٢٤٨
المبحث السابع: التسويل ٢٥٥

المبحث الثامن: الاستحواذ والاستهواء والتخويف ٢٥٦
المبحث التاسع: القنوط من رحمة الله ٢٦٠
المبحث العاشر: الأمن من مكر الله ٢٦٦
المبحث الحادي عشر: الاستفزاز ٢٦٨
المبحث الثاني عشر: السحر ٢٧٣
الباب الثاني: مكايد الشيطان وأساليب في إفساد الاعتقاد ٢٧٥
الفصل الأول: مكايد الشيطان وأساليبه في مسائل التوحيد ٢٧٦
المبحث الأول: توحيد الربوبية ٢٧٦
المبحث الثاني: توحيد الألوهية ٣٠٣
أولاً: شرك العبادة ٣٠٥
ثانياً: شرط الطاعة والاتباع ٣١٦
ثالثاً: شرك الدعاء ٣٢٣
رابعاً: شرك الشفاعة ٣٢٥
خامساً: القول على الله بلا علم ٣٢٧
سادساً: الردة ٣٣٣
المبحث الثالث: توحيد الأسماء والصفات ٣٥٠
- الإلحاد في أسماء الله وصفاته أنواع ٣٥٤
الشبهة الأولى: التنزيه ٣٦٥
الشبهة الثانية: نفي الجسمية والتحيز والتركيب والجوهر والانقسام ٣٦٧
الشبهة الثالثة: نفي الجهة ٣٧٢
الشبهة الرابعة: نفي التشبيه ٣٧٦
الشبهة الخامسة: نفي التشبيه ٣٧٩
الشبهة السادسة: تحكم العقل في مسائل الصفات ٣٨٣
الشبهة السابعة: التفويض ٣٩٤
الشبهة الثامنة: نفي الصفات بناء على أن إثباها منه تعدد القدماء ٣٩٧
الفصل الثاني: مكايد الشيطان في مسائل النبوات ٤٠١
المبحث الأول: مكايد الشيطان في إنكار النبوات ٤٠٢
المبحث الثاني: مكايد الشيطان في الغلو في الأنبياء ٤٢١

١ – تأليه الأنبياء ٤٢٢
٢ – سؤالهم الشفاعة ودعاؤهم والتضرع إليهم ٤٣٧
٣ – الغلو في قبور الأنبياء ٤٣٧
٤ – إقامة المواليد والأعياد ٤٥٠
المبحث الثالث: مكايد الشيطان في نفي المعجزات والكرامات ٤٥٨
المبحث الرابع: مكايده فيما يتعلق بالولاية والأولياء ٤٨٩
الفصل الثالث: مكايد الشيطان في مسائل الغيبيات ٥٢٣
المبحث الأول: مكايده في مسائل الإيمان بالملائكة ٥٢٣
المبحث الثاني: مكايده في إنكار البعث ٥٣٣
المبحث الثالث: مكايده في إنكار اليوم الآخر ٥٤٥
المبحث الرابع: مكايده فيما يتعلق بالأرواح ٥٦١
الفصل الرابع: أبرز مظاهر مكايد الشيطان عند الفرق والملل والنحل المخالفة ٥٩٠
١ – فيما يتعلق بالإيمان بالله تعالى ٥٩١
٢ – فيما يتعلق بالإيمان بالملائكة والكتب ٦٤٦
٣ – فيما يتعلق بالإيمان بالرسل ٦٥٣
٤ – التكذيب باليوم الآخر ٦٧٤
٥ – التكذيب بالقدر ٦٧٦
الباب الثالث: طرق التحصين من الشيطان ٦٩١
الفصل الأول: تحقيق العبودية لله تعالى ٦٩٣
الفصل الثاني: تحقيق العبودية لله تعالى ٧٠٧
الفصل الثالث: الاستعاذة والاستعاذة بالله ٧٢١
الفصل الرابع: الالتزام بالكتاب والسنة ٧٤٣
المبحث الأول: لزوم الجماعة ٧٤٥
المبحث الثاني: الأذكار ٧٥٤
– من وسائل طرد الشيطان ٧٥٥
١ – المداومة على التسمية ٧٥٥
٢ – كلمة التوحيد ٧٦١
٣ – الذكر عن التشكيك في العقائد ٧٦٢

٤ – المحافظة على أذكار النوم والاستيقاظ والفزع منه ٧٦٢
٥ – الأذان والإقامة ٧٦٥
٦ – ملازمة الذكر عند دخول المسجد وعند الخروج منه ٧٦٦
المبحث الثالث: قراءة القرآن الكريم ٧٦٩
- بعض السور التي تمتلك ميزة في دفع الشيطان ٧٧٠
١ – سورة الفاتحة ٧٧٠
٢ – سورة البقرة ٧٧١
٣ – سورة الإخلاص والمعوذتين ٧٧٤
٤ – آيات أخرى من القرآن ٧٧٥
المبحث الرابع: غض البصر ٧٧٧
المبحث الخامس: كثرة الطاعات ٧٨١
المبحث السادس: التوبة والاستغفار ٧٨٢
المبحث السابع: حفظ الجوارح ٧٩٢
المبحث الثامن: تحصين الأهل والأولاد ٧٩٩
الفصل الخامس: طرق أخرى لتحصن من الشيطان ٨٠٣
المبحث الأول: ما استقريته من الكتاب ٨٠٣
١ – التوكل على الله ٨٠٣
٢ – إخفاء النعم على الحاسد ٨٠٥
٣ – حسن الخلق والكلمة الطيبة ولين الجانب ٨٠٧
٤ – الجهاد ٨١٢
المبحث الثاني: ما استقريته من السنة ٨٢٣
١ – ترك التشبه بالشيطان ومخالفته ٨٢٤
٢ – الوضوء ٨٢٧
٣ – الصلاة ٨٢٨
٤ – الإنفاق في سبيل الله ٨٣٠
٥ – الصيام ٨٣١
٦ – الرضاء بقضاء الله وقدره والبعد عن الجزع والنياحة ٨٣٢
٧ – العدل ٨٣٤

٨ – النكاح والترابط الأسري ٨٣٥
٩ – قرار المرأة في بيتها ٨٣٦
١٠ – البعد عن الغضب ٨٣٧
١١ – التأني واجتناب العجلة ٨٣٩
١٢ – تصحيح النية في كل عمل يخرج إليه أطره ٨٤٠
١٣ – كفالة اليتيم ٨٤٠
١٤ – البعد عن الفتن ٨٤١
١٥ – طلب العلم ٨٤٢
١٦ – التواضع وشكر النعم ٨٤٤
١٧ – البعد عن غشيان الأسواق لغير حاجة ٨٤٥
١٨ – الاستعلاء والاحتقار ٨٤٦
١٩ – قلة الخروج ليلاً ٨٤٧
٢٠ – الدعاء ٨٤٨
٢١ – كشف مخططات الشيطان وسد منافذه ومداخله ٨٤٩
٢٢ – تحصين الجماعة المسلمة من الشيطان ٨٥٥
الوسائل المشروعة لرد كيد الشياطين ٨٥٥
الأمور الهامة الواجب توفرها في المعالج والمعالج ٨٥٩
الآيات التي يرقى بها ٨٦١
الخاتمة ٨٦٩
فهرس المصادر والمراجع ٨٧٧
فهرس الموضوعات ٩٢٥

